مجلة الأزهر

٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٨

المجلد الحادي والسبعون ـ القسم الثاني
السنة ١٤١٩هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

فى رحاب

الإسراء والمعراج

بســـم الله الرحمن الرحيم ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين .

وبعد . .

ففى مثل هذه الأيام المباركة من شهر الله الحرام ، شهر رجب الفرد ، يحتفل المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها بذكرى عزيزة علينا ، حبيبة إلى قلب كل مسلم ومسلمة ، ألا وهى ذكرى معجزة الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ من بيت الله الحرام بمكة المكرمة إلى بيت المقدس بالشام إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى .

هذا الحدث المعجز حقاً وقع ليلاً بالروح والجسد ، لنبينا - صلوات الله وسلامه عليه - وهو فى حالة اليقظة ، هذا الأمر الخارق للعادة فعلاً ، المعجز لنا نحن البشر ، هَيِّنٌ على الله ، الذى يقول للشىء كن فيكون .

رجب ١٤١٩هـ - نوفمبر ١٩٩٨م - الجزء السابع - السنة الحادية والسبعون

ولكى تتضح حكمة هذا الأمر العظيم ، ونقف على مراميه وهدفه نسأل التاريخ ، ونستقصى أخباره ، ونتنسم أسراره ، ونتعرف آثاره ، ونقف على حقيقة الأجواء التى سبقت هذه النفحة الإلهية ، والمنحة الربانية ، فيحدثنا التاريخ أن سيد الخلق قد عاش أيام الدعوة الأولى ، وهو ينعم بأنيسين حبيبين إلى قلبه : خديجة الزوج الأولى تؤنسه فى المنزل ، وعمه أبى طالب يؤنسه خارج المنزل .

كانت خديجة زوجاً صالحة ، بادرت بتصديقه أول عهده بالنبوة ، وسارعت فوراً دون إبطاء إلى الإيمان به ، وفضلاً عن ذلك فقد وضعت كل مالها تحت تصرفه .

ثم كان أبو طالب يمنعه من أذى أعدائه ، ويدفع عنه كيد خصومه وحساده ، ويقف إلى جانبه إذا دهمه خطب ، أو حزبه أمر ، ويقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّد فى التراب دفينا

كان كل منهما عوناً له فى النائبات ، وسنداً له فى الحوادث ، فإذا ماتلبّد الجو أمامه ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه ، وساءت معاملة قومه له عاد إلى منزله ، فالتقى بزوجه خديجة البارة ، فتقابله بابتسامة ساحرة ، فينشرح صدره ، ويرتاح قلبه ، ولايكاد يبادلها الحديث ، ويفضى إليها بأحزانه وآلامه ، حتى تبدد عنه كل ألم ، وتُسرّى عنه كل هم ، وتفتح فى وجهه كل أبواب الأمل ، فيخرج نشطاً فتياً ، يدعو إلى الله من جديد ، صابراً محتسباً ، فإذا أعرض عنه قومه ، وعقدوا العزم على الكيد له ، وقف أمامهم أبو طالب يدافع عن ابن أخيه ، ويحوطه ويحميه ، ويشد أزره ويقويه .

هكذا كان يعينه أبو طالب ، وهكذا كانت تواسيه خديجة ، وفى عام واحد قبيل حدث الإسراء ماتت خديجة ومات عقبها أبو طالب ، فقد الأنيس والنصير حتى سمى هذا العام : عام الحزن[1] ، وهنا اتسع مجال الإيذاء أمام الأعداء ، وأدرك رسول الله ـ ﷺ ـ أن بقاءه بينهم لم يعد ميسوراً ، فهاجر إلى الطائف يحمل إيماناً قوياً ، ويقيناً صادقاً ، وليس له الآن من نصير إلا الله ـ سبحانه ـ وأملاً فى أن يجد فى أهل الطائف من يصدق دعوته ، وينصره ويعينه ويؤازره ، ويعزره ويوقره ، ولكن ما إن وصل إليهم وعرض دعوته إلى الله حتى فوجىء بسخريتهم لدعوته ، وزادوا فأغروا به سفهاءهم وصبيانهم ، يرمونه بالحجارة ويسبونه ، واستمروا فى إيذائه حتى انتعل الدم .

---

(١) ابن هشام ٢/٥ وما بعدها والروض الانف للسهيلى وخاتم النبيين لابى زهرة ٢/٥٧٥ .

وفى النهاية اضطر - ﷺ - للعود من حيث أتى من مكة ، عاد وهو مكروب كاسف البال ، حزين النفس ، مغموم الفؤاد ، مردداً فى ضراعة وانكسار : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يارب العالمين » .

ودخل مكة فى جوار رجل مشرك هو عدى بن حاتم الطائى ، فى هذا الجو القاتم ، وهذه الظروف الكئيبة ، والأوقات الرهيبة ، واللحظات العصيبة ، وبعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، جاءته دعوة من ربه ليشعره بأنه الحبيب ، فلا يحزن ولا ييئس ، وأن أهل الأرض إن كانوا قد آذوك وطردوك فهاأنا أستقبلك فى السماء ، حيث تحظى بالنفحة الربانية ، وبحضرة القدس ، فى جو يكتمل فيه الأنس ، وتستمتع به النفس ، وتظفر فيه بأبهى مظاهر التبجيل والتكريم ، تثبيتاً لفؤادك وشرحاً لصدرك ، ورفعاً لذكرك . وصدق من قال :

تمادى حماة الشرك فى غلوائهم ... وآذوا رسول الله وهو يذكر
فضاقت عليه الأرض وهى رحيبة ... وبات حزيناً قلبه يتفطر
فنادت سماء الله لا تأس إننى ... أحِنُّ إلى لقياك والشوق يغمر
إذا الأرض ضاقت بالرسول فحسبه ... مكانٌ منيفٌ فى السما متخيَّرُ

وليعلم الرسول - ﷺ - أنه إن هان على الناس ، فهو عزيز عند رب الناس ، وإذا تجهم له أهل الأرض فقد لاقاه بالحفاوة أهل السماء ، ثم ليتلقى هذا الأمر الجلل الذى به قوام الحياة ، وعليه مدار السعادة فى الدنيا والآخرة ، ألا وهى الصلاة الجامعة لكل معانى الحياة الجميلة ، والمتضمنة جميع أركان الدين الإسلامي .

وكانت معجزة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات ، وأظهر البراهين البينات الواضحات ، وأقوى الحجج المحكمات ، وأصدق الأنباء ، وأعظم الآيات ، وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه - ﷺ - بعموم الكرامات ، لما اشتملت عليه من الأمور الخارقة للعادة ، التى تقصر العقول عن إدراك مثلها ، كرؤية الله والجنة وقطعه فى زمن قليل ، واتساع الزمن حتى صلى بالأنبياء إلى غير ذلك[1] .

---

(١) شرح الزرقانى (٨/٦)

وكان إسراء واحداً ، فى ليلة واحدة بروحه وجسده يقظة وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين ، والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ، ولا ينبغى العدول عنه ، إذ ليس فى العقل ما يحيله ، حتى يعدل عنه ، وإنما عده محالاً صدر من كفار قريش ، وبعض ضعفاء المسلمين ، لتوهمهم أن قطع مثل هذه المسافة ذهاباً وإياباً فى بعض ليلة محال ؛ لبعدها فتقطع فى أيام كثيرة ، ومن بعض أرباب علم الهيئة الزاعمين أن الأفلاك لافرجة فيها ، ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطأ عقلاً ونقلاً ، ألا ترى نقل عرش بلقيس فى طرفة عين مع بعد مسافته ، وقد نطقت النصوص بأن للسماء أبواباً تفتح وتغلق ، فلاعبرة بأوهام الفلاسفة[1]

وكان الإسراء ليلاً مع أن غالب الفرائض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر ، والابتغاء من فضل الله إنما هو بالنهار ، وإن وقع جهاد ليلاً فنادر لنحو غارة فيه ، وفيه الصلاة الوسطى ، والصوم الذى قال الله فيه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به[2] » . وأجيب : بأنه إنما جعل ليلاً تمكيناً للتخصيص بمقام المحبة ، لأنه تعالى اتخذه ـ عليه السلام ـ حبيباً وخليلاً ، فجمع له بين المقامين ، والليل أخص زمان للمحبين ، وأن الخلوة بالحبيب ثابتة بالليل ، وليزداد الذين آمنوا إيماناً بالغيب ، وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم ، إذ الليل أخفى حالاً من النهار ، ولعله لو عرج به نهاراً لفات المؤمن فضيلة الإيمان بالغيب ، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب ففيه فضل عظيم [3]

ثم هناك حكمة على طريق أهل الإشارات ، وهم المحققون من الصوفية ، والإشارات الحقائق التى يأخذونها من نص القرآن وغيره ، وهى أنه قيل : لأن الله تعالى لما محا آية الليل طمس نورها بالظلام لنسكن فيه ، وجعل آية النهار مبصراً فيها بالضوء انكسر الليل ، فجبر بأن أسرى فيه بمحمد ـ ﷺ ـ وذلك أعظم الجبر ، وقيل : افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له : لاتفتخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل إلى السماء . وقيل : لأنه ـ ﷺ ـ سراج ، والسراج إنما يوقد بالليل ، أى : إنما يحصل الانتفاع به بإيقاده ليلاً ، ويذم بإيقاده نهاراً [4]، وإن رحلة الإسراء والمعراج مليئة بالعبر والمواقف التى لايتسع المقام لذكرها هاهنا .

---

(١) شرح الزرقانى (٦/٨)
(٢) رواه أحمد فى مسنده مع اختلاف فى بعض الألفاظ .
(٣) شرح الزرقانى (٦/٩)
(٤) المرجع السابق .

وبعد : فإن ذكرى الإسراء والمعراج لتهتف بالمسلمين ، وتصرخ فى وجوههم أن هبوا من نومكم ، واستيقظوا من سباتكم ، واستعدوا للحياة بالإيمان والصبر ، ولاتركنوا إلى الأرض ، فقد حلّق نبيكم ـ ﷺ ـ فى الآفاق ، واجتاز السبع الطباق . ولأختم حديثى بكلام جرى على لسان واحد من أهل الإشارات :

لما كان ـ ﷺ ـ ثمرة شجرة الكون ، ودرّة صَدَفة الوجود ، وسرّ معنى كلمة « كن » ولم يكن بدٌّ من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها ، ورفعها إلى حضرة قدسه ، والطواف بها على ندمان حضرته ، أرسل إليه أعز خدام الملك عليه ، فلما ورد عليه خادماً له وافاه على فراشه نائماً ، فقال له : قم يانائم فقد هيئت لك الغنائم .

قال ياجبريل : إلى أين ؟ قال : يامحمد ارفع الأين من البين ، إنما أنا رسول القِدَم ، أرسلت إليك لأكون من جملة الخدم ، يامحمد أنت مراد الإرادة ، الكل مُراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، أنت صفوة كأس المحبة . . . أنت دُرّة هذه الصَّدَفة . . . أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف . . . مامهدت الدار إلا لأجلك ، ماحُمى هذا الحمى إلا لوصلك ، مارُوِّق كأس المحبة إلا لشربك ، فقال عليه الصلاة والسلام : ياجبريل ، فالكريم يدعونى إليه ، فما الذى يفعل بى ؟ قال : ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر . قال ياجبريل : هذا لى فما لعيالى وأطفالى ؟ قال :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾

(الضحى : ٤)

قال ياجبريل : الآن طاب قلبى ، هاأنا ذاهب إلى ربى . ثم قال جبريل : يامحمد إنما جىء بى إليك الليلة لأكون خادم دولتك ، وحاجب حاشيتك ، وحامل غاشيتك ، وجىء بالمركوب إليك لإظهار كرامتك ؛ لأن من عادة الملوك إذا استزاروا حبيباً ، أو استدعوا قريباً ، وأرادوا ظهور إكرامه واحترامه ، أرسلوا أخص خدامهم ، وأعز نوابهم ، لنقل أقدامهم ، فجئناك على رسم عادة الملوك ، وآداب السلوك ، ومن اعتقد أنه يصل إليه بالخُطا فقد وقع فى الخطا ، ومن ظن أنه محجوب بالغطا فقد حرم العطا »[1] .

اللهم اعط محمداً سؤله وبلغه مأموله ، واجمعنا على رضاه ، ونسعد بقربه فى مثواه . . اللهم آمين . .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) شجرة الكون لابن عربى

بيان من

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

ينظر الأزهر الشريف بقلب حزين إلى ما يجرى فى العالم من أحداث بصفة عامة وإلى مايجرى فى العالم الإسلامى بصفة خاصة ، إذ كان يود أن تتحد الكلمة ، وأن تسود الأخوة الإنسانية والإسلامية ، لأن الإسلام يقرر أن الناس جميعا من أب وأم واحدة ، كما يقرر أن المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولكن الواقع المشهود غير ذلك ، فهناك خلافات تنذر بالحرب المدمرة بين دول إسلامية ، وهناك خلافات بين هذه الدول ، توغر الصدور ، وتزيد فى الأحقاد والنفور ، لذلك كان العمل على رأب الصدع ، وجمع الشمل فرضا محتوما ، لاخلاف عليه بين العقلاء ، أصحاب العقائد السليمة ، والنفوس الكريمة .

وهذا ما أحس به السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، حين بادر بزيارة أخيه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لكى يتشاورا فيما يعود على العالم الإسلامى بالخير لاسيما بعد أن بدأت الخلافات تتفاقم بين دولتين عزيزتين هما : تركيا وسوريا ، فما كان من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلا أن بادر بالسفر إلى سوريا ثم إلى تركيا ، لكى يبذل جميع ما أعطاه الله ـ تعالى ـ من وسائل قويمة ، لإصلاح ذات البين بين الدولتين المسلمتين ، وللعمل على توحيد الصف ، وإنهاء ما يعرض من خلافات عن طريق الحوار الأخوى المصحوب

بالإخلاص المتبادل بين الطرفين لا عن طريق الإنذارات والتهديدات التى تفسد ولاتصلح ، وتخرب ولاتعمر ، وتهدم ولاتبنى .

والأزهر الشريف يؤيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى جهوده الموفقة المخلصة ، كما يشكر خادم الحرمين الشريفين على سعيه الدائم لجمع كلمة المسلمين ، كما يشيد بجميع الجهود المخلصة التى تبذل فى هذا السبيل .

على أن الأزهر الشريف يمد بصره إلى بقاع أخرى فى العالم الإسلامى ، فيسوؤه أن يرى الشقاق بين دولتين إسلاميتين هما إيران ، وأفغانستان .

والأزهر الشريف يناشد هاتين الدولتين الإسلاميتين أن تتداركا الأمور بالعقل والحكمة ، وأن تتجنبا كل ما يؤدى إلى إزهاق الأرواح ، وسفك الدماء وأن تعلما أن صفاء القلوب ، وإخلاص النيات يؤديان إلى تقريب مسافات الخلاف بل إلى إزالته - بإذن الله تعالى -

هذا : ولاينسى الأزهر الشريف مأساة إخواننا وأبنائنا المسلمين فى « كوسوفا » حين كرر الصرب اعتداءهم الظالم على أبناء إقليم « كوسوفا » الذين يطالبون بحقهم فى الحياة الحرة الكريمة .

وإن الأزهر الشريف ليطالب الدول الإسلامية كافة ، ومجلس الأمن ، كما يطالب الدول التى أحست بوضوح ، بما وقع على إقليم « كوسوفا » من عدوان أثيم قام به الصرب - يطالب الجميع ، أن يستعملوا - بسرعة وحسم - جميع وسائل القوة والردع ضد الصرب المعتدين ، حتى يظفر أبناء إقليم « كوسوفا » بالحقوق الإنسانية ، وبالحرية التى كفلتها قوانين الأمم المتحدة لكل إنسان .

وفق الله - تعالى - الجميع إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، إنه سميع مجيب .

٢١ من جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ
١٢ من اكتوبر ١٩٩٨ م

شيخ الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية
د. محمد سيد طنطاوى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٠٤) مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ (١٠٥) ﴾

وجه القرآن نداء إلى المؤمنين نهاهم فيه عن مخاطبة النبى - ﷺ - بألفاظ معينة حتى لا يتخذها اليهود ذريعة للإساءة إلى النبى - ﷺ - فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ (١٠٤) ﴾

(١٠٤)

﴿ رَٰعِنَا ﴾ من المراعاة ، وهى المبالغة فى الرعى بمعنى حفظ الغير ، وإمهاله ، وتدبير أموره ، وتدارك مصالحه ، وكان المؤمنون يقولون لرسول الله - ﷺ - إذا حدثهم بحديث راعنا يا رسول الله ، أى : راقبنا وانظرنا حتى نفهم كلامك ونحفظه ، فتلقف اليهود هذه الكلمة لموافقتها كلمة سيئة عندهم ، وأخذوا يلوون بها ألسنتهم ، ويقولون : « رَٰعِنَا »

يا أباالقاسم ، يظهرون أنهم يريدون طلب المراعاة والانتظار ، وهم يريدون فى الحقيقة الإساءة إليه - ﷺ - إذ أن هذه الكلمة عبرية كانوا يتسابون بها يقصدون جعله راعيا من رعاة الغنم أو من الرعونة التى هى الحمق والخفة ، فنهى الله - تعالى - المسلمين عن استعمال هذه الكلمة حتى لا يتخذها اليهود وسيلة إلى إيذاء النبى - ﷺ - والتنقيص من شأنه .

قال قتادة : « كانت اليهود تقول للنبى - ﷺ - راعنا سمعك ، يستهزئون بذلك وكانت - هذه الكلمة - فى اليهود قبيحة » .

وقال الإمام ابن كثير : « نهى الله - تعالى - عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعلنون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا ، يقولوا راعنا يورون بالرعونة كما قال تعالى :

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (النساء : ٤٦)

وكذلك جاءت الأحاديث بالإخبار عنهم بأنهم كانوا إذا سلموا ، إنما يقولون : السام عليكم والسام هو الموت ، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم بقولنا وعليكم ، وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا ، والغرض أن الله تعالى نهى المؤمنين عن مشابهة الكافرين قولاً وفعلاً » [(١)] .

وقال الإمام ابن تيمية : « كان المسلمون يقولون راعنا يا رسول الله وأرعنا سمعك ، يعنون المراعاة ، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود ، فلما سمعتها اليهود اغتنموها وقالوا فيما بينهم : كنا نسب محمداً سراً فأعلنوا له الآن بالشتم ، وكانوا يأتونه ويقولون : راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم ، فسمعها « سعد بن معاذ » ففطن لهم ، - وكان يعرف لغتهم - فقال لليهود : عليكم لعنة الله ، والذى نفسى بيده يا معشر اليهود لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله - ﷺ - لأضربن عنقه ، فقالوا : أولستم تقولونها ، فأنزل الله - تعالى - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ لكى لا يتخذ اليهود ذلك سبيلا إلى شتم الرسول - ﷺ - [(٢)] .

ثم أرشد الله - تعالى - المؤمنين إلى ما يقولونه بدل هذه الكلمة فقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا انظُرْنَا ﴾ أى : لا تقولوا تلك الكلمة - وهى ﴿ رَاعِنَا ﴾ أيها المؤمنون لئلا يتخذها اليهود ذريعة لسب نبيكم - ﷺ - وقولوا مكانها « انظُرْنَا » أى : انتظرنا وتأن معنا حتى نفهم عنك ، من نظر بمعنى انتظر تقول نظرت الرجل انظره إذا انتظرته

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤٨ .
(٢) كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول - ﷺ - » ص ١٤١ للإمام ابن تيمية .

وارتقبته ، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى : ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾ (الحديد : ١٣) أى : انتظرونا نقتبس من نوركم .

فالآية الكريمة تنبيه وإرشاد إلى الأدب الجميل ، وهو أن يتجنب الإنسان فى مخاطباته الألفاظ التى توهم جفاء أو تنقيصاً فى مقام يقتضى إظهار مودة أو تعظيم .

ثم بين - سبحانه - مصير اليهود المؤلم جزاء تعديهم على رسول الله - ﷺ - فقال : ﴿ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ ، أى : لهؤلاء اليهود الذين اتخذوا كلمة ﴿ رَٰعِنَا ﴾ وسيلة إلى سب الرسول - ﷺ - عذاب أليم جزاء كفرهم وتطاولهم وسفاهتهم .

هذا ، وقد وردت أحاديث صحيحة صرحت بأن اليهود كانوا يحيون رسول الله - ﷺ - بكلام محرف لا يفطن له أكثر الناس يقصدون به الدعاء عليه بالموت ، فكان الرسول - ﷺ - يرد عليهم بما يكبتهم ويخزيهم ، ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخارى عن أنس بن مالك قال :

١ - مر يهودى برسول الله - ﷺ - فقال السام عليك ، فقال رسول الله - ﷺ - (وعليك) ، ثم قال رسول الله - ﷺ - لأصحابه - أتدرون ما يقول ؟ قالوا : لا ، قال يقول : (السام عليك) قالوا يارسول الله ألا نقتله . قال : (لا ، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) [1] .

٢ - وأخرج الشيخان عن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

دخل رهط من اليهود على رسول الله - ﷺ - فقالوا :

السام عليك . قالت عائشة : ففهمتها ، فقلت : عليكم السام واللعنة ، قالت : فقال رسول الله - ﷺ - : « مهلا يا عائشة إن الله يحب الرفق فى الأمر كله » فقلت : يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : « لقد قلت وعليكم » [2] .

٣ - وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : « سلم ناس من اليهود على رسول الله - ﷺ - فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم فقال : « وعليكم » فقالت عائشة وغضبت : ألم تسمع ما قالوا ؟ . قال : بلى قد سمعت فرددت عليهم ، وإنما نجاب ولا يجابون علينا » [3] .

---

(١) صحيح البخارى ، باب « إذا عرض الذمى وغيره بسب النبى . من كتاب « إستتابة المتدين » جـ ٩ ص ٢٠ .

(٢) اخرجه البخارى - واللفظ له - فى باب « كيف يرد على اهل الذمة السلام ، جـ ٨ ص ٧٠ واخرجه مسلم فى كتاب السلام ، جـ ٤ ص ١٨٠٦ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

(٣) صحيح مسلم : باب « النهى عن ابتداء اهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم من « كتاب السلام » جـ ٤ ص ١٢٠٧ .

وإذن فالآية الكريمة وهى قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ إلخ ، وهذه الأحاديث الشريفة تثبت أن اليهود كانوا يستعملون من بين مسالكهم الخبيثة لكيد الدعوة الإسلامية القول الملتوى القبيح ، والخطاب المحرف السيىء ، ولكن الله - تعالى - أحبط خطتهم ، ونهى المؤمنين عن استعمال الألفاظ التى كان يتخذها اليهود ذريعة لبلوغ مآربهم ، وكان الرسول - ﷺ - يرد عليهم بما يغيظهم ويخزيهم ، وبذلك ذهبت مكايد اليهود أدراج الرياح وأيد الله - تعالى - رسوله والمؤمنين بقوته ونصره .

ثم نبه القرآن المؤمنين إلى ما يضمره لهم المشركون وأهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود - من شرور وأحقاد فقال - تعالى - :

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١٠٥)

﴿ مَّا يَوَدُّ ﴾ أى : ما يحب ، إذ الود محبة الشىء مع تمنيه ، يقال : ود فلان كذا يوده وداً ومودة بمعنى أحبه وتمناه .

قال صاحب الكشاف : « ومن الأولى فى الآية للبيان ، لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان : أهل الكتاب والمشركون ، والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية »[1] .

وقوله - تعالى - : ﴿ مَّا يَوَدُّ ﴾ .. إلخ الآية بيان لما يبيته الكافرون - خصوصاً اليهود - للمسلمين من حقد وكراهية وتحذير لهم من الاطمئنان إليهم ، والثقة بهم .

وفى التعبير بقوله تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ دون ما يود أهل الكتاب تنبيه إلى أنهم قد كفروا بكتبهم ، لأنهم لو كانوا مؤمنين بها لصدقوا محمداً - ﷺ - الذى أمرتهم كتبهم بتصديقه وأتباعه .

وعطف عليهم المشركين ليدل على أن عبدة الأصنام - أيضاً - يضاهون كفرة أهل الكتاب ، فى كراهة نزول أى خير على المؤمنين ، وأن الجميع يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله عن طريق نبيه - ﷺ - من دين قويم ، وقرآن كريم ، وهداية عظمى ، وأخوة شاملة ، وأمن بعد خوف ، وقوة بعد ضعف .

الخير : النعمة والفضل ، والمراد به فى الآية الكريمة النبوة وما تبعها من الوحى الصادق ، والقرآن العظيم المشتمل على الحكمة الرائعة والحجة البالغة والبلاغة الباهرة والتوجيه النافع .. وأهل الكتاب قد كرهوا ذلك للمؤمنين لعنادهم وحسدهم ، وكراهتهم أن تكون النبوة فى رجل عربى ليس منهم .

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٧٤ .

والمشركون كرهوا ذلك ـ أيضاً ـ لأن فى انتشار الإسلام ، وفى تنزيل الوحى عن النبى ـ ﷺ ـ ما يخيب آمالهم فى إبطال الدعوة الإسلامية ، وإضعاف شوكتها والنصر على أتباعها .

وقوله تعالى :

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾

رد عليهم بما يكشف عن جهلهم وجهل جميع الحاسدين ، لأن الحاسد لغباوته يسخط على قدر الله ، ويعترض عليه لإنعامه ـ سبحانه ـ على المحسود والله ـ تعالى ـ هو صاحب التصرف المطلق فى الإعطاء والمنع ، فكان من الواجب على هؤلاء الذين لا يودون أن ينزل أى خير على المؤمنين أن يريحوا أنفسهم من هذا العناء ، وأن يتحولوا عن ذلك الغباء ، لأن الله ـ تعالى ـ يهب خيره لمن يشاء .

والاختصاص بالشىء : الانفراد به ، تقول : اختص فلان بكذا أى انفرد به ، ويستعمل متعديا إلى المفعول به ، فتقول : أخصصت فلاناً بكذا أى أفردته به وجعلته مقصوراً عليه وعلى هذا الوجه ورد الاختصاص فى الآية الكريمة .

وقيد ـ سبحانه ـ اختصاص رحمته بمن يشاء ليعلم الناس جميعاً ، أن إفراد بعض عباده بالرحمة منوط بمشيئته وحدها ، وليس لأحد كائناً من كان أى تأثير فى ذلك .

ومفعول المشيئة محذوف كما هو الشأن فيه إذا تقدم عليه كلام أو تأخر عنه ، أى : يختص برحمته من يشاء اختصاصه بها ، وهى تتناول النبوة . والقرآن ، والنصر ، وكل ذلك مما لا يود الكافرون إنزاله على المؤمنين .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ تذييل لما سبق ، أى كل خير يناله العباد فى دينهم أو دنياهم إنما هو من عنده ـ تعالى ـ يتفضل به عليهم ، وفى ذلك إشعار للحاسدين بأن يقلعوا عن حسدهم ، وتعريض باليهود وغيرهم ممن حسدوا محمداً ـ ﷺ ـ على أن آتاه الله النبوة ، فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : إنى أصطفى للنبوة من أشاء من عبادى وهى لا تدرك بالأمانى ، ولكنى أهبها لمن هو أهل لها .

وبذلك تكون الآية الكريمة قد حذرت المؤمنين مما يبيته لهم الكافرون من حقد وبغضاء وبشرتهم بأن ما يبيتونه لن يضرهم ما داموا معتصمين بكتاب ربهم ، وسنة نبيهم .

يتبـــع

قبس من أنوار النبوّة

الحياة الدنيا في الإسلام

لفضيلة الشيخ

على حامد عبد الرحيم

« عن عُمرو بن عوف الأنصارى - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث أبا عبيدة بن الجراح - رضى الله عنه - إلى البحرين يأتى بجزيتها ، فقدم من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشىء من البحرين ، قال : أجل يارسول الله . قال : أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » .
رواه البخارى ومسلم .

البيان :

يسمو الدين الإسلامى على غيره من الأديان بمنهج قوامه الاعتدال والوسطية والتكامل والتوازن . وفى نظرته إلى الحياة الدنيا التى يقضى فيها الإنسان عمره فى صورتين قد تبدوان متناقضتين متنافرتين لكل من لا يجيل النظر متأملاً فيها ، ولا يستخلص العبرة منها :

صورة تبرز ضآلة هذه الحياة الإنسانية وحقارتها ، وتهون من شأنها وصورة أخرى تبرز تؤكد قيمة الحياة والرغبة فى التعلق بها والاستزادة منها ، والتزود من متاعها .

وإن من ينظر فى آيات من القرآن الكريم يجدها تصور الدنيا فى صورة منفرة ، إذ يقول عز من قائل :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (الحديد : ٢٠) .

وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(يونس : ٢٤) .

ونجد فى الحديث الشريف نصوصا تؤكد حقارة الحياة الدنيا :

مثل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه الترمذى .

وعن سهل بن سعد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ـ فيما رواه مسلم وغيره ـ : « والله ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع » وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ؟ أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد .

إن المتأمل فى الآياتَ القرآنية المتقدمة والأحاديث النبوية المذكورة يجدها منفرة من الحياة الدنيا مبرزة لحقارتها إذ هى حياة صائرة إلى زوال شبيهة بهيئة الزرع فى نضارته ثم فى مصيره إلى الحصد ، وبالماء القليل الذى يعلق بالإصبع عندما يوضع فى البحر ؛ إنها حياة سريعة الزوال غرارة بمن ركن إليها ، فتانة بزخرفها ورونقها .

فإذا جئنا إلى الصورة الأخرى للحياة الدنيا فنجد نصوصا من كتاب الله ومن حديث رسول الله ترفع من شأن الحياة الدنيا وتعلى من قدرها من مثل قوله تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل : ٩٧).

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (القصص : ٧٧) .

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « خيركم

من طال عمره وحسن عمله » الترمذى . وقال - صلى الله عليه وسلم : - فيما أخرجه ابن ماجه - ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » .

كل هذه النصوص تعلى من شأن الحياة وتحيطها بسياج من الرعاية والإجلال كما ترفع من شأن العمل الصالح وتبشر صاحبه بحياة طيبة فى الدنيا والأجر الأحسن فى الآخرة .

إن الإسلام ينظر إلى الأمور بمنظار الاعتدال والتوسط والتوازن ينظر إلى الحياة الدنيا ويبرزها فى صورتين متقابلتين فى الظاهر ، متكاملتين فى الحقيقة .

فلو أنه وقف عند حد إبراز تفاهة هذه الدنيا فى نظر الإنسان لهانت الدنيا فى نظره وأهمل شئون تعمير الكون ، وتخلى عن تلك الأمانة التى أنيطت بعهدته . بل قد يحمل نفسه على التخلص من حياة حقيرة ودنيا خسيسة بأى سبب من الأسباب .

إن الإسلام لم يقف عند حد إبراز هذا الوجه الحقير للدنيا . بل نبهنا إلى جانب آخر تأخذ فيه الحياة شأنا عظيما فإذا هى مقدسة لا يجوز الاعتداء عليها .

ومن هنا يأتى معنى التكامل والاعتدال ؛ فلو أن الإنسان لم يدرك ضآلة الحياة الدنيا وحقارتها لاغتر بها وانغمس فى ملذاتها ، وأهمل شئونها بالتخلى ؛ بل قد يسعى إلى خراب الأرض بدلا من إعمارها ، كما أنه لو لم يدرك قداسة هذه الحياة وحرمتها لما فهم من معانى تفاهتها وقلة شأنها الإعراض عنها ، والفرار إلى الكهوف ومحاولة التخلص منها ، وهذه سلبية لا يقرها الإسلام .

والكون بما فيه إنما هو مسخر لفائدة الإنسان ، وتدبير معاشه وتحقيق شروط رفاهيته ، وإسعاده فى الدار الآخرة لقد قرر الإسلام فيما قرر من مبادىء السعادة الدنيوية الموصلة للسعادة الأخروية ، وجوب السعى والجد والعمل ، فعليه أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، فالشخص العاطل كالسوس ينخر فى بناء المجتمع .

قال رجل ليحيى بن معاذ الرازى - رضى الله عنه - إنك لتحب الدنيا فقال يحيى للرجل : أخبرنى عن الآخرة أبالطاعة تنال أم بالمعصية قال الرجل : لا بل بالطاعة . قال الرازى : وأخبرنى عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات ؟ قال الرجل : لا بل بالحياة . قال الرازى : فأخبرنى عن الحياة أبالقوت تنال أم بغير القوت ؟ قال : بل بالقوت . قال الرازى : فأخبرنى عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة . قال : بل من الدنيا . قال الرازى : فكيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الآخرة . فقال الرجل : أشهد أن ذلك من قول النبى - صلى الله عليه وسلم - :«إن من البيان لسحرا » .

الإسـراء والمعـراج

معجزة خالدة

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى

- ١ -

إذا قيل لك : إن الزمان قد طُوِىَ طَيًّا ، وإن المسافات الشاسعة قد صارت أقرب إليك من حبل الوريد ، وإن هذا الكون العظيم كله قد أصبح مجالا فضائياً لرحلة من أعجب رحلات التاريخ لم تستغرق إلا سويعات قليلات ، وإن بلايين الرؤى والمشاهد قد وعتها ذاكرة إنسان هذه الرحلة الغريبة ؟ فهل تصدق ذلك .

إن إنسان الفضاء المعاصر فى رحلاته المتعاقبة لم يصنع المستحيل ، بل عاش مع الممكن ومع الإمكان ، فالزمن هو الزمن ، والمسافات هى المسافات ؛ وهذا الإنسان إنما يجوب الفضاء بقوى عديدة تصنع له عن طريق العلم وبسببه ما تصنع ، وتدبر له الأمر ، وتضع له المركبة ليركبها ، وتهيىء له الصاروخ ليقذف بمركبته إلى جوف الفضاء ، فى حساب دقيق للثوانى والساعات والأيام .

فأين هذا كله من الرحلة المعجزة ، رحلة الرحلات ، رحلة إلى الأرض وإلى السماء ، السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة

والسابعة ، وإلى ما وراء السابعة ، حيث العرش والكرسى وسدرة المنتهى ، وعالم الإرادة الإلهية الخارقة ؟

الزمن لا زمن

المسافات التي لا تقدر بعدد كلا مسافات والإنسان يتنقل عبر هذه المسافات ، وعبر اللازمن ، وكأنه يتنقل فى حديقة بيته أو فى فناء مدرسته . .

يالله !! يالقدرة السماء !! يالمعجزة الدنيا والآخرة !! يالعظمة الرحلة والرجال ومدبر الرحلة وصانعها الإله الأعظم لاَ تَسَلْ كيف كان ذلك ، فليس فى إمكان العقل أن يفهم المعجزة ، لأنها معجزة ، ولا فى إمكانه أن يصنعها لأن صانع المعجزة هو خالق الأرض والسماء ، وهو إله هذا الكون العظيم ، وهو مدبر الأمر كله ، وهو الذى أراد هذه المعجزة ، وأراد لها أن يكون الذى يشرف بفضلها وكرامتها وجلالها هو خاتم المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى المكى ، - صلى الله عليه وسلم - فى الأولين ، - وصلى الله عليه وسلم - فى الآخرين ، - وصلى الله عليه وسلم - إلى يوم الدين .

- ٢ -

ولقد حاولت قريش أن تفهم حديث هذه الحادثة أو قل : هذه القصة الواقعية الخارقة للعادة ، أو قل : المعجزة ، فلم تفهم شيئاً .

فحين تمت هذه المعجزة ، أيقظوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبيل الفجر ، وكان فى بيت أم هانىء (هند بنت عمه أبى طالب) فقام وصلى صلاة الفجر ، وحمد الله - عز وجل - ثم قال : ياأم هانىء ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم قد صليت صلاة الغداة - الفجر - معكم الآن كما ترين ، ولم يذكر لها - ﷺ - أمر المعراج لأنه خصوصية له أكبر من خصوصية الرحلة إلى بيت المقدس ، ومعجزة له أكبر من قدرة عقولهم على تصورها وعلى فهمها . . ثم قام - صلى الله عليه وسلم - ليخرج فى مهام أموره ؛ تقول أم هانىء : فأخذت بطرف ردائه ، فقلت له : يانبى الله ، لا تحدث بهذا الحديث الناس ، فيكذبوك ويؤذوك ؛ قال : والله لأحدثنهم ؛ فلما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس أخبرهم فعجبوا ، وقالوا له : وما آية - أى دليل وبرهان - ذلك يامحمد فإنا لم نسمع بمثل هذا قط - أى بمثل الرحلة من مكة إلى بيت المقدس ، عبر اللا زمن ، فأخبرهم رسول الله - ﷺ - بمشاهد صادقات حدثت له فى هذه الرحلة ورآها رأى العين فقال أكثر الناس فى مكة : هذا والله الأمر البين ، (أى العجيب والغريب والذى لا يصدقه عقل ، والذى يدل على كذب قائله) .

وارتد كثير ممن كانوا أسلموا ، وذهب الناس إلى أبى بكر صاحب رسول الله - ﷺ - يقولون له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ؟ يزعم أنه قد صلى الليلة فى بيت المقدس ورجع إلى مكة ؛ فقال لهم أبو بكر : والله لئن كان قد قال ذلك لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فو الله إنه ليخبرنى إن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى

ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل أبو بكر حتى انتهى إلى رسول الله - ﷺ - فقال : يانبى الله ، أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال : نعم ، قال : يانبى الله فصفه لى فإنى قد جئته ، فجعل رسول الله - ﷺ - يصفه لأبى بكر ، وأبو بكر يقول له : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ، حتى انتهى رسول الله ، فقال لأبى بكر : أنت يا أبا بكر الصديق ، فسمى من يومئذ بالصديق .

لقد عجبوا لرحلة الإسراء - السير ليلا من مكة إلى بيت المقدس ، فما بالهم لو حدثهم الرسول العظيم بأمر المعراج - أى الرحلة من الأرض إلى السماء السابعة وما وراءها - لا شك أنهم كانوا سيصابون بالجنون لحديث المعراج ومعجزته التى هى فوق فهم كل عقل ، وكل إدراك إنسان .

- ٣ -

ها نحن أولاء فى العام الخمسين ، لمولد سيد المرسلين العام ٦٢٠ للميلاد .

الأحداث تتوالى فى مكة وما حولها الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يضرب الناس أروع المثل لصموده فى سبيل تبليغ رسالة الله إلى الناس كافة .

وقريش ماضية فى عنادها وكبريائها وصدها عن سبيل الله ، وتعذيبها للمسلمين الأولين ، ممن آمنوا بمحمد ورسالته ، ودخلوا ، فى دين الله ، والقبائل حول مكة تتلفت ذات اليمين وذات الشمال ، تنتظر ما سوف تتمخض عنه الأيام من أحداث وأنباء .

وكانت هذه المعجزة ، معجزة الإسراء والمعراج دليلا على مكانة رسول الله عند ربه ، وتثبيتا لفؤاده فى نضاله العظيم فى سبيل الدعوة والرسالة ، وبشرى له بالنصر العظيم يأتيه من السماء ، كما كانت هدى ورحمة وطمأنينة لمن آمن بالله وصدق دعوته ، وكان من أمر الله على يقين .

ليلة خالدة ، بما حدث فيها من معجزة الإسراء والمعراج ، الإسراء برسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وهو بيت المقدس ، والمعراج برسول الله - ﷺ - من الأرض إلى السماء ، يقول الله - عز وجل - فى كتابه الحكيم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء - ١) .

ويقول - عز وجل - فى سورة النجم :

﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ ﴾

(النجم - ٧ - ١٨) .

ويحدث عبد الله بن مسعود والحسن بن أبى الحسن وابن عباس وغيرهم حديث الإسراء ، ويروى ابن إسحاق حديث المعراج فى تفصيل

كبير ، وتصافح ملائكة الله ورسله الكرام الرسول العظيم فى إسرائه وفى معراجه .

- آدم عليه السلام فى السماء الأولى
- وعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا فى السماء الثانية .
- ويوسف عليه السلام فى السماء الثالثة .
- وإدريس عليه السلام فى السماء الرابعة .
- وهارون عليه السلام فى السماء الخامسة .
- وموسى عليه السلام فى السماء السادسة .
- وإبراهيم عليه السلام فى السماء السابعة .

ثم سار رسول الله - ﷺ - بعد السابعة إلى سدرة المنتهى ، إلى حيث العرش والكرسى العظيم .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

(من الآية ٢٥٥ البقرة)

وفرض الله - عز وجل - على رسوله الكريم وعلى أمته ، الأمة الوسط ، الصلاة ، خمس مرات فى اليوم والليلة ، فكان فرض الصلاة تتويجا لهذه الرحلة المباركة ، فى هذه الليلة المباركة .

إنها ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ، ليلة الذكرى والمعجزة الخالدة ، ليلة الإسراء والمعراج .

- ٤ -

هل نصدق أن بيت الله ، بيت المقدس الطاهر الكريم ، يمكن أن تدنسه افتراءات الصهيونيين ورؤساء الصهيونيين ، وأكاذيبهم الملعونة ، أو أن تنال منه شيئا ؟ إنه بيت الله ، إنه يقف اليوم شامخا صامدا فى رعاية الله وحمايته ، ولسوف ينال الذين يحاولون تدنيسه أو كما يقولون : تدميره عذاب الله وانتقامه الشديد ، والله - عز وجل - يقول فى أمثالهم :

﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

(الفجر - ١٣ ، ١٤)

إن بيت المقدس هو الصخرة الصلبة التى ستدمر عليها أحلام الصهيونية والصهيونيين ، ومن والاهم بإذن الله وقدرته ومشيئته ، وقد وعد الله - عز وجل - عباده المؤمنين بالنصر ، فقال عزت قدرته :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

(غافر - ٥١) .

واجب المسلمين نحو تحرير القدس

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبع طريقه إلى يوم الدين . .

وبعد . .

فإن واجب المسلمين نحوالقدس واجب قديم ، استند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ورحلة رسول الله - ﷺ - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وإرث الرسالة الخاتمة التى جاء بها سيدنا محمد - ﷺ - للرسالات السابقة التى جاء بها الأنبياء من قبل .

كل ذلك ألقى تبعات على عاتق المسلمين نحو القدس ، وهكذا أبرزت مسئولية المسلمين نحو القدس منذ بدء الرسالة حينما وقعت رحلة الإسراء والمعراج من البيت الحرام إلى المسجد الأقصى ، وتسجيل القرآن الكريم لهذه الرحلة المباركة تسجيلاً لربط مشاعر المسلمين بهذه الأرض التى بارك الله من حولها ، وجعلهم يستشعرون منذ اللحظة الأولى واجبهم نحو بيت المقدس حينما نزل قول الله تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء - ١) .

ولئن كانت الآية الكريمة نزلت لتسجيل حدث هام ذى دلالة فى حياة الدعوة الإسلامية ، ويعتبر فى ذات الوقت معلماً من معالم الدعوة فى ذلك الوقت الذى كانت لاتزال ناشئة فيه ، فى سنواتها الأولى ، وكانت تواجه بإصرار شديد من الإنكار والجحود وتحد سافر من أهل مكة لصاحب الدعوة ومن تبعه من القلة المؤمنة فى ذلك الوقت المبكر ، فإنها كانت ـ أيضاً ـ هادياً وموجها للأجيال المسلمة التى جاءت فيما بعد لتنبههم إلى التزامهم الدينى بحماية هذه البقعة والتضحية فى سبيلها ، والسعى الدءوب فى الحفاظ عليها ورد العدوان عنها ، وتخليصها ممن استباحوا قدسيتها وعاثوا فساداً فى جوانبها .

ولعل نص القرآن الكريم على أن هذه الرحلة المباركة بدأت من المسجد الحرام ، وانتهت إلى المسجد الأقصى ، لعل ذلك النص يشيرَ إلى أن واجب المسلمين نحو بيت المقدس بالقدس يلى فى الأهمية واجبهم نحو المسجد الحرام بمكة المكرمة .

وقد جاءت السنة المطهرة تؤكد هذا المعنى وتثبته فى قلوب المسلمين ، وفى عقولهم حتى يظل حياً متجدداً على مدى التاريخ ، فإن غفلوا أو وهنوا فى فترة من الفترات فلايلبثون أن يعودوا إلى مايجب عليهم القيام به ومايدعوهم إليه دينهم من حماية المقدسات والتضحية فى سبيلها والسهر على رعايتها حتى تظل معلماً من معالم الحق والعدل والسلام .

وفى تأكيد هذا المعنى جعل الله بيت المقدس القبلة الأولى للمسلمين يتوجهون إليه فى صلاتهم منذ بدء الرسالة حتى بعد الهجرة بأكثر من ستة عشر شهراً ؛ ليكون ذلك ـ أيضاً ـ باعثاً يؤكد الباعث الأول ويقويه ، ويمده بالحيوية والتجدد كلما قرأ المسلمون كتاب ربهم ووقفوا على سنة نبيهم ودرسوا سيرته ، فهم يعلمون من السيرة ومن السنة أن النبي ـ ﷺ ـ كان يتجه بصلاته إلى بيت المقدس وهو بمكة ، وكان من السهل عليه أن يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس وهو بمكة ، وهكذا كان يفعل لأن مكة فى الجنوب والقدس فى الشمال ، فلما هاجر إلى المدينة المنورة بعد ثلاثة عشر عاماً من الرسالة والمدينة تقع فى وسط الطريق بين مكة والقدس ، فهى إلى الشمال من مكة وإلى الجنوب من القدس ، فلم يكن من الممكن أن يتجه إلى الاثنين معاً ، فكانت صلاته إلى بيت المقدس طوال أكثر من ستة عشر شهراً لأنه لم يؤمر بالاتجاه إلى مكة وإن كان يتطلع إلى ذلك ، ولكنه لايفعل ذلك من تلقاء نفسه ولابد من أمر إلهى يتنزل عليه حتى كان ذلك فى منتصف شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، حينما نزل قول الله تعالى من سورة البقرة :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ
مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ
يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى
اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾
قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ
﴾

بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ
مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ
بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ
وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ
أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ
حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ
ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى
وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(البقرة : ١٤٢ - ١٥٠) .

ولسنا بصدد ماتشير إليه الآيات الكريمات من مواقف السفهاء من اليهود والمشركين ومحاولتهم التشنيع والتشويش على النبى ورسالته وعلى المسلمين وعقيدتهم ، فإن ذلك أمر تكفل به المفسرون إلى جانب القضايا الأخرى التى تناولتها الآيات ولكن الذى يعنينا فى بحثنا هنا من استشهادنا بالآيات أن المسجد الأقصى بالقدس كان قبلة المسلمين الأولى بضع عشرة سنة ؛ ولذلك كان المسجد الأقصى ثالث المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال فى الإسلام بمقتضى حديث رسول الله - ﷺ - الذى يقول : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى[1] .

ومعنى شد الرحال إليه أن التعبد فيه متميز عن التعبد فى غيره من المساجد العادية ، فالصلاة فيه كما جاء فى السنة النبوية تعدل خمسمائة صلاة فى غيره من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوى ، من كل هذه النصوص اكتسب المسجد الأقصى حرمة وقدسية فى نفوس المسلمين تفرض عليهم حمايته وبذل النفس والنفيس فى سبيل تحريره ممن دنسوا حرمه وتحكموا فى مصيره .

وقد استمرت هذه القدسية للمسجد الأقصى حية فى قلوب المسلمين على مدى التاريخ منذ الفتح الإسلامى للقدس فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى صلاح الدين ومن جاء بعده من حكام المسلمين .

وفى الظروف التى تم فيها الفتح والشروط التى اتفق عليها مجال للوقوف والنظر والاستنتاج ، فقد ذكرت كتب التاريخ أن عمرو بن العاص قد عرف مما وصل إليه من أخبار الروم والنصارى المقيمين بالقدس أن عندهم معرفة توارثوها عن سابقيهم بصفة الرجل الذى تفتح القدس على يديه وأن هذه الأوصاف التى يتحدثون عنها لاتنطبق على عمرو وإنما تنطبق على عمر بن الخطاب فبعث إليه ، وتذهب هذه الروايات أن عمراً لما طال به المقام بعث إلى القائد الرومانى بكتاب مع رجل يتكلم الرومية وأوصاه أن يتنبه لكل مايقوله أرطبون القائد الرومانى وينقله إليه بعد أن يعود وكان فى كتاب عمرو الذى بعث به رداً على كتاب أرطبون قوله : « جاءنى كتابك وأنت نظيري ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى ، وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد ،

---

(١) مختصر صحيح مسلم ص ٢٠٦ .

وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً ـ أعوان ووزراء . . . لأرطبون ـ فأقرئهم كتابى ولينظروا فيما بينى وبينك » .

فلما قرأ أرطبون الكتاب ضحك وضحك من معه وقال كلاماً فهموا منه أنه يعلم أن الفتح لن يتم على يد عمرو ، فعجبوا من ذلك وأقبلوا عليه يسألونه قائلين : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟

فأجاب : صاحبها رجل اسمه عمر ثلاثة أحرف ، فعاد الرسول إلى عمرو وقص عليه مادار فى مجلس أرطبون فعرف أن الفتح لن يتم إلا على يد عمر ـ رضى الله عنه ـ فكتب إلى أمير المؤمنين يقول : إنى أعالج حرباً كئوداً صدوماً وبلاداً ادخرت لك ، فرأيك .

ولما تلقى عمر كتاب عمرو أدرك أن عمراً لم يقل ماقال من عند نفسه ، ولابد أن هناك مايدعوه إلى قول هذه المقالة ، فخرج إلى بيت المقدس وكانوا يسمونها إيليا ، وانتهى الأمر بعقد صلح اشترط فيه النصارى أن لايسكن معهم إيليا (القدس) أحد من اليهود .

ولنا وقفة مع هذا الشرط بعد أن نأتى بنص عقد الصلح لنقف على مافيه من تسامح واحترام لعقائد المخالفين لاتجدها إلا فى الإسلام ، تلك السنة التى تميز بها المسلمون على مر العصور ، وفيما يلى نص ميثاق الصلح الذى يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتُهدم ولاينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ، ولا يُكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ،ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ماعلى أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل « فلان » فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ماعلى أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم .

وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة[٢] .

(٢) راجع تاريخ الطبرى جـ٣ ص ٦٠٩ .

وفى قراءة متأنية لهذا العهد نجد بوضوح أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قد أعطى للنصارى ما أعطاه الإسلام من حرية العقيدة والعبادة ، واحترام أماكنها والمحافظة عليها وحرمة الأنفس والأموال ، وهذا أمر يتبعه الإسلام مع كل المخالفين ، ويضاف هنا شرط خاص بأهل القدس هو أنهم اشترطوا ألا يسكن معهم فى مدينتهم أحد من اليهود ، هذا الشرط وضعه النصارى والتزم به عمر ، وكان مقتضى هذا الشرط أن يلتزم به المسلمون على مدى التاريخ وقد ظل حكام المسلمين محافظين على هذا الشرط فلما تهاونوا فيه كانت النتيجة مانرى الآن ومايعانيه أهل القدس وسكان فلسطين بأسرها مما تعلم الدنيا جميعها مايجرى هناك من بطش واضطهاد وتعذيب وقتل ومصادرة ونفى .

وإعادة القدس إلى سلطان المسلمين مسئولية كل مسلم ، وقد رأوا ماحل بهم وبديارهم حينما توزعتهم الأهواء وتحكمت فيها الرغبات الشخصية ، ويوم أن تجتمع كلمتهم ويتوحد صفهم فستكون الطريق ممهدة إلى التحرير واستنقاذ القدس من الهوان والأسر اللذين تعانى منهما ويعانى منهما كذلك أهلوها وسكانها .

وقد استشعر المسلمون على مدى التاريخ مسئوليتهم نحو بيت المقدس ، ولم يهدأ لهم بال كلما تعرض لعدوان حتي يخلصوه مما تعرض له ، وقد كانت القدس وما حولها من أرض فلسطين مطمعاً للفرنج وساقوا لها الجيوش باسم الصليب ، واستمر الصراع طوال القرن السادس الهجرى وفى فترات الصراع كانت جيوش الفرنجة قد تمكنت من الاستيلاء على المدينة المقدسة ، وأعملوا فى أهلها القتل ، حتى كانت هناك مذبحة رهيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً ، إلا على أيدى أمثالهم من المتعصبين الذين أقاموا محاكم التفتيش فى بلاد الأندلس ، والفرنسيين فى الجزائر التى ضحت بمليون شهيد ، ولو استعرضنا ما أقدم عليه من جاء بعدهم فى بلاد الإسلام لاقشعرت الأبدان من هول ماوقع وامتلأت القلوب بالحقد والضغينة من بشاعة ماحدث فى ليبيا على أيدى الإيطاليين ، وفى المغرب على أيدى الفرنسيين ، وفى الهند على أيدى الإنجليز وأخيراً تلك الملحمة التى تتتابع حلقتها على أرض فلسطين منذ خمسين عاماً يسجل أبناؤها بطولات وتضحيات لا تتوقف أمام الصلف الصهيونى وغطرسته واستعماله كل وسائل الإبادة والإهلاك ضد هؤلاء الصامدين من أبناء الأرض المقدسة .

وقد أقدم الصهاينة على أبشع ماعرفت البشرية من الوحشية ، ليخمدوا تلك الجذوة التى لاتهدأ من هنا إلا لتنطلق من هناك ، وستستمر حتى يحقق الله لها النصر يوم أن ينبذ المسلمون خلافاتهم وتتوحد كلمتهم ولهم فى التاريخ عبرة ودرس وعظة ، فإن الصليبيين قد امتد الصراع معهم على أرض فلسطين على مدى قرنين من الزمان ، تمكنوا من إقامة ممالك لهم ودولاً هناك منتهزين تفرق المسلمين وتنازع بعضهم مع بعض حتى هيأ الله لأمة الإسلام صلاح الدين ، فوحد الجهود وجمع الكلمة واستعان بالله وتمثل عظمة الإسلام فى سلوكه وأخلاقه ومبادئه حتى حقق الله له النصر ، وفتح على يديه القدس واستنقذها من أيدى الصليبيين عام ٥٨٣ هجرية ، وارتفع الأذان

مدوياً بعد أن تعطل ووقف القاضي محيى الدين بن الزكى خطيباً يوم الجمعة التى أعقبت تحرير القدس فقال :

« فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ثم تابع يقول : الحمد لله معز الإسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، الذى أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمده على إظفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومطهر بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر إجهاره .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الإفك ، الذى أسرى به من المسجد، الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، مازاغ البصر وماطغى - ﷺ - وعلى خليفته الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، مزلزل الشرك ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان . أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها فى أيدى المشركين قريباً من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستعمر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بُنى عليه ، وبالتقوى فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد - ﷺ - وقبلتكم التى كنتم تصلون إليها فى ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومقر الرسل ومهبط الوحى ومنزل تنزل الأمر والنهى وهو فى أرض المحشر وصعيد المنشر وهو فى الأرض المقدسة التى ذكرها الله فى كتابه المبين وهو المسجد الذى صلى فيه رسول الله - ﷺ - بالملائكة المقربين وهو البلد الذى بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التى ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذى شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى :

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾

(النساء - ١٧٢) .

وقال :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾

(المائدة - ٧٢) .

وهو أولى القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لاتشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لايجاريكم فيها مجار ولايباريكم فى شرفها مبار ، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية ، جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية فجازاكم الله عن نبيه محمد - ﷺ - أفضل الجزاء وشكر لكم مابذلتموه من مهجكم فى مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ماتقربتم به إليه من مهراق الدماء ، وأثابكم الجنة فهى دار السعداء فأقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذى فُتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقربه عيناً الأنبياء والمرسلون ، فإذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذى يفتح عليه البيت المقدس فى آخر الزمان والجند الذين تقوم بسيفوهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان ، فيوشك أن تكون التهانى به بين أهل الخضراء أكثر من التهانى به بين أهل الغبراء ، أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى خطابه فقال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء - ١) .

أليس هو البيت الذى عظمته الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم عز وجل ، أليس هو البيت الذى أمسك الله - عز وجل - الشمس على يوشع لأجله أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ، أليس هو البيت الذى أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان ، فاحمدوا الله الذى أمضى عزائمكم لما قعد عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين ، ووفقكم لما خُذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم وكانت شتى ، فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد أن كنتم جنوداً لأهويتكم جنده ، وشكركم الملائكة المنزلون على ماأهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث ، فالآن يستغفر لكم أملاك السموات وتصلى عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التى من تمسك بها سلم ، ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم ، واحذروا من اتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدا وخذوا فى انتهاز الفرصة وإزالة مابقى من الغصة وجاهدوا فى الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم فى رضاه ، إذ جعلكم من خير عباده وإياكم أن يستذلكم الشيطان وأن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم الجياد ، وبجلادكم فى مواطن

الجلاد ، لا والله ما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين أن تقترفوا كبيرا من مناهيه وأن تأتوا عظيماً من معاصيه فتكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا والذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، اذكروا أيام الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشكركم ، جدوا فى حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض التى أغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية الله أكبر فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفروا ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم ، وأبرزوها ، وسيروا إليها عزماتكم ، وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول ، وهم مثلكم أو يزيدون ، فكيف وقد أضحى فى قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد

قال الله تعالى :

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾

(الأنفال ـ ٦٥) .

أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده :

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ﴾

(آل عمران ـ ١٦٠) » .

وإننا لنرقب فى أيامنا هذه من يعيد سيرة صلاح الدين ويقود المسلمين على كلمة الله تحت راية الإسلام لينقذ القدس مما تعانيه ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، يوم يعود الحق إلى أصحابه ويسود السلام أرض السلام ، ويقف الخطيب على منبر الأقصى يعيد إلى الأذهان ماقاله القاضى محيى الدين بن الزكى ، وما ذلك على الله بعزيز ، ولكن لله سنناً فى الكون لاتتغير ، إذ يقول:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد ـ ١١) .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « يقول الله تعالى ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » . رواه البخارى .

الإسراء والمعراج

تكريم لنبى الإسلام - صلى الله عليه وسلم

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى

يعد حادث الإسراء والمعراج تكريما من السماء للنبى - ﷺ - وإعدادا لقواه النفسية والعقلية والجسمية لتحمل أعباء الرسالة العامة ومتاعب الهجرة ومشاق الجهاد فى سبيل الله فى مستقبل الأيام ، وتطمين له على حسن العاقبة ، وعلو كلمته ، وخذلان أعدائه ، وأنه فى حماية ونصرة ومنعة من خالق الكون حتى يتم له إبلاغ الناس رسالة ربه .

فما أن تنفس المسلمون من الشدة التى لاقوها فى الاحتباس فى شعب بنى هاشم مدة ثلاث سنين كاملة حيث ضيق المشركون الحصار عليهم وانقطع عنهم العون ، وقل الغذاء حتى بلغ بهم الجهد أقصاه ، ثم فرج الله عنهم فانطلقوا يستأنفون نشاطهم القديم حتى أصيب رسول الله - ﷺ - فى حياته الخاصة بوفاة زوجته السيدة خديجة - رضى الله عنها - ثم أصيب فى حياته العامة بوفاة عمه أبى طالب .

فقد كانت السيدة خديجة نسمة سلام وبر ، بقيت ربع قرن مع النبى - ﷺ - تحترم قبل الرسالة تأمله وتحنثه وعزلته ، وتحمل معه بعد الرسالة كيد الخصوم وآلام الحصار ومتاعب الدعوة .

أما أبو طالب فقد كان الحصن الذى يحتمى به النبى - ﷺ - فى مباشرة الدعوة من هجمات الكبراء والسفهاء إذ سخر جاهه وسلطانه فى الذود عن ابن أخيه وكف العوادى أن تنال منه .

روى أن رسول الله - ﷺ - قال : (ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبوطالب)[1]

---

(١) الحديث اخرجه ابن اسحاق بسند صحيح عن عروة بن الزبير مرسلا .

توجهه إلى الطائف

لما رأى رسول الله ـ ﷺ ـ أن المشركين فى مكة مضوا فى طريق الكفر حتى أوغلوا فيه فكر فى التوجه برسالته إلى قرية أخرى علها تكون أحسن قبولا وأقرب استجابة ، فولى وجهه شطر قبيلة ثقيف فى الطائف يلتمس نصرتها .

فسار إليها على قدميه مع غلامه زيد بن حارثة ، وهى تبعد عن مكة نحو خمسين ميلا فلما انتهى إليها يلتمس من أهلها النصرة والمعونة قابلوه بأشد مما قوبل به من قومه ، فرجع منها وقد تقطعت فى نفسه وسائل الاستعانة بالناس ، لذلك اتجه إلى خالق الكون تذوب نفسه بالضراعة له وينطلق لسانه بالدعاء إليه فيقول : (**اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة إلا بك**) [٢]

تعزية وبشرى بإسرائه إلى بيت المقدس

فى هذا الجو الربانى الخالص يمد الله يده إلى رسوله ـ ﷺ ـ ويضمه إليه ويسرى به بجسمه وروحه بواسطة البراق ، وهو من وسائله الربانية السريعة العظمى من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فى مدينة القدس بأرض فلسطين فيريه من آياته الكبرى ما يبدد فى نفسه الشريفة سحائب هذا الجو الأرضى الخانق ، ويضىء له المستقبل بنصره الحق وبلوغه إلى منتهاه فيزداد يقينا على يقين بأن الذى كلفه بالرسالة ودعوة الخلق إلى توحيده وعبادته هو بلاشك ناصره ومؤيده على أعدائه ، وعلى كل من يصد الناس عن سماع دعوة الإسلام قال ـ جل وعلا ـ :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ـ ١)

وفى ذلك قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثانية فهمزنى بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت إلى مضجعى ، فجاءنى الثالثة فهمزنى بقدمه فجلست فأخذ بعضدى ، فقمت فخرجت معه فخرج بى إلى باب المسجد فإذا دابة أبيض بين البغل والحمار فى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه ، يضع يديه فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لايفوتنى ولا أفوته » قال الحسن البصرى راوى الحديث :

(فمضى رسول الله ـ ﷺ ـ ومضى جبريل عليه

(٢) كتاب « فقه السيرة » تأليف الشيخ محمد الغزالى .

السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله - ﷺ - فصلى بهم) [٣]

حادث المعراج

ثم يتلو حادث الإسراء حادث المعراج وقد أوضحت آيات المعراج فى القرآن الكريم والسنة المطهرة بعض ما شهده - ﷺ - من هذه الآيات ، فقد عرج به إلى السماوات العلا وقابل لفيفا من الأنبياء السابقين فى كل سماء ثم وصل فى معراجه إلى سدرة المنتهى حيث شاء رب العزة والقدرة والملكوت أن يتجلى عليه بأنواره القدسية وعند سدرة المنتهى رأى ملك الوحى جبريل - عليه السلام - على صورته الملكية قال تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ (النجم : ١٣ - ١٨)

وهذه هى المرة الثانية التى يرى فيها ذلك الملك الكريم الذى يأتيه بالوحى من السماء على صورته الملكية ، وكانت المرة الأولى فى بداية بعثته - ﷺ - فقد رآه بالبطحاء بمكة كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (التكوير : ٢٣)

بالصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح [٤]

الصلوات الخمس شرعت فى السماء

فى هذا العالم القدسى والمكان العلوى حيث طويت المسافات وزالت الحجب فرض الله تعالى على نبيه - ﷺ - وعلى أمته الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، وأوصى بالمحافظة عليها ، وجعلها عليهم كتابا موقوتا يناجون فيها ربهم وبها يقومون بواجب العبودية التى خلعت على نبيهم فى تلك الليلة ، وفيها يتغلبون على الشهوات والأهواء ، وبها تغرس فى قلوبهم مكارم الأخلاق ويطهرون نفوسهم من صفات الجبن والبخل والهلع والجوع ، كما يستعينون بها على مشاق الحياة [٥] قال جل وعلا .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ ﴾

(البقرة : ١٥٣)

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾

(النساء : ١٠٣)

﴿ حَٰفِظُوا عَلَى الصَّلَوَٰتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ ﴾

(البقرة : ٢٣٨)

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود : ١١٤)

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ ﴾

(العنكبوت : ٤٥)

---

(٣) كتاب السيرة النبوية فى القرآن الكريم تأليف الدكتور عبد الصبور مرزوق نقلا عن كتاب السيرة لابن هشام .

(٤) كتاب مختصر تفسير ابن كثير المجلد الثالث تحقيق واختصار محمد على الصابونى عن سورة التكوير .

(٥) كتاب من « توجيهات الإسلام » للأستاذ الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق .

﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾

(المعارج : ١٩ - ٢٣)

لماذا كانت رحلة الإسراء والمعراج إلى بيت المقدس ولم تبدأ من المسجد الحرام بمكة

يرجع ذلك إلى تاريخ قديم ، فلقد ظلت النبوات زمانا طويلا وهى وقف على بنى إسرائيل وظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبب إلى أولئك الإسرائيليين فلما أهدروا كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء حلت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ، ومن ثم كان مجىء الرسالة إلى نبى الأمين محمد - ﷺ - انتقالا بالقيادة الروحية فى هذا العالم من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ومن ذرية إسرائيل إلى ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام - .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره وقد نعى عليهم القرآن ذلك الإنكار قال - تعالى :

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾

(البقرة : ٩٠)

لكن إرادة الله مضت وحملت أمة الإسلام رسالتها وورث النبى العربى - نبى الأمين التعاليم الصحيحة لإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى وإدماج الكل فى حقيقة واحدة فدين الله واحد ، وأن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول - ﷺ - فى إسرائه قال - تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

(الجمعة : ٢)

إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها إلى اللاحق ، وقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء جميعا بذلك ومنهم أنبياء بنى إسرائيل قال - جل وعلا :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

(آل عمران : ٨١)

فإنه ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أيضا أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، لهذا كان - ﷺ - هو الإمام الأعظم ، وكان إمام الأنبياء ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس حيث صلى بهم [٦]

البقية ص ١١٠٨

(٦) مختصر تفسير ابن كثير المجلد الاول تفسير سورة ال عمران المرجع السابق .

مكانـة

المساجد الثلاثة المقدسة

فى القلوب المخلصة

لفضيلة الشيـخ
محمد حافظ سليمان

إن الله قد فضل بعض البقاع على بعض لحكمة لايعلمها إلا هو،قال الله تعالى فى كتابه الكريم لموسى عليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ : (طه - ١٢)

وفضل الله بعض الرسل على بعض : قال الله عز وجل:﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾ الآية - ٢٥٣ - البقرة

وفضل الله تبارك وتعالى بعض الأوقات على بعض ﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ ﴾ (سورة القدر) : والمسجد الحرام هو بيت الله العتيق العريق الذى يتجه إليه جميع المسلمين فى صلاتهم ويطوفون حوله فى حجهم ، وهو ملتقى الوافدين إليه من جميع بلاد الدنيا للتقرب بالعبادة إلى الله تعالى عند بيته الذى جعله الله مباركا وهدى للعالمين وفيه الرضا والقبول والطهر والأمن لمن كان قلبه سليما وخلقه قويما وإيمانه بالله صادقا وعنده يتلمس ضيوف الرحمن الرحمات وتسكب العبرات وتستجاب الدعوات لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى.

والله يقول :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

[الآيتان ـ ٩٦ ـ ٩٧ سورة آل عمران] .

« لقد بوأ الله لإبراهيم مكان البيت »

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾

[الآيات ـ ٢٦ ـ ٣٠ ـ من سورة الحج]

ولقد أراد الله للبيت أن يرفع ويذكر فيه اسمه بالصلوات والحج والعمرة كما أراد لمكة المكرمة أن تكون هذا البلد الأمين استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ أراد الله أن يجعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا وأن يجعله إلى يوم الدين مباركا وهدى للعالمين وقبلة للمسلمين فى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر . . . والله يقول :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾

(الآية ـ ٤ من سورة قريش)

وجاء فى الصحيحين أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « أفضل الأعمال إيمان بالله : ثم جهاد فى سبيله ، ثم حج مبرور » فالحج من أعظم القربات عند الله إذا أخلص صاحبه دينه لله ، فكان سلوكه مستقيما ، وخلقه قويما : لأن الحج فيه تزكية للنفس ، وتقوية للروح وفيه العزة والعفة فلا رفث ولافسوق ولا جدال فى الحج .

« أدعية مستجابة لإبراهيم عليه السلام »

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

[الآيات ـ ١٢٧ ـ ١٢٩ ـ من سورة البقرة]

ولما نظر سيدنا إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حوله فلم ير إلا صحراء ليست ذات زرع ولاشجر فيها ولانبات ولاثمر طلب من الله لهذه البقعة الأمن والاطمئنان والرزق مستقبلا للسكان ، إذ طلب من الله ـ لهؤلاء بالخشوع والدعاء رافعا أكف الرجاء أن يرزق أهله من الثمرات من آمن منهم : ولكن الله تعالى قد تكفل بالرزق للمؤمن وللكافر ولكل دابة فى الأرض فهو الرزاق العليم : وقد رأى إبراهيم خليل الرحمن وعدو الأصنام انتشار عبادة الأصنام فرجا ربه أن يجنبه وبنيه وكل ذريته هذا الداء الخطير والشر المستطير فاستجاب الله دعاءه وقبل رجاءه والله يقول :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ ﴾

[سورة إبراهيم ٣٥ ـ ٣٧]

« طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يرزق من آمن » ، ولكن الله يرزق كل دابة .

ولقد قال سيدنا إبراهيم ، وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم : ولكن قال الله :

﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

(البقرة ـ ٣٦)

لأنه لايغفر أن يشرك به : وقد طلب سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ أن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم : فجعل الله قلوب المسلمين تهوى إلى الحرم : ومن حوله ، وهذه ظاهرة يعرفها من ذاق فعرف ومن حرم انحرف حيث إنها لتهوى القلوب إلى الله علام الغيوب تتلمس غفران الذنوب وستر العيوب فالعيون تبكى ، والقلوب تهوى : والله غفور رحيم : رءوف بعباده جل جلاله ، ولقد جاء فى الصحيحين عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة : مساجد ، المسجد الحرام : والمسجد الأقصى : ومسجدى هذا : » (البخارى ومسلم)

وهذه المساجد الثلاثة لها قدسيتها ولها ذكرياتها التى لايتسع هذا المقال لسردها وحصرها.

روى الإمام أحمد قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى مسجدى »

وعن عبد الله بن عدى ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ـ ﷺ ـ يقول لمكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أُخرجت منك ما خرجت »

(رواه الترمذى والنسائى)

« المسجد النبوى الكريم » :

يكفى فى فضل الحرم النبوى الشريف أن الله سبحانه ، . وفق النبى ـ ﷺ ـ بنفسه لبنائه وشاركه أصحابه الكرام البررة فى هذا (رضى الله عنهم) وهو ثانى الحرمين الشريفين هذا الحرم النبوى فيه موضع منبر النبى ومقام مصلاه ودار آخرته وأولاه ، وجاء فى شرح المواهب للزرقانى أن محمدبن حرب الهلالى أتى قبر النبى ـ ﷺ ـ فزاره وجلس بجانبه ، فجاء أعرابى وجلس للزيارة وأخذ يقول : (ياخير الرسل : إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ۝ ﴾ (النساء ٦٤)

وأنشأ يقول :

ياخير من دفنت فى القاع أعظمه
فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفدا لقبر أنت ساكنه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم

« وعند الحرم النبوى ذكريات كثيرة » :

ذكريات تتوافد وتتزاحم وتتواكب ، ذكريات الرسول وهو يبنى أمة ويؤسس دولة قال لها ربنا:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ـ ١١٠)

وهذه صورتها مرسومة فى القرآن الكريم صحيحة واضحة قوية خالدة باقية بخلود القرآن

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾

[الآية ٢٩ من سورة الفتح]

إن الله قد كرم رسوله محمدا ـ ﷺ ـ تكريما عظيما فقال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

[الآية ـ ٥٦ من سورة الأحزاب]

لقد أمر الله الذين آمنوا بأن يصلوا عليه ويسلموا تسليما وأجزل الثواب لمن يصلى عليه كما أمر الله المؤمنين بألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى وألا يخاطبوه باللغة الجافة فقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات ـ ٢)

وتتوافد الذكريات عند زيارة الحرم النبوى ومنها أن صاحب هذا المسجد الشريف هو الذى بدل الله به ظلام الحياة نورا وذل الأمين عزا وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين وذلك لأن النور لما أشرق على أرض الصخور هدى الله به من اتبع رضوانه سبل السلام وبذلك انمحت الظلمات والجهالات والأوهام والخرافات فانتفعوا بإرشادات القرآن وهداياته وتوجيهاته وعظاته لما تدبروا آياته فعرفوا الحق الواضح المستبين فآمنوا عن صدق ويقين بالله رب العالمين

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(١٥ ، ١٦ من سورة المائدة)

إنه ليس بعد كتاب الله كتاب وليس بعد رسول الله سيدنا محمد رسول ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

« سيدى يارسول الله » :

يزورك أحبابك من عباد الله الصالحين عند مسجدك المبارك المقدس فيصلون ويسلمون عليك بلسان الحال ولسان المقال بألسنة طاهرة وقلوب خاشعة وأرواح ضارعة هاتفة قائلة لك :

الصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله يامن أرسلك ربك رحمة للعالمين فقال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]

الصلاة والسلام عليك ياخاتم المرسلين : يامن وصفك ربك بأنك بالمؤمنين رءوف رحيم ، فقال جل جلاله :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة ـ ١٢٨]

الصلاة والسلام عليك يامن قال لك ربك:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

(الضحى ـ ٤) .

الصلاة والسلام عليك يا من ناداك ربك بأحب الأسماء إكراما لك وتقديرا فقال :

ياأيها الرسول ، ياأيها النبى ، ياأيها المزمل ، ياأيها المدثر ، وقال لغيرك بأسمائهم المجردة :

صلوات الله وسلامه عليك يا إمام الأنبياء وياسيد الأولياء وقدوة العلماء الأتقياء صلواته وسلامه عليك يوم ولدت ويوم بعثت ويوم أسرى بك ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وصلواته وسلامه عليك يوم هاجرت من مكة إلى المدينة لتؤدى الأمانة وتبلغ الرسالة ، صلواته وسلامه عليك يوم قبضت إلى الرفيق الأعلى ويوم تبعث حيا .

« المسجد الأقصى »

والمسجد الأقصى هو الذى جاء مقترنا ذكره بذكر المسجد الحرام فى أول سورة الإسراء : قال الله تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء ـ ١)

وهو قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين وهو معهد الأنبياء وهو يلى المسجد الحرام فى البناء فى حال الابتداء ومن الصخرة المقدسة كان المعراج بخاتم الأنبياء ـ ﷺ ـ إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى فكان قاب قوسين أو أدنى : فنال من منازل الرفعة والتكريم مقاما عليا لم ينله الخليل ولا الكليم ولا وصل إليه ملك مقرب أو نبى مكرم وفى المسجد الأقصى قد أم النبيين وصعد منه إلى أعلى عليين : والمسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذى بناه سليمان عليه السلام ـ : قد بنى عمر رضى الله عنه المصلى أمام الصخرة لما فتح بيت المقدس وكان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد قصدوا الصلاة فى المصلى الذى بناه عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وأما القبة فقد كانت غير موجودة فوق الصخرة فى عهد الخلفاء الراشدين : ولكن عبد الملك بن مروان هو الذى أقامها فوق الصخرة فى عهده :

وأما فضل المسجد الأقصى فيكفى فيه قول الله تعالى : ﴿ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾

« القبلة الأولى » :

لما جاء الإسلام وفرضت الصلاة على المسلمين ثم هاجر رسول الله إلى المدينة اتخذ المسجد الأقصى قبلته مدة ستة عشر شهرا ثم أمره ربه فى السنة الثانية من الهجرة أن يولى وجهه شطر المسجد الحرام مستقبلا الكعبة والله يقول :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (البقرة ـ ١٤٤)

ويقول الله ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة ـ ١٤٨ ، ١٤٩)

« رسول الله ينظر بنور الله » :

يبدو أن الرسول الأعظم كان ينظر بنور الله وبعين البصيرة لما طلب أن تكون البلد الأمين « مكة » قبلة له ولأمته إلى يوم الدين تأمينا للحجاج وتحصينا لهم من خطر داهم ويصنعه قوم يعيشون مع المسلمين بألسنتهم ويعيشون مع أعداء الإسلام بقلوبهم فهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، يعرفون الأسرار وينقلونها للأعداء ولكن المنافقين قد كشف الله أسرارهم وهتك أستارهم مع أنهم ضعاف خوارون خزايا قلوبهم مريضة ونفوسهم ضعيفة ـ لاقوة لهم إلا الخديعة والمخاتلة ولن تسمر طويلا لأنها إلى زوال إذا جاء نصر الله والفتح ولابد للحق أن ينتصر وللباطل أن ينهار ويندحر ،

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

(البقرة ـ ١٦)

« أما اليهود » :

فكانوا دائما لا أمان لعهدهم ولا وفاء لوعدهم : سالمهم الرسول فلم يسالموه لأن الغدر طبيعتهم والمكر سجيتهم : ، والغرور ملء صدورهم والحقد والكيد طبيعتهم والمكر السيء خلتهم ولابد للنفوس الشريرة من وازع دينى يهديها ويربيها ويهذبها ويؤدبها أو رادع يصدها عن غيها وبغيها وعن عدوانها وطغيانها والله يقول للمسلمين :

وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

(الأنفال ـ ٦٠)

ثم لماذا إعداد كل مستطاع من القوة والجواب لإرهاب عدو الله وعدو المؤمنين بالله ولإرهاب الآخرين الذين يمدونهم سرا بالأسلحة المتطورة والأموال الوفيرة وكل أنواع الذخيرة . . وذلك لأن الوحدة مع القوة بشتى أنواعها تحفظ للأمة أمنها واستقرارها وتحمى أرضها ومجدها لأن الإسلام يمقت الضعف والهوان والتفرق والتمزق ويود من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة وإن اختلفت ألوانهم وأوطانهم.

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾

[المؤمنون ـ ٥٢)

عن أبي سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : كان النبى ـ ﷺ ـ يقول : « إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق » . رواه البخارى .

المسجد الأقصى المبارك ومكانته العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح •

عن أبي ذر الغفاري - رضى الله عنه - قال : « قلت : يا رسول الله : أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ، وحيثما أدركتك الصلاة فصلِّ » (١).

المساجد : هي تلك الجامعات الإسلامية : التي يتلقى فيها المسلمون - على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم - تعاليم دينهم ودنياهم .

• المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الديني بالأزهر .

(١) رواه البخاري ومسلم .

تصل ما بينهم وبين ربهم ، كما تصل ما بينهم وبين بعضهم ، فهى التى تربط بين قلوبهم بروابط متينة من الحب والإخاء والود والصفاء ، وتربيهم تربية سليمة ، على أسس قوية ، تجعلهم متمكنين من أسباب المعرفة والبصر بالحياة ، قادرين على السير فيها على النهج السوى الذى رسمه أحكم الحاكمين .

لهذا ؛ كان أول عمل عمله النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد هجرته من مكة إلى المدينة ؛ هو بناء مسجد يجمع بين المهاجرين والأنصار ، يؤلف بين قلوبهم ، ويوحد صفوفهم ، وقد اتخذه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ معهدا يبلغ فيه وحى السماء ، وداراً للفتوى والقضاء ، ومجلساً للشورى وتبادل الآراء ، وديواناً لتحرير الكتب إلى الملوك والأمراء ، وبيتاً لمال المسلمين ، ومقراً لتنظيم كتائب المجاهدين .

والمساجد فى المعنى اللغوى هى : مواضع السجود ، أى : الأماكن التى تجوز فيها الصلاة ، سواء أكانت مبنية لهذا الغرض أم لا ، وهى مما اختص الله ـ تعالى ـ به الأمة الإسلامية . فقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بى النبيون » (١) .

وفى المعنى الاصطلاحى : ما وقف على المسلمين للصلاة والعبادة .

المسجد الحرام : هو بيت الله العتيق ، وقبلة المسلمين فى الصلاة والدعاء ، ومعقد آمالهم ، ومهوى أفئدتهم ، وهو أول بيت وضع للعبادة ، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(آل عمران : ٩٦ ، ٩٧)

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » (٢) .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . . قيل : وما بره ؟ قال : إطعام الطعام ، وطيب الكلام » (٣) .

وقيل للحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ : « الحج المبرور : جزاؤه الجنة ، قال : آية ذلك أن يرجع زاهدا فى الدنيا ، راغبا فى الآخرة ، وقيل له : جزاء الحج المغفرة ، قال : آية ذلك : أن يدع سيىء ماكان عليه من العمل » .

والحرام : أى المحرم ؛ لأن القتال محرم عنده ، أو لأنه : ممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له بما يمس قداسته ، قال الله ـ تعالى ـ :

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه احمد والطبرانى والبيهقى .

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الحج : ٢٥)

المسجد الأقصى: تحظى مدينة القدس على مر التاريخ بالتبجيل والتكريم ، والتفخيم والتعظيم ، والعناية الكبرى من الأديان السماوية الثلاثة ، وتهفو إليها أفئدة الملايين ، ووجدانات الشعوب . . وتطلق على هذه المدينة أسماء عديدة منها : بيوس . . أورسالم . . إيلياء . . مدينة الله . . بيت المقدس وهو الاسم الذى انتشر بعد الفتح الإسلامى للقدس الشريف المدينة المقدسة . . البيت المقدس . . مدينة السلام .

وفى هذه البقعة المباركة يوجد المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وإليه الإسراء بنبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنه العروج به إلى السماء . .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء : ١)

قال الزركشى فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ جعل حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار وأكثر فيه من الثمار ، ومجرى الأنهار » .

وهو ـ أيضاً ـ أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، والأربعة التى يمنع من دخولها المسيخ الدجال . . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » (١) .

وفى رواية أخرى : « إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : مسجد الكعبة ، ومسجدى ، ومسجد إيلياء » .

وروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الدجال يطوف الأرض ، إلا أربعة مساجد : مسجد المدينة ، ومسجد مكة ، والأقصى ، والطور » (٢) .

وتعميقاً لقيمة المسجد الأقصى فى قلوب المسلمين ؛ جعل الله الصلاة فى رحابه بخمسمائة ، أو ألف ، أو خمسين ألف صلاة ، كما جاء فى الروايات الصحيحة . . فقد روى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الصلاة فى المسجد الحرام : بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى : بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس : بخمسمائة صلاة » (٣) .

وعن ميمونة بنت سعد ـ رضى الله عنها ـ قالت : « يا نبى الله أفتنا فى بيت المقدس . فقال لها : أرض المنشر والمحشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن صلاتكم فيه كألف صلاة . قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه ؟ قال : فليهد إليه زيتا يُسرج فيه ؛ فإنه من أهدى كان كمن صلى » (٤) .

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الإمام احمد فى مسنده .

(٣) الطبرانى بسند صحيح .

(٤) رواه الإمام احمد .

وعن أنس بن مالك مرفوعاً عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة . [1]

ولقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن سكان بيت المقدس : سيهديهم الله - عز وجل - : إلى التمسك بالحق والدفاع عنه ، وأنهم سيكونون حماته ، لا يهابون الباطل وسطوته ، وغدره وصولته ، وأن الغلبة ستكون لهم ، والدائرة ستكون على أعدائهم .

عن أبى أمامة الباهلى - رضى الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى يأتيهم أمر الله - عز وجل - وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله وأين هم ؟ قال ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس » [2] .

وفى بيان ما للمسجد الأقصى : من منزلة ومكانة عظيمة فى الإسلام ، ما روى عن أم سلمة - رضى الله عنها - مرفوعاً قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » [3] . . وفى رواية أخرى : بزيادة : « وما تأخر ، أو وجبت له الجنة » [4] .

وعن ذى الأصبع قال : قلنا : يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبغاة ، أين تأمرنا ؟ قال : عليك ببيت المقدس ، فلعل إن ينشأ لك ذرية تغدو إلى المسجد وتروح » [5] . . وعن النعمان بن عطاء - رضى الله عنه - أنه قال : « ما موضع فى بيت المقدس إلا وقد سجد عليه ملك أو نبى ، فلعل جبهتك أن توافق جبهة ملك أو نبى » .

والأقصى : أى الأبعد ، وذلك لبعده عن المسجد الحرام ، إما فى المسافة أو فى الزمان ، أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ، وقيل : هو أقصى بالنسبة إلى مسجد المدينة ، لأنه بعيد عن مكة ، وبيت المقدس ، أبعد منه ، وقيل : لأنه أقصى موضع من الأرض ارتفاعاً وقربا من السماء .

والمراد بوضع المسجد فى حديث أبى ذر : « أى مسجد وضع فى الأرض أول » ؟ قيل : جعله للعبادة وتهيئته لها ، وإن لم يكن على سبيل البناء والتشييد . . وقيل : هو بناؤه لها ، وسؤاله هذا يحتمل أن يكون لمعرفة أقدم المساجد زمانا ، ويحتمل أن يكون لمعرفة أفضلها .

وأول من بنى الكعبة : هو آدم - عليه السلام - ثم بنى المسجد الأقصى ، بعد الفراغ من بنائها بأربعين سنة ، وعلى هذا القول : يكون إبراهيم - عليه السلام - : مجدداً لبناء كل منهما .

وقيل : إن إبراهيم - عليه السلام - هو أول من بنى الكعبة البيت العتيق وساعده فى بنائه ابنه إسماعيل - عليه السلام . . قال الله - تعالى - :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(البقرة : ١٢٧)

---

(١) رواه ابن ملجه .
(٢) الإمام احمد فى مسنده .
(٣) رواه ابو داود .
(٤) رواه البيهقى فى السنن الكبرى .
(٥) رواه الإمام احمد .

وقال - جل شأنه - :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾

(إبراهيم : ٣٧)

وقال - عز اسمه - :

﴿ وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

(الحج : ٢٦)

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت قال : رب قد فرغت ، فقال : أذن فى الناس بالحج ، قال : يارب وما يبلغ صوتى ؟ قال - تعالى - : أذن وعَلَىَّ البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال : قل ياأيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، فسمعه أهل السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد يلبون » [1] .

وبعد أربعين سنة بنى - صلوات الله وسلامه عليه - المسجد الأقصى . . وقيل إن يعقوب - عليه السلام - هو الذى بنى المسجد الأقصى بعد بناء جده إبراهيم - عليه السلام - الكعبة بأربعين عاماً .

وأما البناء المقام حالياً فينسب إلى عبدالملك بن مروان وابنه الوليد ، فهو بناء مستحدث فى البقعة الطيبة ، وقد بنى معه مسجد الصخرة المشرفة ، والجدار الغربى لسور المسجد يسمى حائط المبكى .

ولقد كان من أسباب الفتح العربى الإسلامى لفلسطين هو إنقاذ هذه الأرض الطيبة من أيدى الروم والبيزنطيين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، فوجهوا جيوشهم إليها ، وهزموا الروم فى موقعة اليرموك الفاصلة ، تحت قيادة خالد بن الوليد ، ثم كانت موقعة أجنادين التى هزموا فيها البيزنطيين ، تحت قيادة عمرو بن العاص ، والتى استسلمت بعدها مدينة القدس الشريف ، فى العام الخامس عشر من الهجرة ، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد أمر قائده أبا عبيدة عامر بن الجراح أن يتجه بجيشه من الشام إلى بيت المقدس .

وقد نقل السيد/ عبد الله التل عن كتاب يونانى مخطوط اطلع عليه أيام أن كان قائداً لمعركة القدس سنة ١٩٤٨ م عثر عليه فى دير المصلية يذكر حادثة مجىء عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لتسلم بيت المقدس ما ترجمته :

« ولما اشتد حصار جيوش المسلمين لبيت المقدس سنة ٦٣٦ م أطل البطريرك (صفرونيوس) على المحاصرين من فوق أسوار المدينة ، وقال لهم : إنا نريد أن نسلم ، لكن بشرط أن يكون التسليم لأميركم ، فقدموا له أمير الجيش فقال : لا ، إنما نريد الأمير الأكبر ، نريد أمير المؤمنين .

فكتب أمير الجيش ؛ إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول : إن القوم يريدون تسليم المدينة ، لكنهم يشترطون أن يكون ذلك ليدك شخصياً .

فخرج عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - من المدينة ، قاصداً بيت المقدس ، ومعه راحلة واحدة ، وغلام ، فلما صار فى ظاهر المدينة ، قال

---

(١) الحاكم وصححه والبيهقى فى سننه .

لغلامه : نحن اثنان والراحلة واحدة ، فإن ركبت أنا ، ومشيت أنت ظلمتك ، وإن ركبت أنت ومشيت أنا ظلمتنى ، وإن ركبنا الاثنان قصمنا ظهرها ، فلنقتسم الطريق مثالثة .

وأخذ عمر يركب مرحلة ، ويقود الراحلة مرحلة ، والغلام يركب مرحلة ، ويقود مرحلة ، وتمشى الراحلة أمامهما متخففة من حمل أحد مرحلة .

وهكذا استمر عمر - رضى الله عنه - يقتسم الطريق مثالثة بين نفسه وبين غلامه وبين راحلته .. من المدينة ، حتى بلغ جبلا مشرفا على القدس .. صادف ان كانت ببلوغه قد انتهت مرحلة ركوبه ، فكبر[1] من فوق رحل الراحلة ، ولما فرغ من تكبيره قال لغلامه : دورك . اركب . فقال الغلام : ياأمير المؤمنين لا تنزلن ولا أركبن ؛ فإنا مقبلون على مدينة ، فيها مدنية وحضارة ، وفيها الخيول المطهمة المسرجة ، والعربات المذهبة .. فإن دخلنا على هذه الصورة ، أنا راكب على الراحلة وأمير المؤمنين آخذ بمقودها هزأوا بنا وسخروا من أمرنا ، وقد يؤثر ذلك على نصرنا ، فقال عمر : دورك .. لو كان الدور دورى ، ما نزلت وما ركبت ، أما والدور دورك ، فوالله لأنزلن ولتركبن ، ونزل عمر ، وركب الغلام الراحلة ، وأخذ عمر بمقودها .. فلما بلغ سور المدينة وجد نصاراها فى استقباله خارج بابها « المسمى بباب دمشق ، وعلى رأسهم البطريرك « صفرونيوس » فلما رأوه آخذاً بمقود الراحلة ، وغلامه فوق رحلها أكبروه وخروا له ساجدين ، فأشاح الغلام عليهم بعصاه من فوق رحلها ، وصاح فيهم : ويحكم ارفعوا رءوسكم ، فإنه لا ينبغى السجود إلا لله ، فلما رفعوا رءوسهم انتحى البطريرك « صفرونيوس » ناحية وبكى .. فتأثر عمر وأقبل عليه يطيب خاطره ويواسيه قائلاً : لا تحزن هون عليك فالدنيا دواليك يوم لك ويوم عليك ، فقال « صفرونيوس » : أظننتنى لضياع الملك بكيت ؟ والله ما لهذا بكيت ، وإنما بكيت لما أيقنت أن دولتكم على الدهر باقية ، ترق ولا تنقطع ، فدولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وكنت حسبتها دولة فاتحين تمر ثم تنقرض مع السنين .

وخطب عمر - رضى الله عنه - فى تلك الجموع الحاشدة ، مستهلاً خطبته بقوله « ياأهل إيلياء ، لكم ما لنا ، وعليكم ما علينا » ، ثم دعاه البطريرك « صفرونيوس » لتفقد كنيسة القبر المقدس « كنيسة القيامة » فلبى دعوته ، وأدركته الصلاة وهو فيها ، فالتفت إلى البطريرك ، وقال له : أين أصلى ؟ فقال : مكانك صَلِّ .. فقال :

ما كان لعمر أن يصلى فى كنيسة القيامة ، فيأتى المسلمون من بعدى ويقولون : ها هنا صلى عمر ، ويبنون عليه مسجداً ، وابتعد عنها رمية حجر ، وفرش عباءته وصلى ؛ وجاء المسلمون من بعده وبنوا على مُصلاه مسجداً ، وهو قائم على رمية حجر من كنيسة القيامة إلى يومنا هذا .

(١) سمى ذلك الجبل من يومئذ بجبل المكبر .

ثم سأل عمر البطريرك « صفرونيوس » عن موضع المسجد الأقصى فدله على مكانه ، فوجده مغموراً بالقمامة ، ففرش عمر عباءته ، وأخذ ينزح فيها القمامة من مكان المسجد ويلقيها فى الأودية . . واقتدى به قادة المسلمين ، ورؤساء الجند ، حتى طهروه تطهيراً ، ثم بنى عليه مسجداً (١)

ولقد استمر بيت المقدس تحت حكم الإسلام ثلاثة عشر قرنا من الزمان ، ثم اغتصبته الصليبية بحروبها التى استمر أثرها ثمانية وثمانين عاماً ، عاثوا فيها فى الأرض الفساد ، وأقاموا بها مذابح للمسلمين تقشعر من هولها الجلود !!

وحينما اجتمعت كلمة المسلمين ، ووحدوا صفوفهم ، وعزموا على تطهير الأرض المقدسة قادهم البطل العظيم « صلاح الدين الأيوبى » وانتصروا فى الحروب المقدسة التى كانت أبرز معاركها فى حطين ، وبعدها استولى صلاح الدين على بيت المقدس وأعاده إلى حوزة المسلمين ، يوم الجمعة ، فى السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ هـ . . ثم دخل المسجد الأقصى فى الجمعة التالية ، وصلى فيه .

إن المسلمين الأوائل وقبل أن يتحرر المسجد الأقصى كانوا مشدودين إليه بقلوبهم وأرواحهم وأجسادهم ، بل إن بعضهم كانوا ينقلون إليه موتاهم لمجاورة أنبياء الله فى قبورهم ، حتى إن الصحابة فكروا فى دفن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حرم المسجد الأقصى ، لما كان له من منزلة وقيمة فى نفسه ، فقد أراد أهل مكة من المهاجرين أن يردوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موته إلى مكة ؛ لأنها مسقط رأسه ومأمن نفسه ، وأراد أهل المدينة من الأنصار دفنه بالمدينة ، لأنها دار هجرته ومدار نصرته ، وأرادت جماعة أخرى من المسلمين ، نقله إلى بيت المقدس ؛ لأنه موضع دفن الأنبياء ، وقد كان معراجه إلى السماء ، ولأن المسجد الأقصى يعتبر من أعظم المقدسات الدينية التى عُنى الإسلام بتعظيمها ، وحث على تكريمها ، ورغّب فى تحريرها وتطهيرها ، ثم اتفقوا أخيراً على دفنه بالمدينة ، وفى حجرة أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ حيث قبض ولحق بالرفيق الأعلى ـ وماذاك إلا لأن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون » كما جاء فى الأثر .

وبعد . . فإن المسجد الأقصى يعتبر بحق من أعظم مقدساتنا الدينية ، وأنه يجب على المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها أن يبذلوا قصارى جهودهم فى سبيل تحريره وتطهيره والحفاظ عليه .

---

(١) بنى المسجد اولاً من الخشب .

استقرار القبلة

لفضيلة الشيخ:
معوض عوض إبراهيم

١ـ سبحان الذى أسرى بعبده:

أسرى الله بعبده ومصطفاه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام فى مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى فى القدس الشريف من فلسطين فى بلاد الشام، وعرج به سبحانه منه إلى ما وراء سدرة المنتهى فى السماء السابعة. ما لم يجر لنبى سبق ولا لرسول تقدم، وأرى الله مصطفاه آياته الكبرى أمثلة للمجاهدين، والطائعين، وصورا للزناة، وآكل الربا، وخطباء الفتنة، والذين يلوكون أعراض الناس بالباطل.

بعد أن أركبه البراق الذى لم يركب مثله قط، والذى يعنى نقاء البرق وسناه وسرعته، وأخدمه ملائكته المقربين، وحشر له الصفوة الكريمة من الأنبياء والمرسلين، فأمهم فى صلاة جامعة أثنى فى نهايتها على مولاه بخير، كما أثنوا ـ صلوات الله عليهم ـ على الله حتى قال إبراهيم: «بهذا فضَّلكم محمد» وهو مشهد ملهم معلم يوجب على البشرية بأسرها عربها وعجمها، وباديها وحاضرها، أن تتبع محمدا ـ صلوات الله عليه ـ وتطيعه فى كل ما جاء به من لدن ربه.

وآيات الله التى تبهر العقول فى هذه الليلة ما كان ينبغى أن تكون موضع أخذ ورد، أو مبعث ظن وشك، هل كان الحدثان يقظة أو مناما، أم بالجسد أو الروح، لأن الذى أجراها وأعان عليها هو الله الذى لا يعجزه شىء لا فى الأرض ولا فى السماء لكن الأهواء ولعنة «الأنا» يغطيان على مدارك بعض الناس حتى يروا حسنا ما ليس بالحسن، وتبدو لهم الأمور على غير حقيقتها.

٢ـ خير أعمالكم الصلاة:

وما يحصى العقلاء ما يغلف الحدث العظيم، من أسرار وعبر وحكم وتعليم وتكريم وإمداد

وإعداد للنبى العظيم ـ صلوات الله عليه ـ فيما يستقبل من قضايا الدعوة وشئون الناس .

لكن فرض الصلاة مشافهة ، وحيث فرضت كان وسيبقى أجل هبات الله وعطاياه فى هذه الليلة إلى المدى الذى كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فيه : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

رواه أنس وهو فى « الشفاء » للقاضى عياض .

ويقول : « أرحنا بالصلاة يابلال » مجمع الزوائد والطبرانى والنسائى والخطيب (جزء ١٠) ، وهى تصل المرء بربه ـ عز شأنه ـ ليلا ونهارا ، وعلى كل حال فهى تعصمه من الزلل وسوء القول والعمل كما قال ربنا سبحانه :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾
(العنكبوت : ٤٥) .

وفى الأثر : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلم يزدد من الله ـ عز وجل ـ إلا بعدا » .

وراح الرسول من هذه الليلة بالصلاة « ثانية الإسلام » ، و« معراج المؤمن » قرير العين سعيدا بما حباه ربه أمرا يأخذ به نفسه ، ويبقى ركنا كريما من أركان الإسلام بعد الإقرار لله بالوحدانية ، وللنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسالة التى أرست كلمة التوحيد ، وشهادة الإخلاص فيها بكل مكارم الأخلاق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ـ صبيحة الليلة الكريمة :

وأصبح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الليلة المنفوحة المباركة يلقى جبريل ـ عليه السلام ـ فيعلم أمين الوحى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أزمنة الصلوات الخمس صبحا ، وظهراً ، وعصراً ، ومغرباً ، وعشاءً ، وحضراً وسفراً ، وتماماً ، وقصراً ، وجهراً ، بالقراءة وسراً ، ويعلمه هيئاتها قياماً وقعوداً ، وذكراً وابتداءً باستقبال القبلة بالطهر والنية وانتهاءً بالسلام . . وما أجل فهو اسم الله :

﴿ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ (الحشر : ٢٣)

والسلام تحية المسلمين فى الدنيا ، وتحيتهم فى الآخرة .

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ (الأحزاب : ٤٤) .

والسلام اسم لجنة الله التى أعدها للمتقين :

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (الأنعام : ١٢٧) .

وهو السلام الذى يتطلبه الناس جميعا بإنصاف لا بقهر واعتساف كما يرفع المبطلون فى شرق وغرب العقائر .

والتزم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما فى ألفاف الإسراء والمعراج من عبر وعظات بما يليق به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى إقبال على الله وخشوع وتدبر ، وهو يترك لأمته قوله الذى رواه أبو هريرة ـ رضوان الله عليه ـ « أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء » . وهو فى صحيح مسلم .

ولقد وجه الله ـ تعالى ـ مصطفاه فى الصلاة إلى القبلة ، فلما هاجر الهجرة الكبرى إلى المدينة كان ـ سبحانه ـ يعلم أن فى التوجه إلى الكعبة رضا نفسه

فوجهه سبحانه إلى قبلة أبيه إبراهيم - عليه السلام - .

٤ - جعل بيت المقدس قبلته :

لقد كان الرسول يتجه إلى بيت المقدس بعد الهجرة الكبرى أملاً فى أن يثنى عنان اليهود ويكسر من حدة عنادهم لكنه - عليه الصلاة والسلام - مع هؤلاء القوم كان كمن يحاول أن يجنى من الشوك العنب ، أو كما يقال كالمتطلب من الماء جذوة نار ، والمرء لا يدرك كل ما يتمنى غالبا وإن كان نبيا ، فلقد أدار عراض الأقفية أمنية النبى على غير ما أراد وقالوا عتوا وصلفا : « اتبع قبلتنا وغدا يتبع ديننا » .

وتمنى - صلوات الله عليه - بعد ستة عشر شهرا أو سبعة عشر أن يحول الله مصطفاه إلى قبلة أبيه إبراهيم فحقق - سبحانه - مراد مصطفاه ، وبلغه من الكعبة المشرفة مناه فى شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وامتن عليه وعلى المسلمين بقوله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ١٤٤) .

وتكررت المنة فعظمت وجلت مرات فيما وراء هذه الآية والله سبحانه يؤكد أن القوم وأمثالهم لن يتبعوا هذه القبلة ، وأن النبى وهو معصوم بالوحى لن يتبع قبلتهم ، وأن بعضهم لا يتبع قبلة بعض فلكل من المبطلين وجهة هو موليها اتباعا للأهواء وعزوفا عما تبين من العلم .

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ ﴾ (البقرة : ١٤٩) .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٥٠) .

فالبيت الحرام نعمة فى ذاته ، والكعبة المشرفة فيه كذلك نعمة إلى نعم جمة ، إنها أنعم باقية خالدة تالدة على مر الزمان منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت ، وإسماعيل ، لا يغض من قدرها ما لحق بها فى فترات من الزمان من غبش الوثنية وشغب الباطل ، وغزو الغزاة الذى أتى عليه الإسلام من القواعد ، وعز البيت ، ورأت الحياة الأمة المسلمة لربها ، بعد أن بعث الله فيها ومنها الرسول الخاتم هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وزاد الله البيت الحرام أمنا على أمن ورسخت أصول القبلة فيه وستبقى إلى آخر الزمان راسية الأركان قوية البنيان بنا أو بغيرنا .

﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ (محمد : ٣٨) .

فهل نعطى الله حق الذب عن حياض الأقصى المكبل بالقيود والأغلال ، وهو بأيدى شذاذ الآفاق بعد أن أعانهم ويعينهم على باطلهم من يملى لهم الله ثم يأخذهم لا محالة أخذ عزيز مقتدر .

جدلية الإسلام

الصيغة الإسلامية لتحقيق التوازن بين المتناقضات

للمستشار الدكتور : محمد شوقى الفنجرى

١ - إن قوام الحياة الدنيا هو ظاهر المتناقضات ، وسبحان الله :

﴿ ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠) .

وإن سنة الحياة هى الحركة الدائمة و « التغيير المستمر » ، وسبحان الله الذى يغير ولا يتغير . الأمر الذى يتطلب « وعيا » يسفر عنه « أسلوب » أو موقف محدد ، فى مواجهة مختلف تحديات الحياة وتناقضاتها ، وبالتالى الوصول بمتغيراتها إلى حالة الاعتدال ، أو « التوازن المنشود » .

وهذا ما تستهدفه « جدلية الإسلام » ، بقول الله تعالى :

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل -١٢٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (المؤمنون -٩٦) . وصدق الله العظيم :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة -٢٨٢) .

فجدلية الإسلام هى أسلوبه فى التوفيق بين التناقضات ، وهى رؤياه بالنسبة للثابت والمتحرك ، وهى فى الخلاصة الاجتهادات الشرعية ، أو الجهود التوفيقية من أجل وضع أحسن ، وتحقيق التقدم والرقى .

٢ ـ إنه على خلاف « الجدلية الوضعية » أو « المنهج المعرفى الغربى » ممثلا فى مختلف المذاهب والنظريات الوضعية ، فإن « جدلية الإسلام » أو المنهج المعرفى الإسلامى ـ على نحو ما نكشف عنه فى هذا المقال باختصار غير مخل ـ يقوم على أسس ثلاثة رئيسية هى :

أولا : التناقضات حقيقة قائمة ، ولكنها فى الإسلام للتكامل لا للصراع .

وهذا المفهوم أو التصور الإسلامى يحل ويعالج الإشكالية الكبرى التى يعانيها العالم من عدم إدراك حكمة هذا التناقض ، وأنه كالسالب والموجب للتكامل لا الصراع . وأن إغفال هذه الحكمة استتبع « أحادية النظر » وبالتالى الخلل الناتج عن ترجيح جانب أو « واقع » دون « آخر » ، وماأدى إليه من خلل أو اضطراب ، بل من ثورات أو انقلابات ، وفى النهاية فقدان أو غياب الاستقرار أو السلام المنشود .

ثانيا : المتغيرات حقيقة أخرى قائمة ، ولكنها فى الإسلام تكون « محكومة » أى : فى حدود الثوابت الإلهية ، كالحرية والإخاء والعدل ، والخلق القويم .

وهذا المفهوم أو الأصل الإسلامى يحل أو يعالج الإشكالية الكبرى الأخرى ، التى يعانيها العالم من تحكم الأهواء أو استغلال الحكام أو الأقوياء ، بحيث لا تتحرك أحداث الحياة « ومتغيراتها » اعتباطا أو عشوائيا ، وإنما هى بموجب الإسلام « تحرك منضبط » محكوم بأصول إلهية بهدف « التكامل السليم » أو « التوازن الحقيقى » ، مما لا يهدر حقا أو يلحق ضررا ، وبحيث يسود الرضا والسكينة والسعادة للجميع .

ثالثا : التسليم بالغيبيات والتجريب فى المحسوسات :

وهذا المفهوم أو التوجه الإسلامى، يحل أو يعالج إشكالية « العلمانية » من حيث قصر الحياة على المحسوسات وحصر الفكر فى الماديات . وبالتالى ابتعاد الحضارة الحديثة عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذى هو غيب ، والذى هو الغاية والوسيلة ، وهو صمام الأمان ، والمراد الأول والأخير بقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ (الانشقاق -٦) .

وأن إغفال أو افتقاد هذا المفهوم أو التوجه الإسلامى ، قد أشقى وأضل الحضارة الحديثة ، وأدى إلى تخبط البشر ومعاناتهم للقلق أو الانحراف ، إذ حق عليهم قوله تعالى :

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة -٦٧) .

وقوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه -١٢٤) .

٣ ـ لقد نبه الإسلام منذ ظهوره من خمسة عشر قرنا إلى حقيقة « ثنائية الحياة » أو الوجود ، بقوله تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات ـ ٤٩) .

واسترعى النظر إلى فحوى « المتناقضات » بقوله تعالى :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾

(الأنبياء -٣٥) .

ثم نراه يرشد الإنسانية إلى كيفية ، أو صيغة التعامل مع هذه المتناقضات ، بحيث تقوم « الجدلية الإسلامية » أو « المنهج المعرفى الإسلام » على أساس « العلاقة التبادلية التكاملية » ، وبحيث تأتى « المتغيرات » فى حدود « الثوابت الإلهية » ، بخلاف « الجدلية الوضعية » أو « المنهج المعرفى الغربى » ، الذى ضل السبيل بقيامه حتى اليوم على أساس « العلاقات المتنافرة الصراعية » ، وبحيث تأتى المتغيرات بحسب أهواء وأمزجة الحكام ، أو ذوى النفوذ ، وما يترتب على ذلك من آثار ونتائج أفسدت حياة البشر وأضلتها .

٤ - إن الإسلام يرفض سائر حضارات وفلسفات « البعد الواحد » التى تغفل حقيقة الحياة ، التى هى كالعملة الواحدة ذات وجهين أحدهما « مادى تجريبى » وثانيهما « روحى غيبى » ، بحيث يكمل كلاهما الآخر ، ولا قوام أو غناء لأحدهما عن الآخر .

وكما أرشدنا القرآن الكريم فإن بداية أى إصلاح أو تقدم ، إنما يكون من خلال ترشيد الفكر وتصحيح المفاهيم ، وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

(الرعد -١١) .

ورحم الله المفكر الإسلامى الباكستانى محمد إقبال ، حين كان يتمثل حضارة الإسلام بل قل يلخص « جدليته الخاصة » فى قوله تعالى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

(القصص -٧٧) .

فحقيقة الدنيا أنها دار بلاء واختبار ، وأنها مزرعة الآخرة وجسرها الوحيد للجنة أو النار ، وصدق الله العظيم :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء -٧٢) .

وجماع القول أن الإسلام يربط فكر الإنسان وسلوكه ارتباطا وثيقا بالله - تعالى - وابتغاء وجهه - سبحانه - وخشيته ، ويضع له رسالة سامية يسعد بتحقيقها ، ويصل تكريمه للإنسان بأن سخر له كل ما فى السموات والأرض واعتبره خليفة الله فى أرضه . وإذا كان البشر جميعا يبحثون عن السعادة فتعز عليهم ، فذلك لأنهم يغفلون عن حقيقة السعادة وهى « المعية » مع الله - سبحانه - والطمأنينة إليه تعالى :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(الرعد -٢٨) .

وصدق الله العظيم :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾

(الفتح -٤) .

حتى لقد نقل عن أحد الأئمة قوله : (لو علم

الملوك ما نحن فيه من السعادة الروحية لقاتلونا عليه بسيوفهم) الحسن البصرى .

٥ ـ إن عظمة الفكر الإسلامى ، وباعتبار الإسلام خاتم الأديان ، أنه الوحيد بين كل الأديان والنظم الوضعية كافة ، الذى يجيب بكل وضوح وإقناع على ذلك السؤال الأزلى الذى تاهت فيه الأفهام ، وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك ، وهو لماذا خلقنا وإلى أين المصير ، وذلك بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون ـ ١١٥) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ (آل عمران ـ ١٤٢) .

ويحدد الإسلام مهمة ورسالة الإنسان بأنه مستخلف من الله فى أرضه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة ـ ٣٠) .

وهذه الخلافة لها وجهان :

الوجه الأول : هو العلاقة بين الإنسان وخالقه ، وهى « علاقة عبودية » والالتزام بمنهجه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ـ ٥٦) .

والوجه الآخر وهو العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه عليه ، وهى « علاقة سيادة » على الأرض وتعميرها بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود ـ ٦١) .

ولقد نهض العرب وبلغت الحضارة الإسلامية القمة فى عهدها الأول حين حققت خلافتها بالتزامها هذين الأصلين « العبودية لله » و « السيادة على الأرض » . ثم أفلت هذه الحضارة ، وتخلف المسلمون بقدر ما بعدت حضارتهم أو بعدوا أفرادا وجماعات ودولا عن هذين الأصلين ، ولاشك أن الحضارة العربية اليوم ، وإن حققت بمنهجها التجريبى الذى أخذته عن الحضارة الإسلامية تقدمها المادى والسيادة على الأرض ، إلا أنها قد ضلت وشقيت بانحرافها عن عبودية الله تعالى وتعاليمه ، وهذا هو سر أزماتها ومكمن انهيارها .

٦ ـ وخلاصة القول أن « الجدلية » هى فن أو أسلوب التعامل مع واقع المتناقضات وحقيقة المتغيرات ، ولقد كشف لنا الإسلام منذ ظهوره من أربعة عشر قرنا ونيف عن وجه المتناقضات أو « ثنائية التركيب » فى كل شىء بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات ـ ٤٩) .

كما كشف لنا عن وجه المتغيرات ومختلف الأطروحات المستجدة بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران ـ ١٤٠) .

كما كشف لنا عن سبب أو حكمة هذه المتناقضات والمتغيرات ، وذلك باعتبارها تحديات الحياة ومحركها ودوافعها بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾

(البقرة - ٢٥١) .

وباعتبارها ـ أيضا ـ أساس ابتلاء واختبار الإنسان لتحديد موقعه ودرجته فى الآخرة بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾

(الأنبياء -٣٥) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾

(محمد -٣١) .

ولم يكتف الإسلام بالكشف عن واقع المتناقضات والمتغيرات ، أو يقتصر على بيان حكمتها وأسبابها ، وإنما أكشف لنا أيضاً عن سبيل أو أسلوب التعامل معها بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

(فصلت ـ ٣٤)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس -٩) .

بل كشف لنا أيضا عن غاية هذا الدفع وحدود هذه التزكية ، وهى التوازن بهدف القرب من الله ـ تعالى ـ بقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن -٧) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾

(الانشقاق -٦) .

٧ ـ وجدلية الإسلام بمعنى فن أو أسلوب التعامل مع واقع متناقضات الحياة ومتغيراتها ، إنما تكشف لنا عن « المنهج المعرفى الإسلامى » ، وهو على خلاف « المنهج المعرفى الغربى » ، يقوم على نحو ما أوضحنا على أسس ثلاثة رئيسية هى :

أولا : التناقضات هى للتكامل لا الصراع : والإسلام بذلك يعالج إشكالية كبرى تاهت فيها العقول ومختلف النظم الوضعية ، وهى إشكالية « ثنائية التركيب أو زوجية الأشياء » ، وما قد يبدو فيها من تعارض أو تناقض ، والتخبط بين ترجيح أو إهدار جانب على حساب آخر ، وما يستتبعه من خلل واضطراب .

ثانيا : المتغيرات هى فى حدود القيم والثوابت الإلهية : والإسلام بذلك يعالج إشكالية عظمى أخرى هى صميم أزمة الإنسان ، وهى إشكالية التحكم والهوى ونزوات المذاهب الوضعية وتحكمات ذوى النفوذ ، وتضارب الأحكام .

ثالثا : التسليم بالغيبيات وحتمية اعتبار البعد الروحى فى الإنسان : والإسلام بذلك يعالج إشكالية كبرى أخرى ، هى مكمن ضعف الحضارة الغربية ، وجرثومة فنائها حين ابتعدت عن الله ـ تعالى ـ باعتباره غيبا ، وتفرغت للماديات والأشياء ، فحق عليها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(الحشر ـ ١٩)

وكما عبر بعض كتابها بقوله : (إن الرجل الغربى قد انتهى ، لا لأنه فرغ من العلم والتقدم المادى ، ولكنه انتهى لأنه فرغ من الإيمان

والمثل) ، وقوله : (إن حضارة الغرب رفعت الإنسان إلى القمر ، بينما هى غائصة إلى ركبتيها فى الأوحال) ، وقد وصف هايدجر عميد فلاسفة القرن العشرين عصر اليوم بقوله : (إنه عصر يبدو كقصر شامخ فى منظر كئيب ، سادته يعانون من الأرق والملل والقلق ، وخدامه يقاسون من المرض والجهل والجوع) .

٨ ـ لقد شقيت الإنسانية عبر تاريخها الطويل وحتى اليوم ، بالجدلية الوضعية ، سواء تلك التى سادت منذ الإغريق على يد أرسطو وأبيقور وغيرهما ، والقائمة على أساس النظريات والثوابت ، وما استتبع ذلك من تجميد الفكر ومعارضة الكنيسة للتقدم العلمى . أو تلك التى تسود عالمنا المعاصر على يد بيكون وهيجل وغيرهما ، والقائمة على أساس التجريب والمتغيرات ، وما استتبع ذلك من قصر الحياة على المحسوسات وحصر الفكر فى المتغيرات ، وإخراج الدين والمثل من دائرة الحياة ، والمناداة بتغير المبادىء والقيم الأخلاقية بتغير الأزمنة والأمكنة ، بل الادعاء بأن المثل والأخلاق ليست لها قيمة ذاتية وليست من الثوابت التى يعتد بها ، فكان هذا الانفلات والضياع والفساد الذى يتجرع الجميع مرارته .

وعيب هذه (الجدلية الوضعية) أو هذا (المنهج المعرفى الوضعى) سواء فى صورته الحديثة وهى « الجدلية الغربية » أو « المشروع المعرفى الغربى » ، إنها « أحادية النظر » أى (انفصالية التوجه) ، ومن هنا كان أصل الداء ، وكانت أزمة الفكر الوضعى فى مختلف مراحله أو صوره ، فإذا كانت (الجدلية اليونانية) قد أغفلت « حقيقة المتغيرات » وأهمية « التجريب » ، فقد أغفلت (الجدلية الغربية) حقيقة « الثوابت » وأهمية التسليم « بالدين والوحى » فيما لا يدركه العقل ولا يصل إليه التجريب .

٩ ـ إن عظمة الإسلام أنه دون أن يطلع على (المشروع المعرفى الإغريقى) ، وقبل أن ينشأ بقرون نقيضه ، وهو (المشروع المعرفى الغربى) ، وما صاحب كلا منهما من عيوب ومفاسد ، كان له منذ ظهوره منهجه المعرفى المتميز ، والذى هو طوق النجاة وسبيل الخلاص للإنسانية الجمعاء ، ذلك أن (المنهج المعرفى الإسلامى) يجمع بين :

أولا : الثبات والتطور ، فهو إذ يؤكد الثبات فى العقيدة والأصول والقيم ، فإنه يسمح بالتغيير فى التفاصيل والتطوير أو التعدد فى النماذج والتطبيقات ، ولكن دون أى تجاوز ، أو خروج عن مبادئه وأحكامه العامة .

ثانيا : الجمع بين الماديات والروحانيات ، ذلك أنه إذ يدعو إلى الثروة والغنى ، والنظر فى الكون والتجريب فى المحسوسات ، وعدم التمسك ، إلا بالبرهان ، نراه يدعو إلى الإيمان والتسليم بالغيبيات ، واليوم الآخر ، مما يعجز العقل عن إدراكه أو الإحاطة به .

ثالثا : التوفيق بين المتناقضات : فنراه فى كافة تطبيقاته يحرص على المصلحة العامة بقدر حرصه على المصلحة الخاصة ، دون جحد أو نفى إحداها لحساب الأخرى .

هذا إلى أنه دون سائر المذاهب ، والنظم الوضعية ، ينفرد بربط فكر الإنسان وسلوكه ارتباطا وثيقا بالله ـ تعالى ـ ابتغاء وجهه ـ سبحانه ـ وخشيته ، ويضع له رسالة سامية يسعد بتحقيقها ، ويصل تكريمه للإنسان بوصفه أنه خليفة الله فى أرضه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة - ٣٠) .

نسأله تعالى السداد والتوفيق .

العلاقات الاجتماعية في الإسلام

تدعيم للوحدة في المجتمع الإسلامي

للأستاذ الدكتور: محمد شامة

تخضع العلاقات بين الكائنات الحية لعوامل شتى ، واتجاهات متعددة ، وتنطلق من أسس متفاوتة المصادر والمنابع ، وظروف مختلفة الملامح والأشكال ، فتتحكم فيها منازع الكائنات الحية المتنافرة ، وتصوغها رغبات الأنواع والأجناس ، وتوجهها ميول الأفراد يمينا أو شمالا ، وتطبعها الجماعات بطابعها الذى ترى فيه أنه يعود عليها بفائدة ، أو يمدها بأسباب البقاء ، فيحميها من عوامل الفناء والهلاك ، ومن هنا يميل الباحثون فى علم الأنثروبولوجيا « أى علم الإنسان » إلى الاعتقاد بأن الصراع بين الكائنات الحية هو قانون الحياة ، فلا يكتب البقاء إلا لمن يتغلب على من حوله ، فالبقاء للأقوى كما أن عملية الصراع بين هذه الكائنات الحية هى ديناميكية التطور .

أثر هذا المفهوم للعلاقات بين الكائنات الحية على فكر بعض المجموعات البشرية ، فاعتنقت مبدأ التفوق بين الأجناس البشرية ، ففضلت جنسا على آخر فى الحقوق والمعاملات ، وكذلك فى التقييم الإنسانى ، وكان من جراء ذلك أن ظهرت بين الناس صور من المعاملات لا تتفق مع ما تتطلبه واقعية الانتماء إلى جنس واحد هو أصل للناس جميعا ، إذ شاعت بينهم نعرة استعلاء شعب على آخر ، وسيطرت على أذهانهم عقيدة التفاضل بين المجموعات البشرية ، على أساس اللون ، أو البيئة أو العقيدة ، واتخذ سلوكهم مسار استئثار الأفضل بكل أنواع الخيرات الموجودة على ظهر الأرض ، بحيث لا يترك لمن هو أدنى فى البشرية إلا ما يسد به رمقه ، أو ما يحفظ عليه

حياته ، فى حدود ما يؤدى لمن هو فوقه من خدمات ، أى : أن ما يترك له ليس إلا من زاوية حفظ قدرته ؛ لتنتفع بها المجموعة الأفضل ، فهو بمثابة الحيوان الذى يقدم له الطعام كى يقوى على تأدية ما يطلب منه من خدمات .

ونشأ عن هذا الوضع فى العلاقات الإنسانية صراع بين من يملك ، ومن لا يملك ، ونزاع بين الذين استولوا على كل ما حولهم من الخيرات ، وبين المحرومين الذين لا يجدون ما يقتاتون به ، مما جعل الهوة فى العلاقات الاجتماعية سحيقة وعميقة ، لا تجد لها شطآن ترتكز عليها الصلات الأخوية بين الناس ، ولا قرارا تقف عليه دعائم المحبة والمودة بينهم ، إذ لا توجههم إلا المنافع المادية ، فلا يميلون إلا حيث ينعمون ماديا ، ولا يأنسون إلا لمن يجنون من ورائه مكسبا يزيد من ثرواتهم ، أو جاههم وسلطانهم ، وبهذا ضاعت ملامح العلاقات الإنسانية ، وتلاشت عاطفة الأخوة بين الناس ، فأصبحت نفس الإنسان نهمة ، تلهث وراء المادة ، وتجرى وراء الشهوات الجسدية ، والملذات الجنسية ، حتى أصبح المجتمع البشرى أشبه بغابة يتحكم فيها القوى ، ويسود فيها كل من تجرد من المعانى السامية ، وتعرى من كل أردية الشرف والفضيلة .

ومن هنا كانت تعاليم الإسلام فى مجال العلاقات الاجتماعية ضوابط تمنع الإنسان من التردى فى المجال ، الذى يبعده عن الشعور بالأخوة الإنسانية ، أو يثنيه عن تأدية ما يقوى الروابط الإنسانية بينه وبين أهله ، أو يدعم روح التعاون بينه وبين بنى وطنه ، أو بينه وبين البشر جميعا ، فهى توصيه بالوالدين وبالأقربين ، كما تأمره بمساعدة الضعفاء والمساكين ، وتقديم العون لكل صاحب حاجة ، سواء كان قريبا منه أو بعيدا عنه ، فما دام يطلب العون وهو قادر على توصيل هذا العون له ، فيجب عليه القيام بذلك ، وقد وردت آيات وأحاديث تحث على تأدية هذا الواجب .

ففى باب الوصية بالوالدين يقول الله تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

(الإسراء : ٢٣ - ٢٤)

ولا ينبغى أن تتأثر معاملة الابن لوالديه باختلاف العقيدة ، فلا يكون تباين العقيدة أو الرأى سببا فى الإساءة إليهما ، يقول الله تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (العنكبوت : ٨)

وفى آية أخرى يقول له :

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (لقمان : ١٥) .

أى : على الرغم من كفرهما ومحاولة ثنيك عن الإيمان بالله ، ينبغى أن تعاملهما برفق ، وأن تقدم لهما العون ، فتذلل كل عقبة تعترض سبيلهما ، وتلبى رغباتهما ، إذ معنى المصاحبة أن تساعدهما على تخطى ما يعترضهما من صعاب ، وأن تكون لطيفا فى معاملتك لهما .

وكما وصى القرآن الكريم الأبناء بالإحسان إلى

الآباء ، فرض على الآباء حسن تربية الأبناء ، فأمر بأن يختار الأب لابنه أفضل الأمهات ، بمعنى : أن يحسن اختيار زوجته ، التى ستكون أما لأولاده ، حتى لا يجد الأبناء غضاضة فى نسبتهم إليها ، أو يشعروا بمنقصة ، لو كان فى حياة الأم ما يشينها فى المجتمع ، وذلك امتثالا لقول رسول الله ـ ﷺ : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس[1] » . كذلك أوصاه بأن يختار لأولاده أحسن الأسماء ، فلا يطلق عليهم أسماء تحمل فى معانيها جانبا من جوانب الانحطاط فى المجتمع ، أو تبعث على السخرية والاستهزاء بهم ، وأن يسعى سعيا حثيثا فى عمله حتى يهيىء لهم تربية حسنة ، سواء كان ذلك فى المأكل ، أو الملبس ، أو المسكن ، وأن يعمل جاهدا على تعليمهم وتثقيفهم بقدر المستطاع حتى يكونوا أعضاء صالحين فى المجتمع ، يستطيعون كسب قوتهم بعد بلوغهم سن العمل ـ من عمل شريف ، فيقدمون بذلك خدمة لمجتمعهم ، ولأمتهم ، ولا ينسى الأب فى جميع مراحل تربيتهم أن يكون رحيما بهم ، عطوفا عليهم ، مرشدا لهم إلى الطريق المستقيم ، وصدق رسول الله ـ ﷺ : إذ يقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا[2] فالرحمة بالصغير تشمل فيما تشمل حسن تربيته وتعليمه ، والمحافظة عليه من قسوة الدهر صغيرا ، ورعايته وتوجيهه شابا ، والإبقاء على حسن العلاقة معه كهلا .

أما العلاقة بين الزوج وزوجته ، فقد رسمها القرآن الكريم على أساس حسن المعاشرة ، ورعاية كل منهما لحقوق الآخر ، وقيام كل طرف بما عليه من واجبات تجاه الآخر ، فلو التزم الجانبان بما رسمه القرآن الكريم لهما ، لرفرفت أجنحة السعادة على حياتهما الزوجية ، ولعاشا فى حب وسعادة ، يحدوهما الأمل فى المستقبل ، ويحف بهما النجاح فى كل ما يباشرانه من أعمال .

فقد وصى الإسلام الرجل أن يظهر لخطيبته ما يؤكد لها أنه يحبها ، وذلك يكون ـ بالإضافة إلى الظواهر العاطفية ، التى تبدو على ملامح الخطيب عند اللقاء ـ بتقديم الهدايا لها ، ولو كانت غير ذات قيمة من الناحية المادية ؛ لأن قيمتها بين المحبين تكمن فيما تعبر عنه من مشاعر تجاه الطرف الآخر ، يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « التمس ولو خاتما من حديد[3] . . أى : أعطها شيئا حتى ولو كان ما تعطيه خاتما من حديد ، لأن ذلك يغرس فى قلبها المودة والمحبة ، وما يشاع فى الغرب عن الإسلام من أنه فرض مهرا على الرجل ليشترى به المرأة ليس صحيحا ، لأن المهر ليس إلا رمزا للحب والائتناس بالزوجة ، حيث يشعرها بأنه راغب فيها ، ومستعد للتضحية فى سبيل إرضائها ، وما يقدمه لها هو ملكها ، لا يأخذه أحد منها ، فلا ينطبق عليه أركان الشراء الذى يزعمونه .

فإذا انتقلت معه إلى بيت الزوجية ، فإن السلوك القائم على احترام كل للآخر ، وحفظ حقوق كل طرف ، هو الإطار الذى رسمه الإسلام للحياة الزوجية ، فقد أعطى المرأة الحق فى أن تحتفظ بمالها لنفسها ، وتستثمره كما تشاء

(١) نص الحديث فى ابن ماجه : تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء ، وانكحوا إليهم » .

(٢) رواه ابو داود واحمد .

(٣) رواه البخارى .

دون أن يتدخل الرجل ، فى فرض رأى عليها ، أو إرغامها على اتجاه معين ، فهى مستقلة فى المعاملات المادية استقلالا تاما ، أما إذا تنازلت هى عن هذا الحق عن طيب خاطر لزوجها ، فلا يحرم الإسلام عليها ذلك .

كذلك يفرض الإسلام على الرجل القيام بكل ما تتطلبه المعيشة من نفقات ، دون أن يفرض على المرأة شيئا من ذلك ، غير أنه حثها على مساعدة الزوج فى هذا الجانب إذا كان دخله لا يكفى لمتطلبات الحياة ، وذلك لا يكون من باب الإلزام ، الذى يؤخذ بحق القانون والمقاضاة ، بل من باب حسن المعاشرة ، فما دامت هى شريكة حياته ، فينبغى عليها من باب الإنسانية ، أن تقدم له يد المعونة إن كان هو فى حاجة إلى ذلك ، وإلا أصبحت الحياة بينهما فاترة إن لم تصل إلى حد التنافر والتشاحن ، وذلك مخالفة لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ حيث يقول :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء : ١٩) .

وكما فرض الإسلام على الرجل الإنفاق على بيت الزوجية ، لأن الغالب الأعم فى المجتمعات البشرية أن الرجل هو الذى يسعى لكسب قوت الأسرة ، فرض على المرأة أن ترعى شئون البيت ، وتربية الأولاد بما يضمن للحياة الزوجية عيشة سعيدة ، فإن شاركت المرأة الرجل فى السعى على الرزق ـ أى : إذا خرجت للعمل ـ فيجب على الرجل ألا يتركها تتحمل العبء وحدها مضاعفا ، بمعنى ألا يتركها تعمل وترعى البيت دون أن يشاركها على قدر المستطاع ؛ لتخفيف العبء عنها ، ولا ضير فى ذلك ، فقد سئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عما كان النبى ـ ﷺ ـ يصنع فى بيته ، فأجابت : « كان [يكون] فى مهنة أهله ـ تعنى خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة »(٤) . . . فيستفاد من هذا الحديث أن النبى ـ ﷺ ـ كان يساعد أهل بيته فيما يقومون به داخل البيت . وعليه فإذا خرجت المرأة إلى العمل ؛ لتساعد فى تحسين الحياة المادية ، فلا أقل من أن يؤدى الرجل ما يخفف عنها عبء العمل ؛ لأن ذلك من حسن المعاشرة التى وصى الله بها فى كتابه العزيز .

فلو التزم كل فرد فى الأسرة بتأدية ما عليه من واجبات إزاء الآخرين ، وحفظ حقوق كل فرد فى الأسرة ، سواء فى ذلك : الآباء والأبناء لقامت الخلية الأولى فى المجتمع على أساس متين ، ولأرسيت قواعد متينة فى مجال الأخلاق ، مما سيكون له أثر فعال فى معاملة أفراد الأسرة مع بنى وطنهم من الأسر الأخرى .

فإذا انتقلنا من الأسرة إلى دائرة أوسع فى المجتمع ، لوجدنا أن الإسلام وصى خيرا بذوى القربى ، وأمر بالمحافظة على صلة الرحم ، فقال الله تعالى :

﴿ وَأُوْلُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (الأنفال : ٧٥) .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »(٥) . . لأن من لا يرحم قريبه فهيهات أن يكون فى قلبه رحمة لمن لا يمت إليه بصلة قرابة ، ومن لا يقدم العون لمن

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه ابن ماجه والدارمى وابو داود .

هو أقرب إليه من غيره ، فنادرا ما تكون لديه العاطفة التى تدفعه إلى مد يد المعونة لمن يحتاج إلى المساعدة ، ومن انتزعت من قلبه الرحمة على أهله ، وذوى عشيرته ، فقد فقد الشعور الذى يوجهه إلى العطف على الآخرين من بنى جنسه ، ولهذا كان منهج الإسلام فى تربية الفرد قائما على أساس تعويد الإنسان على العطف والحنان ، لمن يليه فى القرابة أولا ، لأن ذلك أقرب وأسرع فى غرس مبدأ الانتماء إلى المجموع ، ذلك الانتماء الذى يشعر الفرد بأن كيانه مرتبط بوجود الهيئة الكلية لعشيرته ، فيدفعه ذلك إلى المحافظة على كل فرد منها ، ويغرس فيه حب التعاون حتى لا يتصدع الكيان الذى ينتمى إليه ، فيكون فى ذلك فناء وضياع لذاته أيضا .

ولم يطلب الإسلام من المسلم أن يرعى أقرباءه من الجانب المعنوى فقط ، بل حثه على تقديم العون المادى لهم ، لا على اعتبار أن ما يقدمه لهم من باب الإحسان على الفقراء والمساكين ، بل من زاوية أنهم أقرباؤه ، لهم حق فى ماله ، ماداموا عاجزين عن كسب ما يقتاتون به ، يقول الله تعالى :

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم : ٣٨)

ويقول :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة : ٢١٥)

ويقول :

﴿ • لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ (البقرة : ١٧٦)

فيفهم من تقديم حق ذوى القربى فى هذه الآيات على حق غيرهم من الفقراء ، أن لهم المنزلة الأولى فى تقديم العون المادى لهم ، إن كانوا فى حاجة إليه ، وما ذاك إلا لأن الإسلام يريد أن تبنى هذه العلاقة على أساس متين ؛ لأنها اللبنة الثانية - بعد لبنة الأسرة الصغيرة - فى المجتمع ، ولا يستقيم حال أى مجتمع ويشتد عوده إلا إذا كانت الوحدات التى يتركب منها صلبة قوية ، قادرة على مواجهة تيارات الحياة ، وتقلبات الزمن التى تقصف بكل بناء مفككة أوصاله ، وممزقة خيوط الروابط الأسرية فيه ، ولهذا جعل لكل من يقدم شيئا لقريبه أجران : أجر القرابة ، وأجر الصدقة ، فقد روى النسائى ، والترمذى ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « الصدقة على المسكين صدقة .. وهى على ذى الرحم ثنتان : صدقة وصلة » ..

كما حث الإسلام على رعاية حق الجار ، سواء كان ذلك فى المعاملة ، أو فى تخفيف ما يعانيه الجار من نوائب الدهر ، وكوارث الزمن ، إذ من حق الجار على جاره ألا يصدر منه ما يؤذيه ، أو ينغص عليه صفو هدوئه ، فلا يحدث أصواتا تزعجه ، ولا يأتى من الأعمال ما يلحق الضرر به ، وذلك تنفيذا لأمر الله - سبحانه وتعالى - فى كتابه العزيز حيث يقول :

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ ﴾

(النساء : ٣٦)

فجاءت الوصية بالجار مع الوصية بعدم الإشراك بالله فى آية واحدة ، وما ذاك إلا لأهمية علاقة الإنسان بجاره فى التعاليم الإسلامية ، لأنها الحلقة التالية ـ بعد حلقة ذوى القربى ـ فى السلسلة الاجتماعية ، التى ينبغى أن تكون متماسكة ، لتقوم الحياة على أساس متين ، وركيزة قوية ، ومما يؤكد أمر الإسلام بالإحسان إلى الجار قول رسول الله ـ ﷺ ـ فيما ترويه عائشة ـ رضى الله عنها : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٦] . .

فالإسلام يطلب من المسلم أن يتأدب مع جاره ، والمشارك له فى السكن ، سواء كان هذا الجار مسلما ، أو غير مسلم ، إذ يروى أبو ذر عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهم ـ : أنه ذبحت شاة فى بيته ـ أى : بيت عبد الله بن عمر ـ فقال : أأهديتم لجارى اليهودى ؟ فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . .

فلا يجوز لمسلم أن يأتى من الأفعال ما يؤذى جاره ، فلا يستعمل جهاز الراديو أو غيره من الأجهزة على نحو يزعج جاره ، أو يعكر عليه صفو هدوئه ، أو يقلقه فى فترات الراحة ، أو يشوش عليه أثناء عمله ، الذى يحتاج إلى جو هادىء ، كذلك لا يستخدم النوافذ والشبابيك استخداما يسىء إلى أحد من جيرانه ، ولا يستعمل سيارته بطريقة تقلق النائمين أو تضايق الناس فى مساكنهم ، فتحول بينهم وبين الاستمتاع بالهدوء والراحة ، لأن من يفعل ذلك ، فإنه يرتكب إثما ، قد يخرجه عن حظيرة الإيمان الكامل ، لما يرويه أبو شريح عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه[٧] . . كما ذكروا لرسول الله ـ ﷺ ـ امرأة تصلى الكثير ، وتقوم الكثير ، ولكنها تؤذى جيرانها فقال : « هى فى النار » .

كل ذلك ينطوى عليه الأمر بالإحسان إلى الجار ، ذلك أن الإحسان يشمل ـ فيما يشمله عدم إيذاء الجار ، أيا كان نوع هذا الإيذاء ومصدره ، كما يتضمن محاولة التخفيف عنه ، إذا ألم به كرب ، ومساعدته فى حالة احتياجه إلى المساعدة ، فلو ألمت بأحد مصيبة فى عزيز لديه ، أو فيما عنده من مال وجب على الجيران أن يهرعوا لمساعدته كل على قدر طاقته ، وكذلك لو كان فقيرا ، ليس عنده ما يقتات به ، فجيرانه مطالبون بالوقوف معه لاجتياز محنته ، فإن كان فى حاجة إلى عمل ، وجب على من يقدر على تدبيره له ، أن يقوم بهذا الواجب ، وإن كان عاجزا لا يقدر على كسب قوته وجب عليهم العمل على تدبير ما يقتات به ، ولا يتركونه يموت جوعا ، يقول رسول الله ـ ﷺ : « والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم »[٨] .

ومن الأحاديث التى فصلت حق الجار على جاره ، ما رواه معاذ بن جبل ، قال : قالوا : يارسول الله : ما حق الجار على جاره ؟ قال : إن

(٦) رواه البخارى .
(٧) رواه البخارى .
(٨) انظر : مسند احمد

استقرضك أقرضته ، وإن استعانك أعنته ، وإن مرض عدته ، وإن احتاج أعطيته ، وإن افتقر عدت عليه ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ، وإذا مات أتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بريح قدرك إلا أن تغرف له ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا تخرج بها ولدك ؛ ليغيظ بها ولده »[9] . .

هذه هى العناية بالجار . . وهى الدعامه الأساسية فى تكوين المرحلة الأولى لوحدة الجماعة . إذ لو قامت وحدة بين الجار وجاره على أساس من المعاونة والمشاركة النفسية ، والوجدانية والمادية ، لأصبحت الجماعة التى تشيع فيها هذه الروح بين أفرادها من أشد الجماعات قوة واتحادا ، وأكثرها إيجابية فى حياتها الخاصة والعامة ، وأصلبها عودا فى مواجهة الأزمات ، وأوفرها إنتاجا فى المجالات المختلفة ، فتكون أسرع فى بناء صرح الحضارة الإنسانية ، التى تنشدها كل شعوب الأرض .

إن الإسلام حين يوصى بالجار خيرا ، لا ينشد إلا سعادة الناس ، التى تنبع أساسا من الطمأنينة فى الحياة ، ولا شك أن إحساس الإنسان بأنه لن يضيع بين جيرانه لهو المصدر الأساسى فى وجود الطمأنينة التى تساعد على العمل المثمر ، فتسعد القلوب ، وتطمئن النفوس .

لم تقتصر تعاليم الإسلام على الحث على رعاية ذوى القربى ، والجار فقط ، بل شملت ـ أيضا ـ الوصية بأن تكون المعاملة بين المسلمين ـ أيا كان موقعهم فى المجتمع ـ قائمة على مبدأ الأخوة التى تقتضى أن يحافظ الإنسان على شعور أخيه ، وأن يكون عونا له ، عندما يحتاج إلى مساعدة ، وذلك بأن يقف بجانبه عند الشدائد ، ويشد أزره فى الملمات ، ويكون درعا يقيه شر المصائب ، وذلك امتثالا لقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[10] . .

فلا يكمل الإيمان إلا إذا أحس المؤمن أنه عضو فى كيان كلى : هو المجتمع ، وأن من واجبه المحافظة على أفراد هذا الكيان ، كما يحافظ على ذاته ، لأن وجود ذاته لا يتحقق إلا إذا كان الكيان الكلى الذى ينتسب إليه ـ وهو المجتمع ـ سليما كله ، لا يعتوره ضعف فى أى جانب من جوانبه ، ولا تتفكك أوصاله بسلوك كل فرد طريقا خاصا به ، بعيدا عن الجماعة ، وقد حذر الرسول من هذا العمل بقوله : « فإنما يأكل الذئب القاصية »[11] .

كذلك لا يكون الإيمان صحيحا إلا إذا قامت العلاقة بين المسلمين على أساس من الصدق فى الشعور ، فلا تكون المعاملة قائمة على الخداع والمواربة ، والتناقض بين الظاهر والباطن ،

---

(٩) اتحاف السادة المتقين للزبيدى (٣٠٨/٦ ، ٣٠٩ .
(١٠) البخارى .
(١١) النسائى .

والتضاد بين ما يخفى وما يعلن ، فالمؤمن بالنسبة لأخيه صفحة بيضاء واضحة نقية ، لا تنطوى على جوانب سيئة ، فكما حارب الإسلام الخداع فى علاقة المسلمين بالله ، فطلب منهم أن يكونوا مخلصين فى عبادته فى قوله تعالى :

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾
(الزمر : ٢ - ٣) .

نصحهم - أيضا - بألا تنطوى قلوبهم على الغش والخديعة لغيرهم ، فبشر من يصفى قلبه من الأمراض ، التى تهز وحدة المجتمع ، وتهدد كيانه ، بأن الجنة مكفولة له يوم القيامة ، إذ يروى أنس - رضى الله عنه - قال : قال الرسول ﷺ : « إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل » ثم قال لى : « وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

ومما يشاع بين الناس من أن الخداع ضرب من الكياسة فى المعاملة ، هو فى واقع الأمر مكر سيىء ، يحاربه الإسلام ، ويدعو إلى نبذه فى العلاقات الاجتماعية ، بل يحتقر كل من يمارسه بهذه الصورة مع إخوانه فى المجتمع ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾
(القلم : ١٠ - ١١) .

فبهذه الآية الكريمة ينصح المولى - عز وجل - رسوله الكريم بتجنب كل من يسعى إلى الإفساد فى مواربة وخداع ، لأنه إنسان مهين حقير ، لم يرع حقوق إخوانه فى المجتمع ، ولم يحافظ على الروابط الاجتماعية المقدسة ، فسعى إلى الإفساد فيما بينهم ، فارتكب بذلك جرما فى حق الجماعة ، يحتم على كل من يراه أن يحاربه ، ومن أسلوب المحاربة : تجنب هذا الذى يسعى إلى تمزيق العلاقة الأخوية بين الناس .

ويندرج تحت هذا النوع من الخداع ما يعتبره البعض نوعا من اللباقة الدبلوماسية ؛ لأنه عمل ينطوى على الغش والخداع ، الذى يحاربه الإسلام ، فالذى يعلن صداقته للدين وهو يحاربه : مخادع ، والذى يعلن عشقه للحرية الفردية ، أو الشعبية ، وهو شاهر سيفه : مخادع ، والذى يعلن تودده للفقراء ، وهو ممسك عنهم البذل والإعطاء : مخادع ، والذى يعلن حبه للإنسانية ، وهو جلاد أو مستغل : مخادع ، والذى يعلن حسن العلاقة بينه وبين القيم الرفيعة ، والفضائل الإنسانية ، وهو مادى منحرف فى ماديته : مخادع .

فالخداع من أفتك الأمراض ، التى تهدد وحدة المجتمع ، إذ يقطع العلاقة بين أفراده ، ويمزق الروابط التى يقوم عليها بناء الحياة الاجتماعية ، فتقطع أوصال الأمة ، بحيث لا تقوى على بناء ، ولا تستطيع المحافظة على ما لديها من إنجازات حضارية ، بل ينهار كل ما عندها بمجرد وجود هذه الظواهر الاجتماعية ، التى تفكك تماسك الأمة وترابطها ، ومن هنا جاءت آيات عديدة فى القرآن الكريم تحذر المسلمين من العادات السيئة ، التى تؤثر على وحدة الأمة وتماسكها ،

فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ (الأنفال : ٤٦) .

وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وقال :

﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾

(النمل ـ ٥٠ ـ ٥١)

فالخداع نوع من أنواع المكر ، وهو من أكثر الأسباب فتكا بوحدة الأمة ، إذ هو يفرقها شيعا وأحزابا ، ويمزقها زمرا وأنسابا ، ومن هنا كان لابد من الالتزام بما أوصى الله به ؛ لأنه لو نفذ المسلمون ما أمر الله به ، فى مجال العلاقات الاجتماعية ، لصار المجتمع وحدة صلبة ، لا تؤثر فيها عواصف الزمن ، ولا تنال منها كوارث الدهر ، وقد جاء التعبير عن هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

وبجانب الوصية بأن تكون المعاملة بين الناس قائمة على الصدق والصراحة ، أمر الإسلام المؤمنين بألا يقفوا موقفا سلبيا إزاء ما يحدث بين إخوانهم ، من نزاعات وخصومات ففرض عليهم التدخل بين المتنازعين بغية الإصلاح فيما بينهم ، فإن تجاوز واحد الخصمين الحدود المشروعة ، فأبى إلا أن يستمر فى المنازعة مع خصمه ، فعلى المسلمين أن يوقفوه عند حده ، ولو اقتضى الأمر قتاله ، يقول تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾

(الحجرات : ٩ ـ ١٠)

كذلك أوصى الإسلام بتحقيق العدالة الاجتماعية فى المجتمع ، فلا يجوز لذى قوة وبطش فى المجتمع أن يستغل هذا المركز فى أكل حقوق المواطنين ، ولا يحل لصاحب مال أو جاه أن يستخدمه فى استغلال الناس واستعبادهم ، ولا ينبغى لمن بيده مصادر الطعام والشراب أن يتصرف فيهما على نحو يسىء إلى المواطنين ، فكل قادر على تخفيف آلام الناس وتسهيل الحياة عليهم ، وجب عليه أن يقدم ما عنده للمحتاج إليه ، فعلى من يملك المال ، ويباشر استثماره ، أن يراعى أن للآخرين من أفراد المجتمع المحرومين العاجزين عن العمل حقا يتعين عليه أداؤه ، دون انتظار مقابل منهم ، يقول الله تعالى :

﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾

(الحديد : ٧)

ويقول :

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾

(المعارج : ١٩ - ٢٥)

وقد ذكر القرآن الكريم الأصناف الذين يحتاجون إلى العون المادى فقال :

﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

(التوبة : ٦٠)

هذا بالإضافة إلى أنه مطالب بإعطاء من يعمل معه حقه بالكامل ، فلا يبخسه أجره على عمل يؤديه ، ولا يكلفه أكثر من طاقته فى العمل ، وإن احتاج إلى عون فى أدائه شاركه فيه ، يقول رسول الله ﷺ : « إخوانكم خولكم (أى خدمكم) . . أطعموهم مما تطعمون أنفسكم ، واكسوهم مما تلبسون ، وإن كلفتموهم بأمر لا يطيقونه فأعينوهم على أدائه[١٢] .

ويأمر الإسلام صاحب المال الذى يتعامل مع الناس بألا ينقصهم الكيل والميزان فى البيع والشراء ، ولا يخدعهم ، أو يغشهم فى العقود ، التى يبرمها معهم ، ولا يكرههم بطريق مباشر ، أو غير مباشر ، على قبول ما يلحق الضرر بهم . يقول الله تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾

(هود : ٨٤)

ويقول :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾

(المطففين : ١ - ٣)

فإذا قامت العلاقة بين المواطنين على أساس الشعور بالأخوة ، فحافظ كل فرد على حقوق الآخرين ، الذين يعيشون معه فى المجتمع ، وبذل من يقدر على العطاء للمحتاجين كل ما من شأنه أن يخفف عنهم عبء الحياة ، والتزم جميع الأفراد بالتواصل بالخير ، والنهى عن المنكر ، لأصبح المجتمع متماسكا قويا ، قادرا على الإنجازات الحضارية ، فى جميع الميادين ، وذلك ماينشده الإسلام للمجتمعات الإنسانية .

---

(١٢) رواه البخارى .

الإسلام وتكريم الإنسان

لفضيلة الشيخ :
أحمد بن محمد طاحون

درس للفرس:

المغيرة بن شعبة أحد دهاة العرب المسلمين الذين تربوا فى مدرسة الدعوة المحمدية ، وعمقت فى شعوره ، وفى ضميره مبادىء الدين الحنيف . . المغيرة بن شعبة لقن قادة الفرس وشعبه فى موقف خاطف درسا كان له أثره العميق ، ودلالاته البعيدة ، إذ وجدهم يكادون يؤلهون قادتهم وأمراءهم ، ويرفعون أقدارهم فوق أقدار العوام من سائر الناس ، فماذا كان من أمر المغيرة مع الفرس وقادتهم ؟

لقد كان المغيرة سفير المسلمين إلى قادة الفرس يعرض عليهم : الإسلام أو الجزية أو الحرب .

فلما دخل المغيرة على رستم بطل الفرس المشهور فى التواريخ والأساطير جلس معه على سريره ، ففزع أعوان رستم ، واستكبروا هذه الجرأة من ذلك البدوى ذى المظهر البسيط ، فاجتذبوه من مكانه على السرير فى عنف شديد فما اهتز المغيرة ، ولا تغير ، ولا استكان ولا أخذته رهبة المظهر ، أو أسوة اللقاء . . ولكنه وقف وفى هدوء وعمق لقنهم درسا فى بناء الأمم ، وسياسة الشعوب إذ قال لهم : « لقد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ـ العقول ـ ولا أرى أسفه منكم ، إنا معشر المسلمين ، لا يستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ـ أى نتساوى ـ فكان أحسن من الذى صنعتموه معى ، أن تخبرونى ، أن بعضكم أرباب بعض . إن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، ولا يصنعه أحد ، وإنى لم آتكم ، ولكن دعوتمونى ، اليوم علمت أنكم مغلوبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول » .

يا أخى المسلم : إنها كلمات من ذهب ولو كان فيمن سمعها من الفرس ، من يضارع المغيرة لقال فى جوابه : واليوم علمنا أنكم أيها المسلمون غالبون ، وأن أحق الملك أن تقوم له قائمة لهو الملك الذى قوامه من هذه السيرة ، ومن هذه العقول .

فالمغيرة بن شعبة يدرك بثاقب فكره ، علة العلل فى انهيار دولة كبرى كدولة فارس . . حين لمح الفزع ينتاب وجوه القوم ، لما فوجئوا برجل أعرابى ، بسيط المظهر ، يجرؤ على أن يكون جليس رستم القائد المقرب وفى سرير واحد وهذا أمر ما ألفه شعب فارس ، ولا سمع عنه فى آبائه الأولين . . ولكن المغيرة وهو متخرج من مدرسة محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يترك الموقف حتى يكشف لهم جانبا من أخلاق الإسلام فى المساواة ، والإخاء وكيف أن الإسلام بهذا الخلق ، وبهذه السيرة الكريمة العطرة سيزيل كل البقايا العفنة لاسترقاق الإنسان ، والتعالى عليه وقد كان .

الإسلام رحمة :

نقرأ هذا أيها الإخوة عن حضارة فارس ، ونتأمله لنرى البون الشاسع ، بين ما كان عليه البشر قبل الإسلام ، وبين ما صاروا إليه بعد أن بعث الله إلى الناس كافة رسوله وحبيبه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، إذ رفع عن كاهل الناس نير الظلم ، وساوى بينهم ، ورفق بضعافهم ، وجعل العلاقة بينهم قائمة على المودة ، والاحترام المتبادل ، ورعاية الحقوق وصارت منزلة الإنسان تقاس بنقاء نفسه ، وصفاء روحه ، وصلاح دينه وتقوى قلبه ، وصار أكرم الناس ، وأعز الناس هو الذى يقول فيه المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ موجها ومرشدا : « من أحب أن يكون أكرم الناس ، فليتق الله ، إن خياركم أحاسنكم أخلاقا ، وأحبكم إلى الله ، أنفعكم لعباده » .

لا فضل إلا بالتقوى والصلاح :

فتقوى الله ، وحسن الخلق ، ثم جهود الفرد من خدمة الجماعة ونفعها ، وسعيه فيما يصلح شأنها . « ذلك هو الميزان الذى توزن به الأقدار ، ويكون به فضل المرء ورجحانه . . لا مجرد الحسب ، أو النسب ، أو الجاه والنسب فالناس جميعا عائلة واحدة والميزة بينهم تكون بتقوى الله ، والصلاح .

مساواة :

ولنتأمل الخبر التالى لنرى كيف كان الرسول الهادى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يربى أصحابه على هذا النمط العالى من السمو الإنسانى :

روى جندب بن جنادة الغفارى عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قاولت رجلا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت له : ياابن السوداء ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « طف الصاع طف الصاع ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل » قال أبو ذر : فاضطجعت وقلت للرجل : قم فطأ على خدى .

تطبيق عملى :

ثم لننظر فى الخبر التالى لنرى كيف كان أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطبقون آداب النبوة ، ويتخذون سنته وهديه قانونا لحياتهم فما كانت مبادىء الإسلام إلا لتطبق ، وما كانت السنة النبوية وآدابها إلا لتحتذى : فقد اجتمع بباب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سهيل بن عمر ابن الحارث ، وأبو سفيان بن حرب فى جمع من سادة العرب ينقطع ندهم بين العظماء وكان ممن حضر إلى باب عمر فى نفس الوقت صهيب

الرومى وهو مولى أجير ، وبلال الحبشى وهو مولى فقير أيضاً ، ولكنهما كانا من السابقين إلى الإسلام ، وشهدا بدراً فأذن لهما عمر رضى الله عنه - قبل علية القوم . . فضجر أبو سفيان بن حرب وغضب وقال لصاحبه : لم أر كاليوم قط يأذن عمر لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ؟ أما صاحبه سهيل فكان حكيما فقال موجها الكلام لأبى سفيان وأصحابه : أيها القوم إنى والله أرى الذى فى وجوهكم . إن كنتم غضابا ، فاغضبوا على أنفسكم ، دعى القوم إلى الإسلام ، ودعيتم ، فأسرعوا ، وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم ؟ » .

وعمر - رضى الله عنه - إنما يقدم من يقدمه عمله وسبقه إلى الإسلام ، ويؤخر من يؤخره عمله ، ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللائمين .

عاتب الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - :

ألم يسمع عمر - رضى الله عنه - نبيه وحبيبه وقدوته - صلى الله عليه وسلم - حين كان يلقى عبد الله ابن أم مكتوم ، فيبتسم له ويقول : أهلا بمن عاتبنى الله فيه . . أهلا بمن عاتبنى الله فيه . ولم عاتب الله سبحانه وتعالى نبيه ؟ لقد عاتبه سبحانه وتعالى حين أقبل عليه السلام على جماعة من علية القوم يدعوهم إلى الإسلام ، وجاءه ابن أم مكتوم الأعمى ، يسأله ، ورسول الله مقبل على القوم ، ومعرض عن عبد الله فأنزل الله على نبيه :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾

سورة عبس ١ - ١٠ .

ألا ما أعظم هذه الدروس أين نحن المسلمين من آداب الإسلام أو من أخلاق نبى الإسلام ونحن فى عصرنا الحاضر أحوج إلى هذه الدروس ، وأحوج إلى الاقتداء بنبى الهدى والرحمة لنعيد إلى أمة الإسلام سيرتها الأولى أمة واحدة تدين نفسها بالمثل العليا ، وبالمبادىء الخالدة وبأخلاق النبوة الهادية وتعتصم بحبل الله ، وتأخذ نفسها بدستور الإسلام فى كل شئون حياتها وبذلك نكون نحن المسلمين جديرين بالانتماء إلى الإسلام ، وإلى نبى الإسلام .

حاجة عصرنا إلى الإسلام :

لقد آخى الإسلام بين بنى البشر إخاء كريما قائما على أسس سليمة وقويمة ، فالإنسان كرمه الله - عز وجل - والعلاقة بين الناس ينبغى أن تقوم على الاحترام ورعاية الحقوق وأداء الواجبات ؛ ومن حق كل من يعيشون فى ظلال دولة الإسلام أن يجدوا الأمن والعدل والمواساة ، وأن يحيوا حياة كريمة ، مع اختلاف الدين ، وتباين اللغات والألسنة والله - عز وجل - يقول لعباده :

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ **(الممتحنة ٨)**

وفى ظلال دولة الإسلام يرفق الناس بعضهم ببعض ، ويتواضع بعضهم لبعض ، ويرحم قويهم ضعيفهم ، ويواسى غنيهم فقيرهم فلا ترفع ولا تكبر بسبب الجنس أو اللون أو الدين . .

فما أحوج عصرنا هذا إلى الإسلام ومبادئه العالية .

من قادة الخلفاء الراشدين

الفاروق عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

٤

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

ثم ورد إلى أبى عبيدة كتاب من عمرو بن العاص الذى كان يعسكر بالجيش فى الجابية جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أهل إيليا وكثيراً ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم ، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضها وقضيضها ، وإنكم قد خليتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها ، وأقبلتم منصرفين عنها ، وقد جرأهم ذلك علىّ وعلى من قبلى من المسلمين . وقد تراسلوا وتواثقوا وتعاقدوا ليسيرن إلىّ . فاكتب إلىّ برأيك . فإن كنت تريد القدوم علىّ أقمت لك حتى تقدم . وإن كنت تريد أن تنزل منزلا من الشام أو من غيرها وأن أقدم عليك ، فأعلمنى برأيك أوافك فيه ، فإنى صاير إليك أينما كنت . وإلا فابعث إلى مددا أقوى بهم على عدوى ، وعلى ضبطى ما قبلى ، فإنهم قد أرجفوا بنا ، واغتمزوا فينا ، واستعدوا لنا . ولو يجدون فينا ضعفاً ، أو

يرون فينا فرصة ما ناظرونا . والسلام عليك »[1] .

فكتب إليه أبوعبيدة بن الجراح :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فقد قدم علىّ عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين واستعدادهم لك وجرأتهم عليك للذى بلغهم من انصرافنا عن الروم وما خلينا لهم من الأرض . فإن ذلك ، والحمد لله ، لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم ، ولا وهن من عدوهم ، ولكنه كان رأياً من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ، ليخرجوهم من مداينهم وحصونهم وقلاعهم ، وليجمع بعض المسلمين إلى بعض ويجمعوا من أطرافهم وينضم إليهم من كان فى قربهم . وينتظرون قدوم أمدادهم عليهم ، ثم يناهضونهم إن شاء الله تعالى . وقد اجتمعت خيلهم ، وتتامت فرسانهم ، وثقتنا بنصر الله أولياءه وإنجاز موعده وإعزاز دينه وإذلال المشركين حتى لا يمنع أحدهم أمه ولا خليله ولا نفسه حتى يتوقلوا فى رؤوس الجبال ، ويعجزوا عن منع الحصون ، ويحتجوا للسلم ويلتمسوا الصلح . وسنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً . ثم أعلم من قبلك من المسلمين أنى قادم عليهم بجماعة أهل الإسلام إن شاء الله ، فليحسنوا بالله الظن . ولا يجدن أهل حربكم وعدوكم فيكم ضعفاً ولا وهناً ولا فشلاً ، فيغتمزوا فيكم ، ويتجرأوا عليكم ، أعزنا الله وإياكم بنصره ، وألبسنا وإياكم عافيته وعفوه والسلام عليك »[2] .

وفى تلك الأثناء احتشدت جيوش الروم قرب أجنادين يقودهم أحد دهاتهم ويدعى (أرطبون) فلما علم عمر بن الخطاب بذلك كتب إلى عمرو ابن العاص يأمره بالمسير إليه وقال قولته المشهورة « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » .

وسار عمرو بالجيش على ميمنته ابنه عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وعلى ميسرته جنادة بن تميم المالكى من بنى مالك بن كنانة ، ومعه شرحبيل بن حسنة ، حتى وصل إلى الرملة حيث كان الروم .

ومكث عمرو زمنا لا يقدر على (أرطبون) ، فتسلل إلى معسكر الروم قاصدا مقابلة (أرطبون) على أنه رسول قائد جيش المسلمين عمرو بن العاص ، قاصدا من ذلك التعرف على جيش الروم لعله يجد ثغرة ينفذ إليهم منها ، فلما لقيه أرطبون أيقن من حواره معه أنه هو نفسه عمرو بن العاص وقرر أن يقتله وفطن عمرو إلى ذلك فقال للأرطبون : « أيها الأمير إنى قد سمعت كلامك وسمعت كلامى ، وإنى واحد من عشرة بعثنا عمر ابن الخطاب لنكون مع هذا الوالى لنشهد أموره وقد أحببت أن آتيك بهم ليسمعوا كلامك ويروا ما رأيت » فوافق الأرطبون وترك عمرا يرحل فقام

(١) الوثائق السياسية ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

عمرو فذهب إلى جيشه ، وتحقق أرطبون من أنه عمرو بن العاص فقال : « خدعنى الرجل هذا والله أدهى العرب وعلم عمر بن الخطاب بما حدث فقال : « لله در عمرو » وشهدت أجنادين قتالا مشهودا لم ينته إلى نتيجة حاسمة [1].

كتب عمرو إلى أهل إيلياء (بيت المقدس) يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيليا . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم الذى لا إله إلا هو ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم . أما بعد فإننا نثنى على ربنا خيراً ، ونحمده حمداً كثيراً ، كما رحمنا بنبيه - صلى الله عليه وسلم - ، وشرفنا برسالته ، وأكرمنا بدينه ، وأعزنا لطاعته ، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته . فلسنا ، والحمد لله ، نجعل لله ندا ، ولا نتخذ من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا . سبحانه . ونحمده ، جل ثناؤه . والحمد لله الذى جعلكم شيعا ، وجعلكم فى دينكم أحزاباً بكفركم ، فكل حزب بما لديهم فرحون . فمنكم من يزعم أن لله ولداً ، ومنكم من يزعم أن الله ثانى اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة . فبعداً لمن أشرك بالله ، وسحقاً . وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

والحمد لله الذى قتل بطارقتكم ، وسلب عزكم ، وطرد من هذه البلاد ملوككم ، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم ، وأذلكم بكفركم بالله وشرككم به ، وتركك ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله . فأعقبكم الله الجوع والخوف والذل والهوان بما كنتم تصنعون . فإذا أتاكم كتابى هذا فأسلموا تسلموا ، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتاباً ، أماناً على دمائكم وأموالكم ، وأعقد لكم عقداً تؤدوا إلىّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون . وإلا فوالله الذى لا إله إلا هو ، لأرمينكم بالخيل بعد الخيل وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة ، وأسبى الذرية ، وتكونوا كأمة كانت ، فأصبحت كأنها لم تكن » [2] .

فرد عليه أهل إيلياء بقولهم :

« أما بعد فإنك كتبت إلينا كتاباً تزكى فيه نفسك وتعيب ما نحن عليه . والقول بالباطل لا ينتفع به أحد نفسه ، ولا يضربه عدوه وقد فهمنا ما دعوتنا إليه . وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاءوكم . فإن أظهرهم الله عليكم ، فذلك بلاؤه عندنا فى القديم . وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فلعمرى ليقرن لكم بالصغار ، وما نحن إلا كمن قد ظهرتم عليه من إخواننا ، ثم دانوا لكم فأعطوكم ماسألتم » [3]

فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يقول : « إنى أعالج حربا كؤودا صدوما وبلادا ادخرت

(١) البداية والنهاية ٧/٦٠ ، ٦١ .
(٢) الوثائق السياسية ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٧٥ .

لك فرأيك » وكان أبو عبيدة وقد وصل إلى إيلياء على رأس جيشه فشدد مع عمرو بن العاص الحصار على إيلياء ، ولكنها امتنعت عليهم وأبى صاحبها ان يصالح أحدا سوى عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أبو عبيدة إليه يخبره بذلك ، فاستشار عمر الصحابة ، فأشار عليه عثمان بن عفان بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، فى حين أشار على بن أبى طالب على عمر بأن يسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم ، فهوى عمر ماقال على ومال إليه وسار على رأس جيش إلى الشام على مقدمته العباس بن عبد المطلب ، واستخلف على المدينة على بن أبى طالب .(1) .

ووصل عمر إلى حيث جيوش المسلمين حول إيلياء فتلقاه أبو عبيدة وهم بتقبيل يد عمر فهم عمر بتقبيل رجل أبى عبيدة فكف الاثنان ، ثم سار عمر إلى أهل إيليا وصالحهم وجاء فى كتاب الصلح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريتها ، وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيليا من الجزية ، ومن أحب من أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم ، وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .

شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة »(2)

استشهاد أبى عبيدة :

ماأن تم للمسلمين فتح الشام وجاء العام الثامن عشر للهجرة حتى فجع المسلمون بطاعون عمواس الذى انتشر فى أرجاء الشام ومات فيه ما يقرب من خمسة وعشرين ألفا ، على رأسهم أبو عبيدة عامر ابن الجراح قائد جيوش الشام الذى أبى إلا الشهادة وسط رجاله وكان بإمكانه الخلاص ذلك أن

(1) الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ٦٠٩/٣ .

(2) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ ٥٥٨/٢ .

الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - علم بأمر الطاعون فأراد أن يستخلص أبا عبيدة ، فكتب له : « أن سلام عليك ، أما بعد فقد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فإذا أتاك كتابى هذا فإنى أعزم عليك إن أتاك ليلا ألا تصبح حتى تركب ، وإن أتاك نهارا ألا تمسى حتى تركب إلى فإذا أنت نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يديك حتى تقبل »[1] .

فأدرك أبو عبيدة مقصد عمر فكتب إليه : « يا أمير المؤمنين قد عرضت حاجتك إلىّ وأنك تستبقى ماليس بباق وإنى فى جند من المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فىّ وفيهم أمره وقضاءه ، فحللنى من عزيمتك » .

فلما قرأ عمر الكتاب بكى ، فقال الناس : « ياأمير المؤمنين أمات أبو عبيدة ؟ » فقال : « لا ، وكأن قد »[2] .

ومعاذ بن جبل :

خلف معاذ بن جبل أبا عبيدة على جيوش الشام بأمر من أبى عبيدة قبل وفاته فكتب معاذ إلى أمير المؤمنين : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين من معاذ بن جبل ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فاحتسب امرءا كان لله أمينا وكان الله فى عينه عظيما ، وكان علينا وعليك ، يا أمير المؤمنين ، عزيزاً : أبا عبيدة بن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه وبالله نثق له ، كتبت إليك وقد فشى الموت وهذا الوباء فى الناس ولن يخطىء أحد أجله من الموت ، ومن لم يمت فسيموت جعل الله ما عنده خيرا لنا من الدنيا ، وإن أبقانا وإن أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ، ورضوانه وجنته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[3]

ولم تمض أيام على هذا الكتاب حتى تلقى عمر ابن الخطاب كتاب عمرو بن العاص ينعى فيه معاذ ابن جبل جاء فيه : « لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن معاذ ابن جبل رحمه الله مات ، وقد فشى الموت فى المسلمين وقد استأذنونى فى التنحى إلى البر ، وقد علمت أن إقامة المقيم لا تقربه من أجله ، وأن هروب الهارب منه لا يباعده عن أجله ، ولا يدفع به قدره ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته »[4] .

« يتبع »

(١) البداية والنهاية ٦٠/٧ ، ٦١ .
(٢) البداية والنهاية ١٠٣/٧/١٠٤ ، الطبرى ٩٣/٤ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ٥٥٨/١ .
(٣) الوثائق السياسية ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .
(٤) المصدر السابق ص ٤٩٠ .

فن الاعتذار

خُلق إسلامى فقدناه

للأستاذ : أحمد إبراهيم هلال (*)

لقد أشرق على الكون نور الإسلام ؛ ليخرج الناس مما هم فيه من الظلمات إلى النور ، وحمل المصطفى - صلى الله عليه وسلم - جذوة ذلك النور ، بل كان - صلى الله عليه وسلم - هو جذوة النور ذاتها ، التى أهداها الله إلى الناس كافة ؛ لترقى بها أرواحهم ، وتتزكى نفوسهم ، وتنتظم علاقاتهم ، وكان نور النهج الإسلامى شاملا ، وغامرا ، وفياضا ، فمهد وبين وحصن السبل بين المسلمَ وربه ، وبين المسلم ونفسه ، وبين المسلم وجميع الخلق ، وبين المسلم والكون كله ، وأخذ بأيدينا فى حرص وحنو وأناة إلى سعة أمان الله ، ورحابة رحمته ، وواسع عفوه وفضله ، ولقد فرط كثير من المسلمين فى صيانة تلك السبل واجترءوا عليها وأعملوا فيها معاول الذاتية والهوى .

والتسامح والاعتذار عما بدر من المسلم فى حق غيره من الناس ، هو من تلك السبل ، التى أهملها وضيعها كثير من المسلمين - فالمسلم يسعى فى الحياة - ممتثلا لأمر الله - ابتغاء إعالة (نفسه

(*) باحث إسلامى متفرغ - حاصل على درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية .

وأبنائه وآل بيته ومن يلزمه تدبير نفقاتهم) واحتياجاتهم المختلفة ، وفى أثناء ذلك قد يؤذى - بقصد أو بغير قصد - بعضاً ممن يحيط به من الناس ، وذلك بالفعل ، أو بالقول ، أو بالإشارة - مما يترك أثراً فى نفوس من آذاهم - إن لم يتم تداركه - يتعاظم مع الوقت ، ويشكل حائلا ؛ لصفاء التعامل ، ويخلق جفوة بين النفوس ، ويشيع أجواء من التربص ، ويضيع الوقت بالشكوى ، والغيبة والنميمة ، وينقسم الناس بين مؤيد ومعارض ، ومدافع ومهاجم ، وتفشو الفرقة والقطيعة ، وكل ذلك يمكن منعه ومعالجته بالاعتذار الرقيق المهذب - وإقرار المخطىء بخطئه ، واستعداده لتحمل تبعات خطئه - عن طيب نفس ، حيث ذلك من صميم خلق الإسلام .

واعتذار المخطىء لمن أخطأ فى حقه لا يضع من مكانته ، ولا يحط من قدره ، بل يزيده رفعة وقبولا ، عند الله وعند الناس .

وكيف لا ، والمصطفى الأمين - صلى الله عليه وسلم - يضرب لنا المثل تلو المثل - فها هو يعرض جسده الشريف ، وكل ما يملك ؛ وفاء لمن يكون قد مسه بسوء ، أو أخطأ فى حقه ، أو أخذ منه شيئاً بغير رضا .

وما فعل سيد المرسلين - صلوات الله وسلامه عليه - من ذلك من شىء فهو الذى أدبه ربه ، فأحسن تأديبه ، ولكنه - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا ويرشدنا إلى ما تصفو به النفوس ، وتسمو به الأرواح ، ومن ذلك يتضح لنا بجلاء : أن الاعتذار عن الخطأ - حتى وإن كان مظنون الحدوث - واجب على من يخطىء من المسلمين ، أميرهم وحقيرهم ، كبيرهم وصغيرهم ، حاكمهم ومحكومهم .

ولكن يكون الاعتذار مؤديا واجبه الإسلامى ، يجب أن يكون صادقا ، ومعبرا عن شعور حقيقى بالخطأ ، لأن ذلك وحده هو الذى يؤدى إلى العصمة من تكرار الخطأ ، وبالتالى العصمة من تكرار الاعتذار ، وإلا أصبح الأمر ملهاة ، وأصبح الدواء داء .

وأولى الناس بالاعتذار إليهم عما ارتكب فى حقهم من خطأ ، هما الوالدان ، لما لهما - فى الإسلام - من عظيم الفضل ، وعلو المكانة ، والخطأ فى حقهما من قبل أبنائهما ، هو من كبائر الذنوب ، ويجلب الخسران والبوار فى الدنيا والآخرة ، حتى وإن جاهداك لتشرك بالله ما ليس لك به من علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، أما وإن حدث ، فباب التوبة أرحب وأوسع ، من أن يوصد فى وجهه معتذرا ، مقرا بذنبه ، يرجو السماح والعفو ثم تتوالى بعد ذلك درجات من هم أولى بالاعتذار ، حال الخطأ فى حقهم - فنجد المعلمين ، والمربين والقائمين على أمر التنشئة يأتون فى مرتبة متقدمة ، فهم الذين

يتعهدون العقول والأفئدة بالتنوير والتزكية ، ورحم الله شاعرنا القائل :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

ولكننا للأسف ـ نجد أنه قد فشت ظاهرة سوء الأدب والبذاءة والتعالى ، وتدنى تعامل الطالب والدارس مع أستاذه ومعلمه ووصل الأمر أحيانا إلى التطاول باليد واللسان ، فكيف لأمة لا تحترم معلميها ولا تضعهم موضعهم الأسمى أن تتقدم وترنو الى مستقبل أفضل ، وصلى الله على الرسول الأمين القائل : « إن العلماء ورثة الأنبياء » رواه ابن ماجه فى السنن (١) .

ثم يأتى بعد ذلك أهل القرابة والرحم على اختلاف درجاتهم ، ونستطيع ـ فى يقين ـ أن نقرن بهم الجار ، وما أدراك ما الجار فالقرآن الكريم أوصانا به ، والرسول الهادى الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ بأيدينا فعلا ، وقولا ، وتقريرا ، فى هذا السبيل ، وكأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر بعين الغيب ، كم جار الجار على جاره ، وكم فضح الساتر سر مستوره ، وكم ضاق كثير من الناس من أذى جيرانهم ، فطلبوا الرحيل ، أو انكفأوا على أنفسهم كمدا إلا أن يجدوا إلى الفرار سبيلاً .

فلا حفظ للسر ، ولا عون فى الشدائد ، ولا حرمة للعرض ، ولا مشاركة فى الكرب ، وقبل ذلك ، وبعد ذلك لا اعتذار عن إسراف فى حقهم .

فيا أمة الإسلام رفقا بأنفسكم ، ورفقا بالجار ، فكلكم جار ، وكلكم مأمور بالإحسان إلى جاره ، مأمور بالاعتذار إليه حال الخطأ فى حقه .

ثم تأتى بعد ذلك دائرة أوسع ، لتشمل جميع المسلمين رجالهم ونساءهم ، أطفالهم وشبيبتهم ، فالكل فى حق الأخوة سواء . .

وأخيرا تلتئم كل تلك الدوائر فى الدائرة الأعم والأشمل ، وهم الخلق جميعا على كافة مللهم وأشكالهم ، فالمسلم الحق هو الذى يجاهد فى أن يحفظ جوارحه ـ ظاهرها وخفيها ـ عن الخطأ فى حق أى إنسان ، وهو الذى يسارع أيضا إلى الاعتذار عما بدر منه ، من خطأ فى حق أى إنسان ، وذلك الاعتذار القريب ـ ما أمكن ـ من الخطأ ، والأكرم أن يكون قرين الخطأ ولصيقه ، فتبادل الاعتذار الجميل ، وتبادل التجاوز عن الخطأ ، وتبادل الود والابتسام ، كل ذلك يخفف كثيرا من الضغط العصبى والنفسى الذى يعانى منه إنسان ذلك العصر ، ويؤدى إلى أن تهون أمامه كثير من الصعاب ، التى يلقاها ، فيقبل على الحياة بخطى أوثق ، وأمل يتجدد فى غد أفضل ، فتجتمع القلوب ، وتتكاتف السواعد ، فى صنع مجتمع فاضل لخير أمة أخرجت للناس .

---

(١) جـ ١ / ٨١ من حديث طويل ، حديث رقم ٢٢٣ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى .

حبة البركة

إعجاز إلهى فى خلقه !

للأستاذ: عبد العليم عبد السميع غزى

عرف الإنسان حبة البركة (الحبة السوداء) واهتدى إلى فوائدها منذ زمن طويل وقد عرفها قدماء المصريين منذ عشرين قرنا قبل ميلاد المسيح ـ عليه السلام ـ ووردت فى بردياتهم ، وكانوا يعرفونها باسم (شنتت) ، وظل الناس يستخدمون هذه الحبة السوداء بفطرتهم ، إلى أن جاء رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ ليؤكد فوائدها فى الشفاء من كل داء ، وكان الأطباء المسلمون يعالجون بها مرضاهم ، حيث كان العلاج فى تلك الآونة يعتمد على الأعشاب ، ولم يكن الطب التجريبى قد عرف بعد ، وظلت طرق العلاج بالحبة السوداء يتناقلها جيل بعد جيل ، حتى أيامنا هذه .

ولم يكن لهذه الحبة السوداء ـ ذات التاريخ العلاجى الطويل ، وإلى أن توجت قيمتها بحديث نبوى شريف ـ لم يكن لها نصيب من البحث ، مع التقدم العلمى ، الذى بدأ مع مطلع القرن التاسع عشر ـ اللهم إلا القليل من البحوث المنفردة هنا وهناك . .

بعض فوائدها:

وقد روى البخارى فى صحيحه ، عن خالد بن سعد قال : خرجنا ومعنا غالب بن أبجر فمرض ، فقدمنا المدينة وهو مريض ، فعاده ابن أبى عتيق ، فقال لنا : عليكم بالحبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعا فاستحقوها ثم اقطروها فى أنفه بقطرات زيت منها .

وورد - أيضا - عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : سمعت رسول الله يقول : « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » قلت : وما السام ؟ قال : « الموت[1] .

وفى كتاب « منهاج البيان فيما استعمله الإنسان » لأبى على يحيى بن جزلة الطبيب البغدادى المتوفى ٣٩٣ هـ يقول : « إن حبة البركة تسمى الشينيز . . وهو حريف وأجوده الرزين ، وهوحار يابس مقطع للبلغم ، ومحلل للرياح والنفخ ، ويقطع الثآليل والخيلان ، والبهق ، والبرص ، والجرب ، وينفع فى الزكام العارض . . » وفى كتاب القانون لابن سينا المتوفى عام ٤٢٨ هـ يقول : « الشونيز حريف قطع للبلغم ، وجلاء يحلل الرياح والنفخ وتنقيته بالغة يقطع الثآليل المنكوشة والخيلان والبهق والبرص خصوصاً ، ويجعل مع الخل على البثور اللبنية ويحل الأورام البلغمية والجرب المتقرح وينفع فى الأوجاع المزمنة فى الرأس ، ومن اللقوة وطبيخه بالخل ينفع من وجع الأسنان مضمضة ، وخصوصاً مع خشب الصنوبر ، ويقتل الديدان ، ويدر الطمث إذا استعمل أياما ، ويسعى بالعسل والماء الحار للحصاة فى المثانة والكلى . . » وورد أيضا فى كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لعبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى العشاب المتوفى عام ٦٤٦ هـ بنفس وصف ابن سينا أو هو أقرب إليه ، وأيضا فى كتاب (المعتمد فى الأدوية المفردة) أيضا فى كتاب « تذكرة الألباب » لداود الأنطاكى وغيرها من كتب الأدوية والأغذية فجلها لم يترك هذا النبات إلا وأورد له العديد والعديد من الفوائد .

وكان حقا علينا أن نورد للقارىء مكونات هذا النبات ، حتى يطلع على أسراره الكيميائية وهى كالتالى :

١ - الزيت الثابت : وهو يمثل ٣٢ : ٣٨٪ من وزن الحبوب الجافة والذى يتم استخلاصه بالمذيبات .

٢ - الزيت الطيار : ويتم استخلاصه من الزيت الثابت أو من البذور المطحونة بالتقطير بالبخار ويمثل ١,٤٪ من البذور الجافة .

٣ - صابونين : ويمكن فصله بنسبة ١٣,٥ جم . من كل كيلو من البذور الجافة .

٤ - الكلويدات .

٥ - استيرولات مثل الكوليسترول وبيتاسيتوستيرول . . وغيرهما .

٦ - فلافونديدات مثل أميفيرول وكيورستين .

٧ - أنزيمات منوعة منها الليبيز .

٨ - الكومارينات . وهى مجموعة كيميائية معروفة بتأثيرها فى منع تجلط الدم .

٩ - أحماض أمينية .

١٠ - أحماض دهنية منها الأوليك والليفوليك والأستياريك والميريستيك .

١١ - أحماض الأسكوربيك (فيتامين ج) ومشتقاته .

١٢ - البروتينات المنوعة والأملاح .

(١) ابن حجر ، فتح البارى ، ١٤٣/١٠ ، كتاب الطب ، باب الحبة السوداء .

١٣ - مواد أخرى ومنها عنصر الحديد والفوسفات والكالسيوم وغيرها .

العديد من الدراسات لبيان تأثيراتها

دراسات فارما كولوجية وإكلينيكية :

تم إجراء عدة دراسات على زيت حبة البركة ، والمواد المستخلصة منها ، على حيوانات التجارب وأجرى بعضها على الإنسان وهناك بعض التأثيرات أثبتت فاعليتها وجدواها العلاجية وأضرارها وخطورتها على من يستعملها بجرعات عالية ، وسوف أشير إلى هذه الدراسات مرتبة حسب إجرائها :

١ـ دراسات على الجهاز التنفسى :

وجد محفوظ والدخاخنى عام (١٩٦٠ م) أن النيجيللون المستخلص من بذور حبة البركة يحمى خنازير غينيا (الأرانب الهندية) من انقباض الشعب الهوائية الذى تحدثه مادة الهستامين وفى نفس العام درس بدر الدين تأثير النيجيللون على حساسية الصدر عند الأطفال وكذلك تأثيره على حساسية الصدر (الربو الشعبى) عند الكبار وسجل قيمته العلاجية وأكد خلوه من السمية .

ـ أثبت محفوظ والدخاخنى عام (١٩٦٥ م) أن العلاج بالنيجيللون لمرضى حساسية الصدر يزيد من قدرة مصل دمائهم ، على أسر الهستامين ومنعه من التأثير على الشعب الهوائية أو الأنسجة الأخرى .

ـ درس باحث أجنبى (تشاركرأفارق) عام ١٩٩٣ م وسيلة أخرى لتأثير النيجيللون المفيد فى حالات حساسية الصدر من خلال تأثيره على الخلايا الماستية المتخمة بالهستامين والوسيطات الأخرى فوجد أن هذه المادة النشطة تمنع الهستامين من خلال الماستية أيا كان منشط انطلاق تلك الوسيطات .

ومن هذه الدراسات نخلص إلى جدوى وفائدة حبة البركة ، ومادتها النشطة (ثيموكينون) ومشتقاته فى حالات حساسية الصدر وأن هذا التأثير هو التأثير الواقى من حدوث النوبات وليس تأثيراً علاجيا لعلاج انقباض الشعب الهوائية وهذا التأثير لا يحدث بمجرد تعاطى حبة البركة ولكنه يحدث بعد عدة أيام من استعمالها .

٢ـ دراسات على الجهاز المناعى :

أجريت دراسات جادة على تأثير الحبة السوداء على المناعة الطبيعية فى الإنسان ، وقد قام بهذه الدراسة باحثان مصريان فى معهد « أكبر » للطب الإسلامى والأبحاث بمدينة بناما ، تحت إشراف الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ، ورابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة ، وقد ألقى هذا البحث فى المؤتمر الأول للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة بإسلام آباد عام ١٩٨٧ م ، وقد استنتج الباحثان من هذه الدراسة مايلى :

ـ ثبت أن تناول حبوب (النيجيللاساتيفا) الحبة السوداء بالفم بجرعة جرام واحد مرتين يوميا له أثر مقو على وظائف المناعة .

وقد تكون لهذه النتائج فائدة عظمى حيث من الممكن أن يلعب مقوى طبيعى للمناعة مثل الحبة

السوداء دوراً هاماً فى علاج السرطان والإيدز وبعض الظروف المرضية الأخرى التى ترتبط بحالات نقص المناعة وكانت الخطط المستقبلية لمزيد من دراسة تأثير حبة البركة على الجهاز المناعى كما يلى :

★ تقييم أثر النيجيللاستيڤا على مقاييس المناعة الأخرى مثل الكريات الليمفاوية وحافز الماكروفاج ومركبات المناعة المختلفة النشطة مثل عوامل ورم التنكرز والأنترفيرون والأنترلوكنز وغيرها .

★ تقييم دور المناعة بتأثير تناول حبة البركة بجرعات أكثر من ١ جم مرتين يوميا .

★ تقييم أثر الحبة السوداء (النيجيللاساتيفا) فى تقوية المناعة عند استعمالها مضافة إلى مقويات المناعة الطبيعية الأخرى مثل الثوم والعسل .

٣. دراسات على تأثيراتها على ديدان البطن :

فى عام ١٩٧٩ م أجرى بعض الباحثين الأجانب دراسات على تأثير حبة البركة على الديدان المختلفة ، ووجد أن زيت الحبة السوداء بتركيزات مختلفة يسبب شللا لديدان الأرض والديدان الشريطية ، وتقتلها فى زمن أقصر مما يحدثه دواء (الببرازين) المعروف التأثير . أما بالنسبة للديدان الخطافية فهى أقل تأثيراً .

– ثم أجرى بشارة ومسعود عام ١٩٩٢ م تجارب لدراسة تأثير المستخلص الكحولى لزيت حبة البركة فى علاج طفيل (الجيارديا) فى حيوانات التجارب ، والمعروف أن هذا الطفيل يصيب الأطفال والكبار ويسبب آلاما فى البطن وحالات الإسهال الحادة وخاصة عند الأطفال ويؤخر نموهم ويسبب فقدانهم للشهية وفى دراسة رائعة أجراها باحثان عام ١٩٩٤ م لدراسة تأثير زيت حبة البركة على اختراق السركاريا للجلد (الطور المعدى لديدان البلهارسيا) فى حيوانات التجارب ، فوجدوا أن زيت حبة البركة يمنع أو يقلل بشكل ذى دلالة إحصائية اختراق السركاريا للجلد وفى نفس الوقت يقتل السركاريا بسرعة وفى رسالة دكتوراة بجامعة القاهرة قامت ببحث تأثير حبة البركة على عدوى البلهارسيا فى مراحلها المختلفة وبشكل تفصيلى وأثبتت الإيجابية .

٤. تأثيراتها على الميكروبات والطفيليات :

درس (أجاروال) وآخرون عام ١٩٧٩ م تأثيرات زيت حبة البركة على الميكروبات المختلفة وعلى نمو الفطريات ، وفى الحالتين استخدموا مضادات حيوية قياسية لمقارنة تأثير زيت حبة البركة بالنسبة لها فوجدوا أن لزيت حبة البركة تأثيراً مماثلا للبنسلين والأستربتوميسين على نمو البكتريا خاصة إيجابية صبغة جرام كما وجدوا تأثيراً جيدا على ميكروب الكوليرا يفوق تأثير الأستربتوميسين ، كما وجدوا تأثيراً كبيرا على نمو الفطريات خاصة فطر (الأسبرجيليس) والمعروف أنه أحد أسباب حساسية الصدر وأحد أسباب الالتهابات الشعبية الرئوية الحادة .

٥. أثر حبة البركة على إدرار اللبن :

فى عام ١٩٨٦ م درس (أجراولا) وآخرون ، تأثير حبة البركة على إفراز اللبن فى الجرذان التى ولدت حديثا وقد وجدوا أن المجموعة التى تغذت على حبة البركة قد زاد وزن صغارها بشكل أكبر

من المجموعة الأخرى . مما يشير إلى أن حبة البركة تزيد إفراز اللبن فى تلك الأمهات . ولمزيد من التأكد من هذه الحقيقة أخذ الباحثون أنسجة الثدى من الأمهات فى المجموعتين ودرسوها فوجدوا أن أنسجة الثدى فى الأمهات اللاتى تغذت على حبة البركة قد زادت وكبرت عن المجموعة الأخرى التى لم تتغذ على حبة البركة .

٦ـ أثرها على الكبد والمرارة :

يقول (ابن البيطار) فى كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » : (وإذا أخذ منه سبع حبات عدداً وغمرت باللبن (من امرأة) ساعة وسعط به فى أنف من به يرقان واصفرت منه العينان نفع فى ذلك نفعا بليغا لشدة تفتيحه للسدد .

وقد ذكر (ابن قيم الجوزية) نفس الكلام فى كتابه (زاد المعاد) .

وقد درس الدخاخنى وآخرون عام (١٩٦٢ م) تأثير زيت حبة البركة على إفراز مادة الصفراء من الكبد وتدفقها فى القنوات المرارية فوجد أن حبة البركة تزيد من إفراز مادة الصفراء وتزيد تدفقها .

٧ـ أثرها على مرضى السكر :

فى عام ١٩٨٧ م قام باحثان بدراسة تأثير مكونات خليط من الأعشاب يستخدم لمرضى السكر فى الكويت أضافا إليه بذور حبة البركة فوجدا أنه يخفض من نسبة السكر فى الدم ، وفى عام ١٩٩٢ م أجريت نفس الأبحاث فوجد أنه بعد ثلاثة أسابيع يقلل نسبة السكر فى الدم بواقع ٧٪ من مرحلة ماقبل العلاج .

٨ـ آثار أخرى :

وجد الدخاخنى عام ١٩٦٥ أن لحبة البركة ومشتقاتها تأثيراً خافضا لحمض البوليك الذى يحدث ارتفاعا فى الدم ومرض النقرس وذلك فى الجرذان .

ــ وجد نفس الباحث أن لحبة البركة تأثيراً مضاداً للالتهابات فى حيوانات التجارب ، وقد اقترح الباحث أن يكون زيت حبة البركة مفيدا فى التهابات المفاصل وعلاج مرض النقرس .

وقد أشار الظواهرى عام ١٩٦٤ م أن لزيت حبة البركة تأثيراً خافضا لضغط الدم ومضادا للتقلص فى العضلات الملساء اللا إرادية .

وأخيرا :

إن حبة البركة إعجاز إلهى فى خلقه ، لا يختلف عليه اثنان ، ولها عظيم الفوائد ، قليلة المضار بنسبة لاتقاس ، إذا زادت كمياتها عن العادة ، وهذه الحبة الصغيرة تحمل الكثير والكثير من الأسرار والمعانى ، التى لم نستطع للآن الكشف عن أغلبها ، فما كشف عنه قليل من كثير ، ولكن كلما زاد الاهتمام بها كلما اكتشف منها الكثير والكثير ، ولا نملك فى النهاية إلا أن نؤكد كلامنا وصدقه بحديث أصدق الخلق نبينا محمد ـ ﷺ ـ حينما قال : « إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » ! سبحان الله الخالق !

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ

السيد العراقى شمس الدين

فضيلة الأستاذ الشيخ / محمد جميعة
إمام المركز الإسلامى بنيويورك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد :

فردا على كتابكم لصاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بتاريخ ١٩٩٨/٩/٢٢ بخصوص طلب فتوى الأزهر الشريف فى إمكانية سفر المرأة بدون محرم ، فتتشرف لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بتسطير فتواها ردا على استفساركم .

الفتـــوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد فنفيد :

إن اشتراط المحرم للمرأة فى سفرها شرط شرعى صيانة للمرأة وحفاظا عليها نظرا لخطورة السفر وعدم أمن الطريق ، وإذا تيسرت وسائل الانتقال والسفر وأصبح السفر مأمونا لا تتعرض فيه المرأة لضرر ولا تبتذل فيه كرامتها فلا مانع من سفرها بغير محرم إذا وجدت الرفقة المأمونة .

وقد ورد فى صحيح البخارى عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال :

(بينما أنا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ـ أى الفقر ـ ثم أتى رجل آخر فشكا قطع السبيل . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ياعدى . هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ـ أى المرأة ـ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله .

قال عدى : فلقد رأيت الظعينة - أى المرأة - تخرج من الحيرة حتى تطوف بالكعبة بغير جوار (أى بغير رفيق) .

وقد ورد فى فقه المالكية والشافعية جواز سفر المرأة إذا تحقق الأمن وتلاشت أسباب الضرر .

فإذا أضفنا إلى ذلك شرف الغاية وهو خدمة الأطفال والنساء والمسنين من ضحايا الحروب وتحققت الرفقة المأمونة المشار إليها ، فلا مانع شرعا من سفر المرأة وعملها بغير محرم ، وذلك بعد إذن وليها بالسفر على أن تلتزم بالزى الإسلامى وآداب الإسلام فى التعامل .

هذا والله أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد / رفعت هجرس من بور سعيد يقول :

هل يجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أى « مصلحة الضرائب » قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب منى صرفه قيمة زكاة المال أم لا يجوز ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟ فنفيد بأنه لا يغنى دفع الضرائب التى تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ، لأن الضرائب ليس لها مقدار محدود شرعاً بل يرجع الأمر فى تقديرها إلى ما يراه المسئولون فى الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضاً مصرف معين شرعاً بل مصرفها مصالح الدولة .

●●●●

أما الزكاة فهى مقدار من المال محدود شرعاً بأنه ربع العشر فى النقدين وعروض التجارة ، والعشر أو نصفه فى الزروع والثمار وفى المواشى سن مخصوصة فى كل عدد منها تجب فيه الزكاة ولها مصارف معينة فى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ إلى آخر الآية الكريمة . .

والخلاصة : أنه لابد من إخراج الزكاة ، ولا يغنى عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية والله أعلم .

السؤال مقدم من السيد / حامد محمد إسماعيل .

توفيت عمتى عن : بنت ، وأخوين شقيقين ، وأولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد : فنفيد السائل بأن للبنت النصف فرضاً لانفرادها ولعدم من يعصبها والباقى للأخوين الشقيقين ، تعصيباً يقسم بينهما بالتساوى ولا شىء للذكور من أولاد الأخ الشقيق لحجبهم بالأخوين الشقيقين كما أنه لا شىء للإناث من أولاد الأخ الشقيق لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيدة / ن . م من الدقهلية تقول : هل يجوز للحائض قراءة القرآن من غير مس المصحف ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟ فنفيد بأنه يجوز شرعاً للحائض أن تقرأ القرآن من غير مس للمصحف مادام الحيض نازلاً .

فإن انقطع الدم يحرم عليها القراءة حتى تغتسل ، وهذا هو مذهب الإمام مالك رضى الله تعالى عنه والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / إسماعيل حسن من البحيرة يقول : رجل أصبح جنباً ، ثم سار على طريق بجوار نهر فانزلقت قدمه فسقط فى النهر وانغمس جميعه فى الماء ، فهل يطهر بذلك من الجنابة أم لا ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ؟

فنفيد بأن انغماس الرجل فى النهر كافٍ فى الغسل من الجنابة فى مذهب أبى حنيفة - رضى الله عنه - حيث لا يشترط النية فى الغسل . هذا والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد / سيد كامل يقول فيه توفى رجل سنة ١٩٩٨ م عن زوجة ، ابنين ، بنتين ، بنات ابن / فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنات الابن المتوفى قبل والده بمقدار ما كان يستحقه الابن لو كان على قيد الحياة وقت وفاة والده فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاهن شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلهن فتقسم التركة ٣٢ جزءا منها سبعة أجزاء وصية واجبة لبنات الابن تقسم بينهن بالتساوى دون أن يشاركهن أحد ، والباقى وهو خمسة وعشرون جزءا ، وهو الميراث ،للزوجة منه الثُمن فرضا لوجود الفرع الوارث والباقى للابنين والبنتين الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / إبراهيم على من المنوفية يقول :

عملت عملية فى «ختمى» ولاستمرار المرض حيث ينزل البراز دون انقطاع ، أرجو إفادتى عن حكم هذه النجاسة بالنسبة للصلاة ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد : فنفيد بأنه يجوز لهذا السائل أن يتوضأ ويصلى مع نزول هذا البراز المستمر ، ويتوضأ لكل وقت من الأوقات الخمسة ويصلى بالوضوء ما يجب أن يصلى فى الوقت ، وهذه حالة ضرورية ، ولا إعادة عليه لما يصلى ، والله تعالى أعلم .

عبد الله بن كنون

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

للدكتور : محمد رجب البيومى

لإخواننا فى المغرب العربى الكبير أدب حافل ، وتراث ضخم ، لم تر المطبعة منه شيئا ذا بال ، ومن مفكريه وعلمائه أئمة لم تنتقل شهرتهم إلى المشرق فيذاع عنهم ما قاموا به من كفاح علمى وسياسى يضاف إلى مفاخر العروبة والإسلام ، وقد أحس العلامة الكبير (عبد الله كنون) بهذا النقص الفادح ، فعكف على إصدار أجزاء صغيرة متوالية تعرف بالمغرب ونابغيه ، ولم يأل جهدا فى هذا المجال ، إذ لا يكاد يمر شهر حتى يتحدث عن علم مجهول فى كتيب موجز ، ثم رأى أن يضم هذه المتفرقات إلى كتب ذات أجزاء ، فأطلع القراء على كنز علمى مخبوء ، وقد كان كاتب الشرق الأكبر الأمير شكيب أرسلان أكبر ملم بتاريخ المغرب من أعلام الشارقة المعاصرين ، حيث وَالَى التعريف برجاله وأحداثه وتاريخه ومحنه الاستعمارية موالاة من حسب نفسه مغربيا يعيش فى آفاق هذه الربوع الشقيقة ويتنسم أريجها ويقاسم ذويها السراء والضراء ، وتعليقاته الرائعة على كتاب :

(حاضر العالم الإسلامى) بأجزائه الأربعة الكبار ، ومراسلاته ومقالاته ، وصداقاته لأعلام المغاربة تؤكد تضلعه الراسخ فى هذه الشئون ، ولكنه قرأ ما كتب الأستاذ النابغة عبد الله كنون فى موسوعة (النبوغ المغربى فى الأدب العربى) ، وفى كتاب : (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ، وهو فى مجلدين كبيرين ، قرأ الأمير هذا الحشد الهائل عن أبناء المغرب ، فكتب بعد أن فرغ من قراءة موسوعة النبوغ الغربى (كنت أعهد نفسى من المشارقة الرجل الذى أطلع أكثر من غيره على تاريخ المغرب وأهله ، وأنعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شئونه ، ولكنى رأيت نفسى بعد أن طالعت هذا الكتاب كأنى لم أعلم عن المغرب قليلا ولا كثيرا ، وكدت أقول إن من لم يطلع على هذا الكتاب لا حق له أن يدعى فى تاريخ المغرب الأدبى علما ، ولا أن يصدر فى حركاته الفكرية حكما[1] ، وأمير البيان لم يبالغ فيما قال ، لأن رجال العربية فى المغرب كرجالها فى المشرق ، تضلعوا فى فقه علوم الشريعة ، وعلوم اللسان ، ومنهم أكبر كاتب عرفه الأدب العربى فى نظراته الاجتماعية والسياسية والتاريخية حتى عده الغربيون أنفسهم رائد علم الاجتماع ، وهو ابن خلدون ، وقد أحس الأستاذ كانون أن أدب بلاده غير مشتهر ، ولا سبيل إلى طبع كنوزه المخطوطة وإذاعتها فى المشرق دون إرهاق متواصل ، وكد دائب ، فإذا تيسر الكد والإرهاق بمعونة الخلف فى إحياء آثار السلف ، فقد تقف المادة دون أن تتسع لاستجابة من يطمحون إلى بعث القديم ليكون مددا للجديد ، أحس الأستاذ بذلك ، فواصل التعريف الموجز بهؤلاء الأعلام ، وكان فى إيجازه الدقيق لا يغفل الملامح البارزة فى أدب من يتحدث عنه ، ورب إيجاز شفى وكفى ، ورب تطويل أخل وأمل ، وأخاله شعر ببرد الراحة حين فرغ من موسوعته الحافلة قائلا لقراء المشرق والمغرب معا : هاؤُم اقْرءُوا كتابيه ، وإذ كنا فى المشرق نعرف المشتهرين من هؤلاء ، أمثال ابن خلدون والإدريسي ، وابن بطوطة ، وابن أجرُّوم الصنهاجى ، والمازُرى والجزولى ، فقد أحصى الأستاذ فيضاً غزيراً ممن لم نعرف عنهم شيئاً مثل عبد العزيز القشتالى ، وأبو القاسم الزياتى ، وابن إدريس ، والسنوسى ، وأبو جعفر بن عطية ، وأبو العباس الجزائرى ، وميمـون الخطابى ، ومالك بن المرحل ، وعبد العزيز الملزوزى ، والأمير سليمان الموحد ، وعثمان السلاجى ، وابن غازى ، وابن زاكور ، وابن الطيب العلمى ، وابن الدقاق ، وأبو عبدوس الكناسي ، وأبو بكر ابن شيرين ، وابن رشيد ، وأبو القاسم الشريف ، وأبو الحاج الفاسى ، وأحمد زروق ، وعبد المهيمن الخضرمى ، وأبو العباس الغرقى وغيرهم .

وأذكر أن بعض الناقدين أخذ على الرجل البحاثة وقوفه عند التراجم دون نظرة شاملة

---

(١) « مفكرون وادباء » للاستاذ انور الجندى ص ١٤٢ .

للمجرى العلمى فى كل عصر ، وهذا هو الظلم بعينه ، لأن النظرة الشاملة للمجرى العلمى فى كل عصر ، كما يقول الناقد لن تأتى إلا بعد دراسة هؤلاء والوقوف على مؤلفاتهم المختلفة ، فكنون قد وضع اللبنات القوية فى أساس التاريخ العلمى والثقافى لموطنه ، ولن يرتفع بناء ما دون أساس وطيد ، ولولا كتب التراجم ماتسنى لتاريخ الأدب فى المشرق أن ينهض على قدم وساق ، أليس واضعو هذا التاريخ قد اعتمدوا أولاً على كتب التراجم ، فطالعوا الأغانى ومعجم الأدباء والخريدة واليتيمة والدحية ووفيات الأعيان والوافى بالوفيات ، وماأعجز عن حصره مما يدور فى هذا النطاق حتى اكتمل الأساس العلمى ، وقام البناء التاريخي على دعائمه الراسخة ! على أن لقراءة التراجم لذة لدى القارىء لايجدها فى السرد التاريخي المتماسك ، وبهذه اللذة الأدبية المحققة أمكن غير المتخصص أن يطالع كتاب النبوغ فى شوق ونهم ، أما المثقف المتخصص ، فقد احتضنه احتضاناً ، ورأى فيه بذرات صحيحة ستؤتى أطيب الثمار .

وقارىء المجلات الأدبية والعلمية فى مصر والشام وغيرهما من ربوع الشرق يطالع اسم الأستاذ عبد الله كنون بين كبار الكتاب ، لأنه دأب على قراءة مايصدر فى الجناح الشرقى ، قراءة المشارك المسهم بآثاره ناقداً أو مبدعاً ، حتى إنه يستدرك على الأستاذ محمد سعيد العريان بعض مافاته فى كتابه عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ، والعريان تلميذ الرافعى وكان موضع سره ونجواه بضع سنوات ، وقد نهض لكتابة تاريخ الأديب الكبير عقب رحيله وفاء بحق التلمذة البارة بالأبوة الحانية ، فإذا جاء الأستاذ عبد الله من طنجة ليستدرك بعض مافات المريد اللاصق فمعنى ذلك أنه ملم بكل مايتعلق بالرافعى رحمه الله ، كما أن مناقشاته الكثيرة لكبار الأدباء فى مصر والشام والعراق تنبىء عن تتبع يقظ ، وهو من الجراءة الأدبية العاقلة بحيث يجوز إعجاب قارئه مهما خالفه فى منحاه ، أذكر أنى قرأت قديماً ماقاله عن المصلح الكبير عبد الرحمن الكواكبى وقد ذهب إلى أن كتاب المشرق قد تعمدوا غمطه ، وإهمال تاريخه على حين قد أفاضوا فى حديث المصلحين الكبيرين ، محمد عبده وجمال الدين الأفغانى ، وهو لايقل عنهما ، ومكانة الكواكبى رحمه الله لا تنكر ، ولكن عدم تردد ذكره لا يرجع إلى الغمط والنكران فى شيء لأن الرجل العظيم لم يترك تلاميذ تشيد بفضله كما ترك جمال الدين محمد عبده وسعد زغلول واللقانى والمويلحى والهلباوى ، وكما ترك محمد عبده محمد رشيد رضا ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد مصطفى المراغى ، فالتلاميذ قد كتبوا وأذاعوا ، وللقارىء أن يعجب كيف أهمل حديث العلامة محمد فريد وجدى وانتشر حديث من لم يبلغ مبلغه من أساتذة الجامعات ، لأن وجدى العظيم لم يكن

له حواريون يشيعون آراءه ، وسواه قد اصطنع من يبدىء ويعيد فى نجواه .

ولد عبد الله كنون فى مدينة فاس سنة ١٩٠٨م ، ونشأ فى أسرة مباركة ذات مجد علمى مشهود ، فوالده ممن اشتهروا بالتأليف العلمى ، وله ندوة بمنزله رآها الطفل صغيرا وتأثر نفسيا بملابساتها ، وجده من كبار أساتذة جامعة القرويين ، وحين وقع الاستعمار الغربى البغيض على البلاد كالليل الحالك ، هاجر الوالد بأسرته من فاس لأن الفرنسيين قد تعقبوا المجاهدين بها تعقبا ظالما فقتلوا بعضا ، وسجنوا بعضا ، والشيخ الكبير يحب الهدوء بعد حياة طويلة الكفاح ، فهاجر إلى (طنجة) إذ كان له بها نسب قريب ، وهى مدينة هادئة لا ترصدها أمانى المستعمرين ، وفى جو المدينة الهادىء استطاع الصبى الناشىء أن يجد مجالا للتربية والثقافة ، وكان والده حريصا على أن يرثه علما وتأليفا ، فقدر الله أن يرثه ويفوقه ، وقد دفعته حماسة الشباب إلى الكتاب مبكرا فى الصحف ، ورحبت المجلات شرقا وغربا بإنتاجه الفكرى ، وكانت مجلة الرسالة وهى فى صدر المجلات الأدبية بالشرق العربى تحتضن آثاره ، وهو فى مقتبل عمره ، لأن حديثه بها عن المتنبى وبشر بن عوانة وغيرهما دل على نضوج فكرى ملموس ! والرسالة لا تشجع الضعيف ،

ولا تجامل القوى ، فكان نشرها مقالات الأديب الناهض (كنون) شهادة علمية بارتقائه ، وقد أمدته بثقة تدفع للأمام ، ثم تخطفته المناصب العلمية والسياسية معا ، إذ صار مدرسا بإحدى الكليات التابعة لجامعة القرويين ، فرأى فيه التلاميذ مثلا جديدا للمدرس المثقف ، حين يمزج العلم بالأدب ، وينزل إلى مستوى الطلاب بعيدا عن غموض الشروح ، وثقل الحواشى وضيق المتون ، وكانت صحيفة الميثاق المغربية لسان حال جماعة العلماء بالقرويين فتصدر للكتابة بها ، وانتخب رئيسا لرابطة علماء المغرب على حداثة سنه ، وعضوا بمجلس إدارة الجامعة ، وعضوا بالمجلس الأعلى للتخطيط ، وسما به الحظ ، فكان حاكما لطنجة ، فقاضيا كبيرا ، فوزيرا ناهضا . . وذلك لم يأت إليه من فراغ ، بل بجد متواصل ، وعمل دائب كان موضع التقدير .

لقد أتيح لى أن أقابل الأستاذ عبد الله كنون بالقاهرة عند انعقاد المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٦٤م ، وقد عرفته من زيه المغربى ، وهرعت لأسلم عليه مشوقا ، إذ كنت من قرائه ومتتبعى آثاره فى شتى الصحف العربية ، فوجدت من كرم اللقاء ، وسعة الصدر ما أكبرته ، بل لمست من تواضعه العلمى حقيقة نبيلة تنبىء عن صدقه ، فقد ذكر لى فى أول لقاء أنه خجل من موضوعه الذى قدمه للمجمع إذ أنه اختار موضوع (الملكية الفردية فى الإسلام) بين الموضوعات التى عرضها عليه المسئولون ، وكان يظن أنه وحده الذى سيتكلم فى هذا الموضوع فكتبه على قدر طاقته ـ هكذا قال ـ ثم وقع فى حيرة حين رأى المجمع قد ضم باحثين كبيرين هما

الأستاذان الجليلان محمد عبد الله العربى ، وعلى الخفيف ، ليتكلم الثلاثة فى موضوع الملكية الفردية ، وحين وزعت المحاضرات على الأعضاء ، وقرأ الأستاذ عبد الله ما كتبه الزميلان دهش لما وجده من غزارة المادة ، وشمول الاستيعاب وجودة الاستنباط ، بحيث أصبح بحثه جوارهما ضئيلا كما وكيفا ، ثم ابتسم الأستاذ فى هدوء ، فقلت له إن المجمع يختار عدة علماء للحديث فى موضوع واحد ، ليكمل كل متحدث مانقص من حديثى زميله ، والمسألة ليست مسألة كم ياسيدى ، حتى تقوم بنفسك هذه الحساسية ، فقال الشيخ فى إصرار أنا أدرى بما كتبا وما كتبت ، بعد أن طالعت ماكتباه ! وسآخذ حذرى حين يطلب منى موضوع لاحق ، على أنى راجعت ما كتب الأعلام الثلاثة ، فلم أجد بحث الأستاذ كنون يقصر عنهما كثيرا إلا فى الكم ، والكم ليس مناط الحكم ، فقد ذكر النصوص الدالة على تشجيع العمل ، وتأمين جهود العاملين ضمن ملكية الأفراد والجماعات ، وتحدث عن البذل السمح فى عصر النبوة وماتلاه ، وأكد أن سياسة الإسلام فى الأموال مبنية على أصل أصيل من حرية المعاملة ، ورفع الحرج عن الناس ، ثم ألم بفريضة الزكاة ووجوب مراعاة حق الفقير بها ، مقارنا بين مواقف أبى بكر وعمر وعثمان ، جاعلا لكل موقف أسبابه ومبرراته ، ثم كر على من يذهبون إلى شيوعية الأموال ، ففند شبههم مؤكدا أن مال الدولة حق مفروض ينال منه الجميع ، والمقصود من ذلك كله وضع الأمور فى نصابها ، وعدم الخروج عما سنه الشرع ، واجتناب الأهواء المختلفة لأن الخير فى الاتباع ، وختم حديثه بقول الله :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

والبحث بهذا التحديد المؤيد بالأدلة جيد لا غبار عليه فى شىء ، وقد صدق الأستاذ وعده ، حيث تحدث فى العام اللاحق بالمؤتمر الثانى بمجمع البحوث سنة ١٩٦٥ حديثا مشبعا مستفيضا عن (الرق فى الإسلام)[٢] إذ بدأ بحثه الشامل عن الرق قبل الإسلام ، فطاف بما كان يغمر العبيد من إرهاق عاسف ، لدى الفراعنة فى مصر ، ولدى المجوس فى الفرس متنقلا إلى اليونان وماأهدروا به قيمة العبيد من قوانين يباركها فلاسفتهم الكبار ، مبينا هول ماكابد الأرقاء فى إسبرطة من عسف ، وانتقل إلى الرومان فكشف من مظاهر القسوة فى معاملة العبيد لدى هؤلاء مايفزع ، إذ كان للسيد أن يقتل عبده وإن لم يفعل شيئا ، فهو كبهيمة تذبح حين يريد صاحبها أن يأكل منها ، وفى العصور الوسطى تحدث عن أنواع الرق عند الأوروبيين ، وعن آراء المفكرين منهم منتهيا إلى قوله : (إن نظر المفكرين إلى الرق سواء القدامى منهم والمحدثين نظر أنانى قاصر عن مفهوم الكرامة الإنسانية ، وكان ذلك كله تمهيدا للحديث عن الرق فى الإسلام ، فأفاض الباحث

(٢) المؤتمر الثانى لمجمع البحوث من ص ٣٥٩ إلى ٣٧١ .

فيها كتبه تحت العناوين الآتية : (الإسلام والرق) ، (استرقاق أسرى الحروب ضرورة وقتية) ، (الشارع متشوف للحرية) ، (لماذا لم يكن المسلمون هم البادئون بإلغاء الرق) مؤكدا أنه لو روعيت تعاليم الإسلام فى سياسة الأرقاء لما وجد رقيق ما ، لأنه لم يعترف بالرق فى عصره الأول إلا على سبيل الضرورة المؤقتة ، ولما زالت أسباب الضرورة تحتم أن يزول الرق نهائيا بمنطق شريعة الإسلام .

هذه لمع مختلفة من بوارق الذهن الصافى الذى يتمتع به الأستاذ عبد الله كنون ، وهو ذهن لم ينحصر فى البحث المجرد دون مشاركة عملية فى الواقع السياسى والاجتماعى ، لأن الأستاذ قد شارك فى أعمال إصلاحية وسياسية ، وقدم اقتراحات شافية للنهوض بالحياة المغربية سياسيا واجتماعيا وفكريا ، وإذا كان حاكما لبعض الأقاليم فقاضيا لعدة محاكم ، فوزيرا لبعض الوزارات ، فرئيسا لجمعية العلماء القرويين ، فكل هذه المناصب ذات أعباء شديدة فى التنفيذ الفعلى ، ولا تقف عند النصح الكتابى ، ومن أعظم مواقفه البارزة صيحته العالية فى وجوه من أرادوا القضاء على جامعة القرويين سنة ١٩٥٧م بحجة اندماج التعليم الدينى فى التعليم العام ، كان الأستاذ ملما بما يدبر للجامعات الإسلامية فى المغرب ومصر والزيتونة والنجف من تدمير يأخذ مأخذ الإصلاح ، فظاهره فيه الرحمة ، وباطنه من قبله العذاب ، وقد تابع ما أريد بالأزهر من هذا الدمج حين بدأ الدكتور طه بمقاله الشهير (الخطوة الثانية) تابع ما أريد بالأزهر من كيد وقر عينا حين أبطل هذا الكيد ، فجهر برأيه المعارض ، وقال فيها قال [٣] « كم أراد البعض فى مصر الإيقاع بالأزهر ، ولكنهم لم ينجحوا ، فقد ثار جدل عنيف حول ما سمى (بالخطوة الثانية) وكاد الأمر يتم لولا يقظة الأزهريين وثباتهم فسلم الأزهر ، ولكن القرويين وقعت » .

يقول أن الدكتور أحمد الحفناوى[٤] تعقيبا على ذلك : « وقد استمر حملة الشيخ كنون على هذه القرارات حتى ألغيت ، وأتبع ذلك بأن أصدر مشروعا عن رابطة علماء المغرب برياسته ، يوضح كيف يتم النهوض بهذا النوع من التعليم ، ثم دعا إلى أن تقوم لجنة بالسفر إلى مصر لدراسة كيف استطاع الأزهر أن ينهض بذاته بعيدا عن الدمج والمحو ، وهكذا كانت رحلة عمره تمثل التاريخ الحى لجريمة الاستعمار ، وبسالة الإنسان العربى فى المغرب ثم هزيمة المستعمر ، وعودة المغرب الشقيق إلى الصف العربى مساهما فى طريق الحرية والبناء » .

ولكى يتضح للقارىء بعض مواقف الشيخ كنون ـ التى أشار إليها الكاتب فيما قبل ـ عن النهوض بالتعليم الإسلامى فى جامعة القرويين ، وعن مواجهة المستعمر حين يرسل بعض أذنابه من ذوى الاستشراق ليسمموا الأفق بآراء شاذة تعارض التيار الإسلامى ، ولا تقف عند المعارضة فقط ، بل تدعو إلى محوه واستئصاله لكى تتضح بعض هذه المواقف ، لابد أن نلم بمثالين واضحين لهما ، مما جاهد به الشيخ فى سبيل الاستقلال دينيا فى الجامعة ، وسياسيا فى الأمة لنقدم الدليل .

« يتبع »

---

(٣) مجلة الأزهر ذى القعدة سنة ١٤١٠هـ .

(٤) المصدر السابق .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ:

محمود محمد المدني

إعداد وتقديم الأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

الإسراء والمعراج معجزتان لخاتم النبيين وسيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - وهما من أكبر معجزات رسولنا - صلوات الله عليه - ومن أعظم البراهين البينات، وأقوى الحجج المحكمات، ومن أتم الدلالات على تخصيصه - عليه الصلاة والسلام - وقد ثبتتا بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، وبإجماع أئمة المسلمين، ولقد أكرم الله رسوله الكريم

بهذه المعجزة تكريما له ، وتأييدا لرسالته ، وتشريفا لصموده فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة ، إنها رحلة تكريم واصطفاء ، وتأييد وتمكين فى مجال الدعوة وتبليغ الرسالة .

رحلة تقدير وإعزاز من المولى ـ عز وجل ـ لنبيه ومصطفاه الذى جاهد فأبلى فى سبيل نشر دعوته .

وإذا كان البشر قد آذوك يامحمد ، فإنى معك ناصرك ، ومؤيدك ، ولتعرج إلى الله لتتلقى الأوامر الإلهية بعمود الدين ألا وهى ـ الصلاة ـ وقد وقعت هذه المعجزة بعد عام الحزن ، وفقد النصير والرفيق ونتيجة لهذا أراد المولى ـ سبحانه ـ أن يسرى عن حبيبه بهذه الرحلة المباركة .

ولمزيد من التفصيل ، قال الكاتب ـ رحمه الله ـ :

خرج بنو هاشم من الشعب بعد حصار دام ثلاث سنين ، لقى المسلمون فيها أقسى ضروب المقاطعة ، وكانت قريش تظن أنها بهذه الأعمال توقف سير الدعوة المحمدية ، ولكن الرسول ـ ﷺ ـ لم يضعف أمام هذا العنت .

وبعد الحصار بقليل توفى عمه ، وكان عضده فى الملمات ، وسنده عند الأزمات ، وبعده توفيت خديجة الزوجة الوفية ، والتى كانت مصدر التسرية فى لحظات الحزن والأسى ، فأحس المصطفى لفقدهما حزناً عميقاً ، حتى سمى عام وفاتهما بعام الحزن ، وبينا هو فى هذه الحالة ، وقريش تمعن فى الإيذاء ، وتشتط فى الخصومة ، ظناً منها أن فقد هذين النصيرين سيكون من العوامل التى تجعله ـ ﷺ ـ يقعد قليلا عن النشاط فى دعوته ، ولكن الدعوة تسير قدما فى الذيوع والانتشار .

وفى صبيحة يوم مشرق النور جلس ـ ﷺ ـ فى حجر إسماعيل يقص قصصاً كان فى سمع قريش الجاحدة المنكرة خيالا بل حديث خرافة ، حتى أنهم لفرط دهشتهم ظنوا به الظنون ، وحسبوا أن خياله قد شط به ،

فبقيت أمامه جماعة يستعيدون حديثه خيفة أن يعدل عنه ، وجرى الباقون يتنادون فى الطرقات : تعالوا فاسمعوا لما يقول محمد ،

اعتقادا أن هذا هو الخيل بعينه ، وما دروا أن الله جلت قدرته أحب عبده ورسوله ، فأكرمه وشرفه وفضله على سائر خلقه ، فجمع له الرسل المكرمين ، والملائكة المقربين ، فى « بيت المقدس » ليصلى بهم إماماً ، ويأخذ عليهم عهداً وميثاقاً بسموه وفضله وتقدمه وسبقه ، وقد أراه ربه وهو فى طريقه إلى المسجد الأقصى عجائب مخلوقاته الأرضية ، وما أعده للمخالفين عن أمره ، والخارجين عن

طاعته ، بارتكابهم للمنكرات ، وصور له عقوباتهم على ما اقترفوه .

وبعد الانتهاء من الصلاة أخذه جبريل وصعد به إلى السموات العلى ليريه آيات الله الكبرى فى الملكوت الأعلى ، ولا عجب فى ذلك ولا جناح فهو الرسول الأمين ، وهو الحبيب الأول من خلق الكائنات من نوره ، وألهم الأنبياء الصلاة عليه والتسبيح باسمه .

حتى إذا اكتمل جمعهم بهرهم صدقه ، وأفحمهم حسن حديثه ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكن عنادهم وإصرارهم على تكذيبه دعاهم إلى أن يستوصفوه بيت المقدس ، وهم موقنون أنه لم يره قبلا ، وأن الإسراء كان ليلا ، والليل يغطى المعالم ، إلا أن الرعاية الصمدانية تدركه فى شخص جبريل الأمين يحمل على كفه بيت المقدس ، ليكون الوصف هو الحقيقة الصارخة على صدقه - ﷺ - وأن أحد عيرهم صادفه فى الطريق فشرب من وكائه ، وأنه قادم يوم كذا فى غروب شمس يوم كذا ، فيقع ما حدث . وأن عيرهم الثانى يقدم يوم كذا فى ساعة كذا ، وأن مقدمهم يحمل وسقين ، فيصدق ما أخبر به .

ولكن عتو المعاندين وفساد رأى المكابرين جعل قريشاً تتخذ من قصة الإسراء والمعراج باباً من أبواب شدة الإيـذاء ، وقسوة الاضطهاد ، ومحاولة منع الرسول من نشر الدعوة المحمدية ، ولم يكن ذلك الإنكار لعقيدة يؤمنون بها من أن ما حدث به محمد - ﷺ - كذب ، بل هم موقنون كل اليقين أن الرسول صادق فى كل ما جاء به ، إلا أنه الحقد الدفين الذى ملك زمام قريش . كيف يؤتى محمد ذلك الخير العميم والشرف العظيم وحده ، وتذهب بنو هاشم وحدها بهذا العز الإلهى ، والسؤدد الربانى ، وتقف بقية قريش عطلا من كل شرف وعز .

***

هذه هى الحقيقة المدوية فى أعماق التاريخ ، فمحمد - ﷺ - أسرى به فى الليلة السابعة والعشرين من رجب إلى المسجد الأقصى بصريح القرآن ، بروحه وجسده ، وصلى بالرسل والأنبياء والملائكة حيث جمعهم مولاه للاحتفاء بحبيبه ، وأخذ البيعة له منهم بأنه خاتمهم وإمامهم فى الدين والدنيا .

ثم نصب له المعراج ورقى به إلى ملكوت ربه يتلقاه رسول ويودعه رسول حتى سدرة المنتهى ، فانغمر فى أنوار ربه الصمدانية ، وتجلت له الحضرة الربانية بالعناية وسبح فى الأنوار القدسية ، وخاطبه مولاه فارضا عليه الصلاة .

وهذه الحقيقة لا ينكرها إلا من عميت

بصيرته ، فران على قلبه جهل بمدى قدرة الخالق جل جلاله بعد تلك المخترعات الحديثة التى قربت البعيد ، بل وصلت فى السير إلى أبعد من حدود الصوت ، ومخترعات الذرة ، هذه القدرة لا يعجزها الخرق والالتئام ولا أن يرجع إلى فراشه وهو لم يبرد بعد ، ولا طول المسافة ولا قصرها .

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾

(النجم : ١١) .

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

(النجم : ١٧ ، ١٨) .

***

ولقد كانت الإسراء والمعراج سبباً فى التعجيل باحتدام الخصومة بين الحق والباطل وأن الله لن يخذل عبده ، وأنه كتب للإسلام الخلود والانتصار فى كل ملحمة يكون فيها القرآن أحد طرفى الخصوم . والله متم نوره ولو كره الكافرون .

« المجلد السادس والعشرون »

الإسراء والمعراج تكريم لنبى الإسلام. صلى الله عليه وسلم. بقية

وبعد

فجدير بالمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وقد رأوا بأعينهم ذرارى بنى إسرائيل عادوا إلى فلسطين ليلعبوا من جديد دور الإفساد الذى ورثوه عن أسلافهم ، وأخذوا يتكتلون ويتعاونون من هنا وهناك على تثبيت أقدامهم ببناء المستوطنات لهم فى أرض المسلمين ، وتهويد مدينة القدس تمهيداً لسلب المسجد الأقصى من أهله .

جدير بالمسلمين أن يوحدوا كلمتهم ، ويستردوا مكانتهم ويطهروا أرض الله المقدسة ، وحماية المسجد الأقصى من عبث هؤلاء المفسدين ، وبذلك يتحقق وعيد الله الذى توعدهم به فى قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

(الإسراء : ٨)

فلقد عادوا إلى الإفساد فى الأرض لذلك فإن الله توعدهم - ووعده حق بالعقوبة فى الدنيا مع ما يدخره لهم فى الآخرة من العذاب والنكال (١)

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم عن سورة الإسراء المجلد الثانى - الحزب التاسع والعشرون الصادر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

في أي بحر سوف يبحر مركبي ؟ والقلب يسرى في معاريج النبي
لك يارسول الله تاقت مهجتي يامن هديت إلى السبيل الأصوب
جمعت أشتاتا .. وشدت مهدما وصنعت معجزة .. ياعظم مذهب
صلى عليك الله ياعلم الهدى في كل حين من شروق ومغرب

لقد لبث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ثلاث عشرة سنة ، بين قومه في مكة ، وهو يعرض عليهم رسالة التوحيد ، فكان عليه الصلاة والسلام كمن يعرض الجواهر الغالية على جماعة لا يرون في بريق الجواهر ، إلا انه بريق زجاج ملون ، لا قيمة له عندهم ! ومن صلفهم وجهلهم ، تمكن العمى من قلوبهم ، فعميت بصائرهم عن التمعن في حقيقة ما جاءهم من الهدى ، فزادوا من اذاهم للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فانعم الله على سيدنا محمد برحلتي الإسراء والمعراج تسرية عنه وتاييدا له وتشريعا لأهم أركان الدين ، الا وهو الصلاة .

كان لابد لنا أن نستهل الخميلة اليوم بهذه المقدمة البسيطة تعظيما لمعجزة الإسراء والمعراج الخالدة .

وخميلة الشعر في مجلة الأزهر الغراء ، لا يفوتها ان تقدم ضمن ما تحويه في هذا العدد زهرات شعرية جميلة ، تعبر عن المعاني العظيمة لهذه الذكرى ، والزهرة الأولى التي نقدمها اليوم هي قصيدة : (عند سدرة المنتهى) للشاعر الإسلامي الكبير إبراهيم صالح الذي يصور لنا بابياته المعبرة ، الرحلة النورانية المباركة ، التي وصل فيها سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكانة عليا ، لم يصل إليها مخلوق قط من قبله .

والزهرة الثانية هي قصيدة : (سرمدية) للشاعر المهندس عبد العاطي موسى عبد العاطي ، الذي يذكرنا بالشاعر الكبير علي محمود طه ، لأنه كان مهندسا وشاعرا عظيما .

أما الزهرة الثالثة فهي قصيدة ، (رحلة إلى الحياة !) للشاعر الكبير السيد الصديق حافظ ، وفيها يعبر عن مشاعره الفياضة تجاه رحيل إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي ، تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته .

ولا يسعنا بعد ذلك إلا أن نتوجه إلى قرائنا بكل الحب ، راجين منهم دوام تواصلهم معنا والله ولي التوفيق .

عند سدرة المنتهى

رحلة مع الروح فى رحاب الإسراء والمعراج

للأستاذ: إبراهيم صالح

سدرة المنتهى على قاب قوسين ... وفيض من الضياء العقى
وأريج يفوح من جنة المأوى ... يرش الرضا على كل حى
انظرى .. لا بأعين نافذات ... لمدى الكون بل كرؤيا نبى
واسمعى .. لا بمسمعى .. صلوات ... الإنس والجن فى صداها العلى
يالتسبيحة الملائك حول العرش ... تسرى فى سبحها الأبدى
ها هنا هل أحمد كشعاع ... يربط الأرض بالشعاع الخفى
أبصر النور حيث لا حجب .. ... لا أستار .. بل حضرة الصفاء الرضى
ورأى ما رأى .. وما لم ير الخلق ... وما فوق كل عقل وضى
يقظة للرؤى وإشراقة للروح ... فى روعة الجلال البهى
شق فيها المعراج سبعا طباقا ... ومضى الركب موغلها فى المضى
سابحا مصعدا إلى الملأ الأعلى ... إلى منبع السنا السرمدى

جاز خير الورى مقام النبيين وأدناه من علا كل شى
إيه ياليلة تغنى بها الدهر وغنى لنفحها القدسى
فيك كان الإسراء كانت صلاة الرسل جمعا خلف الرسول النبى
ضاء فى نورها حمى المسجد الأقصى ولفته فى أريج زكى
ومضى طائر السلام من القدس يغنى فى كل واد قصى
رددت لحنه المآذن فى خير نداء سرى عبق الدوى
انظرى القدس من أباح حماها لمطايا بغى وعهر بغى
دنستها عصابة من بنى صهيون تاهت على سراها الشقى
ومشى إفكها على كل درب آثم كل بكرة وعشى
ذبحت فى الظلام فوق الثرى الطيب ترنيمة الغراس الندى
والحصى عذبته فارتد يرميها بحتف من السما مقضى
كلما أشعلت من الغدر سهما داميا رد ألف سهم فتى
فمتى يمسح السلام دموع القدس فى مشرق الصباح الأبى
ويعود الأذان يهتف للنصر بكل الذرا بصوت عتى
ويغنى الزيتون يارب لحنا عربيا لوعدك المأتى
رب إنا على الصراط مشينا نشرب النور فى صفاء ورى
ومشى غيرنا حيارى على الدرب يلجون فى عماء وغى
إنهم فتية نسوك فضلوا ثم هاموا على الطريق الغوى
فاهد يارب للضياء سراهم بشعاع من نورك الأزلى
واسقهم خمرة الرضا ليشدوا من خطاهم على الصراط السوى

سرمدية

للأستاذ : عبد العاطى موسى عبد العاطى

الفجر يا صاحبى يدنو ويقترب … مهما يطول الدجى أو تنذر الشهب
والعسر لابد من يسر يصاحبه … والغيث آت وإن غابت به السحب
فكيف صارت سلاما بعد جذوتها … نار « الخليل » ... وأصغى ذلك اللهب
وحوت « ذا النون » ما طالت دياجره … وبرء جسم براه السقم والعطب
ونور عينيه من للصبر أسلمه … قميص « يوسف » يعلوه دم كذب
وذا « الكليم » الذى باليم يحرسه … موج حنون وكيف الماء يضطرب
« وحكمة الله » من بالمهد حدثها … فقرت العين إذ تساقط الرطب
وذا سراج الورى « طه » ورحمته … من أدب الله فهو الخلق والأدب
أسرى به الله إنعاما وتسرية … فتاه فخراً على أقرانه « رجب »
هذا البراق سنا المختار شرفه … كم بات يهفو له الأقصى ويرتقب
وذاك معراجه للعرش وجهته … يطوى السماوات لا ستر ولا حجب
تساءل العالم العلوى فى وله … وسدرة المنتهى أثوابها قشب
فاق الملائك أقداراً ومنزلة … توقف « الروح » والمختار يقترب
ومن دنا فتدلى تلك مكرمة … وذاك فيض من الرحمن يحتسب
وعاد يهدى لنا معراج بهجتنا … هى « الصلاة » التى فى وقتها تجب
شريعة لابن عبد الله قائمة … لسيد الخلق من تزهو به العرب
إن كنت قصرت يوما إن لى أملا … فيمن إليه هفا قلبى وأنتسب
فهو الحبيب الذى ترجى شفاعته … من بشرتنا به الأسفار والكتب

رحلة إلى الحياة

للأستاذ : السيد الصديق حافظ

ما الموت ؟ ! ماذا فيه من تلك المعانى الخافيه ؟ !
أعيا فلاسفة الوجود ذوى العقول العاتيه !

* * *

الموت ليس لمؤمن يرجو الحياة الباقيه !
الموت فى بردى جهول مثل ثور الساقيه
عاش الحياة بمعدة ملأى ورأس طاويه !
عز المهيمن حيث قال : لنسفعن بالناصيه !

* * *

الموت قنطرة إلى شط الحياة الثانيه !
تلقى التقى هناك فى جنات صدق عاليه !
فى رفرف خضر وأنهار حسان جاريه !
والمجرمون وكل عاص كبكبوا فى الهاويه !
سيقوا إلى ساح الحساب كما تساق الماشيه !
ولهم شراب من حميم نزف عين آنيه !
وطعامهم جوع ضريع فى خواء الآنيه !

* * *

يامن سعيت إلى الفلاح ومن أجبت مناديه !
تعنو لوجه الله أوابا وعينك باكيه !
ترجو الرضا من فضيلة طوبى لنفس راجيه !
أبشر بجنات النعيم وبالقطوف الدانيه !
من قال : حسبى الله ربى ! كان ربى كافيه !

* * *

يانفس لا تغررك هاتيك الحياة الفانيه !
لا بد من يوم الفراق ومن نزول الداهيه !
لا تلهينك عن صلاتك أو زكاتك لاهيه !

* * *

ياعالم الأسرار لا تخفى عليه خافيه !
فى يوم فر المرء من زوج وأم حانيه !
يارب كاسية ترى يوم القيامة عاريه !
كم صارخ ياويلتى ! لم يغن عنى ماليه !
أين اختفى سلطانيه ؟ ! أين اختفى أعوانيه ؟ !
ياليتها كانت ـ وقد حل العذاب ـ القاضيه !

* * *

ياضيعة الإنسان ! كم يلهو وينسى الغاشيه !
يجرى ويلهث خلف أوهام السراب الواهيه !
لا يشبع المسكين من زيف الأمانى الزاهيه !
دنيا يجن بحبها ! شمطاء تبدو غانيه !
أنفاسنا تفنى وحاجات النفوس كما هيه !
نمضى كما جئنا وتذرونا الرياح السافيه !
سبحانه الباقى تعالى ! فاسألوه العافيه !

فقه المصطلحات العلمية

٥

للأستاذ الدكتور
أحمد فؤاد باشا

يعتقد البعض خطأ أن مصطلحات الحضارة الغربية ، ذات الدلالات غير الإسلامية ، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، إما من قبيل الحذر ، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض ، وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات ، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها ، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى « عولمتها » .

*** مناهج البحث العلمى :**

يخلط البعض بين « المناهج » بصيغة الجمع و« المنهج » بصيغة المفرد ، ويشيع بين علماء المنهجية العلمية *Methodology* ذلك المنهج الذى ألفوا ترديده منسوباً إلى « ديكارت » و« بيكون » و« ستيوارت ميل » حتى أوشكنا أن نعتقد بما يوهمنا به أنصار الثقافة الغربية من أن قضية المنهج العلمى قد بُتَّ فيها ولم تعد تحتاج إلى نظر جديد ، وإن نظرة فاحصة إلى طبيعة البحث العلمى تدلنا على تعدد مناهج البحث وتغيرها تبعاً لموضوعات العلم ومقتضياته وأدواته ، وتكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفى بمطالب العلم المتجددة ، وإلا فإنها تكون عبئاً على حركة العلم وتقدمه .

ولقد بلغت العلوم المعاصرة درجة من التشابك والتداخل فيما بينها ، بحيث تظل تفاصيل المناهج الفرعية فى تطورها وتغيرها مرهونة بالظروف التقنية فى معامل البحث والاختبار ، ومعتمدة على طبيعة الموضوعات قيد الدراسة التى تختلف من علم إلى علم ، بل وتختلف داخل العلم الواحد ، وكل أنواع المناهج الفرعية تعتبر فى حقيقتها خطوات لمسائل جزئية فى منهج واحد أو نسق عام هو المنهج العلمى الذى يدفع مسيرة التحصيل

المعرفى والتقدم العلمى والتقنى ، على أن يكون المعيار فى قياس سلامة أى منهج هو قيمته الحقيقية التى يكتسبها من نجاح العلم فى بلوغ نتائجه وتحقيق غاياته بالاستناد إلى مسلمات ثابتة تنطلق منها بنية المنهج الأساسية وتأخذ فى اعتبارها عملية التصحيح المستمرة لتلك العلاقة المتنامية والمتبادلة بين الذات الباحثة وموضوعات البحث المختلفة المنبثة فى جنبات الكون الفسيح .

وقد فطن المسلمون الأوائل إلى تعددية مناهج البحث العلمى ، فلم يقتصروا فى عملية الاستدلال المنهجى على استخدام المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة ، ولكنهم استخدموا كذلك المنهج الاستنباطى الذى يسير التفكير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى التجربة ، كما هو الحال فى بعض فروع المعرفة التجريدية كالرياضيات ، ويعتمد الاستنباط على فرض الفروض لإضفاء مقولات العقل على نتائج الملاحظة والتجربة ، واستخدام الخيال العلمى فى المماثلة بين الظواهر المختلفة للكشف عن الوحدة التى تربط بين وقائع متناثرة ، وابتكار المفاهيم والأحكام المطابقة للواقع والخبرة .

وقد بلغ الإمام أبو حنيفة الذروة فى الاستنباط بالقياس ، حيث كان يبحث عن العلة ، فإذا وصل إليها أخذ يختبرها ، ويفرض الفروض ويقدر وقائع لم تكن موجودة فى الطبيعة أصلاً ، بل يحتمل وجودها ، ثم يبنى عليها حكمه فيما يسمى « بالفقه التقديرى » ، وقد تأثر علماء المسلمين بهذا المنهج فى أبحاثهم العلمية ، على نحو ما نجده فى « مسألة ابن الهيثم » التى اشتهرت عند الأوروبيين باسم « مسألة الهازن » ، وتنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الخط الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والخط الواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » ، وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة ، وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة حينما يكون السطح العاكس مستوياً ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو أسطوانياً أو مخروطياً ، أو حينما تعتبر حالات خاصة .

وعرف المسلمون كذلك منهج البحث التاريخى فى علم مصطلح الحديث وطرق تحقيق الأحاديث دراية ورواية ، وهو ما يتضح جلياً من دراسة طرق التحقيق التاريخى عند كثيرين من علماء الطبقات . . وللقاضى عياض رسالة فى علم المصطلح حوت من مظاهر الدقة فى التفكير والاستنتاج ، تحت عنوان : « تحرى الرواية والمجىء باللفظ » ، ما يجعلها « تضاهى أدق ما ورد فى نفس الموضوع فى أهم كتب الأفرنج فى ألمانيا وفرنسا وأمريكا وإنجلترا » .

أيضاً عرف المسلمون المنهج الجدلى فى آداب البحث والمناظرة ، من خلال الخطاب الإسلامى للعقل وتوجيهه إلى ضالته ، وفى أقوال بعض المتكلمين من المعتزلة نجد ما يدل على أنهم وضعوا الأسس التى بنى عليها هذا المنهج فيما بعد .

روى الأصفهانى قال : « اجتمع متكلمان ، فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال :

شرائط ألا تغضب ، ولا تعجب ، ولا تشغب ، ولا تحكم ، ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلاً ، ولا تجوز لنفسك تأويل مثلها على مذهبى ، وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلاً منا يبقى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته . . » ، أليس فى هذه الأقوال الجامعة ما يشير إلى ماااكتسبته العقلية الإسلامية من قدرة على توخى الحقيقة بأسلوب علمى دقيق .

إن فى تنوع مناهج البحث العلمى التى مارسها علماء المسلمين بتوجيه مباشر من تعاليم الإسلام ما يعتبر خير رد على دعاوى المشككين فى قدرات العقلية الإسلامية على التنسيق والتجميع والتركيب فى حركات عقلية شملت مذاهب فى علم التوحيد ، وفى علم أصول الفقه ، وفى غيرهما من العلوم العقلية ، وهو ما لم يظفر به الفكر فى غيرهم من الأمم .

* التفاعل الحضارى :

تؤكد الدراسات التاريخية الجادة فى تاريخ العلم والحضارة الإنسانية أن العلاقة المتبادلة بين الثقافات العالمية الكبرى محكومة بالتفاعل المتبادل أخذاً وعطاء من جهة ، مع الاحتفاظ بالخصوصيات والتمايز من جهة أخرى ، ونقصد بالتفاعل المتبادل أن الثقافة الإنسانية ذات موارد متعددة ، بين شرقية وغربية ، يغذى بعضها بعضا ، دون أن تقام بينها حواجز منيعة لا تسمح باتصال أو تبادل ، فقد أخذت حضارات العصور القديمة والوسطى والحديثة ، وأعطت ، مثلما نأخذ نحن اليوم ونعطى ، لتبقى شجرة المعرفة خضراء يانعة ، وارفة الظل وغزيرة الثمار .

وقد جاء الإسلام بمقوماته الحضارية معبراً عن القانون الإلهى الذى أراده الله - سبحانه وتعالى - ناموساً طبيعياً لحركة الكون والحياة ، وقد كان رائدا الإصلاح : الشيخان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، بعيدى النظر حين رأيا أن الأصول الدينية الحقة تنشىء للأمم قوة الاتحاد والائتلاف وجمع الشمل ، وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف ، وتنتهى بها إلى أقصى غاية فى المدنية ، ولم يتوافر هذا الذى رأياه إلا فى رسالة الإسلام المكتملة التى جمعت فى إعجاز ربانى بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا ، وحثت على الانفتاح والتعارف والإخاء الإنسانى ، طريقاً للتكامل بين البشر ، ودعوة للاستفادة من معارف الآخر فى ميادين الرقى المادى والعلوم الكونية .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات - ١٣) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه الترمذى والعسكرى : « الحكمة ضالة كل حكيم فإذا وجدها فهو أحق بها » ، ومما يؤكد مبدأ الانفتاح والتواصل بين الأمم فى دعوة الإسلام العالمية من أجل الخير لكل البشر أنه كفل المحافظة على الحقوق والعهود والمواثيق للذين لم يأتمروا عليه .

قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة : ٨) .

وفى ضوء هذه المبادىء السامية التى سنها الإسلام للتعامل مع غير المسلمين انتشرت رسالة الإسلام فى جميع أنحاء الأرض ، وازدهرت الحضارة الإسلامية فى جوانبها المادية نتيجة التقائها بثقافات الإغريق والرومان والفرس والهنود وغيرهم ، حيث تعرف المسلمون على علوم كثير من الشعوب من غير ملتهم ، وتكونت لديهم خبرات واسعة فى شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والعمرانية والعلمية والتقنية ، وترجموا إلى اللغة العربية كل مفيد من تراث الأقدمين ، وصهروا هذه الخبرات والمعارف التى أخذوها واستفادوا منها فى بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة الإسلامية مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمه ، بعد أن أبدعت إسهامات جديدة لم تكن موجودة من قبل .

ومثلما عرف المسلمون ممن سبقوهم ، عرفت أوروبا بعد ذلك منهم ، ومهدت علوم الحضارة الإسلامية لقيام النهضة الأوروبية الحديثة ، ثم قيام حضارة العالم المعاصرة ، وقد لخص « ول ديورانت » ، صاحب « قصة الحضارة » ، جوهر العطاء المتبادل بين الشرق والغرب بقوله : « إن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة ، وعرض الشرق على اليونان الدين ، وكانت الغلبة للدين ، لأن الفلسفة كانت ترفاً يقدم للأقلية الضئيلة ، أما الدين فكان سلوى للكثيرين » .

ولم يجد المنصفون من علماء الغرب المعنيين بتحليل التاريخ الإسلامى أدنى حرج فى الاعتراف بحقيقة العطاء المتبادل بين الحضارات ، بما فى ذلك حضارة الغرب الحديثة ، فيقول أحدهم وهو « كولر يونج » ، فى ندوة عن أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب المسيحى : « وبعد فهذا عرض تاريخى قصد به التذكير بالدين الثقافى العظيم الذى ندين به للإسلام منذ أن كنا ـ نحن المسيحيين ـ داخل هذه الألف سنة ـ نسافر إلى العواصم الإسلامية وإلى المعلمين المسلمين ندرس على أيديهم الفنون والعلوم وفلسفة الحياة الإنسانية ، وفى جملة ذلك تراثنا الكلاسيكى الذى قام الإسلام على رعايته خير قيام ، حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه ، كل هذا يجب أن يمازج الروح التى نتجه بها ـ نحن المسيحيين ـ نحو الإسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية ، فلنذهب إليه إذن فى شعور بالمساواة ، نؤدى الدين القديم ، ولن نتجاوز حدود العدالة إذا نحن أدينا ما علينا بربحه ، ولكننا سنكون مسيحيين حقاً إذا تناسينا شروط التبادل وأعطينا فى حب واعتراف بالجميل » .

وهكذا يجب أن تكون معادلة التفاعل الحضارى صحيحة فى كل العصور ، وهى بعيدة عن كل الصفات القائمة على التعصب للجنس أو الدين أو البيئة الجغرافية ، فالمعرفة الإسلامية وحضارتها ظاهرة طبيعية لم تخرج عن منطق التاريخ ، ولم يكن بدٌّ من قيامها حين قامت ، وقد قام أصحابها بدورهم فى تقدم الفكر البشرى وتطوره على أكمل وجه ، ولولا ذلك لتأخرت مسيرة التقدم العلمى والتقنى إلى ما شاء الله .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الظلم ثلاثة

ظلم لايغفر ، وظلم لايترك ، وظلم مغفور لايطلب .

فأما الظلم الذى لايغفر فالشرك بالله ، قال الله ـ سبحانه ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ (النساء : ٤٨)

وأما الظلم الذى يغفر ، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات (١)

وأما الظلم الذى لايترك فظلم العباد بعضهم بعضا .

مسكين ابن آدم

مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة .

إخوانى ..

إلى كم تماطلون بالعمل ، وتطمعون فى بلوغ الأمل ، وتفترون بفسحة المهل ، ولاتذكرون هجوم الأجل ؟ ، ماولدتم فللتراب ، وما بنيتم فللخراب ، وما جمعتم فللذهاب ، وما عملتم ففى كتاب مدخر ليوم الحساب ، وأنشدوا :

ولـو أنـا إذا متنـا تـركنـا
لكـان الموت راحـة كـل حى
ولـكـنـا إذا متـنـا بعـثـنـا
ونسـأل بعدهـا عن كـل شى

حــقا

لئن كنت فى الدنيا بصيرا فإنما
بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فـما فاتـك منها فليس بضـائر

(١) الهنات : جمع هنة بفتحتين : الشىء اليسير والعمل الحقير ، والمراد به صغائر الذنوب .

عرقوب

العرب تضرب المثل فى الخلف « بعرقوب » . قال ابن الكلبى عن أبيه : كان « عرقوب » رجلا من العماليق ، فأتاه أخ له فسأله شيئا ، فقال له « عرقوب » : إذا أطلع نخلى ، فلما أطلع أتاه ، قال : إذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ، فقال : إذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ، قال : إذا أرطب ، فلما أرطب أتاه ، قال : إذا صار تمرا ، فلما صار تمرا جده من الليل ، ولم يعط أخاه شيئا .

قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا
ومامواعيدها إلا الأباطيل

وقال الأشجعى :

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

كم فى المسجد من أسطوانة

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل ، فشهدوا وكانوا عدولا ، فسألهم : كم فى القراح من نخلة ؟ قالوا : لانعلم ، فرد شهادتهم ، فقال له رجل منهم : أنت تقضى فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، فأعلمنا : كم فيه من أسطوانة ؟ فأجازهم .

الحسد

يقال : إن الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى به الله فى الأرض ، فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم - عليه السلام - وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل ولذا قال بعض المفسرين فى قوله - تعالى - على لسان الكفار فى جهنم : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾

(فصلت : ٢٩)

إنه إنما أراد بالذى من الجن إبليس ، والذى من الإنس قابيل ، وذلك أن إبليس أول من سن الكفر ، وقابيل كان أول من سن القتل ، وإنما كان أصل ذلك كله الحسد .

حقيقة

الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .

دعاء

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة ، وبعد المعصية ، وصدق النية ، وعرفان الحرمة ، وأكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهر بطوننا من الحرام والشبهة .

هباءة صغيرة في مهمة كبيرة

بقلم الأستاذ:
مجدى عبد الحميد بشير

فى كل مكان عبر الأدغال الكثيفة فى (كوستاريكا) إحدى دول أمريكا اللاتينية تجتذب أزهار (الهاميليا) الحمراء حشرة (الطائر الطنان) الذى يتوقف هناك للحظات يفيد فيها ويستفيد ، فهو لا يحتسى الرحيق فحسب وإنما يقوم بإلقاء بعض من حبوب اللقاح الثمينة التى بها بقاء تلك الأشجار . وككل العلاقات المعقدة التى تسود ساكنى الغابات المطيرة يبدو أن قانون المنفعة المتبادلة بين تلك الحشرات والأزهار أكثر تداخلا وأشد تشابكا . فلقد وجد الباحثون أنه بالإضافة إلى عملية إلقاء حبوب اللقاح فإن هذه النباتات تستقبل - دون أن تدرى - الحشرات المتخصصة فى مهاجمة الأزهار التى تجوب الغابة متخذة من مناقير (الطيور الطنانة) وسيلة نقل بهرتها منها ألوانها ، التى تخلب الألباب ، وتسبى العقول . وتذخر الغابات الاستوائية المترعة بالحياة بأنواع من الكائنات جُبلت على الاعتماد على بعضها البعض بطرق وأساليب لا تخطر لبشر على بال . فهذه الكائنات الدقيقة صغيرة الحجم ، لدرجة تعجز معها عن الانتقال ، من مكان إلى مكان ، بمفردها ، ومن ثم تعلمت هذه الكائنات التى تشبه العناكب فى وهنها كيف تستغل وسيلة الانتقال الشائعة من زهرة إلى زهرة ، والتى وفرها لها البارى - عز وجل - .

والعامل الحاسم فى هذا الأمر : هو التوقيت الدقيق الذى يحتم على هذه المخلوقات الهزيلة أن تقفز إلى داخل أفواه الطيور الطنانة السريعة الحركة ، وقد غفلت عن رؤيتها مشتغلة عنها بالهبوط على إحدى الزهرات ، وتظل تلك

الكائنات على حالها إلى أن يقوم (الطائر الطنان) بزيارة تلك الزهور مرة أخرى فتسرع تلك الكائنات الدقيقة بالاندفاع إلى الخارج والنزول ، وذلك بتمزيق أنوف (الطيور الطنانة) التى كانت سببا فى نقل تلك الكائنات من مكان إلى مكان ، ثم تشرع فى الفرار سريعا كالبرق الخاطف ، وذلك إذا كانت تأمل أن تحط على فردوسها المنشود قبل أن يغادره (الطائر الطنان) إلى مكان آخر .

ولقد ألقت دراستان نشرتا فى جريدة (*Biotropica*) ضوءا جديدا على الحكاية الغريبة لتلك الكائنات الدقيقة المبتزة التى تتمحور حياتها حول مواطن الزهور سريعة الزوال ، ورحلات الغدو والرواح ، غير المتوقعة (للطير الطنان ذى الأجنحة) إنها قصة نشأت منذ أكثر من عقدين من الزمان ، كما يقول دكتور (روبرت كول ويل) بجامعة (كونكتيكت) ، وكما يقول أحد علماء بيئة المجتمع بجامعة (منيسوتا) : إنها قصة رائعة حقا ، فهذه الكائنات النحيفة لا أمل لها فى الانتقال لنبات آخر حتى ولو كان شجرة لا يزيد ارتفاعها على مائة وخمسين قدما ، لكنها لن تعدم وسيلة انتقال من زهرة إلى أخرى ، أى عن طريق (الطائر الطنان) ، إنه مثال فريد يرينا كيف يكيف الكائن الدقيق بين ما وُهب من إمكانيات على ضآلتها لتتواءم مع ظروف عيش وضع فيها مهما كانت صعبة ، ويقول الباحثون :

إن التحليل المستفيض لهذا التكيف أبان وأوضح الجهد الشاق الذى يبذله الكائن الموجود بالغابات المطيرة ليعيش حتى ولو لم يزد جرمه عن جرم النقطة الموضوعة على حرف (ن) إلا قليلا .

وقال دكتور (بريان فارل) أحد علماء البيولوچيا بجامعة (كلورادو) : لقد تمكنا من الإجابة عن أسئلة كثيرة ، والسبب معرفة تلك الكائنات بكثير من الأسرار المذهلة .

ويضيف : إن معرفة هذه الأسرار بالتفصيل استغرق منا عشرين عاما من العمل الدءوب ، ونادراً ما شاهدنا هذا النوع من التفانى ، وهو الدستور الذى يحكم عالم الغابات الاستوائية .

ولتصوير عملية التعايش الحيوية بين هذه الكائنات تقول صحيفة (نيويورك تايمز) بمقال نُشر بتاريخ ١٩٩٥/٥/٢ : المكان : الغابة ، والوقت : منتصف الليل ، وحشد هائل من الكائنات اعتراه القلق أخذ يتجمع متخذا وضع الاستعداد على النباتات التى بدأت فى التفتح ، وآلاف الكائنات على شجرة (الهاميليا) الصغيرة تنتظر الوقت الموعود عندما تتفتح أبواب وريقات الأزهار ، فتندفع تلك الكائنات مسرعة إلى الداخل ، وما أن تكون داخل الزهرة حتى تبدأ وليمة لا تدوم إلا قليلا . ولأن وقتها ثمين فهى تعجل بأكل حبوب اللقاح ، وامتصاص الرحيق الذى أخذ يتشكل عند الفجر ، ثم تنخرط تلك الكائنات فى عملية تزاوج يتعارك فيها الذكور للسيطرة على مأوى الإناث ، وهذه الكائنات تتمنى البقاء هناك طيلة حياتها ، لكن قليلا من مغامرات الإناث يقامرن بإصابة لباب الزهرة فى عنقود غير مأهول بالحشرات ، كما أن الذكور تخاطر بغية العثور على فيض من الإناث العذارى واللاتى أخذن يستكشفن الأماكن البكر المستورة التى تناثرت عبر أنحاء الغابات المطيرة الشاسعة ، ولذا فإن هذه

الكائنات الدقيقة التى زود كل منها بثمانية أقدام لا تستطيع الاتكال عليها تختبىء بمناقير (الطيور الطنانة) ثم تنجو بحياتها .

ويقول دكتور (كول ويل) : إنه فى سنة ١٩٦٩ عندما كان يدرس أحد مناهج الحياة الاستوائية فى (كوستاريكا) لاحظ أن الكائنات توجد فقط فى الأزهار الحمراء اللامعة التى تتردد عليها (الطيور الطنانة) وفى مقابلة أجرتها معه : *(LA SELVA)* وهى محطة أبحاث تابعة لمنظمة (الدراسات الاستوائية) حيث أجرى الكثير من بحوثه .

يقول دكتور (كول ويل) : إن تلك الكائنات كانت معروفة لنا قبل ذلك بخمس سنين ، لكن أحدا لم يكن يهتم بها أو يعرف عن طبيعة عملها شيئا . ثم يشير بيده إلى أحد (الطيور الطنانة) التى توقفت لثوان معدودة على زهرة بعد زهرة ، فيلاحظ الورطة التى تقع فيها تلك الكائنات .

لقد تخصص كل منها فى نوع من الأزهار ، لكن الحيرة أحاطت بها ، ثم يقول دكتور (كول ويل) : إن الطائر الوحيد يمكن أن تجد داخل أنفه ثلاثة أنواع من الكائنات الدقيقة قد تصل أحياناً إلى خمسة أنواع . وليس أمام أى من هذه الكائنات إلا ثانيتان أو ثلاث تتخذ فيها قرار الإفلات من منقار ذلك الطائر أو تواجه خطر الموت . وهو وقت جد قصير . لكن هذه الكائنات نادرا ما تخطىء ، إذ أن الخطأ فى عملها لا يتجاوز بحال واحدا فى المائتين . والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : كيف تأتى لتلك المخلوقات الصغيرة العمياء التى تكاد تخلو من الرأس والمخ أن تعمل وتتصرف على هذا النسق ؟! وكيف فطنت للتمييز بين الأنواع المختلفة من الأزهار ، وكيف ألزمت نفسها بأن تحط ، وفى اندفاعة جنونية تضم اثنى عشر من تلك الكائنات فى الثانية الواحدة على النبات مخترقة مناقير الطيور التى قامت بنقلها والتى كان بإمكانها الإجهاز عليها ، وهى بداخل أفواهها ، فلم تستطع إلى ذلك سبيلا ؟!

إنها قدرة الله .

ومضمون ما اكتشفه الباحثون هو أن تلك الكائنات الواهية تتعرف على نوع النبات الذى تفضله عن طريق رائحة العطر المنبعث من الرحيق ، وفى اختبارات قُدم فيها للكائنات نوع من الرحيق لم تتخصص فى احتسائه ، فرفضت وأصرت بإلحاح على الذهاب لأنواع العسل الذى اعتادت تناوله ، وألفته ، وما أن تتعلق تلك الكائنات بتجاويف أنوف (الطيور الطنانة) سابحة فيها للتخلص مما علق بها من (أوضار) حتى تدرك تلك الكائنات الزمن الذى تصل فيه المحطة المطلوبة . ولديها بالطبع تبريراتها المعقولة فى اختياراتها السليمة ، فبعض أجناسها والذى نسب إلى مكتشفه فسمى (كولويلى) يعلم أن الهبوط على الزهرة الخطأ يعنى الموت ، إذ أن بعض الأزهار التى تزورها الطيور خطأ تأوى كائنات أخرى تقتل زائريها ، كما أن الكائن ـ إن ارتكب خطأ ـ فهو إنما يخاطر بالضياع ، وفقدان السبيل ، وقد يأسى من العثور على أليف يشاركه الحياة .

ويقول الباحثون : إن ما لهذه الكائنات من عادات أمدت علماء البيئة بإجابات جديدة عن سؤال يقول : لماذا ينحصر عمل الكائنات

والحشرات آكلات النباتات فى مهاجمة نوع واحد أو بضعة أنواع من الزهور فقط ؟

ويفسر دكتور (فاريل) بالقول : إن الباحثين الحقيقيين ركزوا على أهمية الكيماويات الدفاعية فى بعض النباتات ودورها فى إبعاد الحشرات والآفات الأخرى عن النباتات .

وفى ورقة بحثية قدمها دكتور (تولويل) وأخرى كتبها طلبة دراسات عليا متفرغون من كلية (كارلتون) تم إلقاء ضوء جديد على طبيعة تلك الكائنات ، فهى كائنات متوحشة جدا سريعة الازدراد لدرجة أنها تلتهم حوالى نصف الرحيق القيم الذى كان يمكن أن يخرج لنا النحل منه عسلا فيه شفاء للناس ، بالإضافة إلى التهامها لثلث كمية اللقاح .

وينتهى دكتور (كولويل) إلى القول : إنها عملية سيئة ، فهذا اللقاح هو كالنطفة والأمشاج بالنسبة للإنسان ، أو كالخلايا التناسلية وتمثل هذه الكائنات مشكلة ضخمة ، إذ هى منافس عنيد للنحل . إنها تتخذ منه مجرد وسيلة تنتقل بها مجانا من زهرة إلى أخرى ، كما أنها تستولى على طعامه من الرحيق وتحرم النبات من اللقاح الذى هو عماد حياته فانظر ـ وفقك الله ـ إلى هذا الكائن الواهى الذى يكاد يشبه الهباة ، وكم يحدث من الأفعال ، ويأتى من الأعمال لتدرك مدى ضعف الإنسان ، الذى غره حلم ربه عليه ، فطغى وتجبر ، ثم انظر كيف بث ـ سبحانه ـ هباته ، واختص مخلوقاته الضعيفة بالجانب الأوفر منها ، فعملت وكدحت وشكرت .

تنويه

● نود الإشارة إلى ان موضوع « نظرات حول التصوف » والذى نشر بعدد شهر ربيع الآخر ١٤١٩هـ اغسطس ١٩٩٨م بقلم الأستاذ بدوى طه بدوى ، اعتمد الكاتب فى كثير من مادته العلمية على الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية للأستاذة الدكتورة فاطمة محجوب العدد رقم ٩١ ، وقد فات الكاتب الإشارة إلى المصدر العلمى الذى رجع إليه فى كثير من مادته ، لذا لزم التنويه .

قصائد للإسلام والقدس

رؤيـة موضوعية

للأستاذ : نبيل محمد رشاد*

تساءل ـ منذ فترة ـ أستاذنا الدكتور الطاهر مكى عما أصاب شعراءنا ـ هذه الأيام ـ بيلادة الحس ، وجمود المشاعر ، وتحجر العواطف[1] فى وقت تتكالب فيه على الأمة العربية والإسلامية ذئاب البشر ، وتتداعى عليها فيه الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، وتأتيها المصائب والنوازل مصبحة وممسية ، وتتغطرس إسرائيل ، وتمارس أبشع صنوف الاضطهاد والتشريد والتعذيب والطرد تجاه العرب والمسلمين فى القدس الشريف والأراضي المحتلة ، ويسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من الفلسطينيين بين الحين والحين دفاعاً عن حقوقهم المشروعة ووطنهم السليب .

ولعل هذا الديوان « قصائد للإسلام والقدس » للشاعر العالم الدكتور سعد دعبيس[2] يمثل صرخة تشق جدار الصمت لتعلن ـ أولاً ـ أن هناك نفراً من شعرائنا لايزالون يعيشون هموم مجتمعاتهم ، ويعبرون عن آمالها وآلامها ، ويتفاعلون مع ما يحدق بها من أحداث جسام ، ولتعلن ـ ثانياً ـ أن هذا الشاعر واحد من هؤلاء .

---

* الكاتب مدرس مساعد بكلية التربية ـ جامعة عين شمس .

(١) د . الطاهر مكى : شمس الشعر الغاربة ، مقال بمجلة الهلال عدد ديسمبر ٩٦ . ص ١٠٦ .

(٢) د . سعد دعبيس شاعر مصرى معاصر لـه عدد من الـدواوين الشعرية من اهمهـا « البحث عن إنسان » ، و« اغـانى إنسان » ، و « اعترافات إنسان » ، وله عدد من الدراسات الادبية والنقدية من اهمها : « الغزل فى الشعر العربى الحديث » ، و « حوار مع الشعر الحر » ، و « نازك الملائكة » .

والدكتور سعد دعبيس شاعر ينطلق فى إبداعه الفنى من موقف محدد ، وأيديولوچية خاصة ، ذلك أنه أحد الشعراء الذين أسهموا إسهاماً فعالاً فى تنشيط حركة الأدب الإسلامي ، وهو فى مفهومه ذلك الأدب الذى يتبنى قيم الإسلام السامية ، ومبادئه العليا ، وغاياته الشريفة ، ويستمد موضوعاته من تلك القيم والمبادىء والغايات مضافاً إليها مايحفل به التاريخ الإسلامي - ممثلاً فى سيرة الرسول - ﷺ - ، وسير خلفائه الراشدين ، وصحابته الأكرمين ، ثم سير علماء الأمة ومفكريها وفلاسفتها ومبدعيها - من صفحات ناصعة ، وصور رائعة لحميد الفعال ، وكريم الخصال .

والأديب المسلم عند الدكتور سعد دعبيس هو ذلك الأديب الذى يتبنى قضايا مجتمعه الإسلامى [(1)] ، وينفعل بها ، ويعبر عنها فى إبداعه داعيا المجتمعات الإسلامية إلى التخلص مما حاق بها من أسباب الضعف والتخلف ، وحاثاً إياها على استشراف المستقبل ، والتأهب له بالاتحاد ونبذ عوامل التفرق والتشرذم ، والأخذ بأسباب العلم واستيعاب منجزات العصر الحديث وتقنياته فى جميع المجالات ثم العمل بعد ذلك على أن تكون لهم إضافاتهم إلى صرح الحضارة ، ومشاركتهم فى النهضة العالمية الحديثة .

وهذا الديوان الذى نعرض له بالتحليل والنقد ينحو هذا المنحى ، وهو كما يبدو من عنوانه يتبنى قضيتين أساسيتين :

أما القضية الأولى : فهى الدعوة إلى الإسلام بما يحمل من قيم التواد والتعاطف والتراحم والتعاون ، وبما يدعو الناس إليه من الحرية والمساواة والعدل ، فهو دين يسوى بين الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، لافرق فيه بين صغير وكبير ، ولا بين أبيض وأسود ، إلا بما يقدمه للناس من خير ، وبما يحمل فى قلبه من رفق وفى نفسه من إباء للضيم وترفع عن الدنايا ، وفى هذا يقول الشاعر من قصيدته « إنسانية الإسلام » على لسان الإسلام نفسه :

صلتى بالكون .. إنسانية
تلتقى أجناسها فى المعبد

قيم الأفراد .. فى أعماقهم
ليس بالأبيض .. وبالأسود

إنما أجناسنا أسطورة
تنمحى أوهامها فى المسجد

وبريق اللون يخبو عندما
يسجد الناس لرب أوحد[(2)]

وفى سبيل الدعوة إلى الإسلام يمضى الشاعر فى قصيدته يستعرض على لسان الإسلام نفسه أمجاد هذا الدين ، وأثره على بنى الإنسان فى المشارق والمغارب حيث صهرهم يوماً فى بوتقة

---

(1) د . سعد دعبيس : قصائد للإسلام والقدس - المقدمة ص ٨ - الطبعة الأولى القاهرة ٨٩ ، وجميع الإحالات بعد ذلك على هذا

(2) الديوان ص١٠٣ .

واحدة وجمعهم على كلمة واحدة ، وأذاقهم نعيم الوحدة العامة ، والأخوة التامة ، والمساواة والعدل المطلق مما أتاح لهم أن ينسوا ماكان بينهم فى سالف الزمان من إحن وثارات :

قـد سكبت الكـون يـومـاً وحــدة
مــن أزاهــير ربــيــع مــورق

غــرد ابن الغــرب فيهــا لحنــه
مــثــلما هــام بهــا ابــن المشرق

نسى الــرومــان والــفــرس بهــا
إحــنــا كــانت كــليــل مــطبــق

وَغَــدَوْا من بعــد حــرب إخــوةً
وزهى الكــون بعــدل مــطلق[1]

وفى ظل هذا العدل المطلق والوحدة الجامعة نشأت حضارة هذا الدين ، تلك الحضارة الإسلامية التى أعلت قيمة الإنسان ، وغالت بكرامته ، وصانت آدميته ، وحفظت عليه حياته ـ حتى وهو أسير ـ فلم تفكر يوماً فى الاعتداء عليها أو إزهاقها ، أو اختراع أدوات ومواد تنسفها وتبيدها :

لم تــبــح قــتــل أســيرٍ أعــزل
بــجــراثــيــم وبــاءٍ مــعــدم

لم تــفــجــر ذرةً طــائــشــةً
تجعــل الكــون بقــايــا مــأتم[2]

والشاعر فى هذا يعرض بالحضارة المادية الغربية الحديثة التى تقوم على البطش بالضعفاء ، والفتك بالأعداء دونما تفرقةٍ بين بریء ومجرم ، وظالم ومظلوم ، ومحارب ومسالم .

ويدرك الشاعر أن فى الإسلام علاجاً للإنسانية جمعاء من آلامها وهمومها وشقائها وتعاستها بما أنجزت من تقدم مادى باعد بينها وبين عالم الروح ، وبما تردت فيه من الانحلال والتفكك والتمزق لذا نراه ينادى الإنسان ـ أياً كان موقعه على خريطة المعمورة ـ على لسان الإنسان نفسه فيقول :

يــاأخى فى الشرق والغــرب أفق
آن أن تــســمــع ألحــان المــنى

آن أن يــغمــر عــينيــك الســنــا
فــأصــخ للفجــر يسرى معلنــا

وارقــبــوا الأفــق فــإنى قــادم
واسمعــوا صــوتى . . إنى هــاهنــا

إنــى الإســلام . . حلم العــالم
أنا طب الكون . . آمال الدنــا[3]

ويرى الشاعر النبى ـ ﷺ ـ شمس اخضرار تبدد ظلام اليأس والقنوت والحيرة ، وتزرع الأمل والخير والسلام فى دنيا الوجود :

---

(١) الديوان ص١٠٥
(٢) الديوان ص١٠٦ .
(٣) الديوان ص١٠٦ .

أراك عـلى الأفق شمس اخضرار
ترفرف فوق القرى والدروب

تـذيب جبال الأسى والهموم
حدائق ضوء بسفح خصيب[1]

أما القضية الثانية : التى تبناها هذا الديوان فهى « قضية القدس » التى كتب فيها عدداً من القصائد من مثل « خلفيتان لصورة القدس » ، و« وطن المسلم » ، « إنهم يسرقون القدس من معجم البلدان » وفى هذه الأخيرة تمتلىء نفس الشاعر بالحيرة الممزوجة بالحسرة والألم حتى إنه ليتساءل قائلاً :

أترى زيفوا المعاجم حتى
نسى القدس معجم البلدان

أين ألقى فى معجم اليوم رسما
لبلاد الإسراء والإيمان

وطن .. مسجد .. أذان .. صلاة
أين ألقى بيان تلك المعانى[2]

ويشير الشاعر إلى مايرتكبه المحتل فيها من اعتداء على الحرمات ، وقتل للأبرياء ، وإشاعة للخوف والذعر :

جنود صهيون قد ساقوا قوافلنا
أسرى لأمرهمو نعنو ونأتمر

وهتكوا عرض من شاءوا وما رحموا
وعربدوا مثلما شاءوا وما ازدجروا

ومزقوا جثث الأطفال فى نهم
وهللوا لدم الأطفال وافتخروا[3]

وينظر الشاعر إلى هذه الأفعال التى يرتكبها المحتل فى الأراضى الفلسطينية فيراها لا تصدر عن إنسان له قلب وروح ، وعروق تجرى فيها دماء الحياة فتساءل : من أى جنس ياترى من الأجناس هؤلاء العابثون بالكرامة الإنسانية ، المحطمون لأروع حضارة عرفتها البشرية على مر التاريخ ؟ ، أهم من الحيوانات العجماوات ؟ ، ومن أى فصائلها هم إن كانوا منها ؟ ، أمن الوحوش أم من البقر ؟

وحوش غابٍ همو .. لا بل زبانية
الوحش يأنف مما يفعل الغجر
أهم بهائم .. قد أرخوا أزمتها
حميروحش همو .. أم ياترى بقر[4]

وسرعان مايتذكر ماجبلت عليه الحيوانات من الرحمة فيدرك أنه :

لا شىء من عالم الغابات يشبههم
فللوحوش قلوب .. مثلما البشر[5]

ولا يدعنا الشاعر نتوهم أن قلوبهم قد قدّت من حجارة صماء لا تشعر ولا تحس ولا تلين حيث يقول :

---

(1) الديوان ص ٨٦ .
(2) الديوان ص ٢٤ .
(3) الديوان ص ٤٠ .
(4) الديوان ص ٤١ .
(5) الديوان ص ٤١ .

حتى الصخور إذا قيسوا بها رفضت
فالصخر من قلبه الأمواه تنفجر

وهو فى هذا البيت متأثر على المستويين التعبيرى والتصويري بالآية القرآنية التى وصف بها الحق جل جلاله ـ قسوة قلوب بنى إسرائيل ، وهى قوله تعالى ناعياً عليهم تحجر قلوبهم ومشاعرهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

(البقرة ـ ٧٤) .

ويقف الشاعر مشدوهاً أمام الطفل الفلسطينى الذى يقاوم الاحتلال والعنف الإسرائيلي بالحجارة ، ويهدى أروع قصائده « العيد . . والمآذن الثائرة » إلى الأم الفلسطينية التى قدمت للعالم أطفال ثورة الحجارة .

ويرى أن الحجر فى يد الطفل الفلسطينى قد تكلم فأحسن البيان . . أسمعه وهو يقول على لسان طفل يخاطب أمه ، ومن حوله من أهل وأحباب :

أرأيت أشعار الحجارة كم لها سحر مبين
فلتسقطوا فى البلاغة فى الحواشى والمتون
ولتدرسوا الأحجار فهى بلاغة الخبر اليقين

***

فن الحجارة مولد لبلاغة لا تستكين
إن البلاغة حيثما الأحجار تأبى أن تهون
ولقد تعيد حجارة رشدا لمن زعم الجنون
ولقد تبين حجارة صماء ما لا يستبين

***

إن البلاغة موقف فاختر لنفسك أن تكون
واربأ بنفسك عن بلاغة أن تكون . . ولا تكون
وسل الحجارة حين تحملها قلوب المؤمنين
سلها فإن بيانها يشفى قلوب الحائرين(٢)

لقد خلع الشاعر فى هذه القصيدة على الحجارة كل معانى الحياة الإنسانية ، فهى تقول شعراً له سحر مبين ، وتعيد الرشد لمن زعم الجنون ، وتَسْأَلُ عن نفسها فتجيب إجابة تشفى قلوب الحائرين .

كما زاوج فيها بين الأساليب الإنشائية والخبرية للتعبير عن انفعالاته وأحاسيسه بهذه الانتفاضة ، وهؤلاء الأطفال الذين استطاعوا ـ بالحجارة وحدها ـ أن يقضوا مضاجع المحتلين ، وأن يلفتوا أنظار العالم كله إلى ما أحاط بهم من الظلم ، وما لفَّ حاضرهم ومستقبلهم من الضياع .

وعلى هذا النحو من التعبير والتصوير يمضى الشاعر فى بقية قصائد ديوانه القيم الذى أثرى به ـ ولا شك ـ دنيا الشعر العربى الحديث .

---

(١) الديوان ص ٤١

(٢) الديوان ص ٣٧

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور: حسن على محمد

• من المحرر •

تحية للرجال في عيد النصر

كلما أهلت ذكريات النصر فى حياة العرب .. وكلما صدحت الموسيقى ، وذاعت الأغانى والأناشيد .. وكلما رفع عربى رأسه مزهواً بالنصر .. وكلما نبت زرع فى سيناء واخضرت الصحراء .. دوّت فى أذنى صيحات .. الله أكبر ، وتذكرت أيام العاشر من رمضان المجيدة ، جند صائمون ، يقاتلون من أجل الأرض والكرامة هتافهم .. الله أكبر .. زلزل أقدام الغدر ، زلزل أقدام الجبناء .

الدرس المهم فى نصر أكتوبر : أن العلم بدون إيمان هزيمة ، تمثلت فى الجيش اليهودى .

وأن الإيمان والعلم قوة جبارة ، تمثلت فى الجيش المصرى .. وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .

حسن على

مصر :

الرئيس مبارك فى حديث لجريدة « القوات المسلحة » :

□ مصر لا تقبل الضغط عليها ولا تقبل ما يتعارض مع مصالحها .

□ دروس التاريخ تفرض علينا ضرورة الحفاظ على جيش قوى قادر .

□ حرب اكتوبر حرب مشروعة لتحرير الأرض ، ودفع العدوان .

● القاهرة ـ نقلاً عن جريدة « القوات المسلحة » :

شهدت مصر احتفالات ضخمة ، بانتصارات السادس من أكتوبر ، بمناسبة مرور ٢٥ سنة على ذكرى الانتصار ، ودحر العدوان . . وقد أجرت جريدة « القوات المسلحة » حديثاً مع السيد رئيس الجمهورية بهذه المناسبة .

وقد أعلن السيد الرئيس : أن القوات المسلحة المصرية قد شهدت طفرة كبيرة من التطور والتحديث ، وقال السيد الرئيس : إن السلام يحتاج إلى قوة تحميه ؛ لأننا نعيش ظروفاً إقليمية ، ودولية دقيقة ، تتطلب المزيد من الحذر ، وأن دروس التاريخ تفرض علينا الحفاظ على جيش قوى وقادر ، وأن نحتفظ بقدرة دفاعية كاملة ، تتيح لنا أن نقوم بدورنا الحيوى ، مؤكداً حرص مصر على السلام العادل والشامل .

وتناول الرئيس فى حديثه ذكرياته عن حرب أكتوبر ، وقال إنها منحته الكثير من الدروس ، وأن حرب الاستنزاف كانت هى المدرسة التى تعلمنا فيها جميعاً ، وانصهرت فيها قدرة الشعب المصرى مع قواته المسلحة .

وأشاد السيد الرئيس بدور القوات المسلحة مؤكداً أنها مدرسة المواطنة والانتماء ولا تعرف الفرق بين عنصرى الأمة ، وهى مصدر الثقة والأمان لكل الشعب المصرى .

* * *

□ د . حمدى البنبى وزير البترول :

عائدات البترول العربية قفزت من ٩ إلى ٦٨ مليار دولار نتيجة حرب أكتوبر .

صرح وزير البترول المصرى بأن صادرات مصر البترولية بلغت ٥٠ مليار دولار منذ أكتوبر ١٩٧٣ وحتى الآن ، وأوضح أن الحرب أتاحت للدول العربية المنتجة للبترول أن ترتفع عائداتها السنوية من ٩ مليارات إلى ٦٨ مليارا فى عام ١٩٧٦ نتيجة لتزايد أسعار البترول ٤ مرات .

* * *

□ د . حمدى زقزوق وزير الأوقاف :

مبارك مهتم بالمساجد وإحلالها بتكلفة ٦٨ مليون جنيه لهذا العام .

أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف المصرى : أن موازنة الدعوة الإسلامية فى عهد الرئيس مبارك تضاعفت ، حوالى ١٨ مرة ، حيث

كانت فى عام ١٩٨٢/٨١ حوالى ٣٧ مليون جنيه ، وأصبحت ٦٦١ مليون جنيه ، كما زاد عدد العاملين خلال نفس المدة من ٩٣٩٣ إلى ٣٦ ألفا و٣٤٣ .

وأكد وزير الأوقاف اهتمام الرئيس مبارك بالمساجد ، ودورها فى نشر الإشعاع الفكرى ، والدين المستنير ، كما زادت أعداد المساجد الحكومية من ٥٤٠٠ مسجد عام ١٩٨١ إلى ٣٩ ألف مسجد عام ١٩٩٧ .

وقال وزير الأوقاف : إن الحكومة خصصت عام ١٩٩٣/٩٢ حوالى ١٥,٦ مليون جنيه لصيانة المساجد المتأثرة من الزلزال .

وأكد وزير الأوقاف على حرص الدولة على نشر الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ، حيث أصبح الآن لدينا ٢٥٨٢ كتّاباً .

□ د . جويلى وزير التموين :

مصر ترفض التنازل عن شروط الذبح وفقاً لأحكام الشريعة .

أكد الدكتور أحمد جويلى وزير التموين والتجارة : رفض مصر التنازل عن شروط الذبح وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية ، وإثبات طريقة الذبح على الدواجن المستوردة من الخارج .

وقال الوزير أمام اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب : إن هذا الشرط يتقدم جميع المواصفات ، التى حددتها مصر للسماح باستيراد الدواجن ، وفقاً لاتفاقية الجات .

* * *

الأوقاف تهدى جامعة جنوب الوادى أحدث مكتبة إسلامية .

صرح الدكتور نشأت فهمى رئيس جامعة جنوب الوادى بالإنابة أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أهدى مكتبة إسلامية حديثة لجامعة جنوب الوادى .

ويأتى هذا فى إطار جهود المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف فى تثقيف الشباب الجامعى ، ومساعدته على الفهم الصحيح للدين الإسلامى ، كما أهدت وزارة الأوقاف الكويتية مكتبة إسلامية لجامعة جنوب الوادى .

* * *

□ مفتى الجمهورية يطالب الدول الإسلامية بمساندة أندونيسيا .

طالب فضيلة المفتى بمساندة أندونيسيا وتقديم يد العون لها للخروج من أزمتها الاقتصادية ، حتى يكون للمسلمين قوة فى مواجهة أعداء الإسلام ، الذين يهدفون إلى إضعاف المسلمين .

باكستان :

مؤيدو الشريعة يطالبون بالقرآن قانوناً وحيداً للبلاد

إسلام آباد ـ أ . ش . أ :

أعلن رئيس وزراء باكستان أن باكستان دولة

إسلامية ودستورها ينص على أن ديانتها الرسمية هى الإسلام .

وأعلنت باكستان أنها لن تتخلف عن سداد فوائد دينها الخارجى البالغ ٣٠ مليارا بعد أن هبّت الدول الإسلامية لنصرتها .

وأشار متحدث رسمى آن بنك التنمية الإسلامى قدم بالفعل مساعدة قدرها ١,٥ مليار دولار لباكستان لحل أزمة السيولة ، التى تعانى منها وجعلتها تفكر فى تجميد ديونها .

* * *

.. وإسرائيل تلوح بتدمير المنشآت النووية الباكستانية

تل أبيب ـ إسلام آباد ـ وكالات الأنباء :

أبلغت دوائر إسرائيلية نظيرتها الأمريكية فى واشنطن أن تل أبيب سوف تجد نفسها مضطرة إلى مهاجمة باكستان بالصواريخ والضربات الجوية الموجهة حال قيام باكستان بإجراء تجارب نووية جديدة .

وقالت إسرائيل بأنها لن تسمح لأية دولة إسلامية بامتلاك السلاح النووى لتهديد ذلك للأمن القومى الإسرائيلى .

إيران

حشود عسكرية ضخمة على الحدود الإيرانية الأفغانية

طهران ـ إسلام آباد :

هددت إيران بالثأر لمقتل دبلوماسييها بأفغانستان ، وقد جاء هذا التهديد مصحوباً بمناورات عسكرية ضخمة ، وحشود بلغت حوالى ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل تم نشرها على الحدود الإيرانية الأفغانية .

كما أعلن الرئيس الإيرانى : أن صبر إيران بدأ ينفد ، وأن على طالبان أن يسلموا الرهائن المحتجزين هناك ، ومعاقبة المتسببين فى قتل الدبلوماسيين الإيرانيين .

* * *

الرئيس الإيرانى يلقى كلمة بلاده فى الأمم المتحدة

طهران : أ . ش . أ :

ألقى الرئيس الإيرانى محمد خاتمى كلمة بلاده أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر الماضى خلال دورة انعقادها الجديدة ، وقد لقى ترحيباً كبيراً ، كما رصدت الدوائر السياسية غزلاً بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإيرانية لفتح صفحة جديدة بين إيران وأمريكا .

والمعروف أن الرئيس خاتمى هو أول رئيس إيرانى يلقى كلمة بلاده فى الجمعية العامة منذ عام ١٩٨٦ .

لبنان

المدفعية الإسرائيلية تهاجم جنوب لبنان : القبض على شبكة جاسوسية تعمل لصالح اليهود

بيروت : (ر) :

شنت ٤ طائرات إسرائيلية غارتين على تله ملتيا

ومزرعة عقماتا بإقليم التفاح ، كما قصفت المدفعية الإسرائيلية قرى زوط الشرقية وبلدة المنصورى .

وعلى صعيد آخر صرح مصدر أمنى بأنه تم إلقاء القبض على مجموعة كبيرة من المتعاملين مع إسرائيل فى منطقة الضاحية الجنوبية لبيروت تجاوز عددهم عشرين شخصاً .

الأردن :

الطراونة يستبعد مشاركة الأردن فى التعاون العسكرى الإسرائيلى ـ التركى

عمان ـ وكالات الأنباء :

أعلن الدكتور فايز الطراونة رئيس الوزراء الأردنى أن بلاده لن تشارك فى التعاون العسكرى التركى الإسرائيلى مؤكداً أن الأردن ليس جزءا من أى تحالف ذى طابع أمنى .

جاء ذلك فى أعقاب المباحثات التى أجراها الطراونة مع نظيره التركى مسعود يلماظ الذى بدأ جولته فى المنطقة ، زار خلالها الأردن وإسرائيل وفلسطين .

قطـر :

لا خلافات جوهرية فى العلاقات المصرية القطرية

الدوحة ـ وكالات الأنباء :

أكد السفير محمد بن حمد آل خليفة سفير قطر بالقاهرة أنه لا توجد أية خلافات جوهرية بين القاهرة والدوحة مشدداً على قوله أن العلاقات المصرية القطرية تسير من حسن إلى الأحسن .

وقال السفير أنه تجرى حالياً اتصالات بين البلدين لتحديد موعد انعقاد اللجنة المصرية ـ القطرية العليا .

* * *

فلسطين :

١٠ ملايين دولار خسائر فلسطين يوميا بسبب الحصار اليهودى

غزة . أ . ش . أ :

أكد ماهر المصرى وزير التجارة الفلسطينى أن الخسائر الفلسطينية نتيجة الحصار الإسرائيلى المفروض على الأراضى الفلسطينية .

وقال : إن الحصار يشمل منع العمال والبضائع بما يخالف الوعود الإسرائيلية بعدم اللجوء إلى إغلاق الحدود أو منع العمال من الوصول إلى أعمالهم .

* * *

مسئول يهودى يشيد برغبة جماعة يهودية فى هدم المسجد الأقصى

أشاد نائب وزير التعليم اليهودى بدعوة جماعة يهودية لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل على أنقاضه .

الجديد فى العلم والتقنية

للدكتورة : نجوى السيد أحمد(*)

جهاز إلكترونى لقياس درجة تلوث الماء :

ابتكرت شركة فرنسية جهازاً إلكترونياً لقياس درجة تلوث الماء . تقوم فكرة الجهاز على الاستفادة من قدرة بعض أنواع البكتريا البحرية على إطلاق الضوء ، حيث يتم إدخال البكتريا فى الماء المطلوب قياس درجة تلوثه ، ومن خلال مضاعف ضوئى حساس بالجهاز تقاس درجة هبوط الضوء بفعل التلوث .

الأوزون لتنقية مياه الشرب :

يتم الآن فى فرنسا استخدام الأوزون لتنقية مياه الشرب فى محطات التنقية ، حيث يتكون جزىء الأوزون من ٣ ذرات أكسچين ، وعندما يتم حقن الماء بالأوزون يقوم بتدمير جميع الكائنات الدقيقة الحية ويزيل أى تلوث للماء . ويرى الخبراء أن الأوزون لا خطورة منه على صحة الإنسان ، كما أنه مادة غير ثابتة يتم تحللها بسهولة إلى الأكسچين وبذلك فهو لا يترك أى أثر على وجوده فى الماء .

غسيل الفاكهة والخضروات آليا :

أنتجت شركة فرنسية ماكينة لغسيل وتنظيف الفاكهة والخضروات تعمل بنظام متكامل يحتوى على جميع الأوامر والبيانات الخاصة بمختلف المنتجات المراد تنظيفها . تتميز الماكينة باستخدام تيارات الماء والهواء فى عملية الغسيل مما يسمح بسهولة وبسرعة تنظيف الخضروات والفاكهة والمحافظة عليها ، بالإضافة إلى توفير استهلاك المياه بنسبة ٥٠٪ والطاقة بنسبة ٣٠٪ .

خطورة الإسراف فى استخدام المنظفات الصناعية :

أشار تقرير للمعهد القومى للسرطان بالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن الإسراف فى استخدام المنظفات الصناعية قد يؤدى إلى الإصابة بسرطان الدم ، حيث إن مادة الكلور المستخدمة فى تصنيع هذه المنظفات تتحد مع المركبات العضوية للمياه مكونة مادة تعرف بالهالوميثانات المسرطنة التى

(*) استاذ باحث مساعد ـ المركز القومى للبحوث بالدقى .

تتخلل الملابس ومع استمرار الاستخدام تنفذ هذه المادة إلى دم الإنسان من خلال مسام الجلد .

تنظيف المبانى التاريخية بأشعة الليزر:

صمم فريق من الباحثين الأوروبيين جهازا محمولا لتنظيف المبانى التاريخية بأشعة الليزر ، والجهاز تتم تغذيته بأشعة الليزر ، ومتصل بأداة يدوية فى حجم كاميرا التصوير الضوئى ، كما يحتوى على نظام تبريد ذاتى ، تقوم فكرة الجهاز على بث الطاقة الضوئية بمعدل ٥٠٠ مللى من شعاع الليزر إلى الأداة اليدوية التى يتم توجيهها إلى البقع السوداء على المبانى حيث تتبخر بسرعة وبسهولة ، ويتم بث نبضات أشعة الليزر لفترات زمنية قصيرة لتلاشى تشتت الحرارة إلى باقى طبقات المبانى .

الليزر لعلاج الأسنان:

يتم الآن فى الولايات المتحدة الأمريكية استخدام أشعة الليزر كوسيلة فعالة لعلاج الأسنان بعد أن وافقت منظمة الأغذية والدواء على استخدامه حيث إن الأبحاث أثبتت عدم تأثير أشعة الليزر على سلامة وصحة جسم الإنسان . ويستخدم الليزر فى خلع وحشو وعلاج الأسنان .

من فوائد قشور جوز الهند:

استخرج مجموعة من العلماء بجمهورية أوكرانيا من قشور جوز الهند دواء يخلص جسم الإنسان من المواد الكيميائية الخطيرة ، كما يساعد على تقليل كمية الإشعاع فى جسم الإنسان بدرجة كبيرة خلال أسابيع من تناوله ويحسن من وظائف الكلى والكبد ، ويساعد على تقوية مناعة الجسم .

بكتيريا مهندسة وراثيا لمقاومة السرطان:

أعلن فريق علمى بجامعة « ييل » الأمريكية أنهم نجحوا فى إنتاج سلالة غير ضارة من بكتيريا السالمونيلا بالهندسة الوراثية تستخدم لمكافحة مرض السرطان ، قام العلماء بعمل سلالة جديدة من البكتريا تحمل مورثات مضادة للسرطان ، وتمت تجربتها على الفئران حيث تم إطلاقها فى الورم فلاحظوا أن الورم أخذ ينمو ببطء لكنه لم يختف تماما مما ساعد فى إطالة عمر الفئران .

رئة صناعية لمرضى سرطان الرئة:

طور العلماء الأمريكيون رئة صناعية تعويضية لمرضى سرطان الرئة والتليف الرئوى وغيرها من أمراض الرئة الخطيرة . الرئة مصنوعة من البلاستيك وتمت تجربتها على الحيوانات ونجحت فى القيام بوظيفة الرئة الطبيعية .

بيوت فولاذية للطوارىء:

صممت شركة بريطانيا بيوت طوارىء من الفولاذ يتم تركيبها فى أقل من نصف ساعة بدون استخدام أية آلات ، ويمكن كذلك فكها بسهولة لإعادة استخدامها فى أماكن أخرى . . المنزل مساحته حوالى ٢٠ مترا مربعا وهو مصنوع من طبقتين من الفولاذ المجلفن ، ويوجد به نوافذ من كل جهة وهو يصلح فى حالات الكوارث بدلا من الخيام التقليدية .

دوحة الكتب

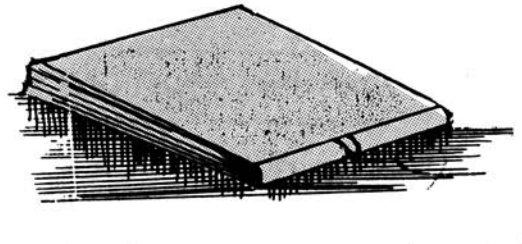

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

المتطرفون

تأليف الدكتور عمر عبد الله كامل

● عزيزى القارىء .. منذ أن خَلق الإنسان والتطرف آفة خطرة ، تصيب أصحاب القلوب الضعيفة ، وتخترقها كالمرض الساكن بها ، سواء أكان تطرفاً فى الدين ، أم تطرفاً فى الدنيا .

ورغم التقدم الحضارى ، ونداء الإسلام الدائم بعدم الغلو والتنطع ، والتشديد والتعسير والتنفير ، وعظمة الإسلام فى رفض هذا التطرف إلا أننا أُصبنا فى عصرنا هذا ، وابتلينا بأصناف من الغلاة ورثوا غلو الخوارج قديماً ، مما جعل معظم الذين يتحدثون عن التطرف فى عصرنا يكادون يقصرونه على التطرف الدينى ، فى حين أن هناك تطرفاً لا دينياً أشد منه خطراً وأبعد أثرا ، وأعظم شرراً ، وكثيراً مايكون هذا التطرف اللادينى ، هو المولد الأول للتطرف الدينى .

ولهذا وقف مؤلف هذا الكتاب صامداً يتعقب هؤلاء الغلاة الضالين والمتطرفين وتفنيد شبهاتهم .

فبدأ هذا الكتاب بمقدمة جلية بيد عالم رشيد وصاحب صوت مسموع عمل جاهداً ليخرج هذا الكتاب إلى كل باحث عن الحقيقة ، ليعلم حقيقة هذه الطائفة من المنبت وحتى عصرنا هذا بعد مراجعة دقيقة ، واسترشاد فى المقدمة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ، لهذا الموضوع لنخرج من هذه المقدمة بكل مايحويه الكتاب بين طياته .

وقسم الدكتور عمر كتابه هذا إلى مقدمة ،

شرح فيها الاتجاهات المتطرفة من غلاة الشيعة والخوارج ، وخطورة التكفير ، وأحداث الجزائر ، وقتل السائحين ، وتشويه صورة مصر ، ثم إلى عدة أبواب :

الباب الأول : عن الخوارج المارقين وهذا هو لب الكتاب ؛ الذين استباحوا دماء المسلمين ، وقتلوا النساء والأطفال ، والشيوخ ، والمستأمنين .

حرص المؤلف على تعريف هذا الفئة ، وأصلها ونشأتها ، ثم معتقداتهم وألقابهم وفرقهم وتكرار ظهورهم ، وهم قوم من أهل الأهواء .

أما فى **الفصل الثانى** : فقد أبرز المؤلف صفاتهم ، ومعالمهم ، وماورد عنهم من آيات وأحاديث ، وصفاتهم ، وأسباب غلوهم وهو سوء الفهم ، وقلة الفقه ، ونقص التجربة والخبرة والإعجاب الشديد لأنفسهم .

ثم وضح فى **الفصل الثالث** : خطورة الخوارج وتكفيرهم للمسلمين ، واستحلالهم للقتل .

الباب الثانى : وتحدث فيه عن مظاهر التطرف وآفاته ، وقسمه إلى أربعة فصول : وسطية الإسلام ـ التطرف غلو وإفراط وتفريط ـ مظاهر التطرف ـ آفات التطرف .

أما عن أسباب التطرف الدينى فكان **الباب الثالث** : حيث أشار إلى الأسباب العلمية ومنها ضعف البصيرة فى الدين ، وأخطاء منهجية فى التفكير ، ثم الاتجاه الظاهرى فى فهم النصوص ، اتباع المتشابهات وترك المحكمات ، والتباس المفاهيم ، والإسراف فى التحريم ، وكثير من الأسباب .

ثم الأسباب النفسية والاجتماعية ، ثم الأوضاع الاقتصادية .

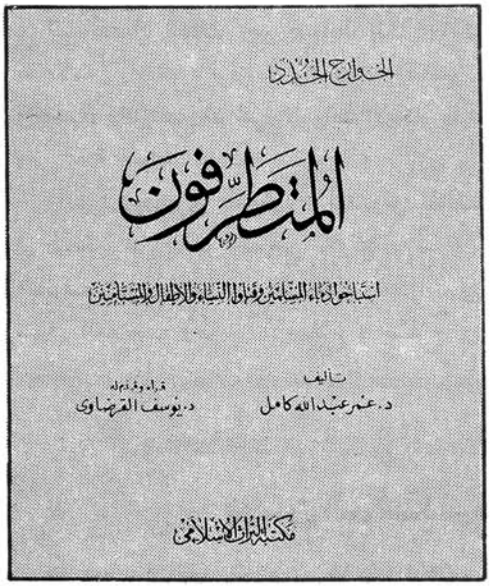

أما فى **الباب الرابع** : حيث تعرض إلى مخاطر التكفير وضوابطه ، منها مخاطر التسرع فى التكفير ، وضوابط التكفير ، ثم نماذج للغلو فى التكفير .

وفى **الفصل الخامس** : شرح الدكتور عمر موانع التكفير ، ذاكراً هذه الموانع عند شيخ الإسلام ابن تيمية .

وكان عنوان **الباب السادس** : سؤال هل مجتمعات المسلمين جاهلية ؟

حتى انتهى بنا إلى سبيل العلاج فى **الباب السابع** وهو تصحيح المفاهيم ، واتباع المنهج العلمى الصحيح ، ثم خطوات فى سبيل الإصلاح ، كالإصلاح الديني ، والاقتصادى والإصلاح الاجتماعى ، وأهمية التكافل الاجتماعى .

ثم الفصل الثالث وهو ضوابط إنكار المنكر كالحكمة ،والحلم والرفق ، والرحمة ، والصبر ، والعلم ، والتواضع ثم شرح ضوابط الإنكار باليد وهى ستة ضوابط .

وأخيراً : عزيزي القارىء : لقد وفق المؤلف فى التحذير من الفكر الخارجي ، وكشف أسباب التطرف ولعل ماذكره من اقتراحات وخطوات فى سبيل العلاج ، وطريق الإصلاح ، تسارع فى الشفاء ، وتحقيق الخير لأمتنا ، والأمن والطمأنينة لمجتمعاتنا .

ونحب أن نذكر بأن الإسلام دين الوسطية . ومنهجه اليسر والاعتدال ، ومراعاة المصالح والمقاصد ، فهل هناك أعظم من هذا ، ليستريح قلبك وتهدأ ثورتك ، وتشع أمامك حقائق هذه الطوائف ، فهيا بادر بضم هذا الكتاب إلى مكتبتك الإسلامية .

القضاء والقدر فى الإسلام
بين السَّلف والمتكلمين

تاليف الدكتور / فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء : بعد أن قمنا بعرض جلى لمعنى القضاء والقدر فى الجزء الأول ، وشرحنا القضاء والقدر فى القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

نقوم الآن بعرض موجز للجزء الثانى وهو بين السلف والمتكلمين .

ولا شك أن السلف ـ وهم الصحابة والتابعون والفقهاء والمحدثون ـ كانوا على عقيدة قرآنية خالصة فى شعب الإيمان الست ومنها عقيدتهم فى القضاء والقدر .

أما المتكلمون فهم الذين تمثلت فى فكرهم وعقائدهم بعض الانحرافات فى بعض شعب الإيمان بعامة وفى القضاء والقدر بخاصة .

● بدأ المؤلف كتابه بتفسير نشأة الفرق فى

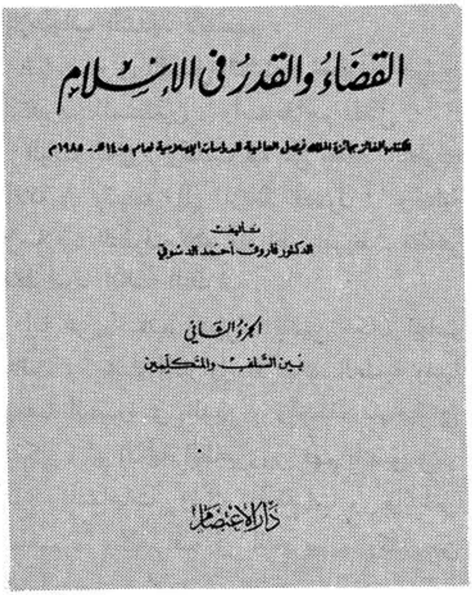

الإسلام وتحدث عن ظهور الفرق الإسلامية ، الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية

والمعتزلة والأشعرية والفلاسفة والصوفية والباطنية .

وأشار إلى السلف وهم أهل السنة والجماعة .

● ثم شرح التعليل التاريخى لنشوء الفرق فى العالم الإسلامى وسلك المعللون لنشوء الفرق فى الإسلام مسالك شتى ، ونهجوا مناهج مختلفة ، كل حسب مذهبه واتجاهه ، فهناك اتجاه سياسى واتجاه يعلل نشوء الفرق بالعصبية القبلية ، أو التنافس بين بنى هاشم ، وبنى أمية ، ومنهم من يعلله بطبيعة الفكر البشرى .

● ويحاول آخرون من المستشرقين تصوير نشوء الفرق الكلامية والفلسفية فى الإسلام بمظهر الثراء الفكرى والتراث الفنى ، الذى يجب أن تفتخر به الأمة الإسلامية .

وظهر البعض من المستشرقين منكراً أن فى علم الكلام وتراث الفرق أدنى إبداع فكرى أو فلسفى ، ومن هؤلاء المستشرقين المستشرق (آرنست رينان) الذى يتهم العقلية العربية بالعجز عن إنتاج هذا التراث الذى يراه البعض إنجازاً عظيماً من إنجازات الأمة الإسلامية .

● ثم انتقل المؤلف إلى الموضوعية فى تفسير التاريخ ، والأسباب الحقيقية ، والأسباب المباشرة أيضاً انتقل بنا إلى العوامل الرئيسية لنشوء الفرق فى تاريخ المسلمين حتى وصل إلى شق هام وهو لماذا زادت الفرق فى تاريخ الإسلام واحدة .

● أما فى بابه الأول فقد تعرض إلى عدة نقاط هامة منها فصل تمهيدى عن مفهوم القضاء والقدر ومشكلة الحرية عند العرب قبل الإسلام ، ثم أشار إلى عقيدة القضاء والقدر عند الصحابة - رضى الله عنهم - ثم موقف التابعين من القدر والحرية الإنسانية وموقف الفقهاء أيضاً .

● ووضح المؤلف مدرسة أهل الحديث ، ومشكلة خلق أفعال العباد .

● انتقل بعد ذلك إلى نشأة الانحراف فى عقيدة القضاء والقدر وظهور المجبرة والقدرية ومشكلة الحرية عند المعتزلة وتعرض فيها إلى منهج المعتزلة والأصول الخمسة ثم القدرة الإلهية والاستطاعة البشرية ثم المشيئة الإلهية والإرادة الإنسانية والفاعلية الإلهية والفاعلية البشرية ثم الفاعلية الإنسانية وإحداث الفعل .

● أما فى الباب الرابع فتحدث المؤلف عن القضاء والقدر عند الأشاعرة ، ووضح فيه الأشعرى والمنهج والقضاء والقدر ، ومفهوم الحرية عند الأشعرى ، وعند الباقلانى والجوينى .

● وهكذا عزيزى القارىء يبحر المؤلف فى قضايا الفرق الإسلامية ، ووجهات الاختلاف والقضايا الهامة ، فى الحرية ، ومنهج السلف ، والمتكلمين ، والقضايا التى تبين المنهجية الخاصة بالقضاء والقدر ، وذلك بأسلوب عصرى بحيث يزيل غمامة الاختلاف والآراء المناقضة للعقيدة الإسلامية .

ومازال للحديث بقية فى الجزء الثالث وسنتحدث عنه فى العدد القادم .. إن شاء الله تعالى .

مـــن وصـــايــا الـقـــرآن الـكـــريـــم

نظرات حول وصايا لقمان الحكيم

تأليف : محمد الأنور أحمد البلتاجى

عزيزى القارىء : نحن دائماً نبحث عن الجديد وارتباطه بالتراث حتى يصبح العلم والثقافة الإسلامية فى تطور دائم لمواكبة اختلاف العصور والأزمنة .

وفى جولة فى محراب المكتبات والبحث عن الثقافات والإصدارات التى نستفيد منها سوياً كى نضيف كل ما هو جديد ومفيد .

وقد لفتت نظرى هذه الموسوعة الذهبية التى تجمع بين طياتها خلاصة الحكمة التى أوتيها لقمان الحكيم والنبيون ، حيث أجملت ما فصله القرآن فى وصاياه الخالدة وفيها المنهاج الكامل للأخلاق الفاضلة والحياة السعيدة والنبراس المضىء فى مسيرة الحياة .

ففى هذه الوصايا النهى عن الشرك بالله والأمر ببر الوالدين والأمر بالصلاة والحض على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على المكاره . والنهى عن التكبر والاختيال والغرور .

ففى هذه الموسوعة وهى تتكون من جزءين ، كل جزء به أكثر من خمسمائة صفحة من القطع المتوسط .

والفصل الأول عن الحكيم والحكمة وعرف لعرب بهذا الاسم ـ لقمان ـ شخصين ، أحدهما لقمان بن عادياء ، وكان معمراً من بقية عاد الأولى ، عظَّمت العرب قدره فى النباهة والرياسة

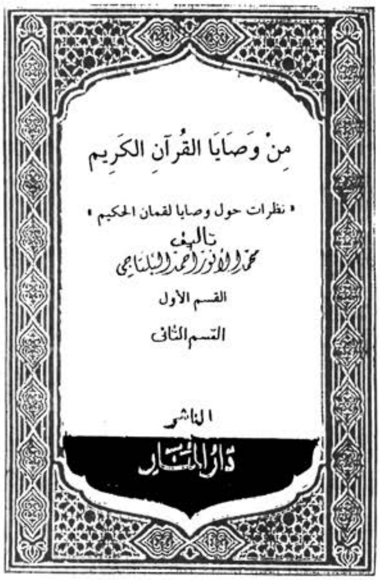

والعلم والفصاحة والدهاء ونسبوا إليه طائفة من الأمثال والأخبار والأقاصيص .

أما الآخر فهو لقمان الحكيم الذى اشتهر بحكمه وأمثاله وشهد الله له بالحكمة .

واختلف الناس فى أصله وجنسه كما اختلفوا فى العهد الذى عاش فيه وصناعته وفيما إذا كان نبياً أم كان عبداً صالحاً من غير نبوة ؟

فذكر قوم انه كان عبريا وذكر آخرون أنه كان نوبيا من أهل « أيلة » وآخرون بأنه كان حبشيا أو أسود من سودان مصر .

أما عن صناعته فمنهم من قال خياطا وقيل نجارا وقيل حطابا وقيل راعيا وقيل قاضيا فى بنى إسرائيل ومستشارا لنبى الله داود - عليه السلام - .

هذا عن لقمان ، أما عن الحكمة . فقد عرفت القواميس الحكمة بأنها : العلم بحقائق الأشياء ، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وعُرفت بأنها : الفلسفة والعلم ، والتفقه ، والعدل ، والحلم ، وأطلق علم الحكمة على الكيمياء ، والطب .

أما الفصل الثانى فقد وضح فيه المؤلف أولى الوصايا على الإطلاق ، وهى النهى عن الشرك بالله - تعالى - والأمر بإفراده وحده بالربوبية ، وتناول فى إيضاح جلى الشرك الأكبر ، والشرك الأصغر .

أما فى الفصل الثالث فقد خصصه الكاتب للبر بالوالدين ، ولا سيما البر بالأم وطاعتها ، وذكر : أن البر بالوالدين يرفع الكربات ، ويزيد فى الرزق ، ويطيل فى العمر .

أما الفصل الرابع فكان تحت عنوان المرجع إلى الله : تعرض المؤلف للقضايا الغيبية التى تبدأ برحلة القدوم منذ نشأة الإنسان جنيناً فى بطن أمه حتى خروجه إلى الحياة الدنيا ، ثم انتقل إلى رحلة العودة ، فذكر أحوال الموتى والاحتضار وسؤال القبر والأحكام المتعلقة بأحوال القبور وزيادتها ثم صحب المؤلف الروح فى عالم البرزخ وتحدث عن بعض أمارات القيامة الصغرى والكبرى .

أما الفصل الخامس فقد تحدث فيه المؤلف عن أسماء الله - تعالى - وغيب السماوات والأرض ، ثم انتقل إلى بعض المزاعم والأباطيل التى ألصقت زوراً بالإسلام ، وأشار إلى علمى الظاهر ، والباطن ، وأهل الشريعة وأهل الحقيقة ، والسحر والكهانة .

أما فى الفصلين : السادس والسابع فتعرض إلى الصلاة والزكاة ، وإنفاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإنفاق الخلفاء الراشدين ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ثم تناول مجتمع الإسلام

والفصل الثامن كان عنوانه الصبر ، وخاصة صبر أيوب - عليه السلام - .

والفصلان : التاسع والعاشر كان عنوانها : الحديث عن الكبر ، والاختيال ، وتقسيم آفات الكبر والعُجب والغرور ، وعلاج الكبر والعُجب .

ثم وضح التواضع من صفات الرسل ، وطرح جانباً من أخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - من تواضعه وحلمه وشفقته ، وحيائه وجوده وكرمه .

وأخيراً عزيزى القارىء : الحديث عن وصايا لقمان لا ينتهى ، والكتابة عنه لا يجف لها قلم ، أو تطوى فيها صفحات . .

فقد بذل المؤلف جهداً صادقاً فى سبيل إرضاء القارىء المسلم ، ومن الإقبال الشديد على هذه الموسوعة ، فقد حرص المؤلف على طباعته ثلاث مرات : الأولى عام ١٩٨٤ ، والثانية عام ١٩٨٧ ، والثالثة وهى الآن ١٩٩٨ م .

وبانضمام هذه الموسوعة إلى مكتبتك ستضيف لك الكثير ، وتجد الإجابة عن كل سؤال يحيرك ، ويتردد فى أعماقك .

بين المجلة والقارئ

إعداد: عادل رفاعى خفاجة

هـــل ينـهــى «الـنـــاتـــو» مــأســـاة كـوسـوفـــو؟

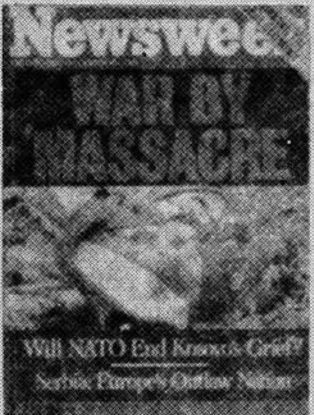

لقد ظهرت الحقيقة عارية أمام الجميع، فإما أن يتحرك الناتو ليضرب جزار الصرب، أو فلتخرس كل الألسنة !!

بهذه الكلمات وضع «جوردون سميث» عضو الكونجرس الأمريكى مشكلة كوسوفو فى دائرة الضوء أمام الجميع فى الكونجرس، وفى العالم أجمع.

فمن أجل إقامة صربيا الكبرى أشعل «سلوبودان ميلاسوفيتش» ثلاث حروب فى سبع سنوات كان حصادها مائة ألف قتيل، وملايين المشردين.

إن هذه الكارثة لم تثر مشاعر المسلمين فحسب، بل أثارت كل من له مشاعر إنسانية فى العالم أجمع، وهاهى مجلة «النيوزويك» الأمريكية تحمل للعالم أجمع صورة طفل عمره ثمانية عشر شهراً، قتله الصرب بعد أن صوب إلى رأسه أحد جنودهم مدفعه الرشاش. إنها مأساة بكل المقاييس، فهل يتحرك الناتو؟

وحول مشكلة كوسوفو كانت هذه الرسالة من القارىء / إبراهيم عبدالوهاب شرف ـ مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة .. يقول :

كوسوفو .. بوسنة وهرسك أخرى

أم أندلس جديدة

لقد أرقنى كمسلم غيور على دينه ما يحدث فى إقليم كوسوڤو الألبانى المسلم ، من اعتداءات غاشمة ، وحملات إبادة للمسلمين فى الإقليم ، من قوات الصرب ، وزعيمهم الذى انعدمت فيه المروءة ، بل انعدمت فيه الإنسانية وأصبح وحشاً ضارياً يقتل ويذبح فى المسلمين ، ويصفيهم عرقياً دون وازع من ضمير أو ذرة من عقلانية ، وأذكر نفسى وجموع المسلمين فى العالم ، والذين ينتظرون من أمريكا ومن حلف الأطلنطى أن يهب لتخليص سكان الإقليم من حملات الإبادة الصربية .

إن قلبى ينفطر ، ونفسى تفيض لوعة على حالنا : حال المسلمين فى عالم اليوم ، وعددنا شارف على المليار ونصف المليار . . ولكن العبرة ليست فى العدد كما يقولون !! هذا العدد الضخم يقف متفرجاً ، وكأن لسان حال كل مسلم فى أنحاء العالم يقول : أنا ومن بعدى الطوفان !!

تتوالى نشرات الأخبار وتبث على أسماعنا ما يُحاك ضد المسلمين فى هذا الإقليم المسكين الضعيف ، من قوات الصرب الغاشمة ، التى لا ترعى حقاً ، ولا تخاف من الله . . وكأنها تريد أن تصفى حساباً جديداً ، بعدما حدث للمسلمين فى جمهورية « البوسنة والهرسك » وما أشبه الليلة بالبارحة .

يقع الإقليم بين جمهوريتى : صربيا ، والجبل الأسود ، صفحة الإقليم تغطى حوالى ١١ ألف كيلو متر مربع ، توزعت عليها١٣٤٨ مدينة وقرية ، تتصدرها سبع مدن كبرى ، عاصمة الإقليم مدينة بريشتينا ، الناس وصل عددهم فى

إحصاء عام ١٩٨١ إلى مليون ، ٥٨٤ ألف نسمة ، يعنى أصبح هذا العدد ما يقرب من المليونين ، السهول والوديان تشكل ٣٦,٥٪ من المساحة ، المرتفعات والجبال والغابات تحتل نفس النسبة (٣٦,٥) المساحة الباقية لحساب الأنهار ، وأهمها نهر مبيلى دريم ١١٢ كم ، وايبار ٨٥ كم .

وإنى أنادى وأستغيث كمسلم قائلاً : أما آن للمسلمين فى كافة أنحاء المعمورة أن يعودوا إلى الاعتصام بحبل الله المتين وتعود إليهم قوتهم عندما فتحوا هذه البلدان حتى وصلت فتوحاتهم إلى الصين . . قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

(آل عمران : ١٠٣)

فاللهم فرج كرب المكروبين المحاصرين فى إقليم كوسوڤو . . المسلم وغيره من الأقاليم التى بها أقليات فى أنحاء العالم . . وشد من أزرهم ووحد بين صفوف المسلمين فى جميع الأنحاء . . إنك على ما تشاء قدير .

كلمة وفـاء

وصلتنا هذه الكلمة من القارىء / محيى الدين يوسف حسين الإسنوى - العشيرة المحمدية - القاهرة .

يرثى فيها أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته -

يقول :

« فى الثالثة من فجر يوم الأربعاء ، السادس عشر من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ / الموافق السابع من أكتوبر ١٩٩٨م ، انتقل إلى الرفيق الأعلى شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية بعد حياة حافلة قضاها فى الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة .

وأستاذنا الشيخ محمد زكى إبراهيم هو آخر ذلك الجيل من علماء الأزهر الذين حصلوا على العالمية القديمة ، تعددت ثقافته الدينية والدنيوية ، فهو فقيه ، محدث ، مفسر ، مؤرخ إسلامى ، يتحدث عدة لغات ، منها : الإنجليزية ، والألمانية ، والفارسية ، وشاعر فى مقدمة شعراء هذا الجيل . . ألف أكثر من مائة رسالة وكتاب .

وقد أمَّ صلاة الجنازة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، وحضر الجنازة حشد كبير من محبيه وعارفى فضله ، وفى مقدمتهم علماء الأزهر ورجاله .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة جاء فيها :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد - ﷺ - وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

يعز علينا جميعاً أن نودع شيخنا وأستاذنا ، الذى تربينا جميعاً فى مدرسته ، وكان مثالاً للتقى ، ولحسن الصلة بخالقه - عز وجل - كان مثالاً لمكارم الأخلاق ، كان مثالاً للعابد الذى حسنت صلته بخالقه - عز وجل - كان مربياً للأجيال بعلمه ، وبخلقه ، وبأدبه ، وبكل ما أعطاه الله - سبحانه وتعالى - من علم نافع ، ومن عقل راجح ، ومن فهم سليم لكتاب الله - عز وجل - وللسنة النبوية الشريفة .

عندما نودع شيخنا - رحمه الله وأجزل له الثواب - نقول ما قاله السابقون من قبلنا :

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(البقرة : ١٥٦)

نقول ما قاله سيدنا رسول الله - ﷺ - : عندما مات ابنه إبراهيم : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولكن لا نقول إلا ما يرضى الرب » .

لقد أدى شيخنا رسالته ، فى هذه الحياة على أحسن ما يكون الأداء ، علماً وتقى ، لذا فنحن ندعو الله - سبحانه - أن يلحقنا به فى زمرة الصالحين ، ونقول : (اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه ، واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، اللهم باعد بينه وبين خطاياه ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم ، ربنا أكرمنا بشيخنا ، واجمعنا معه فى الفردوس الأعلى ، مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

القــرآن الكــريــم والفـطــرة الإنســانيـــة

أرسل القارىء:

محمود الطاهر الصافى ـ فيكتوريا ـ الإسكندرية .

يقول : إن القرآن الكريم هو أعظم منبع معنوى وعملى ترتوى من معينه الثر البصائر الحرة ، والعقول المطلقة العبقرية ؛ لأنه العلم الأعلى ، والحكمة المعجزة ، فى جمالها ، وصورة الحياة المثلى المتسقة ، التى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، فالقرآن الكريم يتجه فى إبلاغه المعجز إلى الفطرة الإنسانية المشتركة ، التى تعلو على الجنسية ، والقومية ، والعصبية ، فمعانيه تنتظم عناصر وجود الإنسان ، وأسرار خلقه ، وصلتها بخالقه ، وتحمل ذلك كله على صراط مستقيم ، فالإنسان بجسمه ، وروحه ، ونفسه ، وقلبه . والإنسان مع نفسه وغيره من البداية إلى النهاية ـ يصوره القرآن وحدة متكاملة ، وقوى متحدة مسخرة ؛ لحقيقته الإنسانية العالية ، التى هى موضع العناية الإلهية ، من الكون كله ، وفطرة الإنسان إنما هى هذه الحقيقة غير أن من أضله الله يكتسب ما يباعده عن الفطرة ، فيصير اختلالاً فى كيان الإنسانية كلها ، أو بعضها .

جبـــر الخـواطـر

وأرسل القارىء : عبد الهادى محمد أحمد سليم ـ منشأة الجمال ـ طامية ـ الفيوم . . تحت عنوان : « جبر الخواطر » يقول :

إن من أعظم الأعمال ، وأحبها إلى الله ، أن تُدخل السرور والغبطة على قلب فقير ، أو مسكين ، وأن تجبر خاطره ، فالمسلم الحق هو الذى لا يتعالى على إخوانه من المسلمين ، ويحسن إلى الفقراء والمساكين منهم ، ويجبر خواطرهم ، فما عُبِدَالله بشىء أفضل من جبر الخواطر . وكان أول من حقق هــذا الخلق القويم سيــدنــا المصطفى ـ ﷺ ـ عندما كان يحسن إلى الفقراء والمساكين ، ويتمنى أن يحشر معهم يوم القيامة ، وأعلن أنهم سيـدخلون الجنة قبـل أغنياء المسلمين ، كل ذلك جبراً لخواطرهم ، وإعلاءً لشأنهم حتى لا يحسوا أنهم عالة على المجتمع ، فتقل قيمتهم فى نظر أنفسهم ، والفقراء الصابرون

◄

هم جلساء الله يوم القيامة . وإن لكل شيء مفتاحاً ، ومفتاح الجنة حب المساكين . وكم من أشعث أغبر ، لو أقسم على الله لأبره ، فالجلوس مع الفقراء من التواضع ، ومن تواضع لله رفعه .

فعن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول ـ ﷺ ـ : « تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر » رواه أبو نعيم فى الحلية .

وقال عون بن عبدالله الهذلى : « صحبت الأغنياء فلم يكن أحد أطول غما منى ، إن رأيت أحداً أحسن ثيابا منى ، أو أطيب منى ريحا ، فصحبت الفقراء فاسترحت » . فهذا رجل من صالحى الأمة جرب بنفسه مصاحبة الفقراء ومجالستهم ، فأعلن عن فائدة هذه المصاحبة ، وهى : راحة البال والضمير ، والتفرغ لعبادة الله الواحد .

وقال عبد العزيز بن أبى دؤاد : « من رأس التواضع الرضا بالدُّون من شرف المجالس » ، وقال أبو عثمان الحرى : « اصحبوا الأغنياء بالتعزز ، والفقراء بالتذلل ، فإن التعزز على الأغنياء تواضع ، والتذلل للفقراء شرف » ، فبعد هذا القول الكريم من علماء الأمة الأفاضل ينبغى علينا أن نسارع إلى جبر خواطر الفقراء والمحتاجين ، وندعو الله أن يحيينا مساكين ويميتنا مساكين ، ويحشرنا فى زمرة المساكين » . ■

التقليد الأعمى لغيرنا إلغاء لشخصيتنا

أرسل القارىء/ سامى محمود حسين ـ دمياط ـ قرية الشعراء رسالتين تضمنتا موضوعين متقاربين ، نقدم منها قوله :

إن من أهم ما يتميز به المسلم اتباع الحق ، والعمل به ، دون أن يكون للتقاليد السائدة ، والضلالات المستوردة ، أى تأثير على سلوكه ، ومنهج حياته .

والإسلام لم يرض للمسلم أن يكون ضعيف الشخصية والإرادة ، لا رأى له ، ينقاد لغيره ، ويتابع الناس فى أعمالهم وأقوالهم ، سواء أكانت

خطأ شائع يستحق التصحيح

يرسل القارىء / شحاتة أحمد أبو بكر ـ بنى سويف ـ ببا . . تحت عنوان « لا تكتموا الحق » يقول :

شرع الله الحكيم ـ جل وعلا ـ الطلاق ، وجعله حقاً للرجل .

وقد اختلف الفقهاء فى إعطاء حق الطلاق للمرأة ، والمنع أصوب .

ولكن وسائل الإعلام شوهت هذا الأمر ، وأخرجته عن نطاقه الصحيح ، وذلك فى بعض ما تقدمه للمواطنين . وإن كان الأمر لا يخفى على

خيراً أم شراً من غير ترو . . فقد بين لنا القرآن الكريم إن الجزاء من جنس العمل ، قال تعالى :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

(الإسراء : ٧)

فالمهتدى ينال جزاء هدايته ، والضال ينال جزاء ضلالته ، فلكل إنسان جزاؤه على ماقدم .

قال الله تعالى :

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ١٥)

وكما نعى الإسلام على الجاحدين ، نعى على الجامدين ، فقد تمسكوا بما كان عليه آباؤهم وعطلوا عقولهم ، ولا يستعملونها فى الموازنة بين ما جاء به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الهدى والنور ، وبين ما ورثوه عن آبائهم من ضلال مبين .

فقال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

والإسلام يطالب المؤمنين جميعاً أن يحكموا عقولهم فيما يرونه من أعمال الناس ، ويسمعونه من أقوالهم ، فإن رأوا منهم خيراً اقتدوا بهم ، وليس لهم أن يتبعوهم فى غير ذلك .

ويرى ابن خلدون فى مقدمته : إن الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها ، تعانى دائماً من عقدة تقليد القوى الذى تخضع له وتتأثر إلى حد بعيد بأفكاره وآرائه ، وسلوكه .

إن الشاهد الماثل فى عالمنا الإسلامى والعربى المعاصر ، ليؤكد أنه انجرف فى تقليد القوى فيما لا يفيد وتأثر به إلى درجة التبعية فى الفكر والسلوك الاجتماعى ، فى أوسع قطاعاته ، مما أدى إلى سلبه لشخصيته المستقلة .

إن كثيراً من أبناء الأمة قد اتبعوا سنن غيرهم ، وانساقوا فى تيارهم غير مكرهين ، انبهروا بتمدينهم ، فعموا وتاهوا وضلوا وأضلوا . . والحديث الذى معنا خير مرشد إلى الطريق القويم فعن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » . . رواه الترمذى .

أهل العلم ، إلا أننى أود أن أنبه عامة المسلمين إلى النقاط التالية :

(أ) إن من أعطى المرأة حق الطلاق فقد جعله من باب الوكالة .

(ب) إن ذلك التوكيل لا يُسقط حق الرجل فى تطليقها متى شاء ؛ إذ أنه من باب توسيع الدائرة ، وليس نقلاً للحق .

(جـ) إن المرأة التى تملك حق الطلاق ، لا تملك حق الرجعة .

(د) إنها إذا مارست هذا الحق فإنها تطلق نفسها وليست تطلق زوجها كما يجرى فى الأفلام .

(هـ) بإمكان الرجل تقييد هذا التوكيل بطلقة واحدة عند إعطائه وبإمكانه سحبه بعد إعطائه .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى

□ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد / محمد صالح النضيف وزير خارجية جمهورية تشاد يرافقه السيد سفير مصر بتشاد والسيد سفير تشاد بمصر ووفد على مستوى عـال بالأزهـر الشريف ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٩الموافق ١٤/٩/١٩٩٨ ورحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق قائلا إن الأزهر الشريف على أتم استعداد لخدمة دولة تشاد وأعرب الضيف عن شكره وشكر بلاده رئيسا وحكومة وشعبا للأزهر الشريف وشيخه الفاضل لما يقدم للعالم الإسلامى فى كل مكان ولدولة تشاد بصفة خاصة تجاه الدعوة الإسلامية ، وطلب سيادته فتح معهد أزهرى بدولة تشاد لإعداد الدعاة يشرف عليه الأزهر الشريف ويمده بالمدرسين اللازمين من ذوى الخبرة للتدريس به وأيضا مده بالمناهج الدراسية اللازمة وقد أوضح شيخ الأزهر أن عدد مبعوثى علماء الأزهر لدولة تشاد وصل إلى ستين عالما يقومون بتدريس الفقه واللغة العربية وعلوم القرآن الكريم ، والمواد الثقافية ، ووصل عدد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر الشريف هذا العام ٦٨ طالبا منهم ٣٥ طالبا على منح دراسية من الأزهر ، وقد طلب السيد الوزير زيادة المنح

الدراسية لطلاب دولة تشاد وكذلك زيادة العلماء ، وفى نهاية اللقاء قدم السيد الوزير خالص الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على إتاحة هذه الفرصة للقاء شيخ الأزهر ، كما وجه سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة تشاد ، وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة طلبات السيد الوزير تمهيدا لتلبيتها .

□ حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

□ كما استقبل فضيلته بمكتبه فى ١٩ جمادى الأولى ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/٩/١٠ سعادة السفير / وترجو الحاج محمد سفير بوركينا فاسو بالقاهرة .

□ وتم خلال اللقاء استعراض ومناقشة أوضاع المسلمين فى بوركينا فاسو ، وكذا أوضاع الطلاب الوافدين إلى الأزهر الشريف على نفقة الأزهر حيث يوجد بمعهدى البعوث فى القاهرة والاسكندرية ٤٩ طالبا ، وقد طلب السيد السفير زيادة المنح الدراسية لطلاب دولة بوركينا فاسو والعمل على تنشيط الدعوة الإسلامية وتعليم اللغة العربية فى بلاده من خلال إرسال علماء من الأزهر الشريف لهذا الغرض .

□ وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير بدراسة هذه المطالب تمهيدا لتلبيتها ، وقال إن الأزهر يضع نصب عينيه دائما احتياجات الدول الإسلامية والعربية وهى محل عنايته ورعايته .

□ شكرا لضيف فضيلة شيخ الأزهر والأزهر الشريف ومصر على حسن الرعاية والعناية التامة لطلاب بلاده خاصة وطلاب المسلمين عامة .

□ حضر اللقاء الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف . واستقبل فضيلته بمكتبه السيدة السفيرة / مدام وانا هونا توفا سفيرة دولة التشيك بالقاهرة ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٣ حيث رحب فضيلته بالسيدة السفيرة بالأزهر الشريف مؤكدا على تلبية الدعوة التى تلقاها فضيلته من السيد رئيس جمهورية التشيك لزيارة جمهورية التشيك ، وعلى أن يقوم بهذه الزيارة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر نيابة عن فضيلته يرافقه السيد الدكتور على السمان الخبير الإعلامى للحضور للمؤتمر العالمى ٢٠٠٠ والذى يعقد فى براغ بالجمهورية التشيكية فى المدة من ١١ - ١٤ أكتوبر سنة ١٩٩٨ وذلك لمناقشة الأبعاد الثقافية والإعلامية والروحية للحضارات المعاصرة وحقوق الإنسان .

□ وقد شكرت السيدة السفيرة فضيلة شيخ الأزهر على حسن اللقاء وعلى تلبية الدعوة ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام ، بالأزهر الشريف .

□ صدر قرار شيخ الأزهر بالموافقة على سفر كل من فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ورئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان السماوية بالأزهر الشريف ، والأستاذ الدكتور على السمان رئيس لجنة الحوار والعلاقات الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ونائب رئيس اللجنة الدائمة للحوار بين الأديان بالأزهر

الشريف إلى براغ بالجمهورية التشيكية لمدة ستة أيام لحضور المؤتمر العالمى ٢٠٠٠ ممثلين للأزهر الشريف ، وقد سافرا سيادتها يوم الجمعة الموافق ١٨ من جمادى الآخرة ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/١٠/٩ .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف يعمل بالخطط والمناهج الدراسية لطلاب الصف الأول الثانوى بقسميه الأدبى والعلمى بالمرحلة الثانوية الأزهرية أعتبارا من العام الدراسى ٩٩/٩٨ وفق النظام الجديد بتعديل مدة الدراسة بالمرحلة الثانوية الأزهرية من أربع سنوات إلى ثلاث سنوات إعمالا لأحكام القانون رقم ١٦٤ لسنة ١٩٩٨ .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف يسند إلى الشيخ / محمد أحمد عامر مصطفى مدير عام معهد طنطا الأزهرى التابع لمنطقة الغربية الأزهرية القيام بعمل وظيفة مدير عام منطقة البحر الأحمر الأزهرية ، ويلغى ندب الشيخ / عبد الهادى التونى أحمد عرفات القائم بعمل مدير عام منطقة البحر الأحمر ويعود لعمله الأصلى بذات المنطقة فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٥ .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف يسند إلى السيد / شريف محمد إبراهيم ندا مدير إدارة الأمن بمدينة البعوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة مدير عام شئون الطلبة والخدمات بالمدينة وذلك لحين شغلها ممن توافرت فيه شروط شغلها حسب بطاقة الوصف وفقا لأحكام القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية المشار إليها فى ٢٤ من جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٥ .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على تعديل إيفاد الشيخ / سرحان جوهر سرحان رئيس بعثة الأزهر فى باكستان وإيفاده رئيسا لبعثة الأزهر فى دولة تشاد فى العام الدراسى ٩٩/٩٨ العام الثانى والموافقة على إيفاد الشيخ / محمد عبد الرءوف عبد العزيز حمود الموجه بمنطقة المنوفية الأزهرية رئيسا لبعثة الأزهر فى باكستان للعام الدراسى ٩٩/٩٨ فى ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/٩/١٣ .

□ اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بالسادة ضباط الشرطة من معهد القادة لضباط الشرطة وذلك بمناسبة انعقاد الدورة ٧١ قيادات أمنية بالمعهد وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف فى يوم ١٣ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٠/٤ رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة الضباط فى الأزهر الشريف قائلا لهم أن هذه اللقاءات من شأنها أن تجعل هناك صلة موصولة بين أبناء الوطن الواحد ، وكلما كانت هناك صلة بين أبناء الوطن كل مؤسسة فى حدود تخصصها كلما نهض المجتمع وتقدم وارتقى وسار فى الطريق القويم الذى يؤدى إلى السعادة فى الدنيا وإلى رضا الله تعالى فى الآخرة ، الأمة العاقلة الرشيدة الحكيمة هى التى يتواصل أبناؤها كل فى حدود تخصصه ، فرجال الأمن يتلاقون مع رجال الدين ورجال الدين ورجال الأمن يتلاقون مع رجال القوات المسلحة ، وهكذا هذا التلاقى يفتح نافذة لتبادل العلم النافع ، وكل متخصص فى علم من العلوم أو فن من الفنون يأخذ ويتعلم من غيره وهناك

حكمة تقول أنه (ما من عالم فى فن وإلا وهو تلميذ لغيره فى فن آخر) ، ولا يوجد إنسان أحاط بكل العلوم أو بكل الخبرات ، وأنا حينما أستمع إلى بعض أبنائنا من رجال الأمن سيعطيني فكرة عن المشاكل التى تحدث لأن ضابط الشرطة تأتى إليه الشكاوى من المواطنين ، وبذلك يستطيع أن يبصر رجل الدين بما يحيطه من خبايا ومشكلات وجرائم تسود فى المجتمع ، وبذلك يقوم رجل الدين بالتركيز على الانحرافات والمشكلات والجرائم ، ويضع العلاج الذى يناسب كل مشكلة ، وكذا الطبيب النفسى ، وهذا هو التواصل المطلوب للمجتمع ، ولذا يقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

المائدة : ٢

□ وأضاف أن الحصن القوى للأمة هم رجال الأمن ، والأمن إذا استتب فإن الأمة ترقى وتتقدم وتتحضر ، لكن الأمة إذا انتشرت فيها الجريمة ولم تجد من يقاومها فإنها تضعف وتتأخر ، والجرائم مثلها مثل شرر النار تبدأ صغيرة ثم تنتشر وتزداد ، ولكنها إذا عوجلت بحزم وعدل وقوة انصلح حالها وتقدمت ، وهذا واجب كل مسئول وكل إنسان فى مجال تخصصه .

ولا شىء أفضل من نعمة الأمن والأمان فهو يسعد الأمم ويجعلها فى حالة استقرار واطمئنان فتتفرغ للعمل وللتعمير ويسودها الرخاء والازدهار والرقى ، ولذا يقول القرآن الكريم ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ .. (إبراهيم : ٣٥) وعلى النقيض من ذلك فلا شىء يزلزل الأمم ويجعلها تعيش فى فزع واضطراب إذا فقدت نعمة الأمن والأمان ، والأمم التى تقدمت هى التى انتشرت فيها نعمة الأمن والأمان والاطمئنان ، والأمم التى تأخرت بسبب فقدان نعمة الأمن والأمان والاطمئنان .

□ وقال فضيلته أن الشرائع السماوية كلها وعلى رأسها شريعة الإسلام إنما جاءت لتحقيق الأمن والأمان للبشرية ، ومن أجل ذلك كانت العقوبات وتطبيق القصاص العادل على المعتدى ، القصاص الذى لا ظلم فيه ولا محاباة مشيرا إلى أن العدل أساس الملك وحماية الأنفس والأعراض والأموال والكرامة الإنسانية ، وأكد فضيلته على نصيحته لأبنائه من القيادات الأمنية ، على كل المستويات بتقوى الله تعالى أولا وبأداء واجبهم بشجاعة وعدل والتزود دائما بالعلم النافع ، وأن يكون لديهم بعض الكتب الدينية التى توضح سماحة الإسلام وعدله لمحاربة الإرهاب والتطرف الذى يشوه صورة الإسلام وسماحته وعدله ، ثم أجاب فضيلته على كل الأسئلة والاستفسارات التى وجهت إلى فضيلته ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

□ أكد فضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف أن نصر أكتوبر العظيم فتح الطريق أمام مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لتحقيق النهضة الشاملة والعبور الاقتصادى والاجتماعى ، ورفع معدلات الإنتاج فى مصر جاء ذلك فى برقية التهنئة التى بعث بها فضيلته إلى السيد الرئيس بمناسبة اليوبيل الفضى لنصر أكتوبر العظيم باسمه وباسم علماء الأزهر وهيئاته وطلابه ، كما بعث ببرقية تهنئة مماثلة

للسيد المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بمناسبة انتصار أكتوبر هنأ فيها الجنود والضباط .

□ سلم فضيلة الإمام الأكبر / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف خطاب شكر لرجل الأعمال الحاج صالح عوض الله عضو مجلس الشعب عن محافظة البحر الأحمر لتبرعه بشراء الزى الأزهرى (العمامة والكاكولا) وتوزيعه على جميع طلاب المعاهد الأزهرية بالمحافظة ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على تقديره لهذه العمل الجليل الذى يبتغى به صاحبه وجه الله تعالى ، وأن الأزهر الشريف يضع يده فى يد كل مسلم غيور على دينه يعمل على تشجيع انتشار الزى الأزهرى الذى يعتبر السمة المميزة لطلاب الأزهر الشريف .

□ صدر قرار شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية الثالثة والأربعين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف ولمدة ثلاثةأشهر اعتبارا من ١٩٩٨/١١/١ ، وذلك لعدد (٢٨) إماما وواعظا ، تتحمل موازنة الأزهر الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين ، بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية ويمثلون دول أوغندا ومدغشقر ، وتايلاند ، وسنغافورة ، والبوسنة والهرسك ، وأذربيجان ، وألبانيا .

●●●

صدر قرار شيخ الأزهر بتشكيل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية كل من :

١ - فضيلة الأستاذ الدكتور / نصر فريد واصل مفتى الجمهورية .

٢ - فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر .

٣ - فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٤ - فضيلة الأستاذ الدكتور / طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر .

٥ - فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرشيد سالم وكيل أول وزارة الأوقاف .

٦ - فضيلة الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

٧ - فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن عبد النبى العدوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٨ - فضيلة الشيخ / محمد محمد عبد الرحمن الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية .

٩ - فضيلة الشيخ / جمال الدين محمد قطب أمين لجنة الفتوى بمشيخة الأزهر مقررا للجنة ، وتكون مهمة هذه اللجنة دراسة ومناقشة ومتابعة الأمور الآتية :

١ - ماينشر على شبكة الإنترنت من معلومات تسىء إلى الإسلام وتعاليمه وإعداد المادة العلمية الصحيحة ردا على ما ينشر .

٢ - إعداد المادة العلمية الصالحة للبث على شبكة الإنترنت للتعريف الصحيح للإسلام وشرح تعاليمه السامية ، وتفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وللجنة أن تستعين

بمن تراه لتحقيق مهمتها ، ولها أن تؤلف لجانا فرعية متخصصة فى كل المجالات المتصلة بأداء مهمتها .

تعرض اللجنة تقريرا عما يتم إنجازه أولا بأول كل خمسة عشر يوما على شيخ الأزهر ويعاونه فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف .

●●●

استقبل فضيلة الإمام الإكبر شيخ الأزهر الشريف عشرة من علماء الأزهر الشريف الذين يعملون فى حقل الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر والذين تم اختيارهم ليقوموا بنشر تعاليم الإسلام ونشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى عدة دول أفريقية هى : بوركينا فاسو ، نيجيريا ، تشاد ، النيجر ، مالى ، وهؤلاء الدعاة طلبت الجماهيرية الليبية أن ترسلهم إلى هذه الدول على نفقة جمعية الدعوة الإسلامية بليبيا فى إطار التعاون الثقافى بينها وبين الأزهر الشريف لنشر الإسلام ، وقد أوصاهم فضيلة شيخ الأزهر بأن يكونوا قدوة طيبة للمسلمين فى هذه البلاد ، وأن ييسروا على الناس أمور دينهم ، وأن يبتعدوا عن المسائل الخلافية ، وأن يظهروا سماحة الإسلام ويسره .

●●●

حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الاحتفال الذى أقامته رعاية الشباب بالأزهر لتكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادات الأزهرية وتكريم المناطق الفائزة فى أنشطة رعاية الطلاب (الجائزة الكبرى) ، وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمجمع المعاهد الأزهرية النموذجية بمدينة نصر ، وقد فاز بالمركز الأول للشهادات الأزهرية خمسة عشر طالبا وطالبة ، وكانت الطالبة منى أحمد راشد من معهد كوم حمادة الأولى على الشهادة الابتدائية الأزهرية ، وكان الطالب أحمد عبد السميع من معهد كفر الشيخ بدسوق أول الشهادة الإعدادية الأزهرية ، وكان الطالب/ محمد فوزى حسن من البحيرة أول الشهادة الثانوية على المبصرين ، والطالب وليد السيد مصطفى فرج من معهد شربين أول الأدبى على المكفوفين ، وكانت الطالبة هبة محمد عبد الجليل من فتيات معهد مدينة نصر الأولى على القسم العلمى علوم ، والطالب أحمد فاروق إبراهيم من القاهرة حصل على جائزة الأول العلمى ، وقد كرمهم فضيلة الإمام الأكبر بإعطائهم شهادات التفوق والجوائز المالية ، كما قام فضيلته بتكريم المناطق الأزهرية ومنحهم درع التفوق ، وقد فازت منطقة الدقهلية بالجائزة الكبرى برئاسة فضيلة الشيخ محمد عريضة رئيس المنطقة ، وفازت منطقة الغربية بدرع النشاط الرياضى برئاسة فضيلة الشيخ / عبد المغنى رئيس المنطقة ، وفازت منطقة القليوبية بدرع النشاط العلمى برئاسة فضيلة الشيخ / عبد الموجود عبد الحكم رئيس المنطقة .

●●●

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الطلاب الوافدين على منح الأزهر من العالم الإسلامى الذين أتموا دراستهم الجامعية بالأزهر فى العام الدراسى ٩٨/٩٧ ، وقد أقيم الحفل بمدينة البعوث الإسلامية فى ١٩٩٨/١٠/١ ، وقام فضيلته بتوزيع شهادات التفوق على هؤلاء الطلاب وعددهم ٥٦ طالبا ، وينتمون إلى إحدى وعشرين دولة هى : أندونيسيا ، أفغانستان ،

نيجريا ، تايلاند ، تشاد ، سيرلانكا ، كوت ديفوار ، بوركينا فاسو ، السودان ، اليمن ، السنغال ، رواندا ، غينيا كوناكرى ، الصومال ، ليبريا ، جنوب أفريقيا ، باكستان ، مالى ، النيجر ، كينيا ، توجو ، والطلبة من كليات الشريعة والقانون ، واللغات والترجمة ، والدراسات الإسلامية ، والتربية ، والتجارة ، وأصول الدين ، واللغة العربية ، والعلوم ، والزراعة ، وقد طالب فضيلة شيخ الأزهر أبناء العالم الإسلامى ممن درسوا فى الأزهر أن يكونوا سفراء للأزهر فى دولهم لنشر الإسلام الصحيح البعيد عن التطرف والمغالاة ،كما أوصاهم بأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم فى بلادهم وأن يظلوا على تواصل مع الأزهر ، وأن يكونوا هم وغيرهم بعيدين عن التعصب الأعمى والتطرف المقيت ، وأن يتبعوا منهج الوسطية ، فى تعليم أبناء بلادهم وأن يبتعدوا كل البعد عن الخلافات المذهبية التى تشتت جهد وطاقات الشعوب وأن يحافظوا على القرآن الكريم حفظا وتلاوة وفهما لمعانيه ، وأن يعملوا بسنة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيدفعوا بمجتمعهم إلى التقدم والرقى العلمى والحضارى فى كل المجالات ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالمنهج القويم وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وأشار فضيلته إلى أنه سعيد كل السعادة بهذا التجمع السنوى الذى تقيمه مدينة البعوث الإسلامية للخريجين من أبناء العالم الإسلامى والذى يجسد حقيقة قيادة الأزهر للعالم فى مجال الفكر والتعليم الإسلامى .

كما تحدث الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر حاثا لهم على أن يذكروا الأزهر الشريف وعلماءه ويذكروا مصر بلد الأزهر التى هيأت لهم سبل الإقامة والتعليم فى الأزهر ، وليعلموا أن الأزهر خرج قبلهم وسيخرج بعدهم أجيالا كثيرة من العلماء الذين درسوا العلم النافع بالأزهر الشريف ، وبهذا العلم يعودون إلى بلادهم يعلمون أبناء أوطانهم سماحة الإسلام وينشرون الفضائل التى أمر بها نبى الإسلام ، والقرآن الكريم الذى هو منهج الإسلام ، كما بين أن العالم كله شرقه وغربه شماله وجنوبه مدين للأزهر الشريف ،حيث إنه كعبة العلم ، ولا ينكر فضل الأزهر إلا حاقد أو جاحد ، لأن الأزهر قام وسيقوم بدوره فى نشر رسالة الإسلام الحنيف وتعاليمه السامية السمحة منذ فجر نشأته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

كما تحدث فضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية عن فضل العلم والعلماء ، العلم الذى جعل صاحبه يخشى الله تعالى حق خشيته ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر : ٢٨)العلم الذى يرفع خسيسة صاحبه وأى منفعة أعظم وأجل من العلم الذى فضله المولى سبحانه على التسبيح فى حواره سبحانه مع ملائكته قبل خلق آدم عليه السلام ، وقال اذكروا الأزهر وشيخه الجليل وعلماءه ، لقد حملناكم الأمانة فلا تكونوا ظلومين لأنفسكم ولا جهولين عليها لا نقول لكم وداعا بل إلى لقاء إن لم يكن فوق الثرى ففى جنة رب السماء .

كما تحدث الخريج كامل محمد جامع ، كلية اللغة العربية من نيجريا حيث حيا شيخ الأزهر والضيوف بكلام بليغ طيب فصيح ، وأشاد بالأزهر وشيخه وما لاقوه فى فترة تعليمهم من عطف وحب ورعاية من جميع المسئولين ، مما جعله

هو وزملاءه يتفرغون لتحصيل العلم والمعرفة حتى حصلوا على الشهادة العالية حيث قال : لقد بيضتم وجوهنا ونورتم قلوبنا ، وبردتم أحشاءنا ، وعطرتم جدراننا ، فمن ورائكم تاريخ الأمة يسجل لكم كل خطوة كريمة تخطونها إلى هذا المكان الطيب الطاهر ، أيا هداة الأنام ويامصابيح الظلام ، فمن هنا كان سرورنا لايقدر ، ولسان حالنا يردد ويكرر :

جزيتم بفيض وضعف الجزاء
وعشتم جميعا حياة الهناء
ويوم الحساب تفيض الهبات
نحيى جميعا جموع الحضور
بكل لسان نسوق السلام
وفى كل عام تطيب الصلات

لقد ارتشفنا من رحيق الأزهر الشريف قلعة الإسلام ومنارة العلم النافع ، ونهلنا من منهله العذب الصافى فتذكروا - أيها الخريجون - أن الأزهر قد أخذ عليكم موثقا من الله على أن تكونوا هداة مهديين لهذا الدين الحنيف وأن تسعوا جاهدين على أن تظل راية الإسلام عالية خفاقة ، فاجتهدوا حتى تبرأ ذمتكم ، واذكروا كما علمنا الأزهر أن العنف لا يقوم به الدين ، ولن ينهض به المسلمون ، فقد غرس فى قلوبنا العقيدة الوسطية استنادا إلى قول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
(البقرة :١٤٣) .

يجب أن نترسم خطا أساتذتنا الأجلاء ، وأن نضع فى قيد عياننا منهج الأزهر فى تلك الثورة البيضاء السمحة التى يقودها رجاله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور .

ثم قال : طوبى لكم أبناء الكنانة لقد وهبكم الله عزا تالدا وطريفا حين أقام الأزهر الشريف فى قلب القاهرة الكبرى وسيظل نوره متألقا فى عيون التاريخ إلى يوم الدين ، أيها الخريجون اجعلوا علاقتكم مع الأزهر علاقة دائمة متصلة ، وداوموا على الإيمان والتقوى يدافع الله عنكم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾
(الحج :٣٨)

وتحدث الخريج محمد عمر علام عمر خريج كلية الشريعة الإسلامية ، وهو أفغانى فقال : « إن هذا اليوم يعتبر من الأيام السعيدة فى حياتنا ومن الذكريات الخالدة طول العمر ، وكل واحد منا يفتخر بهذا البلد الطيب ويعتبره بلده الثانى الذى استضافه بالحب والمودة وعانقه بالعلم والمعرفة ، ويفتخر بالأيام التى قضاها فى أرض الكنانة ولها صفحات مسجلة فى خاطره ووجدانه ، ولن ننسى أبدا شعب مصر المسلم الذى يرحب بكل وافد يقصد العلم ويسعى وراء المعرفة ، والأزهر الشريف سيظل فى خدمة الأمة الإسلامية يقوم بدوره الرائد مدافعا عن الشرع المتين والتراث الإسلامى رافعا راية الحق ، إن الأزهر الشريف قد قام بدوره النير بالتعبير عن روح الإسلام الصحيح وتقديمه إلى المجتمع البشرى شريعة ومنهاجا ، دينا ودولة ، وسيظل قائما على الحق قائلا كلمة الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم ،

وسيظل مفسرا لمفهوم الإسلام بتنقيحه وتطهيره من كل ما يصب عليه أعداؤه من المفاهيم الخاطئة إساءة للإسلام وعزلا عن واقع الحياة البشرية وصدق الله إذ يقول :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩)

إننا فى غاية السرور والسعادة لما وفقنا الله تعالى من تحقيق أحلامنا بتلقى العلوم الدينية والثقافية الإسلامية من منهل هذه الجامعة العريقة واقتباس أنواع العلوم من كنوزها الثمينة فكم من قلوب تتمنى وتحلم النيل بهذه السعادة فياأزهر أنت سجل المفاخر لا حاجة للدليل ، أنت شفاء لمن جاءك من العليل ، بالحق تنطق بلا خوف ولا تميل ، أنت دائما فى قلوبنا كالروح فى الجسد منار فى معالم الطريق ياهدية الفرد الصمد ، لم نشعر يوما بالغربة والفراق مع البعد عن الأهل والوطن لأننا وجدنا الترحيب والحب والمودة .

دور الأخلاق فى تنمية الدولة

تحت عنوان « دور الأخلاق فى تنمية دولة إندونيسيا والعالم الإسلامى » أقام اتحاد خريجى معاهد دار النجاح « بجاكارتا » الذين يدرسون بالأزهر الشريف ندوة إسلامية برابعة العدوية بمدينة نصر يوم السبت ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من أكتوبر ١٩٩٨ .

وقد دعى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، فأناب فضيلة الأستاذ الشيخ / سامى محمد متولى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية فى إلقاء كلمته التى دارت حول الأخلاق الإسلامية وأثرها فى نهضة الأمم والشعوب الإسلامية .

كما دعى إليها حشد كبير من العلماء والمتخصصين ، وكان فى مقدمة المدعوين فضيلة الأستاذ الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية ، وصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ / عبد المعز عبد الحميد الجزار رئيس تحرير مجلة الأزهر .

استهلت الندوة بخير استهلال بآيات من كتاب الله ، ثم كلمة للسيد سفير إندونيسيا بالقاهرة أعرب فيها عن امتنانه للجهود التى يبذلها الأزهر تجاه المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى بعامة ومسلمى إندونيسيا بصفة خاصة .

ورد فضيلة الشيخ / سامى الشعراوى فى كلمته بأن هذا ما يجب علينا تجاه إخواننا .

ثم تتابعت جلسات الندوة ، فضمت الجلسة الأولى محاضرة فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ فؤاد على مخيمر الرئيس العام للجمعيات الشرعية والأستاذ بجامعة الأزهر بعنوان : « أثر العلم والعلماء والأخلاق فى ازدهار الاقتصاد الإسلامى » .

ثم محاضرة الأستاذ الدكتور حسين حسين شحاته أستاذ المحاسبة بكلية التجارة جامعة الأزهر ، والتى كانت بعنوان : « توصيات إسلامية إلى رجال الأعمال » .

أما الجلسة الثانية فقد خصصت لمحاضرة السيد شيرازى أحمد دمساطى ، والسيد سورحمان هدايت ، وكما استهلت الندوة بخير الكلام ختمت ـ أيضا ـ بالذكر الحكيم .

précédé la révélation de ce verset qui est venu les confirmer.[1]

D'autre part, le récit de l'Ascension nocturne (Al Mi'rag) accomplie par Mohammad (b.s.) et rapportée dans les livres de Hadiths,[2] est considéré comme étant le premier texte religieux traitent de ce sujet.

Par la suite, cette allusion mystérieuse à la vie d'outre-tombe excita l'imagination des poètes et des mystiques de récits dont certains, par les excès de fantasie, se rapprochent des légendes.

Dr. Rokeya GABR

1- Ceci sera développé plus loin.

2- Ces Hadiths comportent tout ce qui a trait l'authentique tradition musulmane.

Or, dans une optique musulmane, ce voyage nocturne du Prophète (b.s.) est une confirmation du Message de Mohammad pour prouver qu'il est bien l'Envoyé de Dieu, le dernier et le plus grand des prophètes.

En effets, si nous passons en revue les religions révélées, nous trouvons que chacune des prophéties a eté confirmée par un ou plusieurs miracles (Abraham, Jésus, Moïse). Ces miracles visent à témoigner aux hommes que ces prophètes sont bien les Envoyés de Dieu. La toute-puissance divine les a doués de pouvoirs surnaturels afin de prouver aux hommes l'authenticité de leur mission.

Or, si nous acceptons de croire que Jésus a parlé au berceau, ou que les flammes n'ont point brûlé le Prophète Abraham, pourquoi démentirions - nous le récit de Mohammad (b.s.)? Cette ascention du Prophète de l'Islam qui est une réalité admise comme un acte de foi par tous les Musulmans, n'est point reconnue comme telle par nombre de non-musulmans dont certains vont même jusqu'a nier le Messager de Mohammad (b.s).

Un verset coranique, dans la Sourate "Le Voyage Nocturne" est généralement considéré comme le point de départ de l'eschatologie musulmane:

[Gloire à celui qui a fait voyager de nuit son serviteur de la Mosquée sacrée à la Mosquée très éloignée dont nous avons béni l'enceinte, et ceci pour lui montrer certains de nos Signes. Dieu est celui qui entend et voit parfaitement](1)

Par ce verset, le texte divin certifie l'authenticité du récit du Prophète Mohammad (b.s.) relaté dans plusieurs Hadiths qui racontent - certains avec force détails - le voyage de Mohammad de la Mecque à Jérusalem et son acension jusqu'au-delà du septième ciel.

En fait, le voyage et l'ascension nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.) ont

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(1) سورة الإسراء (آية ١)

Le Voyage Et L'Ascension Nocturnes De Mohammad

par Dr. Rokeya Gaber

Le "Voyage nocturne" du Prophète Mohammad (b.s.) et son Ascension sont considérés - après la Révélation du Coran - comme le plus grand miracle de l'Islam:

Ce pouvoir surnaturel accordé à Mohammad (b.s.) est certifié par un verset coranique où il est montré qu'il n'a été donné à aucune créature humaine de traverser les espaces célestes sans être préalablement doué d'un pouvoir surnaturel:

[*O peuple de Djinns et des hommes!*

Si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites-le!

Mais vous ne les traverserez qu'à l'aide d'un pouvoir .....][1]

Sourate "le Miséricordieux" (v.33)

Nous essaierons au départ de dissiper un malentendu: la majorité des chercheurs et des orientalistes non-musulmans considèrent Al Isrâ et Al Mi'rag[2] commes de simles légendes, elles-mêmes inspirés d'autres légendes antérieures (hindoues et persanes, entre autres).

Certains se contentent pourtant de signaler qu'il s'agit d'un acte de foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une acte foi pour tout Musulman et que sa commémoration fait l'objet d'une fête religieuse dans certains pays d'Islam.

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾
(سورة الرحمن (آية ٣٣)

2- C'est le voyage et l'Ascension Nocturnes du Prophète Mohammad (b.s.)

La femme se précipita vers la maison du Prophete-b.s-, voulant s'excuser, elle lui dit:*" Je ne t'ai pas reconnu." "La vraie patience, lui répondit-il, consiste à supporter le premier choc."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.

Enfin, Le Prophète-b.s- a dit:*"Celui qui veut être chaste, Allah l'aidera. Celui qui cherche à se passer de ce que possèdent les autres, Allah l'enrichira. Celui qui veut être patient, Allah l'aidera à patienter. Celui qui ne veut que le bien, Allah le lui accordera."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

verset qui décrit les attitudes des amoureux: **[Ils dormaient une petite partie de la nuit.]** **Surate 51 "Az-Zariyat" (Ceux qui éparpillent.)V.17.**

C'est ainsi que naît l'amour[7] sincère d'Allah et la connaissance de Ses Attributs. Ceux qui sont consumés par Son amour et le désir de Le recontrer, traduisent cet amour par leur zèle dans le culte[8]. Leur ravissement ne provient que de la douceur de Son intimité de Son invocation, de la récitation de Ses paroles durant la nuit, pour profiter de la sérénité du soir et du sommeil des gens; ils se détachent ainsi de toutes les occupations terrestres et se livrent à Son adoration; espérant que cette dévotion leur procure la patience de supporter la séparation d'Allah; lorsque leur vie arrive à son terme, ils considèrent la mort comme la libératrice désirée depuis longtemps tel un amoureux passionnément attendu.

L'endurance sous toutes ses formes n'est acquise qu'à force d'entraînement de simulation de la part de l'homme jusqu'à ce qu'il atteigne l'endurance la plus parfaite:**"Cette belle patience"** dont parle le Prophète-b.s-Ya' coub (Jacob)-paix sur lui-.

Le Coran nous rapporte que les fils de Ya'coub, vinrent et lui prétendirent que "Yussuf"(Joseph) avait été dévoré par le loup; il leur dit alors:**["Vos âmes, plutôt, vous ont suggéré quelque chose, (il ne me reste plus donc) qu'une belle patience.]**

Surate 12 "Yussuf"V.18.

Il répéta les mêmes paroles, lorsque ses fils vinrent lui annoncer que son fils avait volé et que sa punition pour le péché du vol était l'esclavage, il leur dit: **[Vos âmes plutôt vous ont inspiré (d'entreprendre) quelque chose...oh! Belle patience. Il se peut qu'Allah me les ramènera tous les deux. Car c'est Lui L'Omniscient, Le Sage.]**

Surate 12 "Yussuf"V.83.

Les ulémas ont expliqué le sens de **"belle patience"**, ils ont dit que c'est le fait de supporter la douleur ou le mal sans se plaindre ni protester.

Il nous faut signaler également que la patience exigée dans les épreuves, c'est celle qui se manifeste à l'instant même où le malheur nous frappe et non la patience après l'écoulement du temps; car c'est là faire l'épreuve de faiblesse dans la résignation.

On raconte que le Prophète -b.s- passa auprès d'une femme qui pleurait sur une tombe. ***"Crains Allah, lui dit-il, et endure". "Laisse-moi, tranquille, lui dit-elle, car tu n'es pas atteint d'un malheur semblable au mien."***

Le Prophète-b.s-la quitta et partit. On lui dit:***"Malheur à toi Ô femme, c'est le Messager d'Allah-b.s- qui te parlait".***

---

[7]Cet amour est le plus extrême des stades et l'apogée des degrés de la foi.

[8]Dans la tradition rapportant la question posée par Gibril au Messager d'Allah:*"Qu'est ce que la bienfaisance?"*. Il répondit:*"C'est que tu rendes ton culte à Allah comme si tu Le voyait; et si tu ne Le vois pas, Lui, du moins, te voit."*

4-L'endurance dans l'amour d'Allah:

C'est l'endurance de ceux qui aiment (*Mohibine*), ceux qui éprouvent la passion ardente de Le rencontrer et de regarder Sa Face Sublime. Leurs âmes et leurs coeurs sont suspendus à La Perfection et La Sublimité divines. Ils attendent avec une patience semblable à la passion et avec vigilance, que le terme de leur vie soit achevé. Et si ce n'était que chaque vie a un terme qui doit s'écouler, leurs âmes ne se seraient pas restées un seul instant dans leurs corps.

Cet amour personne ne peut le comprendre que ceux dont le coeur est rempli d'amour et de passion à l'égard d'Allah Lui même. Il est évident que personne ne peut connaître le désir ardent de la passion sinon celui qui a éprouvé ce sentiment, et personne non plus, ne peut connaître l'ardeur du désir charnel sinon celui qui en a souffert.

Cette forme d'endurance a été décrite par plusieurs amoureux[6] comme: Omar Ibn Al-Fared, Dhû'l-Nun Al-Misri et Rabi'a Al-Adawiya dans leurs poèmes, leurs plaintes: ils ont parlé d'un amour pur, très particulier, que plusieurs ignorent.

Ces amoureux ont dit que l'adoration dans l'espoir d'accéder au Paradis ou dans la crainte de l'Enfer est semblable à l'oeuvre du mauvais ouvrier: s'il obtient son salaire, il est satisfait, s'il en est privé, il riposte. Ils ont dit que le but de notre dévotion, doit émaner de notre amour pour l'Etre Suprême. C'est un amour dépouillé de toute crainte, et de toute convoitise.

Allah-Gloire à Lui- est le Seul digne d'être adoré, et le Seul digne d'être vénéré, même s'Il n'y avait ni Paradis ni Enfer.

Allah-Gloire à Lui- est La Beauté absolue, La Magnificence absolue et La Perfection absolue. Son adoration et la soumission à Ses ordres procurent au serviteur le plaisir et la jouissance.

Son invocation (Dhikr) dispense son auteur de toute autre compagnie. Ces amoureux se demandent: Est-ce que si Allah n'avait pas créé le Paradis et l'Enfer, les élus se seraient écartés de Sa dévotion, de la recherche de Son approbation et du désir de Sa rencontre?. Quel est le sens de ces paroles du Prophète-b.s-: ***"L'amour des femmes et des parfums fut placé dans mon coeur, qui ne trouve son bonheur que dans la prière."*** Pourquoi se tenait-il debout toute la nuit au point que ses pieds se fissuraient, alors que le Seigneur lui avait pardonné tous ses péchés?. Ces mystiques se basent sur le

[6]Ces amoureux sont les maîtres du Soufisme (ou mysticisme). Le Soufisme est le renoncement à tous les plaisirs égoïstes, de façon à se consacrer corps et âme à Allah. Délivrés de toutes les servitudes des désirs, les maîtres Soufis se sont soumis aux ordres d'Allah-Gloire à Lui- de façon que leur passion ne fut que dans la dévotion et l'adoration d'Allah. Ils souhaitent ce qu'Allah souhaite car ils n'ont plus de souhaits propres; ils se sont délivrés des besoins et ont ainsi acquis la paix et le bonheur dans les deux mondes.

affrontèrent Goliath et ses troupes, ils dirent: "Seigneur! Déverse sur nous l'endurance, affermis nos pas et accorde-nous la victoire sur ce peuple infidèle.]

Surate 2 "Al-Baqara" (La Vache) V.250.

-[Combien de Prophètes ont combattu, en compagnie de beaucoup de diciples, ceux-ci ne fléchirent pas à cause de ce qui les atteignit dans la voie d'Allah. Ils ne faiblirent pas et ils ne cédèrent point. Allah aime les endurants.]

Surate 3 "Al-`Imran" (La famille d'Imran)V.146.

-[Comptez-vous entrer au Paradis sans qu'Allah ne distingue parmi vous ceux qui luttent et qui sont endurants?.]

Surate 3 "Al-`Imran" (La famille d'Imran)V.142.

-[S'il y a cent endurants parmi vous, ils vaincront deux cents; et s'il y en a mille, ils vaincront deux mille, par la grâce d'Allah. Allah est avec les endurants.]

Surate 8 "Al-Anfal"(Le Butin) V.66.

Rappelons aussi, tout ce que les messagers ont enduré de la part de leurs peuples pour la Cause d'Allah. Ils les malmenèrent, les persécutèrent, mais les Messagers supportèrent la souffrance sans rendre le mal par le mal ni se venger ni même se soucier de leur personne. Mais, ils repoussaient avec bonté, enduraient et pardonnaient.

Voici un exemple de l'endurance du Prophète-b.s-: Ibn Mass`oud disait:***"J'ai toujours présent devant moi ce spectacle poignant: celui du Prophète Mohammed-b.s- à l'instar des anciens messagers, battu par son peuple, ensanglanté, essuyant le sang sur son visage en disant:"Seigneur! Pardonne à mon peuple, car il agit par ignorance."*** **Rapporté par Al-Bokhary et Moslim.**

Il en est de même pour tout ceux qui recommandent de faire le Bien et interdisent le Mal, et pour les réformateurs: ils endurent pour l'amour d'Allah, en quête de Son approbation pour la propagation de Sa religion et pour que Sa Parole domine.

Le Coran nous donne plusieurs exemples de ceux-là, dont nous citons:

-[Certes, des messagers avant toi (Mohammed) ont été traités de menteurs. Ils endurèrent alors avec constance d'être traités de menteurs et d'être persécutés, jusqu'à ce que Notre secours leur vînt.] **Surate 6 "Al-An`àm" (Les Bestiaux)V.34.**

-[Comment ne pas nous en remettre à Allah, Lui qui nous a guidés vers des voies sûres pour notre salut?. Aussi, sommes-nous fermement résolus à supporter vos outrages. Allah est le meilleur appui pour ceux qui se fient à Lui.]

Surate 14 "Ibrahim"V.12.

-[Ô mon enfant, observe la prière, recommande ce qui est bien, déconseille ce qui est mal. Endure patiemment ce qui peut t'atteindre, tout cela est le propre d'une âme résolue.] **Surate 31 Luqmân" V.17.**

Allah-Gloire à Lui- a promis aux endurants de réaliser tous leurs désirs, Il a dit: **[Et quant à ceux qui luttent pour Notre cause, Nous les guideront certes sur Nos sentiers Allah est en vérité avec les bienfaisants.]**

Surate 29 "Al-Ankabout" (L'Araignée)V.69.

Telle est la patience de l'homme satisfait et c'est là l'endurance requise et c'est aussi l'apogée de la patience.

Nous trouvons dans la vie, quelqu'un qui est contraint à endurer: c'est celui qui est dépourvu de puissance, qui est patient malgré lui, son coeur riposte contre la destinée et sa langue se lamente; tel que le malade qui se plaint de sa maladie à ses visiteurs, celui qui est surpris par le décés de son fils dans un accident de voiture, alors que tous les autres passagers ont survécu; il en est de même pour celui qui recourt à la polygamie, sous prétexte, que sa première épouse ne donne naissance qu'à des filles.

Ainsi toute protestation, toute plainte, toute interrogation, ou tout étonnement sur les incidents du destin, sont des indices qui révèlent que leur auteur manque d'endurance à l'égard d'Allah; car l'endurance à Son égard est l'indice de la fermeté de la foi en Justice du destin qu'il soit bon ou mauvais, agréable ou amer... C'est aussi la conviction que tout ce qui provient d'Allah est un bien et que l'épreuve est un bienfait caché. Ainsi le croyant se résigne, car tout ce qui doit l'atteindre ne peut le manquer, et tout ce qui l'a déjà atteint ne pouvait l'épargner, et que la compassion d'Allah à l'égard de son serviteur, surpasse la compassion de la mère à l'égard de son enfant.

Voici un modèle de l'endurance du Prophète-b.s-:

Un jour où le Prophète-b.s- distribuait un butin, un bédouin dit:***"Ce partage est inéquitable!".***Cette critique parvint au Prophète-b.s-. Son visage s'empourpra, puis il finit par dire:***"Qu'Allah fasse miséricorde à mon frère Moïse! Il fut offensé plus que cela, mais il se montra plus endurant."*** **Hadith rapporté par Al-Bokhary et Moslim.**

Khabab-A.s.l-a rapporté le hadith suivant:

Nous nous plaignîmes au Prophète-b.s- qui était accoudé à l'ombre de la ka`ba. Nous lui dîmes:***"N'implores-tu pas Allah pour nous faire triompher sur nos persécuteurs, ne Le pries-tu pas pour nous?."***

Il nous répondit:***"Auparavant, on prenait l'homme, on lui creusait une fosse on l'y mettait, puis, au moyen d'une scie placée sur sa tête, on le coupait en deux; avec des peignes en fer on lui arrachait la chair à même les os. Mais tout cela ne lui faisait pas renier sa foi."*** **Hadith rapporté par Al-Bokhary.**

3-L'endurance pour la cause d'Allah:

C'est le "Djihad", i.e. la lutte pour la Cause d'Allah, dans tous les domaines et la recherche de Son approbation par tous les moyens. Cette lutte englobe toute action qui nécessite un effort, qui est en contradiction avec les penchants naturels, ou qui expose l'homme à tout ce qui lui est nuisible tel que le combat pour faire dominer la Parole d'Allah, même si l'on doit mourir en martyr, être blessé ou perdre l'un de ses membres.

Le Coran nous a décrit l'attitude des hommes endurants pour la cause d'Allah à plusieurs reprises et nous a incité à suivre leur modèle; on y trouve: **[Et quand ils**

Ces notions sont explicites dans les paroles d'Allah-Gloire à Lui- qui a dit:[**Dis:"Je ne détiens pour moi-même ni profit ni dommage, en dehors de ce qu'Allah veut.]**

Surate 7 "Al-A`raf" V.188.

-[Et si Allah fait qu'un mal te touche, nul ne peut l'écarter en dehors de Lui. S'il veut pour toi un bien, nul ne détournera de toi Sa faveur.]

Surate 10 "Yùnus"(Jonas) V.107.

-[Et si Allah fait qu'un malheur te touche, nul autre que Lui ne peut le retenir. Et s'il fait qu'un bien te touche, c'est qu'Il est Omnipotent.]

Surate 6 "Al-An`Am" (Les Bestiaux)V.17.

-[Ce qu'Allah accorde par miséricorde aux gens, personne ne peut le retenir. Et ce qu'Il retient, personne ne peut l'accorder après Lui. C'est Lui Le Puissant, Le Sage.]

Surate 35 "Fatir" (Le Créateur) V.2.

On voit ainsi clairement que tout est entre Les Mains d'Allah et qu'Il est Le Maître Suprême de l'univers, Il est Le Favorable et Le Préjudiciable, donc la patience qui est la reine des vertus est une faveur qui ne provient que d'Allah. C'est pour cette raison que, s'adressant au meilleur fils d'Adam, à notre Prophète-b.s-, Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Sois endurant; Allah t'y aidera.]** **Surate 16 "An-Nahl" (Les Abeilles)V.127.**

Pour arriver à ce stade, il faut que le serviteur adresse sa demande à Allah, en ayant la ferme conviction qu'il n'est de pouvoir que le Sien, ni de force que la Sienne et qu'Il détient le bien et le mal.

On raconte qu'une fille [4] du Prophète-b.s-dépêcha une personne pour le prier de venir voir son enfant agonisant. Le Prophète-b.s-lui envoya dire:*" Adresse-lui le salut et dis-lui: Tout appartient à Allah, ce qu'Il donne et ce qu'Il reprend; pour toute chose est fixé un terme. Qu'elle se résigne et en demande à Allah la récompense."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

2-L'endurance auprès d'Allah:

Cette endurance exige que le serviteur accepte les décrets d'Allah; en sorte que son penchant aille de pair avec ce qu' Allah a décrété et que ses désirs soient conformes à la volonté divine. Il se réjouit de tout ce qu'Allah lui accorde, sans protester ni par la langue ni par le coeur, à ce stade, il devient comme le Prophète-b.s- l'a décrit:*"Le croyant est flexible[5], semblable au roseau, qui se plie au passage de la tempête."*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

---

voir clair en lui-même car le Prophète-b.s- a dit: *"Celui qui connaît son moi (Nafs) connaît Son Seigneur."*

[4]La mère croyait que la présence du Prophète-b.s-soulagera l'enfant, autrement le Prophète-b.s- ne refuse rien quand on le sollicite pour tout ce qui est dans ses possibilités.

[5]La souplesse et l'aisance sont les caractéristiques du croyant, car elles lui permettent de s'adapter à toutes les circonstances de la vie.

PATIENCE ET ENDURANCE « AS–SABR »

– 2 –

Traduction de :

HODA HUSSEIN CHAARAOUI

Les Cheikhs éminents ont dit que l'endurance se prend en quatre sortes, à savoir: L'endurance en Allah, l'endurance auprès d'Allah, l'endurance pour la cause d'Allah et enfin l'endurance dans l'amour d'Allah.

1- L'endurance en Allah:

Cette endurance exige que le serviteur se désiste de son pouvoir et de sa force pour entrer dans La Puissance et Le Pouvoir divins, en ayant la ferme conviction que tout dépend d'Allah et qu'il doit placer sa confiance en Lui; alors il sait que c'est Sa Puissance qui empêche les malheurs de s'abattre sur lui, qu'il ne peut acquérir les profits que par Sa Force, qu'il ne peut empêcher le mal de lui nuire, ni le bien de le combler si ce n'est que par La Volonté d'Allah.

Arrivé à ce stade, le serviteur implore le secours d'Allah en Le suppliant de lui insuffler l'endurance, il L'implore de l'aider à accomplir les actes de dévotion, de Le préserver des péchés, de lui donner l'intuition de la reconnaissance pour Ses faveurs en les utilisant dans les voies du bien; il prie Allah de lui octroyer la patience dans les épreuves en sorte que jamais il ne se plaint ni ne s'alarme[3], car tout vient de Lui, rien ne dépend des créatures mais tout dépend du Créateur.

[2]A ce moment, chaque communauté sera agenouillée. Personne ne pourra se lever, car les membres n'obéiront pas. Seuls, les priviligés recevront la faveur de pouvoir bouger leurs membres et de se lever.

[3]Ceci n'est point uniquement possible grâce aux efforts de l'homme, mais surtout avec l'aide et la grâce d'Allah. D'abord l'action est nécéssaire, puis la connaissance vient polir le coeur pour le débarrasser des souillures du polythéisme lorsqu'il pense que les créatures peuvent lui faire du mal alors qu'en réalité, les autres n'ont agi que selon Sa Volonté. Donc, chacun, chacun de nous, doit

REVUE
AL AZHAR

Rajab 1419 H — Nov.1998 Vol. 71 Part VII

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

desired or not, whether he is not wanted or people will receive him with cheerful faces, good feelings and a nice welcome.

A visitor has to knock at the door or ring the bell in a quiet soft manner without causing any disturbance. He should not call out loud for people to open the door for him quickly. For those who want to proclaim (announce their visit before entering a house, all means are known.

Asking permission is also clear in its usual ways.

This legislation of asking permission enlightens the way to protect human values and the Muslim family from any suspicions. Thus, let's remember it and care the most about it to ensure human chastity and good reputation. Allah says : « This is better for you » than a false pride because some people say : « To wait for permission to enter is a kind of humiliation and an insult for the visitor ». Those people are liars and Ignorant because Islam which prevents you from going into other people's homes without permission, also forbids others from coming into your house without your allowance.

The call is for all faithful male or female « O you who believe...... » Only pious people realise the good point in asking permission while guilty people who follow their own whims deny it. They are lead by the devil who made their deeds look good to them. Allah Says :

« Nay those who are unjust follow their low desires without any knowledge, so who can Guide him who Allah leaved in error ? and they shall have no helpers. » (29).

So set thy face for religions, being upright, the nature made by Allah is which He has created men. There is no altering Allah's creation. That is the right religion – but most people know not » (Surat Al Rum (29), (30).

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(سورة الروم)

Once a man came to the Prophet (May Prayers & Peace of Allah be Upon Him) and said « Should I ask permission before entering to see my mother ? » The Prophet (MPBUH) said « Yes ». The man then said « No one serves her except me. Should I ask permission whenever I enter to see her ? » The Propher (MPBUH) asked : « Do you wish to see her undressed ». The man said « No ». So the Prophet (MPBUH) said « Then ask permission ».

With asking permission a house keeps its glory and respect. So legislation here is a mercy for the human being as Islam set the limits and conditions for people when visiting others. It also prevents suspicions comingling with people which might arrouse doubts at that point, the devil has his ways & tricks to tempt people to commit sins and exhort them into sedition, slander and evil. The devil is a true enemy to man.

Protection of honour, undoubtful parental children connection and purity of reputation are the most dear matters to free people. Therefore Islam cared a great deal about the necessity for asking permission before entering other people's houses as to protect honour, avoid suspicion, slipping and then falling into sin. Thus, people live a chaste and honourable domestic life. Then no harm or danger would befail the Muslim family.

No one should say that a family is immune against any fault and that a friend is confidential, faithful and can not be suspected. But Allah Says : « But if you find no one therein enter them not, until permission is given to you» after syaying « until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful.» .

With such commands and prohibitions a faithful person has to stick to the directives included and act according to major religious advice. Then vice would not find its way into those whose souls are weak (which makes them justify for themselves the chaeos they cause by mingling with others and intrudence upon honourable people's houses.

What is the meaning of « until you have asked permission » ?

Scholars said that this means until you have asked for permission to be able to enter a house (by which gloom and strangeness are to be removed while a feeling of peacefulness and tranquility takes their place). That gloom fills the hearts of those who enter into another person's home regardless of permission. A visitor has to find out whether his visit is

know by depending on their religion and their sound instinct that Allah the most Knowledgable prohibited the faithful men and women to be neglegent and wreckless. Thus, He made it obligatory for them to ask permission before entering other people's houses by telling them "O you who believe, enter not houses other than your own houses until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful." This is in the Sura called « Al Nour » which Allah described by saying :

« (This is) a chapter which We have revealed and made obligatory and wherein we have revealed clear messages that you may be mindful »

Asking Permission is a Legal Right:

Islam, The true (Hanifit) religion, confirms both moral and material rights of man. Thus, by observing religious morals people's souls rise, their consciences awaken, and their perception enlightens. Then everyone stops at his limits and hence security and peace are to be established and friendly relations prevail. Accordingly, people cooperate in doing good not in doing evil and committing injustice. Woe to anyone who is overcome by his own whims. Allah says :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ ﴾

« He is indeed successful who causes it to grow, (9). And he indeed fails who burriest it. (10).

(Al Shams)

Allah ordered Muslims to follow the right path and to be moderate in everything. Allah says in the Qur'an :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

« Surely Allah enjoins Justice and the doing of good.»

(Al Nahl 90)

But some people neglect all of that, look down upon Allah's verses and mock them. They even Say that asking permission is not enjoined on relatives and people of uterus relations. They say those verses do not suit our time. However, this is foolishness and ignorance. It is contradictory to man's honour, chastity, bravery, the natural instinct as well as the traditions and laws of the educated ones.

Allah, who created the soul, made it perfect and revealed to it the way of evil and the way of good and piety. He knows what is manifest and what is hidden as well as all the secrets of that soul. He is Allah who desired for Muslims to have the right morals in compliance with His commands and as a protection for the dignity of man.

By obeying Allah who revealed the Qur'an for the happines of mankind, and by observing the etiquette of asking permission, homes will preserve their freedom and sanctity because people have some private matters in their homes not to be shared with an unsensitive guest who has no respect for himself. Consequently, those verses above were revealed in order to say : Do not enter other people's houses without asking permission even if you were used to do that previously being relatives.

Qur'anic laws came to give people predominance over their houses, and protects their honour and security. The laws of the Qur'an also protect people's privacy and stability. Accordingly, rushing into the houses of others, must be prevented.

The above verses were revealed because a woman had complained to the Prophet (MPBUH) that while she was staying at home in a position she would not like to be seen in by anybody (even by a father or a'son), a certain visitor usually rushes into the house. So, what could be done with some one like that ? Then, these clear and decisive verses were revealed. They could not be subjected to any change, modification, neglegence or any wrong interpretation which might be done by those who go astray from the religion of guidance and truth. Those people went on imitating some persons who forgot Allah, so He made forget themselves. They are truely dissolute.

Should we call barbarism modernism and prostitution civilization ? Or should we call boldness freedom ? What those people say is too much, they only tell lies. Allah says :

﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

« And mix not up truth with falsehood, nor hide the truth while you know. »

(Al Baqara 42)

What can analysts, Then, do with such decisive words which are not a joke ?

Allah tells Muslims in the Qur'an « And if it is said to you, Go back, then go back, this is Purer for you ». In fact, the conditions of the house might be unsuitable for receiving a visitor or entertaining a guest. This matter can only be recognized by corteous people who have good manners. All of this is elicited from the words of Allah the All Knowing Creator. Allah warns against being unsensitive towards others and neglecting their feelings. This unsensitivity is also abhored by those who are endowed with prudence and modesty. They

The Etiquette of Asking Permission and Human Dignity

Part I

By : Sheikh Mohammed Hafez Suliman

Translated by Hanan Abdou El Tahtawy

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(Surat Al Nour 27, 28, 29)

« O you who believe, enter not houses other than your own houses until you have asked permission and saluted their inmates. This is better for you that you may be mindful.

But if you find no one therein, enter them not until permission is given to you and if it is said to you, Go back, then go back, this is purer for you. And Allah is knower of what you do.

It is no sin for you to enter uninhabitted houses where in you have your necessities. And Allah knows what you do openly and what you hide.»

(Surat Al Nour 27, 28, 29)

16 – The Muslims are taught that surrender to Allah does not mean neglecting duties, work or learning. On the contrary, Allah in His Wisdom has made it very clear that a Muslim who works, who pursues knowledge and who strives to be just and enjoins justice and is charitable and worthy is better with Allah and is much blessed by Allah and encouraged.

17 – Islam is a guidance, for Allah has blessed humans with sight, hearing, minds and hearts to be able to discern what is right and what is wrong. A guidance sought from Allah and given must really be appreciated as the much better way, for Allah will never mislead when asked. Hence Allah's guidance is followed by Muslims. But that guidance will have to be strived for, and asked for; for it is for Muslims" benefit and is of human concern.

18 – Praise to Allah, does Allah, glory to him, like to be praised. The answer is yes, but the moral is more than that, Allah in His Wisdom wants the Muslims to get the message and to imitate His example among themselves, to say kind words to each other, to make their own and other peoples' lives happy with praise, mutual respect, encouragement and politeness. This is extremely important for the well being, peace of minds and happiness of the Muslims. It is a blessing that has resulted in happy and sane Muslims who have the world's happiest and healthiest psychology. Statistics reveal the happiest, most humourous and most normal of attitudes. Psychiatry is not a thriving business in Muslim countries.

19 – In the Qur'an the word of Allah is to teach Muslims the correct, better, virtuous and honourable way in Muslims' relations among themselves. It emphasizes the importance of family ties., love and mutual respect. It Also emphasizes the importance of prayers for all Muslims, especially the prayers of mothers for their children, prayers important and forever, blessings that grow over the years with Allah.

20 – Islamic ideals point away from factionalism and status heirarchies of tribal and past societies toward an egalitarianism of opportunity surmounting social and racial barriers. Islam provides a bassis for equity, making the richer compassionate towards, and responsible for the poorer, to replace hatred with love, spite, envy and rancour with harmony, justic and unity. To this end, rules and regulations in the Qur'an constitute guidance for all aspects of Muslim life and a bassis for their relationships, amongst Muslims and with other peoples,.

21 – In the Qur'an working hard and striving for riches is a truly blessed Islamic value. Allah has blessed the Muslims with power, energy and riches; praise be to Allah Almighty, He ordained that Muslims work and gain in honesty and in truth, and that the Muslim man or woman making money should not forget to set aside each year a portion of their earnings to the less fortunate. The purification dues are considered an important value in the Islamic faith. Muslims are very generous with the less fortunate and they compete in charity, because in the great Qur'an the more a Muslim gives the much more Allah gives and blesses – him or her. This is a tradition well observed by all Muslims at all levels.

Islam and the great Qur'an More messaged of the Qur'an

By : Ambassador Maha Fahmy

11 – That an important part of knowledge is the spiritual :
Connecting with Allah and fulfilling the spiritual, based on knowledge and realizing that knowledge is gradually.

Attained and that there are limits to what humans can do and to what humans can learn. Accepting these limits is Islam; The surrender to Allah for guidance and for mercy and to be taught what we know not.

12 – Secularism and religion are really only different when people fail to reconcile the legends of past with modern life sciences and knowledge, more importantly with modern ways of life. Unconvincingly they seed an intellectual refuge in secularism, never good enough as an answer to many important questions and not good at all concerning the basic questions of our existence, that need not be where Islam is concerned. The Qur'an urges learning and reading and applying common sense and logic to what we see around us and to what we learn from what we read. The Qur'an also clarifying many issues that were shrouded in opscurities, making them easier to comprehend.

13 – Considering that the Qur'an has been there for more than thirteen centuries for the whole world to read, with the vast and important knowledge that the Qur'an continues to unfold, it sure is worth reading. To understand the universal messages of the great Qur'an and to appreciate the peace of mind and of soul that only the word of Allah can give.

14 – At a time when there are untold numbers of books, articles, analysis, documents and even much more spent in time, expenditures and effort, theorizing, categorizing and arming, would it not make much more sense to read the one Book that the hundreds of millions of muslims recite by heart; to understand what the Muslims believe in, what they want you to hear and to see, what they stand for, tight for, who are they. hear us we are talking to you, see us we believe in Allah, in jesus, in Moses and the Messengers and all that was sent to them by Allah and all that Allah has ordained, and know us we are blessed.

15 – Islam means the complete surrender to and veneration of Allah, accepting all Heavenly religions and all of Allah's Messengers and Prophets without distinction, and all that was sent to them by Allah.

AL-AZHAR MAGAZINE

Rajab 1419 H — Nov.1998

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part VII

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

● الافتتاحية (فى رحاب الإسراء والمعراج)
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٠١٧
● بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ١٠٢٢
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر ١٠٢٤
● قبس من انوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم ١٠٢٩
● الإسراء والمعراج معجزة خالدة
للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى ١٠٣٢
● واجب المسلمين نحو تحرير القدس
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى ١٠٣٦
● الإسراء والمعراج تكريم لنبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ
للمستشار : محمد عزت الطهطاوى ١٠٤٤
● مكانة المساجد الثلاثة المقدسة فى القلوب المخلصة
لفضيلة الشيخ : محمد حافظ سليمان ١٠٤٨
● المسجد الاقصى المبارك ومكانته العظيمة فى الإسلام
لفضيلة الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١٠٥٤
● استقرار القبلة
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ١٠٦١
● جدلية الإسلام « الصيغة الإسلامية لتحقيق التوازن بين المتناقضات »
للمستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى ١٠٦٤
● العلاقة الاجتماعية فى الإسلام « تدعيم للوحدة فى المجتمع الإسلامى »
للأستاذ الدكتور محمد شامة ١٠٧٠
● الإسلام وتكريم الإنسان
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٠٨٠
● من قادة الخلفاء الراشدين : الفاروق عمر بن الخطاب « رضى الله عنه »
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين ١٠٨٣
● فن الاعتذار
للأستاذ أحمد إبراهيم هلال ١٠٨٨
● حبة البركة « إعجاز إلهى فى خلقه ! »
للأستاذ عبد العليم عبد السميع غزى ١٠٩١
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين ١٠٩٦
● من اعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر « عبد الله بن كنون »
للدكتور محمد رجب البيومى ١٠٩٩
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر « الإسراء والمعراج »
لفضيلة الشيخ محمود محمد المدنى
إعداد وتقديم الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١٠٥
● خميلة الشعر
للأستاذ محمد عبد الوهاب ١١٠٩
● فقه المصطلحات العلمية
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا ١١١٤
● طرائف ومواقف
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١١١٨
● هباة صغيرة فى مهمة كبيرة
بقلم الأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير ١١٢٠
● قصائد الإسلام والقدس
للأستاذ : نبيل محمد رشاد ١١٢٤
● اخبار العالم الإسلامى
يحررها الدكتور : حسن على محمد ١١٢٩
● الجديد فى العلم والتقنية
للدكتورة : نجوى السيد أحمد ١١٣٤
● دوحة الكتب
إعداد : محمود الفشنى ١١٣٦
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ : عادل رفاعى خفاجة ١١٤٢
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف
إعداد الأستاذ عمر البسطويسى ١١٤٨

● مقالات القسم الفرنسى ●
● المقالة الثانية :
د . رقية جبر ١١٥٩
● المقالة الأولى
د . هدى حسين شعراوى ١١٦٦

● مقالات القسم الإنجليزى ●
● المقالة الثانية :
حنان عبده الطهطاوى ١١٧٢
● المقالة الأول :
للسفيرة مها فهمى ١١٧٤

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

عطايا الرحمن في شعبان

أحمد المولى - عز وجل - وأصلي وأسلم على أسعد الخلق سيدنا محمد - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فإن شعبان هو شهر الشرف والعلو والبر والألفة والنور، شهر تفتح فيه الخيرات، وتنزل فيه البركات، وتترك فيه الخطيئات، وتكفر فيه السيئات، وتكثر فيه الصلوات على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - خير البركات.

شعبان ١٤١٩ - ديسمبر ١٩٩٨ - الجزء الثامن - السنة الحادية والسبعون

ومن هذا المنطلق ينبغى على كل مؤمن لبيب ألا يغفل فى هذا الشهر ، بل عليه أن يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان المكرم بالتطهر من الذنوب والتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الأيام ، فيتضرع إلى الله - تعالى - فى شهر شعبان ، ويتوسل إليه ، حتى يصلح فساد قلبه ، ويداوى مرض سره ، ولا يسوّف ويؤخر ذلك إلى غد ، لأن الأيام ثلاثة : أمس وهو أجل ، واليوم وهو عمل ، وغداً وهو أمل ، فلا يدرى هل يبلغه أم لا ؟ فأمس موعظة ، واليوم غنيمة ، وغداً مخاطرة ، وكذلك الشهور ثلاثة : رجب فقد مضى وذهب فلا يعود ، ورمضان وهو منتظر لا ندرى هل نعيش إلى إدراكه أم لا ؟ وشعبان وهو واسطة بين شهرين ، فلتغتنم الطاعة فيه ، وقد قال الحبيب - صلوات الله وسلامه عليه - لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسًا قبلَ خمسٍ : شبابَك قبل هِرَمِك ، وصحتَك قبل سقَمِك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغَك قبل شُغْلك ، وحياتَك قبل موتك »[1] .

ولذا كان المصطفى - صلى الله عليه وسلم - يولى هذا الشهر عناية خاصة ، فيصومه أو أكثره حيث جاء عن أبى سلمة قال : أتيت عائشة فقلت : أىْ أُمَّهْ : أخبرينى عن صلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : كانت صلاته بالليل فى شهر رمضان ، وفيما سوى ذلك ثلاث عشرة ركعة ، منها ركعتا الفجر . قلت : أخبرينى عن صيامه ، قالت : كان يصوم حتى نقول : قد صام ، ويفطر حتى نقول : قد أفطر ، ولم أره صام من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلاً »[2] .

وعن أبى سلمة ، قال : سألت عائشة عن صيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : كان يصوم حتى نقول : قد صام ، ويفطر حتى نقول : قد أفطر ، ولم أره صام من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان ، كان يصوم شعبان كله ، كان يصوم شعبان إلا قليلاً »[3] .

وعن عائشة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصوم شعبان ورمضان ويتحرى صوم الاثنين والخميس[4] .

---

(١) فيض القدير للمناوى (٢/١٦) برقم (١٢١٠) للحاكم والبيهقى وأحمد مرسلا وهو حسن .
(٢) مسند ابى يعلى (٨/٢٧٢) برقم (٤٨٦٠) إسناده صحيح وأخرجه الحميدى (١٧٣) ومسلم/ صلاة المسافرين (٧٣٨) (١٢٧) والبيهقى/ الصلاة (٣/٦) .
(٣) مسند أبى يعلى (١١/٩٥) برقم (٤٦٣٣) إسناده صحيح ، وأحمد (٦/٣٩) ومسلم/ الصيام (١١٥٦) (١٧٦) باب صيام النبى - صلى الله عليه وسلم - فى غير رمضان . وابن ماجه (١٧١٠) والبيهقى (٤/٢٩٢) باب فضل صوم شعبان . ومالك (٥٦) والبخارى (١٩٦٩) .
(٤) مسند ابى يعلى (١١/١٩٢) برقم (٤٧٥١) إسناده صحيح . والترمذى (٧٤٥) .

وأيضاً فى حديث آخر : أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يصوم شعبان كله ، قالت : قلت يارسول الله أحبَّ الشهور إليك أن تصومه شعبان قال : « إن الله يكتب على كل نفس ميتّة تلك السنة فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم »[1] .

ثم يزداد اهتمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند دخول ليلة النصف ، فعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت : فقدت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات ليلة ، فخرجت أطلبه ، فإذا هو بالبقيع رافعٌ رأسه إلى السماء ، فقال : ياعائشة ! أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : قد قلت ومابى ذلك ، ولكنى ظننت أنك أتيت بعض نسائك ، فقال : « إن الله ـ تعالى ـ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا ، فيغفر لأكثر من عدد شَعرِ غَنَم كلبٍ »[2] .

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم من طريق محمد بن سوقة ، عن عكرمة :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان : ٤)

قال : فى ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة ، وينسخ الأحياء من الأموات ، ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم ، ولا ينقص منهم أحد .[3] .

ولم يقف الأمر عند هذا بل خص المولى حبيبه ومصطفاه بجمع القبلتين له عندما هاجر إلى المدينة ، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس ، أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ليجمع له بين القبلتين كما عده السيوطى من خصائصه على الأنبياء والمرسلين ، وتأليفا لليهود ، ففرحت اليهود لظنهم أنه استقبله اقتداء بهم ، مع أنه كان لأمر ربه فاستقبلها سبعة عشر شهرا .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم ، وعند ابن سعد أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ياجبريل وددت أن الله صرف وجهى عن قبلة يهود ، فقال جبريل : أنا عبد فادع ربك

---

(١) أبو يعلى (٨/٣١١ ـ ٣١٢) إسناده ضعيف لضعف سويد بن سعيد ترجمه البخارى فى التاريخ (٤/٣٥٦) ولم يورد فيه لا جرحا ولا تعديلا ، ووثقه ابن حبان .
(٢) سند ابن ماجه (١/٤٤٤) برقم (١٣٨٩) والدر المنثور للسيوطى (٥/٧٤١) .
(٣) الدر المنثور (٥/٧٤٠) .

وسله ، فكان يدعو دعاء محبة لذلك بالحال لا بالمقال ، ففى الفتح : فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لإعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال وينتظر جبريل ينزل عليه لأنها قبلة الداعى[1] ، فنزلت :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ ﴾

(البقرة : ١٤٤)

فارتاب فى ذلك اليهود وقالوا : ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، فأنزل الله :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ ﴾

(البقرة : ١١٥)

وعن ابن عمر قال : بينما نحن فى صلاة الصبح بقباء جاءهم رجل فقال : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكانت قبلة الناس إلى الشام فاستداروا وتوجهوا إلى الكعبة ، وهو فى الصحيحين بلفظ : كانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ، وفى لفظ : كانوا ركوعا فى صلاة الصبح[2] .

وفى هذا الحديث من الفوائد : أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به ،وإن تقدم نزوله ؛لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء . كما استنبط منه الطحاوى أن من لم تبلغه الدعوة ولم يمكنه استعلام ، فالفرض غير لازم له . وفيه جواز الاجتهاد فى زمنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنهم لما تمادوا فى الصلاة ، ولم يقطعوها دل على أنه رجح عندهم التمادى والتحول على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك إلا عن اجتهاد كذا قيل . وفيه نظر : لاحتمال أن عندهم فى ذلك يقينا سابقا لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان مترقبا للتحويل،فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادى والتحويل .

وفيه : قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرر بطريق العلم به لأن صلاتهم إلى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليه ، وتحولوا إلى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد .

وأجيب بأن الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم عندهم بصدق المخبر ، فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم إلا بما يفيد العلم ، وقيل : كان النسخ بخبر الواحد جائزا فى زمنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مطلقا وإنما منع بعده ويحتاج إلى دليل[3] .

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية (١/٤٠١ ، ٤٠٢) .
(٢) وفاء الوفا للسمهودى (١/٣٦١) .
(٣) شرح الزرقانى (١/٤٠١) .

وعن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى بأصحابه فيه ـ يعنى فى مسجد القبلتين ـ الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الكعبة واستقبل الميزاب » .

وقال السمهودى : الثبت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين بعد سبعة عشر شهرا من الهجرة[١] .

ولما حولت القبلة قال بعض المؤمنين فكيف صلاتنا التى صليناها نحو بيت المقدس ؟ وكيف من مات من إخواننا المسلمين . قال فى « الفتح » وهم عشرة . فبمكة من قريش عبد الله بن شهاب ، والمطلب بن أزهر الزهريان ، والسكران بن عمرو العامرى . وبأرض الحبشة : حطاب ـ بالمهملة ـ ابن الحارث الجمحى وعمرو بن أمية الأسدى ، وعبد الله بن الحارث السهمى ، وعروة بن عبد العزى ، وعدى بن نضلة العدويان . ومن الأنصار بالمدينة : البراء بن معرور ـ بمهملات ـ وأسعد بن زرارة فهؤلاء العشرة متفق عليهم وهم يصلون إلى بيت المقدس ، فأنزل الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة : ١٤٣) .

أى : صلاتكم إلى بيت المقدس ، بل يثيبكم عليه ؛ لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل[٢] .

وفى شهر شعبان فرض الله صوم شهر رمضان[٣] ، شهر الفضل والخير والبركة وخصه المولى بخصائص إكراماً للأمة المحمدية .

نسأل المولى أن يوفقنا جميعا إلى ما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على الحبيب الغالى سيدنا رسول الله وعلى آله ومن تبع هداه .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) وفاء الوفا (١/٣٦١) .

(٢) شرح الزرقانى (١/٤٠٤ ، ٤٠٥) .

(٣) المرجع السابق (١/٤٠٥) .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ
﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ
بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

انتقل القرآن إلى الحديث عن موضوع النسخ الذى أثار اليهود حوله الشبهات ، وجادلوا فيه النبى - صلى الله عليه وسلم - .

لقد استنكر اليهود أن يبدل الله آية بآية ، أو حكماً بحكم ، وقالوا : ألا ترون إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه غدا ، ما هذا من شأن الأنبياء ، وما هذا القرآن إلا من كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - ، يقوله من تلقاء نفسه ، وهو كلام يناقض بعضه بعضا .

ولم يترك القرآن الكريم تلك الشبهات التى أثارها اليهود حول شريعة الإسلام بدون جواب ،

بل أنزل الله - تعالى - هذه الآيات الكريمة لدحضها وإزالتها من الصدور ، ليزداد المؤمنون إيماناً.
والنسخ فى اللغة: الإبطال والإزالة ، يقال : نسخت الشمس الظل تنسخه ، إذا أذهبته وأبطلته .
وفى عرف الشرع : بيان انتهاء مدة الحكم بخطاب لولا هذا الخطاب لاستمر الحكم على مشروعيته ، بمقتضى النص الذى تقرر به أولا . وننسها من أنسى الشىء جعله منسيا .
فمعنى نسخ الآية فى قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ رفع حكمها مع بقائها .
ومعنى إنسائها فى قوله - تعالى - : ﴿ نُنسِهَا ﴾ رفع الآية من نظم القرآن جملة .
وسمى رفع الآية من نظم القرآن جملة إنساء ، لأن من شأن ما لا يبقى فى النظم أن ينساه الناس لقلة جريانه على الألسنة بالتلاوة والاحتجاج به .
ويصح إبقاء الإنساء على حقيقته ، وهو إذهاب الآية من القلوب وإزالتها من الحافظة ، بعد أن يقضى الله بنسخها .
وإنما قلنا بعد أن يقضى الله بنسخها ، لأن إنساء الناس آية لم تنسخ إضاعة لشىء من القرآن ، والله يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .
ومما يدل على نسخ الآية المنساة ، أى : انتهاء مدة التكليف بها قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ أى نأت بخير من المنسية المنسوخة أو مثلها ، فيكون قوله تعالى : ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ معبرا عن حالة تعرض فى بعض ما سيرفع من القرآن وهى أن ينساه الناس لذهابه من قلوبهم ، بعد أن يقضى الله بنسخه - كما ذكرنا - .
ووجه ذكر هذه الحالة بوجه خاص ، أن ما ينسى لعدم حضوره فى الذهن لا تعرف الآيات التى تقوم مقامه ، فربما يقع فى الوهم أنه ذهب من غير أن ينزل من الآيات ما يغنى غناءه .
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿ ننسأها ﴾ بالهمزة ، من النساء وهو التأخير وعلى هذه القراءة يحمل النسخ فى قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ على النوعين السابقين وهما : نسخ الآية حكما فقط ، ونسخها حكما وتلاوة .
ومعنى ﴿ ننسأها ﴾ نؤخر إنزالها إلى وقت ثان فلا ننزلها ، وننزل ما يقوم مقامها فى القيام بالمصلحة .
والخيرية والمماثلة فى قوله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ ترجع إلى ثواب العمل بها . فقد يكون ثواب العمل بالناسخة أوفر من ثواب العمل بالمنسوخة قبل نسخها ، وقد يكون مماثلا له ، وإن كانت كل واحدة من الآيتين الناسخة والمنسوخة بالنظر إلى الوقت المقدر للعمل بها ، أقوم على المصلحة من الأخرى .
وبعد أن أثبت - سبحانه - أن النسخ جائز وواقع بقوله : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ ساق جملة كريمة فى صورة الاستفهام التقريرى ، مخاطبا بها الأمة الإسلامية فى

شخص نبيها - ﷺ - لتكون دليلا على هذا الثبوت ، وهذه الجملة هي قوله تعالى :
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ والمعنى أن الله - تعالى - متمكن من أن يفعل ما يشاء على الوجه الذى تقتضيه حكمته وإرادته ، ومن كان هذا شأنه فله أن يأمر فى وقت بأمر ، ثم ينسخه أو يستبدل به آخر لمقتضيات الظروف والأحوال .

ثم أقام - سبحانه - الدليل على كمال قدرته وشمولها لكل شىء فقال :
﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٠٧)

والمعنى : أنه - سبحانه - مالك لجميع الكائنات العلوية والسفلية ، وأنه هو المتصرف كما يشاء فى ذواتها وأحوالها ، وأنه يتصرف فى أمورهم ويجريها على حسب ما يصلحهم ، وهو أعلم بما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ وليس للناس من أحد يتولى أمورهم ، ويعينهم على أعدائهم سواه ، ومن كان الله وليه ونصيره ، علم يقينا أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فى دنياه وأخراه .

وإذن فأنتم - أيها اليهود - ما قدرتم الله حق قدره ، لزعمكم أن النسخ محال على الله ، لأن المالك لكل شىء ، من حقه أن يمحو ما يشاء ويثبت ما يريد على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته .

فالآية واقعة موقع الدليل على ما تضمنته الجملة السابقة من إحاطة قدرته - سبحانه - بكل شىء .

ثم حذر القرآن الكريم المؤمنين من الاستماع إلى وساوس اليهود ، تثبيتاً لقلوبهم ، وتقوية لإيمانهم ، فقال تعالى :

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (البقرة : ١٠٨)

والمعنى : لا يصح لكم أيها المؤمنون أن تقترحوا على رسولكم محمد - ﷺ - مقترحات تتنافى مع الإيمان الحق كأن تسألوه أسئلة لا خير من ورائها لأنكم لو فعلتم ذلك لصرتم كبنى إسرائيل الذين طلبوا من نبيهم موسى - عليه السلام - بعد أن جاءهم بالبينات - مطالب تدل على تعنتهم وجهلهم فقالوا له : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء ١٥٣) وقالوا له : ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ (الأعراف: ١٣٨)

ولو صرتم مثلهم لكنتم ممن يختار الكفر على الإيمان ، ولخرجتم عن الصراط المستقيم الذى يدعوكم إليه نبيكم - ﷺ - .

والاستفهام فى الآية الكريمة للإنكار ، وفى أسلوبها مبالغة فى التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود من تعنت مع رسولهم ، إذ جعل محط الإنكار إرادتهم للسؤال ، وفى النهى عن إرادة الشىء ، نهى عن فعله بأبلغ عبارة .

ثم نبه الله تعالى عباده المؤمنين إلى ما يضمره لهم اليهود من أحقاد وشرور فقال - تعالى - :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

ومعنى الآية الكريمة : أحب وتمنى عدد كثير من اليهود الذين هم أهل كتاب ، أن ينقلوكم أيها المؤمنون من الإيمان إلى الكفر ، حسدًا لكم وبغضا لدينكم ، من بعد ما ظهر لهم أنكم على الحق باتباعكم محمدا ـ ﷺ ـ فلا تهتموا بهم ، بل قابلوا أحقادهم وشرورهم بترك عقابهم ، والإعراض عن أذاهم ، حتى يأذن الله لكم فيهم بما فيه خيركم ونصركم ، فإنه ـ سبحانه ـ على كل شيء قدير » .

وقوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ﴾ (البقرة ـ ١٠٩) بيان للون من ألوان الشرور التي يضمرها أهل الكتاب وعلى رأسهم اليهود ، وهو تمنيهم ارتداد المسلمين عن دينهم الحق ، إلى الكفر الذي أنقذهم الله ـ تعالى ـ منه .

وإنما أسند ـ سبحانه ـ هذا التمني الذميم إلى الكثرة منهم ، إنصافا للقلة المؤمنة التي لم ترتض أن ينتقل المسلمون إلى الكفر بعد أن هداهم الله إلى الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ﴾ مبالغة في ذمهم ، بسبب ما تمنوه وأحبوه إذ ودوا ـ وهم أهل كتاب ـ أن يحل الكفر محل الإيمان ، وفيه إشعار بأن ما تمنوه بعيد الحصول ؛ لأن الإيمان متى خالطت بشاشته القلوب ، منع صاحبه من الانتقال إلى الكفر .

ثم بين ـ سبحانه ـ أن الذي حملهم على هذا التمني الذميم هو الحقد والحسد ، فقال تعالى :
﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩)

أي : أن هذا التمني لم يكن له من سبب أو علة سوى الحسد الذي استولى على نفوسهم ، واستحوذ على قلوبهم فجعلهم يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان ويتمنون التحول عنه إلى الكفر ، فالجملة الكريمة علة لما تضمنته الجملة السابقة من محبتهم نقل المؤمنين إلى الكفر .

قال فضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : « والحسد : قلق النفس من رؤية نعمة يصيبها إنسان ، وينشأ عن هذا القلق تمني زوال تلك النعمة عن الغير وتمني زوال النعم مذموم بكل لسان ، إلا نعمة أصابها فاجر أو جائر يستعين بها على الشر والفساد ، فإن تمني زوالها كراهية الجور والفساد لا يدخل في قبيل الحسد المذموم فإن لم تتمن زوال النعمة عن شخص وإنما تمنيت لنفسك مثلها فهي الغبطة والمنافسة ، وهي محمودة لأنها قد تنتهي بالشخص إلى اكتساب محامد لولا المنافسة لظل في غفلة عنها ، والحسد قد يهجم على الإنسان ولا يكون في وسعه دفعه لشدة النفرة بينه وبين المحسود ، وإنما يؤاخذ الإنسان على رضاه به ، وإظهار ما يستدعيه من القدح في المحسود ، والقصد إلى إزالة النعمة عنه »(١) .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ إعلام للمؤمنين ، بأن هؤلاء اليهود لم يؤمروا بذلك في كتابهم ، بل إن كتابهم لينهاهم عن هذا الخلق الذميم ولكنهم لخبث نفوسهم وسوء طباعهم ، رسخ الحسد في قلوبهم لدرجة يعسر معها صرفه عنهم ، أو صرفهم عنه . ◀

---

(١) مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد ٥ ص ٦ .

والجملة الكريمة ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ تدل على أن أولئك اليهود يعتقدون صحة دين الإسلام ، إذ الإنسان لا يحسد غيره على دين إلا إذا عرف فى نفسه صحته ، وأنه طريق الفوز والفلاح .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ يدل على أن محبة اليهود لتحويل المؤمنين من الكفر إلى الإيمان وقعت ، بعد أن ظهر لهم صدق النبى - ﷺ - وبعد أن تبين لهم أن الصفات التى وردت فى التوراة بشأن المبشر به ، لا تنطبق إلا عليه ، وإذا فكفرهم به لم يكن عن جهل وإنما كان عن عناد وجمود على الباطل ، وذلك هو شأن أحبارهم الذين كانوا على علم بالتوراة ، وبتبشيرها بالنبى - ﷺ - .

ثم أمر الله تعالى المؤمنين فى ختام الآية أن يقابلوا شرور اليهود بالعفو والصفح ، وأن يوادعوهم إلى حين فقال تعالى :

﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

العفو : ترك العقاب على الذنب . والصفح : ترك المؤاخذة عليه ، فكل صفح عفو ولا عكس .

والمعنى : عليكم أيها المؤمنون أن تتركوا معاقبة أولئك اليهود الحاسدين وأن تعرضوا عن رفع السيف فى وجوههم حتى يأذن الله لكم فى أن تشفوا صدوركم منهم ، ويبيح قتالهم الذى يترتب عليه نصركم ، إذ أن كل شىء داخل تحت سلطان قدرته - تعالى - .

فالمراد بالأمر فى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ الإذن للمسلمين بقتالهم فى الوقت الذى يختاره الله - تعالى - لهم ، عندما تكون لهم القوة التى يتمكنون بها من جهاد أعدائهم .

قال صاحب المنار : قال الأستاذ الإمام : « وفى أمره تعالى لهم بالعفو والصفح إشارة إلى أن المؤمنين على قلتهم هم أصحاب القدرة والشوكة لأن الصفح إنما يطلب من القادر على خلافه كأنه يقول : لا يغرنكم أيها المؤمنون كثرة أهل الكتاب مع باطلهم ، فإنكم على قلتكم أقوى منهم بما أنتم عليه من الحق ، فعاملوهم معاملة القوى العادل ، للضعيف الجاهل وفى إنزال المؤمنين على قلتهم منزلة الأقوياء ، ووضع أهل الكتاب على كثرتهم موضع الضعفاء ، إيذان بأن أهل الحق هم المؤيدون بالعناية الإلهية ، وأن العزة لهم ما ثبتوا على حقهم ، ومهما يتصارع الحق والباطل فإن الحق هو الذى يصرع الباطل كما قلنا غير مرة ، وإنما بقاء الباطل فى غفلة الحق عنه » .

وقد أكد الله - تعالى - وعده بقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى أن كل شىء داخل تحت قدرته النافذة التى لا يعجزها شىء .

وقد أنجز الله - تعالى - وعده ، فأذن للمؤمنين فى الوقت المناسب بقتال اليهود وتأديبهم ، وقد ترتب على ذلك النصر للمؤمنين ، والطرد والقتل لليهود الحاقدين .

يتبع

قبس من أنوار النبوة

الدعاء وشهر شعبان

لفضيلة الشيخ
علي حامد عبد الرحيم

١ - عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله - تعالى - بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو صرف عنه من السوء مثلها ، ومالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذاً نكثر ، قال : الله تعالى أكثر » رواه الترمذى .

وزاد الحاكم : « أو يدخر له من الأجر مثلها».

٢ - عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها ، وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا ، فيقول : « ألا من مستغفر فأغفر له ؟ ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر » أخرجه ابن ماجه فى سننه .

البيان :

الدعاء عبادة من أجل وأعظم العبادات ، وهو سلاح المؤمن وعتاد المسلم ، وهو مظهر من مظاهر العبودية الحقة لله رب العالمين ، وبه يتقرب العبد إلى خالقه ، ويناجيه وحده حينما ينقطع أمله ورجاؤه فى المخلوقين ، أمرنا الله - عز وجل - به فقال فى محكم التنزيل :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعـراف : ٥٥ - ٥٦) .

وقال - عز من قائل - :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٦) .

وجاء فى الحديث القدسى : عن أنس - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله - تعالى - : « ياابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، ياابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى .

والدعاء بلا واسطة من خصوصيات هذه الأمة ، وأما الأمم السابقة فكانوا يذهبون إلى أنبيائهم ليسألوا لهم .

روى معمر عن قتادة - رضى الله عنه - أنه قال : « أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعط إلا لنبى ، كان يقال للنبى : اذهب فليس عليك جناح ، وقال لهذه الأمة :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج : ٧٨) .

أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به ، وكان يقال للنبى - صلى الله عليه وسلم - أنت شهيد على قومك ، وقال لهذه الأمة :

﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

وكان يقال للنبى سل تعط ، وقال لهذه الأمة :

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

(غافر : ٦٠) .

كما حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته على أن يكثروا من الدعاء ويجتهدوا فى الطاعة واللجوء إلى الله فى كل وقت وحين .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - فيما أخرجه البخارى ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : يتنزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له » ، وقد تأول الإمام مالك

وغيره بما معناه : تنزل رحمته أو ملائكته وقيل معناه : الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف .

وأقرب الدعاء إلى القبول : مادعت إليه الحاجة وأملاه القلب وانطلق به اللسان من غير تحديد بدعاء معين يحتاج إلى تأويل .

كما أن من شروط إجابة الدعاء أكل الحلال ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال لسعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ عندما سأل : أن يدعو الرسول له ليكون مستجاب الدعوة فقال الرسول : « أطب مطعمك تستجب دعوتك » ، وأن يكون الداعى موقنا ولا يستعجل يقول : دعوت لم يستجب لى .

وأن يستقبل القبلة . . متسلحا بالوضوء ، مبتدئا دعاءه بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ، ثم يختم الدعاء بالصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن الصلاة على رسول الله مقبولة لا محالة ، فإن الله ـ عز وجل ـ أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد الدعاء بينهما .

وعلى الداعى أن يتخير الأوقات الفاضلة التى ترجى فيها القبول : كليلة القدر ، وأيام شهر رمضـان ، وليلة الإسراء والمعـراج ، وأول شعبان ، وليلة النصف من شعبان ، وحال السجود ، وعند نزول الغيث ، وبين الأذان والإقامة ، ووقت السحر .

روى الطبرانى فى الكبير عن محمد بن مسلمة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن لديكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا » .

وإذا كان من الأوقات الفاضلة ليلة النصف من شعبان فإنها ليلة من مواسم الخير ، وفيها نفحات من الرحمة التى يجب أن نتعرض لها ، وعلى العبد أن يخصها بطاعة خالصة لله رب العالمين فى خاصة نفسه بعيدا عن الرياء ، داعيا ربه بالمأثور عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخرج الإمام أحمد بن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يطلع الله تعالى إلى خلقه ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن ، وقاتل نفس » .

وأخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله ـ عز وجل ـ ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب » .

فعلى المؤمن أن يجد ويجتهد فى الدعاء والاستغفار ، وفى سائر القربات حتى يكون ممن تشملهم رحمة الله وعفوه ، وخاصة فى هذه الأيام المباركات .

وكانت ليلة النصف من شعبان

للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

١ شهر شعبان له مكانته بين شهور العام ، فهو المقدمة لشهر رمضان ، وهو شهر الدعاء والرجاء والحمد والثناء لله العلى القدير ، وهو شهر تروى فيه أحداث كثيرة فى حياة الرسل والرسالات ، يقولون : إنه نجى الله عز وجل فيه موسى من فرعون ، ونجى فيه إبراهيم الخليل من النار ، وشهر أرست فيه سفينة نوح على الجودى . ومالنا ولذلك كله من الأمور التى لم يأتنا عليها دليل موثق ، ولا برهان مؤكد ؟

إن رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه ـ كان يحتفل بهذا الشهر ويزكيه ، روى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال فيه :

ياعائشة « إنه ليس نفس تموت فى سنة إلا كتب أجلها فى شعبان ، وأحب أن يكتب أجلى وأنا فى عبادة ربى » .

وأخرج ابن أبى شيبة عن عطاء بن يسار قال : لم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان .

وأخرج الديلمى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان » .

وعن أسامة بن زيد قال : كان رسول الله ـ ﷺ ـ يكثر من الصيام فى شهر شعبان ، فقلت : يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من

الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تعرض فيه الأعمال على رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم .

وروى البخارى عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : ما رأيت رسول الله استكمل صيام شهر إلا رمضان ، وما رأيته أكثر صياما كما يصوم فى شعبان .

ـ ٢ ـ

وليلة النصف من شعبان ـ على الخصوص ـ تؤكد السنة النبوية منزلتها عند الله فى أحاديث كثيرة وردت عن رسولنا الكريم .

روى عن على كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله تعالى ينزل فيها إلى سماء الدنيا ، فيقول : ألا من مستغفر فأغفر له . ألا كذا ، ألا كذا ، حتى يطلع الفجر » .

وروى الطبرانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « يطلع الله على عباده ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك ، أو مشاحن ، أو قاتل نفس » .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « هذه ليلة النصف من شعبان ، يغفر الله للمستغفرين ، ويرحم المترحمين » .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : « يفتح الله الخير فى أربع ليالٍ : ليلة الأضحى ، والفطر ، وليلة نصف شعبان ، وفى ليلة عرفة إلى الأذان .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ـ ﷺ ـ أتانى جبريل عليه السلام فقال : هذه ليلة النصف من شعبان ، ولله فيها عتقاء من النار .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كانت ليلة النصف من شعبان ليلتى ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ عندى ، فلما كان فى جوف الليل فقدته ، فطلبته ، فإذا أنا به كالثوب الساقط ، وهو يقول فى سجوده : « سجد لك خيالى وسوادى ، وآمن بك فؤادى ، فهذه يدى وما جنيت بها على نفسى ، ياعظيما يرجى لكل عظيم ، ياعظيما اغفر لى الذنب العظيم ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره . ثم رفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال : أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك . ثم رفع رأسه فقال اللهم ارزقنى قلبا تقيا من الشرك نقيا ، لاجافيا ولاشقيا » .

ـ ٣ ـ

ولماذا خصت هذه الليلة الكريمة بهذا الفضل الكريم .

قيل إنها نزل فيها القرآن الكريم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ من سورة الدخان : ٢

وذلك التفسير يخالف مانص عليه جمهور المفسرين ، من أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر ، بدلالة قوله تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ من سورة القدر - ١

والصحيح أن هذه الليلة هى الليلة التى حولت فيها القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾

البقرة ١٤٩ و ١٥٠ .

وقد نزلت الآيات :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

[البقرة - الآيات ١٤٤ - ١٥٠]

والرسول - ﷺ - يصلى فى مسجد بنى سلمة مستقبلا المسجد الأقصى بالشام فحول رسول الله - ﷺ - وجهه إلى المسجد الحرام ولذلك سمى هذا المسجد مسجد القبلتين وكانت القبلة فى الصلاة جهة بيت المقدس أولا ، فلما حولت القبلة فى النصف من شعبان صارت القبلة هى جهة المسجد الحرام ، وكان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وصحابته يتمنون ذلك ، ويدعون الله أن يجعل البيت الحرام قبلتهم فى الصلاة .

ذكر العلماء ، ومنهم الإمام النووى فى شرحه لصحيح الإمام مسلم أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام كان فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، قبل « بدر » بشهر ، حيث نزلت هذه الآيات المباركات من سورة البقرة بأمر الله - عز وجل - فيها بأن يحول الرسول والمسلمون معه وجوههم فى الصلاة شطر المسجد الحرام بدلا من المسجد الأقصى تكريما للمسجد الحرام ، ورفعا لمكانته عند الله - عز وجل - فكان يوم نزول هذه الآيات المباركات يوم عيد للمسلمين ، فإذا كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام كان فى

اليوم الخامس عشر من شعبان ، أفلا يكفى هذا موضحا لمكانة هذه الليلة المباركة ؟

لقد كان ذلك التحويل بمثابة الاستقلال الكامل للشخصية الإسلامية ، والتمييز التام للذات المسلمة ، والإعزاز الكبير ، والتقدير العظيم لأمة الرسالة ولشعبها ولأهم معالم الحياة الروحية فيها ، وهو المسجد الحرام .

وكان هذا التحويل بمثابة تخلى الإسلام عن التبعية ، وأن تبعية المسلم يجب أن تكون لله وحده لا شريك له . . ويقوى من ذلك أن المسجد الحرام هو أوسط مكان فى الدنيا ، وأنه الجدير بأن يكون قبلة الأمة الوسط ، أمة الإسلام ، وأن المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها يجب أن يولوا وجوههم دائما وفى الصلاة شطر المسجد الحرام بيت الله ، بيت إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم السلام .

- ٤ -

القبلة يجب أن تكون شطر أقدم بيت فى الأرض عبد فيه الله - عز وجل - وحف بالكرامة والعزة والرفعة ، وملأت رحابه الطاهرات ملائكة السماء ، وتطلعت إليه وجوه أنبياء الله ورسله الكرام ، وهو البيت الذى لم يدنسه شىء طول عصور التاريخ ، ولم يدخل إلى رحابه الطاهرة غاز أو فاتح متكبر .

وهو البيت الذى أعز الله به العرب والمسلمين ، ولم يستطع « أبرهة » وجيشه الكبير القوى أن يدخله وهزمه الله وطرده من حماة شر طردة .

ثم إن البيت الحرام هو بيت التوحيد ، وبيت النور ، وبيت السلام فى الأرض ، وعلى طول أحقاب التاريخ كان هو الشعار العظيم للسلام ، وكان هو الذى يأوى إليه المظلوم فينتصر ، ويأوى إليه الضعيف فيشعر بالقوة والعزة ويأوى إليه المسكين والفقير واليتيم والظامىء والجائع ، فيجد القرى والخير والعطاء والبر والرحمة والإحسان .

البيت الحرام ، الذى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل ، وولد ونشأ وعاش فى جواره وبين رحابه سيد الأنبياء ، وخاتم المرسلين ، وأفضل النبيين محمد - ﷺ - والذى نزلت فى رحابه رسالة السماء ، على خاتم الأنبياء والمرسلين ، والذى جعل الله - عز وجل - الحج إليه شريعة مفروضة فى الإسلام ، والذى مشت إليه الدنيا ، ومشى إليه الملوك معظمين مكبرين مهللين .

البيت الحرام ، قبلة الإسلام والمسلمين فسلام عليه ورحمة إلى يوم الدين .

الزهد في الإسلام

للأستاذ الدكتور:
عامر النجار

تعريف الزهد :

الزهد معناه فى اللغة : عدم الرغبة ، و « الزهادة فى الشىء خلاف الرغبة فيه » ، وتزهد أى صار زاهدا ، والزهد : « العابد » [1] .

وقال الإمام ابن عجيبة الصوفى : « إن الزهد هو خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها » [2] .

والزهد هو أول مقامات السالكين لطريق الله تعالى . يقول الإمام الرفاعى : « الزهد أساس الأحوال المرضية ، والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله ، فمن لم يحكم أساسه فى الزهد ، لم يحصل له شىء مما بعده من المقامات » [3] . والزاهد هو « من ترك كل شىء يشغل عن الله » [4] ، فلابد للزاهد من ترك حب الدنيا وإخراجها من قلبه بحيث لا يشغله شىء سوى الحق .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (مسلم) .

قال الإمام المناوى : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، لأن المؤمن ممنوع من شهواتها المحرمة ، فكأنه فى سجن والكافر عكسه ، وقيل : كالسجن للمؤمن فى جنب ما أعد له فى الآخرة من الثواب والنعيم المقيم وكالجنة للكافر فى جنب ، ما أعد له فى الآخرة من العقوبة والعذاب الأليم » [5] .

---

(١) المعجم الوجيز ، ص ٧ .

(٢) ابن عجيبة الشاذلى ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، طبعة مكتبة الاعتدال بسوريا ، ١٩٣٧ .

(٣) الشعرانى ، عبد الوهاب : الطبقات الكبرى ، طبعة مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ، جـ ١ ص ١٢١ .

(٤) الرفاعى ، أحمد : الحكم ، طبعة شرف موسى ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، ص ٥٧ .

(٥) المناوى ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، طبع دار إحياء السنة النبوية ، جـ ٣ ص ٥٤٧ .

مشروعية الزهد :

لقد وجد الزهاد الأوائل فى آيات القرآن الكريم حثا على عدم إيثار الحياة الدنيا لأن فى ذلك هلاك المرء . . يقول تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ النازعات ٣٩ : ٤١

ويقول تعالى : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ . [الحديد : ٢٠] .

لقد كان الخوف من عذاب الله فى ناره الضارمة يوم القيامة سببا فى زهد الأوائل عن دنيا لاتساوى عند الله - تعالى - جناح بعوضة

﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

[الكهف : ٢٨] .

ويقول تعالى : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الحاقة : ٣١] .

ولهذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - أشد الناس خوفا من الله ، وإذا ارتكب أحدهم أى شىء فإنه يشعر كأنه ارتكب أكبر الكبائر . مر ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى خادم رسول الله يوما بباب رجل من الأنصار فبصر بامرأة الأنصارى وهى تغتسل ، فكرر النظر إليها . ولما أحس بذنبه خرج هائما على وجهه إلى جبال بين مكة والمدينة . فبعث رسول الله - ﷺ - عمر بن الخطاب وسلمان الفارسى فى طلبه فلقيهما راع من رعاة المدينة . فقال له عمر : هل لك علم بشاب بين هذه الجبال ؟ فلعلك تريد الهارب من جهنم . قال عمر : وما علمك بأنه هرب من جهنم ؟ قال : لأنه إذا كان نصف الليل ، خرج علينا من الشعب واضعا يديه على أم رأسه يبكى وينادى : يا ليتك قبضت روحى بين الأرواح وجسدى بين الأجساد ، ولا تجردنى ليوم القضاء .

فلما أتى به إلى رسول الله - ﷺ - سأله : ما الذى غيبك عنى ؟ قال ذنبى ، قال : أفلا أعلمك آية تمحو الذنوب والخطايا ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : « قل اللهم آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

قال إن ذنبى أعظم من ذلك . قال رسول الله - ﷺ - : بل كلام الله أعظم ، وأمره بالانصراف إلى منزله ، فانصرف ومرض ثلاثة أيام . فأتى سلمان النبى - ﷺ - وقال : إن ثعلبة لمائت . فدخل رسول الله - ﷺ - عليه . فأخذ برأسه ووضعه على حجره . فأزال رأسه عن حجر النبى - ﷺ - فقال له رسول الله - ﷺ - لم أزلت رأسك عن حجرى ؟ قال : لأنه ملآن من الذنوب . فقال رسول الله - ﷺ - « ما تجد ؟ » قال أجد مثل دبيب النمل بين جلدى وعظامى . قال : فماذا تشتهى ؟ قال : مغفرة ربى . قال : فنزل جبريل على النبى - ﷺ - فقال : يا أخى إن ربك يقرئك السلام ويقول « لو لقينى عبدى

بقراب الأرض خطيئة ، للقيته بقرابها مغفرة » قال فأعلمه رسول الله ـ ﷺ ـ ذلك ـ فصاح صيحة فمات .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن القرآن الكريم ، كان مصدرا للزهاد الأوائل فى الإسلام ، فقد وجدوا فيه أصلا لزهدهم ، ولقيامهم الليل وكثرة تبتلهم وتحنثهم وقنوتهم . يقول ـ تعالى ـ :

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (الزمر ـ ٩)

ويقول تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا السجدة : ١٦

وقال تعالى مخاطبا رسوله ـ ﷺ ـ :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾ المزمل : ٢٠

ولقد زهد العباد فى الدنيا خشية عذاب الآخرة ، فلقد صور القرآن الكريم جهنم تصويرا رهيبا ، وكأنها لم تخلق إلا لهم ، فاستولى على نفوسهم الرقيقة الرهبة والخوف من عذاب الله .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر ـ ١٨)

ويقال إن صالح بن بشير المرى [وهو من كبار القصاصين الوعاظ الزهاد] ، « توفى عام ١٧٦ هـ » ، سمع رجلا فى مجلسه يقرأ هذه الآية فقطع صالح القراءة وقال : وكيف يكون للظالمين حميم أو شفيع والطالب لهم رب العالمين .

والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يساقون فى السلاسل والأغلال إلى الجحيم ، حفاة ، عراة مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ، ذابلة أجسامهم ، ينادون : يا ويلاه . . يا ثبوراه . ماذا بنا ؟ ماذا حل بنا ؟ أين يذهب بنا ؟ ماذا يراد بنا ؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرون على وجوههم ، ويسحبون عليها متكئين ، ومرة يقادون إليها عنوة مقرنين من بين باك دما بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت .

إنك والله لو رأيتهم على ذاك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك ولا يستقر لفظاعة هوله على فرار قدمك ثم نحب وصاح ، يا سوء منظراه ويا سوء منقلباه ، وبكى وبكى الناس »[1] . ويقول ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾

[الحديد : ٢٠] .

★★★

يقول الزاهد الكبير إبراهيم بن أدهم [ت ١٦٢] « ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك ، ذم مولانا الدنيا فمدحناها ، وأبغضها فأحببناها وزهدنا فيها فآثرناها ، ورغبنا فى طلبها . وعدكم خراب الدنيا فحصنتموها ، ونهيتم عن طلبها فطلبتموها ، وأنذركم الكنوز ، فكنزتموها . دعتكم إلى هذه الفرارة دواعيها فأصبتهم مسرعين مناديها ، خدعتكم بغرورها ، ومنتكم فانقدتم خاضعين لأمنيتها تتمرغون فى زهواتها وتتمتعون فى لذاتها ، وتتقلبون فى

---

(١) الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٧١ .

شهواتها ، وتتلوثون بتبعاتها ، تنبشون بمخالب الحرص على خزائنها ، وتحفرون بمعاول الطمع فى معادنها ، وتبنون بالغفلة فى أماكنها ، وتحصنون بالجهل فى مساكنها »[1].

ولقد وجد الزهاد الأوائل فى كتاب الله - تعالى - مدخلا لزهدهم ، فعاشوا بين آيات الرجاء والخوف ، والرغبة والرهبة ، ووجدوا أنهم لابد من الفرار إليه ، والإنابة إليه .

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ (الذاريات - ٥٠)

وأكثروا من عبادة الله وذكره :

﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ .

آل عمران : ٤١

وقال تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ .

[المزمل : ٨].

ووجد الزهاد الأوائل فى عزلة رسول الله - ﷺ - فى غار حراء قبل مبعثه إشارة إلى جواز العزلة والاعتكاف للعبادة والتبتل وذكر الله .

ووجدوا فى سيرة الخلفاء الراشدين ونماذج الصحابة والتابعين القدوة الصالحة لزهدهم . ونجد فى هذا الكتاب أقوال أئمة الزهد فى الإسلام من لدن رسول الله - ﷺ - حتى معاصرى أبى سعيد الأعرابى .

يقول ابن الأعرابى عن كتاب الزهد للإمام أحمد : وأى قارىء لكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل يستطيع بسهولة أن يكتشف أن ابن الأعرابى اعتمد اعتمادا كليا على هذا الكتاب .

مشروعية الزهد فى السنة المطهرة :

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : أخذ رسول الله - ﷺ - بمنكبى فقال : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول : « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك » [البخارى] .

وكان رسول الله - ﷺ - نموذجا للزهد الحقيقى ويعتبر أن الدنيا ظل زائل لا قيمة لها ، لأن متعها سريعة الزوال ، وفناؤها حتمى ، فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : نام رسول الله - ﷺ - على حصير ، فقام وقد أثر فى جنبه ، فقلنا : يارسول الله ، لو اتخذنا له وطاء . فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . [أخرجه الترمذى] .

ويبين رسول الله - ﷺ - منزلة الدنيا ومدى حقارتها فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » [رواه الترمذى] .

إن زهد رسول الله - ﷺ - وزهد الصحابة أمر معروف تناولته كتب الأحاديث والسير ، فعن نافع قال : سمعت ابن عمر - رضى الله عنهما - يقول : « والله ما شمل النبى - ﷺ - فى بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب ، ولا شمل أبا بكر فى بيته

(١) الأصبهانى : حلية الأولياء ، جـ٣ ، ص ٢٤ .

ثلاثة أثواب ، غير أنى كنت أرى كساهم إذا أحرموا ، كان لكل واحد منهم مئزر ومشمل لعلها كلها بثمن درع أحدكم ، والله لقد رأيت النبى - ﷺ - يرقع ثوبه ، ورأيت أبا بكر تخلل بالعباءة ، ورأيت عمرا يرقع جبته برقاع من أدم وهو أمير المؤمنين »[1] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « قال رسول الله - ﷺ - عرض على ربى بطحاء مكة [2] ذهبا ، فقلت : لا يارب ، ولكنى أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك ، وإذا جعت تضرعت إليك ، ودعوتك » . [رواه الترمذى ، وأبو الشيخ] .

وروى الشيخان وأبو الحسن بن الضحاك عن عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - قال : دخلت على رسول الله - ﷺ - فإذا هو متكىء على رمال حصير قد أثر فى جنبه ، فرفعت رأسى فى البيت ، فو الله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر ، إلا أهب ثلاثة معلقة ، وصبرة [3] من شعير ، فهملت عينا عمر فقال : مالك ؟ فقلت : يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ، وكسرى وقيصر فيما هما فيه ؟ فجلس محمرا وجهه ، فقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ثم قال : أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ، ولنا الآخرة ؟ قلت : بلى ، يارسول الله ، فأحمد الله - عز وجل - ، زاد أبو الحسن الضحاك : يا عمر لو شاء أن يسير الجبال الراسيات معى ذهبا لسارت .

وروى الإمام أحمد عن ابن عباس - رضى الله عنهما ، قال : كان رسول الله - ﷺ - يبيت الليالى المتتابعة طاويا وأهله لايجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير .

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : اضطجع رسول الله - ﷺ - على حصير فأثر فى جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه ، فقلت : يا رسول الله ، ألا آذنتنا فبسطت شيئا يقيك منه ، تنام عليه ، فقال : ما لى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف ، فقال تحت شجرة ، ثم تركها » .

وروى الإمام أحمد ، وابن عساكر عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال - وهو يعظ : لقد أصبحتم ، وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله - ﷺ - يزهد فيه ، والله ما أتت على رسول الله - ﷺ - ليلة من زهده إلا كان الذى عليه أكثر من الذى له .

ويرحم الله الإمام البوصيرى حين قال فى بردته :

وراودته الجبال الشم من ذهب
عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيه ضرورته
إن الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وروى ابن الجوزى عن عائشة - رضى الله

(١) ابن الجوزى ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠٢ .
(٢) البطحاء ، مسيل واسع فيه دقاق الحصى ، وبطحاء مكة سيل واديها : تاج العروس جـ ٢ ، ص ١٢٤
(٣) صُبرة : أى بلا وزن وكيل ، مختار الصحاح ، ص ٣٥٥.
وفى لسان العرب ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعضه فوق بعض ، [لسان العرب : مادة صبر] .

عنها ـ قالت : « ما رفع رسول الله ـ ﷺ ـ عشاء لغداء ، ولا غداء لعشاء ، ولا يتخذ من شيء زوجين ، لاقميصين ، ولا رداءين ، ولا إزارين ، ولا من النعال ، ولا رئى فارغا قط فى بيته ، إما يخصف نعلا لرجل مسكين ، أو يخيط ثوبا لأرملة [1] » .

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، قال : دخل رسول الله ـ ﷺ ـ يوم فتح مكة على أم هانىء بنت أبى طالب ، وكان جائعا فذكر الحديث ، وفيه قال رسول الله ـ ﷺ ـ : هل عندك طعام آكل ؟ فقالت : إن عندى لكسرة يابسة وإنى أستحى أن أقدمها ، قال : هلميها ، فكسرها فى ماء ، وجاءته بملح ، فقال : ما من أدم ؟ فقالت : ما عندى يا رسول الله إلا شيء من خل ، فقال : هلميه ، فلما جاءت صبه على طعامه ، وأكل ، ثم حمد الله تعالى ، ثم قال : نعم الأدم الخل يا أم هانىء لايفتقر بيت فيه خل .

وروى ابن حبان والبيهقى عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل على رسول الله ـ ﷺ ـ وهو ساهم الوجه ، قالت : حسبت ذلك من وجع ، قلت : مالى أراك صلى الله عليك ساهم الوجه ؟ قال : من أجل الدنانير السبعة التى أتتنا بالأمس ، ولم نقسمها .

قال الحافظ ابن عبد الله البجلى : سألت نعيم بن حماد قلت : جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه لم يشبع فى يوم من خبز مرتين ، وجاء عنه أنه كان يعد لأهله قوت سنة ، فكيف هذا ؟ قال : كان يعد لأهله قوت سنة ، فتنزل النازلة ، فيقسمه ، فيبقى بلا شيء .

وقال الحافظ ابن كثير : المراد أنه كان لايدخر شيئا مما يسرع إليه الفساد ، كالأطعمة ونحوها ، لما ثبت فى الصحيحين عن عمر ـ رضى الله عنه ـ . قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله تعالى على رسول الله ـ ﷺ ـ مما لم يوجف [2] المسلمون عليها بخيل ولا ركاب فكان يعزل نفقة أهله سنة ، ثم يجعل ما بقى من الكراع [3] والسلاح عدة فى سبيل الله عز وجل [4] » .

زهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد جاءت الدنيا إلى صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ صاغرة دانية ، لكنهم وضعوا خزائنها وذهبها فى سبيل الله تعالى . فقد خرج أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ عن ماله كله فى سبيل الله ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما تركت لأهلك ؟ قال : تركت الله ورسوله » [رواه أبو داود] .

وكان عمر ، فى الزهد ، أمة وحده ، يلبس من الثياب الخشن ، ويأكل أقل طعام وأبسطه ، قالت ابنته حفصة ـ رضى الله عنها ـ ، لأبيها عمر : « يا أمير المؤمنين ، لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك ، وأكلت طعاما هو ألين من طعامك ، وقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير ، فقال : إنى سأخصمك إلى نفسك ، ألا تذكرين ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يلقى من شدة العيش ، فما زال يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : أما والله لئن

(١) ابن الجوزى ، كتاب الوفا بأحوال المصطفى ، جـ ٢ ، ص ٤٧٦ .

(٢) الوجيف ، ضرب من سير الإبل ، ويقال أوجف فاعجف . وقال الله تعالى: ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ ، اى ما اعملتم . [مختار الصحاح ، ص ٧١١] .

(٣) الكراع : اسم يجمع الخيل [مختار الصحاح ، ص ٥٦٧] .

(٤) ابن يوسف الصالحى الشامى ، محمد : سبل الهدى والرشاد ، تحقيق : د . على حسن محمود حبيبة . جـ ٧ ، ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

استطعت لأشاركها فى مثل عيشها الشديد لعلى أدرك معها عيشها الرخى » (١) .

لقد كان عمر بن الخطاب مضرب الأمثال فى الزهد ، فعن قتادة ، ـ رضى الله عنه ـ أن عمر بن الخطاب أبطأ عن الناس يوم الجمعة ، قال : ثم خرج فاعتذر إليهم فى احتباسه وقال : « إنما حبسنى غسل ثوبى هذا ، كان يغسل ، ولم يكن لى ثوب غيره » (٢) .

إن الزهد الحق فرغ قلبه تماما من الدنيا وشهواتها ، وامتلأ قلبه بأنوار الآخرة . فأصل الزهد فى القلب يقول عمرو بن عثمان المكى : « أعلم أن رأس الزهد وأصله فى القلوب هو احتقار الدنيا واستصغارها ، والنظر إليها بعين القلة ، وهذا هو الأصل الذى يكون منه حقيقة الزهد » (٣) .

زهد أهل الصفة من صحابة رسول الله ﷺ ـ :

يروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ ، عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « وقف رسول الله ـ ﷺ ـ على أصحاب الصفة ، فرأى فقرهم وجهدهم ، وطيب قلوبهم ، فقال : « أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه ، راضيا بما فيه فإنه من رفاقى فى الجنة » (٤) .

ويقول عنهم الأصبهانى فى « حلية الأولياء » : « هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شىء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجـردين من الفقراء ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال » (٥) .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ يحثهم على عدم الإقبال على الدنيا وزينتها والاشتغال بالعلم وذكر الله تعالى . فعن موسى بن على قال سمعت أبى يحدث عن عقبة ابن عامر ، قال : خرج إلينا رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن فى الصفة ، فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان والعقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين فى غير إثم ولا قطيعة رحم ؟ » فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك . قال : « أو لا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى خير له من نافلتين وثلاث وأربع ، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل ؟ » .

ويعلق على هذا الحديث الأصبهانى فيقول : « حديث عقبة يصرح بأن النبى ـ ﷺ ـ ، كان يردهم عند العوارض الداعية إلى تمنى الدنيا والإقبال عليها ، إلى ماهو أليق بحالهم ، وأصلح لبالهم ، من الاشتغال بالأذكار ، وما يعود عليهم من منافع البيان والأنوار ، ويعصمون به من المهالك والأخطاء ويستروحون إليه مم يرد من الأمانى على الأسرار » (٦) .

وقد وصفهم أبو نعيم الأصبهانى أحسن وصف فقال : « أهل الصفة هم أخيار القبائل والأقطار ، ألبسوا الأنوار ، فاستطابوا الأذكار ، واستراحت لهم الأعضاء والأطوار ، واستنارت منهم البواطن والأسرار ، بما وجد فيها المعبود من الرضا والأحبار ، فاعرضوا عن المشغوفين بما غرهم ولهوا عن الجامعين لما ضرهم من الحطام الزائل

(١) ابن الجوزى ، تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١٠٤ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٢ .
(٣) السلمى ، طبقات الصوفية .
(٤) الهجويرى ، كشف المحجوب ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠ ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .
(٥) الأصبهانى ، الحلية ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

البائد . . لم يعدلوا إلى أحد سواه ، ولم يعولوا إلا على محبته ورضاه » [1] .

وكان أهل الصفة فى فقر شديد ، فلم يجتمع لأحد منهم ثوبان . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون فى ثوب ، فمنهم من يبلغ ركبتيه ، ومنهم من هو أسفل من ذلك ، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته » [رواه أحمد بن حنبل] .

وعن واثلة بن الأسقع قال : « كنت من أصحاب الصفة ، وما منا أحد عليه ثوب تام ، قد اتخذ العرق فى جلودنا طوقا من الوسخ والغبار ، إذ خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « ليبشر فقراء المهاجرين ثلاثا » .

وعن عبد الرحمن بن أبى بكر أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ، بسادس « أو كما قال . وأن أبا بكر جاء بثلاثة ، وانطلق نبى الله ـ ﷺ ـ بعشرة » [متفق عليه]

وعن مجاهد أن أبا هريرة قال : مر بى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : أبا هر ؟ « فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق أهل الصفة فادعهم » . قال وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يلوون على أهل ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها » [متفق عليه] .

لقد كانوا من أشد المسلمين فقرا وخصاصة وحاجة لدرجة أن بعضهم لم يكن فى قدرته أن يصلب قامته أثناء صلاته فيترنح فى وقفته لما به من خصاصة ، فعن حميد بن هانىء الخولانى ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى صلاتهم لما بهم من الخصاصة ـ وهم أصحاب الصفة ـ

وكان أبو هريرة عريف من يسكن الصفة من القاطنين ، ومن نزلها من الطارقين . . . وكان أحد أعلام الفقراء والمساكين . . فارق المنقطع المحدود ، منتظرا للمنتفع به من تحف المعبود ، زهد فى لبس اللين والحرير ، فعوض من حكم الفطن » [2] .

وعن مجاهد أن أبا هريرة كان يقول : والله الذى لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد على كبدى من الجوع ، وإن كنت أشد على بطنى من الجوع ، فسألته عن آية من كتاب الله ، ما سألته إلا ليستتبعنى ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ، ما سألته إلا ليستتبعنى ، فمر ولم بفعل ، ثم مر أبو القاسم ـ ﷺ ـ وتبسم ، وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ، ثم قال : « يا أبا هر » ، قلت : لبيك يا رسول الله ! قال : « الحق » ، ثم مضى واتبعته ، فدخل ، واستأذنت ، وأذن لى ، فدخلت فوجدت لبنا فى قدح ، فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » ، فقالوا : أهداه لك فلان ـ أو فلانة ـ فقال : « يا أبا هر » فقلت : لبيك يا رسول الله . قال : « الحق أهل الصفة فادعهم » قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أحد ولا مال ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها ، وأشركهم فيها » .

« يتبع »

(1) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

(2) أبو نعيم الأصبهانى ، الحلية ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

الإسراء والمعراج

منعطف فى تاريخ الدعوة

للأستاذ الدكتور : سـعد ظـلام

لم يكن الإسراء والمعراج مجرد رحلة روحية عابرة ، أو مجرد حادث فردى بسيط ، فقد اشتملت هذه الرحلة النبوية على معان عميقة كثيرة ، وأحدثت تغييرا كبيراً فى محيط التخطيط للدعوة الإسلامية ، ونقلها من مرحلتها المحلية الضيقة المحصورة فى مكة إلى مرحلة الشمولية ، والعمومية والعالمية .

لقد أعلنت آيات الإسراء والمعراج فى سورتى « الإسراء » « والنجم » أن النبى -ﷺ- هو نبى القبلتين ، وإمام المشرقين والمغربين ، ووارث الأنبياء قبله ، وإمام الأجيال بعده ، فقد التقت فى شخصه ، وفى إسرائه ، ومعراجه مكة بالقدس ، والمسجد الحرام بالمسجد الأقصى ، والتقى بالأنبياء قبله ، وصلى الأنبياء خلفه ، فكان هذا إيذانا بعموم رسالته ، وخلود إمامته ، وإنسانية تعاليمه ، وصلاحيتها لكل زمان ومكان ، بل ويصلح بها كل زمان ومكان .

وأفادت السورتان تعيين شخصية النبى - ﷺ - ووصف إمامته ، وتحديد مكانة الأمة ، التى بعث فيها ، وبيان رسالتها وموقعها من الرسالات ، وأمته ودورها ، الذى ستمثله فى قيادة العالم ، والركب الإنسانى كله .

جاء الإسراء والمعراج حدا فاصلا بين الناحية الضيقة المحلية ، وبين الشخصية النبوية العالمية الخالدة فلو كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - زعيم أمة ، أو قائد إقليم ، ومنفذ عصر ، أو كان مؤسس مجد لم يكن فى حاجة إلى الإسراء والمعراج ، ولم يكن فى حاجة إلى تلك السياحة الروحية ، أو إلى الاتصال بالسماء اتصالا جديدا .

جاء الإسراء والمعراج فأعلن أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - ليس من طراز القادة والزعماء ، الذين تقف بهم مواهبهم ، عند حدود إقليمهم ، أو بلادهم ، أو عالمهم ، أو أمتهم أو شعوبهم بل هو من طراز جديد ، تسعد به الإنسانية ، وتنعم ، وترحم به الأمم والشعوب كلها ، والعالم

كله على امتداده بل الإنسان فى كل أرجاء العالم على امتداد الحقب والعصور . إنه من الأنبياء أولى العزم ، الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ، ورسالة الخالق إلى الخلق ، أما كيف كان الإسراء والمعراج منعطفا فى تاريخ الدعوة فإننا نحاول بيانه فى هذا البحث .

منهج البحث :

منهج البحث الذى اصطفيته والذى سوف أبحث فى إطاره ، منهج قرآنى يعتمد على استقراء تام للسورة ، التى نزلت قبل الإسراء والمعراج ، وسورة مما نزل بعدها ، وكانت السورة التى نزلت قبل الإسراء هى سورة القصص ، والسورة التى نزلت بعدها هى سورة يونس : وسوف نجد تحولا أساسيا فى منهج الدعوة من خلال هذا المنهج القرآنى ، والاستقرائى التام .

أولا : قل ماكنت بدعا من الرسل :.

الرسل والأنبياء حملة المشاعل ورواد الإنسانية يهدون بالحق وبه يعدلون ، يبلغون رسالات الله ، ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، لا فى الرسل ، ولا فى الأنبياء مالاقوا إيمانا وحفاظا على جوهر الدعوة ، أو الأمانة التى أناطها الله بهم ، تحمل الرسل والأنبياء عامة وأولو العزم خاصة فى سبيل أداء الأمانة ، وتبليغ رسالة لبنى البشر العنت الكثير والإرهاق والضيق ، والأذى وما فوق طاقة البشر فألقى إبراهيم فى النار ، وضرب نوح ، حتى لم يعد به حراك ، وذبح يحيى كما تذبح الشاة ، ونشر رأس زكريا بالمنشار ، وألقى يونس إلى الحوت ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبث فى السجن بضع سنين ، وتآمر اليهود على صلب عيسى لولا أن رفعه الله إليه .

هكذا كانت مسيرة الأنبياء والرسل ، ولم يكن محمد بدعا من الرسل ، فهو يعلم منذ الخطوات الأولى لطلائع الوحى ، أنه معرض للإيذاء والإخراج من مكة ، وقد بشره بذلك ورقة بن نوفل ، لما ذهبت خديجة برسول الله إليه قال « ورقة » ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك قال الرسول : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ولقد كفلت القدرة الإلهية لرسول الله العصمة من الناس ، فنزلت آية التبليغ ، وفيها ما يفيد عصمة الله له :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾

(المائدة : ٦٧) .

كما نزلت آية الصدع بالدعوة ، ومعها ما يؤكد حماية الله لرسوله ، باعتباره داعية ، قال تعالى :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾

(الحجر : ٩٤ : ٩٦) .

وهذا له أثره دون شك فى نفس الداعية .

ولقد كانت العصبية القبلية فى مكة تمثل نوعا من الحماية للدعوة والداعية ، وكان التوازن الاجتماعى فى مكة يكفل للرسول قدرا لا بأس به من الحماية والأمن والكفاية ، فعلى الرغم من أن بنى هاشم ، وبنى المطلب لم يكونوا قد آمنوا

بالدعوة ، وكانوا يرفضونها مبدأ وفكرة إلا أنهم فى الوقت نفسه كانوا يأبون أن يؤذى محمد وهو منهم ، ولا يرضون أن يهان وهم منه ؛ لأن الاعتداء عليه فيه إهانة بالغة لهم ، ولعصبيتهم القبلية ، وكان أبو طالب وهو موضع التجلة والمهابة والاحترام فى قومه ، يمثل شيخ هذه العصبية أتم تمثيل ، فقد كان ربانا ماهرا يدير زورق التوازن بين مطالب قومه ، وحرصه على ابن أخيه فى مهارة ودربة وحسن أداء واقتدار .

وانطلاقا من هذا الفهم للحماية البشرية ، المتمثلة فى العصبية القبلية ، وجدنا أكبر أعداء الدعوة من أهل الرسول وذويه ، ولكنهم فى نفس الوقت يأبون أن يعتدى عليه ، أو يساء إليه حتى ولو كانت الجهة المعتدية فرعا آخر ، من فروع قريش ، وكثيرا ما وجدنا المشركين من قريش يسبقون بدعوة الرسول ، فيذهبون ، إلى أبى طالب يعرضون عليه أمر محمد ، وما كان منه ، طالبين أن يثنيه أبو طالب عن دعوته ، باذلين كل ما تخيلوا أنه يرميه ، وربما سمعنا أبا طالب يقول لابن أخيه : يا ابن أخى : قل ما أحببت فوالله لا أسلمك إليهم أبدا ، وكان إسلام حمزة عاملا هاما فى تلك الحماية ، وربما كانت الحماية سببا فى حماية هذا الإسلام ، بل لعلنا لا نعجب إذا وجدنا العباس وهو لم يزل على دين قومه ، هو الذى يتثبت للرسول فى بيعة العقبة الثانية ، ووجدنا بنى هاشم ، وبنى المطلب سواء فى الحصار الاقتصادى المضروب حولهم من المشركين فى مكة ، لم يفرق الحصار بين رسول الله وسواه ، تحمل الجميع ذلك كله انطلاقا من فهمهم للعصبية .

لقد جربت قريش مع رسول الله أقبح أساليب الاستهزاء والتكذيب ، وكل وسائل الإهمال والإعراض والامتعاض ، والإيذاء والتعدى والملاينة والملاطفة والإغراء ، ولما لم يجد ذلك كانت المقاطعة ، التى شقت على الرسول وجماعته ونالت منهم لولا أن الله سلم ، ولكن الحصار قد نال من أبى طالب فوهنت قوته ، ولم يمض على خروجه من الشعب إلا أشهر معدودة حتى ألح عليه المرض ، ومات وكانت وفاته فى رجب سنة عشر من النبوة بعد خروجه من الشعب بستة أشهر ، ثم ماتت بعده بقليل خديجة ـ رضى الله عنها ـ ولقد كان أبو طالب كما أسلفنا يمثل حصنا بالغ المنعة والحماية لرسول الله ـ ﷺ ـ وكانت خديجة وزير صدق للرسول ، أو كما يقول عنها الرسول : « آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى حين كذبنى الناس ، وأشركتنى فى مالها حين تركنى الناس » كانت خديجة وكان أبو طالب يمثلان المؤازرة للرسول فى أحلك الأوقات وأحرجها ، فكانت خديجة تحنو عليه ساعة الضيق والقلق ، وتسرى عنه ، وتقوى من ثقته ، وتعينه على تبليغ رسالته ، وتشاركه مغارم الجهاد وتبعاته ، وتواسيه بنفسها ومالها ، ولم تنل قريش من رسول الله منالا مثل ما نالته منه بعد موت عمه أبى طالب ، يقول ابن القيم : كان النبى ـ ﷺ ـ يتبع الحاج ويدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ، ولهم الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه ، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها ، ظل كذلك عشر سنين من المبعث يدعو إلى الإسلام ، ويروى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم ، فى المواسم « ومجنة » « وعكاظ » يقول من يؤمن ؟ ومن يؤوينى ؟ ومن ينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى فله الجنة ؟ فلا يجد أحدا ينصره ولا يؤويه .

« ويروى ابن إسحق فى سيرته ما كان يفعله جيران الرسول به بعد موت أبى طالب فيقول « كان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة ، وهو يصلى ، وكان أحدهم يطرحها فى برمته ، يعنى قدره إذا نصبت حتى اتخذ الرسول حجرا يتقى به منهم إذا صلى ، فكانوا إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به ، ثم يقول يابنى عبد مناف أى جوار هذا ؟ ثم يلقيه فى الطريق ، واعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثره على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله - ﷺ - يقول لها لا تبك يابنية فإن الله مانع أباك ويقول بين ذلك : ماناالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ، حتى سمى الرسول هذا العام عام الحزن ، وبموت أبى طالب وخديجة تراكمت الأحزان على رسول الله فتجرأوا عليه ، وكاشفوه بالأذى .

وهنا ملاحظة جديرة بالاهتمام لقد كانت الدعوة حتى وفاة خديجة وأبى طالب محصورة فى نطاق مكة ، لم تخرج أو تبعد عنه ، على الرغم من الحصار والإيذاء والحقد والتربص ، ولكن هذه الظروف النفسية القاسية لم تمنع الرسول أن يصر على موقفه ، فلم يبق أسيرا لها ، محصورا فى دائرتها ، بل إنه وسع الدائرة للدعوة فانتقل إلى الطائف ، وعرض دعوته ، ولاقى من الإيذاء مالاقى ، ولكنه لم يبال بكل مالاقى فى سبيل أن تجد الكلمة الفاهمة طريقها إلى القلوب واشتدت وطأتهم عليه ، وعلى أصحابه حتى اضطر أبو بكر أن يهاجر عن مكة حتى وصل إلى « برك الغماد » يريد الحبشة فأرجعه ابن الدغنة فى جواره ، وخرج رسول الله إلى الطائف لعله يجد من ينصره ، أو يساعده على تبليغ الرسالة ، فأغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويقذفونه بالحجارة ، وزيد مولاه يدفع عنه حتى انتهى إلى كرمة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وهما من أعدائه ، فكره رسول الله مكالمتهما ، فقال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس : ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى إلى من تكلنى ، إلى بعيد يتجهمنى ، أم إلى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن به على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت عليه الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » ورجع رسول الله - ﷺ - فى طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيبا حزينا ، كسير الفؤاد ، فلما بلغ « قرن المنازل » بعث الله إليه جبريل ، ومعه ملك الجبال يستأمره فى أن يطبق الأخشبين على أهل مكة ، ولكن الرسول قال : « بل أرجو أن يخرج الله - عز وجل - من أصلابهم من يعبد الله - عز وجل - وحده لا يشرك به شيئا وكان هذا اليوم كما يقول الرسول أشد عليه من أحد .

ولم يدخل الرسول مكة إلا فى جوار المطعم بن عدى ، ونلمح ربما لأول مرة ظهور جبريل ، ومعه ملك الجبال تأكيدا للعصمة الإلهية ، كما أشارت الآية الكريمة :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر : ٩٥) .

إلى مكان كفاية الله أمرهم .

وفى هذه الظروف الشديدة الوقع والإيلام على وجدان الرسول ونفسه ، كان الإسراء والمعراج

أملا واعدا ، وشحنة بالثقة الروحية ، وكفاية وحماية إلهية ، وإعدادا واستعدادا لمرحلة قادمة لها مابعدها .

ثانيا : الدعوة بين عهدين :

لقد أصبحت الدعوة فى مكة بعد أن فقدت حماية أبى طالب وخديجة محاصرة بالحقد والتربص ، وفى ظروف لا يمكن معها استمرار بقائها . بعد أن ضيق الكفار الخناق عليها .

وكان لابد من أن تنتقل الدعوة من طور إلى طور آخر ، ومن مرحلة إلى مرحلة أخرى ، ومن عهد إلى عهد ، عهد كان الله يوصى رسوله فيه بالأخذ بالعفو ، والأمر بالمعروف ، والإعراض عن الجاهلين إلى عهد آخر ، بدأ بالإذن بالجهاد ، كانت الهجرة مبدأ ، وكان الإسراء مقدمته .

وكان لابد للدعوة من أن تغير أسلوبها ، فتواجه ما صارت إليه الأحوال ، ولابد من حدوث تحول أساسى جوهرى فى الخطط والمنهج .

وكان لابد من تزويد الرسول بشحنة روحية أقوى ، تتلاءم مع طبيعة الواقع ، الذى تعيشه ، والذى تتطلع إليه ، وكان الإسراء والمعراج يمثل هذا المنعطف التاريخى للدعوة .

لقد كان جبريل ينزل إليه بالآيات ، ولقد كانت الدعوة تستند إلى حماية البشر ، فتكفلت بحمايتها السماء ، ولقد كان يسمع عن العالم الغيبى ، فلير هذا العالم الغيبى ، وكم سمع عن أشقائه الأنبياء فليقابلهم وليتعرف عليهم فقد دعته السماء ، ليريه الله من آياته الكبرى .

ولكى نتبين هذا التطور فى أسلوب الدعوة ، ومنهجها ، ينبغى التعرف على المنهج القرآنى فى الدعوة ، وفى بعض السور ، التى نزلت قبل الإسراء وبعده ، لنتبين ملامح الدعوة فى كل مرحلة ، وماذا كانت تتطلبه كل مرحلة .

ولقد نزلت سورة القصص قبل سورة الإسراء ، ونزلت سورة يونس بعد الإسراء ، فلنقف على أسلوب الدعوة قبل الإسراء وبعده من خلال منهج قرآنى ، وهو أثبت المناهج وأصحها ، ولنقف أولا على الإسراء ، ثم على المنهج قبلها فى القصص ، وبعدها فى يونس .

ثالثا : الإسراء والمعراج :

تحدث القرآن عن الإسراء فى موضعين منه ، تحدث عنه فى فاتحتى سورتى الإسراء والنجم ، والحديث عنه فى سورة الإسراء جاء سريعا مقتضبا وخاطفا ، ثم تفرع لخطاب بنى إسرائيل ، والحديث فى « النجم » موجه إلى أهل مكة الذين أنكروا الإسراء والمعراج ، وكذبوا محمدا واستهزأوا به ، وسخروا منه .

والأسلوب مختلف فى السورتين لاختلاف الجهة ، ولكن عرض المعجزة ورواية الآيات وجرى النواميس واضحة .

وتمثل فاتحة سورة الإسراء أسلوبا غير مألوف فى فواتح السور القرآنية ، فلم تبدأ سورة من سور القرآن بسبحان مصدرا كما بدأت سورة الإسراء ، فالله يمجد نفسه ويعظم شأنه بقدرته على مالا يقدر عليه أحد سواه ، كما دل لفظ « سبحان » على كمال القدرة وبالغ الحكمة ، ونهاية تنزهه ، عن صفات المخلوقين .

والتعبير « بعبده » يصور قمة الكمال حيث أضاف العبد إلى ضمير الله ـ سبحانه ـ كأنه ليس

هناك من يستحق هذا التخصيص بعبودية الله سوى محمد ، كما قال تعالى فى سورتى الفرقان والكهف :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان : ١) .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (الكهف : ١) .

ويظهر هذا التكريم الإلهى لمحمد فى هذه الإضافة التخصصية التى لم ينلها نبى سواه ، فلم يرد لفظ « عبد » فى القرآن الكريم مضافا إلى ضمير الرب على هذا النحو ، الذى يحمل قمة التكريم إلا مقصودا به محمد - ﷺ - فإذا أطلق القرآن لفظ عبد مضافا إلى ضمير الله مقصودا به غيره ، فلابد من أن يذكر بعده اسم النبى ، أو الأنبياء المقصودين قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ (ص : ٤١) .

﴿ وَاذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَٰرِ ﴾ (ص : ٤٥) .

أو يهمل ذكر الاسم قال تعالى :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ (الكهف : ٦٥) .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (الزخرف : ٥٩) .

لكن إذا أضيف لفظ العبد مضافا إلى ضمير الله دون ذكر اسم النبى كان المقصود محمدا ، وقد ورد هذا التفسير فى الإسراء والنجم عند الحديث عن الإسراء ، قال تعالى :

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم : ١٠) .

فإضافة العبد إلى ضمير الرب هنا تكريميه نالها محمد بهذه الإضافة ، كأنه المستحق الوحيد للعبودية ، أو أن عبوديته لله بلغت غاية الكمال حتى استحق أن يكون فيها مثلا ، فلا تطلق على سواه ، فهو أكمل البشر وأحقهم بهذا الوصف الكريم ، ولهذا أرى أن الإسراء كان بالروح والجسد « لعبده » وإذا كان الإسراء لا يكون إلا ليلا فقد ذكر « ليلا » للتأكيد ، أو للتقليل ، أى أسرى به فى وقت قليل ، أو فى جنح الليل ، وهذا أبلغ فى القدزة والإعجاز .

والتعبير بقوله :

﴿ الَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ (الاسراء : ١) .

يفيد أن البركات الحسية والمعنوية وكون المسجد الأقصى مقر الأنبياء ، ومهبط الملائكة من نعم الله وآثاره .

أما قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

(الاسراء : ١) .

على هذا النحو من الأسلوب البالغ الروعة والإيجاز فقد مثل قمة التشريف لمحمد ، إذ أن الله هو الذى سيريه من آياته ، وقد أغنى هذا التعبير الموجز عن شريط حركى مصور يملأ ساحة زمنية كبيرة تصويرا لما شاهده « محمد » فى الإسراء والمعراج .

وقد جسد هذه المدركات كلها إسناد الفعل إلى ضمير العظمة وإضافة الآيات إليه فإذا كانت الرؤية والآيات منسوبتين إلى الله مضافتين إليه كانت الرؤية والآيات على قدر عظمة الله

وقداسته ، فقد رأى محمد من الآيات العظيمة ما رأى ، وأطلع على ملكوت السماوات والأرض ، ووصل إلى ما لم يصل إليه أحد من البشر ، ولا خطر حتى على قلب أحد .

واختصاص محمد بهذا التكريم دل عليه قوله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١) .

أى : إنه هو السميع لأقوال محمد ، البصير بأفعاله ، فلهذا خصه بهذا التكريم ، وقد بين الله أنه أخبر بنى إسرائيل فى « التوراة » أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ويتجبرون ، فإذا جاء وعد أولاهما بعث الله عليهم عبادا له أقوياء أشداء فتملكوا اليهود وأذلوهم ، ثم رد الله الكرة لبنى إسرائيل ، وقرر لهم القاعدة :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

(الإسراء : ٧) .

فإذا أفسدتم جاء أعداؤكم فقهروكم وأهانوكم ودخلوا المسجد ودمروا وخربوا عسى الله أن يصرفهم عنكم .

ولكن إن عدتم إلى الإفساد عدنا إلى الإدالة عليكم والنكال بكم .

وأوجز تعبير وأخصر تعليق فى تعليل هذه الرحلة قوله تعالى : ﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾

وهذه سنة الله بالنسبة للرسل أولى العزم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾

(الأنعام : ٧٥) .

وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (البقرة : ٢٦٠) .

وقال لموسى :

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ (طه : ٢٣) .

وقد بين الله هذه الإرادة بقوله :

﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام : ٧٥) .

إذ أنه بعد استناد علوم الأنبياء إلى رؤية الآيات يحصل لهم من عين اليقين ما يفوق الحصر ، وماراء كمن سمع ، والخبر ليس كالمشاهدة ، وبعد هذه المشاهدة للآيات يتضاعف احتمالهم وتزداد قوة إرادتهم ، وتصغر فى عيونهم الدنيا ، ولا يعبأون بما لاقوا ، ويستقلون البذل والتضحية .

وسر الأسرار الكامن فى الحديث عن الإسراء فى سورة الإسراء يتجلى فى أن الله ذكر قصة الإسراء فى آية واحدة فقط ، ثم أخذ فى ذكر فضائح اليهود ، ثم نبه إلى أن القرآن يهدى للتى هى أقوم .

وربما ظن القارىء أن الآيتين ليس بينهما ارتباط ، والأمر ليس كذلك ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يشير بهذا الأسلوب إلى أن الإسراء إنما وقع هنا فى بيت المقدس ، لأن اليهود سيعزلون عن منصب قيادة الأمة الإنسانية لما ارتكبوا من جرائم وإفساد ، وبعد أن تحولت اليهودية إلى نوع من القومية والعنصرية ، من خلال الدعوة إلى المحافظة على نقاء الجنس ، وشعب الله المختار ، مما أدى إلى انكماشه ، ولأن اليهودية تستند إلى أسس النظرة العرقية ، وتقسم البشر إلى أجناس منفصلة ، وجاءت المسيحية فركزت على الشئون

الروحية على حساب شئون الدولة والمجتمع . ولهذا لم تعد اليهودية صالحة للبقاء فى قيادة البشرية ، ولابد من أن ينقل هذا المنصب القيادى إلى الرسول الخاتم . الذى أرسل إلى الناس كافة ويجتمع به مركزا للدعوة الحنفية الإبراهيمية من إسحق وإسماعيل ، وآن الأوان أن تنتقل القيادة الروحية من أمة إلى أمة ، ولكن كيف تنتقل هذه القيادة والرسول يطوف فى جبال مكة مطرودا محاصرا بين الناس ؟

وهذا يعنى أن هناك دورا من أدوار هذه الدعوة الإصلاحية قد أوشك على النهاية والتمام ، وسيبدأ دور آخر يختلف عن الدور الأول فى مجراه ، ولذلك نرى بعض الآيات تشتمل على إنذار سافر ، ووعيد شديد بالنسبة إلى المشركين :

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ (الإسراء : ١٦ ، ١٧) .

ويجنب هذه الآيات آيات أخرى تبين للمسلمين قواعد الحضارة وبنودها ومبادئها التى سيعلن عنها مجتمعهم الإسلامى ، كأنهم قد أووا إلى الأرض وتملكوا فيها زمام أمورهم من جميع المناحى ، وكونوا وحدة متماسكة ، تدور عليها قواعد المجتمع .

ففيه إشارة إلى أن الرسول سيجد مأمنا يستقر فيه ، ويصير له مركزا لنشر الدعوة منه فى أرجاء الدنيا ، وهذا سر من أسرار هذه الرحلة المباركة رحلة الإسراء والمعراج .

وآيات النجم التى تتحدث عن الإسراء ترد على قريش فى تكذيبها لمحمد فى الإسراء والمعراج ، وتلوح بالقوة والكفاية الإلهية له ، فى شخص جبريل وقوته ، وفيها معنى الإغاظة لهم ، ثم تتحدث عن معراج الرسول وما لقيه عند ربه ، وما رأى من آيات الله الكبرى . ومن آثار هذه الرحلة بالنسبة إلى محمد ، أنه عرف مكانته عند ربه بين الأنبياء فقد اجتمعوا له وأمهم فى المسجد الأقصى ، ثم يعرج به إلى حيث صرير أقلام القدر وسدرة المنتهى ، وبايعوه . . روى البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنه - « مابعث الله نبيا من الأنبياء إلا وأخذ الله عليه العهد لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه » فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

وقد اطمأن الرسول على مستقبل دينه وأمته ورأى من آيات ربه الكبرى ، كما تظهر لنا قيمة الصلاة ، وموقعها من أركان الإسلام ، إذ هى الفريضة الوحيدة التى لم يشأ الله أن يفرضها كبقية الفرائض . وإنما استقدم لها الرسول ، وفرضت فى السماء ، وهى تعنى الصلة بين العبد وربه ، وديمومة الرسالة وخلودها .

كما عزل اليهود عن قيادة الركب الإنسانى ، ولهذا كان الإسراء والمعراج نقطة تحول خطيرة فى مجال الدعوة والداعية ، فى الوقت الذى تكاد الأحداث تحكم قبضتها عليهما بعد فقد أبى طالب وخديجة يجىء الإسراء والمعراج ليملأ نفس الرسول ثقة فى المستقبل ، ويزيده قدوة وتفاؤلا ، بقدر ماكان اختبارا للنفوس الضعيفة وكشفها ؛ لأنها لم تقدر على متابعة المسيرة الصاعدة . . .

« يتبع »

قضايا قرآنية

الرسم العثمانى وحفظ الصبية

٣

للأستاذ : صديق بكر على عيطة

يقول صاحب كتاب « الفرقان » وهو يدلل على وجوب رسم المصحف حسب الرسم الإملائى الحديث وطرح الرسم العثمانى ص ٨٥ : « وتساءلنا : هل وضع رسم المصحف ليقرأ ، أو ليكون رمزا ، ويظل طلسما ؟ يتناقله القراء وحدهم ؟ ويلقنونه لمن يريدون تلقينه ، ممن يتزلف إليهم بماله ونفسه ، ويمنعونه ممن يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاها ولا مالا ؟ » .

ويتابع حديثه قائلا : « إذا بحثنا ذلك ؟ وجدنا أن القرآن الكريم ما رسم بهذا الرسم ، ولا كتب بهذا الهجاء ؟ إلا لأنه هو الهجاء المعروف المتداول فى العصر الأول .

« ولو كان عثمان - رضى الله تعالى عنه - موجودا فى هذا العصر ؟ لما وسعه إلا كتابة المصحف بالرسم ، والتهجئة الحديثة ، الواضحة المعقولة ، المقبولة ، التى يستطيع تلاوتها كل مسلم ، ويقوى على قراءتها كل مؤمن .

« وفضلا عن ذلك ؟ فإن هذا الهجاء لم ينزل من لدن المولى - جل وعلا - ، ولم يلزمنا به الرسول - ﷺ - ، وإنما هو من وضع المخلوقين لصالح المخلوقين » أ . هـ كلام الرجل . وفى ردنا عليه نقول :

أولا : نعم . أنت على حق فى أن رسم المصحف وضع ليقرأ ، لا ليكون طلسما يتناقله القراء وحدهم ، لكن من قال إن القراء وحدهم ، هم الذين يتناقلونه ؟ ومن قال : إن القراء لا يلقنونه إلا لمن يتزلف إليهم بماله ونفسه ؟ ومن قال إنهم يمنعونه عمن يريدون منعه ، ممن لم يرزق جاها ولا مالا ؟ إن الواقع المعيش فعلا يشهد بخلاف ذلك تماما ؟ مما ينطق بأن هذه مجرد إدعاءات مفتراة على القراء ، بما هم منه برآء . فبالرغم من أن ديننا الحنيف أباح لهم أن يرزقوا بسببه وليس ببعيد عن الذاكرة حديث رسول الله - ﷺ - الذى يخاطب فيه صحابته قائلا : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله ، اضربوا لى معكم بسهم » كما أن الشارع الحكيم أباح اعتبار تحفيظ الزوجة قدرا من القرآن الكريم ، صداقا شرعيا لها - بالرغم من ذلك فإن الواقع المشاهد ينطق بأن الأجر والمال ، لم يكن عائقا يقف فى طريق حفظ كتاب الله - تعالى - حتى فى حالة دفع الأجر للمحفظين ، نلاحظ أنهم أقل الناس أجرا ؛ فهم لايتقاضون إلا ما يبلغهم العيش ، ويقيهم ذل المسألة ؟ وهذا هو الذى أتاح لفقراء المسلمين ، أن يكونوا فى طليعة من يحفظ القرآن ، دون أن يكونوا من ذوى المال والجاه ، كما يزعم الأستاذ

ثانيا : إن رسم المصحف بوضعه الحالى ليس طلسما ، فإذا ما نحينا جانبا تهويل الأستاذ ، وطبوله الجوفاء ، وجدنا الصبى الذى لم يتجاوز السادسة أو السابعة من عمره يمسك بالمصحف فى يده ، ويقرأ القرآن فى مهارة منقطعة النظير . . كل ما هو فى حاجة إليه ، سماع التلاوة الصحيحة لبعض الوقت فى بداية عهده بالحفظ ، لينطلق بعد ذلك فى طريقه دون عائق كبير أو صغير .

« وإننا لنعرف صبيان المكاتب [كما يقول الرافعى فى كتابه إعجاز القرآن ص ٢٤٢ ، ٢٤٣] - وقد كنا منهم - وما يسهل عليه القرآن وإظهاره ، ولا يمكنه فى أنفسهم حتى يثبتوه ، إلا نظمه واتساق هذا النظم ، ولو هم أخذوا فى غيره من فنون المعارف ، أو متون العلوم أو مختار الكلام أو نحوه مما يرادون على حفظه ، أى ذلك كان ، لأعياهم وبلغ منهم إلى حد الانقطاع والتخاذل ، حتى لايجمعوا منه قدرا فى حجم

القرآن إن جمعوه إلا وقد استنفدوا من العمر أضعاف ما يقطعونه فى حفظ القرآن : على أنهم يبلغون من هذا بالعفو والأناة ، ولا يبلغون مثله من ذلك إلا بالعنت والجهد .

« وقد ينسى أحدهم الآية من القرآن [ولا يزال الكلام للرافعى] فينقطع إلى الصمت من قراءته ، أو تتدخل فى لفظه بعض الآيات المتشابهة فى السور ، أو يسقط بعض اللفظ فى تلاوته فيضل فى ذلك ، ثم لاييسره للذكر ، ولايذكره بالآية المنسية أكثر ما يتذكر ، إلا نسق الحروف فى بعض كلماتها ، ولا يبين له مواقع الكلم المتشابهات ، إلا

نظام كل كلمة من آيتها ، ولا يهديه إلى ما أسقط من اللفظ غير إحساسه باضطراب النظم وتخلخل الكلام . ولقد كان ذلك أكبر ما كنا نستعين به أيام الحداثة على اتقاء الغلط والمداخلة والسهو ، وكنا نفزع إليه إذا جلسنا بين يدى فقيهنا ـ رحمه الله ـ مجلس القراءة (والتسميع) . وقد عرفنا أن تأذى سمعه مقرون بأذى عصاه . . وكم تواصفنا مع أذكياء الصبيان فى (الكتاب) فما رأينا منهم إلا من ادخر لمحنته من ذلك أشياء » انتهى كلام الأستاذ الرافعى ـ رحمه الله ـ ثم نستأنف حديثنا قائلين :

كتاب سماوى هذا شأنه ، وقد حظى بعناية الله ـ عز وجل ـ كما لم يحظ كتاب قبله ، كما تكفل الله بحفظه وتيسيره للذكر ، على هذا النحو الذى أطبق على الإقرار به كافة المسلمين ، فى شرق الأرض وفى غربها . . أفيقال بعد ذلك إن اختلاف

بعض كلمات منه فى الرسم عما تعورف عليه مؤخرا فيما يسمى بقواعد الإملاء ، يدخله فى باب الطلسمات ، والمبهمات ، التى لا تفك مغاليقها ؟

هذا فيما لو اعتبرناه اختلافا لا يفسره إلا أن كاتبيه لم يكونوا على علم تام بقواعد الإملاء الحديث .

فما الحكم إذن لو كان هذا الاختلاف ، « بتوفيق هو كالتوقيف » ـ كما قال الرافعى رحمه الله تعالى ـ ؟ أو كان منظورا فيه إلى هذه اللطائف التى أشار إليها الإمام الزركشى ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ فى كتابه « البرهان » فى علوم القرآن » ؟ وسوف نذكر طائفة منها فى الحلقة التالية إن شاء الله ـ تعالى ـ .

أما ما يزعمه المؤلف من أنه شاهد بعينيه ، وسمع بأذنيه الكثير من هذه المشاكل ، التى يتعرض لها من يقرأون المصحف ، بسبب الرسم العثمانى ، فإن ذلك ليس فى جمهور الحفاظ ، وإنما فى قلة قليلة جدا ـ إن كان صادقا ـ لاتحسب على

الرسم العثمانى ، أو خلافه ، لأنها تريد أن تقرأ القرآن دون معلم . والقرآن يقوم أمره أساسا على التلقى الشفاهى ، المعروف بالتواتر ، وبخاصة فى بداية الحفظ ، إلى أن تستقر الملكة على الطريق وإنى ـ والله ـ لأرى فى حديث رسول الله ـ

ﷺ ـ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » إشارة صريحة إلى هذه الحقيقة الكبرى ، وهى حقيقة التواتر الشفاهى الذى يصل بنا شفاها إلى سماع

المصطفى - ﷺ - عبر هذه القرون الماضية . . وإلى آخر الزمان .

ثالثا : صحيح أن « هذا الهجاء لم ينزل من لدن المولى - جل وعلا - ؟ ولم يلزمنا به الرسول - ﷺ - ، وإنما هو من وضع المخلوقين لصالح المخلوقين »

إلا أن أمور الدين كلها ، قائمة على مبدأ الأخذ بالحيطة والحذر ، فالله - سبحانه وتعالى - يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ (المائدة : ٦)

فالأساس فى غسل اليدين أنه إلى المرافق ، كما أن الأساس فى غسل الرجل أنه إلى الكعبين » . غير أن الشارع الحكيم أوجب غسل جزء بعد المرفق ، وكذلك غسل الكعبين وشىء بعدهما أخذا بمبدأ الاحتياط . وإعمالا لقاعدة مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

كذلك حرم الإسلام الزنا ، كما حرم الاتصال بين الرجل والمرأة الأجنبية ، وأخذوا بمبدأ الحيطة والحذر ، حرم الخلوة بها ، وكل ما من شأنه أن يعد تمهيدا لمحرم حتى مجرد النظرة ، بعد النظرة الأولى العفوية حرمها الإسلام .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾

(النور : ٢٩ : ٣٠)

حرم الإسلام كل هذا ؟ إعمالا لمبدأ سد الذرائع ، والأخذ بمبدأ الحيطة والحذر فى تناول قضايا الدين ، وعورة الرجل ما بين سرته وركبته ، غير أن الشارع أوجب ستر السرة والركبة مراعاة للمبدأ ذاته .

فقراء القرآن وعلماؤه ، عندما يمنعون من التدخل فى شئون رسم المصحف ، إنما يقصدون بالقطع ما وراء ذلك ؟ وهو عدم التدخل فى كتاب الله الكريم ، بما يتيح الفرصة لمن يأتون بعد ذلك ، أن تمتد أيديهم إلى ماهو أبعد من ذلك - عافانا الله جميعا - غير أن الأستاذ ومن لف لفه من دعاة الرسم الإملائى يقتحمون هذا الحرم الآمن بما يعرضه للخطر الداهم ، دون أن يلقى لذلك بالا . . ونحن لا نفترض فيهم سوء النية ، ولكنا نؤكد أنهم بذلك يجروننا إلى بيت مملوء بالشياطين ، التى سرعان ما تثب على من يرتاد هذا المكان وثبتها الأولى ، لتكون هى الأخيرة أيضا . نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل !!

الداعية الإسلامى

وخاصية القدرة على التأثير

للأستاذ الدكتور : محمد محمد البـادى (*)

القدرة على التأثير أساس لكل دعوة وهدف لكل داعية . فكل دعوة تقوم على الفكر والسلوك معا ، وكل داعية يستهدف زرع الإيمان بالفكرة ، وتبنى السلوك المعبر عنها . وهذه الحقيقة تجد ما يبررها فى كل دعوة وفى مواجهة كل داعية بصفة عامة ، وتجد سندها وركائزها فى الدعوة الإسلامية ودعاتها بصفة خاصة .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل »[1] .

وسئلت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : « كان خلقه القرآن » ، وهذا يعنى أنه لا يكفى فى الإسلام أن تردد أفكاره ومبادئه ، وأن تؤمن بها ، وإنما لابد أن ينعكس ذلك على سلوكك . ومن هنا كانت أهمية توافر القدرة على التأثير عند الداعية الإسلامى .

ويقصد بهذه الخاصية أن يمتلك الداعية مواهب وأساليب إقناعية ، بحيث يستطيع أن يُفهم مستمعيه ما يقول ، وأن يقتنعوا بما يقول ، وأن

* الكاتب رئيس قسم الصحافة ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(١) متفق عليه .

يسلكوا بالكيفية التى تتوافق مع ما يقول . وهو لا ينطق عن الهوى ، وإنما يدعو إلى مبادىء الإسلام وقيمه ، ويُفهمها لمستمعيه ، ليتمثلوا ما يفهمون فكرا وقولا وسلوكا .

وهنا نتساءل : **هل هذه القدرة على التأثير تعنى سعة العلم والمعرفة عند الداعية ؟ وهل تعنى قدرته على أن يفهم مستمعوه عنه ما يعرفه ؟** والإجابة هنا بالإيجاب ، ولكن توفر هذين الشرطين لا يكفى ، لكى يمتلك الداعية القدرة على التأثير ، لأن الاقتناع ، أى التأثر بما قيل وانعكاسه على القول والعمل يعلو مجرد الفهم .

فقد أفهم رأيك ولكن لا أقتنع به ولا يكون له أثر على سلوكى . . ومن هنا تكون أهمية أن تتحول هذه المعرفة إلى عقيدة مقترنة بالتعبير عنها بالقول والعمل معا .

والشواهد على ذلك كثيرة وعديدة . فكلنا يشاهد دعاة يصعدون المنبر ليلقوا خطبة الجمعة مثلا ، ثم ينزلون وكأنهم لم يصعدوا ولم يتكلموا ، والناس ينصرفون وكأنهم لم يسمعوا . وليس معنى ذلك أن الخطيب لم يكن عالما فى موضوعه ، وإنما يعنى ذلك أن الخطيب لم يمتلك القدرة على الإفهام والتأثير .

وعلى العكس من ذلك ، نجد خطباء مجهولين برزوا وشاعوا بين الناس ، ووجدوا من يتعلق بهم ويردد قولهم ويعمل به . ومعنى ذلك أن هؤلاء الخطباء ملكوا إلى جانب العلم الواسع قدرة على توصيل علمهم إلى مستمعيهم ، وقدرة على أن يحولوا هذا العلم إلى سلوك وعمل .

وإذا شئنا شواهد أخرى من الدعوة للأديان الأخرى ، والمبشرين بها ، وجدنا أنهم تفننوا فى ذلك ، واستثمروا كل ما انتهت إليه علوم الإقناع ونتائجها ، واستفادوا من تطبيقاتها فى السياسة والفلسفة والعقيدة ، فى مواجهة جماهيرهم من الشعوب والقبائل التى لا تعرف دينا ولا عقيدة ، كما يحدث فى المجتمعات الاستوائية فى أفريقية .

وقد تعود خاصية القدرة على التأثير إلى توافر صفات تأثيرية طبيعية وغير عادية عند داعية معين ، حيث يولد وهو مزود بها . ويطلق عليها فى هذه الحالة مصطلح (*Charisma*) باللغة الإنجليزية . وهو مصطلح ليس له ما يقابله فى العربية أكثر مما أشرنا إليه . وهو يعنى أن شخصا ما يمتلك قدرات وراثية فى الإقناع والقيادة والتأثير تفوق القدرات العادية التى يبدو أن أشخاصا آخرين يمتلكونها .

وهناك موهوبون كثيرون برزوا فى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية فى عصور متتابعة ـ وكانوا زعماء ملكوا هذه القدرات الطبيعية واستثمروها لتأييد ما يدعون إليه ، ونالوا حظا وافرا من الشهرة كخطباء مؤثرين فى أتباعهم .

فهل معنى ذلك أن نختار دعاتنا الإسلاميين من بين هؤلاء الموهوبين قبل إعدادهم لرسالتهم فى مواجهة شعوب العالم ؟ والإجابة بالإيجاب كلما كان ذلك ممكنا ، لأنهم سوف يكونون الأقدر على تبليغ الرسالة وتحقيق أهدافها . فإذا لم يتوافر ذلك بالأعداد المناسبة ، كان على المعاهد والكليات الجامعية الإسلامية أن تعدهم لذلك بالعلم والتدريب والممارسة من بين أولئك الذين يملكون الاستعداد لذلك .

وتوجد نتائج علمية انتهت إليها دراسات متخصصة فى الإقناع . وهى تفيد إمكانية تحقيق ذلك . فقد أكدت إحدى هذه الدراسات أن القائم بالإقناع عليه أن يظهر فى كل المناسبات التى

تجمعه بالآخرين بالكيفية التى تعطى انطباعا إيجابيا حول شخصيته ، وبدرجة توفر له الاحترام والثقة والجاذبية . وهذا مدخل لابد منه ، يساعده على زيادة قدرته على عرض دعوته بطريقة حسنة ، وإن كان هذا المدخل لا يغنى عن طريقة العرض الحسن ذاتها .

وأكدت دراسة علمية أخرى ، أن القائم بالإقناع عليه أن يهضم المعلومات التى جمعها هضما جيدا ، وأن يستطيع أن يجد لها مجرى طبيعيا وسط اتجاهات الناس وعقائدهم . وليكن واضحا أن الداعية ليس منصبا دينيا أو سياسياً أو ماشابه ذلك ، ولكنه يتأتى معايشة وسلوكاً وقدوة ، يتأثر بها الناس ويفرزونها إفرازاً طبيعيا .

وأكدت دراسة علمية ثالثة ، أن القائم بالإقناع عليه أن يبذل جهدا للتعرف على العقائد والاتجاهات السائدة بين الجماهير التى يتوجه إليها برسالته لكى يبنى عليها رسالته ، مؤكدا إمكانية توافق ما يدعو إليه مع الاتجاهات السليمة والعقائد الصحيحة للإنسان ، وليراعى أن هناك متغيرات لها وزنها فى تأثر الناس بما يدعو إليه ، كالعمر والجنس والخلفية الاجتماعية وغيرها . وهى متغيرات تفيد فى فهم نوعية الاتجاهات والعقائد السائدة وإمكانية استثمارها لتعميق ما يدعو إليه فى نفوسهم .

وأخيراً ، أكدت دراسة علمية رابعة ، أن القائم بالإقناع عليه أن يتعرف على الكيفية التى يتأثر بها جمهوره ، فقد تبين أن هناك جماهير تتأثر لأنها ترغب فى إحداث رد فعل ودى عند القائم بالإقناع ، وجماهير أخرى تتأثر لأنها ترغب فى تحقيق ذاتها ، وجماهير ثالثة تتأثر لأن السلوك المستهدف يتفق مع القيم داخلها ، وهكذا .

وعلى ذلك ، يكون على المعاهد والكليات الإسلامية أن توفر للدعوة الإسلامية دعاة قادرين على تحقيق رسالتها بتوفير القدرة لهم على التأثير على الجماهير المستهدفة فى شتى أنحاء العالم . ويمكن أن يتحقق ذلك ، فى رأينا ، بالخطوات التالية :

أولاً : توفير المقاييس العلمية التى يمكن بها اختيار الطلبة الموهوبين ، أى الذين يملكون هذه الخاصية الطبيعية فى التأثير ، إلى جانب اختيار الطلبة الذين يملكون الاستعداد لاكتساب قدر كبير منها من خلال التعليم والتدريب والممارسة . وهذه المقاييس متوافرة .

ثانياً : أن تتوافر فى هذه المعاهد والكليات المتخصصة مقررات دراسية تجمع بين فهم الدين والتفقه فيه ، والقدرة على إفهامه للآخرين والتأثير عليهم فكرا وسلوكاً . وهذا يتطلب إدخال علوم الإقناع بكل نتائجها الحديثة حتى يمتلك الطلبة مهارات الاتصال والإقناع وأساليبه وفنونه . وليكن واضحا أننا لسنا هنا فى وضع يسمح لنا بالقول بما يدعيه البعض من وجود جذور وتطبيقات لهذه العلوم فى الدعوة الدينية وأساليبها التقليدية .

فما توصل إليه العلماء المحدثون يفوق تصوراتنا حتى ولو كان ما يدعونه حقيقيا .

ثالثاً : ليكن واضحا أن التدريب والممارسة شرطان هامان لاكتساب القدرة على التأثير . فليس صحيحا أن نلقى فى آذان الطلاب بالمعلومات النظرية لنحشو بها عقولهم ، ولكن الأصح أن تتحول هذه المعلومات النظرية إلى ممارسات علمية .

وهذا يتطلب من القائمين بالتدريس أن يكتسبوا خبرات عملية إلى جانب علمهم النظرى ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه .

رابعاً : ليكن واضحا ـ أيضاً ـ أن الدين الإسلامى معايشة يومية اجتماعية . وهذا يتطلب إكساب الطلاب قدرات على فهم مشكلات العصر وتعقيدات الحياة الاجتماعية وصعوبات الممارسات اليومية ، إلى جانب إكسابهم قدرات على إقناع الناس بكيفية مواجهتها بطريقة إسلامية سليمة ، حتى لا يتمزق الفرد بين كلمات دينية يسمعها وبين واقع يومى يناقضها . وهذه الخطوة تتطلب تعاوناً كاملا بين كل الجهات المسئولة فى المجتمع الإسلامى ، سواء كانت إعلامية أو ثقافية أو تربوية أو دينية .

ولنتذكر أن أحد الأسباب الرئيسية لضعف الدعوة الإسلامية هو الانفصام القائم بين المنابر ودعاتها والحياة الاجتماعية ومجرياتها . فداخل المساجد يسمع الناس كلاماً قد يكون مؤثراً ، ولكنهم يخرجون إلى الواقع بعد الخطبة ليجدوا أنفسهم فى مواجهة ضغوط تفوق تحملهم ، فيتبخر ما يسمعون ، ويصبحون كما يمسون .

خامساً : ليكن واضحا كذلك أن الداعية جزء لا يتجزأ من مجتمعه ، ولا يستطيع أن يفصل نفسه عن محيطه بكل تأثيراته ، وعلى ذلك ، فنحن لا نستطيع أن نأمل خيرا فى داعية ، إلا إذا كان قادرا على أن يقول ما يؤمن به فعلا . فإذا كان ينادى مثلا بالصبر وقوة التحمل فى مواجهة ظروف معينة ، فعليه أن يكون مؤمناً بإمكانية تحقيق ذلك ، وليس مجرد ترديد كلمات يدعو إليها الدين . فالناس فى هذا العصر يعيشون ضغوطا لم تعرفها الناس فى العصور السابقة ، حتى شاع بينهم ما يعرف بأمراض العصر . فكيف يدعو إلى الصبر ، وهو يعلم صعوبة تحقيق ذلك فى نفسه أو أن المجتمع الذى يعيش فيه يعلم عنه جزعه وعدم صبره على الشدائد ، أو كيف يدعو إلى « بر الوالدين » ومجتمعه يعلم عنه مبلغ إهانته لوالديه ؟

إن هذا يتطلب أن يتعلم الداعية المرونة فيما يطلب والمرونة فيما يدعو إليه وليكن قدوة قبل كل شىء ، فإذا أراد أن يطاع ، فليأمر بما يستطاع .

إن الدعوة الدينية تحتاج إلى دعاة ذوى أفق واسع وفكر خصب ورؤية عملية ، يستطيعون بها أن يفهموا جيدا ويستوعبوا جيدا ويطبقوا علمهم بطريقة عملية متوافقة مع ظروف الحياة ومتطلباتها . وهذه الحاجة يمكن إكسابها للطلاب خلال دراستهم على أيدى أساتذة تتوافر فيهم هذه الصفات جميعها .

إن هذه الخطوات جميعها هدفت إلى توفير المناخ المناسب والظروف الملائمة لإعداد دعاة موهوبين ومستعدين لأن يكونوا مؤثرين ومقنعين . وما أحوج الدعوة الإسلامية فى هذا العصر إلى أمثال هؤلاء الدعاة الذين عمر بهم تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولاشك أن كل ما يبذل لإعدادهم تفرضه ضرورات الحياة الاجتماعية ، وتبرره ضغوط الحياة العصرية ، وتدعو إليه تحديات المواجهات العالمية .

الإفرازات الطبيعية عند المرأة بين الطهارة والنجاسة

للدكتورة : فاطمة بنت عمر بن محمد نصيف

مقدمة

الحمد لله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، ومنحه عقلاً يهتدى به إلى الصراط المستقيم ، وأرسل لنا النبى الكريم محمد بن عبدالله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم . . وبعد :

فإن الإفرازات المهبلية (رطوبة فرج المرأة) من الأعراض الشائعة عند معظم النساء والذى دفعنى إلى البحث فى هذه المسألة كثرة الشكاوى والأسئلة التى تردنى فيها ، فهى من المسائل المحيرة للمرأة لاختلاف الفقهاء فى الحكم عليها . فالحكم بنجاسة شىء معين يتعلق بالحكم على العبادة بالفساد أو البطلان وهو ـ أيضاً ـ حكم تكليفى لأنه يتضمن أمر الله لعباده بإبعاد المحكوم عليه بالنجاسة واجتنابه من جهة ، وتطهير ما أصاب الثوب والبدن ولو من غير قصد من المكلف ولا تعمد .

والمرأة المؤمنة حريصة على مرضاة الله ـ تعالى ـ وحريصة على قبول عبادتها وآكد هذه العبادات وأعظمها عند الله هى الصلاة والطهارة مطلوبة للصلاة وشرط من شروطها .

والمرأة المؤمنة تريد أن تعرف على وجه التحديد هل هذه الرطوبة نجسة تلحق بالبول والأذى ؟! أم هى طاهرة تلحق بالبزاق والمخاط ؟ وهل خروجها ينقض الوضوء ؟!. . إلخ .

ولأن هذه الإفرازات تنزل بصفة دائمة ومستمرة عند أغلب النساء ، ولا يمكن التحكم فيها(*) ، فكان لابد من توضيح الحكم الشرعى فى المسألة ، خاصة أن فقهاء السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ وأجزل لهم المثوبة ـ لم يتعرضوا لمعالجة هذه المشكلة بشكل قاطع ، بل إن أنظارهم مختلفة فى الحكم عليها بالنجاسة وتنجيس ما تلاقيه هذه الرطوبة .

ومن خلال مراجعتى كتب الفقه لم أجد جواباً شافياً كافياً فى هذه المسألة ، فقررت أن أبحث فى هذا الموضوع مستعينة بالله ، محاولة الوصول إلى الحكم الصحيح عن طريق الأدلة الصحيحة ، عوناً للنساء وإنقاذاً لهن من الحرج الذى تسببه لهن هذه الإفرازات خاصة فى أماكن العبادة كالحرمين والمساجد ، وأوقات العبادة كالطواف حول البيت والصلاة خاصة عند عدم القدرة على التطهر إذا لزم الأمر لعدم توفر دورات مياه مناسبة قريبة من أماكن العبادة أو لصعوبة الوصول إليها فى أغلب الأحيان .

والله أسأل أن يكون هذا البحث خير عون لهن على أداء العبادات على الوجه الصحيح المطلوب ، وبنفس مطمئنة للحكم الصحيح بالدليل الصحيح ، وأسأله أن يلهمنى الصواب ويرزقنى فهم كتابه وسنة نبيه والعمل بهما .

فاللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

الباحثة

تعريفات :

الإفرازات الطبيعية هى سوائل يفرزها مهبل المرأة فى الأحوال العادية ، ويطلق عليها الفقهاء (رطوبة فرج المرأة) ولا يقصد بها المنى ولا الودى ولا المذى . وهى إفرازات تنزل عند أغلب النساء بصفة مستمرة ودائمة ، ولكنها تختلف من امرأة لأخرى من حيث الكمية فقط . وهى شائعة لدى النساء ثيبات وأبكاراً .[1]

التعريف الفقهى :

عرفها الفقهاء بتعريف الإمام النووى ـ يرحمه الله ـ حيث يقول : (رطوبة فرج المرأة هى ماء أبيض متردد بين المذى والعرق)[2] . . (يخرج من باطن الفرج أى من داخل الفرج)[3] .

(*) إذا كان ذلك كذلك وكانت الإفرازات دائمة ومستمرة ولا يمكن التحكم فيها كانت اولئك النسوة من اهل الاعذار اللاتى تنطبق عليهن احكام اهل الاعذار .

(١) Comprehensine Gynecalogy page 46 and 171.

(٢) النووى ، محيى الدين بن شرف ، المجموع شرح المهذب ويليه فتح العزيز للرافعى والتلخيص الحبير لابن حجر ، جـ٢ ، شركة كبار علماء الازهر ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(٣) ابن عابدين ، محمد امين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ص ١٥٤ دار الطباعة العامرة سنة ١٣٠٧ هـ .

التعريف الطبى[٤] :

إن مصدر الإفرازات المهبلية الطبيعية الرئيسية هى :

١ ـ الغشاء المبطن للمهبل وهو سائل خفيف شفاف .

٢ ـ عنق الرحم فى أعلى المهبل وإفرازه شفاف لزج ومخاطى .

ومهمة هذه الإفرازات منع جفاف القناة المهبلية ، وهى إفرازات نقية لا رائحة لها تظهر فى غير أوقات الحيض ، وتتغير كميتها من وقت لآخر ، كما يتراوح لونها بين الشفاف والأبيض ولها مسببات عديدة ، الطبيعية منها والمرضية .

وتعتبر مرضية فى الحالات التالية :

١ ـ إذا زادت كميتها بشكل ملحوظ .

٢ ـ إذا أصبحت لها رائحة غير مقبولة .

٣ ـ إذا اصفر لونها وأصبحت كالحليب المتخثر .

ومن التعريفات السابقة يتحدد لدينا مصدر هذه الإفرازات وهى جدار المهبل الداخلى لأن هذا الوصف أو التعريف يفيد كثيراً فى الحكم على هذه الرطوبة والتى هى من صلب البحث .

مدخـل :

اتفق الفقهاء على انتقاض الوضوء بما خرج من السبيلين إن كان معتاداً ، واختلفوا فيما يخرج نادراً . فقال الأئمة الثلاثة (الشافعى وأحمد وأبو حنيفة) أنه ينقض الوضوء ، ولم يوجب (مالك) الوضوء فى هذا الضرب .

وقد أشارت كتب الفقه إلى ذلك[٥] . جاء فى المغنى ما نصه : « والذى ينقض الطهارة ما خرج من قبل أو دبر معتاد ، وجملة ذلك أن الخارج من السبيلين على ضربين معتاد : كالبول والغائط والمنى والوذى والودى والريح ، فهذا ينقض الوضوء إجماعاً . ودم الاستحاضة ينقض الطهارة فى قول عامة أهل العلم إلا فى قول ربيعة . والضرب الثانى نادر كالدم والدود والحصى والشعر فينقض الوضوء أيضاً . ولم يوجب مالك الوضوء فى هذا الضرب لأنه نادر أشبه الخارج من غير السبيل » .

ولهذه الأسباب اضطربت أقوال الفقهاء فى الحكم على رطوبة فرج المرأة بين الطهارة والنجاسة فمنهم من اعتبرها من الخارج من السبيلين ، فأعطاها حكم النجاسة ، وأنها ناقضة للوضوء

---

(٤) (الدكتور) عرب ، هشلم استشلرى امراض النساء وطب الاجنة بمستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة ، مقال بعنوان (الإفرازات المهبلية) .

(٥) الكاسانى ، علاء الدين ابى بكر المسعود ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م ، دار الكتاب العربى ، بيروت .

وابن قدامة ، موفق الدين ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة .

وابن عبد البر النمرى القرطبى ، الكافى فى فقه اهل المدينة المالكى ، جـ ١ ، كتاب الوضوء ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م .

والخطيب ، محمد الشربينى ، مغنى المحتاج إلى معرفة معانى الفاظ المنهاج على متن المنهاج لابى زكريا يحيى بن شرف النووى ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة .

لقوله تبارك وتعالى فى آية الأمر بالوضوء : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ ﴾(المائدة - ٦) (النساء - ٤٣) وقول الرسول (ﷺ) : « لا يقبل الله صلاة من أحدث حتى يتوضأ » [٦] فاستندوا فى الحكم على المخرج .

فما هو مخرج هذه الرطوبة ؟!

هل هو أحد السبيلين ؟! أم هو مخرج ثالث والذى أطلقوا عليه « مخرج الولد » .

وكان ملخص ما وصلوا إليه :

١ - اتفق الفقهاء على أن الدبر من الرجل أو المرأة أحد السبيلين .

٢ - اتفقوا على أن مخرج البول من المرأة هو السبيل الثانى .

٣ - اختلفوا فى مخرج الولد من قبل المرأة هل هو من السبيل الثانى أو لا ؟

وانقسموا إلى فريقين :

١ - الفريق الأول :

وهو رأى جمهور الفقهاء أن مخرج الولد من السبيل الثانى ، ومن أقوالهم فى ذلك قول الشافعية « والتنبيه بالسبيلين إذ للمرأة ثلاثة مخارج اثنان من قبل وواحد من دبر ولشموله كما لو خلق له ذكران ، فإنه ينتقض الخارج من كل منهما ، وكذا لو خلق للمرأة فرجان» [٧] . وقولهم : « والذى ينقض الوضوء خمسة أشياء أحدها ما خرج من أحد السبيلين أى من قبل المتوضىء الحى الواضح ولو من مخرج الولد » [٨].

وقول الحنفية : « وأما بيان ما ينقض الوضوء . . فالذى ينقضه الحدث وهو خروج النجس من الآدمى الحى سواء كان من السبيلين الدبر والذكر أو فرج المرأة » [٩].

واختلفت أقوال الحنابلة فى هذه المسألة فكان بعضهم من **الفريق الأول** ، مثل ابن قدامة « وقد نقل صالح عن أبيه فى المرأة يخرج من فرجها الريح ؟! ما خرج من السبيلين ففيه الوضوء »[١٠] وكذلك ابن القاسم العاصمى النجدى فى حاشية الروض المربع .

٢ - الفريق الثانى :

ذهب إلى « أن السبيلين هما مخرج البول والغائط » وهم طائفة من فقهاء الحنابلة منهم البعلى فى المطلع [١١] ، وابن مفلح فى المبدع [١٢] وصاحب الروض المربع[١٣] حيث قال : « ينقض الوضوء ما خرج من سبيل أى مخرج بول

---

(٦) رواه البخارى فى كتاب الوضوء باب لا تقبل صلاة من غير طهور ، جـ ١ ، ص ٤٦ .

(٧) الهيثمى ، احمد بن حجر ، حواشى الشروانى وابن القاسم العبادى على تحفة المشتاق بشرح المنهاج ، م ١ ، ص ١٣٠ .

(٨) الخطيب ، محمد الشربينى ، مغنى المحتاج إلى معرفة المنهاج ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٩) الكاسانى ، علاء الدين ابى بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(١٠) ابن قدامة ، موفق الدين ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(١١) البعلى ، محمد بن ابى الفتح ، المطلع على ابواب المقنع ، ص ٢٣ ، المكتب الإسلامى الطبعة الأولى ، بدمشق ، ١٣٨٥ هـ .

(١٢) ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، المبدع شرح المقنع ، جـ ١ ، ص ١٥٥ ، ١٣٩٣ هـ ، المكتب الإسلامى ، بيروت .

(١٣) الحجاوى ، شرف الدين ابو النجا ، الروض المربع ، جـ ١ ، ص ٢٤ ، الطبعة السادسة ، دار الفكر ، القاهرة .

أو غائط » وتبعهم من المحدثين سعدى أبو جيب فى القاموس الفقهى .(١٤)

تعقيب وترجيح :

إن قول الفريق الأول مخالف للحقيقة العلمية التشريحية . ولذا يترجح عندى قول الفريق الثانى الذى يقول إن المهبل مخرج ثالث غير السبيلين ، وأن السبيلين إنما يقصد بهما مخرج الغائط والبول فقط للأسباب الآتية :

١ - إن السبيلين منصوص على نجاسة ما يخرج منهما والعلة فى ذلك واضحة وهى : أن فتحة الشرج « مخرج الغائط » متصلة بمصدر النجاسة (المستقيم - القولون - الأمعاء الغليظة) حيث توجد فضلات الإنسان ، ومخرج البول متصل بمصدر النجاسة فى « المثانة » .

أما فرج المرأة من الداخل (المهبل) فهذا غير متصل بهذين المصدرين بل منفصل عنهما تماماً ، وبالتالى فهو بعيد عن النجاسة لأنه لو اتصل بأحد السبيلين لترتب على ذلك حكم جديد حيث تصبح المرأة (مفضاة) بتعبير ، الفقهاء ، أى مختلطة السبيلين (١٥) . وهى حالة مرضية اسمها *Fistula*

ويظهر ذلك بوضوح فى الرسم التشريحى المرفق حيث نرى مخرج البول ومخرج الولد منفصلين عن بعضهما تماماً ، ولا يمكن قياس أحدهما على الآخر ، فالأول متصل بمصدر النجاسة والآخر متصل بالرحم .

٢ - إن الرحم لا يكون نجساً إلا فى حالات معينة كالحيض والنفاس . أما فى بقية الأوقات فهو طاهر بنص القرآن ، ولذلك حرم الله الجماع فى حالة الحيض قال تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾

(البقرة - ٢٢٢)

وهذه الآية تفيد أن المباشرة الزوجية يجب أن تتم فى موضع طاهر ، وبعد أن يطهر تماماً لو طرأت عليه نجاسة لقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ (البقرة ٢٢٢) .. إلخ .

٣ - يؤيد القول بطهارة الرحم وما يتصل به أن الشارع حرم إتيان الزوجة فى دبرها « السبيل الأول » مخرج الغائط لأنه سبيل نجس ، وذلك بأحاديث صحيحة صريحة فى هذا الباب .

أورد أبو داود فى سننه عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ملعون من أتى امرأته فى دبرها »(١٦) .

قال (ﷺ) : « إن الله لا يستحى من الحق ، لا تأتوا النساء فى أعجازهن »(١٧) رواه ابن ماجة . وقال (ﷺ) : من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد »(١٨) أخرجه أبو داود فى السنن .

(١٤) ابو جيب ، سعدى ، القاموس الفقهى ، مادة س ب ل .
(١٥) ابن عابدين ، محمد امين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ص ١٥٤ .
(١٦) سنن ابى داود حديث رقم ٢١٦٢ .
(١٧) رواه ابن ملجه واحمد والبيهقى وصححه الالبانى فى إرواء الغليل ، جـ ٧ ، ص ٦٥ .
(١٨) اخرجه ابو داود والنسائى والترمذى وصححه الالبانى فى إرواء الغليل ، جـ ٧ ، ص ٦٨ .

كما ورد فى الحديث أيضاً قوله - صلى الله عليه وسلم - : « لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها »[19] والأحاديث واضحة الدلالة فى تحريم الجماع مع وجود النجاسة ؛ ولذا فإنه حرم الجماع فى الدبر على الإطلاق ؛ لأن النجاسة لا تنفك عنه ، وحرم الجماع فى قبل المرأة « مخرج الولد » حين تطرأ عليه النجاسة فترة الحيض والنفاس . وهذه أدلة كافية توضح تحريم الجماع مع وجود النجاسة للأضرار المترتبة عليها .

٤ - يؤكد ذلك ما ورد فى القرآن الكريم فى معرض قصة قوم لوط :

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾

(النمل - ٥٦) فدل على أن مسلك الذكر « فرج المرأة » طاهر . وإتيان الذكور فى أدبارهم نجاسة لأنه يتم فى موضع نجس ، ولذلك وصف هؤلاء الشُذّاذ المؤمنين بالطهارة .

ويتضح بذلك أن الفرق بين المهبل « مخرج الولد » والسبيلين كبير وواضح ، والله أعلم .

٥ - من الفقهاء من اعتبر نجاسة الإفرازات بسبب اتصال المهبل « الفرج الداخلى » بالرحم أمثال ابن عقيل[20] وقال أبو الحسن قياس المذهب النقض بالريح من قبل المرأة دون الرجل ، وعلله ابن عقيل لأن قبلها منفذ إلى الجوف بخلاف الرجل » . فإذا قصد بالجوف موضع النجاسات فى الإنسان فهذا غير صحيح ، كما بينت سابقاً .

وإذا أراد بذلك رحم المرأة ، فرحم المرأة طاهر إلا فى حالات تطرأ عليه كالحيض والنفاس . ففيه يتم خلق جنين الإنسان ، وفيه ينمو ويتغذى ويكبر . فلو كان نجساً لترتب عليه حكما ، وهو نجاسة الولد الخارج والذى نما فى الرحم لأن الحنابلة يحكمون بالنجاسة لكل ما تولد عنها . جاء فى المغنى[21] « ما يتولد عن النجاسة كدودة الحش وصرصاره فهو نجس حياً وميتاً » .

والآدمى وولده ليس كذلك . وقد نص الحنابلة على طهارة الآدمى حياً أو ميتاً[22] لقوله (ﷺ) : « سبحان الله إن المؤمن لا ينجس[23] » رواه البخارى ومسلم .

ولذلك يرجح القول بطهارة منى الآدمى . وحتى لايتعارض القولان : القول بأن الرحم نجس مع القول أن مايتولد عنه طاهر ، لابد أن نعتبر أن الرحم طاهر فى الحالات العادية ، وما يتولد عنه طاهر حيث ينقطع نزول دم الحيض فترة تخلق الجنين داخل الرحم ، وبالتالى يكون المهبل « الفرج الداخلى للمرأة » طاهراً لأنه متصل بالرحم الطاهر إلا فى الحالات التى ذكرتها آنفاً .

وهذا ما أشار إليه البعلى[24] فى المطلع حيث

---

(١٩) ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزوينى ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ، جـ ١ ، ص ٦١٩ فى كتاب النكاح ، ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م ، دار إحياء التراث العربى .

(٢٠) ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد ، المبدع فى شرح المقنع ، جـ ١ ، ص ١٥٦ .

(٢١) ابن قدامة ، موفق الدين ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٦٣ .

(٢٣) ابن حجر ، احمد بن على ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، مجلد ١ ، ص ٣٩٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر . مسلم ، الحجاج القشيرى ، صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ٣ ، ص ٦٦ - ٦٧ ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٢٤) البعلى ، محمد بن ابى الفتح ، المطلع على ابواب المقنع ، ص ٣٩ .

قال : « المراد هنا بفرج المرأة مسلك الذكر منها فعند أصحابنا حكمه حكم الطاهر وتبطل طهارته بخروج الحيض » .

حكم الفقهاء على هذه السوائل :

ولمناقشة هذه المسألة لابد من التعرف أولاً على الرطوبات الخارجة من البدن ، وهى على نوعين :

١ ـ رطوبات تخرج من البدن بشكل دائم كالعرق واللعاب والمخاط والصفة العامة لهذه الرطوبات الثلاث أنها كلها طاهرة بالاتفاق . ولو جعل الشارع هذه الرطوبات نجسة لوقع الناس فى الحرج .

٢ ـ رطوبات تخرج من البدن بشكل غير دائم كالبول والغائط والمني والوذي والدم والقيح ونحو ذلك كلها نجسة . ما عدا المني عند من قال بطهارته[٢٥] .

اضطربت أقول الفقهاء الأجلاء فى الحكم على رطوبة الفرج هل هى من جنس العرق ؟ أم من جنس المذى ؟ ويبدو ذلك واضحاً فى تعريف الإمام النووى لها وانقسموا إلى فريقين :

الفريـق الأول :

ممن قال بنجاستها أبو يوسف ومحمد بن الحنفية وهو المفتى به فى مذهبهم . وهو مذهب الشافعية المفتى به والمالكية . وهو أحد القولين عند الحنابلة . وأدلتهم :

١ ـ القياس على الخارج من السبيلين إذ رطوبة الفرج رطوبة خارجة من السبيلين ، وكل ما خرج من السبيلين من الرطوبات فهو نجس ، فالبول والغائط والمذي والودي والدم كلها نجس ؛ لأنها متولدة من محل نجس[٢٦] فكانت نجسة وهى تقاس على المذي بخاصة ، ولأنها لا يخلق منها الولد ، ولذلك استثنى المني من حكم النجاسة عند من يقول بطهارته ؛ لأنه يخلق منه الولد[٢٧] .

٢ ـ ما رواه البخارى ومسلم[٢٨] عن أبى بن كعب ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الرجل يصيب من المرأة ثم يكسل ، فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يغسل ما أصابه من المرأة ثم يتوضأ ويصلى .

٣ ـ سأل زيد بن خالد الجهنى عثمان بن عفان عن الرجل يجامع ولا ينزل فقال ليس عليه إلا الوضوء ، وقال عثمان : أشهد أنى سمعت ذلك من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ [٢٩] وما أمره بغسله إلا لنجاسة فيه ، فدل ذلك على نجاسة رطوبة فرج المرأة .

---

(٢٥) شهاب الدين المصرى ، عمدة السالك وعدة الناسك ، ص ٥٤ ، مكتبة الغزالى ، ١٣٩٨ هـ ، دمشق .

(٢٦) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

(٢٧) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ .

(٢٨) العينى ، بدر الدين محمد بن احمد ، عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، جـ ٣ ، ص ٢٤٧ ، دار إحياء التراث العربى .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

الفريـق الثانـي :

من قال بطهارتها وهو قول أبو حنيفة - يرحمه الله - : « إن رطوبة الفرج طاهرة »[٣٠] وقول مرجوح عند المالكية ، فقد ورد عنهم « العلقة والمضغة ورطوبة فرج المرأة طاهر »[٣١] ، وهو المفتى به فى مذهب الحنابلة ، وقد ذكر صاحب الروض المربع[٣٢] تحت باب إزالة النجاسة الحكمية ما نصه « ورطوبة فرج المرأة وهو مسلك الذكر طاهر كالعرق والريق والمخاط » وهو أحد قولى المغنى[٣٣] ، وبعض الشافعية منهم البغوى والرافعى[٣٤] وقال (الأصح الطهارة) ونص الشافعى[٣٥] - رحمه الله - فى بعض كتبه على طهارة رطوبة الفرج .

وأدلة الفريق الثانى :

١ - قاسوا هذه الرطوبة على سائر رطوبات البدن المعتادة . وهو أولى من قياسها على البول والغائط ونحوهما ، وأولى من قياسها على المذي . وهو ماأشار إليه ابن قدامة فى كتابه المغنى[٣٦] ولأننا لو حكمنا بنجاسة فرج المرأة ، لحكمنا بنجاسة منيها لأنه يخرج من فرجها فيتنجس برطوبته » .

٢ - دليل عائشة - رضى الله عنها - كانت تفرك المني من ثوب الرسول - صلى الله عليه وسلم -[٣٧] « وهو مني من جماع لأن الأنبياء لا تحتلم »[٣٨] وهو فى خروجه قد لاقى رطوبة الفرج ، ولو كانت هذه الرطوبة نجسة لتنجس المني ولما كفى فى التطهير منه الفرك .

تعقيب وترجيح :

بعد استعراض آراء الفريقين وأدلتهم أرجح رأى الفريق الثانى للأدلة التى ذكروها والتى توافق المبادىء العامة فى أحكام الطهارة .

أما أدلة الفريق الأول والذين قاسوا الرطوبة على الخارج من السبيلين فهو قياس غير صحيح للأسباب التى تقدم ذكرها فالفرج الداخلى (المهبل) ليس من السبيلين ، فالحكم بنجاسة كل ما خرج من السبيلين على البول والغائط صحيح لأنه لا يسلم من النجاسة ، أما ما خرج من غير مخرجى البول والغائط فلا يأخذ حكمهما إلا ما نص الشرع على نجاسته كالمذي .

٢ - الأحاديث التى أوردوها كأدلة ذكرها البخارى تحت باب « غسل ما يصيب من رطوبة فرج المرأة » منسوخة بحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل »[٣٩] ، وبالتالى يسقط الاستدلال بها .

---

(٣٠) ابن عابدين ، حاشية رد المحتار على الدر المختار ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

(٣١) شهاب الدين المصرى ، عمدة السالك ، جـ ١ ، ص ٥٤ .

(٣٢) الحجاوى ، شرف الدين ابوالنجا ، الروض المربع ، ص ٣٢ .

(٣٣) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩١ .

(٣٤) النووى ، شرف الدين ، المجموع شرح المهذب ، جـ ٢ ، ص ٥٧٠ ، سنة ١٣٤٤ هـ ، شركة العلماء ، مطبعة التضامن

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ ،

(٣٧) ابن حجر ، احمد بن على العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ ، دار الفكر .

(٣٨) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩١

(٣٩) العينى ، بدر الدين محمد بن احمد ، عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ، جـ ٣ ، ص ٢٤٧ .

وعموماً فإن الحديثين لم يعالجا المشكلة ، فالغسل المأمور به فى قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « يغسل ما مس المرأة منه ثم يتوضأ » و« يغسل ذكره ويتوضأ » قد يكون من مذي المرأة الذى حدث نتيجة المداعبة والمجامعة والمذي منصوص على نجاسته .

ومما يؤيد رأى الفريق الثانى الأدلة الآتية :

١ - إن من القواعد الثابتة فى الفقه الإسلامى أن الأصل فى الأشياء الحل والطهارة وأن الحكم بنجاسة شيء معين يحتاج إلى دليل شرعى قوى يفيد غلبة الظن على أقل تقدير حتى لا يتصادم مع القاعدة الثابتة وهى (الأصل فى الأعيان الطهارة) وهو ما قاله ابن تيمية - يرحمه الله - « أن الأصل فى الأعيان الطهارة فيجب القضاء بطهارته حتى يجيئنا ما وجب القول بأنه نجس »[٤٠] فيبقى على الأصل الصحيح الطهارة حتى يرد دليل صحيح بالنجاسة .

٢ - إن هذه السوائل مما عمت به البلوى بين النساء ، فلو كانت نجسة لبينها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ابن تيمية - يرحمه الله -[٤١] « إن كل ما لا يمكن الاحتراز عن ملابسته معفو عنه » . ومعلوم أن رطوبة الفرج لا يمكن التحكم فى نزولها ولا الاحتراز منها ، وإن حاولت المرأة تحاشيها سببت لها مشقة . وما كان شأنه كذلك فإنه يحكم بطهارته تيسيراً على العباد لقوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

(الحج - ٧٨)

٣ - أما من قاس « رطوبة الفرج » على المذي لأنهما يخرجان من نفس المخرج كالقاضى عياض - يرحمه الله - حيث قال : (ما أصاب منه أى ما يخرج من فرجها فى حال الجماع فهو نجس ؛ لأنه لا يسلم من المذي وهو نجس)[٤٢] ، فهذا غير صحيح لأن المذي متفق على نجاسته ، أما الرطوبة فمختلف فيها . وقد رد ابن قدامة رأى القاضى بقوله : « ولا يصح هذا التحليل فإن الشهوة إذا اشتدت خرج المني دون المذي كحال الاحتلام »[٤٣] .

كما لا يجوز قياس هذه الإفرازات على المذي لسببين :

(أ) لأن المذي لا يخرج عادة إلا عند تحرك الشهوة ، أما رطوبة الفرج فهى موجودة بشكل دائم ، وبدون شهوة .

والشهوة فى الشريعة كما هو معلوم لها أثر فى كثير من الأحكام كاللمس بشهوة للمحرم حيث يوجب الدم ، وللمتوضيء ينقض الوضوء ، وللمعتكف يفسد الاعتكاف ، واللمس بدون شهوه لايفسد شيئاً من ذلك .

---

(٤٠) ابن تيمية ، تقى الدين الحرانى ، مجموعة الفتاوى ، مجلد ٢١ ، ص ٤٥٥ ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدنى ، القاهرة .
(٤١) المصدر السابق .
(٤٢) ابن قدامة ، المغنى ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ .
(٤٣) نفس المصدر السابق .

وهذه الرطوبة التى قصدتها فى بحثى هى التى تنزل فى الأحوال العادية بغير شهوة فلا تأخذ حكم المذي .

(ب) إن طبيعة رطوبة الفرج غير طبيعة المذي ، فالمذي قلوى ورطوبة الفرج حامضية[٤٤] . ولذا فإن المذي يتدفق عند الإثارة الجنسيه ليعدل الوسط الحامضى للمهبل ليصبح وسطاً مناسباً للحيوانات المنوية « النطف » التى لا تعيش فى الأحماض ، ولما كانت الرطوبة شيئا مختلفا عن المذي فهى لا تأخذ حكمه فى النجاسة .

٤ - لا يمكن قياس هذه السوائل على من به سلس بول ولا على المستحاضة ؛ لأن هذه السوائل دائمة وطبيعية ، أما السلس والاستحاضة فحالة مرضية نادرة .

علماً بأن الفقهاء الأجلاء قد اختلفوا أصلاً فى الحكم على دم الاستحاضة ، فبعضهم قال بنجاسته ، وإن خروجه ينقض الوضوء ، كما تقدم فى كلام الأحناف ؛ لأنهم اعتمدوا على أن النبى أمر المستحاضة بالوضوء لكل صلاة .

وبعضهم قال بطهارته كالمالكية . فلم يجعلوا دم الاستحاضة حدثاً لكونه غير معتاد[٤٥] . وهذا ما أرجحه ؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد سمح للمستحاضة أن تصلى وتعتكف فى المسجد ، فلو كان دم الاستحاضة نجساً لما سمح لها ، فقد ورد عن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - اعتكف مع بعض نسائه وهى مستحاضة ترى الدم فربما وضعت الطست تحتها من الدم[٤٦] .

أما تعليل أمره - صلى الله عليه وسلم - بالوضوء فحتى تكون فى وضع لائق للصلاة .

بناء على ما تقدم فإن كل الدلالات والأدلة تفيد أن المهبل طاهر وكل ما يخرج منه طاهر إلا فى حالات سبق ذكرها .

ولكن سبب الإشكال أن المهبل فى المرأة هو مخرج لعدد من السوائل هى كالآتى :

١ - (ماء المرأة) أى : منيها إن صحت هذه التسمية وهو طاهر قياسا على ماء الرجل .

٢ - المذي إن كان لها مذي حيث إنه لم يرد نص يفيد أن لها مذياً وإنما ورد ما يخص الرجل .

والمعلوم أن سبب خروجه هو الشهوة ، وهو نجس وينقض الوضوء ، ويكون بسبب المداعبة والملاعبة أو التفكير فى الجماع وما إلى ذلك من المثيرات .

٣- الإفرازات الطبيعية فى الحالات العادية :

إن طبيعة تركيب أعضاء المرأة التناسلية يجعل من المتعذر التفريق بينهم إلا بمعرفة الحالة المصاحبة لها عكس الرجل فإنه لا إشكال عنده لأن المنى يخرج منه متدفقاً ، والمذي يخرج لزجاً متسبسباً .

---

(٤٤) Comprehensine Cynacology page 177.

(٤٥) الكاسانى ، بدائع الصنائع ، جـ ١ ، ص ٢٤ .

(٤٦) ابن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٤١١ كتاب الحيض ، باب الاعتكاف للمستحاضة .

لذا فإننا إذا وضعنا قاعدة مراعاة الحالة المصاحبة لنزول السائل يصبح الحكم عليها سهلاً ، فإذا نزل منها (سائل) عند اشتداد الشهوة وبلوغها غايتها ، أو عند الجماع يكون هذا هو (الماء) الذى نص عليه الحديث عندما سألت أم سلمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (هل على المرأة غسل إن هى احتلمت ؟ . . فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : نعم إذا رأت الماء)[٤٧] .

وحكم هذا الماء طاهر قياسا على مني الرجل وخروجه يوجب الغسل وإذا نزل منها (سائل) عند المداعبة أو الملاعبة أو أى إثارة جنسية يطلق عليه (مذي) وهو نجس وخروجه ينقض الوضوء ، قياساً على مذي الرجل .

أما إذا نزلت منها سوائل فى الحالات العادية أثناء النهار أو الليل عند أدائها أعمالها المعتادة مثلاً أو عند أداء العبادات كالطواف والسعى والصلاة فهى طاهرة لعدم اقترانها بأى مثيرات .

والخلاصة أن السوائل الطبيعية طاهرة وخروجها لا ينقض الوضوء ولا توجب تطهير ما أصابها من البدن أو الثياب إلا إذا كان من باب النظافة الشخصية .

والله أعلم وهو الهادى إلى سواء السبيل .

إلى السادة الكتاب

نرجو من السادة الكتّاب مراعاة الآتى :

* كتابة المقال على الآلة الكاتبة ، على أن يرسل الأصل .
* تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى مقالاتهم .
* إرسال الموضوعات التى تعالج مناسبة معينة قبل الموعد بمدة لا تقل عن شهرين حتى نتمكن من نشرها .
* إرفاق السيرة الذاتية مع مقالاتهم .

---

(٤٧) النووى ، شرح صحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ٦٠٨ ، كتاب الحيض .

الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٥

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

يزيد .. قائدا لجند الشام

كتب عمر إلى يزيد بن أبى سفيان : « أما بعد فقد وليتك أجناد الشام كله ، وكتبت لهم أن يسمعوا لك ويطيعوا ، ولا يخالفوا لك أمراً ، فاخرج فعسكر بالمسلمين ، ثم سر بهم إلى قيسارية فأنزل عليها ، ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك ، فإنه لا ينبغى افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها ، وهم عدوكم ، وإلى جانبكم ، وإنه لا يزال قيصر طامعا فى الشام مابقى فيها أحد من أهل طاعته ممتنعا ، ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام ، والله ـ عز وجل ـ فاعل ذلك به ، وصانع للمسلمين إن شاء الله »[1] .

فرد عليه يزيد بقوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن رأى أمير المؤمنين لأهل الشام كان رأيا أرشده الله فيه وأرشد به من أخذ به وبارك الله له ولأهل طاعته فيه . وإنى أخبر أمير المؤمنين أنا التقينا نحن وأهل

(١) الوثائق السياسية ص ٤٩١ .

قيسارية غير مرة ، وكل ذلك يجعل الله حدهم الأسفل وكيدهم الأخسر ويجعل الله الظفر عليهم . فلما رأوا أن الله قد أذهب ريحهم وأذلهم وأنزل عليهم الصغار والهوان ، وقتل صناديدهم وفرسانهم وملوكهم ، لزموا حصونهم وانحجزوا فى مدينتهم . فأطلنا حصارهم ، وقطعنا موادهم وميرتهم ، وضيقنا عليهم أشد الضيق . فلما جهدوا هزلا وأزلا ، فتحها الله علينا . والحمد لله رب العالمين . والسلام عليك ورحمة الله »[1] .

ـ فكتب إليه عمر رضى الله عنه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر أمير المؤمنين ، إلى يزيد بن أبى سفيان . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد : فقد أتانى كتابك ، وفهمت ما ذكرته فيه من الفتح على المسلمين . فالحمد لله رب العالمين .

فاشكروا الله يزدكم ويتم نعمته عليكم . فإن الله قد كفاكم مؤنة عدوكم . وبسط لكم من الرزق ، ومكن لكم فى البلاد ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفار . والسلام عليكم »[2] .

وأقبل يزيد بن أبى سفيان حتى نزل بدمشق . فلم يلبث إلا سنة حتى مات رحمه الله . فلما أثقل وأشرف على الموت ، كتب إلى عمر :

« بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإنى كتبت إليك كتابى هذا وأنا أظن أنى فى أول يوم من الآخرة ، وآخر يوم من الدنيا . فجزاك الله عنا وعن جميع المسلمين خيرا ، وجعل الله جنته لنا ولك مآبا ومصيراً ومقيلا . فابعث إلى عملك بالشام من أحببت . فأما أنا فقد استخلفت عليهم معاوية بن أبى سفيان .

ـ فلما أتى عمر ـ رضى الله عنه ـ كتابه جزع عليه جزعاً شديداً .

وكتب إلى معاوية بولايته على الشام ، وأقره عليها أربع سنين . فمات عمر ـ رضى الله عنه ـ ومعاوية على الشام »[3] .

وفاة خالد بن الوليد :

كان ذلك عام ٢١ هـ بقرية من قرى حمص وقال قولته الشهيرة : « لقد حضرت كذا وكذا وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وهأنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء » وأثر عنه قوله : « ماليلة يهدى إلى فيها عروس أو أبشر فيها بغلام بأحب إلى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو » .

وكان ـ رضى الله عنه ـ قد أوصى قبل وفاته : « إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدة فى سبيل الله ، فلما توفى خرج عمر فى جنازته وكانت النساء فى دار خالد يبكين ، فقيل له : « أرسل إليهن فانههن » فقال عمر : « وما عليهن

(١) المصدر السابق ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٩٣ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

أن ينزفن من دموعهن على أبى سليمان ما لم يكن نقعا أو لقلقة » وقال أيضا عندما سمع أم خالد تقول :

« أنت خير من ألف ألف من القو
م إذا ما كبت وجوه الرجال »

فقال عمر : « صدقت والله إنه كان لكذلك »[1] .

عمرو بن العاص فاتح مصر:

لما استكمل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فتح الشام ، بعث عمرو بن العاص إلى مصر وأردفه بالزبير بن العوام ، وفى صحبته بشر بن أرطأة ، وخارجة بن حذافة ، وعمير بن وهب الجمحى ، فاجتمعا على باب مصر ، فلقيهم أبو مريم كبير النصارى فى مصر ، ومعه الأسقف أبو مريام الذى بعثه المقوقس صاحب الاسكندرية للدفاع عن مصر ، فلما تقابل الطرفان تحدث عمرو بن العاص إلى أبى مريم وأبى مريام قائلا : « أنتما راهبا هذه البلاد فاسمعا ؛ إن الله بعث محمداً ـ ﷺ ـ بالحق وأمره به ، وأمرنا به محمد ـ ﷺ ـ وأدى إلينا كل الذى أمر به ، ثم مضى وتركنا على ـ الملة ـ الواضحة ، وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، وبذلنا له المنعة ، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم ، وأوصانا بكم حفظا لرحمنا منكم ، وإن لكم إن أجبتمونا بذلك ذمة إلى ذمة ، ومما عهد إلينا أميرنا : استوصوا بالقبطيين خيرا ؛ فإن رسول الله ـ ﷺ ـ أوصانا بالقبط خيرا ؛ لأن لهم رحما وذمة » .

فرجع الرسولان إلى المقوقس بعد أن أمهلهما عمرو بن العاص ثلاثة أيام ، إلا أن (أرطبون) قائد جيوش الروم أبى الصلح ، وأصر على الحرب ، فقال نفر من أهل مصر . « ما تقاتلون من قوم قتلوا كسرى ، وقيصر وغلبوا على بلادهم » ودار قتال سقط خلاله (الأرطبون) قتيلا .

وحاصر المسلمون عين شمس ، وارتقى الزبير ابن العوام مع نفر من أصحابه أسوارها ، فلما أحس بهم أهل المدينة خرجوا إلى عمرو بن العاص ، طالبين الصلح ، وجاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ، وملتهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبهم ، وبرهم ، وبحرهم ، لا يدخل عليهم شىء من ذلك ، ولا ينتقص ، ولا يساكنهم النوبة ، وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وأنهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليهم ماجنى لصوتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة ، وإن نقص نهرهم من غايته رفع عنهم بقدر ذلك ، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة فله مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن أبى واختار الذهاب ، فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ، أو يخرج من سلطاننا ، عليهم ما عليهم أثلاثا ، فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم ، على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة

(١) البداية والنهاية ١٢٥/٧ : ١٣٠ .

أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ؛ على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير ، وعبد الله ، ومحمد إبناه ، وكتب وردان وحضر » .

فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم ، وقبلوا الصلح ، واجتمعت الخيول بمصر وعمرو الفسطاط وظهر أبو مريم وأبو مريام ، فكلما عمرا فى السبايا التى أصيبت بعد المعركة ، فأبى عمرو أن يردها عليهما ، وأمر بطردهما وإخراجهما من بين يديه . فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب ، أمر أن كل سبى أخذ فى الخمسة أيام التى أمنوا فيها يرد ، وكل سبى أخذ ممن لم يقاتل ، وكذلك من قاتل فلا يرد عليه سباياه ، وأن يخيروا من فى أيديهم من السبى بين الإسلام وبين أن يرجع إلى أهله فمن اختار الإسلام لا يردوه .

ففعل عمرو ما أمر به أمير المؤمنين ، وجمع السبايا وعرضوهم وخيروهم ، فمنهم من اختار الإسلام ومنهم من بقى على دينه ودفع الجزية .

ثم وجه عمرو جيشا لفتح الاسكندرية ، فضرب حولها الحصار ، حتى اضطر المقوقس إلى طلب الصلح ، وبعث عمرو بأخبار الفتح إلى عمر بن الخطاب مع الأخماس[1] .

أبو موسى الأشعرى :

ولاه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - على البصرة سنة ١٧ هـ وافتتح أصبهان والأهواز ، وكان ابن الخطاب قد كتب إلى أهل البصرة كتابا عند توليته عليهم جاء فيه : « أما بعد ، فإنى قد بعثت أبا موسى أميرا عليكم ، ليأخذ لضعيفكم من قويكم ، وليقاتل بكم عدوكم ، وليدفع عن ذمتكم ، وليحصى لكم فيئكم ، ثم ليقسمه بينكم ، ولينقى لكم طرقكم » .

على أن شهرة الأشعرى ومكانته فى التاريخ الإسلامى تعود أساسا إلى كونه واحدا من أشهر القضاة فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث كتب له الأخير كتابا يعرف باسم : « سياسة القضاء وتدبير الحكم » .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله : عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فافهم إذا أدى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له . آس بين الناس فى مجلسك ووجهك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين الناس ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس فراجعت فيه نفسك ، وهديت لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق لا يبطله شىء ، واعلم أن مراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ، الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فيه قرآن ولا سنة ، واعرف الأشباه والأمثال ، ثم قس الأمور بعد ذلك ، ثم اعمد لأحبها إلى الله ، وأشبهها بالحق فيما ترى ، اجعل لمن ادعى حقا غائبا أمدا ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة أخذ

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٧ : ١١٠ .

بحقه ، وإلا استحللت عليه القضاء . والمسلمون عدول فى الشهادة إلا مجلودا فى حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا فى ولاء أو قرابة ، إن الله تولى منكم السرائر ، ودرأ عنكم بالبينات . وإياك والقلق والضجر والتأذى بالخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الأجر ويحسن الذخر ، فإن من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله ، أصلح الله مابينه وبين الناس ، ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شانه الله ، فإن الله لا يقبل من عباده إلا ما كان خالصا ، فما ظنك بثواب من عند الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته ؟ والسلام » .

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أبى موسى كتابا آخر فى واجب الحاكم تجاه الرعية جاء فيه :

« أما بعد : فإن للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن تدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة ، أقم الحدود ولو ساعة من نهار ، وإذا عرض لك أمران أحدهما لله ، والآخر للدنيا ، فآثر نصيبك من الله ، فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى . وأخيفوا الفساق واجعلوهم يدا يدا ، رجلا ورجلا ، وعد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فإنما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا . وقد بلغنى أنه قد فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ، ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك ياعبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة ، مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم إلا السمن ، وإنما حتفها فى السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته ، وأشقى الناس من شقى الناس به ، والسلام »[1] .

وكتابا آخر أورده وكيع فى أخبار القضاة[2] عن القطان بن سفيان بن أبيه قال : قرأت كتاب عمر ابن الخطاب لأبى موسى : لا تستقضين إلا ذا مال وذا حسب ، فإن ذا مال لا يرغب فى أموال الناس ، وإن ذا حسب لا يخشى العواقب بين الناس » .

وكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب كتابا كان له أثره فى التاريخ الإسلامى ، إذ ترتب عليه وضع تقويم التاريخ الهجرى ، وجاء فى الكتاب : « إنه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ » فجمع عمر الناس للمشورة ، فوضعوا التاريخ لهجرة المدينة وكان فى سنة ١٦ هـ[3] .

وكان أبو موسى ـ رضى الله عنه ـ أميا لا يعرف الكتابة ، فاستعمل من يكتب له ، وأملاه كتابا إلى عمر بن الخطاب ، فكتب : « من أبو موسى » بدلا من أن يقول : « من أبى موسى » فكتب عمر إلى أبى موسى : « إذا أتاك كتابى هذا فاضرب كاتبك سوطا ، واعزله عن عملك »

القاضى شريح :

الحارث بن قيس بن الجهم الكندى ، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام ، ولى القضاء فى زمن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وظل عليه حتى استعفى زمن الحجاج بن يوسف الثقفى فأعفاه سنة ٧٧ هـ .

وقصة ولايته للقضاء أنه حدث أن ساوم عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بفرس فركبه ، فعطب فقال عمر للرجل صاحب الفرس : « خذ فرسك » فقال الرجل : « لا » قال : « اجعل بينى

(١) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ١/١١
(٢) ١/٧٦ ، ٧٧
(٣) الطبرى ٢/١١٠

وبينك حكما ؛ قال الرجل : « شريح » فتحاكما إليه ، فقال شريح : « يا أمير المؤمنين حز ما ابتعت أو رد كما أخذت » ؛ فقال عمر : « وهل القضاء إلا هكذا ؟ سر إلى الكوفة [1] فبعثه قاضيا عليها ، وكان ذلك اليوم هو أول معرفة لعمر بشريح !

وكان شريح يقول للبينة إذا اتهمهم وقد عدلوا : « إنى لم أدعكما ، ولست أمنعكما إن قمتما ، وإنما يقضى على هذا أنتما ، وإنى إنما أتقى بكما فاتقيا على أنفسكما » فإذا أبوا إلا أن يشهدوا وقد عدلوا ، قال للذى يقضى له : « أما والله إنى لأقضى لك وإنى لأرى أنك ظالم ، ولكن لست أقضى بالظن ، إنما أقضى بما يحضرنى من البينة ، وما يحل لك قضائى شيئا حرمه الله عليك ، انطلق »[2] .

وكان لشريح ابن قال ذات يوم لأبيه : « إن بينى وبين قوم خصومة ، فانظر فإن كان الحق لى خاصمتهم ، وإن لم يكن لى الحق لم أخاصم » فقص قصته عليه ؛ فقال : « انطلق فخاصمهم » فانطلق إليهم ، فخاصمهم فقضى على ابنه ، فقال له لما رجع إلى أهله : « والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك ، فضحتنى » فقال : « يابنى ، والله لأنت أحب إلى من ملء الأرض مثلهم ، ولكن الله هو أعز على منك ، خشيت أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم ، فتذهب ببعض حقهم »[3] .

من تعليمات الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لعماله :

« خذ الصدقة من المسلمين ؛ طهرة لأعمالهم ، وزكاة لأموالهم ، وحكما من أحكام الله ، العداء فيها حيف وظلم للمسلمين ، والتقصير عنها مداهنة فى الحق ، وخيانة للأمانة ، فادع الناس بأموالهم إلى أرفق المجامع ، وأقربها إلى مصالحهم ، ولا تحبس الناس أولهم لآخرهم ، فإن الرجز للماشية عليها شديد ، عليها مهلات ، ولا تسقها مساقا يبعد بها الكلأ ، وردها ، فإذا أوقف الرجل عليك غنمه ، فلا تعتم من غنمه ، ولا تأخذ من أدناها ، وخذ الصدقة من أوسطها ، ولا تأخذ من رجل إن لم تجد فى إبله السن التى عليه إلا تلك السن من شروى إبله ، أو قيمة عدل ، وانظر ذوات الدر والمخاض مما تجب منه الصدقة فتنكب عنها عن مصالح المسلمين فإنها مال حاضرهم ، وزاد مغربهم أو معديهم ، وذخيرة زمانهم ، ثم اقسم للفقراء ، وابدأ بضعفة المسكنة والأيتام والأرامل والشيوخ فمن اجتمع لك من المساكين فكانوا أهل بيت يتعاقبون ويتحاملون ، فاقسم لهم ما كان من الإبل يتعاقبوه حملهم ، وإن كان من الغنم امنحهم ، ومن كان فذا فلا تنقص كل خمسة منهم من فريضة أو عشير شيئا إلى خمس عشرة من الغنم »[4] .

كتب عمر بن الخطاب إلى عماله أن يوافوه بالموسم ، فوافوه ، فقام عمر خطيبا فقال : « أيها الناس إنى بعثت عمالى هؤلاء ولاة بالحق عليكم ، ولم أستعملهم ليصيبوا من أبشاركم ولا من دمائكم ولا من أموالكم ، فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم أقيده منه ، وقد رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يقيد من نفسه »[5] .

ومن أوامره لجنود الفتح :

« لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله فى الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب »[6] .

يتبـــع

(1) طبقات ابن سعد ٦/٩١
(2) المصدر السابق ٦/٩١
(3) المصدر الصابق ٦/٩٢
(4) مصنف عبد الرزاق ٦٧٢٢
(5) الخراج لأبى يوسف ص ١١٦
(6) سنن سعيد بن منصور ، القسم الثانى / ٢٦٢٥

فَسۡأَلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ

السيد العراقي شمس الدين

السؤال من الدكتور مهندس ح ـ الشيمى ـ القاهرة :

فضيلة الشيخ رئيس لجنة الفتوى بالأزهر :

زوجتى عند الحمل تعانى من التقيؤ فى اليوم أكثر من عشرين مرة ، ويستمر ذلك طوال مدة الحمل التسعة أشهر ، حتى أنها فى « الطفلة الأولى » أى الحمل الأول أصيبت بجفاف فى الأسبوع الأخير للوضع .. وفجأة حملت الزوجة مرة أخرى ، وأبقينا على هذا الحمل على الرغم من تكرار ماحدث فى الحمل الأول من القىء اليومى المستمر لأكثر من عشرين مرة ، وبشهادة الطبيب الثقة أن تكرار الحمل لهذه السيدة فيه ضرر عليها .. وقد ينعكس أيضا على الجنين .

●●●●

والسؤال : هل يباح بعد الوضع عمل ربط لهذه السيدة حفاظا على صحتها وتجنبا لمخاطر للجنين ، ونشكر لكم حسن تعاونكم .

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد فنفيد السائل أنه إذا كان الحال كما ذكر ، وكانت المشورة من طبيب مسلم عادل ثقة متخصص ، فإن الأولى بهذه الحالة بعد وضع الحمل ـ إن شاء الله ـ أن يتم استعمال وسيلة مؤقتة من وسائل تنظيم الحمل ، ويستمر فى سؤال الأطباء عن علاج ، فقد يتوصل الأطباء إلى علاج لهذه الحالة ، فلا نقع فى حرج ربط عنق الرحم ،

ومنع الحمل منعا دائما .. والله تعالى أعلى وأعلم .

●●●●

السؤال من السيد/ مصطفى خالد سيد متولى ، يقول فيه :

توفيت زوجتى وأريد أن أتزوج أختها فهل علىّ من عدة وفاة وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأنه بموت الزوجة انقطعت الزوجية فلا مانع شرعا من أن يتزوج بأختها ، ولا عدة عليه فى هذه الحالة والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ على فهمى عبد الله .

توفيت سيدة عن : عم الأب ، أولاد عم لأب ، عمة شقيقة ، فمن يرث وما نصيبه ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فنفيد بأن التركة كلها للعم لأب تعصيبا ، ولا شيء لأبناء العم لأب لحجبهم بالعم لأب لأنه أقرب درجة ، كما أنه لا شيء للإناث من أولاد العم لأب ، ولا شيء أيضا للعمة الشقيقة لأنهن جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ محمد حسنين محمد حسنين ، يقول فيه :

١ - توفى رجل سنة ١٩١٧ عن أم ، زوجة ، أولاد ذكورا وإناثا .

٢ - توفى الابن وهو « على » سنة ١٩٤٤ ، عن أم ، وإخوة أشقاء ذكورا وإناثا .

٣ - سنة ٤٨ توفى « حسنين » عن أم ، زوجة ، أولاد ذكورا وإناثا .

٤ - سنة ١٩٦٤ توفيت الأم « ستيتة » تاركة أربع بنات ، أولاد ابن ذكورا وإناثا .

٥ - توفيت زوجة حسنين عن أولادها ذكورا وإناثا ، فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد عن الأولى :

بأن للزوجة الثمن فرضا ، وللأم السدس فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الثانى بأن للأم السدس فرضا لوجود عدد من الإخوة والأخوات ، والباقى للإخوة الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الثالث : بأن للأم السدس فرضا ،

وللزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الواث ، والباقى للأولاد تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الرابع بأن للبنات الأربع الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى لأولاد الابن تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .

وعن الخامس بأن التركة كلها لأولادها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال من السيدة/ ش ـ رفاعى تقول فيه :

ما حكم الشرع فى شاب يريد الزواج من فتاة هو لم يرضع من أمها ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أمه ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، ولكن شقيق الشاب رضع من أم الفتاة ، فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فنفيد بأنه مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، فيجوز لهما الزواج ، ولا عبرة بأن شقيق الشاب رضع ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال من السيد/ أ ـ ى ـ ع عامر ، يقول فيه :

شاب خطب ابنتى ، وقدم لها شبكة ، وتم تحديد الفرح ، إلا أنه عدل عن الخطبة ، فما الحكم فى الشبكة ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فنفيد بأن الشبكة تعتبر هدية ، وحيث إن الخاطب قد عدل عن الخطبة فإن الشبكة وكل ما قدمه الخاطب من هدايا تكون من حق المخطوبة لما أصابها من ضرر .

والرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « لا ضرر ولا ضرار » هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

ضيق الصدر والأزمات النفسية

لفضيلة الشيخ: على رفاعى

إعداد وتقديم:
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جعل الله الإنسان خليفته فى الأرض، وقد خلق لعمارتها وإصلاحها، فالدنيا كما هى مليئة بالخير، ففيها - أيضا - مايكدر الصفو ويحزن القلب.

والمسلم الحق هو الذى لا يستسلم لهذه المكدرات ولا يجزع، فمن كثر جزعه كثرت زلته، وعظمت علته، وبعد أمله، وحبط عمله، وفى الإسلام وإرشاداته وتوجيهاته السلامة والأمن من كل بلاء وغم، وذلك بالرضا والتسليم والصبر، فمن قل صبره، وعظم عليه أمره ضعف إيمانه، ومن ضعف إيمانه حبط عمله، وفى هذا يقول الكاتب - رحمه الله - :

إن ضيق الصدر وما يحدثه من ويلات، وأزمات النفس وما تسببه من كوارث ونفاد الصبر، وما ينتج عنه من بلاء وعناء، كل أولئك من الأمراض الخطيرة التى كثيرا ما تؤدى بأصحابها إلى سوء المصير، وتجعل حياتهم جحيما لا يطاق، ولما كان لكل داء دواء، ولكل علة طريق يفضى إلى الشفاء، والإنسان إن لم يعالج مرض جسمه هلك، والنفس كالجسم إن مرضت تحتاج إلى علاج، وعلاجها بدواء يناسبها، وتركها بدون علاج يذبل زهرتها ويطفىء نورها، لما كان الأمر

كذلك ، وجب علينا أن نبحث متلمسين طريق الخلاص من مرض ضيق الصدر وما يسببه للنفس من كآبة وحزن ، ونحن إذا تعرفنا على علة الداء . أصبح من اليسير القضاء عليه قبل أن يستفحل ، ولقد قضى الحكيم العليم . أن تكون الحياة ميدانا صاخبا بالهموم والأحزان ، حافلا بالرزايا والنوائب . مائجاً بالآلام والأسقام ، تصطرع فيه النكبات . وتتزاحم على أهله النازلات . والإنسان بين ذلك فى جهد وتعب . ومشقة ونصب . خلقه الخالق العظيم وأراد به ذلك ، وفى هذا يقول ـ جل جلاله ـ :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾

(سورة البلد : ٤) .

سبحانك ربى علمت بحكمتك الأزلية فقضيت ولا راد لقضائك ، فلا يزال الإنسان فى شدائد ، فمن ظلمة الرحم ومضيقه إلى اصطراع فى الحياة وجهاد مرير ، ثم يعقب ذلك النازلة الكبرى ـ الموت الذى يضع حدا فاصلا بين معتركين ، معترك الحياة الدنيا والدار الآخرة ـ وللإنسان فى هذه الحياة آمال يرجو تحقيقها يحدوه الرجاء .

ويتملكه القلق . لأمل ينشده ويخشى الحرمان منه . أو لشر يحذره ويخاف وقوعه . . وقد يضيق صدره ، ويخيم الحزن على قلبه ، وتطير نفسه شعاعا لمحبوب فات نواله ، أو ضر نزل به ، وقد

يحدث ما نابه أو ما يتوهم أن تصيبه أزمة نفسية يغدو بها كئيبا كاسف البال ، يئوسا موزع النفس ، فتراه ميتا فى صورة الأحياء ، حياته شقاء . وعيشه عناء . موته راحة له من الآلام .

ولقد أدرك هذا المعنى وصوره أكمل تصوير من قال :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

فالاستسلام لضيق الصدر والأزمات النفسية داء خطر يوهن النفس ويضعف القلب ، ويقنط من زوال الخطب ، فيشتد الكرب ، ويدوم الكمد ويستمر النكد ، فيجىء الغد كالأمس فى غمه وبلائه ، ويلازم النفس التشاؤم والتطير ، وينقطع الرجاء ، ويستعصى الخلاص ، وهذه جميعا بلايا لا تجلب خيرا ، ولا تدفع شرا ، ولا ترد فائتا ، ولا تحقق أملا ، وفى ذلك سوء الحال ، وشر المآل ، وفى الحكم المروية : من قل صبره وعظم عليه أمره ، وضاق عن حمل ما نزل به صدره فقد تبين كفره ، فلا يؤمن على من كان الجزع من شأنه أن يذهب بإيمانه .

ويقول بعض العلماء : من كثر جزعه كثرت زلته ، وعظمت علته ، وبعد أمله وحبط عمله ، وكفى مرض ضيق الصدر قبحا أن الانتحار أثر من آثاره ، وسيئة من سيئاته ، وهو بعد ليس من صفات العقلاء فى شىء ، فالمصاب به عقله مختل وقلبه معتل ، ونفسه مريضة فلا يليق بالإنسان الذى جعل خليفة فى الأرض وخلق لعمارتها وصلاحها أن يستسلم لهذا المرض الذى يقضى على الهناءة ، وينغص الحياة ويهدم القوى ويحطم الأعصاب ويذيب الحيوية والنشاط ، ولنا فى

الأنبياء عليهم السلام أسوة وقدوة ، فهذا موسى عليه السلام لم يستسلم لضيق صدره ، حيث لا ينطق لسانه كما يريد ، فطلب من ربه الذى أرسله أن يعينه بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسانا ، فلا تختل دعوته ولا تضعف حجته ، وفى ذلك شرح لصدره وتيسير لأمره ، قال :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝٢٧ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ۝٢٩ هَـٰرُونَ أَخِى ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ (سورة طه : ٢٥ ـ ٣٢) .

وفى آية أخرى قال الله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ﴾ (سورة الشعراء : ١٠ ـ ١٣) .

ومن شرح الله صدره بالإسلام سهل عليه علاج نفسه من هذا المرض الخطير وسعد بالشفاعة ، وعليه فقط أن يبحث عن الطبيب الحاذق ، ويستعمل مايصفه من الدواء فسيجد السلامة فيه ، وطبيبه فى هذا إرشادات الإسلام ، فمن هديه الدعوة إلى الصبر والرضا بالقضاء والقدر ، وإحياء الرجاء فى السلامة ، والحياة الصحيحة بالعمل على ذلك ، وكل ذلك من شعب الإيمان .

ولقد حض القرآن الكريم على الصبر فى أكثر من سبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات والحسنات إليه ، وجعلها ثمرة له ، وطلب منا الاستعانة على كل أمورنا ، وما ينزل بنا بالصبر والصلاة ، قال الله ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (سورة البقرة : ١٥٣) .

فاستعن بالصبر ، وعالج أمرك بالروية والحكمة ، وحذار أن ينفد صبرك ، أو تعيا حيلتك ، فالرجل كل الرجل هو الذى يتخذ من الهزيمة فى أمر من الأمور مطية للانتصار فى محاولة مقبلة . والعاقل الأريب هو الذى ينتفع بأخطاء قد تقع منه فيتجنبها ويسير على نهج سوى ، ولا يستسلم لليأس فإنه قتّال للنفس ، مثبط للهمم ، جالب للهموم والأحزان .

وعلى من ضاق صدره لأمر من الأمور ، أن يتذكر أن أيامه فى هذه الدنيا معدودة وأنفاسه محدودة ، وأنه فى هذه الحياة ضيف ولابد من الرحيل ، فإذا أيقن بهذا ، فلماذا يكدر عيشه بضيق الصدر ، وينغص أيامه القصيرة بالأحزان والكآبة ، إن كان ذلك للمال فهو إلى زوال ، وإن كان لسعة الرزق فقد تكفل به الكبير المتعال ، وعلى كل حال فالدنيا إما نقمة نازلة ، وإما نعمة زائلة : أولها عناء ، وآخرها فناء ، حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ومن صح فيها أمن ، ومن مرض فيها ندم ، ومن استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن ساعاها فاتته ، ومن تعد عنها أتته ، ومن نظر إليها أعمته ، ومن نظر بها بصرته ، ويرحم الله القائل :

تمتع من الأيام إن كنت حازما
فإنك منها بين ناه وآمر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه
فما فاته منها فليس بضائر

أيها المكتئب الحزين تمثل قول الحسن البصرى رحمه الله :

« الدنيا كلها غم ، فما كان منها من سرور فهو ربح » .

فقه المصطلحات العلمية

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

٦

يعتقد البعض خطأ أن مصطلحات الحضارة الغربية ، ذات الدلالات غير الإسلامية ، لا ينبغى استعمالها فى أدبيات الفكر الإسلامى والثقافة الإسلامية ، إما من قبيل الحذر ، أو إيثاراً للسلامة والبعد عن اللبس والغموض ، وكانت النتيجة أن تحاشى بعض الإسلاميين استخدام تلك المصطلحات ، وشجعوا الآخر بذلك على أن يتمادى فى احتكارها ، ويجعلها مميزة لثقافته المادية التى يسعى إلى « عولمتها » .

*** الحتمية :**

عندما انتقلت علوم المسلمين إلى أوروبا ومهدت لقيام العلم الحديث ، تركت النهضة الأوروبية الإيمان بالله ، وتخلى العلم عن المعنى والسمو الروحى ، وأصبح دنيويا فقط بعلاقاته مع الأشياء ، واتخذ الماديون من العلم ستارا يخفون وراءه أفكارهم الإلحادية ، لجأ البعض إلى محاولة تقنين هذه الأفكار فى أنساق معرفية انخدع بها الكثيرون إلى حين .

ولم يكن العالم الإنجليزى الشهير « إسحق نيوتن » من أصحاب النزعة المادية ، ولم يضع قوانينه المعروفة فى علم الميكانيكا الكلاسيكية إلا لوصف حركة الأجسام المادية التى نشاهدها فى هذا الكون . لكن نجاح نظريته وتطبيقها فى العديد من المجالات ، ولا سيما فى مجالات الفيزياء والفلك والكيمياء ، هو الذى ولّد فى نفوس الماديين رغبة فى تعميم قوانينه بحيث تشمل كل حقائق العالم فى كل زمان ومكان ، وعلقوا عليها آمالهم فى تفسير كل قضايا العلوم ، بما فيها علوم الأحياء والنفس والتاريخ والاقتصاد ، على أساس وجود المادة كحقيقة واحدة لا سبيل إلى العثور على حكمة وراءها . ولجأ المفتونون بهذا التيار الفكرى الضال إلى الأخذ بمبدأ « الحتمية المادية » *Materialistic Determinsim* لمجرد أن يضمن لهم الاطمئنان فى بلوغ قوانين كلية من وقائع جزئية محدودة ، إذ يستحيل على أى باحث

أن يرصد كل الوقائع القائمة فى كل زمان ومكان ، وحسبه ما يتاح له منها لكى يصل إلى القانون الذى يصف به سلوك ما يراه أمامه من ظواهر مختلفة فى الكون الذى يعيش فيه ، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا افترض أن العالم من حوله يخضع لحتمية تربط بين السبب ونتيجته ، وتجعل صدق أحداثه مستقلا عن الزمان والمكان والخبرة الذاتية .

ويبلغ تقديس « الحتمية المادية » إبان عصر النهضة الأوروبية حدًّا جعل الماديين يعزون كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء بالخضوع لقانون معلوم أسموه « قانون الطبيعة » ، ولم يبق لبعض المتحفظين من هذا الاتجاه اللا إيمانى غير أن يقولوا بأن الإله هو المحرك الأول لهذا الكون الذى شبهوه بساعة رتب صانعها آلاتها الدقيقة فى هيئة خاصة ، بحيث تعمل وتتحرك ، ثم انقطعت صلته بها . وجاء « هيوم » فتخلص حتى من هذا الإله بمقولته الغبية : « لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يُصنع ، فكيف نسلم بأن له صانعا ؟! » . ولقد أدى هذا التصور الآلى (الميكانيكى) إلى ترسيخ اعتقادهم بأن النظام الفلكى لا يحتاج إلى أية أسطورة لاهوتية !!

ولا يجد العاقل اللبيب أية صعوبة فى كشف التناقض الواضح والعجيب الذى وقع فيه أنصار الحتمية المادية ، ففى الوقت الذى يؤكدون فيه ألا وجود إلا للمادة ، وينكرون العلة المطلقة فى الخلق الأول ، نجدهم يعترفون بعجزهم عن أن تخطط هذه المادة أو تهدف إلى أى شىء ، ومن ثم فهم لا يجدون سبيلا إلى العثور على حكمة وراءها . ويصف « برتراند رسل » خلاصة هذا الفكر المادى بقوله : « إن الإنسان وليد عوامل ليست بذات أهداف ، إن بدايته ونشوءه وأمانيه ومخاوفه وحبه وعقائده كلها جاءت نتيجة ترتيب رياضى اتفاقى فى نظام الذرة ، والقبر ينهى حياة الإنسان ، ولا تستطيع أية قوة إحياءه مرة أخرى . إن الكفاح الإنسانى كله سوف يدفن حتما تحت أنقاض الكون ، ولو لم تكن هذه الأفكار قطعية ، فإنها أقرب ما تكون إلى الحقيقة ، حتى أن أية فلسفة تحاول إنكارها ستلقى فناءها تلقائيا » .

ولقد تولى العلم نفسه دحض هذا المبدأ المادى وإسقاطه عندما ظهرت بشائر مرحلة جديدة فى تاريخ العلم مع حلول القرن العشرين ، فقد أتت النظرية النسبية لأينشتين لتوضح خطأ افتراض حركة الأجسام فى خلفية من الزمان والمكان المطلقين ، ثم أوضحت نظرية الكم بعد ذلك أن قوانين نيوتن محدودة فقط بعالم المقاييس العادية ، وتفشل تماما فيما وراء ذلك من العمليات الذرية ودون الذرية فى الفيزياء الحديثة ، وتأكد انهيار « الحتمية المادية » بظهور نظرية هيزنبرج عن « عدم اليقين » أو الريبة واللا حتمية ، وأصبح الباحث المراقب عنصرا أساسيا مشاركا بالعقل والخبرة فى تفسير الظواهر الكونية واضطر فلاسفة العلم أخيراً - بعد أن عجزت الحتمية عن ملاحقة كل هذه الأبحاث - إلى أخذ جانب الحذر من مبدأ يخالف طبيعة التقدم العلمى ، فضلا عن أنه يناقض فطرة الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى وما يستلزمه هذا الإيمان من المحافظة على المحتوى القيمى والروحى فى منهج البحث العلمى .

وهكذا لم يلبث مذهب الحتمية المادية المؤسس على منظومة قوانين نيوتن أن تعرض لطعنات العلم نفسه الذى تخلى فى بعض قوانينه الجديدة

عن مفاهيم أساسية قامت عليها قوانينه القديمة ، مما يعنى أن حقائق العلوم الكونية غير مقدسة لأنها من اجتهادات العلم البشرى المحدود ، ولأن الباحثين ليسوا منزهين عن الخطأ والقصور ـ على أن هذا لا يعنى فى الوقت نفسه أن القوانين العلمية التى يتوصل إليها الباحثون بعد اختبار تجريبى دقيق غير صحيحة ، فكل ما فى الأمر أنها تعتبر حقائق علمية جزئية ومحدودة بحدود الإمكانات البشرية ، وظروف التجارب العلمية التى أدت إلى الكشف عنها ، وليس من الصواب أبدا أن تعتبر محدودية هذه الحقائق الجزئية دليلا على قصور العلم أو منقصة فيه ، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد شيئا فشيئا فى اكتشاف آيات الله وإظهار ما خفى منها مع مرور الزمن ، مصداقا لقوله : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ٦٧)

وقوله جل شأنه : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سورة ص : ٨٨) .

*** الآلية والغائية :**

« الآلية » أو « الميكانيكية » منحى فلسفى يرجع الظواهر النفسية إلى عوامل كيميائية وفسيولوچية ، ويرد الحياة إلى مجموعة أعضاء أو وظائف تؤدى عملها وكأنها تروس فى آلة ميكانيكية ، ويأخذ أصحاب هذا المبدأ الفلسفى من الماديين بنموذج الإنسان الميكانيكى (الآلى) العام ، فيقارنون بين الإنسان والآلة ، ويشبهون أجزاء المجتمع كله بالآلة وأجزائها . ويؤكد الموغلون فى المادية أن جسم الإنسان هو الحقيقة الإنسانية الوحيدة ، وأن الغرائز والانفعالات ، وليس العقل هى التى تقود الإنسان وتحكم سلوكه ، فيزعم بعضهم أن قوة الإنسان الدافعة هى غريزة الجنس ، بينما يزعم آخرون أنها غريزة الجوع أو غريزة الخوف من الموت .

وبعد أن برهن العلم المعاصر على محورية العقل فى مبحث الأعصاب وعلم الفيزياء ، بدأ الاتجاه إلى « أنسنة » علم النفس انطلاقا من اعتبار الإنسان قوة واعية ، فهو يجرب ، وهو يقرر ، وهو يتصرف من أجل تحقيق أهداف ينتقيها هو لنفسه فى إطار ثرواته الروحية والعقلية . أى أن أولية العقل على المادة أصبحت فى ضوء الاكتشافات الجديدة جوهر علم النفس الإنسانى الذى يعول على أهمية القيم فى دراسة النموذج الإنسانى .

وهذه النظرة العلمية الجديدة ـ فيما يرى علماء البيولوجيا ومبحث الأعصاب ـ تعيد العقل إلى مكانته فوق المادة ، وقد انتقد العالم النفسى « إبراهام ماسلو » أولئك الذين يحصرون جميع الأنشطة الإنسانية فى دائرة الدوافع والغرائز ، وعاب عليهم جنوحهم إلى علم نفس مادى يقوم على الحوافز ، موضحا أن المأكل والملبس والمأوى وما إلى ذلك هى الحاجات الأدنى ، وأن الضروريات الأسمى غير مادية ، فالعقل والإرادة باعتبارهما من أسمى ملكات الإنسان ، هما اللذان يصدران الأوامر ، ويدفعان ويوجهان فسيولوجيا الجسم وعملياته الفيزيائية والكيميائية . ومؤدى هذا أن حياة الإنسان فى جوانبها الروحية والأخلاقية والفكرية هى حقيقة مؤكدة تماما مثل حقيقة حياته البيولوجية ، ومن ثم فهو مسئول أمام

الخالق جل وعلا عن كل ذلك ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

(سورة الإسراء : ٣٦) .

من ناحية أخرى ، تعرف « الغائية » بأنها مبدأ فلسفى له طابع الضرورة والشمول والبداهة فى ربط الظواهر الكونية بالعناية الإلهية . وقد أنكر الماديون مبدأ « الغائية » على أساس أن الكون المادى يتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب ، وأن المادة لا تستطيع من تلقاء ذاتها أن تقصد هدفا أو ترسم خطة . وذهب دعاة الإلحاد إلى القول بأن الكون ليس إلا آلة تدير نفسها بنفسها ، وبالتالى فإنه لا يحتاج البتة إلى أى سبب غيبى ميتافيزيقى (من وراء الطبيعة) . أما تفسير الظواهر الكونية المختلفة فلا يخضع - حسب زعمهم - إلا لنوعين من العلل هما : الضرورة والصدفة .

لكن معلومات العلوم المعاصرة توافق التصور الإسلامى الذى يدحض هذه الأفكار الطائشة ، استنادا إلى نتائج البحث العقلانى باستخدام براهين علم الرياضيات ، وأرصاد وتجارب علوم الفيزياء والفلك . فقد فتحت نظرية النسبية لأينشتين باباً واسعاً لأهمية منطق التوحيد فى الفكر العلمى ، من خلال الجمع بين المكان والزمان والجاذبية والإنسان ، وكان من أهم نتائجها أنها زودت الباحثين بأدوات فكرية وعملية جديدة تمكنهم من البحث المفصل فى بنية الكون بأكمله ، وفى أصله ومصيره . وكان من أهم ما توصلت إليه أبحاث العلماء نظرية الانفجار الكبير التى تقضى بأن الكون قد نشأ فى لحظة محددة يرجع تاريخها إلى ما بين ١٢ و٢٠ بليون سنة إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواة فى حيز صغير جدا لا يكاد حجمه يعادل شيئا . وكانت تلك اللحظة هى بداية المكان والزمان والمادة .

ويعترف علماء الكونيات بأن « الانفجار الكبير » *Big Bang* عملية تفوق الخيال ، ولكنها مقبولة عقليا ولا يستلزم حدوثها وجود مكان قائم بالفعل ، إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الكبير ، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى ، فما الذى يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية ؟

ويخلص عالم الفيزياء الفلكية « جوزيف سيلك » إلى القول بأن بداية الزمن أمر لامناص منه ، كما ينفى الفيزيائى « جون ويلر » صفة الأبدية عن المادة والكون قائلاً : « إن عملية انكماش كبيرة واحدة من شأنها أن تنهى الكون إلى الأبد ، ولو حصل انهيار فى الجاذبية فسنكون قد وصلنا إلى نهاية الزمن » .

وهكذا فإن معطيات العلم الجديدة تقود بالضرورة المنطقية إلى اعتبار الإنسان فى مركز الغاية من إبداع الكون ، والكون الذى يستهدف ظهور الإنسان يستلزم بداهة وجود الخالق الذى يدبره ويرعى شئونه ، فسبحان القائل فى محكم التنزيل :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾

(سورة ص : ٢٧) .

رحلة الأنامل الذهبية

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

آيات الله فى خلقه تترى ، ونعمه على عباده لا تعد ولا تحصى ، فقد أوجدهم من عدم ، وأمدهم من عُدم ، ومن أولئك المحفوفين بالرعاية ، والمحاطين بالعناية ، والمشمولين بالفضل والمنة ، المكفوفون ، ذوو البصائر ، وأصحاب الأنامل الذهبية ، التى تجلت فيها آيات الله ، أصدق ما يكون التجلى ، وظهر فى حساسيتها الفائقة بديع صنعه ، وجميل إتقانه ، إذ يكمن فى هذه الأطراف الدقيقة التركيب سر تقدم أولئك الذين تلقوا قضاء الله بالرضا والتسليم ، فسعوا جاهدين بعون منه ، وتوفيق إلى ولوج دنيا العلم والمعرفة ، فسدد الله خطاهم ، وأرشدهم وهداهم ، فاستطاعوا أن يقرأوا بأناملهم ، كما يقرأ البصير بعينيه كتاب الله ، وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشتى المعارف والعلوم ، فيسعد ويهنأ . ترى ما حكاية هذه الأنامل الذهبية ؟ وما مسيرة تقدمها عبر التاريخ ؟

ذلك هو ما لفت الأنظار إليه انعقاد المؤتمر الدولى الثانى للمكفوفين ، تحت عنوان : « المكفوفون فى التاريخ .. وتاريخ المكفوفين » ، وذلك فى شهر صفر / يونيو الماضى بالعاصمة الفرنسية باريس ، وسبب اختيار باريس مكانا لانعقاد المؤتمر ، هو ارتباط هذا البلد بارتقاء أحوال ذوى البصائر ونهضتهم ، وناقش المؤتمر ثلاثة موضوعات :

الأول : الكيفية التى بها يمكن للكفيف الحصول على المواد المكتوبة بطريقة عادية ، لكن بحروف مطبوعة ، كتلك الحروف المكتوبة على بعض الأجهزة المنزلية ، كالثلاجة مثلا ، والتى يمكن للكفيف قراءتها باللمس .

الثانى : التطورات التى حدثت فى تعليم المكفوفين .

والثالث : تاريخ المنظمات التى أنشأها المكفوفون بأنفسهم ، والمنظمات التى تخدم شئونهم ، وأنشأها غيرهم من المبصرين .

وحضر المؤتمر ، وناقش الأبحاث وقدمها أناس من عشر دول ، هى :

بلچيكا ، كندا ، الدانمارك ، فرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا ، السويد ، بريطانيا ، أمريكا ، وأرجواى .

ويُلاحظ هنا ـ ولشديد الأسف ـ غياب الدول الآسيوية والأفريقية ، والعربية ، والإسلامية ، وهو غياب يتناقض تناقضا صريحا ، مع مبادىء الدين الإسلامى الحنيف ، الذى اعتنى أشد العناية بهؤلاء الناس ، كما نوه القرآن الكريم ، بنور البصيرة والعقل ، فقال فى محكم التنزيل :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾

(الحج : ٤٦) .

وبشر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَنْ فقد حبيبتيه ـ أى عينيه ـ فصبر بالجنة ، فقال فيما رواه أبو هريرة فى الصحيح : « من ابتليته بحبيبتيه ، فصبر عوضته منهما الجنة » فهل آن لنا أن نكون صورة وضيئة لدين عالمى خالد .

وتبدأ مسيرة الأنامل الذهبية برجل يدعى (فالنتين هوى) والذى عقد المؤتمر المذكور فى مقر الرابطة المسماة باسمه ، فمن هو ذلك الرجل ؟ إنه أول شخص يؤمن إيمانا جازما أن الأطفال المكفوفين باستطاعتهم ، بل من حقهم ، وواجبنا نحوهم أن يتلقوا قسطا كافيا من التربية والتعليم إذ أن مكفوفينا قبل هذا الرجل كانوا كماً مهملا ، أقصى ما يمكن أن يُعطوا من اهتمام ، هو : الانخراط فى القضايا الفلسفية المجردة ، وذلك فى خضم جيل يقول بعدم جدوى البصر لمن وُلِدَ كفيفا ، والزعم بأنه لا يستطيع التمييز بين شكل المكعب والدائرة ـ مثلاً ـ إن رُدَّ إليه بصره .

وبدت ألمعية السيد (هوى) فى عام ١٧٧١ م عندما أوجدته الصدفة بين مجموعة من الموسيقيين المكفوفين ، يعزفون فى مهرجان بباريس ، فى شكل مزرٍ أثر فيه أشد التأثير إذ كانوا يلبسون ملابس غريبة الشكل ، ونظارات سميكة صنعت من الورق المقوى ـ أى : الكرتون ـ حتى لا يرى الناس أعينهم ، وهو طبعا جهل مطبق ، إذا قورن بمعاملة المسلمين ، ونبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمكفوفين ، فقد ثبت أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخلف الصحابى الجليل عبدالله ابن أم مكتوم على المدينة المنورة ، أكثر من مرة ، وذلك فى أثناء انشغاله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالغزو ، ونشر الدعوة ، فأين هذا من أناس جعلوا من هؤلاء المساكين مصدر تسلية وغرضا للشفقة والمهانة ، ويمتلىء ذلك الرجل بالحزن العميق فيصيح قائلاً : « لأبدلن هذا الوضع المزرى المثير للسخرية والتهكم ، والباعث على الاستهزاء ، ولأجعلن المكفوفين يقرأون ويكتبون ، ولأضعن بين أيديهم كتبا ، ومجلدات ، يقومون هم بطباعتها بأنفسهم ، ولأجعلنهم يتتبعون الأحرف الهجائية بأطراف أصابعهم ، فتكون لهم طريقة كتابة وقراءة خاصة بهم ، وبمن شابههم من الصم والبكم » وكان من الصعب تصديق هذه العبارات القوية ، التى بدت فى حينها ضربا من الخيال المفرط ، ولكن مشيئة الله ـ تعالى ـ وفضله ، وعزيمة الرجال الصادقة فى حب الخير للغير تغلبت ، فكانت كما قال الشاعر :

كـان حلما فخـاطـرا فـاحتـمالا
ثم أضحى حقيقـة لاخيـالا
عمل من روائع العقـل جئناه
بـعـلـم ولم نـجئـه ارتجـالا

إنه القراءة والكتابة للمكفوفين ، ولقد تحقق هذا الحلم بالفعل عندما التقى (فالنتين هوى) بعازفة البيانو النمساوية والمؤلفة (تريزا باراديس) التى أطلعته على حروف تقرؤها بأصابعها ، استخدمت فى تثقيبها الدبابيس ، فأصبح من الممكن تتبعها بأطراف الأصابع .

الشحاذ يشحذ الهمم

ثم كانت المفاجأة الثانية أو قل الثالثة عندما تأثر (هوى) أشد التأثر بأحد الشبان المكفوفين فى سن السابعة عشرة ، وكان يستجدى الناس ، ويعمل بالتسول ، ويُسمى (فرانسوا ليسير) الذى كان باستطاعته التعرف على العملات الورقية التى يجود بها عليه أهل الخير ، فقد استطاع وببراعة قراءة ما كتب على ظهر هذه الأوراق النقدية ، من أحرف مطبوعة بالطريقة العادية ، لكنها بارزة يمكن قراءتها باللمس ، شريطة أن يتعلم الكفيف الحروف العادية منذ الصغر . وسرعان ما لمعت الفكرة فى ذهن السيد (هوى) فقال : « إذا كان ذلك الشحاذ الكفيف يستطيع التعرف على العملات الورقية بأطراف أصابعه ، فما المانع أن يقرأ المكفوفون بأصابعهم الأحرف العادية ، التى يقرأها إخوانهم المبصرون بأعينهم ؟

ومن هنا تشجع ذلك الرجل على إنشاء أول مدرسة لتعليم المكفوفين فى العالم فى باريس عام ١٧٨٤ م وكـانت تسمى « المعهـد الملكى للمكفوفين البالغين » إلى أن ألغت الثورة الفرنسية الألقـاب الملكية ، فسمى « المعهـد الوطنى للمكفوفين البالغين » .

الطفل المعجزة

وفى عام ١٨١٩ م التحق بالمعهد المذكور صبى ألمعى متوقد الذكاء فى العاشرة من عمره من قرية تسمى (كوفرى) تقع على مسافة ٢٥ ميلا ، شرقى باريس ، إنه (لوى برى) كما ينطق بالفرنسية ، والذى انتشرت طريقته فى الكتابة والقراءة بالخط النقطى البارز انتشارا عالميا ، فصارت هى الطريقة المعتمدة ، أكثر من أى طريقة أخرى فى القراءة والكتابة للمكفوفين . إنها طريقة دولية عالمية أثبتت حيويتها رغم تخرصات البعض ، بأنها طريقة بطيئة غير عملية ، وكان ممن روج لهذا المفهوم المغلوط الراحل (طه حسين) .

وبينما تلقى (بريّ) فى المدرسة تعليما ممتازا مكنه من أن يكون أعظم من أسدى للمكفوفين أنفع الخدمات وأفضلها ، لكن ذلك المعهد ، ومن سخرية الأقدار - كان السبب الأساسى فى القضاء على حياة ذلك العبقرى ، فموقع المدرسة كان شديد البرودة ، عالى الرطوبة ، غير صحى بالمرة ، مما أدى إلى إصابة أكثر من ٤٠٪ من التلاميذ بالدرن ، والسل الرئوى ، ذلك المرض الذى كان سببا فى أن يختطف الموت (لوى بريّ) وهو فى ريعان شبابه ، إذ توفى فى سن الثالثة والأربعين من عمره القصير ، والمعروف أن (بريّ) وُلِدَ عام ١٨٠٩ م وكان أبوه يعمل صانعا لأسرج الخيول مما أتاح له معيشة معقولة ، إن لم نقل مرفهة بالقياس إلى أقرانه فى مجتمع زراعى كانت وسيلته المهمة فى العمل والانتقال هى الخيل والبغال والحمير .

رب ضارة نافعة

وفى سن الثالثة تُفقأ عين الصبى اليمنى بعد لعبه بآلة حادة ، فى ورشة والده ، ثم لا يمهله القدر أكثر من عامين آخرين ، حتى تصاب عينه اليسرى بالعمى ، بسبب الرمد . وفى أيام الظلام تلك كان الأطفال من المكفوفين رهينى البيوت ، كما كان أبو العلاء المعرى رهين المحبسين ، إذ لم تكن هناك مدارس يتم إرسالهم إليها ؛ للتعليم ، وكان يستفاد بهم فى بعض الأعمال البسيطة ولحسن الحظ فقد كان والدا الطفل (بريّ) من الآباء المستنيرين ، فقد أحسنا استغلال قدراته غير العادية ، فصمما على تعليمه القراءة والكتابة ، بالطريقة العادية ، وتمكن أبوه من ابتكار آلات بسيطة استعان بها فى تعليم ابنه الحروف العادية ، فابتكر أحرفا مصنوعة من المسامير المثبتة على الخشب ، وهو ما أصبح يُعرف بـ (الكتابة المسمارية) وهى طريقة تعتمد على حاسة اللمس ـ أيضاً ـ وفى المعهد الوطنى ـ أيضاً ـ يتعرف (بريّ) ويتعلم الطريقة النقطية المعروفة ، بطريقة (بار بيير) فى الكتابة ، والقراءة الليلية ، وهى طريقة نقطية ابتكرها شارل (باربيير) وهو ضابط بسلاح المهندسين بالجيش الفرنسى يتمكن الجنود من قراءة الرسائل المكتوبة بها فى الظلام دون أن يطلع عليهم جنود الجيش المعادى .

وما نريد التأكيد عليه هنا هو أن (بريّ) ليس هو مبتكر الطريقة بالكتابة النقطية ، ولكنه طورها وحسنها ، حتى تكون طريقة عملية مقبولة يسهل تداولها ، والتعامل بها بين المكفوفين وغيرهم . فقد كان أكبر الأحرف نقطا فى طريقة (باربيير) الأصلية يبلغ اثنتى عشرة نقطة ، مما يعنى أن يكون الكتاب المكتوب بهذه الطريقة ضخم الشكل ، مقززا للنظر . وتفتقت ألمعية (لوى بريّ) التى دأب فى العمل بها ليل نهار ، فابتكر طريقة استطاع فيها أن يختزل ويختصر نقط الطريقة الأصلية ، ويقللها حتى صار أكبر أحرفها لا يزيد بحال على ست نقاط فقط ، بعد أن كانت اثنتى عشرة نقطة ، والوصول بالنقط إلى ست فقط ، لأكبر الحروف معناه ببساطة أن تكون الكتب ذات أحجام معقولة ومقبولة ، ثم توالت التعديلات والتغييرات والتحسينات على طريقة (بريّ) لكنها لم تستطع أبدا النزول بالحرف الأكبر عن ست نقاط بحال من الأحوال . وتتميز طريقة (بريّ) بالدقة الشديدة التى لا تسمح بالخطأ بسهولة إلا أن يكون سهوا أو عمدا ، فبها من الرموز ثلاثة وستون رمزا تشكل أحرف الهجاء بالفرنسية ، والإنجليزية ، والعربية ، وغيرها من اللغات ، بالإضافة إلى رموز الحساب ، والجبر ، والهندسة ، والحاسب الآلى ، مما يمكن الكفيف من التعامل مع ثورة المعلومات من (فاكس) و (بريد إلكترونى) و (شبكة المعلومات الدولية ـ الإنترنت) ناهيك عن علامات الترقيم والتشكيل فى اللغة العربية ، بالإضافة إلى إمكان رسم الأشكال المختلفة كالمربع والمستطيل والمثلث ، وغيرها من الرسومات الصعبة التى يستطيعها باقتدار وبراعة ، محترفو الكتابة بطريقة (بريّ) .

هذا ويوجد تمثال فى متحف الشمع بـ (باريس) لمخترع طريقة (بريّ) يقف فى شموخ إلى جانب العباقرة ، الذين أسهموا إسهامات كانت ذات تأثير فعال ، فى حياة البشرية ، خصوصا من ذوى البصائر .

علماء من مصر

أبو جعفر الطحاوى

٣

لفضيلة الشيخ
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من أئمة الفقه المصريين أبو جعفر الطحاوى ، وعلى الرغم من تضلعه فى الحديث إلا أن شهرته الفقهية غلبت على شهرته الحديثية .

وقد كان الطحاوى . . رحمه الله إماما لايشق له غبار ، وقد نشأ فى بيئة علماء كانوا يكنون للإمام الشافعى وفقهه كل ولاء ، وكان هو أولا من دارسى المذهب الشافعى ، ولكنه تحول عنه إلى المذهب الحنفى فبرَّز فيه وألف حتى صار من أئمته المشهورين .

اسمه ونسبه :

هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ابن عبد الملك الأزدى الطحاوى . والطحاوى نسبة إلى قرية اسمها طحا بصعيد مصر . وقد تعددت فى مصر بلاد تحمل هذا الاسم منها : طحا بوش ، وطحا البيشا ، وطحا العمودين ، وطحا الأشمونين ، وطحا المرج ، وطحا نوب ،

والتى كانت مسقط رأسه من هذه البلاد هى طحا العمودين أوطحا الأشمونين بين البحر الأعظم وبحر يوسف من أعمال محافظة المنيا التى كانت تعرف بمنية ابن الخطيب .

ويرجع فى نسبه البعيد إلى قبيلة الأزد اليمنية ، هاجر منها أجداده بعد الفتح الإسلامى واستقروا فى مصر . شأنهم فى ذلك شأن كثير من القبائل التى نزحت من الجزيرة العربية واليمن مشاركة فى الفتح الإسلامى أو وافدة بعد الفتح .

وفى رحاب تلك القرية التى ذكرناها ولد

أبو جعفر الطحاوى كما يقول السمعانى فى كتابه الأنساب ليلة الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين ، وتوفى فى ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، وبهذا يكون قد عاش اثنتين وتسعين سنة .

تحوله من المذهب الشافعى إلى الحنفى :

كان خال الطحاوى هو الإمام أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى ، وهو من علماء مصر ، صاحب المختصر على الأم للإمام الشافعى .

قال عنه ابن خلكان ، كان زاهدا عالما مجتهدا قوى الحجة غواصا على المعانى الدقيقة ، وكان إمام الشافعيين وأعرفهم بطرق الشافعى وفتاواه وما ينقل عنه .

وكان الطحاوى يدرس المذهب الشافعى على خاله المزنى . فقال المزنى يوما للطحاوى : والله لا جاء منك شىء .

فغضب الطحاوى من ذلك ، وانتقل إلى أبى جعفر بن أبى عمران الحنفى واشتغل عليه ، فلما صنف الطحاوى مختصره . قال : رحم الله أبا إبراهيم يعنى المزنى - لو كان حياً لكفر عن يمينه .

وهناك سبب آخر غير غضبة الطحاوى من خاله لعله هو الأولى فى تحوله . فقد ذكر أبو يحيى الخليلى فى كتاب الإرشاد فى ترجمة المزنى أن الطحاوى ، وكان ابن أخت المزنى ، وأن محمد بن أحمد الشروطى قال : قلت للطحاوى لم خالفت خالك واخترت مذهب أبى حنيفة ؟

فقال : لأنى كنت أرى خالى يديم النظر فى كتب أبى حنيفة ، فلذلك انتقلت إليه .

ونظر المزنى فى كتب أبى حنيفة لايقدح فى تمرسه بالمذهب الشافعى ، فالعلماء لابد أن يطلعوا على مختلف الآراء ليكونوا المفهوم الصحيح السليم للقضايا التى يعالجونها . وكان الإمام الشافعى معجبا بالإمام أبى حنيفة وقد امتدحه بشعر جاء فيه :

لقد زان البلاد ومن عليها
إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآيات وفقه
كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير
ولا بالمغربين ولابكوفة
إمام كان للإسلام بحرا
أمينا للنبى وللخليفة

ومن أقواله فيه : الناس كلهم عيال على أبى حنيفة فى الفقه .

عصر الطحاوى

وكان عصر الطحاوى عصر علم وفقه ، وكان يحكم مصر فى ذلك الوقت أحمد بن طولون ، وكان الطحاوى يتردد عليه لوعظه وتذكيره ، وكان ابن طولون يستجيب له .

وعاصر الطحاوى أيضا حاكما كان قاسى القلب شديدا على الرعية اسمه أبو منصور تكين الجزرى .

ودخل أبو منصور يوما على الطحاوى ففزع منه الطحاوى .

فطمأنه أبو منصور ، وخاطبه بقوله : ياسيدى إنى أريد أن أزوجك ابنتى فماذا ترى ؟

فرفض الطحاوى هذا العرض .

فعرض عليه أن يصله ببعض المال . فرفضه أيضا .

فازداد إكبار الطحاوى فى قلبه . فقال له أبو منصور تكين : هل أقطعك أرضا ؟ فقال الطحاوى : لا حاجة لى فى ذلك .

فقال له : سلنى ما شئت .

فقال الطحاوى : وتسمع ؟

قال : نعم .

قال : احفظ دينك لئلا ينفلت . واعمل على فكاك نفسك قبل الموت ، وإياك ومظالم العباد .

وقد أثرت هذه النصيحة فى قلب تكين . فأقلع عن ظلمه .

لقد أثرت هذه النصيحة فى قلب الحاكم لأنها خرجت من قلب ورع زاهد غير متعلق بأى عرض من أعراض الدنيا ، وهكذا يجب أن يكون العلماء إن أرادوا أن تكون لهم كلمة مسموعة .

كان الملوك قديما حكاما على الشعوب ، وكان العلماء حكاما على الملوك ، وقد انقلبت الآية وغزت الدنيا قلوب العلماء فضاعت هيبتهم من النفوس .

معاصروه من العلماء

عاصر الطحاوى عدة رجال من أصحاب الصحاح . كان عمره حين مات البخارى سبعا وعشرين سنة ، وكان عمره حين مات مسلم اثنتين وثلاثين سنة ، وشاركه الطحاوى فى روايته . وكان عمره حين مات الترمذى خمسين سنة ، وشاركه الطحاوى فى روايتين وكان عمره حين مات النسائى أربعا وسبعين سنة وشاركه الطحاوى فى روايته ، وكان عمره حين مات ابن ماجه أربعا وأربعين سنة وشاركه الطحاوى فى الرواية عن بعض شيوخه .

وكان عمره حين مات ابن حنبل اثنتى عشرة سنة .

وكان عمره حين مات يحيى بن معين أربع سنين .

وله شيوخ كثيرون منهم هارون بن سعيد الإيلى ، وعبد الغنى بن رفاعة ، ويونس بن عبد الأعلى ، وعيسى بن مثرود ، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وغيرهم .

وقد ظفر الطحاوى بثناء العلماء . قال عنه أبو عمر بن عبد البر صاحب كتابى التمهيد والاستيعاب : كان الطحاوى كوفى المذهب - أى حنفى المذهب لأن أبا حنيفة كان من أهل الكوفة - وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء .

وقال عنه أيضا : كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم مع مشاركته فى جميع مذاهب الفقهاء .

وقال عنه السمعانى : كان ثقة ثبتاً وقال عنه اليافعى فى مرآة الجنان : برع فى الفقه والحديث وصنف التصانيف المفيدة .

ولقبه السيوطى بالحافظ ، ولقب الحافظ لايمنح

لصاحبه اعتباطا ، بل يستحقه كل من كان موسوعة فى علم الحديث وروايته وحفظه .

مؤلفات الطحاوى :

يأتى فى مقدمة مؤلفاته كتاب « معانى الآثار » وهو يشهد بأسبقيته فى علمى الحديث والفقه معا ، ويدل دلالة قاطعة على حفظه وضبطه . إنه ـ كما تقول مقدمة التحقيق لهذا الكتاب ـ أُلف فى المحاكمة بين أدلة المسائل الخلافية ، حيث يسوق بسنده الأخبار التى يتمسك بها أهل الخلاف فى تلك المسائل ، ويمزج من بحوثه بعد نقدها إسنادا ومتنا ، رواية ونظرا ، بما يقتنع به الباحث المنصف ، فهو خير كتاب فى التفقيه وتعليم طرق التفقه .

ولو نظر المنصف فى هذا الكتاب لوجده راجحا على غيره من كتب الحديث المشهورة ويظهر له رجحانه بالتأمل فى كلامه وترتيبه .

يقول المحقق : ورجحانه على نحو سنن أبى داود وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ظاهر لاشك فيه ، وذلك لزيادة ما فيه من بيان وجوه الاستنباط وإظهار وجوه المعارضة ، وتمييز الناسخ من المنسوخ ، فهذه هى الأصل وعليها العمدة فى معرفة الحديث .

وأما سنن الدار قطنى أو الدارمى أو البيهقى أو غيرها فلا يقاس قدرها بقدره ولا يقارب خطوها خطوه .

وقد شرح الإمام بدر الدين العينى ـ صاحب كتاب عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ـ كتاب معانى الآثار للطحاوى فى ثمانية عشر مجلدا وجعل له عنوانا هو « نخب الأفكار فى شرح معانى الآثار » وهذا الشرح مازال مخطوطا ينتظر النور على يد بعض الغيورين من المعنيين بإحياء التراث . وكنت قد قمت بتحقيق المجلد الأول منه منذ سنوات ولكنه مازال ينتظر الطبع فى مطبعة الأنوار المحمدية التى كانت قد سبقت بطبع شرح معانى الآثار قبل ذلك فى مجلدين يحتويان على أربعة أجزاء بتحقيق فضيلة الشيخ محمد سيد جاد الحق إمام مسجد السيدة زينب رحمه الله تعالى ورحم صاحب المطبعة الشيخ على مرسى وجزاهما عن تحقيق وطبع هذا الكتاب الثمين خيرا .

كتب أخرى للطحاوى :

وللطحاوى مؤلفات أخرى تشهد أيضا بعلمه وفضله منها :

● كتاب أحكام القرآن ، وقد أشار إليه ابن خلكان فى ترجمته عنه ، ويقع هذا الكتاب فى نيف وعشرين جزءا .

● كتاب اختلاف العلماء ، قال عنه حاجى خليفة فى كشف الظنون : ويقال فيه اختلاف الروايات وهو فى مائة ونيف وثلاثين جزءا ، وقد اختصره الجصاص الحنفى المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وذكرت الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية له كتاب اختلاف الفقهاء ، وقالت د . فاطمة المحجوب : هو أحد المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية .

ولا أدرى هل هو كتاب اختلاف العلماء الذى ذكره حاجى خليفة أم هو كتاب آخر ؟

● وله كتاب الشروط الكبرى وهو يتناول البحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عن القاضى فى الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال ، وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة ، وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه ، وبعضها من علم الإنشاء ، وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية . . ذكر ذلك حاجى خليفة فى كشف الظنون .

وله كتاب الشروط الصغير فى خمسة أجزاء ، وكتاب الشروط الأوسط .

وله كتاب المختصر فى الفقه وعليه عدة شروح .

وله كتاب : بيان مشكل الآثار ، وقد ذكر أنه من آخر تصانيفه كما أن معانى الآثار من أول تصانيفه .

● وله كتاب شرح الجامع الصغير .

والجامع الصغير فى الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى المتوفى سنة ٨٧ هـ .

● وله كتاب الوصايا .

● وله كتاب الفرائض .

● وله كتاب فى مناقب الإمام أبى حنيفة .

● وله كتاب النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء .

فهذه المؤلفات تشهد بعلو كعب الطحاوى وطول باعه ، وسبقه وتقدمه وتفرده .

إن مصر كانت ومازالت مهد العلوم والفنون ، وقد بارك الله فى تربتها الزاكية فجعلها منبت الكثيرين من العلماء ، ومنشأ العديدين من أهل الفكر والفقهاء ومعظم أصحاب الرأى والنظر ، يفدون إليها فيجدون فى ربوعها ما يطمعون إليه من علم وما يحلمون به من مجد وظفر .

عن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ألا أريك امرأة من أهل الجنة فقلت بلى قال هذه المرأة السوداء أتت النبى ـ ﷺ ـ فقالت إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله تعالى لى فقال : « إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك فقالت : أصبر فقالت إنى أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا الله لها » . متفق عليه .

عبد الله بن كنون

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

للدكتور : محمد رجب البيومى

٢

عرف الأستاذ كنّون هدفه منذ بدأ يفهم التيارات المتصارعة فى وطنه ، هذا الهدف الواضح لعينه ، هو ازدهار المجد الإسلامى فى حاضره كما كان مؤتلقا فى الماضى ، والماضى بأعلامه وأحداثه وانتصاراته شىء مجسم حى فى نفس الأستاذ ، ووسيلة إعادته هى التربية الدينية القويمة التى تنشّئ الشبيبة على إحياء المجد المندثر ، وإعادة الاستقلال الغابر ، و « جامعة القرويين » هى مصدر الأمل المترقب حين تعد أبناءها ليكونوا حملة المشاعل فى دياجير الغياهب ، والأستاذ عضو شهير بمجلس إدارتها ، ورئيس لتحرير صحيفة « الميثاق » التى تنطق بلسان علماء المغرب ، وقد درس تاريخ الجامعة دراسة مستوفاة ، عرف ماضيها وحاضرها ، وأدرك ما بها من المحاسن والمآخذ ، ففى الماضى أوجدت « جامعة القرويين » أئمة وقفوا أنفسهم على خدمة الشريعة وعلوم اللسان ، وطافت لهم شهرة فى جميع الآفاق ، وقد ألم الأستاذ بشذور من أعمالهم الثقافية فيما كتبه من مقالات تحت عنوان « ماضى القرويين وحاضرها » نشرت بالمجلد السادس من مجلة « الرسالة » سنة ١٩٣٨ ، وقام الأستاذ بتلخيصها فى كتاب « التعاشيب » ، وإذا كان اهتمام الجامعة بعلوم الشريعة وعلوم العربية مما لا شك فيه ، فإن دراسة العلوم الفلسفية بها كانت فى حاجة إلى إضاءة نيرة انبعثت من مشعل الأستاذ حين تحدث عن انضمام الأندلس إلى المغرب فى أيام المرابطين ، فوجد من أساتذة الأندلس من قاموا بالنشاط الفلسفى على أحسن وجوهه ، يقول الأستاذ[1] :

(١) التعاشيب للأستاذ كنون ص ٥٧٩.

ومن رسل الثقافة العلمية من أهل الأندلس إلى المغرب أبو بكر بن باجه ، الفيلسوف والعالم الطبيعى والرياضى الطبيب ، ومنهم أبو العلاء بن زهر الطبيب البارع المدقق فى تشريح الأمراض ، وابنه أبو مروان صاحب كتاب « التيسير فى المداواة والتدبير » ، ومضى يتحدث عن ابن رشد وابن الياسمين ، ويوسف بن سمعون ، وابن البناء العددى ، وابن أبى ربيع العالم الرياضى ، والجاديرى وأبى القاسم النباتى وأبى القاسم الغول ، وابن حميدة وعبد الرحمن الفاسى مؤلف الأقنوم فى مبادىء العلوم ، وعبد الوهاب إدراق ، وابن شقرون ، وكل هؤلاء حكماء أطباء رياضيون يكتبون فى الفلسفة بمعناها القديم الذى يشمل الرياضيات والطبيعيات ، وكل منهم يحتاج إلى دراسة علمية تتوافر أسبابها بالاطلاع على ما تركوا من المؤلفات .

هذا عن الماضى أما الحاضر ، فقد أشار الأستاذ إلى فترة الهمود التى أعقبت فترة الحركة ، وهى دورة نراها دائما فى تواريخ العلوم والعلماء ، وقد مرت بالأزهر كما مرت بسواه ، هذه الفترة تمثل فترة انكماش واكتناز ، وفيها تنحصر الدراسة فى علوم الشريعة وعلوم اللسان على نحو تقليدى لا أثر فيه للابتكار ، ويرى الأستاذ للخلاص من هذا الهمود أن تعود الدراسة إلى محيطها الشامل الفسيح ، وذلك بأن[٢] (تتعدد أقسام الجامعة فتخصص كلية للدراسات الإسلامية المحضة ، وهى الأصل فى إنشائها ، ثم تخصص كلية للأدب تصل ما انقطع من مسائله بما جد من قضاياه المختلفة فى العهد الحاضر ، وكليتان للطب وللعلوم نسد بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية العملية العصرية التى مافتئنا نسمع التبشير بها ، والوعد باستقبالها منذ ربع قرن ولا نجد لها أثرا) ولعل الأستاذ قد قر عينا حين رأى هذا الوعد قد تحقق فى المغرب على نحو محمود .

هذا عن التعليم ، أما جهاد الرجل فى تحطيم أفكار الاستعمار ، والدعوة إلى الاستقلال التام دون انتماء إلى اتجاه أوروبى ، فقد أبلى فيه بلاء حسنا ، وجهاده فى هذا النطاق لم يخرج عن قضية التعليم ، فقد حرص المستعمرون على محو اللغة العربية من البلاد ، وانتهجوا فى ذلك طرقا شتى باءت بالفشل الذريع ، وأول هذه الطرق محو

(٢) التعاشيب ص ٨٧ .

اللغة العربية نهائيا وقيام اللغة الفرنسية مقامها ، وهو ما عبر عنه المسيو (جود فورى منين) إذ قال فى بحث له عن التعليم المغربى « من الخطر أن نترك كتلة ملتحمة من المغاربة لغتها واحدة ، وأنظمتها واحدة ، يجب أن نستعمل لفائدتنا الحكمة القديمة (فرق تسد) ووجود العنصر البربرى أداة نافعة لحفظ التوازن مع العنصر العربى ، ومن الممكن أن نستعمله ضد الحكومة المراكشية نفسها !

وهذه خطة أولى ثبت فشلها ، لأن قيام الكتلة البربرية مقام العربية بالمدارس لم يثمر أدنى ثمرة فى التغلب على العربية ، حين أسس الاستعمار مدارس خاصة بأبناء البربر جعلت تدرس البربرية والفرنسية فحسب ! فلم تجد شيئا ، وإزاء هذا الإخفاق رأى المسئولون أن تقوم اللغة الفرنسية وحدها مقام اللغتين لأنها لسان المدنية والحضارة ، وحاولوا كثيرا من الجهد الذى أسقطه علماء القرويين ومشايخ الكتاتيب ، ووعاظ المساجد فى التحذير من هجر العربية ، ففشلت الخطتان معا !!

وقد كتب الأستاذ الكبير علال الفاسى بحوثا ضافية(٣) تسجل خطوات هذه المكيدة ، وتعلن فشلها ، ثم رأى القوم أن يرجعوا إلى شىء معقول فى رأيهم ، وهو محاربة اللغة العربية الفصيحة عن طريق استعمال اللغة العامية الدارجة على لسان الشعب لتصبح لغة الكتابة والقراءة والبحث ، وقد كتب المستشرق (م. كولان) بحثا تحت عنوان (العامية المغربية) يدعو إلى هذا النهج بعد مقدمات ماكرة تعرض كيف أخفقت الفصحى فى رأيه عن مجاراة العصر ، ويرى أحد حلين ، أن يستغنى عن اللغة الدارجة والعربية مع تعميم اللغة الفرنسية ، وجعلها أداة الثقافة ، والحل الثانى هو ما اتجه إليه المسيو (جود فورى منين) من إحلال اللغة العامية الدارجة ، واستبعاد اللغة العربية ، وأوضح أن (م. كولان) كان يرحب بالحل الأول ، ويتمنى تحقيقه ولكنه جاء بالحل الثانى لاعتقاده عدم قبول ما يراه ، فإذا تعذرت الفرنسية فلتكن العامية الدارجة ، فهذا أهون من رسوخ العربية ذات الخطر بمبادئها وقرآنها ، وتراثها الحفيل ! وقد واجه الأستاذ عبد الله كنون مقترحات (م. كولان) بنقد هادم مسهب لا سبيل إلى ذكره جميعه ، ولكننا نلتقط منه مايمحوه محوا على إيجازه ، قال الأستاذ كنون بتصرف كبير فى حذف بعض المسائل نظرا لضيق المقام(٤) :

إن الأزمة التى يتحدث عنها الأستاذ المذكور لا وجود لها إلا فى مخيلته ، وفرنسا قد مضت على فرنسة التعليم منذ نزلت هذه البلاد ، ولكنها لم

---

(٣) تراجع بحوث السياسة البربرية فى مراكش ، للأستاذ علال الفاسى باعداد مجلة المسلمون السنة الأولى سنة ١٣٧١ .
(٤) التعاشيب ص ١٠١ .

تقدر أن تخلق هذه الأزمة ، لأن الشعب المغربى جد متمسك بعربيته ، ويقدمها فى الطلب على كل لغة أخرى ، كما أن عامية المغرب هى أقرب اللهجات إلى الفصحى لكثرة ما تشتمل عليه من الكلمات الفصيحة ، وهى لاتزال محتفظة بتصاريف الأفعال ، ومراعية الفرق بين المذكر والمؤنث وما إلى ذلك ، وقد سلم المغرب من ذلك التسلط الأعجمى بالنسبة لدول عربية أخرى ،

وبقى محتفظا بصيغته العربية ، وزاده قربه من الأندلس استعرابا وشدة تمكن من العربية ، وإذن فليس فى المغرب أزمة لغة ، وإن كانت هناك أزمة فهى أزمة التعليم ، لأن المغرب - حين كتابة الرد - ليس فيه غير ثلاث مدارس ثانوية ، وهى كالمدارس الابتدائية قرر التعليم فيها بالفرنسية وحدها ! أما العربية فتلقى كلفة إضافية فى حصص قليلة جدا ، وليس بالمغرب تعليم عال أصلا لا بالفرنسية ولا بالعربية ، ماعدا التعليم الدينى بالقرويين ، ولا أدل على سوء نية الاستعمار فى المغرب من أن المستعمرين أرادوا عام ١٩٣١ أن يتبعوا مذهب (فرق تسد) وراحوا يدخلون فى روع أهل المغرب أنهم نشأوا من أصلين عربى وبربرى ليثيروا الحفائظ بين أولئك وهؤلاء ، ولكن أهل المغرب تنبهوا لهذه الدسيسة وثاروا عليها فباءت بالخذلان » .

إن إحساس عبد الله كنون بأصالة المغرب دينا وثقافة وحضارة دفعه إلى الإشادة به ، ومجابهة من يقف فى وجه هذه الأصالة ! وقد أشرت من قبل إلى بعض آثاره المنشورة فى إحياء ذكرى النوابغ من بنى وطنه ، وقد أدت هذه الآثار دورها على الوجه الأكمل ، وأنقل هنا بعض ما قالته مجلة الكتاب عن أثر قيم للأستاذ كنون لم أشر إليه من قبل ، وهو كتاب (مدخل إلى تاريخ المغرب) حيث قالت(٥) :

« وقد لفت نظرنا فى هذا الكتاب أن المؤلف حرص على أن يصور عصور المجد والازدهار والتقدم فى بلاد المغرب تصويرا رائعا يجعل القارىء ينزع إليها ، حتى تتمثل صورة الوطن المغربى فى نفوس أبنائه ، وهى فاتنة المعارض ، بعيدة عن الصور القاتمة السود التى تعج بالاختلافات والاضطرابات فتتمثل أمام النشء فى أسوأ معارضها ، ولم يفت المؤلف وهو فى معرض القص التاريخى أن يصور الحالة الاجتماعية والأدبية فى كل عصر من العصور حتى يستطيع القارىء أن يتابع مدى التطور الذى خضعت له البلاد فى سلسلة الدول المتعاقبة عليها ، وبهذا صار الكتاب مرآة صادقة تتجلى فيها أحوال المغرب وأخباره فى معرض من التحقيق الذى حرص المؤلف عليه فى بعض المسائل الخلافية ، حتى يكون ميزان الحكم صحيحا لا يميل عن صواب ، ولا ينحرف عن حق » .

(٥) مجلة الكتاب - اكتوبر سنة ١٩٥٢ .

وقد تعددت رحلات الأستاذ إلى القاهرة ، ليلقى فى مؤتمراتها العلمية بحوثه الرصينة ، فكان ما يختاره من هذه البحوث ذا صلة حميمة بالمغرب ورجاله ، وأذكر أنه فى أول مؤتمر شهده لمجمع اللغة العربية قد جعل موضوع حديثه (أثر المغرب فى العلم واللغة) وهو موضوع يحتاج إلى كتاب مستقل لا إلى بحث يلقى فى مؤتمر علمى ، ولكن الأستاذ قد اصطفى من العناصر العلمية ما يشبع السامع ويقنعه مادة وتعبيرا ، فقد أعلن أنه باختياره هذا الموضوع يؤدى واجب التعريف ببلاده ذات المجد الحفيل ، وبعد أن أفاض فى ذكر التقدم الحضارى فى المغرب الحديث والقديم قال : وباستطاعتكم أيها الزملاء الكرام أن تذهبوا معى إلى بلادكم المغرب فتشاهدوا بأم العين معالم هذه الحضارة ماثلة أمامكم فى أسلوب البناء وفن المعمار ومايزينه من زخارف ونقوش ، وتوريق وتذهيب وتطعيم وتنزيل ، وأسهب كثيرا فيما يجرى هذا المجرى بإشباع وإمتاع ، ثم انتقل إلى الآثار العلمية لأدباء المغرب وباحثيه فاختار بضعة أعلام من كبار القوم لينوه بما أبدعوه من الجديد ، وقد فوجئت فى حديثه بشىء لم أعرفه وأسجله هنا لطرافته ، حيث أعلن أن المغرب يكتب أرقام الحساب على النمط الأوروبى فى رأى من لم يعرف حقائق التاريخ ، لأن الأرقام الأفرنجية هذه أرقام عربية أدخلها البابا سلفيسترى الثانى إلى أوروبا ، وأشاعها هناك حتى حلت محل الأرقام الرومانية لسهولتها وضبطها ، والعرب أولى باستعمالها لأنها منهم وإليهم ، أما الأرقام الذائعة فى المشرق فمجلوبة من الهند ، وأولى بالعرب أن يرجعوا إلى أرقامهم التى أهدوها إلى العالم المتمدن معتزين بها ، وتلك حقيقة مدهشة سجلتها كتب التراث المغربى ، ووقف عليها الأستاذ كنّون فى كتاب (تلقيح الأفكار لابن ياسمين الرياضى المغربى) ، وهو مخطوط محفوظ بالمكتبة العامة بالرباط[٦] .

وتتابعت محاضرات الأستاذ فى المؤتمر اللغوى وهى تدور حول التراث العلمى للمغرب ، وأشير إلى محاضرتين رائعتين إحداهما عن ابن البناء العددى ، والثانية عن ابن رشد الفقيه ، أما ابن البناء فهو نابغة الرياضيات الذى شملت مؤلفاته علوم الجبر والحساب والمقابلة ، والعددى نسبة إلى العدد وهو ما يشمل الرياضيات جميعها ، كما كانت ميزته العلمية فيما كتب عن علم الفلك ، وهى ميزات شهد بها أساطين العلم الغربى فى أوروبا من أمثال سارطون وديكه وسوتر ، وكان المظنون بابن البناء أن اشتغاله بالعلوم الرياضية قد عاقه عن التبحر فى العلوم الإسلامية والعلوم العربية ، ولكن الأستاذ كنون ذكر له خمسة وثمانين كتابا بأسمائها منها اثنان وثلاثون كتابا فى بحوث التشريع واللغة ، وأربعة عشر كتابا فى العلوم الرياضية ، وثلاثون كتابا فى المؤلفات الفلكية ،

---

(٦) مجلة مجمع اللغة العربية ـ الجزء الحادى والعشرون سنة ١٩٦٦ ص ٢٨ .

وباقى المؤلفات فى المسائل الفلسفية الحكمية ، وهذا الجهد العلمى جبار فى تنوع مسائله ، واختلاف مواده ، وقد أفصح المحاضر عن ذلك بما لا مزيد عليه ، كما وقف عند أمور نسبت إليه تعد من الخوارق ، وحاول تعليلها تعليلا علميا ، كما حاول دحض ما اتسم بالمبالغة فى كثير منها ، فصدر عن فهم ناقد ، وبصر سديد(٧) .

وأما ابن رشد فقد خصه الأستاذ ببحث عن فقهه التشريعى لأن الكتابة عن فلسفته كثيرة ، ولم تنل بحوثه الفقهية كثيرا من الاهتمام حتى تنوسيت أو كادت ، مع أنه من أئمة المذهب المالكى ، ولا يقل كفاءة ودراية عن أعلام هذا الميدان ، لذلك اختصت محاضرة الأستاذ بإيضاح هذه المنزلة الرفيعة للفيلسوف فى مضمار الفقه ، وقد ذكر إحاطة ابن رشد بمذهب مالك ، مع عدم التقيد به إذا كان فى المذاهب الأخرى التى يعرضها عرضا موفقا مايرجح الذائع المشهور فى المذهب المالكى ، وقد أخذ على المذهب مخالفته للأصول فى بعض المسائل ، وعلل ذلك بعدم وصول النص إلى الإمام ، أو عدم صحته لديه ، فهو فى صميمه لم يتخل عن المذهب المالكى ، ولكنه واسع النظرة شامل الاطلاع ، وبنظره الواسع أوجد مدرسة جديدة فى الفقه المالكى ، كما انتقد مسائل كثيرة فى المذاهب الأخرى وألزم أصحابها بالرجوع إلى القواعد الأصولية التى اصطلحوا عليها ، ولم يقتصر فى الإشادة بالمذاهب الفقهية على المشتهر منها ، بل ناقش غير المشتهر مؤيدا ومعارضا ، وله اهتمام بارز بالعلامة الأندلسى الكبير ابن حزم ، على أنه انتفع كثيرا بمعلوماته الطبية والطبيعية والفلكية فى الترجيح والاختيار للأقوال ، وبناء الفقه على النظر العلمى الصحيح ، وقد لاقت محاضرة الأستاذ كنون اهتماما كبيرا من أعضاء المجمع ، وعقب عليها الدكتور إبراهيم مدكور ، والأستاذ محمد ميرة الأثرى ، والأستاذ عباس حسن ، والشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد تعقيبا ناقدا مقدرا ، ذلك كله مسجل بمجلد البحوث والمحاضرات الخاصة بالدورة الرابعة والثلاثين سنة ١٩٦٨ .

هذه إلمامة موجزة بحياة الأستاذ العلمية وبها إشادة ببعض ما أخرج من الذخائر العلمية ، وقد لاحظت أنه يختار لبعض آثاره أسماء تدل على التواضع الأدبى مثل (التعاشيب) (وخل وبقل) ومايدور هذا المدار وهو طريق سبقه إليه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى حين سمى كتبه بمثل (خيوط العنكبوت) و (حصاد الهشيم) و (قبض الريح) مع أن كثيرا من القدماء كانوا يسمون كتبهم أسماء ذات صلف وبريق مثل (عرائس المجالس) (زهر الآداب) (بدائع الزهور) ولكل عصر اتجاهاته ، بل لكل مؤلف مشربه الحبيب ، وقد لبى نداء ربه سنة ١٩٩٠ على حين كان مولده سنة ١٩٠٨ ، فعاش عمرا سعيدا بالعمل ، حافلا بالجهاد ، وترك آثارا شاهدة يقرؤها الدارسون فى ثقة وإعجاب ، وله منهم الثناء الحافل ، ومن الله جزيل الثواب .

---

(٧) البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين للمجمع سنة ١٩٦٦م ص ٢٠٥ ومابعدها .

فضيلة الشيخ
محمد زكى إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية

للشيخ : محيى الدين حسين يوسف الإسنوى

وهـــم فاخرونـــى بالـــذى عـــز عندهـــم ... مـــن العـــرض الفانـــى وذو الجهـــل يجتـــرى

فقلت لهم : فـــخرى بـــأنى مـــسلم ... وأنـــى صـــوفـــى ، وأنـــى أزهـــرى

بهذا أجاب شيخنا ـ رحمه الله ـ من افتخر عليه بمناصب الدنيا وزينتها ، من المال والجاه . وأى فخر أعظم من الفخر بالإسلام ، والتصوف الإسلامى الصحيح ، والانتساب إلى الأزهر الشريف ، منارة العلم والعلماء .

وإذا كنت أكتب ترجمة لعالم جليل من أعلام الأزهر ، بما لزمته وأخذت عنه ، وخبرت علمه وفضله عن قرب ، فإنى أقر أن ما أذكره هنا قل من كثر ، وغيض من فيض ، من غير مبالغة ولا تهويل .

*** مولده ونشأته :**

هو شيخنا وأستاذنا الإمام الفقيه ، المحدث ، الشاعر ، بقية السلف الصالح : محمد زكى إبراهيم ، رائد العشيرة المحمدية ، الملقب بـ زكى الدين ، وكنيته : أبو البركات ، شريف حسينى أباً وأماً .

ولد ـ رحمه الله ـ فى القاهرة بمنزل والده بحى بولاق أبى العلاء ، ولد فى ١٩١٦/٨/٢٢ ، وبرفى فى السابع من أكتوبر ١٩٩٨ م فيكون قد قضى من العمر فى هذه الحياة الدنيا ٨٢ عاما .

ووالده هو العالم الأزهرى الشيخ إبراهيم الخليل

ابن على الشاذلى ، أحد أصحاب الشيخ مصطفى المراغى ، ومن مؤلفاته : كتاب (المرجع) ، سلسلة مقالات نشرت فى جريدة الإخوان سنة ١٩٣٢ م ، كما أن له بعض المقطوعات من الشعر الروحى الرائق ، وقد جمعتها فى رسالة مطبوعة .

أما جد الشيخ لأمه فهو الشيخ محمود أبو عليان من تلاميذ الشيخ عليش شيخ مالكية عصره ، وقد ترجم له الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى كتابه عن التصوف .

*** تخرجه فى الأزهر:**

وقد كان لنشأة الشيخ محمد زكى إبراهيم فى هذا الجو العلمى الصوفى الأزهرى ، أكبر الأثر فى تكوينه العلمى والروحى ، فتلقى العلم ابتداء على يد والده ، وحفظ القرآن على يد الشيخ جاد الله عطية فى مسجد السلطان أبى العلاء ، والشيخ أحمد الشريف بمسجد سيدى معروف ، وكان حينئذ ما بين التاسعة والعاشرة من عمره .

ثم التحق بمدرسة (درب النشارين الابتدائية) ، وكان الابتدائى حينئذ يوازى المرحلة الاعدادية الآن ، ثم انتقل منها إلى مدرسة (نهضة بولاق الكبرى) وكانت من أشهر المدارس فى ذلك الوقت .

ثم التحق بالأزهر فأخذ فيه المرحلة الثانوية ، ثم حصل على شهادة العالمية القديمة .

وقد ذكر لنا الشيخ ـ رحمه الله ـ كيف أدى امتحان العالمية ؟ ! وكان ذلك فى مجلس خاص معه (وهو مسجل عندى بصوته) قال رحمه الله :

كنا يوم الامتحان نصلى الفجر فى مسجد الإمام الحسين (الطالب واللجنة) . ونحضر درس الشيخ السمالوطى بعد الفجر ، وكان يحضره العلماء باعتبارهم تلاميذ للشيخ ، ثم ننتقل لصلاة الضحى فى الأزهر الشريف ، وتذهب اللجان إلى الرواق العباسى فى عدة غرف ، فى كل غرفة لجنة ، ويدخل الطالب ومعه أوراقه وكتبه ، التى تم تعيين الامتحان فيها ، وكان رئيس اللجان الشيخ عبد المجيد اللبان ـ رحمه الله ـ وظللت أمام اللجنة حتى أذان العصر ، وعند ذلك ختم الامتحان بالصلاة الشافعية (اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله .. إلخ) وكان الختم بهذه الصيغة إيذانا بنجاح الطالب وحصوله على العالمية الأزهرية ..

وأذكر أنهم حددوا لى فى علم البيان (تحقيق الخلاف بين السعد التفتازانى والسيد عبد القادر الجرجانى فى الاستعارة المكنية) .. وفى النحو باب المبتدأ والخبر ، وفى التفسير آية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾ (آل عمران ـ ٧) ..

هذا ما ذكره الشيخ عن امتحانه العالمية الأزهرية ..

*** الشيخ والثقافة المدنية :**

وقد تعلم الشيخ ـ رحمه الله ـ الإنجليزية فى المرحلة الابتدائية ، وتعلم الفرنسية على يد الأستاذ داود

سليمان من أعيان أسيوط ، والألمانية بالقاهرة على يد الأستاذ راغب والى ، وكان مدرسا بالمدرسة الألمانية بالقاهرة ، وقد ترجم الشيخ قصائد هاينى رش هاينى من الألمانية للعربية ، وتعلم الفارسية على يد الشيخ محمد حسن الأعظمى الإيرانذ عضو جمعية الأخوة الإسلامية ، وترجم عدداً من قصائد إقبال إلى العربية .

وعندما اتهم بعضهم الشيخ بأنه شيخ أزهرى (معمم ومطربش) لا يدرى من علوم الدنيا شيئا إذا بالشيخ يرد عليه بأنه قد درس العلوم والآداب الغربية والمدنية الحديثة ، حتى أنه يستطيع أن يفرق بين موسيقى باخ وغيرها ، وبين لوحات بيكاسو وغيرها . . إلخ .

*** الشيخ ورواية الحديث :**

وبالإضافة إلى ما تلقاه من الفقه والتفسير والحديث بالأزهر الشريف اهتم شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم بتلقى علوم الحديث (رواية ودراية) على يد شيوخ عصره المرموقين منهم . . . وكذا الأصول واللغة ، ومما جاء فى إجازته :

وأخيراً . . وبالتالى وعلى الإجمال ؛ فإننى أروى قراءة ، وسماعا ، ووجادة ، وإجازة ، بالإذن الموصول والمكرر بالإثبات ، والجوامع ، والفهارس ، والأسانيد ، والمعاجم ، والمسلسلات ، والمختصرات ، عن أشياخى الأماجد الأكرمين : سيدى محمد حبيب الله الشنقيطى ، وسيدى علوى بن عباس المالكى الحسنى ، وعن سيدى أحمد الصديق الغمارى ، وشقيقه السيد عبد الله الصديق الغمارى ، وسيدى محمد زاهد الكوثرى ، نائب عام شيخ الإسلام بتركيا قبل الانقلاب ، وسيدى أحمد عبد الرحمن البنا ، وسيدى الشيخ المعمر السيد محمد عبد الله العربى العاقورى الليبى المصرى ، وسيدى الشيخ إبراهيم الغلاييني الدمشقى ، وسيدى الشيخ حسن حبنكة الميدانى السورى ، وسيدى الشيخ البيلاوى المصرى ، وسيدى الشيخ حسنين مخلوف المفتى المصرى ، والشيخ الحسينى أبو هاشم الأزهرى المصرى ، والشيخ المبشر الطرازى مفتى البلقان وآسيا الوسطى قبل الشيوعية ، والشيخ يوسف الدجوى المصرى ، وسيدى الشيخ محمد بخيت المطيعى المفتى المصرى ، وسيدى الشيخ محمد الحافظ التيجانى ، والشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ، والشيخ الخضر حسين المغربى شيخ الأزهر ، والأمير عبد الكريم الخطابى المجاهد المغربى ، والسيد اليمنى الناصرى الشاذلى المغربى المجاهد ، والشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف الأزهرى من علماء الحديث بمصر ، وبقية أشياخى ممن سبق ذكر بعضهم - رضى الله عنهم - وعن والدى السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلى ، بإسنادهم المحررة بأثباتهم ، عن أشياخهم عموما بمروياتهم من التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والمنطق ، والسيرة ، والمصطلح ، وعلم الرجال والتوحيد ، وعلوم القرآن ، والعقائد ، وفروع اللغة العربية ، والثقافة العامة ، والتصوف الصحيح ، وخصوصا كتب القشيرى والغزالى والسهروردى وغيرهم مما أشرت إليه وما فاتنى أن أشير إليه .

*** ثناء العلماء عليه :**

● قال الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه (المدرسة الشاذلية) ، والشيخ الحسينى أبو هاشم والدكتور أحمد عمر هاشم فى كتابهما المشترك (المحدثون فى مصر) ، وأثنى عليه المحدث الشيخ عبد الله الصديق الغمارى فى كتابه (سبيل التوفيق) ، وأثنى عليه أيضا الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه (مذكرات سائح فى الشرق) ، والشيخ أحمد حسن الباقورى فى كتابه (قطوف) الذى نشرته مؤسسة الأخبار ، والشيخ محمد الغزالى فى كتابه (الجانب العاطفى فى

الإسلام) ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فى كتابه عن التصوف . .

*** المناصب التى تولاها :**

بعد أن حصل الشيخ ـ رحمه الله ـ على العالمية الأزهرية لم يجد عملا فى ذلك الوقت ، حتى تقدم للتدريس بالمدارس الأميرية بمحافظة بنى سويف ، وظل هناك مؤديا عمله عدة سنوات ، ثم عاد إلى القاهرة مدرساً أيضا ، وظل يتدرج فى وظائف التعليم المختلفة ، حتى أصبح رئيسا للسكرتارية العامة للتعليم الحر المسمى بالتعليم الخاص الآن ، ثم عين مفتش قسم ، وكان القسم وقتها يعنى القسم الإدارى .

وقد عمل أيضا : أستاذاً ومحاضراً للدراسات العليا بالمعاهد العالية ، ومعهد الدراسات الإسلامية ، ومعهد إعداد الدعاة ، وحاضر ـ أيضا ـ فى بعض الكليات الأزهرية ، ودورات إعداد الأئمة والوعاظ والبعوث الإسلامية .

وعمل مديراً لمؤسسة (الزفاف الملكى) والتى سميت بعد الثورة (مؤسسة البر الأميرية) .

*** اشتغاله بالصحافة والمقال :**

اشتغل شيخنا الإمام محمد زكى إبراهيم ـ رحمه الله ـ بالكتابة فى الصحف والمجلات (السيارة والإسلامية) منذ أواخر العشرينيات ؛ فكتب فى مجلات : الأزهر ، ومنبر الإسلام ، واللواء الإسلامى ، وعقيدتى ، والأخبار ، والأهرام ، والجمهورية . .

كذلك كتب فى : لواء الإسلام ، والإسلام ، والمسلم ، والخلاصة ، والعمل ، والتصوف الإسلامى ، وجريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية ، والسياسة الأسبوعية ، والفجر ، وأبولو . . وغيرها من المجلات . .

واشتغل فى الخمسينات بتحرير وإدارة مجلة (الخلاصة) لصاحبها سيد مصطفى أمين رابطة الإصلاح ، ثم بتحرير وإدارة مجلة (العمل) لصاحبها عبد العليم المهدى ، ثم أسس مجلته (المسلم) سنة ١٩٥٠ م ، وقام بتحريرها وإدارتها .

وقد تنوعت مقالات الشيخ وكتاباته ؛ فكان منها المقال الدينى ، والاجتماعى ، والتاريخى ، والأدبى ، والسياسى ، وكان منها البحث الأكاديمى ، والمقال الصحفى .

*** مؤلفاته العلمية :**

ترك لنا شيخنا ـ رحمه الله ـ ثروة علمية هائلة : أكثر من مائة كتاب ورسالة فى العلوم الدينية ، كما ترك لنا مئات البحوث والفتاوى والمقالات والخطب والدروس (بعضها مكتوب وبعضها مسجل) ، وقد وفقنى الله لمراجعة وتحقيق وطباعة بعض كتبه فى حياته رحمه الله ، ومن كتبه المطبوعة :

١ ـ أبجدية التصوف الإسلامى : عن أهم وأكثر ما يدور حول التصوف الإسلامى ، فيما هو له وما هو عليه ، بين أعدائه وأدعيائه .

٢ ـ أصول الوصول : أدلة أهم معالم الصوفية الحقة من صريح الكتاب وصحيح السنة .

٣ ـ الخطاب : خطاب صوفى جامع من الإمام الرائد إلى أحد كرام مريديه .

٤ ـ فواتح المفاتح : الدعاء وشروطه وآدابه وأحكامه .

٥ ـ أهل القبلة كلهم موحدون : يبين أن أهل القبلة كلهم موحدون ، وكل مساجدهم مساجد التوحيد ، ليس فيهم كافر ولا مشرك ، وإن عصى وخالف .

٦ ـ الأربعون حديثا الحاسمة ردعا للطوائف المكفرة الآثمة . .

٧ ـ حكم العمل بالحديث الضعيف : حول جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال بشرطه عند علماء الحديث ، وإن الضعيف جزء من الحديث المقبول عند أهل هذا الفن .

٨ ـ مراقد أهل البيت فى القاهرة : يحقق أن رأس الإمام الحسين رضى الله عنه والسيدة زينب وغيرهما من آل البيت بالقاهرة ، تاريخا وواقعا .

٩ ـ قضية الإمام المهدى : فى تأكيد أن المهدى حق ، ولكن لم يأت زمانه بعد عقلا ونقلا .

١٠ ـ ديوان البقايا : شعر صوفى واجتماعى فنى معاصر عميق .

١١ ـ ديوان المثانى : الجزء الأول ، والجزء الثانى : مثانى من الأبيات الشعرية تستغرق أغراضا مختلفة ، وحكما وتوجيهات ، وآدابا وصوفيات رائعة .

١٢ ـ أمهات الصلوات النافلة : الصلوات النافلة ومسائلها وأحكامها من الكتاب والسنة .

١٣ ـ ليلة النصف من شعبان : قيامها ، فضلها ، الدليل الحاسم على إحيائها .

١٤ ـ عصمة النبى ونجاة أبويه وعمه : رد على أقوال المنكرين ، وتأكيد العصمة وحلول المشاكل المدعاة حولها بقواطع الأدلة .

١٥ ـ بركات القرآن على الأحياء والموتى : من الحديث النبوى .

١٦ ـ حول معالم القرآن : على طريقة المحدثين فى قضايا ومعلومات قرآنية هامة .

١٧ ـ معالم المجتمع النسائى فى الإسلام : أحكام وقضايا النساء المختلفة بأسلوب علمى ميسر .

١٨ ـ فقه الصلوات والمدائح النبوية : بحث جديد فى فقه السيرة من الصلوات ومدائح الشعر والنثر قدمه للأزهر فى مؤتمر الفقه والسيرة العالى ـ مجمع البحوث الإسلامية العاشر .

★ الشيخ والدعوة إلى الله :

كان شيخنا ـ رحمه الله ـ مثالا للداعية الإسلامى الرشيد ، الذى وهب كل حياته للدعوة ، على الرغم من مرضه الذى ألزمه بيته نحوا من عشرين عاما ، فإنه ما انعزل عن العالم أبدا ، وما ترك عادته فى الدرس والمحاضرة ، واستقبال عشرات الزوار يوميا ، والرد على اتصالاتهم الهاتفية ، كما كان من عادته أن يقرأ الصحف يوميا ، متابعا ما يحدث فى العالم من أحداث وأفكار ودعوات ، ويختار من تلك الجرائد والمجلات المقالات والقصاصات ويجمعها فى أرشيف خاص حسب الموضوع .

أسس الشيخ ـ رحمه الله ـ جمعية العشيرة المحمدية سنة ١٩٣٠م ، لتكون وسيلته للدعوة الإصلاحية الإسلامية الصوفية .. وجعل من مبادئه الاهتمام بالفرد والجماعة ، ومن أقواله (المجتمع فرد مكرر : إذا صلح الفرد صلح المجتمع) .

وقد عمل أمينا ورائدا دينيا لجمعية الشبان المسلمين ، والمؤتمر القرآنى ، وعضوا فى الهيئة العليا للدعوة بالأزهر ، وعضوا مؤسسا لعدد من الجمعيات الإسلامية .

ومما يحفظه التاريخ تلك المؤتمرات والندوات التى قام بها فى السبعينيات من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية ، وقد شاركه شيخ الأزهر عبد الحليم محمود الذى كان نائبا للشيخ فى مجلس إدارة العشيرة المحمدية .

ثم مشاركته ـ رحمه الله ـ فى اللجان التى أنشئت من أجل تقنين الشريعة ..

كما كان له الفضل فى إنشاء مكتب رعاية المهتدين إلى الإسلام بالأزهر الشريف ، والذى ما زال يؤدى مهمته إلى الآن .

★ مناظرات ومساجلات علمية :

وقد كان للشيخ مناظرات ومساجلات مع بعض معاصريه من الشيوخ والعلماء ، ممن اختلف معهم فى الرأى ، والاختلاف طبيعة بشرية ، وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ قوى الحجة ، طوع الله له اللغة والبيان ، كما كان ملتزما بأدب العلم والمناظرة فى كل ذلك ، وليس أدل على ذلك من رفضه نشر خطاب يسىء لبعضهم بخط يد ذلك البعض ، وكان قد سبق إلى الله ، فأبى وقال : إن حرمة الموت تمنعنى من نشره ، وإن كان مافيه حقا إلا أن فيه إساءة كبيرة له .

ولعل أشهر هذه المناظرات ما كان بينه وبين الداعية الشيخ محمد الغزالى ـ رحمه الله ـ حول عبادة الرغبة والرهبة ، تلك المناظرات التى استمرت ستة أشهر على صفحات الأخبار ، والمسلم ، ولواء الإسلام .

ثم ماكان بينه وبين الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والدكتور سيد رزق الطويل ، والدكتور إبراهيم هلال ، والأستاذ حسن قرون وأحمد سالم وغيرهم . . وفى كل تلك المناظرات التزم الشيخ ـ رحمه الله ـ الأدب الصوفى الرفيع ، والبحث العلمى النزيه ، والحجة المقنعة .

كما أنه انتقد عددا من العلماء ورد عليهم ، فانتقد الشيخ عبد العزيز عيسى لما كتبه فى كتابه (اجتهاد الرسول) ورد عليه فى كتاب (عصمة النبى ـ ﷺ ـ) الذى كان أول رد على ما نشره أحمد صبحى منصور ، وقد فصل المارق : أحمد صبحى منصور من الأزهر بذلك الكتاب والتقرير الذى كتبه عنه الشيخ ـ رحمه الله ـ .

وقد عرضت مشيخة الطرق الصوفية على الشيخ فرفض وقال : ماسرنى أن صرت شيخا لطبال وزمّار .

★ تراثه الأدبى :

فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم من جيل الرواد الأوائل ومن شعراء هذا العصر ، عاصر شوقى ، وحافظ ، والعقاد ، والرافعى ، والزيات ، وكان له معهم صولات وجولات ، وقد ألف أربعة دواوين شعرية فى خمسة عشر جزءا من الشعر العمودى المقفى ، فى أغراض الشعر المختلفة .

وقد كان للشاعر حلقة شعرية إسلامية ألفها من كبار الشعراء الإسلاميين ، منهم : الدكتور حسن جاد ، وقاسم مظهر ، ومحمود الماحى ، وعبد الله شمس الدين ، والدكتور سعد ظلام ، وضيف الله ، والربيع الغزالى ، وشاور ربيع ، والأستاذ محمد التهامى ، وأحمد عبد الخالق . . وغيرهم .

كما أن للشيخ مقالات أدبية ونقدا أدبيا رائقا ، فى مجلة أبولو ، والفجر ، لعل من أهمها ما كتبه فى نقد الأستاذ (أبى حديد) فى الشعر الحر أو المرسل . . ولا ننسى ما انتقد به الزيات فى سلسلة مقالاته (مشاغبات الأسبوع) التى نشرتها له جريدة الإخوان لعهدها الأول سنة ١٩٣٢ ، ولنا ـ إن شاء الله ـ عودة إلى أدبيات الشيخ .

رحم الله شيخنا ، كان المسجد بيته الذى لم يبرحه ، ومدرسته ومضيفته وساحته ، محط رحال كل من زاره ومن عرف قدره من العلماء والرؤساء والأمراء .

وقد انتقل إلى رحمة الله الساعة الثالثة من فجر يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة ١٤١٩هـ ، الموافق ٧ من أكتوبر ١٩٩٨م بعد حياة حافلة فى الدعوة إلى الله ، على هدى وبصيرة ، ورحمه الله رحمة واسعة .

طرائف.. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سؤال وجواب »

قال معاوية لعمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما : من أبلغ الناس ؟ قال : أتركهم للفضول ، قال : فمن أصبر الناس ؟ قال أردهم لهواه برأيه ، قال : فمن أسخاهم ؟ قال : من بذل دنياه لدينه ، قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه ، قال : فمن أعلم الناس ؟ قال : من آثر دينه ، قال : صدقت .

« أسأت إلينا بتغيبك »

قال الصولى : كنت أقرأ على أبى خليفة كتاب « طبقات الشعراء » وغير ذلك ، قال : فواعدنا يوما ، وقال : لا تخلفونى ، فإنى أتخذ لكم خبيصه ، فتأخرت لشغل عرض لى ، ثم جئت والهاشميون عنده ، فلم يعرفنى الغلام ، وحجبنى ، فكتبت إليه :

أبا خليفة تجفو من له أدب
وتؤثر الغر من أولاد عباس
وأنت رأس الورى فى كل مكرمة
وفى العلوم ، وما الأذناب كالرأس
ماكان قدر خبيص لو أذنت لنا
فيه فيختلط الأشراف بالناس

فلما قرأها صاح على الغلام ، ثم دخلت ، فقال :

أسأت إلينا بتغيبك فظلمتنا فى تعتبك ، وإنما عقد المجلس بك ، ونحن فيها فاتنا بتأخرك ، كما أنشدنى البوزى كمن طلق امرأته ، ثم ندم ، فتزوجت رجلا ، فمات حين دخل بها ، فتزوجها الأول ، فقال :

فعادت لنا كالشمس بعد طلاقها
على خير أحوال كأن لم تطلق

ثم صاح ياغلام ، أعد لنا مثل طعامنا ، فأقمنا عنده يومنا .

«دعوة إلى التسامح»

قال البهاء زهير :

من اليوم تساحمنا
ونطوى ماجرى منا

فلا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا

وإن كان ولابد
من العتبى فبالحسنى

فقد قيل لنا عنكم
كما قيل لكم عنا

كفى ماكان من هجر
فقد ذقتم وقد ذقنا

وما أحسن أن نرجع
للوصل كما كنا

«عاقبة الحمق»

قال الأصمعى ـ رحمه الله : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثنى فأمتعنى بفصاحة وملاحة : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ، قال : فقلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى علىّ حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى علىّ حمقى .

«قيام الليل .. حببنى فى البقاء»

كان الصحابى الجليل أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ، ويقوم ابنه ثلث الليل إذا نام هذا قام هذا .

فقال أبو سليمان الدارانى : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا قيام الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا .

«أكره مخالفتكم»

قيل لطفيلى : اشتر لنا لحما ، فقال : لا أحسن الشراء ، فقيل له : أوقد النار ، فقال : أنا كسلان ، فقيل له : اطبخ ، فقال : لا أحسن الطبخ ، فلما غرف الطعام قيل له : تقدم فكل ، فقال : أكره أن أكثر من مخالفتكم .

«احذر أربع غارات»

غارة ملك الموت على روحك ، وغارة الورثة على أموالك ، وغارة الدود على جسدك ، وغارة الغرماء على حسناتك .

دعاء

اللهم إنى أستغفرك لما تبت منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسى وأخلفتك ، وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطه ماليس لك ، وأستغفرك للنعم التى أنعمت بها على ، فتقويت بها على معصيتك ، وأستغفرك لكل ذنب أذنبته أو معصية ارتكبتها .

الأدب الإسلامي الصوفي

تأليف الدكتور : على على صبح

للأستاذ :
أحمد مصطفى حافظ

لإمام الدعاة ، فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، فى هذا الموضوع ، تعريف سديد (للصوفى) ، مؤداه أن : « كل مسعاه أن يقترب بمفروضات الله سبحانه وتعالى ، ثم يزيد بمسنونات الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، من جنس ما فرض الله سبحانه وتعالى عليه »(١) إلى أن يضيف فضيلته إلى ما تقدم ، قوله : « والله سبحانه وتعالى يقول فى الحديث القدسى : « ومن أتانى يمشى ، أتيته هرولة » ، ولم يقل سبحانه : جئته أمشى - ولو قالها - أى الحق عز وجل - لكان المشى بالنسبة له ، شيئاً كبيرا ، ولكنه يقول : أتيت هرولة ، فما بالك بهرولة منسوبة لله ؟ ومن هنا - كما يقول فضيلته - يدخل الإنسان ، فى مقام الود مع الله ، ومعنى أن يوده الله : هو أن يصافيه »(٢) .

والدكتور على صبح ، يحتاط بادىء ذى بدء ، فى مقدمة كتابه ، الذى يحمل عنوان هذا المقال ، فينفى أية نزعة للغلو ، فى ميدان بحثه ، فيؤكد على إيمانه العميق ، بوسطية الأمة الإسلامية التى

(١) ، (٢) انظر حديث فضيلته بعنوان : « مشوار حياتى : آراء وأفكار » الذى قامت بإعداده فى كتاب دقيق الجرم ، الإذاعية الأستاذة فاطمة السحراوى

اختارها الله تعالى لها ، فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة : ١٤٣) .

ومن ثم اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ الأمة الإسلامية ، بالتوسط فى التشريع والحياة ، والتعامل مع مظاهر الكون ، وأسرار الوجود . . وبالتوازن بين الجوانب الروحية ، والجوانب المادية . . وانتهى المؤلف الفاضل إلى أن أعظم مرحلة من مراحل الأدب الصوفى ، هى مرحلة أدب الزهد ، فى أول نشأته ، فى عصر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم فى عصور من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فأدب الزهد ـ فى هذه المرحلة ـ هو الأدب الإسلامى حقا ، أو هو يمثل فرعا من فروعه ؛ لأنه أدب الاعتدال والقصد ، لا أدب الإسراف والعزوف ، عن المشاركة فى بناء الحياة وتقدمها ، وقد حدد المؤلف لدراسته للأدب الصوفى الفترة التى تمتد منذ فجر الإسلام ، وحتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

وقد اشتمل الكتاب[١] على مقدمة وثلاثة فصول ، تحدث فى أولها عن الإسلام باعتباره التشريع السماوى للإيمان بالله عز وجل ، ثم تطرق إلى الحديث عن الإعجاز فى التصوير القرآنى ، لقصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ مبينا أنها خلاصة القول فى علم الظاهر وعلم الباطن ، « وفى إعداد المؤمن المجتهد ، لفهم أسرار الأمور ، قبل الحكم على ظواهر الحياة »[٢] كما يقول العقاد .

ثم تحدث المؤلف عن : « أهل الصفة » ، باعتبار أنهم أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى بنى لهم (صفة) فى مسجده ؛ كان يأوى إليها من ليس له دار ، من المهاجرين والأنصار ، وأثبت قول الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى وصف الزاهدين الأولين ، فى خطبة له بأنهم « قد عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر مادونه فى أعينهم » إلى قوله : « إن قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة . . صبروا أياما قصيرة ، أعقبتها راحة طويلة ، فهم فى تجارة مربحة ، يسرها لهم ربهم . أرادتهم الدنيا ، فلم يريدوها ، وأسرتهم ، ففدوا أنفسهم منها » .

وفى الفصل الثانى من الكتاب ، يتحدث المؤلف عن حركة الزهد فى الأدب العربى ، باعتبار أنه يمثل رافدا أدبيا ، وغرضا من أغراض الأدب العربى ، نما وازدهر ، لينبت الأدب الصوفى من أعماقه ، وينتهى إلى أن الأدب الصوفى ، هو المرحلة التالية لأدب الزهد النابعة منه ، عن أصالة وعراقة[٣] .

◀

---

(١) طبعة (المكتبة الأزهرية للتراث) سنة ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م . فى ٣٥٤ صفحة من القطع الكبير .

(٢) انظر كتابه : (مذاهب أدبية واجتماعية) ص ١٩٢ .

(٣) يقول المستشرق نيكلسون : « سرعان ما تحول الزهد إلى التصوف ، فإن الحسن البصرى ـ وهو أشهر ممثل لحركة الزهد ـ يعد فى نظر الصوفية واحدا منهم » . انظر كتابه : « فى التصوف الإسلامى ص ٢ ترجمة د . أبو العلا عفيفى

وأورد المؤلف طائفة من أشعار الزهد ، التى تمثل هذا الاتجاه . . كقول عمران بن حطان ـ زاهدا فى الحياة ، وراغبا فى الاستشهاد :

لقـد زاد الحيـاة إلى بغضـا
وحبـا للخـروج : أبـو بـلال
ولـو أنى علمت بـأن حتفـى
كحتف أبى بـلال ، لا أبـالى
فمن يـك همـه الـدنيـا فـإنى
لهـا والله ـ رب البيت ـ قـال

وقول الإمام الشافعى فى الدعاء :

أتهـزأ بـالـدعـاء وتـزدريـه
ومـايدريـك ما فعـل الدعـاء
سهام الليل لاتخطى ولكن
لهـا أمد ، ولـلأمـد انتهـاء
دعـا المظلوم ليس لـه مرد
ولاحـجب تـقيـه ولا سـماء

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثالث والأخير من كتابه عن : « الأدب الصوفى » وأورد طائفة من أرق الأشعار التى اتسمت بالروح الصوفى المتسامى لا تقل فى قيمتها وصياغتها المحكمة ، عن أرقى نماذج الشعر الوجدانى ، فى الأدب العربى ، وخاصة ما قيل منها فى الحب الإلهى ، كقول السيدة رابعة العدوية :

فـليتـك تحـلو والحيـاة مـريـرة
وليتـك تـرضى والأنـام غضـاب
وليت الـذى بينى وبينـك عـامـر
وبينى وبـين العـالمـين خـراب
إذا صح منك الود فالكـل هين
وكل الذى ـ فوق التراب ـ تراب

ثم يورد المؤلف بعض أقوال بليغة لأئمة التصوف فى تعريف (الصوفى) ومنها قول أبى تراب النخشبى :

ـ الـصـوفى لا يـكـدره شىء ويـصـفـو
بـه كـل شىء

وقول ذى النون المصرى عن الصوفية إنهم :- آثروا الله ـ عز وجل ـ على كل شىء ، فآثرهم الله على كل شىء .

ثم يعقب المؤلف على ذلك كله ، بما يعد خلاصة الرأى فى الكتاب وموضوعه بقوله : « قضى الله بالتفاضل ـ لحكمة يعلمها الله وحده ـ لكى تسير الحياة ، ويعمر الكون ، ويقضى الله أمرا كان مفعولا . . فيتشعب الخلق ، فمنهم الصانع ، والتاجر ، والمزارع ، والعامل ، والعالم ، والطبيب ، والقاضى ، والمهندس ، والصوفى والزاهد ، وهم جميعا يمثلون أدوارهم فى البناء والتقدم الإنسانى والعلمى » . إلى أن يقول : « إن غير الصوفية : من ملكت الدنيا أنفسهم ، وشغلتهم عن الله ، وما خلق الله الدنيا وسخرها ، إلا لخدمة الإنسان ، حتى يعبد ربه ، ويتصل به قلبه . . ولكنهم أفرطوا فى الاشتغال بها ، وازدادوا حرصا عليها ، فكانت عندهم الغاية لا الوسيلة » . إلى أن يقول فى موضع آخر من كتابه : « والزاهد الحق ، هو الذى يستولى على جماح نفسه وهواها : يزهد فى الدنيا ـ وهو يملك منها ما يصرفه عن زهده . . فيزهد فيها ـ عن غنى . . أو ـ على الأقل : هى عن عمل وجهاد ، وجد واجتهاد ، لتحقيق الكسب ، لا عن عجز وخمول » .

ويحضرنى فى هذا المقام ، قول الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - فى إحدى خواطر كتابه : (الشوارد) ، تحت عنوان : (صوفى فى حلة مذهبة) يقول فيها :

- قلت لنفسى - وقد لبست حلة رسمية ، موشاه محلاه مزركشة (وربما كان ذلك أثناء عمله كسفير لمصر بأحد البلاد العربية) - ما أبعد هذا مما تدعين من التصوف ! أين ، من التصوف ، هذه الزينة ، وهذه الأبهة ، وهذه الخيلاء ؟

قالت : (أى نفسه) - إنها زينة ، ومن حرم زينة الله التى أخرج لعباده ؟ وليست خيلاء ، فما اختلت بها ولا زهيت ، ولا داخلنى العجب » . .

إلى أن يستطرد - مبديا رأيه فى الصوفى الحق ، وتعريفه له . بأنه : « من ينال من الدنيا مالا وجاها وسلطانا ، فيصرف ما نال بالعدل ، ولا يختال ولا يغتر . . يملك الدنيا ، ولا تملكه ، وتصرفها يده ، ولا تتصرف هى . . فى قلبه » .

ويتفق الدكتور عزام ، مع الدكتور على صبح فى الرأى ، بعد ذلك ، حين يقول : « إنما الصوفى الحق ، الذى يتصوف فى المعترك ، بين الفتن والأهواء ، لا من يقبع فى صومعته ، لايمتحن قلبه ولا يده ، بمال أو سلطان ، ولا يفتن بمجاملة الناس ، ولا تحيط به الشهوات »

وصفوة القول ، فإن القراءة فى كتاب الدكتور على صبح - عميد كلية اللغة العربية الأسبق - تعد بمثابة سياحة روحية رائعة ، فى عالم الصفاء والنقاء ، والمجاهدات والمشاهدات ، والأذواق والمواجيد . . وقد شدنا إلى كتابه ، ما اتسم به من رونق العبارة ، وشدة أسرها وإشراقها . .

فالكتاب يعد بحق ، ثمرة جهد دائب ، واطلاع عميق مستفيض ، وقد زانه المؤلف بشروح بليغة للنصوص ، تشى بملكة أدبية متوهجة ، وتدل على أن المؤلف الفاضل قد وجد موضوعه الذى يحسن التأليف فيه ، والإحاطة به ، مفندا زعم بعض المستشرقين أن التصوف غريب عن طبيعة الإسلام ، لأن سليقة العربى لا تقبل التصوف ، لأنه - كما يقولون - نشأ فى بلاد صحراوية ، تحت سماء صافية ، بين مناظر مكشوفة ، لا تخفى شيئا ، ولا تغريه بالغوص على سر من الأسرار . . وهذا بعكس الأمم التى تنشأ بين الغابات المتشابكة ، والأغوار السحيقة ، والجبال السامقة . . فى جو غائم ، قلما تكشف عما فوقه من الكواكب والنجوم حتى : الشمس والقمر ![1]

وينفى العقاد هذا الزعم - بعد ذلك - لخلط المستشرقين بين الطبيعة العربية ، وطبيعة الإسلام . . فالإسلام - كما يقول العقاد : « بمعزل عن هذا كله ، فهو يشكل الطبائع ، وليس العكس ، لأنه من لدن الخلاق العظيم ، وليس كالأثر الأدبى ، مثلا ، الذى يتكون فى ظروف معينة ، يتأثر بها[2] .

وينتهى العقاد إلى مشاركة الدكتورين : عزام وصبح ، الرأى ، فى تمييز التصوف « بنوعيه المعروفين ، وهما : التصوف الذى يرفض الحياة ، والتصوف الذى يقبل الحياة . . أو ، هو - الأخير على الأقل - لا يحسب رفضها شرطا لازما ، من شروط الخلاص والنجاة »[3] .

وبالله التوفيق .

---

(١) انظر كتابه « مذاهب ادبية واجتماعية » للعقاد ص ١٩١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٢ .

من نصراء الفصحى في العصر الحديث

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد (*)

ترجع أهمية اللغة العربية إلى أن بها تعرف معانى ألفاظ القرآن والسنة ولا سبيل إلى إدراك معانيهما إلا بالتبحر فى علم هذه اللغة .

ومنذ عهد بعيد و «لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحدت لغاتها هى اللغة المعربة المستعملة فى شعرها وخطبها وكتابتها ، ولا فرق بينها فى البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع والتأنق فى العبارة[1] .

ولست بصدد الحديث عن أهمية اللغة العربية فى بناء قومية العرب وبيان مدى ارتباط كلتيهما بالأخرى ، فهذه مسألة قطع الباحثون فيها شوطا كبيرا ، وسلم أكثرهم بأهميتها لانتسابها إلى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، فضلا عن أنها لغة الآباء والأجداد وسجل تراثهم الفكرى المجيد ، إنما يهمنا التركيز على دور « زكى مبارك » فى الدفاع عن الفصحى وتراثها وبيان قدرتها على

(*) الكاتب : مدرس الصحافه بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(1) أحمد الهاشمى : جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء لغة العرب ـ ط ١٢ (١٩٢٠) ص ٣٧٠ .

التطور ومسايرة الحضارة ، والدعوة إلى جعلها لغة رسمية بالمدارس الأجنبية وكليات الجامعة العملية ، والدواوين والبنوك والمحاكم والمحافل والمؤتمرات الدولية ، فضلا عن دوره فى إحباط مكايد الاستعمار ودعوات « التغريب » الموجهة للنيل من الفصحى إيمانا منه بدورها فى بناء القومية العربية .

فقد « تآمر الاستعمار على مناهضة الفصحى .... فاتهموها بالجمود والعجز عن مسايرة الحضارة الحديثة ، ودعوا إلى إيثار اللهجات المحلية عليها ، وروجوا لدعواهم بوسائل شتى[1] يريدون بذلك قطع صلة مصر بالعروبة وتنفيرها من كل ما هو عربى تمهيدا لفصلها عن القومية العربية ، ففى[2] سنة ١٨٩٣ زعم « ويليام ولكوكس » فى خطبة ألقاها فى نادى « الأزبكية » أن المصريين عاجزون عن الاختراع ؛ لأن اللغة العربية الفصحى تعوقهم عنه ، ونصحهم باتخاذ اللغة العامية أداة للتعبير الأدبى ، واستشهد بالأمة الإنجليزية فى أنها أفادت فائدة كبرى منذ هجرت اللاتينية التى كانت لغة للكتابة والعلم فترة من الزمن « وقد أوجدت هذه الدعوة دويا عاليا ، واستجاب لها بعض العرب وروجوا لها ؛ برغم أنها هادمة ، « فدعا لطفى السيد وسلامة موسى وعبد العزيز فهمى فى مصر ، والخورى مارون غصن فى سوريا وكثير غيرهم إلى العامية والحروف اللاتينية »[3] .

وكان « مبارك » واحدا من أبرز نصراء الفصحى ، فعارض دعوة « ولكوكس » وكشف النقاب عن اتجاهها التغريبى ، واستنكر استجابة بعض مشاهير الكتاب لدعوته ، آخذا عليهم انبهارهم الأحمق بفكر المستشرقين ، يقول : « بلغ الجهل ببعض كتاب العصر أن يصدق ما أشار إليه « ولكوكس » من أن اللغة العامية لغة مصرية أصيلة يتكلمها المصريون منذ عهد الهكسوس ، على أن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن لغة مصر القومية هى الفصحى ؛ لأنها لغة للدرس والتأليف منذ أجيال طويلة ، وقد رأينا بعض الكتاب المشهورين يبدئون ويعيدون فى هذه المسألة لأنهم رأوها محل عناية أحد المستشرقين »[4] .

كما ناشد أساتذة الجامعة بحماية الشباب من الدعوات التغريبية ، فقال « إن شباب اليوم يعانون أزمة خطيرة بسبب الدسائس التى يصوبها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وإن واجب الأساتذة فى كلية الآداب حماية الشباب من تلك السموم الفواتك »[5] .

وردا على القائلين بأن اللغة العربية فى مصر لغة أجنبية ، يحاول « مبارك » أن يستخدم

---

(١) الدكتور أحمد محمد الحوفى : القومية العربية فى الشعر الحديث القاهرة ص ٢١ .

(٢) الدكتور أحمد محمد الحوفى : القومية العربية فى الشعر الحديث ـ مرجع سبق ـ ص ٢١ .

(٣) أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى المعاصر ـ القاهرة ـ ص ٥٢ .

(٤) الرسالة : ٨ يناير (١٩٤٠) .

(٥) الرسالة : ٨ يناير (١٩٤٠) .

التاريخ ليؤكد بمردوده ، فيقول : « إن مصر لحكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين ، هى البلد الوحيد الذى انقرضت لغاته القديمة لتحل محلها اللغة العربية وهو حظ لم تظفر بمثله أمة عربية أخرى »[١] ، وضرب المثل بتعدد اللغات فى الأقطار الشامية والبلاد العراقية والجزيرة العربية ثم قرر أن اللغة العربية « خلقت للحياة ولم تخلق للموت ، بدليل أنها لم تنهزم بانهزام الإمبراطورية الإسلامية ، وهى امبراطورية لم تسيطر على العالم سيطرة حقيقية أكثر من قرنين اثنين ، فلو كانت اللغة العربية لم تعش إلا بحراسة الإمبراطورية لوجب أن تزول ، ولكنها لم تزل ولن تزول »[٢] ، وفى موضع آخر يحث الهمم ويكتل الجهود للعودة بها إلى عصرها الذهبى ، فيقول : « إن اللغة العربية لها ماض مجيد فى الحياة العلمية والطبية ، ومن السهل رجعها إلى مجدها القديم ، ونحن لا تعجزنا الأصول ، وإنما تعجزنا الهمم العاتية التى تخلق الممالك والشعوب[٣] .

والواقع أن « مبارك » كان ينظر إلى اللغة العربية بالمقارنة مع استقلال اللغات الدولية الأخرى مثل الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية ، فكانت نفسه تمور بالغضب على كل ما يجرى فى بلاده من بنى قومه من تكاسل وتخاذل وسكوت على الإهانة ، نلمح ذلك بصدق من قوله : « إن الرجل لا يستطيع أن يتخذ باريس أو لندن أو برلين مقاما بدون أن يتعلم الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية ، بينما يستطيع الأجنبى أن يتخذ من القاهرة مقاما بدون أن يتعلم العربية ؛ لأن فى القاهرة عصبيات أجنبية لها مدارس ومكاتب وجرائد ومسارح ومنتديات . . وهو يستطيع بقوته الاستقلالية أن يقهر المصريين على مخاطبته بلغته الأصلية ، ثم لا يستطيعون هم أن يقهروه على مخاطبتهم باللغة العربية[٤] ، هو بهذا يعكس نظرة الوطنى الغيور على استقلال أمته .

وإن غيرته لتشتعل كلما نظر إلى فرنسا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وانجلترا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وإيطاليا وهى تنشر لغتها فى مستعمراتها ، وخاصة أنهم غاصبون ، « فإذا كان الغاصبون يرون نشر لغاتهم من مؤيدات الاحتلال أفلا يرى الوطنيون نشر لغتهم من مؤيدات الاستقلال ! »[٥]، وفضلا عن ذلك كان يرى فى ماضى اللغة العربية سجلا حافلا بمفاخر الأمة وأخلاق الإسلام ، لذلك عندما تعرض « كليرجيه » ـ أحد كتاب فرنسا ـ لأخلاق المسلمين ، هاجمه بعنف ونصحه بدراسة اللغة العربية من أجل التعرف على أخلاق الإسلام وتماسك الشرق ، فقال : « إن هذا الرجل يتعرض للإسلام والأخلاق الإسلامية مع أنه لم يدرس اللغة العربية . . . من يبلغ مسيو « كليرجيه » أنه كان قصير النظر ، حين اكتفى فى

---

(١) الرسالة : ١٣ ديسمبر (١٩٤٣) .
(٢) الرسالة : ١٣ ديسمبر (١٩٤٣) .
(٣) المصدر السابق .
(٤) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ القاهرة ـ ص ٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١٣ .

درس أخلاق المصريين بالوقوف عند بعض المناظر التى يشاهدها أحيانا من يعيش فى القاهرة . . إن الذين يشيعون الفاحشة عن الشرق وأهله لا يعرفون أن أهلهم يعيشون فى بيوت من زجاج ، وينسون أن دنياهم مستمدة من أصول ينكرها الخلق النبيل »[١] ، ومن ثم فقد كشف « مبارك » فى هجومه على « كليرجيه » الستار عن المؤامرات التى يديرها دعاة التغريب والذين يعملون لحساب الاستعمار .

ولعل دفاعه الملح عن اللغة العربية يبدو غريبا فى نظر الكثيرين ، وبخاصة إذا صدر هذا الدفاع عن رجل متخرج فى « السوربون » ، ومن اليسير عليه أن يحمل الأمانة للفكر الغربى كما حملها من قبل عدد من الكتاب لهثوا وراء فكر المستشرقين وجعلوا أمانتهم له أكبر من أمانتهم للغتهم وقومية وطنهم ، فأوغلوا فى الدعوة إلى العامية أو الفرعونية أو إلى النزعة اليونانية ، أما « مبارك » فقد كان حاد البصر عندما نجا من هذه التبعية وعندما جاهد فى مقاومتها منذ إدراكه لاتجاهات أوروبا ، مؤكدا إيمانه الخالص باللغة العربية ودورها فى بناء قومية العرب .

ويؤكد « أنور الجندى » أن « مبارك » كان نسيجا وحده فى هذا المجال بين من عادوا من أوروبا ، فقد كان طه حسين ، وسلامة موسى وغيرهما ، يحملون لواء الدعوة مخدوعين أو غير مخدوعين ، أما هو فلم ينخدع »[٢] كما يذهب إلى أن دفاعه عن اللغة لم يكن شعارا يتسامى به إلى لقب أو منصب من المناصب التى « كانت تغدق على من يسميهم الغرب سفراء الفكر فى العالم العربى[٣] ، وكيف يتسامى إلى هذه الألقاب من يستهدف مصلحة مصر والعرب والإسلام ؟ فضلا عن أن المناصب العالية ـ على حد تعبير « مبارك » ـ كانت « لا تمنح إلا لمن ترضى عنهم الدولة »[٤] ، ولن ترضى « إلا بمصانعة الدولة ومصانعة المجتمع »[٥] ، وهذا ما برىء منه « مبارك » وتساءل مستنكرا « هل من مصلحة مصر ولها الزعامة الأدبية فى الشرق العربى والإسلامى أن يشعر المفكرون من أبنائها بأن لا سبيل إلى الظفر بما تؤهلهم مواهبهم من كبار المناصب إلا بتلك المصانعة »[٦] .

والواقع أنه عاش محزون القلب من هذه الأوضاع ، حتى أنه كان يشعر ـ وهو فى وطنه ـ بالغربة الروحية كما لو كان منفيا ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « أما النفى فعرفناه فى صورة جديدة هى الغربة الروحية والغربة العقلية ، وإلى الله

---

(١) البلاغ : ٣٠ مارس (١٩٣٤) .

(٢) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته ـ القاهرة ـ صفحات ٩٤ ، ١٠٣ .

(٣) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته ـ القاهرة صفحات ٩٤ ، ١٠٣ .

(٤) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ القاهرة ـ ص ١٩٧ .

(٥) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٧ .

(٦) الرسالة : يونية ١٩٤١ ، الحديث ذو شجون ـ المرجع السابق ص ١٩٧ .

أشكو ما نعانى من قسوة الاغتراب فى هذا الزمان »[١] .

ومما يؤسف له أنه بالرغم من حرمانه مما تاق إليه من المناصب العالية ، كان يعانى من الرقابة المشددة المفروضة على فكره ، وهذا ما جعله يأن من خطورة تلك الضغوط ويقول : « لن تقوى لغتنا على منافسة اللغات الحية وهى أداة ضعيفة بسبب الكبت المفروض على قادة الفكر وحملة الأقلام »[٢] .

ويمكن القول أن رقابة الدولة وضغوطها على فكر « مبارك » ، فضلا عن مؤامرات الغرب للنيل من اللغة العربية ، قد نشأ عنهما ما يسمى بعنصر « التداخل أو التشويش » وهومعوق يؤثر على المرسل ورسالته معا « فتفقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر إلى الهدف »[٣] ويمكن تصوير هذا « التداخل » كما فسره « شانون Cland Shanon » و « ويفر W . Weaver » وهما من الإعلاميين الإنجليز - على النحو التالى :[٤] .

و « مبارك » كرجل إعلامى متمرس كان يضع هذه الأمور فى اعتباره ، فأخذ يعالج هذا التداخل عن طريق « الإعادة أو التكرار *REDUNDANCY* حتى تتاح الفرصة للمستقبل لالتقاط الإشارة[٥]، وإذا كان للمرسل مراعاة « تجنب التكرار الممل »[٦] فإن « مبارك » لم يتجنب ذلك ، نظرا لأنه يستهدف جعل « اللغة العربية لغة رسمية ، وهى فكرة قومية تقتضى عنصر « التثبيت » ، يوضح ذلك بقوله : « وبسبب الإلحاح فى هذه الدعوة وآنى بعض أقطاب الجامعة المصرية من الثقلاء ، وأوصدوا فى وجهى كل الأبواب »[٧] .

ولعل أبرز مظاهر عناية « مبارك » باللغة العربية اهتمامه بالدعوة إلى تدريس العلوم بها فى كليات الجامعة المصرية ، فقد دعا إلى « أن التعليم عند المستقلين يجب أن يكون باللغة القومية لغة الآباء والأجداد »[٨] ، وذلك بعد أن نظر إلى الأمم المستقلة فوجدها لا تصطنع فى التعليم لغة أجنبية « أما مصر العزيزة فقد قسمت إلى مناطق ، منطقة ضعيفة تسود فيها اللغة العربية وهى المدارس الابتدائية ، ومنطقة قوية تسود فيها اللغة الفرنسية وهى كلية الآداب وكلية الحقوق ، ومنطقة أقوى تسود فيها اللغة الإنجليزية وهى

---

(١) الدكتور زكى مبارك : الموازنة بين الشعراء - القاهرة - ٣٣٢ .

(٢) الرسالة : مرجع سابق .

(٣) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - القاهرة - ص ١٣٢ .

(٤) Shannon , C . & Weaver W . , The Mathematical Theory of Communi cation , (1949) .

الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق ص ١٣٢ .

(٥) المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٦) المرجع السابق - ص ١٣٣ .

(٧) الرسالة : ٧ يناير (١٩٤٠) .

(٨) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق ص ١٢ ، ١٧ ، ١٤ .

كليات الطب والهندسة والعلوم »[١] ، فضلا عن أن « مناصب التعليم فى المدارس العالية أكثرها للأجانب »[٢]، وقد دفعته نزعته التحررية إلى اليقين بأن ما يراه « بلية لا تصبر عليها أمة تسمو إلى كرامة الاستقلال »[٣] .

والحقيقة أنها بلية تتضح أكثر إذا ما قورنت مع محافظة الشعوب الأفرنجية على لغاتها « فالإنجليز يريدون أن يبقوا انجليزا ، والفرنسيس يريدون أن يبقوا فرنسيسا ، والألمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانا ، والطليان لا يرضون إلا أن يكونوا طليانا ، والروس قصارى همهم أن يكونوا روسا[٤] وينظر « مبارك » إلى جهود تلك الشعوب فى سبيل الاحتفاظ بقوميتهم ، فلم تزده إلا حماسا وغيرة على استقلال وطنه .

ويجىء دوره كرجل إعلامى أخذ على كاهله إحياء اللغة العربية فى سبيل تدعيم القومية ، وهذا فى حقيقته عمل حضارى فى حاجة « إلى التنوير والتعبير والتوعية والإسراع بخطوات التنمية وتكتيل فئات الشعب وتوضيح الأهداف وتجسيمها وتنشئة الجماهير تنشئة سياسية واجتماعية يمكنها من تصور المستقبل وتدريب الناس على القيام بأدوارهم فى مجتمع الغد »[٥] ، فكان أول ما قرره « مبارك » ونادى به فى هذا العمل الحضارى « أن لغة التعليم فى كليات الجامعة المصرية يجب أن تكون العربية »[٦] ، وحتى يكون التخطيط سليما وغير متروك للمصادفة ، أخذ يقوض المبررات التى أتاحت للغة الأجنبية أن تسود فى كليات الطب والهندسة والعلوم ، فيقول : « إنهم يزعمون أن اللغة العربية تعوزها المصطلحات العلمية ، وهذا وهم ، أو هو عجز يستر بهذا الوهم المصنوع ، فالمصطلحات العلمية لم تكن مما تفردت به الإنجليزية أو الفرنسية ، وإنما هى ألفاظ نحتت نحتا من اليونانية واللاتينية ، وفى مقدورنا أن نأخذها كما أخذوها بعد أن نصقلها صقل التعريب فتضاف إلى اللغة القومية »[٧] .

ويبدو أننا فى حاجة إلى دراسة هذا الاقتراح والمضى به نحو التطبيق العملى ، وخاصة أنه ليس بعيد المنال بدليل « تلك الكتب العلمية العديدة التى أخرجها الاتحاد السوفيتى أخيرا ، وعبر فيها باللغة العربية عن علوم الذرة والفضاء والصواريخ ، فضلا عن الطب والهندسة والفنون[٨] .

« يتبع »

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

(٣) المرجع السابق ـ ص ١٤ .

(٤) شكيب الاسلان : لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ـ ط ٣ (١٩٣٩) ـ ص ٧٨ .

(٥) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ ص ٣٨٥ .

(٦) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ص ١٥ .

(٧) المرجع السابق .

(٨) د . إبراهيم إمام ، الإعلام والاتصال بالجماهير ـ القاهرة ـ ص ١١٨ .

الأدب في آثار المحدثين

للأستاذ الدكتور
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم :

عرف تاريخنا منذ القرن الثالث الهجرى ، مؤلفات ذات معارف مختلفة ، وثقافات شتى ، آمن مؤلفوها بأن المحصول الوفير من الثقافة ، يثرى الأفكار ، ويفتق الأذهان ، وينمى الأذواق ، ويؤدى إلى الدراسة القويمة المنتجة ، حيث الإفادة من « المستطرف من كل فن » ، والطريف من كل علم .

وهى كتب عديدة عنى بعضها بمأثور الشعر والنثر ، وما يتصل بهما من أخبار وأنساب وأيام . وعنى باقيها بإحصاء الروايات ، وعرض جوانب من حيوات الشعراء والكتاب ، وسرد طائفة من شعرهم ونثرهم . ويؤخذ عليها أنها تفتقد التنسيق ، وتخلو من تسلسل الحوادث ، وترتيب الحديث عن الشخصيات حسب أزمانهم التى برزوا فيها ، بجانب عدم الاهتمام بالتحقيق التاريخى ، ومعرفة أثر البيئة فيهم .

إصلاح الدرس الأدبى :

أدى اتصال أبناء العالم العربى بأوربا فى القرن الماضى ، إلى إنعاش حياة الأدب العربى بجانب دعوة الأدباء بضرورة اختيار النصوص التى تقوّم الألسنة ، بواسطة أصحاب الذوق الذين يحيطون بمنهج القدماء ، الذى يهتم باللغة والنحو ، والمعانى والبديع ، والعروض والقوافى ، ويعرفون منهج المحدثين الذى يعنى بصلة الأدب بالمجتمع من ناحية ، وصلة الحياة العقلية بالحياة الشعورية من ناحية أخرى . مع إمكانهم إبراز وجوه الشبه بين أدبنا وآداب الأمم الأخرى ، والإلمام باللغات الحديثة وآدابها .

ونتيجة لذلك شهد النصف الثانى من القرن الماضى نهضة فى دراسة الأدب ونقده ، على أيدى نفر يحسنون اختيار النصوص وتذوقها ، ويعرفون أسس البحث الأدبى الذى يقود للدرس المنتج على نحو ما نرى فى المؤلفات التالية :

الوسيلة الأدبية للعلوم العربية :

للشيخ حسين بن أحمد المرصفى ١٨١٥ - ١٨٨٩ . أراد بعبارة « الوسيلة الأدبية » الأداة التى تعلم اللغة العربية وآدابها ، وتعين على صناعة الشعر ، وتدبيج النثر . ونظرة فى مباحث الكتاب تريك - فى وضوح - ريادة المرصفى ، فى حركة تطوير الدراسة الأدبية ، ببعث علوم العربية ، وطرائق النقد التقليدى لدى العرب القدماء .

استهدف المرصفى بكتابه ، تربية الأذواق ، وتنمية الملكات ، وتفريق الوسائل عن الغايات . قبل تحصيل القواعد ، ودراسة الآراء والنظريات . فجاء منهجه إحياء للبلاغة ، وتجديد اللغة والأدب وتاريخه . ومهد به لمرحلة جديدة من البحث والتحقيق فى الدراسات الأدبية واللغوية ، وهذا ما حرصت الجامعة المصرية على تحقيقه منذ إنشائها ١٩٠٨ .

من هنا كان حسين المرصفى رائد البعث الأدبى فى الدراسة ، وعلى يديه تتلمذ نفر من رواد النهضة الأدبية الحديثة ، أقاموها على بعث التراث العربى القديم ، أو الذين جمعوا بين التراث العربى القديم والتراث الغربى الوافد .

المواهب الفتحية :

للشيخ حمزة فتح الله ١٨٤٩ - ١٩١٨ . اقتفى فيه أثر أبى عثمان الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ فى البيان والتبيين ومحمد بن يزيد المبرد المتوفى ٢٨٥ هـ فى الكامل فى اللغة والأدب ، وأبى على القالى المتوفى ٣٥٦ هـ فى الأمالى ، وغيرهم من أصحاب المؤلفات التى غلب الاستطراد عليها ، لكنه لم يتقيد بفن من فنون الأدب ، أو علم من علوم اللغة ، وإنما انتقى مانقله مع بيان الصواب ، حتى جاء كتابه « نموذجا للأدب ، وعنوانا على الفضيلة التى امتازت بها لغة العرب »[1] .

استهدف الشيخ حمزة بكتابه ، أن يطلع طلابه على المعارف اللغوية والأدبية الجيدة ، ويأخذ بيدهم إلى الثقافة الواسعة التى تربى الملكات ،

(١) راجع : مقدمة المواهب الفتحية .

وتعين على إجادة القول ، وتربطهم بمصادر اللغة والأدب التى خلفها القدماء .

والجديد فى دراسة الشيخ حمزة ، تخطى عصور التخلف والضعف إلى عصور القوة والازدهار ، معتمدا على الأخذ من كل فن بطرف ، حتى تتحقق تربية الملكات . وبذا أقام منهجه على التثقيف اللغوى والأدبى ، مما كان له أثره فى دراسة الأدب العربى فى الربع الأول من القرن الحالى .

الموازنة الأدبية :

ساهم الشيخ محمد المهدى ١٨٦٨ ـ ١٩٢٤ ، فى دراسته للأدب ونصوصه ـ طوال عشرين عاما ـ لطلاب دار العلوم ، والجامعة المصرية ـ ومدرسة القضاء الشرعى ، بالعديد من الآراء الجيدة . والنظرات البارعة ، فى الموازنة بين الموضوع والعبارة الفكرية ، والحالة النفسية من جهة ، وبين السمة البارزة للأديب ، والاتجاه التأثرى فى الاستشهاد الشعرى من جهة أخرى مما جعل الشيخ المهدى من رواد مدارس الأدب ونقده فى مصر .

اعتمد الشيخ المهدى فى دراسته للأدب ، وفى الموازنة بين النصوص ، على منهج يعتمد على النقد والتحليل ، مع العناية بما يحتاجه من نحو وصرف ، ولغة وبيان ، ليغرس حب الأدب القديم فى نفوس مريديه من طلاب العلم ، حتى يقبلوا على استظهار الجيد من روائع أدبنا القديم ، فتنمو الأذواق ، وتجود الملكات عندئذ [1] .

تاريخ آداب اللغة العربية :

ألفه محمد دياب ١٨٥٢ ـ ١٩٢١ ، على أثر إشارة صديقه حسن توفيق العدل ، أن يضع كتابا فى الأدب العربى على غرار صنيع المستشرقين ، فجاءت محاولته تأريخا للعلوم الأدبية ـ اللسانية ـ لدى العرب . ومن ثم لم يرض العدل عن عمله بهذه التسمية .

والجديد فى محاولة دياب ، أنها حملت أول تسمية فى اللغة العربية لهذا الفن الجديد . وسواء كانت التسمية من بنات أفكار دياب ، أو من وحى صديقه العدل ، فهى جديدة ومستحدثة ، وإن نازعهما جورجى زيدان ١٨٦١ ـ ١٩١٤ فى التسمية [2] .

محاولة العدل :

فى ١٨٩٥ درس حسن توفيق العدل ١٨٦٢ ـ ١٩٠٤ الأدب العربى لطلاب دار العلوم . وحاول فى دراسته التى أودعها كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » ، تطبيق مناهج الأوروبيين على أدبنا العربى . فصدر كتابه ببحثين : أحدهما عن اللغة أنهاه بأنها « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [3] وثانيهما عن أدب اللغة خلص منه إلى أن « تاريخ أدب اللغة تابع فى تقسيمه للتاريخ السياسى أو الدينى فى كل أمة ، لأن الأحوال السياسية أو الدينية تكون فى العادة عامة . . . » [4] .

---

(١) راجع : مبحث « أقطاب الموازنة » ص ٣٩٢ ـ ٤٠٣ بكتاب الموازنة بين الشعراء ، زكى مبارك ، طبعة ١٩٧٣م

(٢) راجع : جورجى زيدان ص ٨٧ محمد عبد الغنى حسن ، العدد ٩٠ من سلسلة أعلام العرب ١٩٧٠ .

(٣) راجع : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤ ومابعدها ، مخطوط بدار الكتب ١٣٢٠هـ = ١٩٠٤م .

(٤) راجع : المصدر السابق ص ٧ ومابعدها .

وهذا يعنى أن العدل ربط الظاهرة الأدبية، بظواهر الاجتماع والسياسة، حيث اعتبر «تاريخ الأدب تابعا للسياسة والدين»، وأرجع تأثير السياسة أو الدين إلى تحريك الأفكار، وازدهار الأدب فى ظل الإسلام، وانحداره بتجزئة الدولة الواحدة.

والجديد فى دراسة العدل وقوفه على نتائج - فى الشعر والنثر الجاهلى -، تتمثل فى وحدة اللغة الفصيحة، وهذا ما أسماه علماء اللغة المحدثون «اللغة المشتركة» اليوم. لذا نراه يقول: «... انظر يا رعاك الله إلى هذا المنظوم، وذاك المنثور اللذين صاغهما أولئك الشعراء والخطباء من سبائك الكلام ...... تجد أن لهجاتهم الكلامية متحدة على اختلاف قبائلهم، واقتران لغاتهم، وما ذلك إلا أن هؤلاء الشعراء والخطباء، كونوا بأشعارهم وخطبهم وحدة اللغة الفصيحة فيما بين القبائل المختلفة ...»[1].

وبذا عدّت محاولة العدل - رغم وجازتها - تطورا فى دراسة الأدب العربى، وجعله علما مستقلا، وفنا قائما بذاته، ومن ثم كان كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» أساس دراسة الأدب العربى، حيث استحسن الدارسون طريقته، فألفوا على نهجه مع شىء من التعديل والتفصيل.

تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب.

ضمّنه مؤلفه محمد روحى الخالدى ١٨٦٤ - ١٩١٣ «المقابلة بين الآداب العربية والإفرنجية»، وكشف فيه عما اقتبسه الإفرنج من آدابنا وأسالبينا، وهو «مما لم يتصد للبحث فيه أحد قبله ولا أحد بعده». كما تحدث عن الأدب الفرنسى منذ عهده الأول، حتى زمن فيكتور هوجو ١٨٠٢ - ١٨٨٥، مع وصف مؤلفاته ومقابلتها بما عند أدباء العرب من آثار.

بث الخالدى آراءه ونظراته فى ثنايا كتابه، وحدد موقفه تجاه ثلاث قضايا أساسية: تجاوز فى الأولى ما درج القدماء عليه فى تعريف الأدب، فأدخل فيه الأغانى والروايات والقصص، والنوادر والحكايات والمقالات، وغيرها مما أخذ به نقادنا اليوم [2].

ودعا فى الثانية إلى الوقوف على آداب الأمم المتمدنة، بعد شيوع فكرة الاكتفاء الذاتى فى عصور التخلف[3] وذمّ فى الثالثة الإفراط فى المحسنات البديعية، حيث أكثر الأدباء فيها، مما قادهم إلى التكلف والتقليد[4].

ودعا الخالدى - أكثر من مرة - إلى ضرورة

---

(١) راجع: تاريخ آداب اللغة العربية ص ٨ ومابعدها. مخطوط بدار الكتب ١٣٢٠هـ = ١٩٠٤م.

(٢) راجع: تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب ص ٢٥ محمد روحى الخالدى الهلال ١٩٠٤.

(٣) راجع: تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب ص ٢٥ - ٢٦ محمد روحى الخالدى ١٩٠٤.

(٤) راجع: المصدر السابق ص ٢٨ - ٢٩.

مقارنة الفنون والموضوعات والمعانى التى طرقها أدباء الأمتين : الإفرنجية والعربية ، مما يدل على إحاطته بالنظائر والأشباه ، بين أدبنا العربى وآداب الأمم الأخرى .

ويعدّ حديث الخالدى عن تطور الشعر عبر عصوره ، نظرة مبتكرة للأدب حسب المنهج التّاريخى الذى يربط فنون الأدب بما يحيط بها من ظروف ومؤثرات .

تعريب إلياذة هوميروس :

اهتدى الدارسون العرب بأصول مناهج الغرب فى دراساتهم ، حتى يسهل الوقوف على العوامل المؤثرة فى الأدب والأديب معاً ، مما ترتب عليه وضع نظريات جديدة فى تفسير الأدب ونقده ، وردّه لعوامل المجتمع ، وأحوال السياسة .

وسرعان ماعرّب سليمان البستانى (١٨٥٦ - ١٩٢٥) ، إلياذة هوميروس شعرا ، وصدّرها بمقدمة تعد نموذجاً رائعاً للدراسة الأدبية ومقارنة الآداب ، جمع خلالها بين الأساليب الغربية فى الدراسة ، وبين الأسلوب البلاغى الانطباعى ، الذى سلكه العرب منْذ القرن الثالث الهجرى ، بدءاً من البيان والتبيين لأبى عثمان الجاحظ المتوفى ٢٥٥ هـ ، فكتابى نقد الشعر ونقد النثر لقدامة بن جعفر المتوفى ٣٣٧ هـ ، فكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى المتوفى ٣٩٥ هـ ، فكتابى « دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة » لعبد القاهر الجرجانى المتوفى ٤٧١ هـ ، فكتابات عبد الرحمن بن خلدون المتوفى ٨٠٨ هـ .

فأتاح سليمان البستانى بنقل الإلياذة لشعراء العربية الاطلاع عليها ، فأهاج قرائحهم ، ودفعهم إلى محاكاتها ، فظهرت بوادر من صنيع الملحمة ، حسب ثقافة كاتبها وتأثره بالقديم أو الجديد .

تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية :

كلفت إدارة الجامعة فى أول أمرها ، حفنى ناصف ١٨٥٤ - ١٩١٩ ، بدراسة أدب اللغة والتأريخ له فى عام ١٩٠٩ / ١٩١٠ ، فألقى محاضرات على طلاب قسم اللغة العربية ، سماها « تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية » .

ضمّن حفنى ناصف دراسته موضوعات ، لم يلتفت مؤلفو التاريخ الأدبى - قبله وبعده - إليها ، مثل : مسميات حروف اللغة ، وتقسيمها إلى صغرى وكبرى ، والخلاف فى ترتيب الحروف العربية بين المشارقة والمغاربة ، واستعمال الحروف فى الحساب والفلك والتاريخ . كما تناول تاريخ الخط العربى منذ عهد رعاة العرب والبابليين حتى يومنا ، وأشار إلى الأقلام وأنواعها ، إلى آخر الموضوعات التى خلت معظم كتب الأدب منها .

وتعدّ مذكرات حفنى ناصف فى تاريخ الأدب ، صورة من نشاط الجامعة المصرية الناشئة ، فى ميدان النهوض باللغة والأدب ، مما كان له أثره فى نهضة دراسة تاريخ الأدب وتطوره فى محيط الدراسة الأدبية المعاصرة .

تاريخ الآداب العربية :

للمستشرق الإيطالى كارل نالينو ١٨٧٢ - ١٩٣٨ ، فقد استقدمته إدارة الجامعة ١٩٠٩

لدراسة الأدب حسب مناهج الغرب الحديثة . وأسفرت محاضراته فى مجال التاريخ الأدبى للطلاب خلال العام الدراسى ١٩١٠ /١٩١١ ، عن كتابه « تاريخ الآداب العربية من الجاهلية إلى نهاية الدولة الأموية » واستهدف من دراسته تعويد الطلاب طريقة البحث ، ووجُوه المفارقة ، وسلامة الاستنباط .

يتميز عمل « نالينو » باستقلال رأيه الذى استخلصه من تجاربه ودراسته ، فنراه يوجه طلابه بقوله : « ستسمعونى ياسادة أسْرُد فى أثناء دروسى عدداً غير قليل ، من أسماء وعلماء معتبرين قدماء كانوا أو معاصرين ، شرقيين أو غربيين ، فأنتقد أقوالهم ، وأبدى فكرى فيها بالحرية التامة ، مستحسناً تارة لآرائهم ، وذاداً تارة عليها ، بعد تقديم المستندات والدلائل والحجج . وليس غرضى من ذلك الحطّ من شأن أولئك العلماء الأفاضل . . . وإنما غرضى الانتفاع بأعمالهم العلمية المهمّة ، وتقدير فضائلها حق التقدير(١) .

ولا غرابة من « نالينو » الذى تأدّب بأدب الغرب ، أن يسجل فى كتابه ماعرفه من أفكار واتجاهات تفيد دراسة « التاريخ الأدبى » ، وتثمر فى إبراز الحقائق ، وتوصّل إلى صحّة النتائج .

مقدمة لدراسة بلاغة العرب :

لأحمد ضيف ١٨٨٠ ـ ١٩٤٥ ، كلفته إدارة الجامعة بعد عودته من باريس ١٩١٨ ، بدراسة الأدب ، وأثمرت دراسته بها كتابين : « مقدمة لدراسة بلاغة العرب » و « بلاغة العرب فى الأندلس » ، تجاوز فيهما تقاليد فهم الأدب ودراسته ، لإيمانه بأن التجديد واجب فى لغة بلاده وأدب أمته .

يضم الكتاب الأول مجموع المحاضرات التى ألقاها على الطلاب خلال عام ١٩١٨ / ١٩١٩ وطبع ١٩٢١ . أراد بكلمة « بلاغة » مانسميه « أدباً » . مهّد لمحاضراته ببيان طبيعة الأدب وحاجته لمناهج جديدة ، تعتمد على النقد السليم ، ثم عرض أقسام الشعر ، والأقوال التى قيلت فى الشعر الجاهلى ، والنزعات المختلفة فى فهم البلاغة « الأدب » وبذا خالف ضيف نهج سابقيه فى الموضوعات التى تناولوها . ونعى على الدارسين قولهم : كتاب أدب لتضمنه العديد من اللغة وقواعدها ، والكثير من الشعر والنثر ، وكذا قولهم : فلان أديب لأنه جلى العبارة ، عالم بكثير من المترادفات ، تنقاد له البلاغة ، ودعا إلى تحطيم المفاهيم المتعلقة بالأدب وكتبه ومؤلفيه (٢) .

ووضّح أحمد ضيف أن النقد ـ فى جملته ـ لايخرج عن وصف الأعمال الأدبية وتحليلها ، ولا عبرة للأحكام التى تصدر بعيدة عن نفسية الأديب وثقافته وميوله . وبذا التقى فى دراسته للأدب مع منهج المتهمين بدراسة التاريخ الطبيعى للنفوس الإنسانية ، للحصول على صورة عامة من الحياة العقلية للإنسان ، من أمثال : سانت بيف

(١) راجع : تاريخ الآداب العربية ص ١٩ كارل نالينو ـ دار المعارف ١٩٧٠ .

(٢) راجع : مقدمة لدراسة بلاغة العرب ص ٦ ، احمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢١ .

١٨٠٤ - ١٨٦٩ ، وهيبوليت تين ١٨٢٥ - ١٨٩٣ ، وفرديناند برونتير ١٨٤٩ - ١٩٠٧ .

وفي ١٩٢٤ أصدر كتابه الثانى « بلاغة العرب فى الأندلس » ، أراد به أدب العرب فى بلاد الأندلس ، مهد له بفتوح الأندلس ، والحياة العقلية والفنية والاجتماعية فى ربوعها ، ثم تناول الشعر والنثر فيها ، وترجم لبعض أعلامها ، وألم بالموشحات وشيوعها . والكتاب تكملة لمباحث كتابه الأول ، وبمثابة تطبيق لاتجاهه فى الأدب والنقد .

وضَّح أحمد ضيف اتجاهه - أكثر - فى دراسة الأدب ، بقوله : « فلابد من البحث فى الصلة بين الكاتب وكتابته والاجتماع ، ولابد من معرفة البلد الذى ولد فيه الكاتب ، والجو الذى تربى فيه ، والزمن الذى عاش فيه ، وحالته الصحية ، ومزاجه وسيرته ، والتربية التى حصل عليها ، ومعرفة أصله وقبيلته ، والأوصاف العامة لها . . . » [١]

واشترط فى دارس الأدب تمتعه بالملاحظة الدقيقة ، وقدرته على الموازنة الصحيحة ، واستعداده للمقارنة الواعية ، فقال : « . . . لايصدق القول بأن لغة العرب أحسن اللغات ، دون أن يعرف - دارس الأدب - اللغات الأجنبية ، ويوازن بينها وبين العربية . . . . لايتحقق له ذلك إلا إذا وقف على مذاهب العرب قديما وحديثا ، وعرف الخطأ والصواب فى آراء صاحب الكتاب » [٢] .

وتبدو أصالة اتجاه أحمد ضيف فى كتابيه ، مزج دراسة الأدب بالتاريخ الإسلامى . حيث يقول : « لو كان من الضرورى الاستدلال على أطوار الأدب بدراسة التاريخ ، فذلك ألزم ما يكون فى أدب العرب ، لأنه أشد ما يكون صلة بالتاريخ ، إذ التاريخ الإسلامى من تواريخ الأمم وأشدها حركة وانتقالا ، وأظهرها أثرا فى العقول والأفكار ، لأنه ليس تاريخا لاغير ، بل هو أيضا تاريخ دينى ، أى تاريخ مذاهب وأحزاب دينية ، وآراء فى السياسة والاجتماع ، مبنية على أثر الدين فى العقول والعقائد » [٣] .

وبذا أسهم أحمد ضيف فى محاضراته بجهود محمودة ، فى دراسة الأدب ونقده بكتابيه ، وكان اتجاهه فيهما جديدا ، وبخاصة دعوته لأخذ ما يناسب أدبنا وطبيعته ، من مذاهب النقد ومسائله لدى الغرب ، وبخاصة فى فرنسا .

فى الشعر الجاهلى :

فى ١٩٢٤ تحولت الجامعة الأهلية إلى حكومية ، وأصبح طه حسين ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م أستاذا للغة العربية وآدابها ، وأخذ يؤرخ للأدب العربى على منهج - رنيه ديكارت ١٥٩٦ - ١٦٥٠ - الفلسفى الذى يقوم على الشك ، من أجل الوصول إلى اليقين ، فنسف جذور الطرق التى اعتمد مدرسو الأدب العربى من أسلافه عليها قبله .

---

(١) راجع : بلاغة العرب فى الأندلس ص ٩٨ ، احمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢٤ .

(٢) راجع : المصدر السابق ص ٣ - ٧ .

(٣) راجع بلاغة العرب فى الأندلس ص ١٥ - ١٦ احمد ضيف الطبعة الأولى ١٩٢٤ .

بدأ الرجل بدراسة الشعر الجاهلى ، فكان كتابه « فى الشعر الجاهلى » ١٩٢٦ ، وقادته شكوكه فى الشعر الجاهلى ، إلى أنه لايمثل اللغة الجاهلية ، لخلوه من الأسانيد التى فات الرواة الاعتماد عليها . مما أحدث ضجة فى مختلف الأوساط . اضطرته لتسميته « فى الأدب الجاهلى » حدد طه حسين الأدب بأنه « ما يؤثر من الشعر والنثر ، وما يتصل بهما لتفسيرهما من ناحية ، ونقدهما من ناحية أخرى » . [١] ثم أشار إلى ما يعين على فهمه وتذوقه ، فقال : « إنك لاتستطيع أن تفهم الأثر الفنى للكاتب أو الشاعر ، إذا اعتمدت على ما تعودنا أن نعتمد عليه من علوم اللغة ، ومن الأنساب والأخبار ، ومن النقد ، وإنما قد تحتاج إلى أن تعتمد على أشياء أخرى ، ليس بينها وبين الأدب صلة ظاهرة » [٢] .

وكشف عن صلة الأدب بتاريخه ، فقال : « فتاريخ الأدب . . أدب فى نفسه من جهة ، لأنه يتأثر به مأثور الكلام من الذوق . . . وتاريخ الأدب علم من جهة أخرى ، ولكنه لايستطيع أن يكون علما كالعلوم الطبيعية والرياضية لأنه متأثر بهذه الشخصية »[٣] .

أخضع طه حسين التاريخ الأدبى لثلاثة مقاييس : أحدها : سياسى يخضع الأدب للسياسة فى رقيها وانحطاطها ، وعنه يقول : « النظر فى الآداب من حيث العصور التى ظهرت فيها ، وتقسيمها من هذه الناحية إلى آداب جاهلية ، وآداب إسلامية ، وآداب نشأت فى عصر الانحطاط ، ثم آداب نشأت فى العصر الحديث » [٤] .

وثانيها : علمى أراد به تطبيق نظرة سانت بيف ١٨٠٤ - ١٨٦٩ فى الاقتصاد على شخصية الأديب ، واتجاه هيبوليت تين ١٨٢٥ - ١٨٩٣ لبيئة الأديب ، وأثر الجنس والزمان فيه ، واهتمام فردينان برونتير ١٨٤٩ - ١٩٠٧ ، فى الوقوف على أصل الأدب ، وما يطرأ عليه من تطور ، وإليه أشار بقوله : « مثل هذا النوع من البحث العلمى الخالص كثير ، لايكاد يبلغه الإحصاء ، وهو الزهرة الحقيقية لجهود اللغويين والباحثين عن الأدب وتاريخه ، وعلى هذه الجهود الخصبة . . . . يقوم التاريخ الأدبى الصحيح » [٥] .

ثالثها : المقياس الأدبى الذى اقترحه ، بأن يأخذ من العلم منهجه وطريقته فى البحوث التاريخية وغيرها ، مما يمهد السبيل لتذوق النص الأدبى ، وفيه يقول : « لن أستطيع أن أستحسن القصيدة من شعر أبى نواس ، إلا إذا لاءمت نفسى ، ووافقت عاطفتى وهواى ، ولم تثقل على طبعى ، ولم ينفر منها مزاجى الخاص ، أنا إذن عالم حين اكتشفت لك النص ، وأضبطه وأحققه وأفسره من الوجهة النحوية واللغوية . . . ولكنى

(١) راجع : فى الأدب الجاهلى ص ٢٨ ، وطه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٢) راجع : المصدر السابق ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٣) راجع : فى الأدب الجاهلى ص ٣٣ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .
(٤) راجع : المصدر السابق ص ٣٧ .
(٥) راجع : فى الأدب الجاهلى ص ٥٢ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .

لست عالما حين أدلك على مواضع الجمال الفنى من هذا النص »[1] .

وأخذ على طه حسين عدم تسليمه بصحة أكثر الأدب الجاهلى ، حيث قال : « لايمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية للعرب الجاهليين »[2] . وبذا أحدث الكتاب ضجة فى مختلف الأوساط . فوضع رجال اللغة والدين الكتب لمناقشته والرد عليه ، وفى ١٩٢٧ برزت الردود عليه ، مثل « الشهاب الراصد » لمحمد لطفى جمعه المتوفى ١٩٥٣ ، و« نقد الشعر الجاهلى » لمحمد فريد وجدى المتوفى ١٩٥٤ ، و « نقض كتاب فى الشعر الجاهلى » لمحمد الخضر حسين المتوفى ١٩٥٨ ، و« نقض مطاعن فى القرآن » لمحمد أحمد عرفة المتوفى ١٩٧٣ .

ولعنف الحملة على طه حسين ، وضراوة الجدل حول كتابه ، اضطر إلى تعديل آرائه ، وبخاصة ما تعرض فيها للدين ، وأعاد طبعه ١٩٢٧ بعنوان آخر هو « فى الأدب الجاهلى » دون تغيير نظرته للشعر الجاهلى .

وظلت الثورة قائمة على الكتاب على نحو ما صوره كتاب « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعى المتوفى ١٩٣٧ ، وكتاب « النقد التحليلى لكتاب فى الأدب الجاهلى » لمحمد أحمد الغمراوى المتوفى ١٩٤٤ ، وقد صُدِّر بمقدمة طويلة ضافية ، لأمير البيان شكيب أرسلان المتوفى ١٩٤٦ .

وأسفر الحديث عن قضية الشعر الجاهلى ، عن وضع أصول جديدة للبحث الأدبى ، ترجع إلى جانبين : جانب علمى يقوم على فحص النصوص الأدبية وتحقيقها ، واستنباط دلالتها مع الدقة والتفسير ، وتعليل الأحكام ، ومعرفة ما يحيط بها من ظروف ومؤثرات ، وجانب فنى يتصل بنقل النصوص ، وتصوير الشخصيات ، حتى يمكن إحالة التاريخ الأدبى إلى عمل ممتع ، يلذّ العقل والشعور معا .

والحمد لله أولا وآخراً .

استدراك

جاء بافتتاحية عدد رجب سنة ١٤١٩ صفحة ١٠١٩ السطر الرابع «ودخل مكة فى جوار رجل مشرك هو عدى بن حاتم الطائى، والصحيح هو: المطعم بن عدى»

---

(١) راجع : فى الأدب الجاهلى ص ٥٠ ـ ٥١ ، طه حسين ، دار المعارف ١٩٨١ .

(٢) راجع : المصدر السابق ص ٨٠ .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

تتألق خميلة الشعر اليوم ، بأنوار قصائدها البديعة ، التى تشرق علينا بأنغامها الحلوة والمتنوعة ، بأمل أن تتلاقى وأذواق قرائها الأعزاء ، ونستهل جولتنا الخميلية بقصيدة : (به أتغنى) للشاعر الأزهرى الكبير محمد عبد الرحمن صان الدين ، الذى يعود إلى عشاق شعره الإيمانى المعبر بعد غياب .

ثم نلتقى بقصيدة (توحيد الله) للشاعر الإسلامى الكبير محمود الطاهر الصافى الذى يعرض علينا من خلال أبيات قصيدته حبه العظيم لله الواحد القهار ثم نشيد النصر للأستاذ محمد إبراهيم العشماوى ونختم الخميلة بأبيات للأستاذ محمد أحمد المعصرانى بعنوان « أنا مصر »

الله ربى

للأستاذ: محمد عبد الوهاب

الله ربى لست أعبد غيره ... هو من يلبى حاجتى ومطالبى

سبحانه، خلق الورى بقضائه ... وبنوره، ساروا لخير أرحب

ومحمد حسن الختام لمعشر ... قادوا الحياة لعزة ومناقب

يارب وارفع شأن أمتنا به ... واجعل رحيق المجد عذب المشرب

هذا كتابك يامهيمن بيننا ... اجعله فى دمنا كهاد طيب

واجعل حياة المسلمين كريمة ... بالعلم والإيمان .. لا يتقلب

وانعم علينا بالهداية والتقى ... باعد بنا عن فرقة ونوائب

فتشوب - حتما - من براثن غفلة ... ونعيش عيش الظافر المتوثب

أبناء يعرب فلتقوموا للعلا ... لا يستحق العيش من لم يتعب

به أتغنى

للشيخ: محمد عبد الرحمن صان الدين

تغنيت بالإسلام حين عرفته ∴ وإنى لعرق المسلمين سليل[1]
على ملة الإسلام بين عشيرتى ∴ نشأت، ووعيى للأمور كليل
فلما نما عقلى وزادت حصيلتى ∴ من العلم والعرفان بان السبيل
فهمت به حبا تملك مهجتى ∴ وهل تجحد النور المبين عقول؟
ولكن دين الله ليس توارثا ∴ ولا نحلة دقت عليها طبول[2]
بل الدين آيات تجلى جلالها ∴ على صدقها قد قام فيها دليل
ألا إنه الوحى الذى مد ظله ∴ وللوحى ظل فى العقول ظليل
أجل إنه الينبوع فاض نميره ∴ به يرتوى فى الظامئين غليل
وكل إلى سلساله العذب ظامىء ∴ وكل بعيد عن هداه ضليل
لقد خط للدنيا نظام حياتها ∴ وليس له فى العالمين مثيل
ودين على الإنصاف قام بناؤه ∴ لدين له الطبع السليم يميل
رأيت به الإنسان يسمو ويرتقى ∴ ففيه إلى عز الحياة سبيل
يسوس بنى الدنيا برفق ورحمة ∴ وزجر بحزم ليس عنه بديل
نظام وتشريع، وضبط بحكمة ∴ بظل فروع قد نمتها أصول
وحسب بنى الإنسان أن شريعة ∴ أتتهم من الرحمن فيها شمول
فما صد عن ينبوعها غير جاحد ∴ وما عابها إلا غبى جهول

فقل للذى يحيا بغير عقيدة ∴ شريدا بصحراء الحياة يجول
كئيبا من الأهوال يقتل نفسه ∴ فرارا، كأن العيش غول تغول
تعال إلى الإسلام تظفر بواحة ∴ ففيه من القيظ الممض مقيل[3]
إذا مد فى هذى الحياة رواقه ∴ أحس بعز النفس فيه ذليل[4]
ولا تنظر الإسلام فى أدعيائه ∴ فما كل من يطلى الجبين جميل
وما كل منسوب إليه بصادق ∴ ولا كل من أبدى الجلال جليل
ولكن خلق المرء عنوان دينه ∴ وليس من الإسلام إلا نبيل

---

١ - سليل : أى ولد منحدر من المسلمين .
٢ - نحلة : دعوى باطلة .
٣ - ممض : محرق ، مقيل : مأوى عند القيلولة .
٤ - رواقه : خيمته أو سقفه

توحيد الله

للأستاذ: محمود الطاهر الصافي

أنت المليك لكل باطن ... ولأنت مظهر كل ظاهر
أنت القديم ولا سوى ... ولقد بقيت بلا مناظر
وجلال وجهك مشرق ... وجماله فى الكون باهر
من رام غيرك وجهة ... فمآله فى الكون خاسر
كل الخلائق هالك ... ولأنت باق أنت آخر
أنت الوجود حقيقة ... وسواك كالظلل العوابر
منك التحرك والسكو ... ن وكل ما فى الكون دائر
أنت المقدم والمؤخر ... والمجير من الجوائر
من رام أمنك فى الظلا ... م رأى الضياء بغير ساتر
منك الكتاب عظائم ... إعجازه نور وقاهر
حبل به كل القوى ... يعلو إلى أعلى البشائر
كل الوجود معلق ... بضيائه فهو المصادر
الله خالق كل شىء ... بالكلام وبالأوامر
وكلامه قرآنه نتلو ... أحلى من مزامر
وهو الكلام جميعه ... ما غاب منه أى نادر
صفة الإله تعاظمت ... لا تنتهى فهى الزواخر
وهو المحيط علومه ... حوت الظواهر والسرائر
من رام رشدا في سوا ... ه فهو فى الإظلام عاثر
ومحمد نور الكتا ... ب وهديه يمحو الدياجر
فهو المدينة شعشعت ... وهو الشموس لكل سائر
وأخو النبى علينا ... هو بابه رب المفاخر

نشيد النصر

للأستاذ: محمد إبراهيم العشماوى

ألق الهموم وودع الأحزانا .. واملأ فؤاد المؤمنين أمانا
إن الذى قد أنزل القرآنا .. قد خط نصرك للورى عنوانا
بُذرٌ أتى بدرا فأشرق نوره .. ومحى دياجير الظلام ظهوره
وسرى شذاه بها وفاح عبيره .. فاستنشقت نسم السرى إيمانا
تاهت عقول الباحثين فأرجفوا .. وعموا عن الحق المبين فزيفوا
ماكان منهم ظالم أو مسرف .. فافتح - إذا رمت الهدى - آذانا
ثأر يؤرقهم . فمن يظفر به .. يعجل إليه ويشف مافى قلبه
ويرى أبىُّ الضيم أعظم ذنبه .. أن يستباح فيمنح الغفرانا
جرت عليك قريش ويلات الوغى .. وطغى وأمعن فى الإذاية من طغى
فمن العدالة أن تكافىء من بغى .. حتى تقيم لدينه أركانا
حرب يحركها السلام فلو درى .. أهل الضلالة ذاك مانسجوا الفرى
ياممجلس الأمن المخيف ألا ترى !! .. ضلت سبيلك فاهدها بخطانا
خرت لعزة دينه الأصنام .. أفلا تخر لعزه الأقوام ؟
والله لو أخذوا به لأقاموا .. حقا وعدلا فى الورى وأمانا
دِنْ من تشاء بما تشاء فإنما .. شرع الوفاء محاربا ومسالما
واليوم تلك العير صرن مغانما .. وبها وفاؤك بعض ماقد كانا
ذوقى قريشا ما أذقت محمدا .. وتجرعى سيف المنون مجردا
قد حان حينك فاستعدى للردى .. ويصير عزك ذلة وهوانا

رمت الإغارة يارسول عليهمو .. وخرجت بالجيش القليل إليهمو
وهمو الكثير وماتكون لديهمو ؟ .. لكن ربك بالجنود أعانا
زمن الوفاء فخذ بحقك وافيا .. وكفى بسيفك فى المعارك شافيا
وإذا السلام غدا ولم يك كافيا .. فاحمل قناتك وادفع العدوانا
سمعوا بغير المشركين فأقدموا .. ورأى أبو سفيان ألا يغنموا
فنجا بخطته وقام المجرم .. ذو الجهل يشعل للوغى نيرانا
شاءت إرادته بأن تبقى بها .. حتى تنال قريش شر عقابها
وترد ناكصة على أعقابها .. وترى عزيز مصابها خذلانا
صدوك عن دين الإله صدودا .. فابعث إليهم يارسول أسودا
واخرج إليهم ظافرا محسودا .. حتى يروا منك الردى ألوانا
ضيعت هيبتهم فكنت مهابا .. وسألت ربك نصره فأجابا
طب فالسماء تفتحت أبوابا .. ورأيت أملاك السماء عيانا
ظهروا فكان ظهورهم تكريما .. والفضل فضل الله كان عظيما
عز أعز به الكريم كريما .. حتى يطمئن قلبه اطمئنانا
غشاكمو الله النعاس لتأمنوا .. والماء أنزله عليكم فاسكنوا
فلوا فلول المشركين وأمكنوا .. منهم سيوفكم العلا إمكانا
قل للقليب مغورا من غورك ؟ .. وسل العريش مسوراً من سورك ؟
كل أشار برأيه . ما أشورك ؟ .. إن المشورة تفتق الأذهانا
لما دنوا من ماء بدر بادروا .. فبدرتهم بالاكرمين فغادروا
من ينزل الهيجاء فهو مغامر .. والجبن ينفع فى الوغى أحيانا

نصرت يمينك يارسول الله .. ووقيت شر مصائب ودواه ..
هزأتهم بين الورى والله .. وحصدت منهم فى الوغى شجعانا
والله عاتبك العتاب رقيقا .. تفدى الأسير وتبتغيه طليقا ؟
ياخير من سلك النجاة طريقا .. ماكان حتى تشخنوا إثخانا
أفك الذين رموك بالبهتان .. ما أنت بالباغى ولا العدوانى
بل أنت راق طبعه إنسانى .. لم نلف غيرك فى الورى إنسانا
إن الذين قتلتهم قد أجرموا .. فى الحرب ما هم بالأسارى فافهموا
يا أهل بدر بالرضى بشراكمو .. فالله أنزل فيكمو قرآنا

أنا مصر

للأستاذ : محمد أحمد المعصرانى

كم ارتويت من الأشواق يا مصر ... حتى حسبت بها أنى أنا مصر !!
هذى السنون من التهيام سيدتى ... مرت بأوردتى ، فاستأن يا عمر
وهبت قلبى وروحى - دونما خجل - ... لقطرك العذب ؛ حتى يرتوى النهر !!
نذرت شعرى ونثرى كى أقدمه ... فدا ، فقال دمى : هل يقبل النذر ؟
إنى أحبك حبا لا يعادله ... حب البرايا ، وآمال لها سحر !!
علمت قلبى الهوى حتى هوى فتوارى ... ما بدا وابتدا واستعذب الصبر
علمته أن يرى فى حبه وطنا ... علمته «مصر» كى يبقى له ذكر
معابد الحب مازالت مرفرفة ... وسط التبتل حتى يمحى القهر
تركت فجر الهدى يسرى سدى ... فتأوه الهدى ليلة واستعبر الفجر !!
فاستيقظى واعبرى أدواءنا وصفى ... دواءنا واعرفى أن الشفا خير
يا مصر، أنت المرايا، أنت كل مشاعرى.. ... فهل تقبلين الحب يا مصر ؟!

دوحة الكتب

إعـداد: محمـود الفشـنى

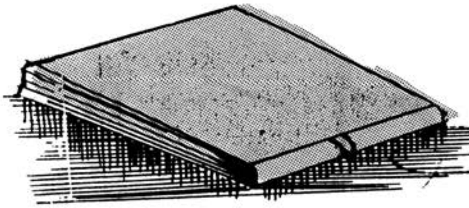

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

العربية الفصحى
دراسة فى البناء اللغوى

تعريب وتحقيق وتقديم
دكتور عبدالصبور شاهين
تأليف / هنرى فليش

● عزيزى القارىء . إن الكتابة عن العربية من الصعب الخوض فيها لأنها حديث الله إلى العالمين ولغة دستور الإسلام القرآن الكريم ، وما بها من معان وأساليب بديعية ، وألفاظ جميلة ، تجعلنا نحتار كيف تكون البداية .

● وها نحن نقدم الطبعة الثانية للكتاب المذكور بعد صدور الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ ميلادية .

● حيث قد حرص المؤلف على ترجمة الباب الثالث عن التراكيب - syntoxe - فى اللغة الفصحى .

● وحاول المؤلف / هنرى أن يعالجها بفكره الاستشراقى ، ودرايته الكاملة والدقيقة بعناصر التراكيب العربية ؛ ملتزماً بالنموذج القرآنى ، وما ينسج على منواله من تراكيب الشعراء والنثراء من فصحاء القرنين الأولين فى التاريخ الإسلامى .

● ولقد أسهم المؤلف فى الطبعة السابقة فى إثراء

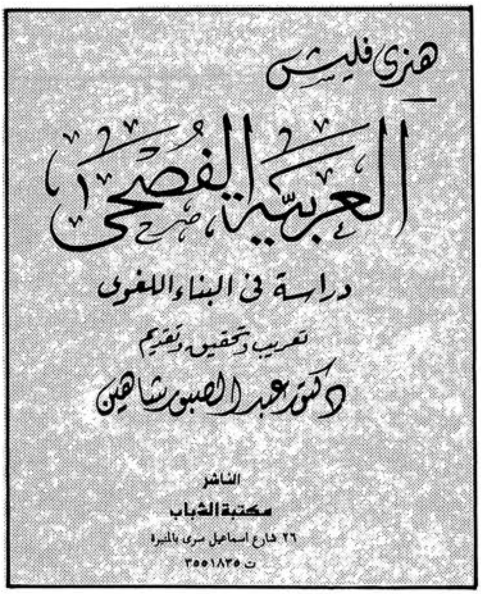

المناقشات حول هذين البابين الأساسيين فى دراسة الفصحى .

● وهذا الكتاب وهو ترجمة دراسته للتراكيب سوف تدهش الكثيرين من دارسى العربية .

● فهو يتحدث لأول مرة فى باب الأصوات عن (الوقف) والثانى فى باب الصرف عن (جمع التكسير أو الجموع الداخلية) وهما من زيادة المؤلف إلى جانب تعديلات كثيرة فى الأصل والهوامش واقتضى ذلك إضافة تعديلات فى المذكرات التكميلية وفى الملاحق أو الفهارس .

● لقد توصل المؤلف إلى البحث فى كيفية تناول اللغة العربية ، كيما تعبر عن هذه الوظائف المختلفة لوحداتها اللغوية فى الجمل البسيطة .

● استخدم المؤلف الأمثلة الأكثر بساطة فى دراسة علم التراكيب .

● وكتاب اليوم الذى نقدمه لقرائنا قصد به مؤلفه بكل تواضع أن يكون مخططاً متواضعاً مع رجاء ألا يقابله قراؤه بقساوة لما حوى من نقائص ومعايب لا يمكن تجنبها شأن كل بداية معرضة للنقص .

● والمؤلف هو الدكتور هنرى روبرت فليش ولد فى قرية حونفيل بفرنسا سنة ١٩٠٤ وتلقى دراسته الثانوية بمدرسة الملائكة ثم حصل على دبلوم المدرسة القومية للغات الشرقية الحية بباريس ثم على دبلوم معهد الدراسات الصوتية . وهو من أقدم من التحقوا بمعهد الدراسات العليا بباريس قسم العلوم التاريخية واللغوية ثم حصل على الليسانس فى الآداب من السوربون ثم نال درجة الدكتوراة فى الآداب وهو عضو بالجمعية اللغوية للدراسات الحامية السامية ، وعضو بالجمعية اللغوية بباريس ، وبالجمعية الدولية للدراسات الشرقية ، كما اختير عضوا بمجلس إعادة تنظيم المركز القومى للبحث العلمى بباريس ، ومن أهم بحوثه فيما يتصل باللغة العربية .

١ - دراسات فى علم الأصوات العربى ٢ - دراسات فى الفعل العربى ٣ - اللهجات الشرقية ٤ - تاريخ النحو العربى والجانب المعجمى فى الجملة العربية الفصحى - العربية الفصحى والعربية اللهجية .

● فى البداية تكلم عن المصوتات القصيرة فى آخر الكلمة المعربة حين يكون الاسم ممنوعاً من الصرف وكانت المادة الصوتية هى بداية الباب الأول يلاحظ فى علم الأصوات وجود تناقض بين عدد الصوامت الضخم (٢٨) ، وذلك العدد

القليل من المصوتات (فتحة وضمة وكسرة / a u i) قصيرة كانت أم طويلة وقام بشرح واف لهذه المصوتات حتى وصل إلى المقطع وشرح طبيعته والمقطع المقفل ، والمصوت الطويل .

● وأشار إلى النبر والوقف وقد كشف المؤلف عن المادة الصوتية المستخدمة اصطلاحاً فى اللغة العربية الفصحى .

● أما الباب الثانى وهو الصرف فقد ذكر فيه أمثلة كثيرة وشرح أوليات فى الصرف الاسمى الإعراب ـ المفرد ـ والجمع الخارجى والمثنى ـ والجمع الداخلى واسم الجماعة ـ والنوع .

● ثم انتقل إلى جزئية أخرى ، وهى : تأملات فى الصياغة الاسمية فتناول فيها عدم التفرقة بين الأسماء والصفات . تفضيل الصيغ ذات الإيقاع الصاعد ثم مقارنة بالأوزان المستعملة فى الشعر .

● ثم تحدث عن السوابق سابقة الهمزة ، وسابقة الياء والتاء والميم ، ثم عن اللواحق صفات الأعداد الترتيبية تناول الأحداد من الأول إلى العاشر والعشرين والتسعين والمائة والألف .

● أشار بعد ذلك إلى الأفعال الفعل الثلاثى والرباعى وتناول الإشاريات من الضمائر الإشارية .

● وعرض الضمائر الشخصية ثم الإشارات والضمائر الموصولة ثم الضمائر الاستفهامية .

● أما فى القسم الرابع فوضح الأدوات ـ الظروف ـ أدوات الجر وأشباهها والروابط .

● وفى القسم الخامس أشار إلى الطرق النحوية الأخرى التى تبنى منها النماذج الرئيسية فى اللغة : النبر الديناميكى أو الموسيقى ، نظام الكلمات ، التركيب

● أما الباب الثالث : وهو التركيب فقد قسمه المؤلف إلى عدة أقسام :

● الأول الجملة البسيطة ـ منها المرفوع ـ المجرور ـ المنصوب ـ الوصف بالمشتق التبعية ـ النداء .

● الثانى الجملة المركبة ـ العبارة الموصولة ـ العبارات التكميلية .

● الثالث الجملة المزدوجة .

● ثم طرح المذكرات التكميلية كمسألة المزدوج وكتاب سيبويه ثم ضعف الواو والياء بين مصوتين ثم ملاحق الكتاب كدليل المصطلحات والأفكار ودليل الصيغ ودليل الأعلام .

● وأخيرا عزيزى القارىء : فإن معرب ومحقق هذا الكتاب قد بذل فيه جهداً كبيراً ، وحقق فيه من الثراء اللغوى والنحوى والتراكيب والألفاظ ما يستحق الاحتفاظ به وقراءته ، فالمادة مستقاة من المراجع الأصلية القديمة ، التى عالجت قضايا اللغة الفصحى ، ابتداء من كتاب سيبويه وأهم ما فى الأمر موقفه من هذه المادة ، فهو لم يحاول أن يبتدع ، أو أن يلتمس المآخذ شأن كثير من الباحثين فى تراث الأقدمين . والناقدين لمناهجهم . وإنما هو يحاول أن يبعث فى القديم روحاً جديدة ، تبقى عليه أصالته ، وتمنحه الحياة بمنطق علمى .

● لقد عشت مع تحقيق الدكتور عبدالصبور ذلك العالم الكبير الذى اختارأصعب المواضيع من هذه الثقافات الحقة ، التى تحقق أرقى صور التعاون الخلاق فى سبيل العلم ، وفى سبيل اللغة العربية : لغة القرآن .

القضاء والقدر فى الإسلام
الجزء الثالث
عند المتفلسفة فى الحضارة الإسلامية

تأليف

الدكتور فاروق أحمد الدسوقى

● عزيزى القارىء هذا هو الجزء الأخير من هذه الموسوعة الثقافية الإسلامية التى تحدثت بشرح جلى عن القضاء والقدر : عند المتفلسفة فى الحضارة الإسلامية .

● إن الفلسفة : هى المنهج العقلى المحض للبحث عن الحقيقة بمفهوم تدريس الفلسفة فى معظم المؤسسات الثقافية والعلمية .

والذين يتخذون العقل البشرى وحده دليلا ، ومرشداً ، وطريقاً لمعرفة حقيقة الكون ، وهدف الإنسان من وجوده ومصيره بعد الموت ، يتجاهلون حقيقة أولية فطرية ذات شأن خطير فى وجود الإنسان ألا وهى : حقيقة الفطرة التى بها يدرك الإنسان بداهة أن للكون وللإنسان خالقاً ومدبراً . ورازقاً وهادياً ، وأن الخالق لا يمكن أن يترك الإنسان ضالا تائها بلا رسالة وبلا هدى وبلا وحى .

● أراد المؤلف أن يوضح حقيقة الفلسفة من خلال الحضارة الإسلامية ويظهر الخلاف بين عقيدة الفلسفة ، وعقيدة التوحيد الإسلامية .

● ففى الفصل الأول تكلم عن القضاء والقدر ، والحرية الإنسانية عند أفلاطون ، فكان منها

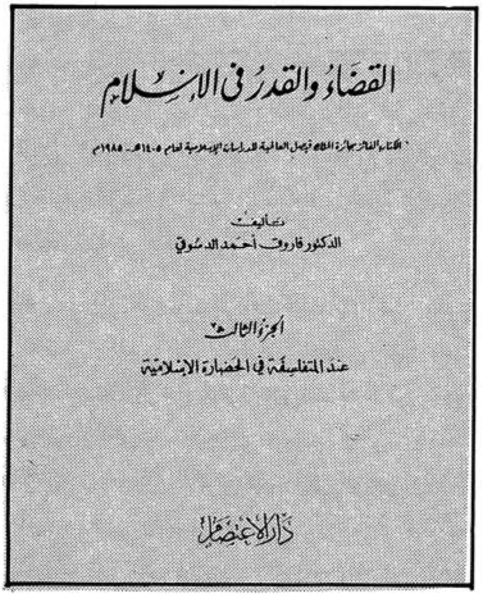

الفاعلية الإلهية ، ومفهوم القدر والفاعلية الطبيعية كعنصر أساسى فى مفهوم القدر .

والإنسان والفاعلية الإنسانية ، والجبريات الثلاث كعناصر حقيقية لمفهوم القدر ومشكلة الحرية الإنسانية والجبريات الثلاث .

● أما فى الفصل الثانى فأشار إلى القضاء والقدر والحرية الإنسانية عند أرسطو وشرح فيها الطبيعة والضرورة الطبيعية ومفهوم الألوهية وأثره على مفهوم القدر والفاعلية الإنسانية كأساس للحرية ، والحرية الإنسانية والضرورات الثلاث .

● وأشار المؤلف فى فصله الثالث إلى القضاء والقدر ، والحرية الإنسانية عند الكندى ، وهو نموذج لمفهوم القضاء والقدر والحرية الإنسانية فى مذهب فلسفى يجمع بين التفسير الطبيعى والفاعلية الإلهية عن طريق إثبات فاعلية للكواكب

كوسائط بين الفاعلية الإلهية والفاعلية الطبيعية وذلك بفكرة التولد .

● شرح فيه المؤلف مفهوم الألوهية ، وأثره على مفهوم القدر ، ثم تصور العالم وأثره على مفهوم القدر ثم الضرورة النفسية ، ومفهوم القدر بين الفاعلية الإلهية والحتمية الطبيعية والحرية الإنسانية والضرورات الثلاث .

● أما فى الفصل الرابع فتحدث عن مفهوم القضاء والقدر عند الفارابى ، وابن سينا وضم هذا الباب أكثر من عشرة محتويات بدءا من مفهوم الإلهية والجبرية الإلهية عندهم وحتى العدالة الإلهية ، ومفهوم الشر ومصدره فى الوجود وتحدث المؤلف عن مفهوم السعادة الإنسانية وعلاقته بالكمال الإنسانى موضحا أن السعادة هى الغاية القصوى للإنسان كإنسان فهى (الخير المطلوب لذاته وليست تطلب أصلاً ولا فى وقت من إلا وقلت لينال بها شىء آخر ، وليس وراءها شىء آخر يمكن أن يناله الإنسان أعظم منها) ووسيلة الإنسان للوصول إليها هى النفس الناطقة التى لم تكن (لتخدم شيئاً آخر بل ليوصل بها إلى السعادة) .

● وأشار إلى الذات الإنسانية بين الضرورة والحرية ثم عناصر مشكلة الحرية عند الفارابى وابن سينا والقضاء والقدر عند ابن سينا ، ثم موقف الإنسان من الضرورة الكونية والقدر .

● وتحدث المؤلف عن الحرية الإنسانية والجبريات الثلاث : الإلهية والطبيعية ، والنفسية ثم تفسيرهما للقدر تفسيراً طبيعياً .

● ووضَّح المؤلف تفسير الفارابى ، وابن سينا للنبوة والدعاء فى ضوء مفهومهما للقضاء والقدر ، موضحاً أهم النتائج الدالة على ذلك بإيجاز،وأخيرا كانت العدالة الإلهية ومفهوم الشر ومصدره فى الوجود وهى الشق الأخير الذى تحدث عنه المؤلف موضحا فيه أن وجود الشر فى الكون رغم القول بجبرية كونية محيطة شاملة يصبح مشكلة .

● وقسم الفارابى الخير إلى خير كلى فى الوجود وخير إنسانى .

ومصدر الخير الكلى هو الإله .

أما مصدر الخير الجزئى فهو الإنسان .

● ولهذا عزيزى القارىء يكون المؤلف الدكتور فاروق الدسوقى قد أوجز لنا مسائل القضاء والقدر فى موسوعة إسلامية مكونة من ثلاثة أجزاء كل جزء احتوى على موضوعات متكاملة يحتاجها كل إنسان مسلم ليدرك بعقله هذه المسائل الهامة فى حياته خوفا من أن يتوارى خلف ضلالات تظلم له عقله وتضل طريقه .

وإذا كنت قد اقتنيت الأجزاء السابقة عزيزى القارىء فعليك بهذا الجزء ؛ لأنه مكمل لهما ، وحتى يكتمل الموضوع عندك لتصبح ملماً إلماماً كاملاً بكل صغيرة وكبيرة . بالموضوع بكل جوانبه .

طرائف من التاريخ

تأليف الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشى

● عزيزى القارىء هذه هى المرة الثانية التى نكتب فيها عن النوادر التى حفلت بها الكتب عبر التاريخ ، ففى أحد الأعداد السابقة من مجلتنا

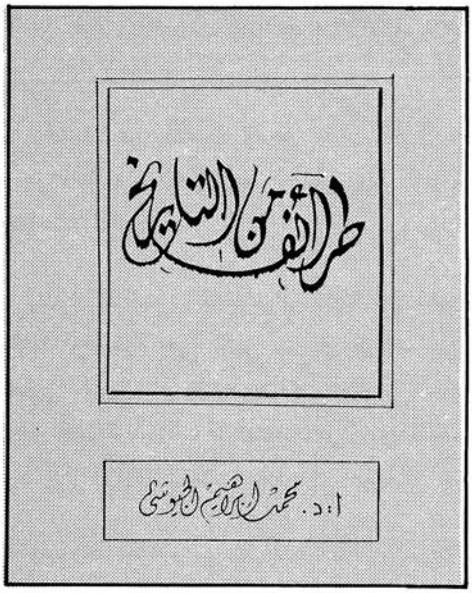

وعلى ساحة هذه الدوحة كانت لنا وقفة مع ملك النوادر نصر الدين الرومى الملقب بجحا .

● ولكن فى هذا العدد نتجول داخل صفحات هذا الكتاب ، والذى يعرض صورا من حياة الخلفاء ، والشعراء ، والأدباء ، والعلماء .

ويلقى الضوء على جانب من الحياة الاجتماعية والثقافية فى العصور المختلفة ، منذ صدر الإسلام حتى العصر الحاضر .

● ففى بداية كتابه هذا تحدث المؤلف عن صراع العمالقة بين معاوية والحسن بن على ـ رضى الله عنه ـ ثم الصراع بين أبى حازم وسليمان بن عبدالملك .

ومن المواقف التى تدل على رباطة الجأش فى المواقف العصيبة ، والقدرة على التعبير المقنع المؤثر وأشباح الموت تتراقص أمام الأعين ، موقف تميم بن جميل أمام المعتصم ، ومن حوله السيوف المشرعة ينتظر حاملوها كلمة من المعتصم حتى يجهزوا عليه ، ولكن ذلك كله لم يذهل عقله عن التفكير السليم ، ولم يشغله عن عرض قضيته فى أوضح بيان وأنصعه ، حتى انتزع العفو من المعتصم ، وقد أثار موقف تميم هذا إعجاب رجلٍ مثل أحمد بن أبى دؤاد حيث قال : ما رأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل .

● ثم ذكر المؤلف مواقف محمودة لأبى سفيان ثم ذكر مواقف لمعاوية منها مع عمرو بن العاص وامرأة من وثلية ومعاوية وعقيل وبين معاوية وصحار العبدى ، وبين النعمان والصعب النهدى ، وذكر الحوار الذى كان فى مجلس معاوية حول ابن جعفر وبين معاوية وشريك بن الأعور .

● وروى المؤلف من أخبار الإمام العلامة المحدث الإخبارى الأديب أبو خليفة الفضل بن الحباب فى مجلس الأمير : روى ابنه قال : سمعت أبى يقول : حضرنا يوماً عند خليل أمير البصرة فجرى بينه وبين أبى خليفة كلام فقال له : من أنت أيها المتكلم ؟

فقال : أيها الأمير ، ما مثلك من جهل مثلى ، أنا أبو خليفة الفضل بن الحباب ، أفهل يخفى القمر ؟

فاعتذر إليه وقضى حاجته ، ولما خرج سألوه .

فقال : ما كان إلا خيراً ، أحضرنى مأدبته ، فأبط وأدج ، وأفرخ ، وفولج لوذج ، ثم أتانى

بالشراب فقلت : معاذ الله فعاهدنى أن آتى مأدبته كل يوم ، فكان إنسان يأتى كل يوم فيحمله إلى الأمير .

● ثم كتب المؤلف عن عبقرية الشاعرين : الفرزدق وجرير .

● ثم تحدث عن نوادر العلماء والحوار الذى دار بين المهدى وأحد الأعراب ، ثم مروءة المهدى . وفراسته وسخائه .

● ثم تحدث عن جعفر الصادق ، وأبى حنيفة ، وبين مسلمة وأعرابى ، وأبو دلامة وذكر عن الكرم والبخل :

إن الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تـراه غنيـا وهـو مجهـود
وللبخيـل عـلى أمـوالـه علل
زرق العيـون عليها أوجه سـود
إذا تكرمت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
أبرق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار إذا لم يورق العود
بث النـوال ولا تمنعـك قلتـه
فكل ما سد فقراً فهو محمود

● ثم أشار المؤلف إلى إبراهيم بن المهدى وهو يغنى لعبد أسود .

● وتحدث عن المأمون ورجل يدعى النبوة ، ورجل آخر يزعم أنه إبراهيم الخليل ، ثم المأمون وصاحب الكفن .

وتناول المؤلف فى كتابه نوادر كثيرة عن عصر الخلفاء والحكماء حتى انتهى بنا إلى طرائف من العصر الحديث ثم ختمه بطرائف لعباس العقاد وهذه حصيلة للمؤلف قد امتدت على مدى نصف قرن من الزمان كانت تسجل فى حينها .

● وقد وجد المؤلف من نشر هذه الطرف والنوادر ما يعجب القارىء فى عصرنا هذا ، ربما وجد فيها ما يخفف عنه ما يعانى من كثافة الحياة المادية ، وثقلها .

● عزيزى القارىء لعل ما فى هذا الكتاب من لغة وأسلوب بديعى ، وألفاظ جميلة تثرى حصيلتك اللغوية ، ومعلوماتك التاريخية يحفزك إلى اقتنائه بمكتبتك .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

تحويل القبلة

إن أشرف بقعة على وجه البسيطة هى تلك البقعة التى يتوجه إليها المؤمنون فى صلاتهم ، طلبا لرضوان الله وأمنه ، طائعين متوسلين ضارعين ، معلنين خضوعهم لبارئهم . إنها الكعبة المشرفة بيت الله الحرام .

ولقد قضت حكمة الله - تعالى - أن يوجه المؤمنين إلى بيت المقدس مدة من الزمان ، ثم أمرهم - سبحانه وتعالى - أن يتوجهوا إلى الكعبة المشرفة ، ليقضى أمراً كان مفعولا . حيث يقول الله فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾

(البقرة : ١٤٣)

إنها حكمة الله ومشيئته التى لا تحد ، وإنها أوامر الله التى يخضع لها كل مؤمن واثق بالله تعالى .

لقد توجه المسلمون بصلاتهم إلى بيت المقدس ما يقرب من سبعة عشر شهراً ورسول الله - ﷺ - يقلب وجهه إلى السماء ويطيل النظر ، رجاء أن يصرفه الله تعالى عن قبلة اليهود إلى قبلة أبينا إبراهيم عليه السلام .

وفى مثل هذه الأيام استجاب الله تعالى إلى حبيبه ومصطفاه فكان تحويل القبلة .

روى البخارى عن البراء بن عازب قال : « كان رسول الله - ﷺ - صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله - ﷺ - يحب أن يتوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ (البقرة : ١٤٤)

نسأل الله تعالى - أن يعيد مثل هذه الأيام المباركة والأمة الإسلامية فى أفضل حال إنه سميع مجيب الدعاء .

ليلة النصف من شعبان

وعن ليلة النصف من شعبان أرسل إلينا القارىء أيمن محمد أبو السعود - دسوق - كفر الشيخ يقول :

ليلة النصف من شعبان هى ليلة زهراء مشرقة صبيحتها ، يستحب صيامها سعيا إلى كثرة الثواب ، ورضا للعزيز الوهاب .

وفى فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث كثيرة ، صحح ابن حبان بعضها . وقال الإمام الشافعى - رضى الله عنه : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليالٍ : ليلة الجمعة ، والعيدين وأول رجب ، ونصف شعبان .

فينبغى على المؤمن أن يستعد لاستقبال الليلة المباركة بالتوبة وطاعة الله - تعالى - وأن يكثر فيها من ذكر الله - تعالى - ويدعوه - سبحانه - فالدعاء مخ العبادة .

ويقول بعض السلف الصالح : كم من مستقبل يوما لا يستكمله ، ومن مؤمل غدا لا يدركه .

وإذا كان الأمر كذلك ، وكلنا نعلم يقينه ، فلنسرع إلى التماس الخير فى كل مناسبة ، وها هى ليلة النصف من شعبان ، ليلة مباركة ، يستجاب فيها الدعاء ، فهنيئا لمن استعد وشمر عن ساعد الجد ، واستقبل ليلته بالدعاء والتضرع ، هنيئا لمن أحيا تلك الليلة بطاعة ربه ومولاه وانضم إلى فريق الطائعين وترك فريق العصاة .

أثر الأخلاق فى المجتمع الإسلامى

وعن أثر الأخلاق وردت رسالة القارىء محمد على البلجيهى - المنصورة يقول فيها :

إن التشريعات التى شرعها الله - تعالى - لعباده تذخر بالثواب العظيم لمن أداها بإخلاص ، وراعى حق الله فيها .

ولا عجب أن تكون الأخلاق ثمرة من ثمار التشريعات ، وجوهراً من جواهر الدين ، يقول النبى - ﷺ - « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[1] فالأخلاق تمثل أساسا متينا وركنا ركينا للحياة الإنسانية . ومجتمع بلا أخلاق مجتمع لا قيمة له ولا وزن ، وصدق الشاعر حيث قال :

إنما الأمم الأخلاق مابقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وحيث قال :

إذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

وإذا كانت الأخلاق الفاضلة تنبع من الدين ، فإن أى مساس بها وإهانة لها يعد بالتالى مساساً بالدين وتقويضاً للمجتمع . وإن الرذائل إذا لم تجد من يقطع جذورها ، تفشت فى المجتمع ، وتفاقم خطرها وأبعدت الناس عن دينهم ، وإن الأمة الإسلامية - اليوم - أحوج ما تكون إلى البناء الأخلاقى المتين .

---

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد ، والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة وهو حديث صحيح (الجامع الصغير جـ ١ ص١٧٧) .

حفظ الإسلام لكرامة الإنسان

ويرسل القارىء : ياسر عبده فريد عبد الظاهر دشلوط ـ ديروط ـ أسيوط .

يقول :

منذ ظهور الإسلام ونزول التشريع السماوى ، وهو يحافظ على كرامة الإنسان ، ويحافظ على المجتمع ، وهو ما نراه فى قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾

(الأنعام : ١٥١)

وذلك حفظا لحق الفرد فى الحياة ، كذلك حرم الإسلام شرب الخمر ؛ حفظا لكرامة الإنسان وصحته ، فالخمر كما تبدد صحة الفرد ، تذهب بعقله ، وأين كرامة إنسان يتنازل طواعية عن عقله أو يضيعه ؟ !

كما حرم الإسلام الزنا فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

(الإسراء : ٣٢)

وفى ذلك حفظ أمن المجتمع فالزنا يؤدى إلى التنازع والتقاتل ، كما يؤدى إلى اختلاط الأنساب . كما حرم الله ـ تعالى ـ السرقة ؛ حفظا لقوت الفرد وممتلكاته ، ولو أننا أطلقنا لأنفسنا العنان لم يكفنا للحديث عن ذلك مجلدات ومجلدات ، غير أننا نستطيع أن نوجز القول : إن السبيل إلى حفظ كرامة الإنسان هو التمسك بشرع الله ـ تعالى ـ ونبذ كل ما هو دخيل غريب عن مجتمعنا وإسلامنا .

قناعة المؤمن

ومن القارىء عبد الهادى محمد سليم ـ منشأة الجمال ـ مركز طامية ـ الفيوم .

وردت هذه الرسالة التى تحمل كلمات عن القناعة .

يقول :

إن ما يجعل بعض الناس يسخط على غيره ويحقد عليهم هو عدم الرضا بالمقسوم من الرزق . ولو علم هؤلاء الساخطون بأن الله هو المعطى وأن كل شىء عنده بمقدار ، ماسخطوا على أحد بل كانوا من أهل القناعة الذين ينظرون دائما إلى من هو دونهم ولا ينظرون إلى من علاهم . والقناعة من الكنوز المدفونة فى هذه الأيام ، ومن السهل التنقيب عنها ، والحصول عليها وذلك بمجاهدة النفس ، وإلزامها الرضا بما قسم الله . وكنز القناعة دون غيره من الكنوز لا يفنى ولا يزول بالإنفاق منه ، وصدق رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ حينما قال : « القناعة كنز لا يفنى » رواه القضاعى عن أنس . والقانع من صفاته دوام الشكر لله لأنه

يحس بنعمة الله وبما أعطاه من هذا الكنز الذى لايفنى .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال - ﷺ - « كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قانعا تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا . . » رواه البيهقى فى الشعب .

وقد روى الإمام القشيرى فى رسالته القشيرية الكثير من أقوال السادة العلماء عن القناعة منها ما قاله سيدنا بشر الحافى رضى الله عنه : « القناعة ملك لا يسكن إلا فى قلب مؤمن » . ومنها قول محمد بن على الترمذى : القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق » ومن صفات القانعين أنهم لا ينظرون إلى شىء لا يستطيعون نواله لفقدانهم السبب المؤدى إلى نيله . فيروى القشيرى - أيضا - أن أبا حازم رضى الله عنه - مر بقصاب (أى جزار) معه لحم سمين . فقال : خذ يا أبا حازم فإنه سمين . فقال : ليس معى درهم . فقال : أنظرك ، أى : (أمهلك السداد) فقال : نفسى أحسن نظرة لى منك . فهذا قانع بحاله الذى قسمه الله له دون النظر إلى من علاه ، فلم يسخط على أحد من خلق الله ولم يعترض على حكم الله بأن أفقده المال الذى يستطيع أن يشترى به اللحم . بل صبر نفسه وألزمها التقوى والرضا .

وأورد القشيرى - أيضا - فى رسالته أنه قيل : لما نطق موسى - عليه السلام - بذكر الطمع ، فقال : ﴿ لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴾ قال الخضر له : ﴿ هذا فراق بينى وبينك ﴾ . وقيل فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾

(الانفطار : ١٣)

هو القناعة . وقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾

(الانفطار : ١٤)

هو الحرص على الدنيا . فبعد هذه التعاليم الإسلامية وأقوال السلف الصالح وأحوالهم لا ينبغى علينا إلا أن نقنع بما قسمه الله لنا ونرضى بعطائه وننظر إلى من هو دوننا دائما ولا ننظر لمن قد علانا حتى نكون من القانعين الحامدين الشاكرين .

التسامح

ومن القارىء / نافع السيد على - أسيوط - أبو الهدر . وردت تلك الكلمة عن « التسامح » .

يقول فيها :

الإسلام دين الرحمة والتسامح - وفى هذا القول الكريم إشارة إلى طبيعة الرسول الخيرة الرحيمة المعدة لأن تتجمع عليها القلوب وتتآلف حولها

النفوس وقد وجه الله تعالى نبيه - ﷺ - كثيرا إلى خلق التسامح والرفق فى مثل قوله تعالى :

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾

(فصلت : ٣٤)

وقوله تعالى :

﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾

(الحجر : ٨٥)

وقوله :

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾

(الأعراف : ١٩٩)

وطبق النبى ﷺ - مبدأ التسامح فى جميع علاقاته مع المشركين وغيرهم فى السلم والحرب . ولا شك أن أبرز ما يكون التسامح عند الانتصار ، ولذلك فعندما فتح الله عليه مكة قال لقريش : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال الرسول الكريم : أقول لكم ما قاله أخى يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لى ولكم اذهبوا فأنتم الطلقاء . والتسامح الذى يدعو إليه الإسلام لا يتفق مع فرض الوصاية على الآخرين ، ولا مع الإكراه والعنف والتشدد ؛ لأن التسامح حب ورحمة ووحدة أما العنف فقسوة وغلظة وتفرق وضعف . هذا ولا يسمح الإسلام بالتسامح مع الشر والأشرار لأن مثل هذا التسامح يوسع دائرة الشر ويفتح الباب للإضرار بالناس وبالمقدسات والحرمات .

جمع الشمل

القارىء / عبد الرحمن محمد عبد الشافى
أسوان - كوم امبو - عزبة حجاجى .

لاحظ القارىء وجود عدد من كتب التراث تم تحقيقها بواسطة أكثر من محقق ، فى حين مازالت كتب أخرى يكسوها النسيان فكتب إلينا هذه الكلمة التى يقول فيها :

ألم يأن الأوان أن نجمع الشمل ونوحد الجبهة فى إزاحة ستائر التراب عن عيون أمهات الكتب ، ألم يأن الأوان فى تضافر الجهود وتوحيد الصفوف فى استخراج كنوز التراث الإسلامى ، إنه لمن عجب العجاب أنه يصدر الكتاب الواحد عن أكثر من دار نشر وتوزيع ويقوم بتحقيقه أكثر من عالم من علمائنا الأجلاء (كل على حدة) .

ونحن نعلم لثقتنا بهم أنهم أنفقوا فيه الوقت العظيم ، واستفرغوا فيه الجهد الجهيد لأن غايتهم القربة إلى الله تعالى .

ومثال ذلك أن يصدر كتاب « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » عن أربع دور نشر فى وقت واحد وبتحقيق خمسة علماء ، كان يمكن أن يكون هذا الكتاب اثنين أو ثلاثة ؛ لو أن هناك تنسيقا

بين دور النشر المعنية باستخراج ونشر أمهات الكتب الإسلامية وهم :

١ - دار الكتاب العربي ..... تحقيق : فواز أحمد زمرلى

٢ - دار المنار ..... تحقيق : الشحات أحمد الطحان .

٣ - دار العلوم العربيـة ...... تحقيق أبو عبد الله سيد توفيق

٤ - مكتبـة الإيمان ..... تحقيق عبد الله الشناوى .... محمد بيومى .

وإنى أقترح أن يتولى «مجمع البحوث الإسلامية» أمر التنسيق بين دور النشر المعنية بإخراج كتب التراث ، ولا يسمح بنشر كتاب حقق ونشر ، وإن كان فى التحقيق المتأخر إضافة علمية عن التحقيق المتقدم ، ويوضع التحقيقان جنبا إلى جنب فى هامش طبعة واحدة عند تجديد الطبعة ، أو يتولى مجمع البحوث نشرها فى كتيب حتى يستطيع مقتنى الكتاب الاستفادة من التحقيق المتأخر ، ولا يتكبد الأموال الطائلة ، وحتى ندخر جهد علمائنا فى إخراج نفائس أخرى فى انتظار من يخرجها إلى النور .

من أقوال محمد ابن واسع

يرسل القارىء / شحاتة أحمد أبو بكر - بنى سويف - بيا .. الشريف .

يقول :

كان محمد بن واسع من الزهاد ومن أقواله :

« ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قوّمنى ، وصلاة فى جماعة يُحمل عنى سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت ليس لأحد علىَّ فيه مِنّة ، ولا لله علىَّ فيه تبعة »[1] . *

القارىء الأستاذ / جمال إسماعيل عبد الفتاح إسماعيل - سوهاج - بلصفورة

حتى الآن لم يرد القرار الوزارى بضم المبنى حتى يمكن اتخاذ اللازم لاستصدار قرار تعيين العاملين .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٨١/٩) .

من إبداعات القراء

وردت إلينا هذه القصيدة من السيدة / هانم النبوية ابنة فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية ، تعبر من خلالها عن مشاعرها الفياضة تجاه رحيل أبيها « الرائد » إلى الرفيق الأعلى ، وهى قصيدة تفيض بمشاعر البنوة البارة الصادقة ، فتقول تحت عنوان :

دمعة حائرة

ياحبيب القلوب أنت الجليل ... ياحبيب القلوب حان الرحيل
أنت فينا معزز وكريم ... ونصير لجمعنا مأمول
ياحبيب القلوب ياحِب طه ... أنت فينا لكل حى خليل
كنت للدين فى حياتك حِبا ... وعن الحق دائما لا تميل
الكتاب الكريم كنت حِماهُ ... لا ترى فيه غير نور يطول
كنت روحى ومنيتى وحياتى ... ونصيرى وكنت نعم النبيل
لا يرى بعدك النصير لمثلى ... يا أبى والحياة فيها الأفول
أنت من أنت أنت لمحة صدق ... مرت كالسحاب وهى تقول
لأحبائك الكرام توخَّوا ... كل خير فإنه المقبول
كم بكتك العيون منا دماء ... بدل الدمع يوم حان الرحيل
سوف يبقى الفؤاد منا حزينا ... طيلة العمر والدموع تسيل
ياحبيبى لقد رحلت لتبقى ... فى حمانا حيا وأنت الخليل
كنت ذخراً وكنت عونا كريما ... وصفيا وأنت حِبٌّ جميل
فعليك السلام مادمت أحيا ... أيها الراحل الأبى الجليل

ابنتك / هانم النبوية محمد زكى إبراهيم

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ : عمر البسطويسى

«بحث المسيرة التعليمية بالمعاهد الأزهرية»

● فى لقاء موسع مع رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية عقد بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف يوم ٢٧ من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٩٨ برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتمت مناقشة ما يتعلق بالمسيرة التعليمية بالمعاهد الأزهرية ووضع الأسس التى تؤدى إلى استقرارها .

فبخصوص تسليم الكتب الدراسية للطلاب أكد السادة رؤساء ومديرو المناطق أنه تم تسليمها لجميع الطلاب ، الكتب الدينية واللغوية والثقافية واللغات .

وبخصوص هيئة التدريس بالمعاهد الأزهرية فإنها تقوم بدورها كاملا فى الارتقاء بالعملية التعليمية .

وبخصوص استكمال العجز فى مدرسى بعض المواد مثل اللغة الإنجليزية والفرنسية ومحفظى القرآن الكريم فسيتم اختيار أفضل العناصر وذلك فى المسابقة التى تجرى الآن .

وقد تم توجيه السادة علماء ووعاظ الأزهر الشريف للاستعانة بهم فى تحفيظ القرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية وخاصة فى المرحلة الابتدائية ، وأيضاً سد العجز فى بعض المواد اللغوية والشرعية إذا احتاج الأمر إلى ذلك بالسادة الوعاظ .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الالتزام بالتعليمات التى أصدرها قطاع المعاهد الأزهرية حول ضرورة تواجد شيوخ المعاهد الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية طوال اليوم الدراسى حتى تتم متابعة الدراسة على الوجه الأكمل .

كما أكد فضيلته على التزام جميع المعاهد بالمظهر الحسن داخل مقار المعاهد بالنسبة للطلاب وللمدرسين لتحقيق الوقار المطلوب ، وضرب أمثلة طيبة لملابس طلاب معاهد الشيخ خالد بشبرا الخيمة ، وبمحافظة البحر الأحمر حيث يلتزم الطلاب وكثير من المدرسين بلبسئ الزى الأزهرى كاملاً .

كما أكد فضيلته على تكثيف الدورات التفتيشية على جميع المعاهد الأزهرية وذلك للتأكد من أن المسئولين بالمعاهد يقومون بتأدية واجباتهم والالتزام بالخطة والمنهج المقررين وخاصة فى حفظ القرآن

الكريم الذى يميز الطالب الأزهرى عن غيره من الطلاب .

ويخصوص المعاهد الأزهرية المضارة بالزلزال والمعاهد التى تحتاج إلى ترميم أو إحلال ولم يتم الانتهاء منها أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن هذه مسئولية رؤساء المناطق فى متابعة أعمال الشركات المسند إليها هذه الأعمال حتى يتم الانتهاء منها .

حضر هذا الاجتماع فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ محمد جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ورؤساء ومديرو عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية ، والمدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

«استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر»

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر يوم ٢٧ من شهر جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٩٨ معالى السيد/ جان لون نوران وزير خارجية الفاتيكان والوفد المرافق لسيادته ، وقد أبلغ السيد السفير تحيات وتقدير قداسة بابا الفاتيكان إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر الضوء على نشأة الأزهر الشريف وتطوره منذ نشأته وحتى الآن منذ أكثر من ألف عام موضحاً أن الدراسة بالأزهر الشريف تقوم على الوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب الأعمى والتطرف المقيت ، وأن الدراسة به تقوم على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة سواء فى الداخل أو الخارج عن طريق البعثات التى يقوم الأزهر بإرسالها إلى معظم دول العالم من رجال الأزهر الشريف ، وقد أوضح فضيلته أننا حين نلتقى كرجال دين فإنما نجتمع من أجل خدمة الحق ، ونشر الفضائل ونصرة المظلوم وهذه فضائل تقرها جميع الأديان وتدعو إليها .

وحول سؤال عن أهمية الحوار بين الأديان قال فضيلته : إن الأديان السماوية إنما أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسعادة البشرية لا لشقائها ، والحوار بين الأديان يؤدى دورا هاما إذا كان يؤكد على الفضائل ويعين المظلوم ، وينشر العدل ، ويعطى كل ذى حق حقه ، ونحن بذلك نؤيده ونقره وندعو إليه ، وفى الوقت نفسه نحن نرفض كل الأعمال التى تجرى فى القدس الشريف لتهويدها وطرد سكانها الأصليين منها ، لأن القدس الشريف لها وضع خاص بالنسبة لجميع الأديان ، ولها فى نفوس المسلمين كل تقدير واحترام يفدونها بالنفس والنفيس وواجب رجال الدين جميعا أن يتضافروا ويتعاونوا ويتكاتفوا لإحقاق الحق وإبطال الباطل وينظروا إلى المستقبل على أن الحضارات تتعاون مع بعضها البعض لنشر السلام والأمان لا كما يقول البعض بأن الحضارات تتصارع وتختلف .

وحمل فضيلة الإمام الأكبر معالى وزير خارجية الفاتيكان إبلاغ شكره وتقديره لقداسة البابا بولس السادس بابا الفاتيكان على موقفه بالنسبة للقدس الشريف وتنشيطه للجنة الحوار الدائم بين الأديان .

وقدم السيد السفير شكره وتقديره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إتاحة

الفرصة لزيارة الأزهر الشريف معقل الإسلام والعلم والمعرفة ، وأوضح أن الفاتيكان فى لقاء مستمر وتعاون دائم مع المؤسسات الإسلامية فى مصر ، وأننا ننسق ونتعاون معا من خلال لجنة الحوار بين الأديان ، وقد أيد بابا الفاتيكان موقف الأزهر الشريف فى رفضه لما يجرى فى القدس من عدوان مستمر لطرد السكان الأصليين والاعتداء عليهم وهدم مساكنهم والاعتداء على المقدسات بها .

وقال : إن مهمتنا هى توضيح الصورة الحقيقية لما يجرى هناك وشرح كل ما يوضح ذلك فى العالم أجمع لتنشيط المؤسسات الإسلامية والمسيحية لتشكيل رأى عام لصالح القضية الفلسطينية .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ورئيس لجنة الحوار بين الأديان ، وفضيلة الأستاذ أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر وفد رؤساء تحرير الصحف الفرنسية الإقليمية الذى يزور القاهرة حاليا برئاسة البروفسور جون بودان يرافقهم الأستاذ/ على القاضى المستشار الإعلامى بباريس .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول دور الأزهر الشريف والمؤسسات الإسلامية فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية من خلال بعثاته التى يرسل فيها علماءه إلى معظم دول العالم ، وكذلك المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر ومؤسساته لأبناء المسلمين فى العالم أجمع للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، وكل ذلك من أجل الرد على الشبهات وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ، وإظهار سماحة الإسلام ويسره ، ونبذه للتطرف والإرهاب بكل صوره ، ونبذه للتعصب الأعمى ، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما جاءت بذلك شريعة الإسلام .

كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم حول رأى الإسلام فى الختان ، وفى الإجهاض وتحديد النسل إلى غير ذلك من الأسئلة التى شرح فيها فضيلته حكم الشرع الحنيف فيها .

وحول ما يثار عن الأعمال الإرهابية التى ترتكب باسم الإسلام .

أوضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : إن الإسلام برىء من هذه الأعمال الإرهابية فهو ضد قتل الأبرياء ظلما وعدوانا ويقف بجانب الحق والعدل ونصرة المظلوم ، وضد اغتصاب حقوق الناس .

وحول العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أكد فضيلة الإمام الأكبر على قوة العلاقة المتينة بين المسلمين والمسيحيين فى مصر ، وأنهم نسيج واحد قوى متماسك لا فرق بين مسلم أو مسيحى فى الحقوق والواجبات ، وأن هذه العلاقات تقوم على قواعد الحب والتسامح والعدل التى أمر بها الإسلام وشريعته الغراء ، ومصر والحمد لله وطن واحد وأمة واحدة والكل أبناء مصر منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

وعن علاقة مصر بفرنسا أوضح فضيلته : إنها علاقة ممتازة وقوية ومتينة وهناك تبادل ثقافى وتبادل تجارى وفى كل المجالات ، وكثير من علماء ومشايخ الأزهر الشريف درسوا بجامعات فرنسا وحصلوا منها على أعلى الدرجات العلمية .

وفى نهاية اللقاء : قدم رئيس الوفد والوفد

شكره لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة هذه الفرصة الطيبة للقائهم وتوضيح الأمور التى كانت تدور بأذهانهم ، وتوضيح صورة الإسلام السمحة ومفاهيمه الصحيحة ، وأيد الوفد استنكاره لما يردده المغرضون الذين يريدون تشويه وجه مصر الناصع فى الخارج بادعاءاتهم التى ثبت كذبها ، وافتراؤها حول اضطهاد المسيحيين فى مصر وأنهم لمسوا بأنفسهم من خلال هذا اللقاء ولقاءات أخرى مدى التسامح والأمن والسلام الذى تعيشه مصر بمسلميها ومسيحييها ، وقد وجه رئيس الوفد الدعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة فرنسا .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

« افتتاح معهد فتيات مصر الجديدة »

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف معهد فتيات مصر الجديدة الابتدائى الإعدادى الثانوى الأزهرى فى يوم ١١ من شهر رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/١٠/٣١ بجوار مسجد الخلفاء الراشدين حيث قامت « مؤسسة المودة فى القربى » بعملية إنشاء المبنى برئاسة المهندس / محمد هيبة رئيس الجمعية ، ويحتوى المعهد على ٥٨ فصلا تعليميا يضم ٢٥٠٠ طالبة بكثافة ٤٠ طالبة بالفصل ، والدراسة بالمعهد فترة صباحية ، كما تقوم مؤسسة المودة فى القربى برعاية الطالبات اليتيمات وأسرهن ولها خدمات فى معظم محافظات مصر فى أنحاء الجمهورية . ويشتمل المبنى أيضا على مكتبة بها كتب قيمة ، ووحدة صحية بها لرعاية الطالبات صحيا ، وقاعة محاضرات فسيحة ، ومصلى تسع عددا كبيرا من المصلين ، وحجرة خاصة للحاسب الآلى والكمبيوتر لتعليم الطالبات كيفية استخدامه والاستفادة منه فى تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وتعليم أمور الدين الحنيف ، وحجرة للنشاط الرياضى ، وورشة صيانة وقد تكلف المبنى وتأثيثه حوالى ٩٠٠ ألف جنيه مصرى ويقع على مساحة ألف متر مربع .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بهذا العمل العظيم الذى هو خدمة جليلة لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم وعلومه ، والسنة النبوية المطهرة ، وعلوم الفقه والعلوم الشرعية واللغوية والعلوم الحديثة وقال : إننا نشجع هذا العمل وندعو الله أن يكون ثوابه عند الله فى ميزان حسنات القائمين به يوم القيامة .

حضر الافتتاح الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والشيخ عبد العزيز ندا وكيل قطاع المعاهد الأزهرية والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر ولفيف من العلماء والسادة المسئولين بالمعهد .

« تخريج الدفعة ٤٢ وبدء الدفعة ٤٣ لدعاة وأئمة العالم الإسلامى فى الدورة العالمية التدريبية »

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل الختامى لتخريج الدفعة ٤٢ لدعاة ووعاظ وأئمة العالم الإسلامى فى الدورة العالمية التدريبية

بمدينة البعوث الإسلامية ١١ من شهر رجب ١٤١٩ هـ الموافق ٩٨/١٠/٣١ وقد شارك فى هذه الدورة وفود من دول زنزبار ، وبـورما ، ونيجيريا ، ومالى ، ورواندا ، وقد وجههم فضيلته إلى المحافظة على حفظ القرآن الكريم ومداومة دراسته قراءة وفهما وتفسيرا لأنه هو الأساس الذى تقوم عليه العلوم الشرعية واللغوية وكذلك الأحاديث النبوية المطهرة التى تعين المسلم على فهم الإسلام فهما صحيحا ، لقوله ـ ﷺ ـ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتى » ، كما أوصاهم إلى الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن تكون دعوتهم إلى الله تعالى بالحسنى وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يكونوا قدوة طيبة لغيرهم ، ومثلا أعلى لرجل الدين ، كما أمرهم أن يبتعدوا فى فتاواهم عن المسائل الخلافية ، وأن ييسروا على الناس أمور دينهم فالذين يسر لا عسر ، حتى لا يقع الناس فى الحرج ، وأن يبتعدوا عن التعصب الأعمى وأن يحاربوا التطرف بكل صوره وأشكاله .

وقام فضيلته بتوزيع شهادات التقدير عليهم وإهداء كل إمام مكتبة إسلامية بها كتب قيمة وذلك للاستعانة بها فى الاطلاع والفتوى والرجوع إليها دائما فحياة العلم مذاكرته .

● كما قام فضيلته بافتتاح الدورة التدريبية الثالثة والأربعين لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ثلاثون من دول أوغندة ، مدغشقر ، تايلاند ، سنغافورة ، البوسنة والهرسك ، أذربيجان ، ألبانيا،حضر الحفل فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية والشيخ سيد أبو الوفا أمين عام اللجنة العليا للدعوة ، والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام وأساتذة الجامعة والأزهر الذين يقومون بالتدريس لهذه الدورات ، وسعادة السفيرة نائب مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية والسادة السفراء للدول المشاركون علماؤها فى الدورة .

« مشاركة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى جلسات المجلس الأعلى العالمى للمساجد»

شارك فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى جلسات المجلس الأعلى العالمى للمساجد فى دورته الثامنة عشرة والذى تنظمه رابطة العالم الإسلامى خلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ أكتوبر سنة ٩٨ بمكة المكرمة ويرأسها د . عبد الله صالح العبيد أمين عام رابطة العالم الإسلامى بالمملكة العربية السعودية وكانت تدور حول بناء المساجد فى بلدان العالم المختلفة فى قارة آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا واستراليا ، وكذلك ترميم المساجد التى تحتاج إلى إصلاح وترميم ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لذلك ، وأيضا دراسة أحوال الدعاة والعلماء واحتياجات المساجد من هؤلاء العلماء ، وقد أعلن فضيلة الإمام الأكبر أثناء مشاركته فى أعمال هذه الدورة أن مسئوليات الرابطة مسئوليات ضخمة وهى تقوم بها على الوجه الأكمل إرضاء لله ولنشر دينه وعلينا جميعا أن نتكاتف ونتعاون على إرسال قيم الدين والعدالة كل فى مؤسسته وإذا كان غيرنا يتجمع لنصرة الباطل فأولى بنا أن نجتمع لنصرة الحق والعدل كما أمرنا بذلك ديننا الحنيف .

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾
(المائدة : ٢)

كما أعلن فضيلته أننا نحارب الإرهاب بكل صوره وأشكاله لأنه عدوان على الأنفس والأموال والأعراض وأن الإرهاب فى طريقه إلى الانحدار والاندثار .

وفيما يخص الأزمة التركية السورية قال فضيلته : إن الأزهر الشريف قدم خالص الشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك على الجهود التى بذلها من أجل تقريب وجهات النظر وإزالة حدة الخلاف بينهما وكانت هناك اتصالات ولقاءات مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز .

وحول التوتر بين إيران وأفغانستان أوضح فضيلته أن البلدين المسلمين يجب أن يعملا على حل خلافاتهما ومشاكلهما بالحوار الهادىء والمناقشة الودية التى تؤدى إلى تقريب وجهات النظر وإزالة حدة الخلاف بينهما .

كما أعلن فضيلته أنه يثق فى قدرة الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات على مجابهة رئيس الوزراء الإسرائيلى وكذلك قدرة الشعب الفلسطينى من ورائه على تحمل الصعاب حتى يحقق الله لهم النصر والتأييد .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج : ٤٠)

« رسالة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى ندوة رابطة الجامعات الإسلامية »

فى رسالة وجهها فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف إلى المشاركين فى ندوة رابطة الجامعات الإسلامية التى بدأت أعمالها بفرع جامعة قناة السويس بالعريش فى يوم ١ من شهر رجب سنة ١٤١٩ الموافق ٩٨/١٠/٢١ طالب الباحثين بأن تتسم بحوثهم بالأصالة ، التى تشهد بأن الثقافة الإسلامية فى شتى صورها وألوانها كفيلة بأن تنجب جيلا من الشباب المسلم الذى يهتم بالعلم النافع المستمد من شريعة الإسلام التى تبنى ولا تهدم وتعمر ولا تخرب ، وتدعو إلى الفضائل وتنبذ الرذائل ، وتحق الحق وتبطل الباطل كما أعرب عن شكره وتقديره لرابطة الجامعات الإسلامية لإقامة الندوة عن « دور التنشئة الاجتماعية فى مواجهة التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية فى القرن المقبل » وللاهتمام بأن تكون تربية النشء فى العالم العربى والإسلامى نابعة من تعاليم الإسلام وفق أصوله التى تتفق مع الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها .

« الموسم الثقافى لمشيخة الأزهر بقاعة الإمام محمد عبده »

تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر د . محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وبحضوره تقيم مشيخة الأزهر الشريف موسمها الثقافى بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف بالدراسة ، حيث يلقى كبار العلماء محاضرات كل يوم ثلاثاء فى الساعة السابعة مساء اعتبارا من يوم ١٩٩٨/١١/٣ وحتى ١٩٩٨/١٢/١٥ .

وقد بدأ الموسم الثقافى بمحاضرة لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة سابقا والأستاذ بجامعة الأزهر فرع المنصورة وعضو مجمع البحوث الإسلامية وموضوع المحاضرة : « حرية التفكير فى الأزهر الحديث » كما يشارك فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد رأفت عثمان عميد كلية الشريعة والقانون سابقا ورئيس قسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر القاهرة بمحاضرة موضوعها : « المرأة والقضاء » ، ويشارك فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد المعطى بيومى عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة . بمحاضرة موضوعها : « ثقافتنا عن المرأة مقال فى المنهج » . كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور / سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية جامعة الأزهر القاهرة محاضرة موضوعها : « العرب ومستقبل الثقافة فى القرن القادم » كما يلقى فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد عمارة المفكر الإسلامى محاضرة موضوعها : « الإمام محمد عبده وتجديد الفكر الإسلامى » ، كما يلقى الأستاذ الدكتور / عبد الغفار حامد هلال عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بمدينة السادات جامعة الأزهر محاضرة موضوعها : « سماحة الإسلام » كما يلقى الأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار الأستاذ بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة محاضرة موضوعها : « الضوابط الفقهية والقانونية لحق النشر » .

يحضر هذه الندوات فضيلة أ . د . محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ، وفضيلة الأستاذ الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، ونواب رئيس الجامعة وعمداء وأساتذة الجامعة ، وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وطلاب مدينة البعوث الذين يدرسون بالأزهر والعلماء الدعاة الذين يحضرون دورات تدريبية ، وطلاب الجامعات والمعاهد الأزهرية ورجال الصحافة والإعلام .

« سفر فضيلة وكيل الأزهر إلى جوهانسبرج »

صدر قرار صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بسفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر الشريف إلى « جوهانسبرج » بجنوب أفريقيا لمدة سبعة أيام تبدأ من تاريخ السفر لحضور اجتماع لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المقرر انعقاده فى جوهانسبرج بجنوب أفريقيا فى الفترة من ١٣ ـ ١٦ /١١/٩٨ بناء على كتاب السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فى شأن الدعوة الموجهة إلى فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف لحضور هذا الاجتماع وقد سافر فضيلته فجر الثلاثاء ٢١ رجب ١٤١٩ هـ الموافق ١٠/١١/٩٨ يرافقه السيد الأستاذ توفيق الشريف المدير العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة لحضور اجتماع لجنة التعليم والدعوة .

« محافظة البحر الأحمر وجهود المستثمرين بها لرعاية طلاب الأزهر والأزهر الشريف »

وجه السيد اللواء / سعد أبو ريدة محافظ البحر الأحمر ، ورجل الأعمال الحاج / صالح محمود عوض الله رجل الخير والبر دعوة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وذلك لتسليم الزى الأزهرى كاملا « العمامة والكاكولا » لجميع طلاب الأزهر الإعدادى والثانوى فى « محافظة البحر الأحمر » .

وقد أناب فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ / فرحات السعيد المنجى « رئيس الإدارة المركزية » والمشرف العام على مدينة البعوث ، وفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على « المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف » للقيام بهذه المهمة .

وفى حفل كبير أقيم بقاعة الاجتماعات الكبرى بالمحافظة - حضره بعض رجال الأعمال كما حضره مدير عام منطقة البحر الأحمر الأزهرية ، والسادة العلماء شيوخ المعاهد الدينية ، وعلماء الوعظ بالأزهر ، وبعض الطلبة وهم يرتدون الزى الأزهرى الجميل بمنظر سر الناظرين ، ولفيف من المجالس الشعبية والمحلية بالمحافظة ، ورجال الأعمال .

وقد تحدث فضيلة الشيخ / فرحات السعيد المنجى عن فضل هذا العمل الجليل الذى قام به رجل الأعمال الحاج صالح الذى يبتغى به وجه الله سبحانه وتعالى - فهو محب للأزهر ولعلمائه ، لما يقومون به من نشر للإسلام وللفضائل ، ولتربية النشء تربية إسلامية تحميهم من الزلل .

وتحدث الحاج صالح فقال : سيكون هذا النشء فى المستقبل هم علماء الأمة وقوادها وبذلك يشعر أنه قد شارك مشاركة فعالة فى أن يكون مظهر الطالب مظهراً كريما مشرفا وهذا أقل مايجب القيام به نحو هؤلاء الطلاب وهو واجب دينى .

وتحدث السيد المحافظ فشكر رجل الخير والبر على هذا الصنيع الطيب وشكر شيخ الأزهر الشريف لحضور نائبين عن فضيلته ، ورحب بضيوف الأزهر الشريف أيما ترحيب . وقال : إن الأزهر الذى يدرس صحيح الدين وصحيح الإسلام بعيداً عن الغلو والتطرف يجب علينا جميعا أن نقف معه نسانده ونساعد طلابه وعلماءه ، ونشد على أيديهم لأنهم الذين يضيئون لنا الطريق ، ويسيرون بنا إلى الصراط المستقيم ، لذا يجب علينا أن نقدم لهم كل الوسائل التى تساعدهم على أداء عملهم ونهيىء لهم السبل والوسائل التى تعينهم على أداء واجبهم ، ومن أجل ذلك تبرع السيد المحافظ بمبلغ خمسين ألف جنيه « لصندوق رعاية الطلاب الأزهريين » .

وتبرع رجل الخير والبر الحاج / محمد عبد المقصود عضو مجلس الشعب بمبلغ عشرين ألف جنيه لصالح « الصندوق » أيضا ووعد آخرون بالتبرع لصالح صندوق رعاية الطلاب .

كما تبرع المهندس / على خليل بإنشاء معهد أزهرى كامل الأرض والمبانى والتأثيث .

وأيضا تبرع السيد المستشار / وحيد رحمى ببناء معهد أزهرى على أرض تتبرع بها المحافظة وتخصصها للأزهر الشريف .

كما أعلن الحاج / صالح محمود عوض الله تبرعه بشراء زى للفتيات فى الإعدادى والثانوى والابتدائى بنين وبنات .

كما أعلن رجل الخير والبر المهندس / سرور البزاوى إنشاء « دورة مياه » خاصة بالفتيات بمعهد « سفاجا » وطلاء المعهد كله حتى يظهر بشكل جميل .

pardonne et se montre conciliant, Allah saura le récompenser.]
[Celui qui endure et pardonne, voilà bien là, le propre d'une âme résolue.]

L'Islam en veillant à former des êtres vertueux a aussi accordé une importance égale à la formation d'une société saine où règnent l'amour, la cordialité et l'entente. Les Musulmans doivent éprouver de la sollicitude les uns envers les autres, s'entr'aider et être solidaires dans le bien et la piété. Allah-Gloire à Lui- a dit: **[Entraidez -vous dans le bien et la piété, et ne vous entraidez pas dans le péché et la transgression.]**

Surate 6 "Al-Ma'idah" (La Table Servie) V.2.

Aussi le Prophète-b.s- a dit:***"Le vrai Musulman est celui dont les fidèles n'ont rien à redouter ni la main, ni la langue."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également:***"Nul n'est vraiment croyant que s'il aime pour son frère ce qu'il aime pour lui-même et déteste pour lui, ce qu'il déteste pour lui-même."***

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

à suivre

Lorsqu'Allah-Gloire à Lui- a prohibé le meurtre, Il a interdit les injures, les blasphèmes, les sobriquets outrageants, l'espionnage et les soupçons douteux qui y mènent.

Lorsqu'Allah-Gloire à Lui-a prohibé les boissons alcooliques, Il ne s'est pas limité à la malédiction du consommateur, mais encore, Il a maudit celui qui le prépare, celui qui le vend, celui qui le transporte et celui qui se tient en compagnie des consommateurs des boissons alcooliques.

Malgré tout cela, Allah-Gloire à Lui- S'est montré Miséricordieux envers l'homme parcequ'Il sait que l'homme est en proie à des désirs et asservi par les passions: Il lui pardonne les péchés véniels, à condition d'éviter les grands péchés.

Il a dit: **[Si vous évitez les grands péchés qu'on vous a prohibés, Nous expierons vos méfaits et Nous vous ferons entrer comme invité d'honneur.][**

Surate 4 "Al-Nissà" (Les femmes) V.31.

Allah-Gloire à Lui-a dit également: **[Quant à ceux qui évitent les plus grands péchés ainsi que les turpitudes- sauf ceux qui sont commis accidentellement - Ton Seigneur est plein de large pardon.]**

Surate 53 "An-Nagm" (L'Etoile) V.32.

Aussi, Allah-Gloire à Lui- a ouvert la porte du repentir à celui qui s'est laissé glisser sur la pente des grands péchés. Il a dit: **[Quiconque a mal agit ou s'est fait du tort à lui- même puis, qui implore d'Allah le pardon, trouvera Allah Pardonneur et Miséricordieux.]**

Surate 4 "Al-Nissa" (Les Femmes) V.110.

Le Prohète-b.s-incita les gens à se repentir en disant: "***Tous les fils d'Adam sont pécheurs et les meilleurs pécheurs sont ceux qui répentent."***

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Tout ceci concerne les droits d'Allah-Gloire à Lui- mais, pour ce qui concerne les droits d'autrui Allah-Gloire à Lui- exhorte les gens au pardon de l'offense, à la tolérence et à l'indulgence, Il a dit:

[Fais-toi conciliant, ordonne ce qui est bon et détourne-toi des ignorants.]

Surate 7 "Al-Araf"V.199.

[Et ceux qui dominent leur rage et pardonnent à autrui.]

Surate 3 "Al-Imran" (La Famille D'Imran) V. 134.

Dans la surate 42 Al Chura (La Délibération) V.40 et 43, Il a dit: **[Celui qui**

Les objectifs de la jurisprudence islamique

Traduction de : Hoda Hussein Chaâraoui

L'objectif principal de l'Islam est de former l'homme vertueux dont la vertu se révèle par une conduite qui ne vise que le bien et évite le mal. Toutes les pratiques religieuses ne sont qu'un moyen visant la noblesse de caractère, de même les ordres et les interdictions permettent de distinguer le licite de l'illicite, ce qui est permis et ce qui est prohibé; tout en sachant que le principe vital de toute oeuvre est l'intention à partir de laquelle Allah-Gloire à Lui- rétribue ou châtie.

Cette intention est un secret entre Allah et Son serviteur de façon que même l'Ange le plus proche ne peut la connaître pour l'inscrire, ni Satan le lapidé ne peut la connaître et l'altérer.

Aussi, un des objectifs de l'Islam est d'enraciner dans l'âme de l'individu qu'Allah voit, entend et sait parfaitement ce qui est caché dans les coeurs, ce qui fera naître dans l'âme du Musulman un ressort religieux ainsi qu'une conscience éveillée et vigilante qui préviennent la chute du Musulman dans les grands péchés et les turpitudes.

C'est ce que les moralistes de nos jours appellent: l'autodiscipline.

Allah-Gloire à Lui- avec Sa sagesse infinie a prévu ce qui préserve le Musulman des turpitudes en installant autour d'elles des barrières et en bouchant toutes les issues qui y mènent. Citons comme exemple, l'adultère: lorsqu'Allah-Gloire à Lui- l'a prohibée, Il a ordonné de baisser les regards, de ne pas entrer dans les maisons d'autrui sans leur permission, de cacher les secrets intimes, Il a ordonné aux femmes de ne pas exhiber leurs atours et de tenir un langage décent. Il a ordonné également d'empêcher la mixité qui aboutit à la débauche; Il a interdit de se tenir à huis -clos avec une femme, exception faite pour les femmes "maharim" (celles que le Coran a interdit à l'homme d'épouser).

Il est donc hautement recommandé de passer cette nuit bénie en prières et en invocations et de jeûner le jour de la mi-Cha'ban.

Fêtons donc cette nuit sainte en multipliant les invocations et les actes de dévotion afin d'être parmi ceux dont le repentir sera agréé par la grâce d'Allah et Sa miséricorde.

vers la Mosquée Sacrée. Où que vous soyez, tournez vos visages vers elle] (Sour. "Al Baqara", v 144) C'est ainsi que fut fixée l'orientation (Al Qibla) de toutes les prières - prescrites et surérogatoires- des musulmans et c'est ainsi vers la Ka'ba qu'ils se dirigent pour faire le Pèlerinage et la Visite pieuse (Al 'Omra), affirmant par là l'unité de leur foi et l'unicité d'Allah.

A ceux qui veulent semer le doute dans le cœur des croyants, le Coran donne cette réponse: [C'est à Allah qu'appartiennent l'Orient et l'Occident] (Sour. "Al Baqara" v 142).

L'orientation des croyants vers le Temple de Jérusalem était une épreuve pour connaître la fermeté de leur foi avant de leur ordonner de se tourner vers la Ka'ba qui était la Qibla de leurs ancêtres.

De multiples Hadiths du Prophète -b.s.- vantent les vertus de la nuit de la mi-Cha'ban surnommée aussi "la nuit où les invocations sont exaucées".

D'après Abu Imama : "Il y a cinqnuits où aucune demande n'est refusée: la première nuit de Ragab, la nuit de la mi-Cha'ban, la nuit du vendredi et la veille des deux Fêtes". Elle est aussi surnommée "la nuit de la fête des anges", car il est dit que les anges fêtent deux nuits dans le ciel qui, pour eux, sont une fête : la nuit de la mi'Cha'ban et la nuit du Destin (Laylat Al Qadr).

On appelle aussi la veille de la mi-Cha'ban "la nuit de l'intercession", "du salut" et "de la rédemption".

Selon l'Imam Ahmad, "Allah - gloire à Lui - se penche vers Ses serviteurs, alors Il pardonne aux habitants de la Terre à l'exception du polythéiste et du rebelle.

La nuit de la mi–Cha'aban où les Prières sont exaucées

par Dr. Rokeya Gabr

Le mois de Cha'ban est un mois privilégié où Allah a imposé le jeûne pour les musulmans. La nuit de la mi-Cha'ban est une nuit bénie où il est souhaitable de multiplier les actes de dévotion et les invocations qui nous rapprochent d'Allah et de jeûner ce jour-là. En ces jours saints eut lieu le changement d'orientation de la prière pour les musulmans (la Qibla) du Temple de Jérusalem vers la Ka'ba à la Mecque.

L'événement du changement d'orientation de la Qibla n'était pas un incident ordinaire dans l'histoire de la nation islamique. Cet événement fut à l'origine d'un changement total qui marquait l'indépendance de la nation musulmane en assurant que sa force réside principalement dans la soumission totale et absolue aux ordres d'Allah, sans délai et pour toujours.

L'Islam est une religion qui unit tous les musulmans autour d'une seule direction (Qibla) car ils croient tous en un Dieu unique : Allah. Durant la nuit de l'Ascension Nocturne (Al Isra' wal Mi'rag) fut imposée la Prière pour les musulmans: cinq prières durant le jour et la nuit mais qui sont rétribuées autant que cinquante prières. C'est par la suite que l'orientation des musulmans durant ces prières fut dirigée vers le lieu où leur Prophète Mohammad -b.s.- reçut la Révélation. vers le centre du monde, vers l'enceinte sacrée de la Mecque, comme le dit la Parole divine: [Nous te faisons donc orienter vers une direction qui te plaît. Tourne donc ton visage

REVUE
AL AZHAR

Sha'ban 1419H. Dec. 1998 Vol. 71 Part VIII

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

LET ME GO

by: Hadeer Abo El-Nagah

On behalf of all the children in the areas of wars. On behalf of the children of Bosnia, Kashmir, Palestine, Albania and Korsovo. On behalf of all those homeless children who were deprived from the right of the respectful homes and healthy life. On behalf of all those who have no hope in their future and lost the meaning in their present I wrote this poem hoping that one day there would not be such children in the world. May be tomorrow we as adults can guarantee a better life for them.

Untie my heart, and let me go
Let me start, let me glow
Think only once and let me show
All the world, what they need to know
Souls in despair, dreams to share
Blood is every where, and protection was never there
I can't feel the excitement of tomorrow
all what I feel, is pain and sorrow
Yet, what I need, is a chance to be
to plant my own seed, to be only me
to reach the land behind that sea
to be able to breath
to have more reasons to live not to die
to discover my soul and reach the sky
to own my land up and beneath
to experience laughter without having to cry
to build my temple and worship my Lord
out of love not out of fear
to control my body and be able to stand
give the right of creation to my little hand
let me go, let me go.

*This poem is the winner of the semi final level at the National Competition of Poetry USA 1997. It was selected for **The Sound** of Poetry Contest as one of the most musical poems of 1997 USA.

The Cruilty of Psychological Injury :

No doubt that psychological injury is worse than physical injury for a human being. Allah prohibited all ways that can be used to harm others which include harming people inside their homes. This harm might occur when a guest bothers the inhabitants bitterly by looking right and left in order to steal a mean look. He might stretch his hand to touch something in the house like books for example. He might even borrow a book and would not return it pretending to have lost it . He might also go on asking questions about the items in the house.

A visitor has to sit properly in a polite manner without pride. He should not trouble his host by asking many things. He has to speak quietly and nicely. He should not be rough or hard hearted.

It is also painful that a visitor takes his little children with him to see somebody regularly to reach some purpose in his mind. He might also make his visits at unsuitable times which offends the inmates. It is as well harmful that an ill person who suffers from an infectuous disease would go and impose himself and his illness on others and causes pain to them inside their homes where they settle, feel secure and enjoy peace of mind. He would not accept such harmful calamity for himself . A Muslim does not harm other Muslims whether by his tongue or hand. Allah prohibited the act of harming people. He says :

"And those who annoy believing men and believing women underservedly they bear the guilt of slander and manifest sin ."

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾

(Al Ahzab 58)

The faithful people have to lower their gaze whenever they go. Allah says :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾

"The response of the believers when they are invited to Allah and His Messenger that He may judge between them, is only that they say : We hear and we obey, And these it is that are successful"

(Al Nour 51)

﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(Al Mulk 22)

A faithful person is chaste so an ignorant man believes he is rich. He looks after his soul and pushes it to do what refines it. Bravery, resolution and chastity are what make a human being not his appearance and his height. Sound belief, the right behaviour, a clear mind and a pure soul make a human being May Allah have mercy on the poet who said :

You who serve your body,
How much do you want for that ?
Do you want a profit from what loses ?
Turn to your soul and perfect its virtues .
You are a human being with your soul,
Not with your body .

To perfect the virtues of the soul is better and purer than defilement, meanness and intrudence. The poet says :

The soul is like a child if you leave him.
He will go on sucking.
And if you wean him he will stop.

Some people used to enter the Prophet's houses without asking permission. The Qur'an then taught them that the etiquette of asking permission and prohibited them from looking forward to and waiting when the meals are prepared and cooked. The Qur'an told those people to enter and have their meals if they were invited and to go away after they finish. They should not stay for long which offends the Prophet (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) and gives him trouble.

Allah sent his Messenger with a Qur'an that is to be recited to guide those who go astray. It awakens neglegent people so as people everywhere would know that etiquette of visiting people. They have to put into consideration the right occasion and time for a visit. If they have a meal, they should go away and disperse after they finish and leave the houses for their inhabitants.

When those visitors at the time of the Prophet (M P B U H) listened to his words, they settled down and stayed longer in his house. This offended him but he used to forbear from them. He was too shy to tell them but endured and resorted to patience. So Allah made things easier for his Messenger and put those people to their limits.

A lesson of Refinement and Reproach :

Allah says in the Chapter of "Al Ahzab"

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾

" O you who believe, enter not the houses of the Prophet (M.P.B.U.H) unless permission is given to you for a meal, not waiting for its cooking being finished--- but when you are invited, enter, and when you have taken food, disperse- not seeking to listen to talk. Surely this gives the Prophet trouble, but he forbears from you, and Allah forbears not from the truth. And when you ask of them any goods, ask of them from behind a curtain. This is purer for your hearts and their hearts. And it behaves you not to give trouble to the Messenger of Allah, nor to marry his wives after him ever. Surely this is grievous in the sight of Allah"

(Al Ahzab 53)

This is an educational lesson, a divine way of refinement and a way of directing Muslims depending on the Qur'an which is revealed to Allah's bountiful Messenger in order to refine and elevate feelings in people's hearts so that honour takes its right.

Man has no value without dignity that makes him a human being in appearance and an angel concerning his reputation when his soul and morals thus are high and elevated so he becomes strong without violence, lenient but not weak and lives in a straightforward manner while walking steadily on a straight path. Allah says :

"Is then he who goes prone upon his face better guided or he who walks upright on a straight path".

Allah says : "O you who believe, let those whom your right hands possess and those of you who have not attained to puberty ask permission of you three times : Before the morning prayer and when you put off your clothes for the heat of noon, and after the prayer of night . These are three times of privacy for you, besides these it is no sin for you not for them--- some of you go round about (waiting) upon others. Thus does Allah make clear to you the messge. And Allah is Knowing Wise ."

This is an ideal way of bringing up the children of Muslims . It is shown in the two honourable verses mentioned which drive at elevation and modesty in the awkward sensitive times which are called in the Qur'an "three times of privacy". such times people resort to rest and relaxation . They tend to put on light clothes such as at noon and at other bed times. No one should come and see the parents then even if it were a child who did not attain puberty.

The times discussed above are :

1 - Before the morning prayer.
2 - At noon when one takes off his clothes.
3 - After the night prayer.

Parents do not like their children or anybody else's children to enter upon them at these times. Bringing up children should be based on such everlasting rules of the Qur'an. So, children should be directed by their parents and family to learn to ask permission in the light of these Islamic directives which cope with the pure human instinct. Have you ever seen a system like that accurate system of Islam which preserves chastity and dignity for mankind ?

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

"And this is a Book We have revealed full of blessings, so follow it and keep your duty that mercy may be shown to you".

﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (Al Anam 56)

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾

This verse was revealed because Abu Bakr (May Allah Be Pleased with (Him) said when the verse preceding was revealed "O Messenger of Allah what can be done concerning those traders of Quraish who come from Mecca, Medina, Jerusalim and Syria ? They have certain well known places on the way . How can they ask permission while there is no one living in such trading spots ? Hence the verse mentioned was revealed.

When Allah says "wherein you have your necessities". He is describing such uninhabitted places. He is explaining the reason for negating any restrictions on anyone who enters such buildings without asking permission. They are for everybody to make use of and there is no tightening in religion. Religion, is not for making things tight and difficult but it is all ease in legislation. The verse ends by Allah Glory be to Him saying "And Allah knows what you do openly and what you hide".

Deeds are judged according to intentions. Nothing whatsoever is concealed from Allah. He knows when an eye blinks. He knows what the hearts hide and knows the evil actions with their evil intentions though they might seem good. Allah has knowledge of everything inside the hearts.

Children Must Ask Permission :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ
عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا
اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

owner is not there. He pretends to be loyal and friendly, then soon his cunning nature, his bad intentions and his meanness are revealed. The intrudence of that person upon others and his meanness might lead runing the life in that house.

Woe to anyone who is blind concerning this point. In the Hereafter he will be blind too and astray . Allah says :

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾

"And he whom Allah leaves in error, has no friend after Him. And thou will see the iniquitous, when they see the chastisement, saying : is there any way of return ?"

(Al Shura 44)

Nothing on earth or in Heaven is concealed from Allah . However people who possess corrupted consciences, no perception and eyes which are too blind to see truth, are overcome by their own miseries. They have no bravery, manhood, no feelings and no courtesy to pay attention to how others feel regarding general ethics which include the etiquette of visiting others shown in the Qur'an and the Sunna of the faithful Prophet (M.P.B.U.H).

Buildings Not to Live In :

People who go into public places without asking permission are not committing any fault. These places are not made to live in and are only built for general use and benefit of people. For example, trade centres where selling and buying takes place, or industrial and agricultural places which are always open to the public who need the. Such buildings also include markets, hotels, public baths, clinics and hospitals (except when they are inside a private building). These areas also include public parks, restaurants, cafes, clubs and so on as regards public not private spots.

Allah says in the verses mentioned at the beginning "It is no sin for you to enter uninhabitted houses wherein you have your necessities. And Allah knows what you do openly and what you hide " . (Al Nour 29)

The Etiquette of Asking Permission and Human Dignity

Part II

By Sheikh Mohammed Suliman

Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

The Most Favourable Visit :

A relative might enter a house without permission and stays for a long time . This makes the people in Taht house too tired even if that person were a kin by marriage or among uterine relations who do not believe in asking permission enjoined on them. People who do not believe in that point say that asking permission is only enjoined to prevent gazing at prohibited things, and they do not do that. Gazing here means that the visitor gets to know what the people in the house hate him to know.

Don't you see that asking permission is imposed on a blind person as he might realize with his feelings and surmise (guess) what does not cross the mind of any normal person ? May be in a house there are some private matters that a visitor should not know. So, we must respect other people's feelings and do as we are told in the Qur'an which provides happiness in this life and the Hereafter.

Have you read about the tragic and humiliating accidents and moral problems published in the papers ? They happen as a result of deviation from Allah's laws and following the steps of the devil who is an enemy to man. Accordingly, Allah the Almighty says "Allah is knower of what you do" in the mentioned verses of Surat Al Nour. This is a comment and warning against imitating those who follow their desires without sticking to any rules as they have no restriction or control to make them feel afraid or to impede their injustice. They will be allured by their deeds.

It is grieving to see a person frequently goes to someone's house while the

26 - There are twenty eight suras, out of the 114 suras in the Qur'an that are coded suras, starting with lerrers of the Alphabet of the arabic language the coded suras deal with ancient biblical storis.

27 - Islam is built as a creed and the manifestation of the creed of Islam is in the follwwing:

1 - The belief in the oneness of God and that Prophet Muhammad (P.B.U.H) is His messenger.

2 - The observation of the daily prayers. the prayers in Islam have a great significance in that Muslims can spiritually ascend to Allah's merciful presence, which was explained to Prophet Muhammad (P.B.U.H) in the ascent to heaven during the night journey. it signifies to the Muslims absolution and acceptance back in heaven. It also means, once Allah Almighty extended His mercy that He, Glory be to Him, is granting guidance and protection to the Muslims.

3 - The fast of ramadan. Which is great with with Allah, it is not merely fasting from food, it is fasting from everthing evil, vile or cruel. Fasting is restraining oneself, to reach for the spiriual, and the sublime.

4 - The paying of the purification dues, where Muslim actually compete to give to the poor.

5 - The pilgrimmage to Mecca is at the heart of every Muslim, and Muslims are ready to endure anything to the pilgrimmage. Mecca is where Abraham prayed: My God make this land safe. (what I pray for me. And my sons country too.

Mecca is where Prophet Muhammad (P.B.U.H) was born in the house of Ishmael son of Abraham, and it is for mecca that holy city, in the holy land of Saudi Arabia, that Prophet Muhammad, (P.B.U.H) who was not a fighter, fought and abolished idolatory, and secured it for the world to behold the glory of the Islamic faith and of Allah's congregation.

It is also where Abraham was true to Allah but Allah, Glory Be to Him, the forgiving, exalted is He in His mercy, absolved Abraham and His son and made Abraham to offer a sheep instead, Praise to Allah. Mecca is where Prophet Muhammad (P.B.U.H) was when the ascent to heaven in the night journey took place. Allah wants us to love our sons. our families , our people and each other, and to have faith as Muslims. Allah in His mercy loves the Muslims.

A Book we have sent down to you that you may bring footh the people from obscurity to light. (14:1). Abraham.

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ

knowledge and rationality, includes the perfection of All morality and the best guidance for human happinessl. The Qur'an seeks to help Muslims attain the truth of their lives in this world and in the spiritual and in the hereafter with as much knowledge as possible and with the least complicated symbols of ancient times. it is to make sense in our lives, and in connecting with the universe that we live in. That is how Allah, Glory to Him, wants us to read the Qur'an; to make sense of what we read, to know what were reading, what are we to learn from our reading, to make a whole and to understand from the reiterated examples and lessons what Allah Almighty stands for, what is He trying to convey to, over and over all through the Qur'an He wants us to always take the best of meanings. it is a test of faith; when what is good, what is evil, what is tyranny and what is justice are glaring at us all over the Qur'an. There should be no doubt whatsoever as to what Allah, Glory to Him means, He wants whatsoever as to what Allah, Glory to Him means, He wants faith to guide us, not fail us, that is what sight, hearing, minds and hearts are for.

The word of Allah is guiding the people to differentiate between what is good and what is evil, to follow what is good, what is better for humans to achieve the sublime, the harmony and the happiness that is fit for humans.

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ

Those who hearken the word then follow the best of it, such are they whom God has guided, and such as they are the possessors of acumen. (39:18) the hordes.

24 - This differentiation between good and evil is to be applied where marriage for Muslims is concerned, Allah has made it clear that divorce is the most hated yet licit action with Allah. Furthermoer, Allah says that men cannot act fairly between their women because he has only one heart, hence one wife only is better.

But if you fear that you cannot act fairly, then one only. (4:3) women.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا
تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾

25 - because of the magnieloquence of the Qur'an sometimes the sentences are thought of as verses, which is not right. Every sentence, and every word are meted out in perfectton and measured in meanings. It is a miracle in its whole.

وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢

Who a void the major sins and indecencles, and when they are angry they forgive. «(42:37) councel.

وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧

O you who believe, a void much surmise, for some surmise is indeed sin, and spy not, nor backbite one another. «(49:12) the chambers.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم
بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢

And if two partles of the believers fight one another, reconcile between them. (49:9) The chambers.

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي
تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩

O you who believe let no people jeer at another people. (49:11) The chambers.

Nor vilify one another. (49:11) the chamers.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ
خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١

But God purifles whom he Wills and God is hearing, knowing. (24:21) the light.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ
وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١

23 - The Qur'an which is called the light, among other things, because it takes the people from darkness to the light; from ignorance and obscurity to

Islam and the great Qur'an
More messages of the Qur'an

By : Ambassador Maha Fahmy

22 - In the Qur'an the Most important rules of morality are first that all sins can be forgiven by true repentance to Allah, then by avoiding the major sins and indecencies. Avoiding everything that is cruel or mean or indecent ; no alcohol, no gambling, no abomination or lewdness, no adultery or perversion . Slander and calumny are grievious with Allah . A Muslim must be someone who never tells alie, never bears false witness, someone who when passing by idle chatter passes with grace . Muslims walk in modesty, and when the ignorant address them or try to provoke them, they say peace or pass with grace . A muslim must try when angry to forgive, to speak softly, and to respect others at all times. Muslims must deal with each other with mutual respect, and to preserve the dignity of the senior of the family, in the mosque or at work . Muslim and Arab gallantry and hospitality are famous all over the world. Chivalrous and generous. The Muslims make a fuss of their guests, and even if a guest is an enemy but visited the muslim, the guest is safe in the Muslim's house . These are very well known Muslim and Arab ethics and they make life wonderful . The Muslims, urged by the Qur'an and blessed by Allah , the Muslims have very strong and warm family ties. They chat all their problems away, to usually genuinly very sympathetic ears, and are famous for their humour . Musllim men and women have very happy and healthy atttitudes towards each other.

"Are They who walk in modesty, and if the ignorant Address them, they say peace ". (25 :63) Al Furqan.

وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

And they who do not bear false witness and when they pass by idle chatter, they pass with grace. (25:72) al furqan.

AL-AZHAR MAGAZINE

Sha'ban 1419H. Dec. 1998

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part VIII

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهرس

- الافتتاحية [عطايا الرحمن في شعبان]
للشيخ : عبدالمعز عبدالحميد الجزار ١١٧٧
- تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ١١٨٢
- قبس من انوار النبوة
لفضيلة الشيخ : علي حامد عبدالرحيم ١١٨٧
- وكانت ليلة النصف من شعبان
للأستاذ الدكتور : محمد عبدالمنعم خفاجي ١١٩٠
- الزهد في الإسلام
للأستاذ الدكتور : عامر النجار ١١٩٤
- الإسراء والمعراج
للأستاذ الدكتور : سعد ظلام ١٢٠٢
- قضايا قرآنية
للأستاذ : صديق بكر علي عيطة ١٢١٠
- الداعية الإسلامي وخاصية القدرة على التأثير
للأستاذ الدكتور : محمد محمد البادي ١٢١٤
- الإفرازات الطبيعية عند المرأة
للدكتورة : فاطمة بنت عمر بن محمد نصيف ١٢١٨
- من قادة الخلفاء الراشدين
للأستاذ : أحمد السيد تقي الدين ١٢٢٩
- استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ : السيد العراقي شمس الدين ١٢٣٥
- من روائع الماضي بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم : فضيلة الشيخ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ١٢٣٨
- فقه المصطلحات العلمية
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا ١٢٤١
- رحلة الأنامل الذهبية
للأستاذ : مجدي عبدالحميد بشير ١٢٤٥
- علماء من مصر [ابو جعفر الطحاوي]
لفضيلة الشيخ : عبدالحفيظ فرغلي القرني ١٢٤٩
- عبدالله بن كنون
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومي ١٢٥٤
- فضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم [رائد العشيرة المحمدية]
للشيخ : محيي الدين حسين يوسف الإسنوي ١٢٦٠
- طرائف ومواقف
لفضيلة الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٦٦
- الأدب الإسلامي الصوفي
للأستاذ : أحمد مصطفى حافظ ١٢٦٨
- من نصراء الفصحى في العصر الحديث
للدكتور : محمد عبدالحكيم محمد ١٢٧٢
- الأدب في آثار المحدثين
للأستاذ الدكتور : السيد مرسي أبو ذكرى ١٢٧٨

خميلة الشعر
إعداد : الأستاذ محمد عبدالوهاب

- الله ربي
للأستاذ : محمد عبدالوهاب ١٢٨٨
- به اتغنى
للشيخ : محمد عبدالرحمن صان الدين ١٢٨٩
- توحيد الله
للأستاذ : محمود الطاهر الصافي ١٢٩٠
- نشيد النصر
للأستاذ : محمد إبراهيم العشماوي ١٢٩١
- انا مصر
للأستاذ : محمد أحمد المعصراني ١٢٩٣
- دوحة الكتب
للأستاذ : محمود الفشني ١٢٩٤
- بين المجلة والقارىء
إعداد وتقديم الأستاذ : عادل رفاعي خفاجة ١٣٠١
- انباء مكتب شيخ الأزهر
للأستاذ : عمر البسطويسي ١٣٠٨

القسم الفرنساوي

- المقال الثاني
د . هدى حسين شعراوي ١٣١٨
- المقال الأول
أ . د . رقية جبر ١٣٢١

القسم الانجليزي

- المقال الثالث
للأستاذة : هدير أبو النجا ١٣٢٣
- المقال الثاني
للأستاذة : حنان عبده الطهطاوي ١٣٣٠
- المقال الأول
للسفيرة : مها فهمي ١٣٣٤

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان
شهر النفحات الربانية

الحمد لله ، وأصلى وأسلم على أسعد خلقه ، سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام البررة ، وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنك يارب العالمين .

أما بعد

فشهر رمضان شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، أو أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن ، فمن أفطر فيه صائما ، كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له

رمضان ١٤١٩ هـ • يناير ١٩٩٩ م • الجزء التاسع • السنة الحادية والسبعون

مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له ، وأعتقه من النار » .

وإذا كان هذا شأن رمضان وهذه نفحاته فعلينا أن نستكثر فيه من خصال أربع : خصلتان ترضون بهما ربكم ، وخصلتان لاغنى لكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم ، فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما اللتان لاغنى لكم عنهما : فتسألونَ الله الجنة ، وتعوذون به من النار » .

ومن أشبع فيه صائما سقاه الله ـ تعالى ـ من حوض نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ شربة لايظمأ بعدها أبداً .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إذا كان رمضان ، فتحت له أبواب الجنة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين »[1] .

وعن أبى هريرة ، عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، مردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، ومناد ينادى : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »[2] .

وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه »[3] .

ورمضان شهر رضوان ومحاباة وضمان وألفة ، ونور ، ونوال ، وكرامة للأولياء والأبرار ، وقيل : مثل شهر رمضان فى الشهور ، كمثل القلب فى الصدور ، وكالأنبياء فى الأنام ، وكالحرم فى البلاد ، فالحرم يمنع فيه الدجال اللعين ، وشهر رمضان تصفد فيه مردة الشياطين ، وتكون الأنبياء شفعاء للمجرمين ، وشهر رمضان شفيع للصائمين ، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان ، وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن ، فمن لم يغفر له فى شهر رمضان ، ففى أى شهر يغفر له ، فليتب العبد إلى الله ـ عز وجل ـ قبل أن تغلق أبواب التوبة ، وليتب إليه ـ عز وجل ـ قبل أن يفوت وقت الإنابة ، وليبك قبل أن ينقضى وقت البكاء والرحمة ، وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن أمتى لم تخز ما أقاموا شهر رمضان ، فقال رجل : يانبى الله وما خزيهم ؟ قال : « من انتهك فيه محرما ، أو

---

(1) اخرجه مسلم (١٠٧٩) [٢] فى الصيام . والبيهقى (٣٠٣/٤)
(2) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (٢٢٢/٨) إسناده قوى والترمذى (٦٨٢) .
(3) البخارى (٣٨) فى الإيمان / باب صوم رمضان احتسابا من الإيمان . والنسائى (١٥٧/٤) .

عمل سيئة ، أو شرب خمرا ، أو زنى لم يقبل منه رمضان ، ولعنه الله وملائكته ، وأهل السموات إلى مثله من الحول ، وإن مات فيما بينه وبين رمضان ، فليس له عند الله حسنة »[1] .

إخوانى أمة محمد اعلموا أن شهر رمضان إنما هو شهر الصفا ، وشهر الوفا ، وشهر الذاكرين ، وشهر الصابرين ، وشهر الصادقين ، وتذكروا أن صيامه حفيظ لصاحبه من الضلال فى الدنيا ، ومن عذاب النار فى الآخرة ، وأنه عبادة خاصة بالله تعالى لم يعبد غيره به ، ومطيب لرائحة الفم عند الله ، ومفرح لصاحبه فى الدنيا والآخرة ، ورافع لذكره على رءوس الأشهاد ، ومصحح للجسم من الأسقام ، ومعظم للأجر ، ومقرب من الله تعالى . وفى الحديث « أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى ، أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، ينظر الله - عز وجل - إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله - عز وجل - يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى ، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى . وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا ، فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر يارسول الله ؟ فقال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم »[2] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إنى امرؤ صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه »[3] .

وفى رواية : « كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله - عز وجل - إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى »[4] .

وعن أبى أمامة - رضى الله عنه - قلت : يا رسول الله مرنى بأمر ينفعنى الله به ، قال : « عليك بالصيام فإنه لا مثل له »[5] .

---

(١) الطبرانى الصغير (١/٢٤٨) ومجمع الزوائد للهيثمى (٣/١٤٤) وجمع الجوامع (٦٢٧٨) والكنز (٢٣٧٢٤) .

(٢) رواه البيهقى واحمد والبزار .

(٣) رواه الخمسة : التاج الجامع للأصول (٢/٤٦ ، ٤٧) .

(٤) المرجع السابق (٢/٤٧) .

(٥) رواه النسائى والحاكم وصححه (التاج ٢/٥٠) .

أخى المسلم : أخلص النية واجتهد فى العبادة ، وصل وقتك بالطاعة ، فما أكثر الفيوضات الربانية فى هذا الشهر الفضيل ، لاتضيع وقتك هباء ، وأكثر من تلاوة القرآن فيه بالتدبر ، واعلم أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل ، فشفعنى فيه ، قال : فيشفعان .

وكان من هدى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر رمضان : الإكثار من أنواع العبادات ، فكان جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدارسه القرآن فى رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان [1] ، يكثر فيه من الصدقة والإحسان ، وتلاوة القرآن ، والصلاة والذكر والاعتكاف .

وكان يخص رمضان من العبادة بما لايخص غيره به من الشهور ، حتى إنه كان ليواصل فيه أحيانا ، ليوفر ساعات ليله ونهاره على العبادة ، وكان ينهى أصحابه عن الوصال ، فيقولون له : إنك توصل ، فيقول : « لست كهيئتكم إنى أبيت » وفى رواية : « إنى أظل عند ربى يطعمنى ويسقينى » [2] .

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيوانى ، ولاسيما المسرور الفرحان الظافر بمطلوبه الذى قد قرت عينه بمحبوبه ، وتنعم بقربه ، والرضى عنه ، وألطاف محبوبه وهداياه ، وتحفه تصل إليه كل وقت ، ومحبوبه حفى به ، معتن بأمره ، مكرم له غاية الإكرام مع المحبة التامة له ، أفليس فى هذا أعظم غذاء لهذا المحب ؟ فكيف بالحبيب الذى لاشىء أجل منه ، ولا أعظم ، ولا أجمل ولا أكمل ، ولا أعظم إحسانا إذا امتلأ قلب المحب بحبه ، وملك حبه جميع أجزاء قلبه وجوارحه ، وتمكن حبه منه أعظم تمكن ، وهذا حاله مع حبيبه ، أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ؟ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد المئزر وأحيا الليل وأيقظ أهله ، وكان يجتهد فيها مالا يجتهد فى غيرها ، تحريا لليلة القدر ، ليلة السلام والتحية ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ (القدر : ٥) الذى هو جبريل ـ عليه السلام ـ ومعه سبعون ألف ملك ، وهو أمير عليهم ، فجبريل ـ عليه السلام ـ يسلم على من كان قاعدا ، والملائكة تسلم على من كان نائما ، والبارى سبحانه وتعالى يسلم على عباده من كان قائما ، كما جاز أن يسلم الله ـ عز وجل ـ على عباده المؤمنين من أهل الجنة فى الجنة بقوله :

﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ (يس : ٥٨)

---

(١) أخرجه البخارى وغيره فى الصوم (١٩٠٢)

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (١٨٢٢/٤) ومالك فى موطئه فى الصيام (٦٧١) باب (١٣) النهى عن الوصال

فجاز أن يسلم على عباده الأبرار فى الدنيا الذين سبقت لهم منا الحسنى ، والعناية والسعادة فى الأزل ، الغانين عن الخلق الباقين بالرب المطمئنين إلى الحق ، فلا يبقى فى ليلة القدر بقعة إلا وعليها ملك ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات ، ولايزالون يدعون ليلتهم تلك للمؤمنين والمؤمنات ، وأما جبريل ـ عليه السلام ـ فلا يدع أحدا من المؤمنين والمؤمنات إلا يسلم عليه ويصافحه ويقول له : إن كنت فى الطاعة فسلام عليك بالقبول والإحسان ، وإن كنت فى المعصية فسلام عليك بالغفران ، وإن كنت فى النوم فسلام عليك بالرضوان ، وإن كنت فى القبر فسلام عليك بالروح والريحان فهى قوله عز وجل :

﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ ﴾ **(القدر : ٤ ، ٥)**

وقيل : إن الملائكة تسلم على أهل الطاعات ولا تسلم على أهل العصيان فمنهم الظلمة ، ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة ، وآكل الحرام أو وقاطع الرحم ، والنمام ، وآكل أموال اليتامى ، فهؤلاء ليس لهم نصيب فى سلام الملائكة ، فأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة ؟ يمضى شهرا أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ولايكون ذلك حظ فى سلام ملائكة رب العصاة والأبرار ، فهل كان ذلك إلا لبعدك من الرحمن ، وكونك من أهل الطغيان وموافق الشيطان ، وتحليك بحلية سالكى سبيل النيران ؟ ولبعدك وتجافيك عن سالكى سبيل الجنان وهجرانك لطاعة من بيده الضرر والإحسان ، فشهر رمضان شهر الصفا ، فإذا لم يؤثر فى إصلاح قلبك ؟ فأى خير يرجى فيك ؟ وأى بقية بقيت فيك ؟ وأى فلاح يترقب منك ؟ فتنبه يامسكين لما حل بك ، واستيقظ من رقدتك وغفلتك ، وانظر إلى الذى دهاك ، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة لعلك تكون ممن تناله الرحمة والرأفة ، وتودعها بإسبال العبرات ، وابك على نفسك المشئومة بالعويل والويل والنياحات ، فكم من صائم لايصوم غيره أبدا ، وكم من قائم لايقوم بعده أبدا ، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله وقد فرغنا من العمل ، فليت شعرى أمقبول صيامنا وقيامنا أم مضروبة بها وجوهنا ؟ ياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه ؟ ومن المردود منا فنعزيه ؟

وأخيرا : السلام عليك يا شهر الصيام ، السلام عليك يا شهر القيام ، السلام عليك يا شهر الإيمان ، السلام عليك يا شهر القرآن ، السلام عليك يا شهر الأنوار ، السلام عليك يا شهر المغفرة والغفران .

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم ، ونور بصائرنا بنور قرآنك .

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك يارب ، آمين

وكل عام وأنتم بخير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٠ : ١١٢)

بعد أن أمر القرآن المؤمنين فى الآية السابقة بالعفو والصفح عن أعدائهم لأن الحكمة تجعل العفو والصفح خيرا من العقوبة والتأنيب ، انتقل بعد ذلك إلى أمرهم بالمحافظة على الشعائر التى تطهر قلوبهم ، وتزكى نفوسهم فقال - تعالى - :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(البقرة : ١١٠)

فقد أمرهم - سبحانه - فى هذه الآية بالمواظبة على عمودى الإسلام ، وهما العبادة البدنية التى تؤكد حسن صلة العبد بخالقه وهى الصلاة والعبادة المالية التى تؤلف بين قلوب الموسرين والمعسرين وهى الزكاة .

وجاءت جملة ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

بعد ذلك ، لترغبهم فى فعل الخير على وجه عام ، ولتحثهم على التزود من الأعمال الصالحة

سواء أكانت فرضاً أم نفلا . وقال ﴿ لِأَنفُسِكُم ﴾ للإشعار بأن ما يقدمه المؤمن من خير إنما يعود نفعه إليه ، وأنه سيجد عند الله نظير ذلك الثواب الجزيل ، والأجر العظيم ، وفى قوله ، عند الله ، إشارة إلى ضخامة الثواب ، لأنه صادر من الغنى الحميد .

وجاءت جملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

لتأكيد ذلك الوعد ، فقد دلت على أن الله ـ تعالى ـ لايخفى عليه عمل عامل قليلا كان أو كثيراً . وإذا كان عالماً محيطاً بكل عمل يصدر من الإنسان ، كانت الأعمال محفوظة عنده ـ تعالى ـ فلا يضيع منها عمل دون أن يلقى العامل جزاءه يوم الدين .

وفى إعادة ذكر اسم الجلالة فى هذه الجملة مع تقدم ذكره فى قوله : ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

إشعار باستقلال هذه الجملة ، وبشدة الاهتمام بالمعنى الذى تضمنته .

كذلك من فوائد إظهار اسم الجلالة فى مقام يجوز فيه الإضمار ، أن تكون الجملة كحكمة تقال عند كل مناسبة ، بخلاف ما لو أتى بدل الاسم الظاهر بالضمير فإن إلقاءه عند المناسبة يستدعى أن تذكر الجملة السابقة معها حتى يعرف المراد من الضمير .

ثم حكى القرآن لونا من ألوان المزاعم الباطلة التى درج عليها أهل الكتاب ، ورد عليها بما يبطلها فقال :

﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

الضمير فى « وَقَالُواْ » يعود على أهل الكتاب من الفريقين .

والهود : جمع هائد أى : متبع اليهودية وقدمهم القرآن الكريم على النصارى لتقدمهم فى الزمان .

والمعنى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخلها إلا من كان نصرانياً ، إلا أن الآية الكريمة سلكت فى طريق الإخبار عما زعموه مسلك الإيجاز ، فحكت القولين فى جملة واحدة ، وعطفت أحد الفريقين على الآخر بحرف « أو » ثقة بفهم السامع ، وأمنا من اللبس ، لما عرف من التعادى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ، ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عنهم :

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ ﴾

(البقرة : ١٣٥)

أى : قالت اليهود : كونوا هودا تهتدوا ، وقالت النصارى : كونوا نصارى تهتدوا .

ولذا قال الإمام ابن جرير : « فإن قال قائل : وكيف جمع اليهود والنصارى فى هذا الخبر مع اختلاف مقالة الفريقين ، واليهود تدفع النصارى عن أن يكون لها فى ثواب الله نصيب ، والنصارى تدفع اليهود عن مثل ذلك ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذى ذهبت إليه ، وإنما عنى به وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى ، ولكن معنى الكلام لما كان مفهوما عند المخاطبين به جمع الفريقان فى الخبر عنهما فقيل :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ (١)

(البقرة : ١١١)

وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾

جملة معترضة قصد بها بيان أن ما يدعونه من أن الجنة خاصة بهم ، ماهو إلا أماني منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا برهان . سولتها لهم أنفسهم التي استحوذ عليها الشيطان فخدعها بالأباطيل والأكاذيب .

واسم الإشارة ﴿ تلك ﴾ مشار به إلى ما تضمنه قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وهو يتضمن أماني كثيرة : منها ، أن اليهود أمنيتهم أنه لن يدخل الجنة غيرهم ، والنصارى كذلك أمنيتهم أنهم هم وحدهم أصحاب الجنة ، وكلا الفريقين يعتقد أن المسلمين ليسوا أهلا لها ، ولهذا جاء خبر اسم الإشارة جمعا فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ .

ويرى صاحب الكشاف أن المشار إليه أمور قد تعددت لفظا وحكاها القرآن عنهم في قوله :

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٠٥)

وفي قوله : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (البقرة : ١٠٩)

وفي قوله : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وعبارته :

فإن قلت : لم قيل :

﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة ؟ قلت : أشير بها إلى الأماني المذكورة وهو أمنيتهم أن لاينزل على المؤمنين خير من ربهم ، وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً ، وأمنيتهم ألا يدخل الجنة غيرهم . أي : تلك الأماني الباطلة أمانيهم (٢) .

ويرى صاحب الانتصاف : أن المشار إليه واحد وهو قولهم :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

وجمع لإفادة أن تلك الأمنية قد تمكنت من نفوسهم وأشربتها قلوبهم . فقال : والجواب القريب أنهم لشدة تمنيهم لهذه الأمنية ، ومعاودتهم لها ، وتأكدها في نفوسهم جمعت ليفيد جمعها أنها متأكدة في قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ ، والجمع يفيد ذلك ، وإن كان مؤداه واحداً ونظيره قولهم : معى جياع ، فجمعوا الصفة ومؤداها واحد ، لأن موصوفها واحد ، تأكيداً لثبوتها وتمكنها ، وهذا المعنى أحد ما روى في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ (الشعراء : ٥٤)

فإنه جمع « قليلا » وقد كان الأصل إفراده فيقال « لشرذمة قليلة » كقوله تعالى :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ ﴾ (البقرة : ٢٤٩)

لولا ما قصد إليه من تأكيد القلة بجمعها ، ووجه إفادة الجمع في مثل هذا التأكيد ، أن الجمع

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٤٩١ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣٠ .

يفيد بوضعه الزيادة فى الآحاد فنقل إلى تأكيد الواحد ، وإبانته زيادة على نظرائه ، نقلا مجازياً بديعاً فتدبر هذا الفصل فإنه من نفائس صناعة البيان والله الموفق » (١) .

ثم أمر الله - تعالى - رسوله - ﷺ - أن يطالبهم بالدليل على صحة ما يدعون ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى : قل - يامحمد - لهؤلاء الزاعمين أن الجنة لهم خاصة من دون الناس ، هاتوا حجتكم على خلوص الجنة لكم ، إن كنتم صادقين فى دعواكم ؛ لأنه لما كانت دعواهم الاختصاص بدخول الجنة لاتثبت إلا بوحى من الله وليس لمجرد التمنى ، أمر الله - تعالى - نبيه - ﷺ - أن يطالبهم بالدليل من كتبهم على صحة دعواهم ، وهذه المطالبة من قبيل التعجيز لأن كتبهم خالية مما يدل على صحتها .

قال الإمام ابن جرير : « وهذا الكلام وإن كان ظاهره دعاء القائلين :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

إلى إحضار حجة على دعواهم ، فإنه بمعنى التكذيب من الله لهم فى دعواهم وقيلهم ؛ لأنهم ليسوا بقادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبداً » (٢) .

هذا ، ويؤخذ من الآية الكريمة بطلان التقليد فى أمور الدين ، وهو قبول قول الغير مجرداً من الدليل ، فلا ينبغى للإنسان أن يقرر رأيا فى الدين إلا أن يسنده إلى دليل ، كما أنه لا يقبل من غيره قولا إلا أن يكون مؤيداً بدليل .

أما عدم صحة التقليد فى أصول الدين : أى فيما يرجع إلى حقيقة الإيمان فالأمر فيه جلى ، لأنه يكتفى فى إيمان الشخص بأى دليل ينشرح به صدره للإسلام ، وتحصل له به الطمأنينة ، كأن يستمد إيمانه بالله من التنبيه لحكمة الله فى إتقان المخلوقات ، أو فى رعاية اللطف والرفق بالإنسان ، ويستمد إيمانه بصدق الرسول - ﷺ - من الاستماع إلى القرآن الكريم ، أو من سيرته التى لم يظهر بمثلها أو بما يقرب منها بشر غير رسول ، والقصد أن لا يكون إسلامه لمجرد أنه فى بيئة إسلامية أو ولد من أب وأم مسلمين .

وأما التقليد فى الفروع أى فى الأحكام العملية ، فالناس بالنظر إلى القدرة على تمييز الخطأ من الصواب درجات ، فمن له قدرة على فهم الأدلة ومعرفة الراجح من الأحكام ، لايجوز أن يتلقى الحكم من غيره إلا مقروناً بدليل ، وإن كان قاصراً عن هذه الدرجة أخذ بما يفتيه به العالم المشهود له بالرسوخ فى علم الشريعة ، والمعروف بالمحافظة على لباس التقوى ما استطاع » (٣) .

ثم أبطل القرآن الكريم مدعاهم بطريق آخر وهو إيراد قاعدة كلية رتبت دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح بلا محاباة لأمة أو لجنس أو لطائفة فقال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(البقرة : ١١٢)

---

(١) هامش تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٣٠ .

(٢) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ٦٤٩ .

(٣) تفسير الآية الكريمة للمرحوم الشيخ محمد الخضر حسين : مجلة لواء الإسلام ، السنة الثالثة ، العدد الخامس ص ٧ .

﴿ بَلَىٰ ﴾ حرف يذكر فى الجواب لإثبات المنفى فى كلام سابق ، وقد صدرت الآية التى معنا بحرف « بلى » لإثبات مانفوه وهو دخول غيرهم الجنة ممن لم يكن لا من اليهود ولا من النصارى ، مادام قد أسلم وجهه لله وهو محسن .

وقوله تعالى :

﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ المراد به اتجه إليه ، وأذعن لأمره ، وأخلص له العبادة ، وأصل معناه الاستسلام والخضوع .

وخص الله ـ تعالى ـ الوجه دون سائر الجوارح بذلك ، لأنه أكرم الأعضاء وأعظمها حرمة ، فإذا خضع الوجه الذى هو أكرم أعضاء الجسد فغيره من أجزاء الجسد أكثر خضوعاً .

وقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ من الإحسان ، هو أداء العمل على وجه حسن أى : مطابق للصواب وهو ما جاء به الشرع الشريف .

والمعنى : ليس الحق فيما زعمه كل فريق منكم يا معشر اليهود والنصارى من أن الجنة لكم دون غيركم ، وإنما الحق أن كل من أخلص نفسه لله ، وأتى بالعمل الصالح على وجه حسن ، فإنه يدخل الجنة ، كما قال تعالى :

﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

وقد أفادت الآية الكريمة ما يأتى :

(أ) إثبات ما نفوه من دخول غيرهم الجنة .

(ب) بيان أنهم ليسوا من أهل الجنة ، إلا إذا أسلموا وجوههم لله ، وأحسنوا له العمل فيكون ذلك ترغيبا لهم فى الإسلام ، وبياناً لمفارقة حالهم لحال من يدخل الجنة ، لكى يقلعوا عما هم عليه ، ويعدلوا عن طريقتهم المعوجة .

(جـ) بيان أن العمل المقبول عند الله ـ تعالى ـ يجب أن يتوافر فيه أمران :

أولهما : أن يكون خالصاً لله وحده .

ثانيهما : أن يكون مطابقاً للشريعة التى ارتضاها الله تعالى وهى شريعة الإسلام .

قال الإمام ابن كثير : « فمتى كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ، ولهذا قال رسول الله ـ ﷺ ـ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » فعمل الرهبان ومن شابههم وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعاً للرسول ـ ﷺ ـ المبعوث فيهم وإلى الناس كافة ، وفى أمثالهم قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

(الفرقان : ٢٣)

وأما إن كان العمل موافقاً للشريعة فى الصورة الظاهرة ، ولكن لم يخلص عامله القصد لله ، فهو أيضاً مردود على فاعله ، وهذا حال المرائين والمنافقين ولهذا قال ـ تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١)

(الكهف : ١١٠)

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد أبطلتا دعوى اليهود أن الجنة لهم دون غيرهم ، وأثبتنا أن مزاعمهم هذه ما هى إلا من قبيل الأمانى والأوهام وكذبتهم فى أن يكون عندهم أى برهان أو دليل على ما يدعون ثم أصدرتا حكما عاما ، وهو أن الجنة ليست خاصة لطائفة دون أخرى ، وإنما هى لكل من أسلم وجهه لله وهو محسن .

« يتبع »

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٥٤ .

قبس من أنوار النبوة

مع القرآن فى رمضان

موسم الغفران

لفضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم

عن معاذ - رضى الله عنه - قال : قلت يارسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ، ويباعدنى من النار ، قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله - تعالى - عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة[1] ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا :

﴿ تَتَجَافَىٰ[2] جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(السجدة - ١٦ : ١٧)

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يارسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك[3] ذلك كله ؟ قلت : بلى يارسول الله ، فأخذ بلسانه ثم قال : كف عليك هذا ، قلت : يارسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك[4] ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم[5] » .[6]

(١) الصوم جنة : اى يقى صاحبه ما يؤذيه من الشهوات .
(٢) تتجافى : ترتفع وتتنحى للعبادة عن الفرش التى يضطجع عليها .
(٣) ملاك الامر : قوامه الذى يملك به .
(٤) ثكلتك امك : فقدتك ، وهى من الألفاظ التى تجرى على ألسنة العرب ، ولا يراد بها الدعاء .
(٥) حصائد ألسنتهم : اى ما تجنيه عليهم ألسنتهم من الشر .
(٦) رواه الترمذى .

فى شهر رمضان ، يعيش أهل الإيمان مع مكانته الخاصة ومنزلته الرفيعة ، فهو سيد الشهور ، وأفضلها على الإطلاق ، لتفضيل الله - تبارك وتعالى - له على سائر الشهور بذكره فى كتابه العزيز دون غيره ، وتخصيصه بنزول القرآن الكريم فيه :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾

(سورة البقرة : ١٨٥) .

وحيث جعله الله شهر الصيام والتقوى والعبادة - بصفة خاصة - طريقا للسعى إلى الجنة بخطى حثيثة ، وحيث يتنافس فيه إلى كل عمل صالح كل من يوفقه الله .

فقد جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : - فيما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده - متحدثا عن منزلة رمضان : « جاءكم شهر رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم فيه فيباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله » .

ورمضان ركن من أركان هذا الدين الذى هدانا الله إليه وأكمله ، حيث يقول :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣) .

وهو دعامة من دعائم الإسلام التى بنى عليها ، فعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان[٧] » .

فى طلب معاذ - رضى الله عنه - من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدله على عمل يدخله الجنة ، ويبعده عن النار ، يدل على حرص صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ما يوصلهم إلى السعادة الكبرى والنعيم المقيم ، وكما هو كذلك مطلوب من كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة .

ولقد كان فى إجابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا الصحابى الجليل : إنك سألت عن أمر عظيم ، ويسير على من يسره الله - تعالى - عليه ، ووفقه للقيام به على الوجه الأكمل ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : « تعبد الله لا تشرك به شيئا » ، ففى مسند الإمام أحمد والنسائى عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله بالذى بعثك بالحق ماالذى بعثك الله به ؟ قال : الإسلام . قلت وما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله - تعالى - وأن توجه وجهك لله ، وأن تصلى الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة .. الخ .

وكما جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن أعرابيا قال : يارسول الله : « دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، قال : والذى بعثك بالحق لا أزيد على هذا شيئا أبدا ولا أنقص منه ، فلما ولى قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا » ، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ : « ألا أدلك على أبواب الخير » - أى من النوافل - فإن أحب العباد إلى الله الذين

(٧) رواه البخارى ومسلم .

يتقربون إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض ، فقال : « الصوم جنة » أى حصن حصين من النار ، فالصوم يقى صاحبه من المعاصى فى الدنيا ، كما قال الله - عز وجل - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

فإذا كان له جنة من المعاصى كان له فى الآخرة جنة من النار .

ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » فعن أنس - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : « إن صدقة السر تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء[٨] » .

ومما يطفىء الخطيئة كالصدقة « وصلاة الرجل فى جوف الليل » .

وفى ذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل » .

وروى الترمذى من حديث بلال عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله - عز وجل - ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد ، ثم تلا - صلى الله عليه وسلم - قول الله تعالى :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٧ ﴾ (سورة السجدة - ١٦ : ١٧) .

« وأقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر[٩] .

ثم قال - صلى الله عليه وسلم - موجها ومعلما للأمة فى شخص معاذ : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، قلت بلى يارسول الله ، قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، رأس الأمر الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة ، حيث جعلت الصلاة كعمود الفسطاط - الخيمة - الذى لا يقوم الفسطاط إلا به ، ولا يثبت الفسطاط إلا به ، ومن أقامها أقام الدين بل هى فرق ما بين المسلم والكافر ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة ، فإذا صلحت فاز ونجح ، وإذا فسدت خاب وخسر ، وأفضل الأعمال بعد الفرائض الجهاد فى سبيل الله

ثم أخبر - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه » .

ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « وهل يكب الناس فى النار إلا حصائد ألسنتهم » ، إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب .

قال ابن المبارك عن فضالة عن يونس بن عبيد - رحمهم الله - : « لا تجد شيئا من البر واحد يتبعه البر كله غير اللسان ، فإنك تجد الرجل يصوم النهار ويفطر على حرام ، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار ، وذكر أشياء ، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق فيخالف ذلك عمله أبدا .

وقال عباس - وقد أخذ بلسانه - ويحك قل خيراً تسلم وأمسك عن شر تسلم وإلا فاعلم أنك ستندم .

---

(٨) رواه الترمذى وابن حبان .

(٩) رواه الترمذى .

١

يومُ النصرِ العظيم

للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى

فى بدر ، وفى رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وقف الرسول الأكرم صباح النصر العظيم يحف به أصحابه - صلى الله عليه وسلم - كما تحف النجوم بالقمر والأضواء بالشمس ، ومن حولهم أشلاء وجثث ممزقة لسبعين قتيلا ، كلهم من وجوه قريش وسادتها ، وبين الأشلاء جرحى الهزيمة من القرشيين المكيين ، وجوههم معفرة ذليلة ، أصابها الخوف والفزع ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يحفرون لقتلى المشركين قليبا - أى بئرا ، ويدفنهم فى جوفه ، ثم يقف ومن معه على حافة القليب ، شاكراً لله هذا النصر المبين ، وهو يقول : ياأهل القليب : ياعتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة ياأمية بن خلف ، ياأبا جهل بن هشام ، وعدد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسماء رؤوس الشرك الذين أذلهم الله وقتلهم ، ممن رمى بهم فى القليب ، ثم قال - صلوات الله عليه - : « ياأهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقا » .

ياأهل القليب ، بئس عشيرة النبى كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس .

ولما أخذ جثمان عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب ، نظر رسول الله إلى ابنه المسلم أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، فإذا وجهه كئيب ، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ياأبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء فقال : لا والله يارسول الله ، ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه ، ولكننى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، وكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر ، بعد الذى كنت أرجو له ، أحزننى ذلك .

وينادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

على شاعر المسلمين ، وبطلهم ، عبدالله بن رواحة ، وعلى بطل الحرب متبنى رسول الله - ﷺ - زيد ابن حارثة ، فيبعثهما بشيرين بهذا النصر المبين ، والفوز العظيم إلى المدينة .

ثم ينفض رسول الله - ﷺ - وأصحابه عنهم غبار المعركة ، ويسير من بدر وخلفه الأسرى من المشركين سبعون أسيراً ، ويسير الموكب النبيل ، موكب رسول الله - ﷺ - إلى المدينة ، فلما وصل الموكب إلى الروحاء ، وهى على نحو نصف الطريق من بدر إلى المدينة إذا وفود أهل المدينة مقبلة جاءت من المدينة تهنىء رسول الله - ﷺ - بما فتحه الله على المسلمين من هذا النصر المبين .

وقدم رسول الله - ﷺ - إلى المدينة قبل الأسرى بيوم ، وفى المسجد النبوى مسجد رسول الله - صلوات الله عليه - أدى لله سجدة الشكر . . على نعمة النصر العظيم .

ووزع رسول الله - ﷺ - الأسرى على أصحابه وقال لهم : « استوصوا بالأسرى خيرا » .

- ٢ -

هذا جانب من صورة هذا المشهد الكبير ، وفى الجانب الآخر صورة عربى خزاعى من أهل مكة قادم من بدر إلى بلد الله الحرام بأسوأ خبر سمعه القرشيون ، طيلة حياتهم ، قال لهم : لقد قتلت أفلاذ أكبادكم فى بدر ، قتل أبو جهل ، وعتبة ، وشيبة ، ابنا ربيعة ، وأمية بن خلف ، وغيرهم من سادة القرشيين وقادتهم ، وكبرائهم . كان أبو لهب قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه إلى أرض المعركة فى بدر : العاصى بن هشام بن المغيرة . فلما سمع بمقتل أشراف قومه ، مات حزنا وكمدا . وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وذهب إلى غضب الله وعذابه ، وناحت قريش على قتلاها ، ثم قال بعضهم لبعض : لا تنوحوا على قتلاكم ، فيشمت محمد وأصحابه ، وباتوا بهم دائم وحزن مقيم ، وأخذوا يبعثون فى فداء الأسرى ، ومن لم يبعث أهله فى فدائه كان فداؤه تعليم عشرة من أطفال المسلمين الكتابة ، ووجد المسلمون فى مكة فى أنفسهم عزا وقوة ، وشعر المسلمون فى المدينة بالأمن والطمأنينة .

وجاء رجل من مكة إلى المدينة مسرعا لا يلوى على شىء ولا يستريح من كلال ويمم صوب المسجد النبوى ووقف على مجلس رسول الله - ﷺ - ووضع فى يده قلادة ، وهو يقول : إن ابنتك زينب بنت محمد بعثت بهذه القلادة إليك ، فدية لزوجها الأسير أبى العاص بن عبدالعزى بن عبد شمس بن مناف بن الربيع بعد النصر وتقول : اطلقوا سراحه وهذه فديته ، وكان أبو العاص ابن هالة أخت خديجة أم المؤمنين ، وكانت القلادة هدية خديجة لابنتها يوم زفافها واستقرت القلادة فى يد رسول الله - ﷺ - ودمعت عيناه ، ثم قال لأصحابه :

إن رأيتم أن تطلقوا لهذه أسيرها وتردوا عليها مالها . . وسمع أبطال النصر ذلك ، فبادر عبدالله ابن جبير بن نعمان الأنصارى الذى أسر أبا العاص فى بدر إلى السعى نحو بيته ، حيث فك أسر أبى العاص زوج زينب بنت رسول الله - ﷺ - وكان قد أكره على الخروج إلى بدر ، وأصبح أبو العاص حرا ، وعادت قلادة بنت رسول الله - ﷺ - إلى يدى أبى العاص زوجها وأخذ رسول الله - ﷺ - العهد على أبى العاص سرا أن يخلى سبيل ابنته

زينب لتهاجر إلى أبيها رسول الله - ﷺ - فى المدينة ، ولتقيم فى دار الإسلام مع المسلمين . وقبل هجرة رسول الله - ﷺ - إلى المدينة كانت قريش قد مشت إلى أبى العاص يقولون له : فارق زوجك وصاحبتك ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت . فرد عليهم ردا عنيفا ، وقال : لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش ، فمشت قريش إلى عتبة بن أبى لهب ، تقول له : إنك قد فرغت محمدا من همه ، طلق ابنته التى عندك وهى زوجته أم كلثوم وردها إلى أبيها ونحن نزوجك أى امرأة من قريش شئت ، وكان لم يدخل بأم كلثوم بعد ، فقال لهم : أفارقها على أن تزوجونى بنت سعيد بن العاص ، قالوا له : نعم فطلقها وأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ، وتزوجها بعده عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وعادت زينب إلى أبيها - صلوات الله عليه - وتوفيت فى المدينة فى العام الثامن للهجرة ، وتوفيت بعدها بشهر أختها أم كلثوم بنت رسول الله - رضى الله عنهما أجمعين .

- ٣ -

لقد كان النصر الأكبر الذى ناله المسلمون فى بدر نهاية لأحداث طويلة دامية مريرة ، وفيه يقول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

(الأنفال ١١ ، ١٢) .

ولقد كانت غزوة بدر الكبرى حدث الأحداث فى تاريخ العالم القديم ، فقد أنهت نظرية سيادة قريش على الجزيرة العربية وأسطورة أنها لا تغلب .

وأنهت كذلك معركة بدر الكبرى عهدا من الاضطهاد الوثنى للرسالات السماوية وأتباعها ، ووضعت نهاية لأفكار الجاهلية فى الحجر على الحريات الدينية . وقررت حقيقة جديدة وهى أن الجزيرة العربية قد أصبح للإسلام والمسلمين فيها مكان روحى وسياسى كبير لا يمكن تجاهله ، وجعلت كذلك معركة بدر قريشاً تفكر ألف مرة ومرة فى مصير قوافلها التجارية الكثيرة الذاهبة إلى الشام ، حتى أنها غيرت طريق هذه القوافل فصارت تمر بطريق طويل وَعْر . فى قلب نجد حتى تستطيع الذهاب للشام ، والإفلات من قبضة المسلمين . وفى هذه المعركة هزمت قريش شر هزيمة ، قتل منهم سبعون وأسر سبعون ، وهرب وفقد الباقون ، وأما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة عشر مجاهدا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وبعد المعركة برزت بين القوى السياسية المختلفة فى المنطقة دولة إسلامية قوية هى دولة الإسلام فى المدينة وما حواليها .

وترجع أسباب هذه المعركة الخالدة إلى اضطهاد قريش للمسلمين سواء منهم المهاجرون إلى المدينة ، أو الذين ظلوا مقيمين فى مكة ، وإلى مصادرتها لأموالهم وتجارتهم وديارهم . وإلى مؤامراتهم الدنيئة الدائمة ضد الإسلام ورسوله والمؤمنين به .

- ٤ -

وقد بدأت الأحداث بإرسال الرسول سرية من المسلمين ؛ لاعتراض القافلة التجارية الكبيرة التى عاد بها أبو سفيان من الشام ، وكانت تقدر أموالها

بنحو خمسين ألف دينار ، وفيها ألف بعير محملة بالأموال ، إذ أنه لم يبق أحد من قريش ، رجالا ونساء ولم يسهم فيها بحظ ، حسب ماله ومكانته ، وكان يتولى حراستها أربعون قرشيا منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل ، وكان الرسول قد فكر فى اعتراضها وهى ذاهبة إلى الشام إلا أنها كانت قد أسرعت وأفلتت من أيدى المسلمين فى طريقها إلى الشام ، وصارت نتائج غزوة العشيرة محدودة حيث لم تثمر الثمرة المطلوبة .

واستعمل أبو سفيان فى عودته ذكاءه فى معرفة الأخبار ، وما انتواه محمد وأصحابه ، حيال قافلته الكبيرة . ولما علم أن الرسول قد ندب المسلمين لمهاجمة قافلته بمن فيها وما فيها حذر أبو سفيان حذرا شديدا ، وبعث رجلا إلى مكة ليأتى قريشا فى أنديتها ، ويستنفرهم ، للدفاع عن أموالهم وتجارتهم ، ولينبئهم أن جيش محمد فى طريقه إلى اعتراض القافلة والاستيلاء على كل أموالها ، ولما وصل الرجل إلى مكة أخذ يصرخ بأعلى صوته ببطن الوادى ، وهو يقول : يامعشر قريش أموالكم مع أبى سفيان ، قد عرض لها محمد فى أصحابه ولا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث .

وأسرع الناس بالخروج دفاعا عن تجارتهم وأموالهم ، ولم يتخلف من سادة قريش إلا أبو لهب ، الذى بعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة ، وكان عدد الذين خرجوا من مكة تسعمائة وخمسين رجلا ، أكثرهم من قريش ، ومعهم مائتا فرس يقودونها ، وعدد كبير من الإبل ، وليس لهم قيادة موحدة ، ولا تنظيم عسكرى مخطط له :

واحتاط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأمر ، فخرج هو والمسلمون من المدينة يوم الاثنين لثمانى ليال مضت من رمضان ، من العام الثانى للهجرة ، لمساندة السرية التى كان قد بعث بها لمهاجمة قافلة أبى سفيان وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وخمسة مجاهدين من المهاجرين والأنصار ، ومعهم فرسان وسبعون بعيرا ، وكان نصيب رسول الله ـ ﷺ ـ وعلى بن أبى طالب ، ومرثد الغنوى بعيرا واحدا يتناوبون الركوب عليه ، فقال على ومرثد لرسول الله : يارسول الله ، نحن نمشى عنك ، فقال لهما : ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما .

وبعث رسول الله دوريات للاستطلاع فى مقدمة الجيش ، وسار خلفها قلب الجيش المؤلف من كتيبتين : واحدة من الأنصار بقيادة سعد بن معاذ ، وأخرى من المهاجرين بقيادة على بن أبى طالب . . ويلى ذلك مؤخرة الجيش بقيادة قيس بن أبى صعصعة .

وعلم رسول الله ـ ﷺ ـ بخروج قريش للدفاع عن أموالها ، وحينئذ صار الأمر أكبر من تهديد قريش فى تجارتها وطريق قوافلها ، وصار احتمال الصدام الحربى قويا ، وبعد أن كان خروج رسول الله ذا هدف واحد هو الحصار الاقتصادى لتجارة قريش ، إذ أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما ندب المسلمين فى المدينة للخروج قال لهم : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها ، أى يجعلها لكم غنيمة ، أصبح الأمر حينئذ أمر مواجهة عسكرية محتومة .

وعندئذ عقد رسول الله ـ ﷺ ـ مجلسا حربياً ، حيث عرض القضية على أصحابه من أولى الرأى والجهاد فى الإسلام .

فقام أبو بكر فقال وأحسن .

وقام عمر فقال وأحسن .

ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يارسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة ٢٤) .

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فقال له رسول الله خيرا ، ودعا له به .

ثم التفت رسول الله ـ ﷺ ـ ناحية الأنصار ، وقال : أشيروا على أيها الناس ، إذ أنه كان يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا إذا دهمه فى قلب المدينة عدوه . فقال سعد بن معاذ والله لكأنك تريدنا يارسول الله .. قال ـ صلوات الله عليه ـ . أجل ، قال سعد :

لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، وإنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله يريك منا ماتقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله بما يقول سعد ، وقال :

سيروا وأبشروا ، فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين ـ أى قريشا أو أموالها ـ والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

وحينئذ أصبح الأمر واضحا ، وأن قرارا قد اتخذ بالحرب ، وكان لابد من أن تسير الأمور إلى غايتها المحتومة .

وبعدئذ جمعت سرايا الاستطلاع كل ما أراد الرسول الأعظم معرفته عن قريش ، وأنهم بين التسعمائة والألف ، وأن فيهم أشراف قريش : عتبة وشيبة وأبا جهل ، وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وسواهم .

وفى تلك الأثناء كان أبو سفيان قد سلك بقافلته طريق ساحل البحر ، وبعد عن بدر كثيرا ونجا هو ومن معه وما معه من خطر المواجهة .

وبعث أبو سفيان بذلك إلى وجوه قريش يقول لهم : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم ورجالكم فقد نجاها الله فارجعوا إلى بلدكم .

فقال أبو جهل : لا والله لانرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، ننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ـ أى المغنيات ـ وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها .

وكان فى صف دعاة السلام والدعوة إلى تجنب الحرب من جيش أبى جهل الأخنس الثقفى ، وحكيم بن حزام ، وعدد قليل ، ولكن الأكثرية والغالبية العظمى كانت فى صف الحرب ، وسارت الأمور إلى نهايتها .

وفى بدر التقى الجمعان .

رسول الله فى العدوة الدنيا على بئر ماء ، والآبار الأخرى قد جعلها المسلمون لا يستقى منها ، والمشركون فى العدوة القصوى بلا ماء .

سعد بن معاذ والمسلمون يبنون لرسول الله عريشا ـ أو مقر قيادة ـ وسط أرض المعركة ، فى موضع مشرف على أرض القتال ، وكلمة التعارف بين المسلمين أحد أحد .

وبدأ القتال ، مقر للقيادة وسيطرة للقائد الأعظم على المعركة ، وطاعة تامة من المسلمين لقائدهم ، وتضحية وإقدام من جانب المسلمين ، تنظيم كامل لجيش المسلمين على أساس جديد معروف وهو حرب الصف .

أما المشركون فأسلوبهم فى القتال أسلوب الكر والفر ، وليس لهم قيادة منظمة ولا قائد واحد معروف ، وليس لأحد منهم سيطرة على المعركة وما يجرى فيها ، وهم يقاتلون كأفراد ، أما المسلمون فيقاتلون صفوفا :

ودارت المعركة وهزم فيها المشركون هزيمة منكرة ، وكان النصر لرسول الله وللإسلام ، وأعز الله بهذا النصر الإسلام والمسلمين .

رمضان شهر الجهاد

لفضيلة الشيخ:

السيد عبد المقصود عسكر

ليس من قبيل المصادفة أن يكون شهر رمضان المعظم ظرفا لوقوع العديد من المعارك التى كتب الله فيها النصر لعباده المؤمنين .

وحين نقلب صفحات التاريخ الإسلامى ، ومصادر التشريع فى الإسلام نجد أن الجهاد بمعناه الشامل سمة أساسية من سمات الإسلام ، وصفة بارزة من صفات المؤمنين به ، حتى إنك لتجد المؤمن الصادق فى جهاد متواصل ، لا يفتر ، ولا يخلد إلى الكسل ، والخمول فهو يجاهد نفسه الأمارة بالسوء ليلزمها سلوك الطريق المستقيم ، ويدفعها نحو الجد فى عمل الصالحات ، والمسارعة فى الخيرات ، ويحفظها من الوقوع فى المعاصى والمنكرات .

وهو يجاهد هواه خوفا من الله حتى لا يضله الهوى عن سبيل الله ، ولكى يحظى برضوان الله إيمانا وتصديقا بقول الله سبحانه :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ (النازعات : ٤٠ : ٤١) .

والمؤمن يجاهد هواه إدراكا منه أن اتباع الهوى يسقط الهيبة ويذهب بالكرامة ، ويؤدى بصاحبه إلى السقوط فى مهاوى الذلة والمهانة ، ويفقده القدرة على السمو وعلو المكانة ، ولأن الهوى مدخل من مداخل الشيطان إلى قلب الإنسان ، ليؤثر فيه ويغويه ويصده عن ذكر الله وعن الصلاة ، فيقع فريسة للشيطان يتلاعب به كيف يشاء ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝١٧٧ ﴾

(الأعراف : ١٧٥ : ١٧٧) .

والمؤمن يجاهد الشيطان ويقاوم كيده ، ويفضح مكره ويحذر الوقوع فى شراكه وشره ، وذلك لإيمانه الكامل بأنه عدوه المبين الذى يزين له الشر

ليوقعه فيه ويبغض إليه الخير ليصرفه عنه ، يريد بذلك أن يفسد عليه دنياه وآخرته ، وأن يكون معه من أهل النار ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (فاطر : ٥ : ٦) .

تلك بعض الميادين التى يجاهد فيها المؤمنون ، وهم على يقين أن انتصارهم فى تلك الميادين شرط لابد منه لانتصارهم على أعداء الله ، من جند الشيطان ، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون .

ولأن مواجهة هؤلاء المفسدين وكسر شوكتهم ، وتحطيم قوتهم هو الضمان الوحيد ، لاستقرار الحق والعدل فى الأرض ، وهو الشرط الأكيد لإقامة السلام الذى ترنو إليه البشرية ولا تستطيع الوصول إليه ، ولأن الأمة الإسلامية هى التى آل إليها أمر القيام بتلك الرسالة ، وقد حملها الله أمانة الحفاظ على تراث جميع الأنبياء والمرسلين الذى يقول الله عنه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحديد : ٢٥) .

لذلك كله فرض الله الجهاد على هذه الأمة وجعله ماضيا إلى يوم القيامة ، وقد اختار الله هذه الأمة لكى تفوز بهذا الشرف ، وقال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝ ﴾

(الحج : ٧٨) .

وعلى هذا الأساس صدر الأمر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقتال أعداء الله ، كما صدر بذلك الأمر إلى الأمة كلها ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ ﴾

(التوبة : ٧٣ والتحريم : ٩) .

ويقول ـ عز وجل ـ :

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾

(النساء : ٨٤) .

ويقول ـ سبحانه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ ﴾

(التوبة : ١٢٣) .

والصيغة الواردة فى هذه الآيات تدل على أن قتال أعداء الله فريضة ، كالصلاة والزكاة والصيام ، وقد تأكد هذا الحكم صراحة بقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة : ٢١٦) .

وهذا القتال الذى فرضه الله على هذه الأمة ليس هدفه العدوان على أحد ولا التحكم فى

مصائر المخالفين فى الدين ولا التسلط على الآخرين ، ولكنه الرد العملى والمنطقى على موقف الأعداء من هذا الدين وأهله ، وهو موقف معروف ومعلن يؤكده الواقع ، وقد ثبت أن الكفار لا يقفون من المؤمنين موقفا مسالما ولا يقبلون أن يتركوهم وشأنهم يحققون مقتضيات إيمانهم فى حياتهم أو يبلغون رسالة الله إلى خلقه ، وإنما يقفون منهم موقف العداء السافر ويصدون عن سبيل الله بكل الوسائل ، وهذا ما أخبرنا الله به ونحن له مصدقون وبه مؤمنون ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

إننا حين ننظر فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ . . . ولا يزالون . . . ﴾ ندرك بداهة أن العدوان طبيعة متأصلة فيهم ، وليس نزعة عارضة أو نزوة طارئة ، وهذا ما يظهر بوضوح أيضا من قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة : ١٠٥) .

ومن قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩) .

هذا هو مسلك الكفار وهدفهم على اختلاف مشاربهم ومللهم ، وهو كذلك هدف المنافقين وغايتهم حيث يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾

(النساء : ٨٩) .

ومن أجل الوصول إلى تلك الأهداف فإن الأعداء يتبعون جميع الوسائل ، ويسلكون جميع السبل ، ويحشدون كل ما لديهم من إمكانات ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

(الأنفال : ٣٦ : ٣٧) .

وفى الآيتين بشرى بأن الله سيرد كيد الأعداء إلى نحورهم ، وأنه سينصر أولياءه وسيخذل أعداءه مهما كانت قوتهم ، ومهما جمعوا من مال أو أعدوا من عدة .

ومادام الأمر كذلك فإن جهاد الأعداء يصبح فرضا محتوما على المؤمنين ، وضرورة لازمة للحفاظ على بذرة الإيمان فى قلوب أصحابها ، وإيصال دعوة الله إلى جميع خلقه كى يسعد بها كل الناس ، وحتى يعم النور ربوع الأرض .

ولما كانت مواجهة أعداء الله ومقارعتهم بالسلاح ضرورة حتمية وفريضة لازمة لكبح عدوانهم وطغيانهم كان لابد من إعداد العدة لذلك تنفيذا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

ولما كان العنصر الحاسم الذى ترجح به كفة

المؤمنين على كفة الأعداء ويتحقق النصر هو مدى قوة إيمان المؤمنين وارتباطهم بالله وتوكلهم عليه وثقتهم فى وعده وقوة تحملهم للشدائد وصبرهم وثباتهم عند المواجهة ومراقبتهم الدائمة لله وتقواهم له ـ سبحانه ـ فى كل قول وعمل مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(آل عمران : ٢٠٠) .

لهذا كان لابد من تدريب المؤمنين وتربيتهم وإعدادهم ليكونوا على هذا المستوى الذى يستأهلون به نصر الله وتأييده .

ولهذه الغاية أقيمت المدارس وأعدت لها المناهج ، وكان على رأس هذه المدارس مدرسة الصيام التى يتخرج فيها المتقون وينشأ فيها الصابرون ، وبالتقوى والصبر يحصل المؤمن على معية الله له ويستحق نصره وتأييده ، وفى هذا يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾

(آل عمران : ١٢٠) .

ومعلوم أن الصبر من أهم أسباب النصر ، إذ به ترجح كفة المؤمن ، وبدونه تطيش كفة الكافر ويصبح وزن الرجل المؤمن الصابر أعظم قدرا من وزن عشرة من الكافرين ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾

(الأنفال : ٦٥) .

والصيام هو المدرسة التى يربى فيها المؤمن على الصبر وقوة التحمل ومضاء العزيمة وقوة الإرادة وكبح جماح شهوات النفس ، وكلها عناصر لازمة لتحقيق النصر ، وقد ربط رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين النصر وبين الصبر فى قوله : « واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[1] .

كما بين الله ـ سبحانه ـ الحكمة من فرض الصيام على المؤمنين ، فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٣) .

فالهدف المقصود من الصيام هو حصول المؤمنين على صفة التقوى ، وأن يندرجوا فى سلك المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون ، وهؤلاء يحظون بمعية الله ـ سبحانه ـ ويستحقون نصره وتأييده ، يقول الله ـ تعالى ـ :

(١) رواه الطبرانى .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(التوبة : ١٢٣) .

ومن هنا تظهر علاقة الصوم بالنصر فلا نصر إلا بالتقوى والصبر ، ولا يتحقق ذلك إلا بتربية ومجاهدة للنفس والهوى والشيطان .

إن تحقيق النصر على الأعداء لابد أن يسبقه نجاح فى ميادين الجهاد الأخرى بمعنى أنه لابد من تحقق الجهاد بمعناه الشامل ، وقد عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « الجهاد حقيقته الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الإيمان ، والعمل الصالح ، ودفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان[1] .

ومن هنا يظهر بوضوح لماذا كان شهر رمضان المعظم ظرفا للعديد من المعارك التى كتب الله فيها النصر لأوليائه ، والهزيمة لأعدائه ، إنه الشهر الذى يتربى فيه المسلمون على كيفية تحقيق الانتصار على أنفسهم وأهوائهم وشهواتهم ، والتغلب على كيد الشيطان ، ولما تربوا على ذلك فى مدرسة الصيام ونجحوا فى ذلك صاروا مستأهلين لنصر الله وتأييده .

فلا عجب أن كان انتصار بدر فى شهر رمضان ، وأن كان فتح مكة فى شهر رمضان ، وأن كان انتصار المسلمين فى عين جالوت على جموع التتار فى شهر رمضان .

ولا عجب أن كانت أول هزيمة تلحق باليهود فى العصر الحديث فى العاشر من شهر رمضان .

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ حين يفعل بنا ذلك إنما يرشدنا إلى طريق النصر والتمكين لكى نسلكه ، ويحقق لنا وعده ، والله لا يخلف الميعاد .

« عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » . رواه مسلم .

« عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » متفق عليه .

---

(١)العبودية ص ١٠٤ .

رمضان
شهر الخيرات والنفحات والبركات
إنه خير كله

لفضيلة الشيخ :
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أهل رمضان يقول : « لو يعلم العباد مافى رمضان لتمنت أمتى أن تكون السنة كلها رمضان » [1] . . إن شهر رمضان هو شهر النور والضياء ، شهر الصفاء والنقاء ، شهر الصيام والقيام ، ومدارسة العلم ، وتلاوة القرآن ، شهر الجود والبر والإحسان ، ترى الأمة الإسلامية يمن الطالع فى قدومه ، وتبصر بشائر العز فى نوره ، وتلمح دلائل السعادة فى ضيائه ، وتذوق لذة القرب من الله فى زمانه . .

عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه : أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ؛ فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » [2] . . فى شهر رمضان يفتح الله أبواب الخير لطلابه ، ويتجلى بالعفو والإحسان على أحبابه . .

عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « إن لله ـ تبارك وتعالى ـ عتقاء (أى من النار) فى كل يوم وليلة ؛ يعنى فى رمضان ، وإن لكل مسلم فى كل يوم وليلة دعوة مستجابة » [3] : ولهذا يستحب للصائم طوال شهر رمضان أن يشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى

(١) رواه ابن خزيمة والبيهقى ..
(٢) رواه البيهقى والطبرانى ..
(٣) أخرجه الحافظ البزار ..

الطاعة ، المقرونة بالإخلاص والضراعة ، وأن يكثر من الدعاء .

عن عمرو بن العاص - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد »(١) .. وفى هذا إخبار من النبى - ﷺ - بأن الله - تعالى - تكرم على الصائم ، فأعطاه عند إتمام صومه دعوة لا يردها عليه ، بل يقبلها منه ، فضلا منه تعالى وكرما ، وفى هذا بيان لرفعة منزلة الصائمين عند الله تعالى ، بل جاء فى صحيح السنة ما يفيد زيادة فضل الله على الصائم ، حيث جعل دعاءه كله مستجابا إلى وقت إفطاره .

فقد روى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » :(٢) .. شرع الله - عز وجل - صيام رمضان ، لحكم عظيمة ، وأسرار كثيرة ، وفوائد جمة ، تسمو بالبشرية إلى درجات الرشد والاستقامة ، فالصوم خير علاج لعلة النفس ، وغلبة الهوى ، إذ يبعث فى الإنسان روح التقوى ، وروح الخوف والخشية ، ويربى فيه ملكة الصبر ، وقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، وتحمل الشدائد ، والوفاء بالعهد ، كما يربى فيه ملكة المراقبة لله تعالى ، ويغرس فى النفس نوعا من الأمانة هو أسمى ما عرفه الناس من أنواعها ، وهى الأمانة المحصنة للخير ، الخالصة لوجه الله ..

للصوم جمال تتذوقه الأرواح ، وللصوم سر تعرفه القلوب ، وللصوم نفحات ترفع العبد إلى أعلى الدرجات ، فالصوم يصفى الفكر ، ويوقد العزيمة ، وينير البصيرة ، ويهذب النفس البشرية لتلقى الفيوضات القدسية والاشراقات الربانية - ولكى يحظى الصائم برضوان الله ومغفرته ، وحسن مثوبته ينبغى له أن يقوم بإحياء ليالى شهر رمضان ، بصلاة القيام عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن الله تبارك وتعالى : فرض صيام رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٣) .. وفى رواية أخرى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « من صام رمضان وقامه إيمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »(٤)

وقد كان رسول الله - ﷺ - : يجتهد فى ليالى رمضان بالإقبال على كثير من الطاعات ، ويعمل فى العشر الأواخر منه أعمالا لا يعملها فى سائر الليالى ، التماسا لليلة القدر ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله - ﷺ - إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر »(٥) وشد المئزر : كناية عن الاجتهاد فى العبادة .

ولهذا كان رسول الله - ﷺ - : يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام ، وفى العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوما ؛ زيادة فى عمل الخير فى

(١) أخرجه ابن ماجه ..

(٢) أخرجه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن خزيمة ..

(٣) أخرجه النسائى فى سننه

(٤) أخرجه البخارى وابن ماجه والترمذى ..

(٥) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى

أواخر حياته ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « كان النبى - ﷺ - يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوما »[1] . .

فى شهر رمضان تسخو النفوس بالبذل ، وتفيض الأيدى بالعطاء ، ويتعاطف المسلمون تعاطفا كريما ، فيعيشون فى هناء تحت مظلة السماحة والكرم ، عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - ﷺ - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله - ﷺ - حين يلقاه جبريل : أجود بالخير من الريح المرسلة » . . فالصوم : رياضة للنفس يعودها الفضائل ، ويبعدها عن الرذائل ، ويدعوها إلى طيب العشرة ، والحلم والشفقة ، والعطف والرحمة ، والعفو عن المسىء ، ومراعاة حقوق الجوار ، ومعونة ذوى القربى ، والصدقة فى السر والعلانية ؛ فهو عبادة روحية ترقق العواطف والمشاعر ، وسمو بالإنسان إلى الصفاء النفسى الذى يحمله على بذل المعروف ، وإطعام الطعام ، وجبر خاطر المساكين والأيتام ، وكم يتألم الغنى ذو النفس الطيبة ، والأحاسيس النبيلة ، عندما تذكره آلام الجوع والعطش فى الصيام ، بما يكابده الفقراء والأيتام من البؤس وشظف العيش ، لا شك أنه بهذا يعطى السائل والمحروم ، ويحض على إطعام المسكين ، فضلا عما تجود به نفسه . .

ولقد درج بعض الأغنياء منذ أمد بعيد على مظاهر طيبة فى هذا الشهر الكريم من أفضلها : بذل الصدقات ، وإطعام الطعام ، ومد الموائد للفقراء عند الإفطار من كل ما لذ وطاب ، يبتغون بذلك وجه الله تعالى .

فالصوم : حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخضوع لله وخشوع ، يعلم الشفقة ، ويحض على الصدقة ، فالغنى إذا ذاق ألم الجوع فى بعض الأوقات تذكر من هو جائع فى جميع الأوقات ، ودفعته إنسانيته إلى الإشفاق عليه ، فيسارع إلى مواساته بالإحسان إليه ، ويمسح بيد جوده دمع عينيه . .

ولهذا يستحب الإكثار من بذل الصدقات على الفقراء والمساكين فى شهر رمضان ، ولنا فى رسول الله - ﷺ - أسوة حسنة ، فقد كان أجود الناس ، وكان يضاعف هذا الجود فى شهر رمضان ، كان جوده قبل أن يبعث كرما إنسانيا ، فلما أكرمه ربه بالرسالة أصبح جوده كرما ربانيا ، ومن أولى من رسول الله - ﷺ - بأن يتخلق بأخلاق مولاه ، فإذا جاء شهر التنزيل فمن دونه البحر فيضا وصفاء ، ومن دونه الريح انطلاقا ، ورخاء . . وإنما كان رسول الله - ﷺ - : أجود ما يكون فى رمضان ؛ لأن الفقير أحوج ما يكون فيه إلى تعهده بالعطف والرعاية ، فقد لا يتيسر له أن يلم بفطوره وسحوره ، وأما أنه كذلك حين يلقاه جبريل - عليه السلام - فيدارسه القرآن ، فلأجل : ما فى القرآن الكريم من آيات بينات تفجر ينابيع العطف والرحمة على الفقير والمسكين .

ومن جوده - ﷺ - بالخير : تعليم الجاهلين ، وهداية الضالين ، وإخراج النفوس من ظلماتها ، وإحياء القلوب بعد موتها ، وذلك من آثار فضل

(١) أخرجه البخارى وأبو داود ..

الله تعالى عليه ورحمته ، لاسيما فى هذا الشهر الكريم . .

إن شهر رمضان شهر التدريب الروحى والبدنى ، لتخريج النماذج الربانية الصلبة فى إرادتها ، الشفافة فى صفاء روحها ، القوية التى تتغلب على نزواتها ، الأبية التى لا تستكين لأعدائها ، ولا تعطى الدنية فى دينها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - « اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا »[1] . .

فالصوم : يضبط النفس ، ويطفىء شهوتها ، ويكبح جماحها ، ويوقفها عند حدها ، فهو وسيلة تربوية لتهذيب الخلق ، ورفع مستوى الإنسان ، إلى مكارم الأخلاق ، والبعد عن القبائح . . والصحة فى هذا الحديث : تطوى تحتها سلامة الجسم ، وسلامة العقل ؛ وسلامة الروح ، وسلامة المجتمع ، فالصوم يعطى الجسم صحة يقدر معها على السعى والحركة ، ويهب العقل صحة تساعده على الفهم والتفكير ، وسلامة التدبير ، ويمنح الروح صحة تطهرها من الأدران والرذائل ، وتطبقها على المكارم والفضائل ، ويكسب المجتمع صحة : تحفظ بنيانه ، وتصون أركانه ، وتوطد سلطانه ، ومن هنا كان الصوم مصحاً للبدن ، مهذبا للنفس ، مربيا للروح ، مقوما للخلق ، وحسب المجتمع بعد ذلك أن يعتمد على أفراد صحاح الأجسام والعقول والأرواح ، وأن يعتمد على جماعات سلمت أذواقهم ، وعلى أفراد صح تفكيرهم ، وقويت عزائمهم . .

ولهذا كان شهر رمضان : على مر التاريخ شهر العروبة والإسلام ، بأمجاده وانتصاراته العظيمة ، ففى الصوم تمرين للنفس على تحمل متاعب الحياة ، وعلى مقاومة الأحداث فيها ، وقد أظهرت أزمات الحياة كثيرا من الصفات المجيدة فى الإنسان ، ولا جدال فى أن أمجدها وأشرفها قوة الاحتمال التى يتحلى بها أفراد وهبهم الله قلوبا كبيرة ، ونفوسا عظيمة يبذلون كل ما فى وسعهم من جهد ونشاط فى تشييد صروح أوطانهم والذود عنها ، ومن هنا تقوى النفوس ، وتـتربى الإرادات ، ويتسامى المجتمع ، ويستقر على دعائم ثابتة من الخير والفلاح ، والأمم دائما تحتاج إلى النفوس القوية ، والعزائم الفتية ، والإرادات المرتجاة فى مجال الأمن والسلام ، حاجتها إلى العتاد الكثير فى ميدان الحروب ، والصوم يعتبر من أكبر الوسائل فى تخفيف حدة النهم ، وذلك مما يدعو إلى راحة المعدة ، وصحة الجسم .

والإسلام بمبادئه القويمة يشحذ العزائم ، وينمى المواهب ، ويزكى طاقات الطموح ، وذلك أس عظيم من أسس بناء الحضارة ، وقاعدة فى خلق الشعوب القوية ، ومن أجل ذلك أمر بدوام الإنتاج الذى يعود على البشرية بالنفع ، وملاءمة التطورات الزمنية ، كما جاء فى الحديث الصحيح : « أنتم أعلم بشئون دنياكم »[2] . .

ولاعجب أن يكون شهر رمضان هو شهر الكفاح والعمل ، لاشهر البطالة والكسل ، بما يبعثه فى النفوس من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فهو بهذا شهر الجد والنشاط فى شتى الميادين ، التى من شأنها أن تنهض بالأمة ، لكى تتبوأ مكانتها اللائقة بها بين الأمم .

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط ..

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ..

سلوكيات المسلم في رمضان

للأستاذ الدكتور :
محمد إبراهيم الجيوشى

يعيش المسلمون فى رمضان فى ظل أخلاق وسلوكيات تنتظم حياتهم ، وتربطهم برباط واحد ، مظهرا أحسن ما تنطوى عليه النفس الإنسانية من حب للخير ورحمة وإيثار ورغبة صادقة فى القرب من الله ـ سبحانه ـ والسعى إلى الفوز برضاه ، تدفع هذه الرغبة المسلم إلى الحرص على صدق الحديث وسلامة القلب ، والتسامح ، وتقديم العون لمن يحتاج إليه من ضعيف ومحتاج .

وفى هذا المسلك ترجمة عملية لما يدعو إليه الإسلام من مكارم الأخلاق ، ونقاء القلوب ، وصفاء النفوس ، وتعاون أفراد المجتمع على ما يجلب الخير لهم ،

ويدفع الأذى والضر عنهم ، فيبدون وكأنهم أسرة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ،

ويتحقق فيهم قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »[1] وهذا المظهر النبيل والمسلك السامى يتحقق بأجلى معانيه فى هؤلاء الذين يأخذون أنفسهم بالوقوف عند ما أحل الله من قول وعمل ، والبعد عما حرم الله من تصرف وسلوك وتعامل ، فكأنهم كما قال الله ـ تعالى ـ

﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾

(التحريم : ٦)

ولا غرو فى ذلك ، فالصوم جنة ، أى وقاية وحماية كما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الصوم جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولايفسق وإذا سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم »[2] ، والرفث الكلم الجارح للحياء ، الخارج عن حد اللياقة ، والفسوق الخروج عما أمر الله من العمل بالطاعات ، والبعد عن الإقدام عما نهى عنه من المحرمات ، وفى هذا مافيه من تعويد النفس على مكارم الأخلاق ، وعفة اللسان ، وطيب الكلام ، وهو من صفات المؤمنين ، وقد مدح الله عباده المؤمنين لما يتميزون به من القول الطيب فقال سبحانه :

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ ۝٢٤ ﴾

(الحج : ٢٤)

ومن سلوكيات رمضان أنك ترى المساجد عامرة بالليل والنهار ، والإقبال على القرآن الكريم قراءة وترتيلا وفهما ودراسة وعملا به ، ووقوفا عند أوامره ، واجتنابا لنواهيه ، ولعلنا ندرك ، على ضوء هذا السلوك ما يشير إليه حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أن الصيام والقرآن يشفعان لصاحبهما يوم القيامة ، : « يقول الصيام يارب منعته الطعام والشراب فشفعنى فيه » . ومن السلوكيات الملحوظة فى رمضان بذل الطعام للمحتاج والرغبة فى أن تجتمع أعداد من المسلمين على طعام واحد ، فى بيت أحدهم ، وفى هذا ما فيه من الألفة وتأكيد المودة ، وسيادة روح الجماعة التى تؤلف القلوب وتوحد الأهداف ، والغايات ، والمسلمون فى حاجة ماسة إلى استمرار هذه الأخلاق والعمل بمقتضاها فى رمضان وغير رمضان ، فيتخذون من رمضان منطلقا يؤكدون به الترابط ، ويجمعون به الكلمة ، ويجبرون به النقص ، ويعوضون به ما فات ، وبذلك ينتفعون برمضان . وما يوحيه إلى النفوس من معانى الخير والوئام والود ، وقد أكد كل ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى يقول : « الأعمال عند الله عز وجل سبع : عملان موجبان ، وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشر أمثاله ، وعمل بسبعمائة . وعمل لايعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل . فأما الموجبان فمن لقى الله يعبده مخلصا لايشرك به شيئا وجبت له الجنة ، ومن لقى الله قد أشرك به ، وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جزى بها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزى مثلها ، ومن عمل حسنة جزى عشرا ، ومن أنفق ماله فى سبيل الله ، ضعفت له

---

(١) حديث متفق عليه

(٢) حديث متفق عليه

نفقته الدرهم بسبعمائة ، والدينار بسبعمائة ، والصيام لله ـ عز وجل ـ لايعلم ثواب عامله إلا الله عز وجل » (١) .

ومن خصوصيات شهر رمضان أنه شهر القرآن ، لأن القرآن الكريم نزل فيه وهذا شرف لايدانيه شرف ، وفى هذا يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقرة : ١٨٥)

والقرآن هو النعمة العظمى التى نزلت من الله على عباده ، « هو الفصل ليس بالهزل ، وهو حبل الله المتين ، وصراطه المستقيم ، من حكم به عدل ، ومن أخذ به هدى إلى صراط مستقيم » . وما أبدع وصف الله ـ سبحانه ـ له فى سورة الإسراء بقوله :

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الإسراء : ٩)

والمسلمون فى رمضان يعكفون على كتاب الله يتلونه آناء الليل وأطراف النهار تأسياً برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان يعرض القرآن على جبريل مرة كل عام فى رمضان ، وفى العام الذى لحق فيه بالرفيق الأعلى عرضه مرتين ، وقد أخذ المسلمون أنفسهم بهذه السنة الطيبة على مدى العصور تعرضا للخير الذى جعله الله فى رمضان ، والمغفرة التى تتنزل على التالين لكتاب الله والدارسين له . كما أخبر ، بذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » (٢)

وأى مسلم يرى ذلك الخير يساق إلى دارس القرآن وتاليه فلا يتوانى فى تعلمه وقراءته ، لعله يناله جانب من رحمة الله ، ويشرف بأن يذكره الله فيمن عنده .

وقد جاء فى الأحاديث أن تالى القرآن الكريم يثاب عن كل حرف عشر حسنات ، كما ورد ذلك مصرحا به فى حديث عبدالله بن مسعود الذى يرويه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن هذا القرآن مأدبة الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لايزيغ فيستعتب ، ولايعوج فيقوم ، ولاتنقضى عجائبه ولايخلق من كثرة الرد اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، أما إنى لا أقول : أ ، ل ، م حرف ، ولكن ألف حــرف ولام حــرف ، وميم حرف » . (٣)

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى راجع الترغيب والترهيب حـ ٢ صـ ١٢ .

(٢) جاء الحديث فى شرح السنة للبغوى مع اختلاف فى الألفاظ حـ ٤ صـ ٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى حـ ١ صـ٥ .

والذى يداوم على قراءة القرآن ، وتفهمه يمنحه الله نقاء القلب ، وحسن الخلق ، وصفاء النفس ، واستقامة السلوك ، ويشيع الخير فى كل مكان يحل فيه ، وينتفع به كل جماعة يصحبهم أو يعاشرهم . وقد صور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أثر القرآن فى سلوك الناس وأخلاقهم فى واحد من أحاديثه ، فقال : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة (فاكهة مثل التفاحة) ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة لاريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يصبك من شراره أصابك من دخانه »[1] .

ومن أجل هذا الخير العميم الذى يناله المسلم من قراءة القرآن وتدارسه له حث النبى - صلى الله عليه وسلم - : على قراءة القرآن فقال : « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه .

اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان[2] أو فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما ، اقرءوا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولايستطيعها البطلة »[3] .

وحينما أخذ المسلمون أنفسهم بتعاليم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعكفوا على القرآن يحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويتبعون تعاليمه كانوا أمة ذات سيادة وقيادة علموا الدنيا معانى الخير والحق ، وأقاموا صرح الحضارة التى أهدت إلى الإنسانية معانى الرحمة والاستقامة والنور ، وكانوا جديرين بقول الله - تعالى -

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

ومازال الطريق مفتوحا أمام المسلمين إن أرادوا أن تكون لهم القيادة فى الحياة والنجاة فى الآخرة ، وخير ما نقدمه لأجيالنا الجديدة أن نوجههم إلى القرآن الكريم ، ونربط قلوبهم به ، ونشجعهم على الأخذ بمبادئه ، والسير على تعاليمه ، حينئذ نكون قد أدينا الأمانة ، وساعدنا على سيادة المبادىء العليا والأخلاق السامية ، وإقامة مجتمع تسود فيه المصلحة العامة على حب الذات والله يقول :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾

(طه : ١١٢)

---

(١) الحديث متفق عليه .
(٢) الغيايتان مثنى غياية والغياية كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه .
(٣) راجع شرح السنة للبغوى حـ ٤ صـ ٤٥٦ وقال أخرجه مسلم .

الصوم

توازن بين المادية والروحية

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومى

تنزع رسالة الإسلام إلى تقوية الشعور بالمساواة ، والتضامن والإخاء ، وكثيراً ما قصد بالعبادات الدينية : الزكاة والصوم وصلاة الجماعة والحج أن تزيد من أواصر الوحدة الروحية بين أبناء الأمة الواحدة ، قوة ووثوقاً وبناء أمة منظمة متضامنة قوية مزدهرة ، وهو أساس الأخلاق الإسلامية ، وكل مايحول دون انسجامها أو يضعف من تماسكها يصدم بهذه الأخلاق الصادقة وهكذا كان القصد من عبادة الصوم قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣)

أفترقت الفلسفات فى نظرتها إلى علاقة الإنسان بالعالم ، فمنها من يركز على النظرة الروحية ، التى تخلع الإنسان من إهابه المادى ، وتبنت الفلسفة الروحية ذلك الاتجاه ، ومنها من ينظر إلى الإنسان على أنه كائن مادى أى شىء من الأشياء ، وتخلعه من روحيته ، وتبنت الفلسفة المادية ذلك الاتجاه المادى وترتب على تلك النظرتين إلى الإنسان أن غدا الإنسان وفق النظرة المادية وجوداً ناقصاً : كذلك وجوده ناقص مع الفلسفات الروحية .

من هنا تميزت نظرة الإسلام إلى الإنسان بالتكاملية الجامعة بين المادة والروح ، فالإسلام هو الاسم الذى يطلق على الوحدة بين الروح والمادة وهو الصيغة الأسمى للإنسان نفسه ، ووفق

نظرة الإسلام إلى الإنسان تكتمل الحياة الإنسانية ، وذلك عندما تشتمل على كل الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشرى .

من هنا سمت نظرة الإسلام على ماعداه من نظريات الفلسفة الروحية أو المادية ، إذ لايمكن **للإنسان أن يحيا منكرا للاحتياجات البيولوجية والحياة المادية أو منكرا لتطلعاته الروحية .**

فحياة الإنسان الحقيقية هى ما كانت وفق السنن الإلهية ، التى تحكم قانون التوازن بهذا يكون الإسلام تسمية لمنهج أكثر من كونه حلاً جاهزاً ، ويعنى : المركب الذى يؤلف بين المبادىء المتعارضة ، وهذا يعنى (وسطية الإسلام). من أجل ذلك مستقبل الإنسانية مع الإسلام لعنايته بالدعوة إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه ، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية على هذا الاتساق ، ولاتنتهكه ، فهذا هو هدف الإسلام البحث الدائم عبر التاريخ ، عن حالة التوازن بين ماهو مادى وما هو روحى وهذا واجبه التاريخى المقدر له .

ووفق نظرة الإسلام المتكاملة إلى الإنسان **يطلب منه أن يتحمل مسئولياته كاملة ، وأن يحيا** حياة كاملة ، والحياة الكاملة يحكمها عاملان متكاملان : أحدهما : الرغبة الطبيعية فى السعادة والقوة .

والثانى : الكمال الأخلاقى ، والنتيجة هى : اتساق الإنسان مع نفسه ، اتساق الإنسان مع رغباته المادية والاجتماعية والفكرية .

لقد استبان لنا أن الأساس الفلسفى للأخلاق الإسلامية يقوم على مطلبى الروح والجسد ، وذلك على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة ولنضرب مثالاً لتوضيح الوحدة بين الجانبين من خلال عبادة الصوم فى شهر رمضان .

قد أشارت الآية التى ذكرناها فى صدر المقال إلى قضيتين :

إنه عبادة قديمة .

إنه تقوى ورجاء وتوجيه إلى الله .

فهو أولاً قاعدة من قواعد النظافة والصحة البدنية ، وهو إقلال من الطعام ورياضة على **الاحتمال ولو طبق تطبيقاً صحيحاً لكانت له أفضل** النتائج على جانب الإنسان المادى (بدن الإنسان) وقد مارسته الشعوب لغرض دينى وصحى ومازال الناس يمارسونه لأغراض طبية وأفرد له الطب الحديث مكاناً أوسع فى ترسانة العلاج الحديث الذى يحد من الإفراط والشراهة فى الطعام .

ثم هو أى : الصوم مدرسة للتعليم والرياضة الأخلاقية ، لأن فترة الصيام لن يكون لها معنى إذا **لم تكن مقترنة بمجاهدة الإنسان لنفسه لا بتنمية قوة** شخصيته ، بل كذلك بالإمساك عن كل فعل أو فكر لايتفق مع جماع الأخلاق الدينية ، ثم مدرسة تضامن اجتماعى بما يثبته من العمل فى تعاون متبادل فردى أو جماعى ، وذلك بما يضفيه على الإنسان من شعور السمو الذى يكسبه كل واحد إذ يصير حلقة فى سلسلة واسعة من الناس ، قد اتحدوا فى آلامهم وأفراحهم ووحدة مصيرهم .

وهو أخيراً أنسب مدرسة للرياضة الروحية ليس فقط عن طريق اللقاءات المتعددة بين الرجال فى المساجد أو فى الحلقات ، أو فى السهرات العائلية وما يرتبط بها من أعمال البر التى تحرر النفس وترفع الروح فى سعيها إلى الاتصال بالله ، نجد أنه ينبغى على المسلم عن طريق تربية **أخلاقية ودينية ، ملائمة وزكية ، أن يفهم كل ما** يمكن أن يمثله بالنسبة له هذا الشهر المعظم ، الذى قصد به أن يغمرهم بالتربية الروحية ، ولقاء النفس مع الله .

رمضان شهر الوجدان

للأستاذ الدكتور:
مبروك عطية أبو زيد

جلس صاحبنا القديم أمام داره على عادته قبيل المغرب ، ينتظر قدوم بعض ولده مصطحباً ماشيته من الحقل البعيد ، وزوجته وبنته الوحيدة تصنعان طعام العشاء فى بطء نار (الكانون) القديم - وما أشهى طعامه ! - وأصوات الهرة المتتابعة التى تعلن عن ظهور رائحة الطبخ اللذيذ - لم تحرك فيه رغبة ، ولم تفرج من تجاعيد وجهه النضيدة ، ولم تجعله يحث المرأة وابنتها على السرعة كما يفعل دائماً ، فقد كان الشيخ غاضباً ؛ حيث وقعت بينه وبين جاره فى الحقل منازعة : أيهما أحق باستعمال الساقية فى رى حقله أولاً ، وانتهت إلى خصومة .

وحين غابت الشمس ، وناداه منادى الصلاة سعى إلى المسجد فى حزن كبير ، وهم ثقيل ، فسأله بعض المصلين عن حاله ، وعرفوا ما حدث ، وهموا بالصلح بين الرجلين ، فاصطحبوا جاره واتجهوا إليه ، فرحب بهم على مضض ، وأخذت كل عبارة من عبارات الصلح تصل إلى سمع صاحبنا وترتد خائبة ، لم تجد عبارة منهن طريقاً إلى قلبه غير عبارة واحدة ، هى : « نحن على أبواب رمضان ، وكل عام وأنتم بخير » كانت هذه العبارة السهلة الرقيقة سحراً حلالاً مذاباً وصل إلى قلب صاحبنا بسلام فاستراح ، وهدأت ثورته ، وأعلن أمام القوم أنه مخطىء ، وأن الحق عليه وليس له ، وهب يصافح جاره ، ورغب كبير القوم فى أن تختتم الجلسة بفاتحة الكتاب تيمناً وبركة ، وعهداً أن يسامح كل منهما أخاه ، وأن يظلا حبيبين متعاونين ، فنحن مقبلون على أيام رمضان المباركة .

وشهر رمضان هو شهر الوجدان ، والوجدان آية من آيات هذا الدين الحنيف ، الذى شرفنا الله - عز وجل - بالانتماء إليه ، ومنَّ علينا - سبحانه - بأن هدانا إليه :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات : ١٧) .

فقد لانت قلوب بإسلامها بعد أن كانت كالحجارة أو أشد قسوة ، ودمعت أعين بعد إسلامها دمعات رحمة ، ما كانت لتعرف إلى تلك الرحمة سبيلاً لولا أن هداها الله إلى الإسلام ، وامتدت أيدٍ بالسلام بعد إسلامها ولطالما امتدت بالنبال والسهام فى جاهليتها ، وأفنت عمرها فى حروب عاتية ، ولوثت صدورها بأحقاد طاغية ، لأسباب واهية ما كان أيسر علاجها بكلمة يسيرة عابرة ، تمر بسلام على قوم كرام ، يسمعون فيطيعون ، ويتدبرون فيفهمون ، لكنهم كانوا لا يعقلون ، وذلك أنهم كانوا فى انغلاق قلوبهم لا يبصرون ، وصدق الله العظيم القائل :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

والوجدان أسمى ما يتحلى به المسلم الذى يسمو به إلى درجة الإيمان ، أرأيت قول ربنا ـ عز من قائل ـ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال : ٢ ، ٣ ، ٤) .

وهذا الترتيب الوارد فى آيات الأنفال بدأه النظم الجليل بالوجدان ﴿ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فهذا دليل على حياة تلك القلوب فمتى وجلت كانت حية نابضة متدفقة شاعرة ، ومتى سكتت كانت ميتة صخرية جامدة ، وهى توجل لذكر الله وعظمته ، واستشعار الخشية منه ، والرغبة فى رضاه ، والخوف من عذابه ، وهذا الشعور الذى هو الوجدان أمارة الإيمان بدليل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ أى : أن الإيمان قد حصل بهذا الشعور القلبى ، الذى نشأ بسبب ذكر الله الواحد ، ثم يأتى التوكل على الله ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق من رزق الله ، وسائر الأعمال والعبادات ـ كل ذلك ـ مبنياً على هذا الوجدان ، فالمتوكل على الله ذو قلب حى ، أدرك بحياة قلبه أن الله وحده هو الذى يملك الملك ، وبيده الخير ، وأنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، فكيف لا يتوكل عليه وحده !

وكذلك الذى قام يصلى ، إنما يصلى وقلبه حى نابض لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ، وهو يزيد قلبه حياة بقيامه وتلاوته ، وركوعه وسجوده ، وامتثاله بين يدى الحق ـ جل وعلا ـ فى أوقات الصلاة المحددة ، لا يلهو عنها ولا يسهو ، وكذلك من يتصدق إنما يدفع عن رضاً ، ويبذل عن يقين ؛ لأن فيه قلباً حياً يعلم أن الله مخلفه خيراً ، وزائده رزقاً ، وموسع عليه فضلاً وأجراً .

والصيام منتهى الوجدان ؛ لأن فيه الرضا بالحرمان مادام هذا الحرمان مشروعاً ، فمن الذى شرعه غير الله ! ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) .

وهل للتقوى مكان غير القلب ؟! وهل تحل التقوى فى قلب ميت قاسٍ لا يلين ؟! أليس النداء فى أول الآية للمؤمنين ، والمؤمنون ـ كما جاء فى الأنفال ـ هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليه آياته زادتهم إيماناً .

وأهل الوجدان ـ فى رمضان ـ يسعدون بأن وجدانهم ليس قصيدة شعرية قد يكون كاتبها صاحب بيان ، يجيد استخدام علوم البلاغة ، فيقطر قصيده وجداناً يسيل على قلوب القارئين ، ويعجب العالمين الناقدين ، ومع ذلك قد يكون

شاعرنا على منأى من قصيده ، فالبون شاسع بين قلبه وقلمه ، تتمنى حين تقرأ شعره أن تراه ، فإن رأيته رددت فى نفسك قول العرب : « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » ، إن وجدان الصائم قائم على الصدق ، صدق المسلم مع نفسه ، حيث إنه لا رقيب عليه فى صومه غير خالقه الذى كلفه بهذا الصيام ، إنه يصوم لا ليقال : صائم ، فمن فعل الخير ليقال : قد فعله فقد نال بهذا الذى قيل جزاءه وثوابه ، ولا أجر له عند الله .

روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت .

قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ؛ حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ، لقد تعلمت العلم ؛ ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : قارىء ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ؛ ليقال : جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، ثم ألقى فى النار »[1] .

من أجل ذلك كان الصوم للرحمن ، وهو يجزى به ؛ لأنه العبادة التى لا يطلع عليها غيره ، فالصائم فى بيته قد يكون وحيدا منفرداً ، لا يراه أحد من الناس ، فلو أكل فى نهاره وشرب ، وخرج على الناس فى إمساكه ، ليس فى فمه شىء ، وقال : إنى صائم ، فأى الناس يملك تكذيبه ، ويحتج عليه !

وإذا كان الصائم قد امتثل أمر ربه ، فامتنع عن شهوتى البطن والفرج الحلال فأولى به أن يمتثل أمر ربه فى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج الحرام ، ولو أمسك المسلم عن الطعام الحرام ، ونأى عن الفاحشة ، فلم يقربها لكان صاحب وجدان نقى طاهر ، يسلمه إلى أن يكون مستجاب الدعوة ، وما أشد حاجتنا إلى تلك الاستجابة فى هذا الزمان الذى كثرت فيه الخطوب ومن أهمها طمس معالم هذا الوجدان ، وانصراف الهمم إلى المادية المحضة ، وهذا خطب عظيم ، فالله ـ عز وعلا ـ يخاطب رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

ومعنى ذلك أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لين الجانب ، رقيق الحاشية ، رحيم القلب ، طاهر اللسان ، وتلك دلائل الوجدان الذى أنعم الله به عليه ، والذى لولاه لتفرق الناس من حوله ، ولما قامت لهذا الدين قائمة ، فلعل رمضان شهر الوجدان يكون بداية تتجدد فى حياة المسلمين ليرحم بعضهم بعضاً ، ويصافح بعضهم بعضاً ، ويعفو بعضهم عن بعض ، لتجتمع كلمتنا ، ويتحد رأينا ، وتظلنا دار الإسلام بدفء المودة والسلام ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم لا يقال فيه إلا صواب الكلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب « من قاتل للرياء والسمعة استحق النار » .

الإسراء والمعراج

منعطف فى تاريخ الدعوة

٢

للأستاذ الدكتور :
سعد ظلام

منهج الدعوة فى سورة القصص :

تجسد سورة القصص الصراع بين الحق والباطل ، والحق هو الله ، وهو هديه المتمثل فى الرسل ودعواتهم وهو الإسلام فى البداية والنهاية ، والباطل هو الكفر والشرك وهو الصدود والظلم وهو التطاول والكبر ، وهو التحدى للحق ومناهضته والإعراض والاستكبار ، وهو أقوام الأنبياء ، وقيادات الشرك والكفر فى كل زمان ومكان .

وتؤكد على انتصار الحق مهما استكبر الباطل ، وحشد من عدة وعدد ، ومهما احتمى بقوته واعتمد على مالديه من ماله وسلطة غاشمة وحقد أسود ، وتربص مقيت حاول أن يحجب إشراقة الحق ونبضته ويمنع إطلالته أن تصل إلى عباد الله .

وقد ركزت السورة على :ـ

أولا : إن نهاية الذين أعرضوا عن الله وكفروا وأشركوا واستكبروا كانت نهاية فاجعة .

ثانيا : ذكرت مشركى قريش بنهايات فرعون وقومه والقرون الأولى وأصحاب القرية التى بطرت معيشتها وقارون الذى اغتر بماله وأدبر واستكبر .

ثالثا : أعطت رسول الله والمسلمين المستضعفين معه جرعة كبيرة من الثقة والتفاؤل فى المستقبل .

وقد بدأت السورة بداية سعيدة حيث قدمت بشريات النصر ونتيجة صراع الحق والباطل على قصص الصراع ذاته وما جاشت به من أحداث وعظات .

فقد حملت بداية سورة القصص بشائر الخلاص للذين استضعفوا فى الأرض بما تحمله من

دلالات من خلال معالجة قرآنية لقصة موسى وفرعون .

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (القصص - ٤ : ٦)

ومهدت لذلك بميراث بنى إسرائيل المستضعفين لفرعون وقومه وما حدث من اعتماد فرعون على قوته المادية الهائلة وعلى ما كان لديه :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ (الدخان - ٢٥ : ٢٨)

لقد أراد فرعون أن ينجو من موسى واعتمد على قوته وظنها تمنع إرادة الله فما نفعه ذلك ، لقد حكم بالإعدام على كل طفل إسرائيلى يولد فما نفعه خوفه ولا حذره من قضاء الله .

لقد ولد موسى ، وحماه الله ورباه فى قصر فرعون ليكون له عدوا وحزنا ، وصورت الآيات قلب الأم وخوفها على وليدها ، وكيف أوحى الله إليها أن ترضعه ثم تضعه فى صندوق وتلقيه فى اليم ، وكيف وهى الخائفة عليه تلقيه بنفسها فى اليم استجابة لأمر الله ، ونهاها عن الخوف والحزن وبشرها بعودته ورسالته .

وقد ركزت الآيات على ظروف مولد موسى فى شريط حى مؤثر ، بالغ التأثير وفى صورة إنسانية رائعة لم تحفل بها سورة فى القرآن .

وتابعت السورة نشأة موسى وما حدث له مما استوجب خروجه إلى « مدين » خائفا يترقب طالبا من ربه النجاة ، وكيف لقى فى طريقه ابنتى شعيب على ماء فى البئر تستسقيان وكيف قام نحوهما بواجب السقى لهما ، وكان ما كان من زواجه بإحدى البنتين وكيف وفى موسى الأجل الأكبر ، وكيف كان شعيب معه لطيف المودة حسن المعشر .

وقضى موسى الأجل ورجع بأهله عائدا ، وبينما هو فى طريق عودته بشره الله باختياره نبيا ورسولا ، وتحققت البشارتان اللتان بشر الله بهما أمه ، ووعد الله لا يتخلف وأيده الله بالآيات الباهرة على صدقه ، وأرسله إلى فرعون وقومه ، ولكنه خاف أن يقتلوه فأيده الله بأخيه هارون وشد عضده به وعصمهما ومنعهما من قوة فرعون ، وجعلهما الغالبين ، ثم كان ما كان من استكبار فرعون بغير الحق وكيف كانت عاقبته :

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾

(القصص ٤٠)

وقدم القرآن البرهان على نبوة محمد ، حيث أخبر بالغيب الماضى فى صدق كأنه رأى وسمع وشاهد ، مع أميته المعلومة ونشأته التى لا يجهلونها .

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون
من المؤمنين ﴿٤٧﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل
ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران
تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ﴿٤٨﴾ قل فأتوا بكتاب من عند الله
هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴿٤٩﴾ فإن لم يستجيبوا لك
فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٥٠﴾ ولقد وصلنا لهم
القول لعلهم يتذكرون ﴿٥١﴾ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون ﴿٥٢﴾ وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا
من قبله مسلمين ﴾ (القصص : ٤٤ : ٥٣)

فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن مشاهدا ما حدث لموسى فى الطور ولا فى مدين ، ولا رأى ما كان بينه وبين فرعون وقومه ، ولكن الله أخبره رحمة به وبمن أرسل إليهم ليقيم الحجة ويقطع العذر إذا حل عذاب الله بهم بسبب كفرهم .

وكشف القرآن ما كان من قريش بعد أن جاءهم الرسول بالحق ، لقد قالوا على وجه التعنت لولا أيده الله بالحجج القاهرة والآيات الباهرة كما أيد موسى باليد والعصا وغيرهما ، وقد رد القرآن عليهم ادعاءهم

﴿ أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران
تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ﴿٤٨﴾ ﴾ (القصص : ٤٨)

وطلب منهم رسول الله أن يأتوا بكتاب من عند الله أدل على الهداية من التوراة والقرآن .
ثم كانت النتيجة وكانت العظة .

﴿ فإن لم يستجيبوا لك فاعلم ﴾
(القصص : ٥٠)

إنهم لا دليل لديهم وإنما هو الهوى والغرض ومن اتبع هواه ضال ومضل ، ولقد بلغهم الله بما كان وبما صنع مع الأمم السابقة ، لعله تتحرك مواهبهم فى الهداية والتذكر ، ونبهت الآيات إلى أن أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن .

﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ﴾
(البقرة : ١٢١)

﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما
أنزل إليكم وما أنزل إليهم ﴾ (آل عمران : ١٩٩)

وبعد عرض هذا القصص ، وبعد هذا الحوار المقنع الذى كشف زيف ادعاءات كفار مكة التفتت الآيات إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لتقول له إن أمر الهداية موكول إلى الله ، ليست مرتبطة بمن تحب ، فلا عذر لمقتدر فى عدم اتباع الهدى والخوف من الأذى والمحاربة من العرب ، فاعتذارهم كاذب لأن الله هو الذى كفل أمنهم بأمان حرمه منذ وضعه مثابة للناس وأمنا .

﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي
من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴿٥٦﴾ وقالوا إن نتبع الهدى معك
نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء
رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾
(القصص : ٥٦ : ٥٧)

وذكرهم القرآن بما كان من تدمير قرى الذين كفروا بنعم الله ، وما كان الله ليعذبهم حتى يبعث لهم رسولا فلا تعتمدوا على ما أتاكم الله ، فما عند الله أبقى .

ثم ذكرهم بلقاء الله وما يكون فيه من توبيخ وعذاب للمشركين ، والله يعلم ما ضمت صدورهم ، فالله هو الذى خلق الليل والنهار

رحمة منه بالناس لتسكنوا فى الليل وتعملوا بالنهار ، منة منه وفضلا ، وهو سبحانه سوف يستجوبهم على صحة ما ادعوا من أن لله شركاء وقصت الآيات قصة قارون الذى اعتمد على ماله وتجبر وقال :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾

(القصص : ٧٨)

ثم لما كفر بنعمة الله جازاه الله :

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(القصص : ٨٢)

والنتيجة لهذا كله أن المشركين المستكبرين والمفسدين ليس لهم مكان فى رحمة الله ، وإن العاقبة للتقوى والجزاء من جنس العمل ، فمن عمل صالحا فله جزاء الحسنى ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار .

ثم اختتمت السورة بجرعة من التفاؤل لرسول الله - ﷺ - كما ابتدأت ، فلقد بشره الله بأنه سوف يفتح مكة معقل الشرك والمشركين ونهاه أن يطيع المشركين

﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

(الفرقان : ٥٢)

وأن لا يكون معينا لهم ، وأن لا يصده أحد عن آيات الله فإن الله سيعلى كلمته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص : ٨٥ : ٨٨)

ونلاحظ أن القرآن قدم بشارة الفتح وإعلاء كلمة الله وأكد على نهى الرسول عن الشرك

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (القصص : ٨٦)

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (القصص : ٨٧)

وأمره بأن يدعو إلى ربه ﴿ وادع إلى ربك ﴾ ونهاه أن لا يدعو مع الله إلهاً آخر .

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ (القصص : ٨٨)

خامسا : منهج الدعوة فى سورة يونس

استعرضت سورة يونس القضايا المثارة بين قريش ورسول الله - ﷺ - ووضعتها على مائدة الحوار ، وناقشتها مناقشة ثرية خصبة ، وحاورت المشركين فى كل ما قالوه وما لم يقولوه ، وما استقر فى وجداناتهم وأخفوه ، وعرضت وجهة نظرهم فى كل ما هو مثار ، كما هى عندهم أو كما تصوروها واستيقنوها ، بلا تزييف ولا تدخل ، وردت عليها ، وبين لهم خطأها ودحضت افتراءاتهم وتزيدهم .

والقضايا التى آثاروها تتلخص فى :

أولا : استنكارهم أن يكون محمد ﷺ - رسولا .
ثانيا : وحدانية الله ودلائل وجوده .
ثالثا : الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب .
رابعا : إنكارهم - نسبة القرآن إلى الله .
خامسا : عالمية الدعوة .

وقد استعرضت السورة هذه القضايا جميعا ،

وبينت مواقفهم من الله ورسوله واليوم الآخر ، والقرآن ، وكيف تشابهت هذه المواقف مع مواقف الأقوام السابقين .

ثم كان التوجيه الإلهى لرسوله أن يبقى على الحق وأن يدعو هو إليه وأن يقيم وجهه للدين حنيفا ، وأن أمر الهداية مرهون بتوفيق الله وما عليه إلا أن يتبع ما يوحى إليه ويصبر .

أما تفصيل ذلك ، فقد بدأت باستنكار موقف القرشيين من الدعوة والداعية :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (يونس : ٢)

وسجلت من أول وهلة موقف الكافرين .

﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴾

(يونس : ٢)

وموقفهم هذا يشبه مواقف السابقين حيث قالوا :

﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ (التغابن : ٦)

﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾

(ص : ٥)

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ﴾

(الأعراف : ٦٣)

وقد قدمت الآية الإنذار على التبشير ، لأن المقام يقتضى ذلك .

ثانيا : وحدانية الله :

ولقد عرض القرآن رأيهم فى القضية عرضا صريحا صادقا :

١ - حيث جعلوا لله ولدا .

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس ٦٨ : ٦٩)

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾

(النحل : ٥٧)

٢ - وتارة يعرض القرآن عليهم القضية عرضا ملموسا ، عندما يقدم إليهم المحسوسات والمسلمات المقنعة التى تسلم إلى الإيمان بالله .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

(يونس - ٣١ : ٣٢)

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (يونس ٣٤ : ٣٦)

٣ - وتارة يعرض عليهم القضية من خلال معايشة صادقة للآيات والدلائل المبثوثة فى الكون ، التى يرونها فى غدوهم ورواحهم ، ومسائهم وصباحهم ، وتقع فى محيط حاجاتهم اليومية ومشاهداتهم التى يحسونها ويلمسونها ويرونها رأى العين .

﴿ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٦)

﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (يونس : ٢٢)

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ﴾

(يونس : ٦٦)

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

(يونس : ٦٧)

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(يونس : ٥٥)

٤ ـ وتارة عن طريق إثارة بعض الظواهر الكونية التى تدل على آثار الله وقدرته ، وتهدى العقل عن طريق التدبر والتفكر والعلم إلى لطف الله وعظمته ، وملكوته وتدبيره للكون بنظام بديع غير مسبوق ، ليكون ذلك وسيلة راقية هادية إلى العلماء لمعرفة الله والتلاقى بين العقل والعلم ، وبين القرآن كون الله المنثور ، والكون قرآن الله المنظور ، وحتى يبقى دليل علو وهداية ، ومنهج حياة وعقل ، وأسلوبا أبديا للمعرفة والتعليم ، ودليلا لأولى الألباب .

(١) قال تعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ﴾

(يونس : ٣ ، ٤)

٢ ـ ﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى اخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾

(يونس : ٥ ، ٦)

٣ ـ

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَىٰهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس : ٢٤)

٤ ـ وتارة يحث القرآن على النظر فى ملكوت الله ففيه الغناء عن كل دليل .

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الْآيَٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾

(يونس : ١٠١)

ثالثا : البعث والحساب :

وكان القرشيون لا يصدقون أن الله سيبعث الموتى من القبور .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

(يونس : ٤٨)

١ ـ ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ الْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

(يس : ٧٨ ـ ٧٩)

﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٦)

٢ ـ ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾

(يونس : ٤)

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ (يونس : ٥٤)

٣ ـ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس : ٤٤ : ٤٥)

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ
وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
(٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ
مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ
مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ
وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ
نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴾ (يونس : ٢٦ : ٣٠)

لقد استعرض القرآن آراءهم فى القضية وإنكارهم لها ، ودلل على إمكانها من أبسط السبل ، فالذى أنشأها قادر على إعادتها ، وهو الذى يحيى وهو الذى يميت وإليه المرجع ، إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ، حتى يكون هناك حساب على ما كان فى الدنيا ، وحتى لا تنقلب البشرية إلى غابة يأكل قويها ضعيفها ويميت إحساسه ويغتال حياته ، وتنتشر الأدواء الاجتماعية والأخلاقية ، ويستشرى الفساد فى الأرض ، بما كسبت أيدى الناس ، لابد لهذه الغرائز الجامحة من أن تضبط ويكبح جماحها حتى لا تكون الحياة فوضى بلا ضابط ، فلابد من البعث ولابد من الحساب ، وهى قضية منطقية ، والله لا يظلم الناس شيئا ، وخسر من كذب بلقائه ، وفاز من أحسن العمل واتقى ، ثم عرض القرآن أنهم سوف يعرضون مع آلهتهم التى كانوا يزعمون ، وأن آلهتهم سوف تتبرأ منهم ومن عبادتهم ، وهناك سيجازى كل بما عمل .

٥ - ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ
آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾
(يونس : ٥٠ : ٥٢)

رابعا : نسبة القرآن إلى الله :

وهذه قضية خطيرة ، لأنهم أرادوا أن ينفوا عن طريق إثباتها الرسالة والرسول معا .

وقد عرض القرآن فى هذه السورة مزاعمهم وفندها تفنيدا ودحض شبهاتهم التى أوردوها .

وقد صورت الآيات موقفهم من القرآن تصويرا ينم عن خبثهم وسوء قصدهم ، فهم إذا تليت عليهم آياته طالبوا بقرآن غيره ، أو تبديله :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي
أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ
وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ﴾ (يونس ١٥ : ١٧)

٢ - ومرة أخرى يدعون أن الرسول - ﷺ - افتراه واختلقه من عند نفسه .

﴿ وَمَا كَانَ
هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
تَأْوِيلُهُ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الظَّالِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ
أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس : ٣٧ : ٤٠)

لقد طلبوا تبديل القرآن ، ورد الرسول بأنه ليس له أن يبدله ، وأنه متبع لوحى الله مطيع ربه ويخاف عصيانه ، فالله هو الذى أمره بتبليغه

إليهم ، وقد لبث فيهم زمانا من قبله ، ولقد كنت صادقا باعترافكم ولا يسوغ اتهامكم لى بالكذب والافتراء .

ثم تحداهم أن يأتوا بأقصر سورة منه ، وأن يدعوا من استطاعوا ، وإذا ثبت عدم قدرتهم ثبت كذبهم ، وسقط اتهامهم . وأنهم كذبوا بما لم يعرفوا قدره .

وأكدت الآيات على الافتراء وعاقبته .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

(يونس : ٦٠)

﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس : ٦٩)

ونبهت الآيات إلى أن قومك يامحمد لم يكونوا بدعا فى الأقوام ، حيث أعرضوا وكذبوا وعارضوا الحق ، واتهموه وافتروا عليه ، وحاولوا أن يوقعوا برسلهم كل ضيم وإيذاء .

فمن قبلهم قوم فرعون ، لما جاءهم موسى بالحق ، وصفوا آيته بالسحر ، والحق بالخداع ، وواجهوا موسى مواجهة المنكر المتكبر ، وقلبوا الآيات .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾

(يونس : ٧٦ : ٧٨)

ونلاحظ مقدار إصرارهم على العناد والمكابرة فى تأكيدهم فى دعواهم السحر

﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (يونس : ٧٦)

وقلبهم للحقائق حين جعلوا الحق سحرا ، والسحر هو تخيل غير الحقيقة واتهامهم لموسى بأنه جاءهم بهذا الدين بقصد العلو والرغبة فى الوجاهة

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ ﴾

(يونس : ٧٨)

ثم نلمح مرة ثانية إصرارهم على عدم الإيمان

﴿ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم كانت قصة موسى مع السحرة وإبطال الله لما فعلوا من السحر

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾

(يونس : ٨١)

ثم كانت النتيجة العامة وهى إحقاق الحق على رغم المجرمين

﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

(يونس : ٨٢)

ونلاحظ أن المؤمنين بنوح وموسى كانوا قلة يقول الله تعالى عن قوم نوح :

﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود : ٤٠)

ويقول عن قوم موسى :

﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ (يونس : ٨٣)

كما نلاحظ التأكيد على وصف قوم فرعون بالمجرمين .

وكما قال نوح :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٧٢)

يقول موسى لقومه :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (يونس : ٨٤ : ٨٦)

ثم كان دعاء موسى على فرعون وملئه فكان غرقهم ، ولكنا نلاحظ هذا الفرعون الجبار المتكبر عندما أدركه الغرق

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ (يونس : ٩٠ : ٩٢)

فقد أدرك فرعون قيمة الحق واعترف به ولكن ساعة لا ينفع الاعتراف .

﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام : ١٥٨)

إنه إيمان تحت السيف والقهر ، وهذا لا يرضاه الإسلام لأنه ليس عن اقتناع واعتقاد صحيحين ، وهو لم يؤمن إيمانا صحيحا دل على ذلك قوله :

﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (يونس : ٩٠)

ولم يقل آمنت بالله ، وهذا فيه حرص على بقايا تكبر .

ونلحظ اعترافه بالإسلام

﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٩٠)

ثم يدل القرآن على قضية القضايا فى المجتمعات الحضارية ، وهى أن العلم عادة ما يكون وسيلة لقاء وتحضر ، ولكن بنى إسرائيل كان العلم سبب اختلافهم بعد أن مكن الله لهم ورزقهم من الطيبات

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ (يونس : ٩٣)

« يتبع »

القرآن الكريم

هو المعجزة الكبرى الخالدة

لفضيلة الشيخ :
محمد حافظ سليمان

يقول الله تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

وهو كتاب الله المنزل على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه ، والله يقول :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٣ - ٢٥) .

وقد جعله ربنا محفوظا ثابتا ، لا يتبدل ولا يتغير ، لكيلا يتبدل الناس ولا يتغيروا ، ولكيلا يجهلوا سبل الهداية إذا ماالتوى عليهم ماكان مستقيما والتبس الحق بالباطل ، وتبدلت الأخلاق غير الأخلاق ، واتبع أكثر الناس أهواءهم وسلكوا غير سبيل المؤمنين ، وعندئذ يقول الله تعالى لعباده لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ، يقول له جل جلاله :

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩) .

وفى القرآن الكريم هداية الحائرين وإنصاف المظلومين ورشد الضالين وقوام أخلاق المعوجين وفيه الهدى لمن شاء أن يستقيم .

ثم ماهى المعجزة ؟

المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى النبوة تأييدا له ، وإثباتا لدعواه الرسالة فهى برهان من الله ـ تعالى ـ على صدق الرسول ، فهى بمنزلة قوله :

(صدق عبدى فى كل ما أخبر به عنى)

والمعجزة دلالة قطعية يشهد بها الوجدان والعقل السليم كنزول القرآن من عند الله لا ريب ، والله يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال : ٢) .

ذلك لأن القرآن هو ذلك الكتاب المبين الذى

﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(البقرة : ٢)

وهو الذى نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين على قلب خاتم المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ، فبدل الله به ظلام الحياة نورا وذل الأميين عزا ، بعد أن كان الناس فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله .

ومن البذاءة قولهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، وقال سفهاؤهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ، ولكن الله قال لهم : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ فما فعلوا . . والدليل على ذلك أنه لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل : ٩٠) .

قال : « والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر » سمع أعرابى رجلا يقرأ :

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (الحجر : ٩٤) .

فسجد وقال سجدت لفصاحته ، وسمع أعرابى آخر رجلا يقرأ :

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (يوسف : ٨٠) .

فقال : أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام !!!

وحكى الأصمعى أنه سمع كلام جارية فصيحة ، فقال لها : ما أفصحك ، فقالت : أيعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص : ٧) .

فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

ولقد أراد جماعة أن يعارضوه فافتضحوا وخابوا وكذبوا وضلوا عن سواء السبيل :

﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ (هود : ١٣) .

فعجزوا .

وجوه إعجازه

منها ما اشتمل عليه من أسلوب عجيب ونظم غريب مخالف لكلام العرب فى فواصله ومقاطعه ومطالعه فنوره ساطع وبيانه واضح ومشرق ، مما يدل على نزوله من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، فهو :

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت : ٤٢) .

ومن أوجه إعجاز القرآن أنه فى قمة البلاغة كإفادة المعانى الكثيرة بالألفاظ القليلة فإن من تتبع القرآن وجد بلاغته لا نظير لها فى كلام البشر ، فقد اشتمل على نظم بليغ ، جمع فنون البلاغة بأسرها من المعانى والبيان والبديع ، ومن التمثيل والاستعارة والوصل والفصل والتقديم والتأخير اللائق بالمقام مع خلوه من كل لفظ ركيك خارج عن القياس الذى يعرفه أهل النقد من علماء العرب وفصحائهم .

وقيل إن من أوجه إعجازه إخباره عن أنباء الغيب التى لم تكن معروفة عند القوم .

شريعة القرآن خالدة

جاء القرآن من عند الله ليكون شرعة للناس ، ومنهاجا ، فهو الوحى المحمدى والقانون الإلهى الذى يصلح الله به أمور الناس فى دينهم ودنياهم لو اتبعوه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٩٠) .

إن حياة الناس لا تستقيم بغير الإيمان بالله فهو واحة الأرواح وسبيل النجاح والفلاح الذى كتبه الله للمؤمنين ، فقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون : ١)

ومن رحمة الله بالناس أن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل إليهم الكتب ليسعد الناس بهداية ربهم ، وليرقى المؤمن إلى المستوى الرفيع يمشى فى الحياة إلى مرضاة الله بخطوات مسددة موفقة ، فلا يزل ولا يضل ولا يشقى ولا يخزى :

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

(الملك : ٢٢)

ولن تسود الفتن ما ظهر منها وما بطن بين الأفراد والأمم إلا إذا أقفرت النفوس من الإيمان بالله الذى يوقظ الضمائر ويطهر السرائر ، وذلك لأن أعمال الناس صورة لما فى قلوبهم فيتلون سلوكهم بلون ما فى نفوسهم من خير أو شر ، ولولا هداية الله لضل الناس عن سواء السبيل ، فقد ينسلخ الإنسان عن إنسانيته إلى وحشية ضارية قاتلة فاتكة تسبب الحروب والكروب والإيذاء والذنوب !!!

القرآن هدية الله للبشرية

وذلك لأنه يهدى الحائر ويؤلف النافر :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ٢) .

والقرآن من قال به صدق ، ومن حكم به عدل : فهو يبنى الفرد ويبنى الأمة ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبدهى أن الأمة هى كل أفرادها .

خير أمة

وقديما صنع الإسلام بالقرآن أمة ، وأسس دولة قال لها ربنا : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

(آل عمران : ١١٠)

وأنه كون من بين رعاة الإبل والغنم قادة الشعوب والأمم ، وقد صنع من بين سكان الصحراء والبيداء أئمة الفضائل وأساتذة الأخلاق ، فكان منهم رجال صدقوا ما عاهدو الله عليه ، لقد علمهم الإسلام أن التواد والتعاطف والتراحم أصل كريم من أصول الحياة ، لينتفع كل فرد فيها بصاحبه وأخيه فى الله ، لأن المؤمنين إخوة ، فلا غل ولا ضغينة ، ولا خبث ولا دسيسة ، ولا لؤم ولا قطيعة ، ولا رياء ولا التواء ، لكنه الإخلاص والوفاء والإخاء .

ويل للقاسية قلوبهم

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر : ٢٢ : ٢٣) .

ولو نظرت إلى ما فى القرآن من المعجزات الباهرات لوجدت أنه جاء بشرائع تطهر النفوس من النزوات الطائشة والشهوات الجامحة ، ومن الوساوس والهواجس ، ليصبح الإنسان ملكا بروحه إنسانا بجسده ، وشريعة القرآن يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها فى إصلاح الأفراد والمجتمعات فى كل العصور والدهور ، ولا أقول إنها صالحة لكل زمان ومكان ، لكن أقول إنها شريعة الله خالقَ الأكوان وصانع الإنسان ، فهى شريعة خالدة بخلود القرآن والله يقول :

﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٣ : ١٤) .

الإخبار بالغيب معجزة قرآنية صادقة

يقول الله تعالى فى سورة هود بعد قصة نوح عليه السلام : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾ (هود : ٤٩) .

ومن الإخبار بالمغيبات التى جاءت على نحو ما أخبر به ولم يتخلف منها شيء من ذلك قوله تعالى ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم : ٢ : ٦) .

فانظر ماذا ترى فى هذه الآيات من المعجزات فقد ذكر الله الوعد على سبيل الجزم وأكده بقوله : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

وذكر أنه سيكون فى بضع سنين ، وهذا إخبار عن أمتين كبيرتين لا يعلم حالهما ومآلهما إلا من أنزل هذا القرآن المبين المنزل على المبعوث رحمة للعالمين .

وقد وعد الله الذين استضعفوا فى الأرض وهم يومئذ أذلة قليلون يخافون أن يتخطفهم الناس . . وعدهم بأن يستخلفهم فى الأرض ، فكانوا أعزاء أقوياء عظماء خلفاء ، والله يقول :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ (النور : ٥٥) .

وقال الله عز وجل :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ ﴾ (آل عمران : ١٢)

فغلبوا فعلا كما أخبرهم بهذا ، كما قال :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٥) .

وقال : ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ﴾

(آل عمران : ١٥١)

وقال الله لرسوله الكريم :

﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾

(القصص : ٨٥)

فرده الله إلى مكة فى عام الفتح :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

(النصر : ١ ـ ٣) .

فقد تحقق ذلك إذ عبر بإذا التى هى للتحقق ، وصدق الله العظيم إذ يقول لرسوله الأمين :

﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (المائدة : ٦٧) .

وقد حماه ورعاه كما تولاه من قبل ورباه ، وشرح صدره ورفع قدره وأعلى شأنه صلوات الله وسلامه عليه .

بعث الله رسوله بالقرآن ليتمم مكارم الأخلاق

إنه ما ارتفع شأن أمة من أمم الأرض فى شتى العصور والدهور إلا برقى أخلاقها وصيانة أوقاتها من العبث والضياع ، لأن الوقت هو عمر الإنسان وليس بعد انتهاء الأجل من عمل يحقق الأمل « خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » .

والإنسان مسئول عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، والله يقول ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧ ـ ٨) .

وكان هدف الرسالات الإلهية كلها تخليص النوع الإنسانى من مخالب الشرور وغرس مكارم الأخلاق فى أعماق النفوس ومراقبة الله سرا وعلانية : « اتق الله حيثما كنت » .

ونبينا خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبد الله هو صاحب الخلق العظيم فهو الأسوة الحسنة لكل مسلم ، وهو القدوة لمن شاء أن يستقيم وأن يسلك سبيل المؤمنين المهتدين .

وهو القدوة لمن شاء أن يستقيم وأن يسلك سبيل المؤمنين المهتدين .

ونقول لذوى العقول السليمة والقلوب الرحيمة أرأيتم كيف سارع الناس للدخول فى دين الله أفواجا فى أيام الإسلام الأولى دون حاجة لخوارق كونية لكنهم عرفوا فضل القرآن ونعمة الإسلام ، فشرح الله صدورهم لتدبر آياته والانتفاع بعظاته فاكتسبوا من دين الله العزة والعفة ، وبالإيمان السليم والخلق القويم أصبح من المسلمين السادة والقادة والزعماء والعظماء والعلماء والحكماء ، وهذا برهان ساطع على إعجاز القرآن وصدق صاحب الرسالة المحمدية عليه الصلاة والسلام ، فالقرآن كان منهاجهم ، والرسول قدوتهم ، ومن كان هذا شأنه فإن الله يسانده ويؤيده ، فمن حفظ الله حفظه الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل ١٢٨)

حُسنُ التلاوة

رحمة ونعمة

لفضيلة الشيخ :
أحمد بن محمد طاحون

مع رسول الله - ﷺ - :

كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وأعظمهم تأثيراً فى النفوس والقلوب .

كان إذا قرأ خشعت النفوس ، وسكنت الأصوات ، وذرفت العيون بالدموع ، ووجلت القلوب ؛ مخافة غضب الله - عز وجل - وذلك حين يقرأ - ﷺ - بصوته الحبيب الرخيم آيات الوعيد ، فَيَبكى ويُبكى المستمعين ، وتكاد القلوب تتصدع خشية ورهبة

وإذا قرأ آيات الوعد والرحمة والبشرى لأهل الصلاح والتقوى استنارت الوجوه ، واستبشرت القلوب ، وعظم الرجاء فى رحمة الله وعفوه وإحسانه ، وذلك بفضل ما أتاه الله من حلاوة الصوت ، وما حباه به من فصاحة اللسان ، ورزقه من رقة القلب ، وسكينة النفس ، فإذا قرأ - ﷺ - سكن من حوله وخشع حتى ولو كان المستمع غير مسلم .

عداوتهم له - ﷺ -
وحبهم لقراءته

وقد كان عُتاة المشركين يعملون على تفريق الناس عن رسول الله - ﷺ - إذا جهر بالقرآن ، وهو يصلى ، لما كانوا يرون من شدة خشوعهم ، واضطراب قلوبهم عند سماعه ، فكان الرجل إذا شده الشوق للاستماع من رسول الله - ﷺ - ذهب سرا وجلس قريباً منه يسترق السمع ، وهو على خوف من قومه ، ولا يترك مكانه إلا إذا تيقن أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ، فيذهب بعيداً خشية أذاهم .

لقد عاداه من عاداه ؛ كِبْراً وحسدا وعُتُوًّا مع إيمانهم بصدقه وأمانته ، وبأن ما يتلوه ليس من كلام البشر ، وقد نقل ابن إسحاق عن الزهرى : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق ، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله - ﷺ - وهو يصلى من الليل فى بيته - وذلك على الرغم من شدة إظهار عداوتهم له ، وتفريقهم الناس عنه ، وهو يصلى فى المسجد الحرام .

ثم قال الزهرى : فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فيأتون فيستمعون له - أى : وهم متسترون بشدة ظلام الليل - حتى إذا طلع الفجر تفرقوا .

قال الزهرى : - وفى هذه الليلة - جمعهم الطريق - أى صدفة - فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا .

ويقصدون بالسفهاء : صغارهم والضعفاء منهم ، فإذا علموا بأن قادتهم تشدهم تلاوة القرآن من الفم ، الذى يخرج منه النور ، ولا يطيقون أن يحرموا أنفسهم من الاستماع ، فإنهم سيكونون أكثر إقبالا ، ويتمردون على هذه القيادات ، التى تعلم الحق ، وتأبى الانقياد له ، وهذا مما وبخهم القرآن الكريم به ، كقوله - سبحانه - من سورة الأنعام :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾
(الأنعام : ٣٣)

ونعود إلى قصة الزهرى قال : حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه - أى : متخفيا فى الظلام ظانا أن زميله لن يعود - حسبما اتفقوا - فباتوا يستمعون حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فتلاوموا كما تلاوموا أول مرة وتعاهدوا على عدم الرجوع ، ثم انصرفوا .

وذكر الزهرى أنهم عادوا فى الليلة الثالثة يشدهم الشوق إلى حلاوة القرآن وحسن ترتيله من الفم الطاهر ، واللسان الصادق والقلب النقى ، الذى كان إذا تحدث خرج النور من بين ثناياه - ﷺ - وما منعهم من الإيمان به إلا الكبر وعصبية الجاهلية إلا من عصم الله فعاد إليه رشده وهدى الله قلبه ، ومات المخذولون منهم بخزى الدنيا إلى عذاب الآخرة وبئس المصير .

وأبو بكر الصديق - رضى الله عنه

وكان أبو بكر - رضى الله عنه - رجلا أسيفا رقيقا عذب الصوت حلو النبرات فيه تخشّع وتمسكنٌ ولين ، فلو كان للحديد قلب لخشع ولأن

من حلاوة قراءته ، وحسن صوته ، وخشوع نفسه ، وبكاء عينه ، فلقى من عتاة المشركين تضييقا عظيما .

لما رأى أبو بكر ما يلقى أهل الإيمان من شدة الأذى والضيق فى مكة المكرمة استأذن رسول الله - ﷺ - فى الهجرة ، فأذن له .

وحين بدأ المسير للخروج من مكة لقيه أحد السادة المرموقين ، وهو مالك بن الدغنة فسأله : إلى أين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى ، وآذونى ، وضيقوا علىّ ، فعظم على نفس ابن الدغنة أن يخرج الرجل العظيم الكريم النافع من بين أهله وعشيرته ويترك مكة بلده ، فطلب منه العودة إلى مكة .

وفى مكة قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش إنى قد أجرت ابن أبى قحافة - أى صار فى جوارى وحمايتى - فلا يعرضن له أحد إلا بخير ، قالت عائشة - رضى الله عنها - وعن أبيها : فكفوا عنه

خوف المشركين
من جهر أبى بكر بالقراءة :

قالت عائشة : وكان لأبى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جُمح ، فكان يصلى فيه ، وكان رجلا رقيقا ، إذا قرأ القرآن استبكى .

قالت : فيجتمع الصبيان والعبيد والنساء ، يعجبون لما يرون من هيئته - أى : خشوعه وبكائه وحلو قراءته .

قالت عائشة : فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة وقالوا له : إنك لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا ، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى ، وكانت له هيئة ونحو - أى صارت له حالة وصوت حسن مما يعظم تأثيره فى النفوس .

لذا قالوا : فنحن نتخوف على صبياننا ، ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم ، فأته ، فمره يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء .

فنقل ابن الدغنة شكوى القوم ، وطلب إليه أن يدخل بيته ، ويصلى فيه ، حتى لا يسمع الناس قرءاته ، أو يرد عليه جواره .

فرضى أبو بكر - رضى الله عنه - بجوار الله - عز وجل - ورد على ابن الدغنة جواره .

فتأمل حلاوة القراءة إذا صدرت من قلب خاشع ، ونفس مطمئنة ، كيف تصل إلى القلوب فتهزها هزاً وتدفعها إلى حب الخير دفعا .

الطفيل بن عمرو الدوسى
(الشاعر الأريب)

حدّث عن نفسه وهو الشاعر الاريب والقائد الحكيم لقبيلته فقال : إن جماعة من قريش قالوا له حين دخل مكة : « إنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا ، فلا تكلمن محمداً ، ولا تسمعن منه شيئا » .

قال : فحشوت فى أذنى كرسفا - قطنا - حين دخلت المسجد الحرام ، لأنى لا أريد أن أسمعه ، خوفا من أن يبلغنى شىء من قوله ، فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم عند الكعبة قال : فقمت قريبا منه ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله .

قال الطفيل : فسمعت كلاما حسنا .

ثم قال : وتبعته حتى دخلت معه بيته ، وتلا

علىّ القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ، ولا أمرًا أعدل منه ، قال : فأسلمت ، وشهدت شهادة الحق .

إن من أسباب رحمة الله بالعبد أنه إذا سمع القرآن أنصت وتدبر وخشع وفكر فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه وفيما يشوق النفوس إليه مما يُرضى رب العالمين ، ويبعث على طهارة النفس ونظافة القلب من أدران المادة الفانية ، وعلى شفائه من الأمراض النفسية المدمرة كالشُّبَهِ والشكوك والحقد والحسد والكبر والغل وإضمار السوء للناس .

وحماية حديثه وذكريات مع الشيخ محمد رفعت

قرأت قبل خمسين عاما فى مجلة الاثنين التى كانت تصدر عن « دار الهلال » بالقاهرة ما مضمونه : أن رجلا أوروبيا وهو يحرك ذات يوم مؤشر الراديو سمع صوتا هز كيانه ، فتوقف عن تحريك المؤشر وأخذ يسمع وهو يشعر بخشوع شديد ، وسكنت نفسه . وجال بفكره يسأل :

ما هذا الصوت ؟ وماذا يقول ؟ ثم دقق حتى عرف أن الصوت صادر من إذاعة القاهرة : فسجل الوقت والتاريخ ، وقرر السفر إلى القاهرة .

وفى القاهرة قابل رئيس الإذاعة « وقصّ عليه قصته ، وراجع الرجل الوقت والتاريخ فعرفوا أنه الوقت المحدد للشيخ محمد رفعت طيب الله ثراه بفضله وإحسانه .

فأعادوا على سمعه التلاوة ، والرجل الأوروبى يزداد خشوعاً ويبكى لحلاوة الصوت ومافيه من أمارات الخشوع وحسن الترتيل ومن إعجاز إلهى، فهو سبحانه يعطى ماشاء لمن شاء

﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾

(فاطر : ١)

وشرحوا له الأمر ، وحققوا له أولى أمانيه وهو اللقاء بصاحب هذا الصوت ، وزار الشيخَ محمدَ رفعت فى منزله المتواضع مع رفيق من الإذاعة واستمع الرجل منه ما زاده خشوعا ولين قلب .

ثم صحبوه إلى لقاء مع فضيلة شيخ الأزهر فى ذلك الوقت ، حيث أجابه فضيلته عن أسئلته وبين له ما جاء به الإسلام لخير الناس ، وأنه خاتم الرسالات السماوية ، وترجم له المترجمون ما سمعوه ، وعاد الرجل إلى بلاده مسلما يعبد الله وحده ، ويؤمن بنبيه محمد - ﷺ - مع الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية التى أنزلت على الأنبياء قبل القرآن الكريم .

من أعاجيب القدرة الكاملة

إن صوت الشيخ محمد رفعت كان ومازال من أعاجيب القدرة الكاملة ، له حلاوته ، ووقعه الجميل على النفوس والقلوب ، ويشد القلب والنفس شدًا ، ولا يستطيع العقل أن يعطى له وصفا ، أو يضع له حدا ، وإنما هو حلو حسن جميل خاشع قوى التأثير عظيم الوقع على النفس ، يوقظ العقل ، ويهز الوجدان فسبحان الخالق العظيم .

ومن الذكريات

مدرسة الشيخ رفعت

فى أوائل العقد الخامس من القرن العشرين الميلادى كنت أذهب بعض أيام الجمع إلى مسجد فاضل الذى يقع بجوار المدرسة الثانوية الخديوية « بدرب الجماميز » بالسيدة زينب ، وكان الشيخ رفعت يقرأ القرآن يوم الجمعة قبل الصلاة ، ولم تكن مكبرات الصوت عرفت فى ذاك الوقت .

وكان لابد لمن يريد أن يسمع الشيخ محمد رفعت أن يبادر لأخذ مكان له قريبا من « دكة الشيخ » قبل الصلاة بثلاث ساعات أو أكثر لأن الصوت الندى المبارك لم يكن جهوريا ، وإن كان يسرى كما يسرى الضوء فى حنان ورفق ليستقر فى القلب والوجدان ، وكان أكثر المبادرين إلى هذا المسجد يوم الجمعة من حفظة القرآن والقراء يجلسون حِلقًا حِلقًا حول « دكة الشيخ » ينتظرون وصوله ، فيقرأ الشيخ رفعت ، وتخشع النفوس والقلوب حتى يظهر الإمام ، فتعتدل الحلقات ويجلس الناس صفوفا متجهين إلى القبلة .

لا شك أن للشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ مدرسة ، بدأها الشيخ أبو العينين شعيشع ، وكان قارئا ممتعا ولكنه كان يؤثر الطربوش على العمامة ، أما التفاوت فى الصوت والأداء فأمر قدرى ، والتمايز لابد منه ، فصوت الشيخ رفعت هبة فريدة من الصعب وصفها وصفا يحدها ، كما أن لصوت الشيخ شعيشع حلاوته وتأثيره .

وظهر أستاذان من كلية الزراعة ممن حفظوا وجودوا كانا من هذه المدرسة ، أحدهما الدكتور أحمد هيبة وقد التقيت به وسمعت منه يرحمه الله ويطيب ثراه ، وفى وقتنا الحاضر ـ طبيب فاضل إذا سمعت صوته من بعيد أو قريب فإنك تقول هو قارىء من مدرسة الشيخ محمد رفعت .

أما الشيخ رفعت نفسه فنسيج وحده ، وعبقرى أصوات زمانه ، نسأل الله أن يكثر من أمثاله ، ولكل قارىء ـ والحمد لله ـ ميزات لصوته وحسن أدائه ، وما أكثرهم والحمد لله .

تاج الجوامع

أول جامع فى أفريقية

صحن جامع عمرو بن العاص والميضاة

دكتور عبد العزيز صلاح سالم(*)

جامع عمرو بن العاص أول جامع أنشىء فى مصر وفى أفريقيا كلها ، زاره العديد من الرحالة والمؤرخين وأطنبوا فى وصفه ، وأطلقوا عليه العديد من الأسماء ، منها : جامع الفتح ، وجامع عمرو ، والجامع العتيق ، وتاج الجوامع ، ومطلع الأنوار اللوامع وغيرها ، وكان أول بقعة فى أفريقيا يدخلها الإسلام ومنها انتشر فى أنحاء عديدة من العالم .

(*) مدرس الآثار والفنون الإسلامية ـ بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة .

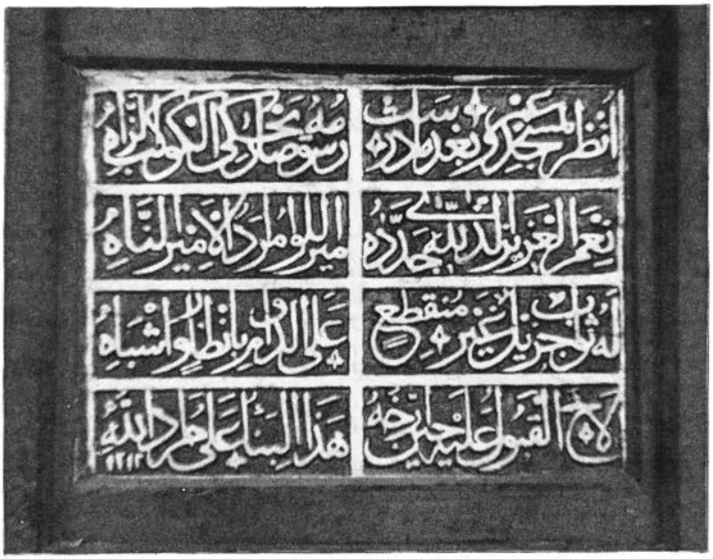

التاريخ بحساب الجمل بجامع عمرو بن العاص

وقد قام جامع عمرو بن العاص بالعديد من الوظائف ، فلم يقتصر دوره على أداء الفرائض الدينية فحسب ، بل تعداها فكان جامعة تعقد فيه حلقات الدرس مع كبار العلماء والفقهاء ، فهو بذلك قد سبق الجامع الأزهر فى وظيفة التدريس بأربعة قرون ، وفى الوقت الذى كانت الدروس بجامع عمرو بن العاص تعطى تطوعا وتبرعا ، كانت الدروس فى الجامع الأزهر بتكليف من الدولة ، فيما يشبه المدارس والمعاهد النظامية ، وقد قام الإمام الشافعى بالتدريس بجامع عمرو بن العاص ، وعرفت فيه دروسه بزاوية الإمام الشافعى ، حيث أوقف السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى لها أوقافا بناحية « سندبيس » ، ولم يزل يتولى التدريس بها أعيان الفقهاء والعلماء حتى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى .

ومن وظائف جامع عمرو ـ كذلك ـ أنه كان مكانا لجلوس القضاة ، فقد كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية ، وأيضا كان بجامع عمرو بن العاص بيت مال المسلمين ، وكان عبارة عن قبة عليها أبواب من حديد ، كما يصف المقريزى كيف كان تتم فى ساحات جامع عمرو الصفقات التجارية الكبرى .

واختص جامع عمرو بن العاص دون غيره من مساجد مصر بأنه الجامع الوحيد الذى كان الخلفاء والسلاطين والولاة والأمراء يصلون فيه الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ، وقد نشأ هذا التقليد منذ عهد الدولة الفاطمية ، فقد كان الخليفة الفاطمى يركب للاحتفال برؤية شهر رمضان أول جمعة منه ، فإذا كانت الجمعة الثانية أداها فى الجامع الحاكم ، فإذا كانت

الجمعة الثالثة أداها فى الجامع الأزهر ، فإذا كانت الجمعة الرابعة صدرت الأوامر بأدائها فى جامع عمرو بن العاص ، فيقوم أهالى القاهرة بعمل الزينات حتى جامع عمرو ، وبعد أداء فريضة الجمعة يعود الخليفة إلى القصر ، فيصدر السجل ، ولما أتم مراد بك إصلاح الجامع فى النصف الثانى من شهر رمضان سنة ١٢١٢هـ أقيمت فيه آخر جمعة من رمضان ، فاتخذت عادة حتى سنة ١٩٥٢م .

نبذة عن جامع عمرو بن العاص من الناحية الأثرية

كانت مساحة جامع عمرو أو تاج الجوامع فى أول أمره ٥٠ ذراعا طولا فى ٣٠ ذراعا عرضا [٣٧,٥ فى ٢٢,٥م] ، وكان الطريق يحيط به من كل جانب ، وجعل له عمرو بابين يقابلان داره ، وبابين فى بحريه ، وبابين فى غربيه ، وكان سقفه منخفضا جدا ، ولا صحن له ، فإذا كان الصيف جلس الناس بفنائه من كل ناحية .

التجديد والإضافة :

مر تاج الجوامع بإضافات وتجديدات عديدة لدرجة تجعلنا نقول أنه لم يتبق الآن من جامع عمرو بن العاص أو تاج الجوامع سوى قطعة الأرض التى بنى عليها الجامع ، وسوف نرى أن أقدم جزء فى الجامع يعود إلى سنة ٢١٢هـ فى إمارة عبد الله بن طاهر ، من قبل الخليفة المأمون ، ويمكن تلخيص التجديدات والإضافات بالجامع على النحو التالى :

- فى العصر العباسى زاد صالح بن على والى مصر من قبل أبى العباس السفاح سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م حيث أدخل فى الجامع دار ابن الزبير وباب الكحل من هذه الزيادة .
- فى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م فى خلافة هارون الرشيد زاد والى مصر موسى بن عيسى الرحبة التى فى آخر المسجد .
- فى سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م أمر عبد الله بن طاهر أمير مصر من قبل الخليفة المأمون بالزيادة فى المسجد الجامع فزيد فيه من غربيه ، وبذلك أصبحت مساحته ١١٢,٥ متر فى ١٢٠,٥ متر وهى مساحته الحالية ، ويمكنك عزيزى القارىء معرفة تلك الزيادة عن طريق رسم خط يبدأ من منتصف فتحة الباب الأوسط وينتهى عند حائط القبلة بجانب المحراب الكبير الحالى ، وهذا الخط يقسم المسجد إلى قسمين متساويين تقريبا ، الجنوبى هو زيادة ابن طاهر ، والشمالى المسجد الأصلى ، والإضافات قبل عبد الله بن طاهر .
- وفى العصر الطولونى احترقت زيادة عبد الله بن طاهر ، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارة الجامع ، وأنفق ستة آلاف وأربعمائة دينار على إصلاحه .
- وفى العصر الإخشيدى زخرف المسجد ونقشت أعمدته حتى كان المسجد بالغا حده من الزخرفة من التذهيب والنقش ، وقد زاره فى ذلك الوقت الرحالة المقدسى عبد الله المقدسى وقال عنه : « إنه أحسن بناء ، وفى

حيطانه زخرفة الفسيفساء ، ويقوم على أعمدة رخام ، وهو أكبر من جامع دمشق وهو أعمر موضع بمصر » .

- وفى العصر الفاطمى حظى تاج الجوامع بالكثير من العناية والرعاية من الخلفاء الفاطميين ، فقام الخليفة العزيز بالله ثانى خلفاء الدولة الفاطمية بزيادة فوارة تحت بيت المال ، ويعتبر أول من عمل فوارة ، كما جدد بياض المسجد ، ثم فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أنزل من القصر إلى تاج الجوامع ألفا ومائتين وثمانية وتسعين مصحفا ما بين ختمات وربعات فيها ماهو مكتوب كله بالذهب ، ومكن الناس من القراءة فيها ، كما أرسل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى الجامع تنورا[1] من الفضة تبلغ قيمته مائة ألف درهم فضة ، فاجتمع الناس ولم يمكن إدخاله بالمسجد إلا بعد أن نزعت عتبتا الباب ووسع حتى أدخل به .

وقد أفاض كثير من الرحالة الذين وفدوا على الدولة الفاطمية فى ذكر ووصف جامع عمرو بن العاص « تاج الجوامع » نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الرحالة الفارسى ناصر خسرو الذى زار مصر سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧ م .

ولما احترقت الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م واستمرت النيران مشتعلة ٥٤ يوما تهدمت مدينة الفسطاط وتخربت مبانيها وتشعث جامع عمرو ، فلما استقل صلاح الدين الأيوبى بحكم مصر ، كان من أهم الأعمال المعمارية التى اهتم بها عمارة جامع عمرو بن العاص .

وقد توالت يد الإصلاح والتعمير والتجديد طوال العصر المملوكى مثل : عمارة الظاهر بيبرس البندقدارى[2] سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م ، ثم عمارة المنصور قلاوون ، وعمارة الأمير بيبرس الجاشنكير[3] سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م ، ثم عمارة الأمير سلار فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م . وكذلك العمارة التى قام بها رئيس التجار بديار مصر برهان الدين إبراهيم بن عمر بن المحلى سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م ـ وأيضا ـ عمارة الملك الأشرف أبو النصر قايتباى ، وأهم الإصلاحات التى أقيمت فى العصر المملوكى التى قام بها الأمير مراد بك ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م ، ويحدثنا المؤرخ الكبير الجبرتى الذى عاصر هذا التجديد فى جامع عمرو بن العاص على يد مراد بك فيقول : « أن الأمير مراد بك المدفون بسوهاج

---

(١) ورد هذا اللفظ فى كتابات المؤرخين بمعنى « شمعدان » كوسيلة إضاءة .

(٢) بندقدار : كلمة فارسية مكونة من مقطعين ، « بندق » وهى كرات مستديرة تستخدم فى الصيد ، و « دار » لاحقة بمعنى ممسك ، والكلمة على ذلك تعنى : القائم على رمى البندق للصيد أو للقتال .

(٣) الجاشنكير : وهو المسئول عن تذوق الطعام قبل أن يتناوله السلطان .

لما رأى خراب جامع عمرو بن العاص ، وسقوط سقوفه وميل شقه الأيمن خطر بباله تجديده ، فأنفق عليه أموالا عظيمة فأقام أركانه وشيد بنيانه ونصب أعمدته وبنى به منارتين (هما الباقيتان للآن) وجدد جميع سقفه من الخشب السرو ، وبيض جميعه فتم على أحسن ما يكون وفرشه جميعه بالحصر الفيومى وعلق به قناديل » .

حساب الجمل بتاج الجوامع

من الأشياء الجديرة بالذكر أن تاريخ تجديد الأمير مراد بك للجامع قد ظهر فى عدة مواضع من المسجد بطريقة حساب الجمل ، وملخص هذه الطريقة أن كل حرف من الحروف العربية يقابله رقم حسابى ، فكان يستعاض فى تأريخ المساجد والبيوت الأثرية بكتابة أبيات من الشعر تتضمن تاريخ الإنشاء .

وحتى يمكنك التعرف على هذه الطريقة التى توجد فى العديد من الآثار الإسلامية ينبغى لك فى البداية معرفة الأبجدية العربية « أبجدهوز حطى كلمن . . . . » حيث يقابل كل حرف رقم حسابى ، ويمكنك تحديد التأريخ فى الكلمات التالية بعد كلمة « أرخ أو يؤرخ أو تأريخ أو مؤرخه أو أرخه » ، ثم تقوم بتحويل الحروف إلى أرقام حسابية وبعدها تقوم بعملية الجمع لتلك الأرقام حتى تصل فى النهاية إلى التأريخ الصحيح للأثر أو التحفة .

والأبجدية ، ما يقابلها من أرقام على النحو التالى :

أ=١ ، ب=٢ ، ج=٣ ، د=٤ ، هـ=٥ ،
و=٦ ، ز=٧ ، ح=٨ ، ط=٩ ، ى=١٠ ،
ك=٢٠ ، ل=٣٠ ، م=٤٠ ، ن=٥٠ ،
ص=٦٠ ، ع=٧٠ ، ف=٨٠ ، س=٩٠ ،
ق=١٠٠ ، ر=٢٠٠ ، ش=٣٠٠ ،
ت ٤٠٠ ، ث=٥٠٠ ، خ=٦٠٠ ،
ذ=٧٠٠ ، ض=٨٠٠ ، ظ=٩٠٠ ،
غ=١٠٠٠ .

ويمكن تطبيق هذا عمليا على أبيات الشعر التى وردت على حوائط تاج الجوامع وأولها أبيات فوق المحراب الرخامى الكبير حيث كتب على لوح من الرخام الأبيات التالية(*) :

انظر لمسجد عمرو بعد مادرست
رسومه صار يحكى الكوكب الزاهى
نعم العزيز الذى لله جدده
أمير اللوا مراد الأمير الناهى
له ثواب جزيل غير منقطع
على الدوام بأنظار وأشباه
لاح القبول عليه حين أرخه
هذا البنا على مراد الله

والملاحظ هنا أن التاريخ يبدأ بعد كلمة أرخه ويمكن التأكد من ذلك بحساب الحروف وفقا للقاعدة المذكورة على النحو التالى :

هذا = ٥+ ٧٠٠+ ١ = ٧٠٦

(*) أوردنا هذه الأبيات على ما بها حتى لا نمس أثرا تاريخيا ، ويمكن الرجوع إلى صورة اللوح المنشورة مع المقال .

البنا = ١ + ٣٠ + ٢ + ٥٠ + ١ = ٨٤

على = ٧٠ + ٣٠ + ١٠ = ١١٠

مراد = ٤٠ + ٢٠٠ + ١ + ٤ = ٢٤٥

الله = ١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ = ٦٦

المجموع = ١٢١١ وهو تاريخيا تاريخ التجديد لجامع عمرو على يد الأمير مراد بك فى سنة ١٢١١ م.

كما يوجد التأريخ بحساب الجمل على المدخل الرئيسى فى الأبيات التالية (*)

أحيا لنا ربنا بيتا لطاعته
وكان من قبل مصباح فطفى
وانقض بنيانه والمسلمون غدوا
من أجله قاصرين الباع فى أسف
لأنه من بقايا فرقة طهرت
أميرها عمرو السهمى غير خفى
ومنذ أراد تعالى بالعمارة له
أنشأه مولى جواد بالمراد يفى
فصار يحكى البنا إحسانه أبدا
وإنما يعمر الآيات فى الصحف
ونشوة العز قد قالت مؤرخه
يسموا عزيز مراد جامع الشرف

ويلاحظ أن تأريخ التجديد بحساب الجمل فى البيت الأخير بعد كلمة مؤرخه ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

يسموا : ى = ١٠ + س = ٩٠ + م = ٤٠ + و = ٦ + أ = ١ = ١٤٧

عزيز : ع = ٧٠ + ز = ٧ + ى = ١٠ + ز = ٧ = ٩٤

مراد : م = ٤٠ + ر = ٢٠٠ + أ = ١ + د = ٤ = ٢٤٥

جامع : ج = ٣ + أ = ١ + م = ٤٠ + ع = ٧٠ = ١١٤

الشرف : أ = ١ + ل = ٣٠ + ش = ٣٠٠ + ر = ٢٠٠ + ف = ٨٠ = ٦١١

المجموع = ١٢١١ ، وهو تاريخ تجديد الجامع فى سنة ١٢١١م على يد الأمير مراد بك .

وبذلك فقد كان جامع عمرو بن العاص مركز الحركة العلمية والدينية والقضائية والمالية والتجارية ، وكان ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة ، وإليه يلجأ الناس للاستفتاء ، وإليه يفد الطلاب لتلقى العلوم ، ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء(١) .

(*) أوردنا هذه الأبيات كما هى ، على مابها ، وذلك حتى لا نمس أثرا تاريخيا .

(١) راجع : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٤٦م ، وعبد الرحمن زكى ، الفسطاط وضاحيتاها العسكر والقطائع ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، وعلى باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة ، لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، ج ١ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٠م ، وسعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧١م .

من بواهر الآيات

وألقت ما فيها وتخلّت

لفضيلة الشيخ :
محمد عبد الرحمن صان الدين

حينما أتعرض لهذه الآية الجليلة من كتاب الله المكنون ، الصغيرة فى مبناها ، الكبيرة الهائلة فى معناها ، لا أطمع فى بلوغ مداها ، والوصول إلى كل الحقائق الباهرة المذهلة الكامنة فيها ، على وجه اليقين ، إذ أننى أومن إيمانا راسخا ، بأن ذخائر القرآن الكريم لاتنكشف أمام العقول - مهما بلغت من قوة البصيرة ، وحدة النفاذ - فى عصر واحد ، أو عصور متعددة ، بل إنها تظل تعطى كل عصر شيئا جديدا ، يلائم مدارك الإنسان فيه ، ويلفته إلى أسرار هذا الكون العجيب ، بقدر ما تتطلبه كل مرحلة من مراحل الحياة الدنيا ، إلى أن يأذن الله بقيام الساعة ، إلا أن قارىء القرآن المتأمل ، فى لحظة من لحظات الصفاء الروحى والفكرى ، ودون مقدمات وأسباب ، يجد نفسه مقيدا عند آية من الآيات ، منجذبا إليها بقوة خفية ، شاخصا إليها ، باحثا عن شىء خفى مبهم فيها ، يحس به فى أعماق نفسه دون أن يدرك حقيقته وأبعاده ، ويظل ماثلا أمامها مفكرا ، أو يطوف حولها بكل حواسه .

تلك هى حالى أمام كثير من آيات كتاب الله المعجز ، ومنها الآية التى نحن فى ظلالها اليوم ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ (الانشقاق : ٤)

وكما هو شأنى - عندما أريد أن أحلق بفكرى وقلمى حول آية تستوقفنى أو أريد ارتياد دروبها - فإنى أمسك فى يدى أربعة مصابيح هى : -

(١) معاجم اللغة العربية ، لأستوثق من مدلولات الألفاظ التى وضعت من أجلها ، والتى تخرج فيها عن معانيها الأصلية ، إلى معان أخرى ، لتؤدى غرضا هاما مقصودا مع القرائن التى تعين المراد .

(٢) تفاسير الأئمة الأعلام - رضى الله عنهم -

حتى لايفوتنى ما غاب عن علمى وإدراكى ، قدر جهدى ولأتثبت من مواضع قدمى ، اتقاء الزلل .

(٣) معطيات العصر التى شاهدتها أو استخدمتها ، أو وصلت إلىّ أنباؤها ، والتى لم تكن تخطر على بال .

(٤) مراقبة الله - تعالى - ومحاسبة النفس عند كتابة كل كلمة تتعلق بكلام الله المقدس ، مرددا تلك العبارة المشهورة : (أى أرض تقلنى ، أى سماء تظلنى ، إن قلت على الله ما لا أعلم) .

●●●

ومع ذلك فإنى أقرر أن ما أكتبه أويكتبه أى باحث مما يعين له من تأملاته فى آيات القرآن الكريم إن هو إلا خواطر عقول محدودة الإدراك ، خافتة الشعاع ، فما يستبين لها من أسرار الآيات ، والمفردات المكونة لها - إن صحت الرؤية - ليس إلا جزءا من الحقيقة الكبرى التى تحتويها . من منطلق ماتقدم ، أقف على استحياء ، ووجل أمام الآية : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ متلقيا فى يقظة ما ترسله إلى عقلى كلماتها من إشارات ، وإرهاصات ، وكما وقفت من قبل أمام

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ (الطور : ٦)

و ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾

(التكاثر : ٥ - ٦)

فى مقالين نشرا فى مجلة الأزهر منذ حين ، وما أوقفنى عند آية اليوم - فيما أظن - إلا واقع الحياة المعاصرة ، الذى تتسابق فيه العقول والجهود ، لاكتشاف ماتوارى فى الطبيعة من أسرار ، وعجائب ، وما تنطوى عليه المادة من قوى رهيبة ، وطاقات مذهلة لتحقيق مطامح الإنسان ، أو مطامعه ، ولكى أبرز بقدر إمكاناتى المتواضعة عظمة القرآن الكريم وأنه كتاب كونى يحوى بين دفتيه وقائع الكون فى الماضى والحاضر والمستقبل ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾

(الأنعام : ٣٨)

ولكن كل شىء عنده بمقدار .

والآن هيا بنا أيها القارىء الكريم ، لنقف عند مشارف الآية الجليلة ، نستوحى مفرداتها ، وجملتها بعض معانيها ، التى ترسل فى الحس والخاطر إشارات ملفتة تقول للقارىء المتأمل : قف ، فأنت أمام كنوز وأسرار لم يفطن إليها أحد من قبل ، وتنتظر من يطرق بابها ، بعين اليقين ، لا بالحدس والتخمين لعله يظفر منها بما يرد للبشرية وعيها الشارد ، وحسها المخدر ، فترى فى أى طريق هى تسير ، وإلى أية أهوال تسرع ؟!

●●●

الحديث فى الآية التى نحن بصددها عن الأرض ، فى معرض الأخبار عما يعتريها ، وتكون عليه حالها وهيئتها يوم الانقلاب والهول الأعظم ، يوم تنسف الجبال نسفا ، وتمد الأرض مدا ، وتصير قاعا صفصفا لاترى فيه عوجا ولا أمتا ، وتنشق السماء ، وتتكور الشمس ، وتنكدر النجوم ، فالسياق كله تصوير لما يحدث فى ذلك اليوم الرهيب المذهل ، ولا يغيب عن بالنا أن ذلك اليوم ، ليس كأيام الدنيا التى نعرفها ، الناشئة عن تقلب الليل والنهار ، أو الأعوام بحركة الأرض حول الشمس ، ولكنه شىء آخر - لست أدرى ، ولا يدرى أحد على وجه اليقين ، ما إذا كانت الدنيا قد وصلت إلى بدايته ، أم لا ، إنه يوم يكون فى طول خمسين ألف سنة من السنين التى نعرفها ، ونعدها .

﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾

(المعارج : ٤)

وفى هذا المناخ ، وفى ظل تلك الحقيقة ، ننظر فى مفردات الآية ، وفى جملتها ، فنجد أن كلمة (ألقت) معناها . طرحت ونبذت بعيدا عنها ، أى أن الأرض تطرح ما فى جوفها بعيدا ، ويؤكد هذا كلمة (وتخلت) سواء كانت من الخلو والتفرغ ، أو من التخلى بمعنى الابتعاد والترك ، وعلى هذا فإن الأرض تطرح ما فى جوفها وتنبذه بعيدا عنها ، متخلية منفصلة عنه ، وإنه لشىء كثير هائل ، بعضه معلوم لنا ، وأكثره مجهول ، لايعلمه إلا خالقه الذى اقتضت حكمته أن لا يكشفه لخلقه إلا بمقدار لكل زمان .

ومن المعلوم لنا ما قذفته وتقذفه البراكين من حمم ومعادن وصخور ذائبة من باطن الأرض لايلبث حتى يتجمد على ظهرها ، ويكوِّن بعض معالم سطح الأرض ، وما قيل من أن أجسام الموتى مما تلقيه ، وأحسب أن أجسام الموتى من آدم إلى تقوم الساعة لاتتعدى أن تكون فى الطبقة السطحية من القشرة الأرضية ، والذى يتضاءل أمام ما يقذف من الأعماق البعيدة إلى السطح ، وعلى أية حال ، كائنا ما كان ذلك الخارج من باطن الأرض بفعل البراكين أو باستخراجه من المناجم ، كالصخور والفحم والحديد وغير ذلك ، فإنه قائم على ظهرها - أى الأرض - مترسب على سطحها ، فهو ملتصق بها ، لم ينفصل عنها ، فلم تنبذه ، ولم تتخل عنه ، فهو مادة الأرض وكيانها ، فقط قد انتقل من مكان إلى مكان ، فلا يتحقق بحركته هذه المعنى الدقيق ، لكلمتى (ألقت وتخلت) .

وهنا يتبادر إلى الخاطر السؤال الآتى - الذى يبعثه فيه الواقع المشاهد المحسوس - أين تذهب ملايين البلايين من أطنان الفحم والبترول والغازات المستخرجة من باطن الأرض ؟ ولو بقيت على ظهر الأرض لأغرقتها ، ولغطى الفحم جل أرجائها ، ولكنها تختفى وتتلاشى ، فأين تذهب ؟ وقد يقول قائل : إنها تحترق ، وبالاحتراق تتلاشى ، فلا يبقى لها أثر يذكر أو يعتد به ، وتقول الحقائق العلمية : إن المادة لاتفنى ، ولكنها تتحول من شىء إلى شىء آخر ، يختلف قواما وكثافة ، ومظهرا وأثرا ، فالبترول والفحم والغازات القابلة للاشتعال ، تتحول بالاحتراق إلى غازات تتصاعد فى طبقات الجو ، لها خصائصها ، السامة الخانقة للحياة ، والتى من أهمها غاز (ثانى أكسيد الكربون)فإذا زاد على نسبته الكائنة فى الجو ، والتى تناسب الحياة ، وتحفظها للأحياء ، فإنها حينئذ تكون قاتلة ، فلا يبقى على وجه الأرض حى ، فما القول فى الكم الهائل الرهيب الذى تنفثه كل لحظة تلك الآلات المتوحشة التى تتحرك فوق الأرض بالاحتراق ، ومع ذلك فإن الحياة لاتزال باقية ، حتى وإن أصابها شىء من الوهن . ويقول قائل : إن الطبيعة قادرة على ايجاد التوازن فى عناصرها ، والانتفاع بما يزيد فى أى عنصر من العناصر ، فثانى أكسيد الكربون تستنفده النباتات والغابات فى تكوين الأخشاب ، ويذوب بعضه فى مياه المحيطات ، فلا يتبقى شىء فى الجو يكون ضاراً . ولكن هذا القول يصطدم مع حقيقة أن النبات والغابات والأجسام كانت من قديم الزمان وعناصر الجو متوازنة ، بل إنها كانت فى الماضى أكثر انتشارا على سطح الأرض منها الآن فى حين

أن الكربون وغيره من الغازات قد تضاعف آلاف المرات ، ولو أن النباتات هى التى تمتص وتستنفد الزائد لغطت وجه البسيطة ، فلا نجد شبرا من غير شجرة قائمة عليه ، والحياة لاتزال هى الحياة ، وإن كان علماء البيئة يدقون نواقيس الخطر .

●●●

لقد قرأت منذ سنوات فى صحيفة الأهرام القاهرية ما يلى : ـ « غادرت (شيلى) أمس مجموعة تضم عشرة من العلماء على متن طائرة تم تجهيزها لاستخدامها كمعمل طائر فى طريقها إلى القارة القطبية الجنوبية ، للتأكد مما إذا كان قد حدث ثقب فى طبقة (الأوزون) التى تحمى الأرض من الأشعة الشمسية الضارة » ، وتوالت الأنباء بعد ذلك بأن السور (الأوزون) المحيط بالأرض لحمايتها قد اخترق وثقب ، بفعل الغازات المنبعثة من الأرض بالاحتراق ، وأيضا بغازات أخرى أهمها (الفريون) وعن طريق هذا الثقب تصبح الأرض غرضا سهلا للأشعة الكونية القاتلة .

وإزاء ماتقدم ، فإنى أتوجه إلى علماء الطبيعة والكيمياء ، والفلك ، وخبراء البيئة ، وأعنى بالبيئة هنا المجال الجوى الذى تتعامل معه الأرض بمختلف أقطارها وأركانها ، أتوجه إلى هؤلاء جميعا ، ومعهم علماء الشريعة الإسلامية ، والتفسير ، بالسؤال الآتى : ـ هل يمكن للغازات المتصاعدة من سطح الأرض أن تنفذ ـ ولو بسلطان العلم ـ إلى الفضاء الخارجى وتنفصل عن الأرض ، كما تنفذ مركبات الفضاء بمن ، وما فيها وكما تنفذ الأصوات والأشعة خروجا من المجال المغناطيسى الأرضى ، وأيضا كما تنفذ الأشعة والأضواء والنيازك والمركبات والصواريخ إلى الأرض ، دخولا ؟

فإذا كان الجواب بالإيجاب ـ وما أظنه إلا كذلك ـ فإننا حينئذ نكون أمام انكشاف سر من أسرار كتاب الله المكنون (القرآن الكريم) ، وأمام معجزة باهرة من معجزاته التى لا تنفد ، والتى يكون منها إلقاء الأرض ما فيها بعيدا عنها ، والتخلى عنه ، وبذلك يكون الواقع قد صدق المعنى الأصلى لألفاظ الآية وجملتها ، والذى غاب عن عقول الفحول فى العصور الخوالى .

أما إذا كان الجواب بالنفى ، فإنى ألتمس من السادة العلماء والخبراء ، أن يتفضلوا ببيان شاف مقنع مبنى على أسس علمية مقطوع بصحتها ، عن مصير سحب الغازات المختلفة الهائلة ، المتصاعدة من الأرض بشكل رهيب ، وأيضا عن حقيقة طبقة(الأوزون) وعوامل تحللها واختراقها ، واضعين نصب أعينهم ، وقرائحهم ، الآية الجليلة ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ (الانشقاق : ٤) .

إنسانية الأعياد في الإسلام

لفضيلة الشيخ :
معوض عوض إبراهيم

الإسلام رباني المصدر إنساني الغاية ، فما فرضه الله تعالى فيه على عباده من امر أو نهاهم عن آخر إلا وهو يرعى طاقتهم ووسعهم :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك : ١٤) .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه[١] ، والمسلم ينتهى من صلاته فيجد إخوانه عن يمينه وشماله ، ومن بين يديه ومن خلفه ، إخوانا له يتواصى وإياهم بالحق ، ويتعاونون على البر والتقوى ، أو هكذا ينبغى أن يكونوا فما تحاذت منهم المناكب ، ولا تلاصقت الأجسام إلا لشد العرى وإحكام وثاق الأخوة ، وهكذا نلحظ الصيام وما يفعل ، والزكاة وما تصنع ، والحج وهو المؤتمر الأكبر الذى يلتقى فيه المسلمون عربا وعجما ، بيضا وسودا ، وحمرا وصفرا مستعرضين أمور المسلمين فى شتى أقطارهم ، مجتمعين على حل مشكلاتهم ، فالإسلام دين الجماعة فى الصلاة وسائر التكاليف .

إنه دين الجماعة حتى فى طعامهم وشرابهم يلحظ ذلك من يقرأ قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ (الأنبياء : ٩٢) .

ومن يقرأون مثل قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم[٢] ، كذلك صنع الإسلام منذ لحظته الأولى :

---

(١) اخرجه البخارى بسنده عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ .

(٢) اخرجه ابن ملجه عن ابن عمر .

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

(الأنفال : ٦٣) .

ولقد كان يروع أعداء الإسلام أن يروا المسلمين فى صفوف الصلاة منذ علم المسلمون أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، ثم يكون للمسلمين تجمع أكبر فى عيد الأسبوع فى صلاة الجمعة ، ثم يكون التجمع الأكبر والأكبر فى صلاة العيدين ، وفى موقف الجميع فوق عرفات ، لا يذكرون إلا رب الأرض والسموات .

والأعياد فى الإسلام هى يوما الفطر والأضحى ، وأيام ثلاثة بعد عيد الأضحى ، ويوم الجمعة ، يقول الإمام ابن حزم فى كتابه الجامع « المحلى » إن الله ـ عز وجل ـ لم يجعل للمسلمين إلا هذين العيدين ، وما جعل رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيرهما للمسلمين منذ هاجر إلى المدينة ، وقام المسلمون فى عاصمة الإسلام الأولى بما يجب عليهم من تأمين الدولة ، وتحصين منافذها ، وألقى الله تعالى بهم الرعب فى قلوب المشركين فى مكة والمنافقين واليهود فى المدينة .

ولقد رأى الرسول أهل المدينة يحتفلون بعيد لهم ، وسأل النبى الصحابة ما الذى يفعل القوم فلما أخبروه بأنهم فى عيد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : « لقد أبدلكم الله خيرا من عيدهم عيد الفطر وعيد الأضحى » ، إنها أيام تبرز جوانب الإنسانية فى دين الله ، فإن المسلمين الذين قضوا شهرهم صائمين ، صائنين جوارحهم عن مساخط الله ـ عز وجل ـ بعد أن أفادهم الصوم التقوى التى تعنى الإرادة الخيرة المسيطرة على المؤمن الصائم ، كانوا فى ليلهم كذلك قائمين لله بطاعات وعبادات تقترن بهذا الشهر فلا يراهم الله إلا مصلين تارة ، وتالين كتابه تارات ، ودارسين ما فيه من عبر وعظات ، معاهدين الله على أن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه وزواجره ، هؤلاء الذين عمر الإيمان قلوبهم ، ورطب القرآن ألسنتهم ، وحرك التدبر والنظر فى كتاب الله خواطرهم وأذهانهم ، ولانت بالبذل والسخاء أيديهم اقتداء بنبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى كان يعطى القرآن فى رمضان أضعاف أضعاف ماكان يعطيه فى غيره من الشهور والأيام ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة .

يلقى المسلمون بانقضاء شهرهم يوم الجائزة بعد ليلة يقول فيها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ليلة العاشر من ذى الحجة ـ عيد الأضحى ـ : « من أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب »[1] ، وإحياء هاتين الليلتين قد يكون بإعداد الجديد من الثياب والشهى من الطعام ، والكثير من النفقة ، وقد يكون تخطيطا لما ينبغى أن نكون عليه فى أعياد الإسلام من صلة الأرحام ، والارتفاع على دواعى القطيعة والخصام ، والتفكير فى أولئك الضعفاء واليتامى

(١) اخرجه ابن ماجه بسنده عن ابى امامة .

الذين لا يجدون من حولهم ما يسد حاجتهم ويطارد فاقتهم ويشعرهم أنهم والمسلمين جميعا بنعمة الله إخوان .

هذه ملامح من إنسانية الإسلام فى أعياده وهى مع ذلك مظاهر عزة وقوة ومنعة ، ألا ترى المسلمين وهم يخرجون إلى مصلى العيد رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل ، والحمد لله الذى أعانهم فصاموا ، ورزقهم فأفطروا ، وأطل بهم فى يوم الجائزة على ذلك البشر وهذا السرور الذى يطبع مجتمعهم كله ، وهم فيه يتبادلون التهانى ويتقارضون الأمانى ، ويدعون الله - عز وجل - وهم يلحظون معنى العود من العيد أن يعيد الله هذه الأيام المباركة على أمة الإسلام وقد قوى من روابطها ما وهى ، وصلح من أمورها ما فسد ، واجتمعت قلوبها من جديد بعد أن سول لها أعداؤها ووسوس لها خصومها بما يفت منهم العضد ويبدى الوهن ، أجل . . يدعو المسلمون ربهم فى أعيادهم أن يعزهم بالإسلام وأن ينير بالقرآن مسالك حياتهم ، وأن يوحد منهم الصف ، ويشد عرى أخوتهم ، إن هذا وغيره يؤكد إنسانية الأعياد فى الدين الخاتم ، فهل نأخذ من الإسلام معطياته فى الأعياد وفى غيرها حتى نرى رضا الله علينا مرة أخرى ؟ ونحن حالا ومآلا كما أرادنا فى قوله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران : ١١٠) .

وكم تكون إضافة نافعة أن تتسع إنسانية الإسلام أمام أعيننا وفى واقع حياتنا ، ونحن نذكر أيام الخير التى مرت بأمتنا فى أمثال نصر بدر وفتح مكة والظفر بالأعداء والخصوم فى عين جالوت ويوم حطين وغيرها من المواقع التى أذاقنا الله فيها نعمة الظفر بالخصوم والقهر لأعداء أمة التوحيد ، وغيرها من الأمم التى أذكر منها نصر الله للروم وهم أهل كتاب على الفرس بعد بضع سنين من ظفر الفرس بالروم ، وأوحى الله فى ذلك إلى مصطفاة قرآنا يتلى إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ② فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ③ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑥ ﴾

(الروم : ١ - ٦) .

إلى احتفاء النبى - صلى الله عليه وسلم - بصيام يومى الاثنين والخميس ، شكرا لله - عز وجل - على أنعمه التى نرجو أن تدوم وتتصل حتى نكون شاكرين ذاكرين حامدين لله ماحيينا ، مستنجزين خير الله ، الذى يذكر من يذكره ، ويشكر من يشكره ، ويتولى الصالحين ، فإن الخير يلد الخير ، ويثمر الإحسان ، وحاشا لله أن يظلم الناس مثقال ذرة من خير أو معروف فى حياة يشرق بالمعروف وجهها ، ويسعد الناس فيها مواجهتهم للمعروف من غيرهم ، بالمعروف الذى أسدوه لهم ، فصنع المعروف للجميع فرص الصفو والعافية والأمن والرفاهية ، وهل تكون الأعياد إلا هكذا ؟

صفوا يحيط الجميع ورفاهية يغريان بالتآلف والتعارف والتناجى بالبر والتقوى والتعاون على مزيد من دواعى التآخى الذى لا يرغد الحياة سواه مع الإيمان بالله الذى بيده الخير وله الأمر وإليه المصير .

من قادة الخلفاء الراشدين

الفاروق
عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

٦

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

وحدث أن طلب المغيرة بن شعبة أمير الكوفة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يسمح لغلامه (فيروز) وكنيته (أبو لؤلؤة) بدخول المدينة ، فقد كان الخليفة قد منع من احتلم من المجوس وسبى القتال من دخول مدينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغب المغيرة أمير المؤمنين فى ذلك بأن أبا لؤلؤة رجل ماهر ، يجيد عددا من الصناعات ، فهو نجار ، وحداد ، ونقاش ، فأذن له عمر .

وكان أبو لؤلؤة مجوسيا ، يضمر الحقد على الإسلام والمسلمين ، وكان إذا نظر إلى السبى الصغار يأتى يقول : « أكل عمر كبدى » .

وكان أبو لؤلؤة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ، إن المغيرة قد أثقل علىّ فكلمه ، فقال : أحسن إلى مولاك - ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه - فغضب ، وقال : يسع الناس كلهم عدله غيرى ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجرا ، وشحذه وسمه ، وكان عمر يقول « أقيموا صفوفكم » قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه فى الصف وضربه فى كتفه وفى خاصرته فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلا معه ، فمات منهم ستة ، وحمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه

فلم يتبين ، فسقوه لبنا فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه ، ويقولون : كنت وكنت ، فقال : « أما والله لوددت أنى خرجت منها كفافا ، لا على ولا لى ، وإن صحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلمت لى ، وأثنى عليه ابن عباس[1] .

عمر يعين أمراء الشورى

ويروى الإمام أحمد : أن عمر - رضى الله عنه - قال حين قيل له : أوصِ يا أمير المؤمنين : « إن أدركنى أجلى ، وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفته ، فإن سألنى ربى قلت : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إن لكل نبى أمينا ، وأمينى أبو عبيدة بن الجراح » ، فإن أدركنى أجلى - وقد توفى أبو عبيدة - استخلفت معاذ بن جبل ، فإن سألنى ربى : لم استخلفته ؟ قلت : سمعت النبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة » ، وفى المسند عن أبى رافع : أنه قيل لعمر عند موته فى الاستخلاف : فقال : « قد رأيت من أصحابى حرصا سيئا ، ولو أدركنى أحد رجلين ، ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة ، وأبو عبيدة بن الجراح » .

ثم قال أمير المؤمنين - رضى الله عنه - : « ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ، الذى توفى النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو عنهم راض » . . وقد جعلتها شورى فى عثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد » . . وقال : « يشهد عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من الأمر شىء ، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك ، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر ، فإنى لم أعزله من عجز ولا خيانة[2] » .

الرقباء على أمراء الشورى

ووكل عمر بأمراء الشورى خمسين رجلا من المسلمين ، وجعل عليهم مستحثا : أبا طلحة الأنصارى والمقداد بن الأسود الكندى ، وصهيب الذى قال له عمر : « صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل علياً ، وعثمان ، والزبير ، وسعدا ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة - إن قدم - وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شىء له من الأمر ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد ، فاشدخ رأسه بالسيف ، وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم ، وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس[3] .

عبد الرحمن بن عوف يمسك الزمام[4] .

فلما مات عمر فى نهاية ذى الحجة لعام ٢٣هـ ، وأحضرت جنازته تبادر إليها على وعثمان أيهما يصلى عليه ، فقال لهما عبد الرحمن بن عوف : « لستما من هذا فى شىء ، إنما هذا إلى صهيب الذى أمره عمر أن يصلى بالناس ، فتقدم صهيب وصلى عليه ، فلما فرغوا من دفن أمير المؤمنين جمع المقداد

---

(١) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص (١٢٥ ، ١٢٦) ط دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت .

(٢) السيوطى ، تاريخ الخلفاء ص (١٢٦) .

(٣) الطبرى (٣٤/٥ : ٣٧) ، ابن الأثير (٣٠/٣ : ٣١) .

(٤) ابن كثير « البداية والنهاية » ، (١٥٩/٧ : ١٦١) .

ابن الأسود أمراء الشورى فى بيت يتشاورون فى أمرهم ، فكثر القول وعلت الأصوات .

وقال أبو طلحة : إنى كنت أظن أن تدفعوها ، ولم أكن أظن أن تنافسوها ، ثم صار الأمر بعد حضور طلحة إلى أن فوض ثلاثة منهم مالهم فى ذلك إلى ثلاثة ، ففوض الزبير ما يستحقه من الإمارة إلى علىّ ، وفوض سعد ما له فى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف ، وترك طلحة حقه إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقال عبد الرحمن لعلىّ وعثمان : أيكما يبرأ من هذا الأمر فنفوض الأمر إليه ؟ والله عليه والإسلام ليولين أفضل الرجلين الباقيين فسكت الشيخان علىّ وعثمان ، فقال عبد الرحمن : إنى أترك حقى من ذلك ، والله على والإسلام أن أجتهد فأولى أولاكما بالحق ، فقالا : نعم ! ثم خاطب كل واحد منهما بما فيه من الفضل ، وأخذ عليه العهد والميثاق لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن ، فقال كل منهما : نعم ! ثم تفرقوا .

ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ، ليجتهد للمسلمين فى أفضلهم ليوليه ، فيذكر : أنه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشورى ، وغيرهم فلا يشير إلا بعثمان بن عفان ، حتى إنه قال لعلى : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به علىّ ؟ قال : بعثمان ، وقال لعثمان : أرأيت إن لم أولك بمن تشير به ؟ قال : بعلى بن أبى طالب ، والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر فى ثلاثة ، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل ، والله عليه والإسلام ليجتهدن فى أفضل الرجلين فيوليه ، ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يستشير الناس فيهما ، ويجمع رأى المسلمين برأى رؤوس الناس وأقيادهم جميعا وأشتاتا ، مثنى وفرادى ، ومجتمعين ، سرا وجهرا ، حتى خلص إلى النساء المخدرات فى حجابهن ، وحتى سأل الولدان فى المكاتب ، وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة ، وفى مدة ثلاثة أيام بلياليها ، فلم يجد اثنين يختلفان فى تقدم عثمان بن عفان ، إلا ما ينقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلى بن أبى طالب ، ثم بايعا مع الناس على ما سنذكره .

فسعى فى ذلك عبد الرحمن ثلاثة أيام بلياليها ، لا يغتمض بكثير نوم إلا صلاة ودعاء واستخارة ، وسؤالا من ذوى الرأى عنهم ، فلم يجد أحدا يعدل بعثمان بن عفان - رضى الله عنه - ، فلما كانت الليلة يسفر صباحها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب ، جاء إلى منزل ابن أخته المسور بن مخرمة ، فقال : أنائم يامسور ؟ والله لم أغتمض بكثير نوم منذ ثلاث ، اذهب فادفع إلى عليا وعثمان ، قال المسور : فقلت بأيهما أبدأ ؟ فقال : بأيهما شئت ، قال : فذهبت إلى علىّ ، فقلت : أجب خالى ، فقال : أمرك أن تدعو معى أحدا ؟ قلت : نعم ! قال : من ؟ قلت : عثمان ابن عفان ، قال : بأينا بدأ ؟ قلت : لم يأمرنى بذلك ، بل قال : ادع لى أيهما شئت أولا ، فجئت إليك ، قال : فخرج معى ، فلما مررنا بدار عثمان ابن عفان جلس علىّ حتى دخلت فوجدته يوتر مع الفجر ، فقال لى كما قال لى علىّ سواء ، ثم خرج فدخلت بهما على خالى وهو قائم يصلى ، فلما انصرف أقبل على علىّ وعثمان فقال : إنى قد سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا ، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضا ، لئن ولاه ليعدلن ، ولئن ولىَّ عليه ليسمعن وليطيعن .

البقية ص ١٤٧٧

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

يجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ :

السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد / محمود إسماعيل من الغربية يقول :

هل تعد النية من أركان الصيام بحيث لا يصح الصيام إلا بالنية ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد :

فنفيد بأن النية فى الصيام ركن من أركانه لا يصح بدونها . لقوله - ﷺ - : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى » . وتكفى لشهر رمضان كله نية واحدة ولكنه يستحب تجديدها كل ليلة من ليالى رمضان ، وتصح النية فى أى جزء من أجزاء الليل ، وليس المقصود هو التلفظ بالنية لأنها عمل قلبى ، وحقيقتها القصد إلى الفعل امتثالا لأمر الله - تعالى - وطلبا لوجهه الكريم ، ومن تسحر بالليل قاصدا الصيام فهوناوٍ للصيام ، ومن عزم أثناء الليل على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله - تعالى - فهو ناوٍ للصيام كذلك وإن لم يتسحر هذا وبالله التوفيق والله أعلم ؟

السؤال مقدم من السيد / طه الجندى من الدقهلية يقول : كيف نصوم رمضان إيمانا واحتسابا ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد :

فنفيد بأن رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يقول : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا

غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » فصيام رمضان يكفر خطايا الإنسان كما ورد فى الحديث ، ومعنى أن يصوم إيمانا واحتسابا أن يكون الصيام موجها له فى كل سلوكه فيتعلم من الصيام مراقبة الله فى أعماله ، والإخلاص له وعندئذ يحترز عن الخطايا والمنكرات ويكون ممن انتفع من الصيام ولا حرج على فضل الله الذى يغفر الذنوب ويقبل التوبة عن عابده ، ويعفو عن السيئات . ولقد اشترط رسول الله ـ ﷺ ـ فى مغفرة الذنوب أن يكون الصوم إيمانا واحتسابا ، وشرط الصيام إيمانا واحتسابا : أن يبدأ الإنسان فيه بالتوبة الخالصة النصوح ، فإذا كانت كذلك فإنها تثمر التقوى فإذا ما أثمرت التقوى كان الإنسان فى رضا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى الدنيا والآخرة والله تعالى أعلم :

السؤال مقدم من السيد / د . منير عثمان من القاهرة يقول :

ما حكم من مات وعليه صيام ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد

فنفيد بأن العبادات فى الإسلام تنقسم إلى ثلاثة أقسام : بدنية محضة ؛ كالصلاة والصوم لا دخل للمال فيهما .

ومالية محضة : كالزكاة والصدقة فإن القصد منها نفع المتصدق عليهم بالمال .

ومركبة منهما : كالحج فإن فيه الخضوع لله ـ تعالى ـ بالطواف والسعى وغيرهما من الأعمال ، وفيه أيضا إنفاق المال فى هذا السبيل . أما القسم الأول فلا يقبل النيابة فيه مطلقا فلا يجوز للمرء أن يستنيب من يصلى عنه أو يصوم ولو فعل ذلك لاينفعه حيا ولا ميتا ، وأما القسم الثانى فيقبل النيابة فيجوز لمالك المال أن يوكل من يخرج عنه زكاة ماله ، أو يدفع صدقة للغير .

وكذلك الحج يقبل النيابة فيه ، وإن كان المالكية قد خالفوا فى ذلك وقالوا : إن الحج لا يقبل النيابة والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / حسن طه يقول فيه :

أنا مريض بالربو ووصف لى الطبيب أن أستعمل « البخاخة » المعروفة وهى عبارة عن جهاز من المطاط بداخله دواء يساعد على التنفس وقت الحاجة فهل استعمالها فى الصوم يفسده ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد :

فنفيد بأن مثل هذا المريض غير مكلف بالصوم فى وقت مرضه ، ثم إن كان موسراً أخرج عن كل يوم يفطره نصف صاع من بر أو قيمته والكيلة بالكيل المصرى تكفيه عن ستة أيام والشهر يكفيه خمس كيلات أو ما يساوى ثمنها ، أو يطعم مسكينا كل يوم بمقدار إفطاره وسحوره فقط والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / الشحلوط الأديب يقول فيه :

عندى عملية بالحالب ، ونصحنى الطبيب بعدم الصيام تحاشيا لعودة المرض فما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد

فنفيد بأن هذا السائل يعتبر معذوراً شرعا فى فطره ، وحيث إنه معرض لمثل هذا المرض لو صام فإن الواجب عليه فى كل عام أن يفطر وأن يخرج الفدية . وهى أن يطعم عن كل يوما مسكينا ، ومقدار الإطعام غداء وعشاء مشبعان من متوسط طعامه ، أو يعطى كل مسكين ثمن أكلتين ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / عبد الرحيم فضل الله من المنيا يقول :

متى يفطر المسافر ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد :

فنفيد بأن جمهور الفقهاء على أن المسافر الذى يجوز له الفطر فى رمضان لابد أن يطلع عليه الفجر وهو مسافر ، وأن يكون سفره طويلا (حوالى ثمانين كيلو مترا تقريبا) حتى لو كان السفر مريحا - كالسفر بالطائرة - فيجوز له الفطر ، فإذا كان قصيرا فلا يجوز له الفطر ، وإذا طلع عليه الفجر وهو غير مسافر وسافر بعده فلا يجوز له الفطر عند جمهور الفقهاء ، وأجاز أحمد ابن حنبل الفطر للمسافر مطلقا حتى لو كان السفر بعد الزوال - ولا مانع من تقليد هذا المذهب إذا كان فى الصوم مشقة - ثم قال العلماء : إذا بيت النية للصيام فى السفر يجوز له الفطر ولا إثم عليه وعليه القضاء وهو مذهب الشافعية والحنابلة - ومنعه المالكية وأوجبوا عليه القضاء والكفارة إذا أفطر - كما منعه الحنفية وأوجبوا عليه القضاء دون الكفارة ، وقال الحنابلة : يسن له الفطر ويكره الصوم ولو لم يجد مشقة وذلك لحديث الرسول - ﷺ - : « ليس من البر الصيام فى السفر » والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيدة / فاطمة رضوان تقول فيه :

متى تجب زكاة الفطر وهل يجوز تعجيلها عن وقت وجوبها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد

فنفيد بأن العلماء اتفقوا على أن زكاة الفطر تجب عقب غروب شمس آخر يوم من رمضان قبل طلوع فجر يوم العيد والأرجح أنها تجب فى آخر رمضان ، وأجاز العلماء تعجيل صدقة الفطر بيوم أو بيومين ، وأجاز الشافعى تقديمها من أول الشهر وهو ما نميل إليه ، بل هو الرأى الراجح لإعطاء الفرصة للفقير للتصرف فيها قبل حلول العيد .

ولا يجوز تأخيرها عن وقت صلاة العيد فقد جاء فى الحديث : « من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » .

كما اتفق الأئمة على أن زكاة الفطر لا تسقط بالتأخير بل تصير دينا فى الذمة ، وجاء فى السنة أن صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

السؤال مقدم من السيد / هانى السيد يقول فيه :

على من تجب زكاة الفطر وما مقدارها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد

فنفيد بأن زكاة الفطر تجب على الحر المسلم المالك لمقدار صاع (حوالى قدح ونصف) بالكيل المصرى يزيد على قوته وقوت عياله يوم العيد وليلة العيد وتجب على الفرد عن نفسه وعمن تلزمه نفقتهم الذين يتولى أمورهم ويقوم بالإنفاق عليهم كزوجته وأبنائه وخدمه إلى آخره .

ومقدارها صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا ، فالكيلة توزع على ستة أفراد (قدح ونصف) تقريبا أو الكيلة توزع على أربعة أفراد (قدحان) تقريبا . . . وأجاز أبو حنيفة إخراج القيمة وهذا ما نميل إليه فى هذه الأيام كى ينتفع الفقير بهذه السيولة النقدية ويشترى ما يحتاج إليه .

السؤال مقدم من السيد / المرسى المرسى الجندى يقول فيه :

لمن تصرف زكاة الفطر وما هو المكان المفضل للصرف ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد

فنفيد بأن مصرف زكاة الفطر هو مصرف الزكاة وهم الأصناف الثمانية الوارد ذكرهم فى كتاب الله :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٠)

وأولى الأصناف بها هم : **الفقراء لأن الهدف من الزكاة فى كل وقت هو سد حاجة الفقير** وما شرعت الصدقات إلا للفقراء لقوله - ﷺ - : « أغنوهم عن طواف هذا اليوم » وفى رواية أخرى « عن المسألة » .

والأفضل فى صرف الزكاة فى نفس بلدها ولفقرائها وإعطاء الزكاة للقريب أفضل لأنها صدقة وصلة ، وكذلك إذا لم يوجد من يستحق الزكاة فى المكان الذى وجبت فيه فإنه يجوز نقلها إلى مكان آخر يوجد فيه المحتاجون للزكاة والله تعالى أعلم .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

تحقيق القول فى ليلة القدر

لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ :

عبد الرحمن تاج الدين

إعداد وتقديم :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

فى ليلة من ليالى هذا الشهر الكريم ارتجت الأرض ، وتنزلت الملائكة من السماء ، وأشرقت بنور ربها ، وتهيأ الكون كله ليستقبل أول آية من القرآن الكريم ، تنزلت على قلب نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولتكون أول آية من هذا الكتاب الخالد تنزل من عالم الغيب إلى عالم الشهود ، ومن مكنون اللوح إلى ظاهر الوجود .

ولقد استحقت هذه الليلة الكريمة التى نزل فيها القرآن أن تكون « ليلة القدر » ، ليلة الشرف والعزة والكرامة والحرية والعدالة والمساواة ، لأنه نزل فيها كتاب ذُو قدر يحمل هذه المعانى كلها التى بلغها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ للناس وجاهد من أجلها ، وكافح فى سبيلها ، حتى كانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله . والحكمة أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن فضل بعض الناس على بعض ، وميز بعض الأماكن على بعض ، وفضل بعض القرون على بعض ، وكذا بعض الأيام على بعض ، وتجلت فى هذا قدرته وعظمته بتفضيل شهر رمضان على جميع الشهور ، وليلة القدر فيه على سائر لياليه ، حيث هى الليلة المباركة كما سماها القرآن الكريم : ففيها أنزل الله القرآن ، وفيها تتنزل ملائكة الرحمن تروح وتغدو بإذن الله ، وهى الليلة العظيمة الشأن فيها يفرق كل أمر حكيم . فيها يسود السلام ، ويكثر الخير ، ويعم الأمن والأمان ، ويتحقق الاطمئنان .

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ (القدر ـ ٥) .

ويسعدنا أن نقدم للقارىء الكريم هذا البحث القيم فى تحقيق القول فى ليلة القدر لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج - رحمه الله - والذى نشر فى عام ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م المجلد الرابع والعشرون .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه كلمات قصدت بها تحرير القول فى معنى ليلة القدر وبيان المراد بها أخذا مما تفيده الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتحدث عن هذه الليلة فى معرض حديثها عن نزول القرآن الكريم .

والذى دعانى للكتابة فى هذا الموضوع أن كثيرا من الكتاب والخطباء فى أوقاتنا الحاضرة قد انتحوا بهذه الليلة فى مقالاتهم وخطبهم ناحية قد تعتبر - فى بادىء الرأى - من التجديد الشائق فى تفسير آيات الكتاب العزيز .

فأردت بهذه الكلمات أن أبين أن هذا الذى ذهبوا إليه فى تفسير سورة القدر ، وفى تعيين المعنى الذى اختاروه لليلة القدر ليس جديدا ، وإنما هو رأى قديم غير مشهور وأن السر فى أنه لم يسعد بالشهرة عند العلماء ، ومن يعنيهم أمر القرآن ممن تخصصوا فى تفسيره ، وكانوا أهدى من غيرهم فى فهم نصوصه هو أنه رأى ضعيف لا تنهض به حجة قوية ، ولا يساعد عليه أسلوب الآيات القرآنية نفسها فى حديثها عن هذه الليلة .

وقد ضمنت هذه الكلمات الأبحاث الآتية :

معنى ليلة القدر - ليلة القدر ونزول القرآن - شرف ليلة القدر وجلالة شأنها - هل هى ليلة واحدة فى عمر الدنيا أو تتكرر بتكرر الأعوام ؟ موقعها من ليالى السنة . والله الموفق والهادى إلى الصواب وحسن السداد .

ليلة القدر:

جاء فى القاموس ولسان العرب وغيرهما من كتب اللغة « القدر » بسكون الدال يطلق على معان : منها الشرف وعظم الشأن ورفعة المكانة .

ومنها التعظيم والتبجيل ورفع المكانة .

ومنها تقدير الشيء وتحديده وضبط صفاته وأحواله .

فمن الأول قولك : فلان له قدر أى له شرف وعلو شأن .

ويصح أن يكون منه ، ومن الثانى قولك : المسلمون يقدرون الرسول قدره ، أى يعرفون له سمو المكانة أو يعظمونه حق التعظيم ، ومن ذلك أيضا قوله ـ تعالى ـ فى المشركين :

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ (الأنعام ٩١)

أى ما عظموه حق عظمته وما قدسوه حق تقديسه .

ومن الثالث قولك : قدر الله الآجال والأرزاق قدرا ، بمعنى كتبها وحددها وضبط مقاديرها ومواقيتها وسائر أحوالها . ومن هذا القبيل قولك : قدر فلان القذة بالقذة إذا ضبط الأولى بالثانية وحدد بها مقدارها فأتت على وفقها مساوية لها .

وبسبب اختلاف معنى القدر لغة وتنوعه على النحو الذى ذكرنا فقد اختلف علماء السلف فى معنى القدر الذى نسبت إليه الليلة فى كلمة « ليلة القدر » .

فمنهم من قال : إن الشرف والسمو وعظم الشأن ورفعة المكانة . فليلة القدر هى ليلة الشرف والشأن العظيم وهى ليلة البر والخير والسلام والبركة .

ومنهم من قال : إن القدر معناه تقدير الأشياء وتدبيرها وضبط صفاتها وأحوالها .

فهذان قولان يدور عليهما الاختيار فى تحديد معنى ليلة القدر ، ولا حاجة بنا للتعرض لغيرهما من الأقوال فإنه مما لا يكاد يعول عليه . غير أنه ينبغى أن يوقف عند كل من هذين القولين ليسأل :

أولاً : إذا كان القدر معناه الشرف والعظم ورفعة الشأن فبماذا كان شرف ليلة القدر ؟ وهل هى ليلة لها معينات سابقة على الرسالة وعلى نزول القرآن ، ولها وجود يمكن أن تميز معه باسم « ليلة القدر » حتى مع عدم مراعاة أنها الليلة التى نزل فيها القرآن ؟

وثانياً : إذا كان القدر معناه التقدير فما المراد بهذا التقدير ؟ وما هى الأشياء التى تقدر فى تلك الليلة ؟ هل هى خصوص أحكام الشريعة وقواعد الدين أو هى جميع ما أراد الله أن يجريه على العباد والأكوان مما سبق به علمه المحيط ؟

« أما عن الأول » فقد صرح القرآن فى سورة القدر تصريحا لا يقبل الشك أن القرآن أنزل فى هذه الليلة ، وأنها ليلة كلها خير وسلام من أولها حتى مطلع الفجر ، وأنها خير من ألف شهر :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢
لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥ ﴾

(سورة القدر) .

ليلة القدر

وقال ـ تعالى ـ فى سورة الدخان :

﴿ حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ٣ ﴾ (الدخان ـ ١ : ٣)

ولكن هل ما امتازت به هذه الليلة من الخير والبركة والسلام والأمن ، وما وصفت به من الشرف والسمو ورفعة الشأن قد اكتسبته من نزول القرآن فيها فحسب ، وأنه لولا ذلك ما كان ليثبت لها شىء من هذه المزايا ، وما كان يطلق عليها اسم « ليلة القدر » ؟ أو أنها ليلة قدر وشرف ، لها من قبل الرسالة ونزول القرآن خصائصها وميزاتها ، ولها اسمها وسمو مكانتها ، وأنها من أجل فضلها وشرفها اختارها من بين الليالى لينزل فيها ما نزل من القرآن .

قد مال إلى الوجه الأول الشيخ محمد عبده ، عليه سحائب الرحمة ، ولم ير أن لليلة القدر فضلا ولا شرفا ، ومزية إلا من أجل أن الله تعالى « قد أعلى فيها منزلة نبيه » ، وشرفه وعظمه بالرسالة ، وأوحى إليه بما أوحى من القرآن الذى هو كتاب الهداية والسعادة والخير والبر والبركة » .

اختار ـ رحمه الله ـ هذا الوجه متابعا فيه بعض من تقدم من العلماء ثم تبعه عليه كثير من أهل العلم فى عصرنا الحاضر .

وقد يكون لهذا الوجه ـ فى بادىء النظر ـ شىء من الوجاهة ، ولكنا نرى فى الوجه الثانى ـ عند التحقيق ـ أجود الرأى وأوجهه وأحقه بالنصرة والتأييد ، وذلك للمعانى التالية :

« **الأول** » : أن قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ (القدر ـ ١) .

إعلام من الله سبحانه وتعالى لنبيه بعد ما أوحى إليه فى تلك الليلة بما أوحى من القرآن الكريم - أنه كرمه بهذا الوحى فى ليلة القدر والشرف العظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا ما جلاه الله لنبيه فى هذه السورة والشرف والعظيم ، وأن هذه الليلة لها من الخصائص والمزايا وخصائص الشرف التى أريد إعلام النبى بها - مقصورا على ما كان فى ليلة الوحى ؛ فإنه - عليه الصلاة والسلام - يعلم حق العلم أنه قد أكرم فيها بنزول القرآن ، وأنها من أجل ذلك ليلة مباركة كلها خير وسلام ويعلم حق العلم أنه قد جاء فيها الروح الأمين أمين الوحى ؛ ولابد أن يكون له علم كذلك بمن تنزل فيها من ملائكة الله . وعلى هذا يكون بعيدا جدا أن يكون المقصود إعلامه بشىء من ذلك الذى هو به جد عليم . وهل يكون مستقيما - بعد ما عرف فضل هذه الليلة بنزول القرآن ، وعرف تنزل الملائكة فيها ورأى الروح الأمين رؤية العيان - أن يقال له : إنا أنزلنا القرآن فى الليلة التى اكتسبت الفضل والشرف بنزوله وبما تنزل فيها من الروح والملائكة ؟ أليس يكون ذلك إعلاما بما هو معلوم ؟

ومهما بذلت الجهود فى تلمس الوجوه لاستقامة هذا الإخبار فإنه على ذلك المعنى الأول الذى سار عليه الشيخ محمد عبده غير مستقيم .

والذى نراه أن قوله تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ (القدر - ١) .

ظاهر جداً فى أن القدر والشرف وجلالة الشأن ثابتة لليلة القدر من قبل أن ينزل القرآن ، وأنها ليلة معروفة بذلك الاسم عند الله وعند من أطلعهم الله عليه من عباده وصفوة خلقه ، وأن هذا التعبير :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ ﴾ (القدر - ١) .

من قبيل قولك : قدم فلان فى ليلة العيد أو ليلة الصوم أو ليلة كذا وكذا من الليالى المشهورة بمعنى من المعانى . فليلة القدر معروفة - كما قدمنا - بذلك الاسم الذى صار علماً عليها لما اختصت به من المزية والشرف . وهذه الليلة المعروفة بذلك الاسم والمخصوصة بتلك المزية وذلك الشرف من بين ليالى السنة ، أراد الله أن يعلم نبيه أنها هى الليلة التى اختارها لينزل فيها أول ما نزل من القرآن فيتناسب بذلك شرف الكتاب العظيم مع شرف الزمن الذى نزل فيه .

« الثانى » أن قوله تعالى :

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ (القدر - ٤) .

ظاهر فى أن ليلة القدر يتكرر كونها ، ويتجدد مجيئها ، فليست ليلة واحدة فى الدهر كله كما يقتضيه القول بأنها خصوص الليلة التى بدىء فيها بإنزال القرآن ؛ فإن الأصل فى صيغة المضارع أنها تدل على حصول معناها فى المستقبل ؛ ولو كانت هى الليلة التى نزل فيها القرآن وحدها لقيل : (تنزلت الملائكة والروح فيها) .

من حيث إن الحديث عنها حديث عن أمر وقع فى الماضى . وهذا شىء معلوم يعرفه جميع أهل العربية .

فإذا راعينا ـ مع ما تدل عليه صيغة المضارعة من معنى الاستقبال ـ أن الليلة التى أنزل فيها القرآن وفيها تتنزلت الملائكة والروح معها قد أطلق عليها اسم « ليلة القدر » علمنا أن تنزل الملائكة والروح الأمين من خصائص هذه الليلة وأنه يتكرر بتكررها ، ويتجدد كلما تجددت .

غير أنه قد يقال : إنه كثيراً ما يعبر فى القرآن عن الأمر الماضى بصيغة المضارعة لاعتبارات تختلف وتتنوع باختلاف المواطن وتنوعها ، والاعتبار فى الموطن الذى نحن بصدده قد يكون إرادة استحضار صورة ذلك الماضى وافتراضه حاصلا ساعة الحديث عنه قصدا إلى كشف المعنى للسامع ، وتجليته أقوى تجلية ، وذلك من المقاصد البلاغية الرائعة التى يعرفها أيضا أهل العربية ، فإن الحديث عن الشىء ساعة حصوله أقوى وآكد وأوقع فى النفس من الإخبار عنه بعد ما يحصل ويمر زمنه .

والجواب : أن ذلك لايقدح فيما قلنا من أن الأصل فى المضارع هو دلالته على الشىء يكون فى المستقبل ، فإطلاقه على ما كان فى الماضى خلاف الأصل ، لا يصار إليه ولا يدعى أنه المراد إلا إذا كان هناك دليل يصرفه عن ذلك الأصل ثم يجىء الاعتبار البلاغى كالاستحضار ونحوه مصححا ومسوغا إطلاق المضارع على المعنى الماضى .

ولايصلح الاعتبار وحده دليلا على أن المراد من المضارع هو المعنى الماضى ؛ اللهم إلا إذا ثبت أن المتكلم أراد ذلك الاعتبار ، وقصد ـ فى مثل مسألتنا ـ إلى معنى الاستحضار ، وهذا ما لاسبيل إليه ، وليس الكلام قاطعا ولا ظاهرا فيه ؛ بل اللجأ إلى دعواه هو عين ما يسمى بالمصادرة كما يعرف ذلك أهل العلم .

وبعد . . فأنت ترى أننا ـ فى هذا الوجه الثانى من الاستدلال ـ قد اقتصرنا على ما تفيده صيغة المضارع ، ولم تتعلق بما تدل عليه صيغة « التفعل » من معنى التكرار والتجدد ؛ فإنه إذا كانت هذه الصيغة التى جاءت على نهجها كلمة « تنزل الملائكة » تدل على تجدد نزول الملائكة وحصوله مرة بعد مرة فليست نصا فى أن ذلك التجدد يحصل فى أكثر من ليلة ؛ لأنه يصح أن يكون نزول الملائكة

متتابعا وعلى دفعات كثيرة فى ليلة واحدة ، تنزل طائفة منهم وتتبعها طائفة وطائفة ، وهكذا حتى مطلع الفجر . وحينئذ لا يكون فى التعلق بحديث التجدد وتكرر الحصول الذى تدل عليه صيغة « تنزل » إثبات للمطلوب الذى هو تجدد الليلة وتكررها بتكرر الأعوام .

« الثالث » : أن قوله تعالى فى سورة الدخان ـ :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (الدخان ـ ٤) .

يدل على أن ليلة القدر تتكرر وتتجدد ، وليست ليلة واحدة على ما يقضى به القول أنها الليلة الماضية التى نزل فيها القرآن ؛ وذلك لمجىء « يفرق » بصيغة المضارعة التى تدل بأصلها على أن فرق الأمر الحكيم وبيانه وتفصيله يكون فى المستقبل كما قدمنا الكلام على ذلك فى قوله تعالى :

﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (القدر ـ ٤) .

وأنه إذا كانت ليلة نزول القرآن التى سميت ليلة القدر قد فرق فيها الأمر الحكيم ، فذلك لأن شأن ليلة القدر ذلك : فرق فيها دائما كل أمر حكيم ؛ فيكون الحديث عن ذلك مقصودا به الإعلام بأن نزول القرآن قد كان فى الليلة التى من خواصها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم .

« الرابع » : أن قوله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (الدخان ـ ٤) .

معناه أنه يبين فى الليلة المباركة ويفصل كل أمر موافق للحكمة والصواب متقن لاخلل فيه ولا اضطراب ؛ وذلك يفيد أنها ليلة تتكرر وتتجدد ، وليست هى خصوص الليلة التى بدأ فيها الوحى بشىء من آيات القرآن فإن ما نزل فى تلك الليلة ـ وإن كان أمراً حكيما من غير شك ولا امتراء ـ لايمكن أن يقال فيه إنه هو كل أمر حكيم . وسنعود قريبا إلى هذا بمزيد من التفصيل .

« الخامس » : ما ورد فى صحاح الأحاديث من أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتحرى ليلة القدر ، وأنه أمر الناس بالتماسها وتحريها فى العشر الأواخر من رمضان :

١ ـ فقد روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى العشر الأواخر من رمضان ويقول : تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان .

٢ ـ وروى البخارى أيضاً عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

٣ ـ وروى كذلك عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان » .

٤ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فيما رواه البخارى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان : ليلة القدر ؛ فى تاسعة تبقى ؛ فى سابعة تبقى ؛ فى خامسة تبقى » .

٥ ـ وروى البخارى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور فى رمضان العشر التى فى وسط الشهر ، فإذا كان حين يمسى من عشرين ليلة تمضى ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام فى شهر جاور فيه الليلة التى كان يرجع فيها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ، ثم قال : كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لى أن أجاور هذه العشر الأواخر [1] فمن كان اعتكف معى فليثبت فى معتكفه ، وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها فابتغوها فى العشر الأواخر ، وابتغوها فى كل وتر ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين ، فاستهلت السماء فى تلك الليلة فأمطرت فوكف المسجد فى مصلى النبى ـ ﷺ ـ ليلة إحدى وعشرين فبصرت عينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونظرت إليه انصرف من الصبح ووجهه ممتلىء طينا وماء » .

٦ ـ وروى البخارى عن عبادة بن الصامت قال : « خرج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال : خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة » .

ففى هذا كله دلالات واضحة على أن ليلة القدر لها فضلها وشرفها ، ولها مزيتها وراء ما ثبت لها بنزول القرآن فيها ، وأنها تتكرر وتتجدد ، وأن مظنة موافقتها هى العشر الأواخر من شهر رمضان ؛ فإنها لو كانت خصوص الليلة التى نزل فيها القرآن لما كان هناك معنى لتحريها ولا الأمر به بعدما انقضت تلك الليلة ومرت .

ولا يصح أن يقال إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقصد بأمره بتحرى ليلة القدر ولا باعتكافه العشر الأوسط أو الأخير إلا إحياء ذكرى الليلة التى نزل عليه فيها القرآن وتكريمها ؛ لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يكن لتخفى عليه هذه الليلة العظيمة فيجهل موقعها من الشهر الذى كانت هى

---

(١) وقد ورد فيما روى عن أبى سعيد الخدرى أن جبريل قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اعتكف العشر الأوسط إن الذى تطلب أمامك ، يريد ليلة القدر .

إحدى لياليه حتى يتحراها باعتكاف العشر الأخير من رمضان ويأمر بتحريها فى ذلك من يريد إحياء ذكراها فى كل عام . هذا بعيد غاية البعد ؛ وإذاً لايستقيم ما يقوله بعض الناس اليوم ارتكانا إلى ما اختاره المرحوم الشيخ محمد عبده من أنه ليست هناك ليلة تسمى ليلة القدر غير تلك الليلة التى نزل فيها القرآن ، وهى ليلة واحدة لاتتكرر ، وأنه لامعنى للاحتفال بها فى كل سنة إلا أن يكون المقصود من ذلك إحياء ذكرى تلك الليلة كما نحيى ذكرى العظماء وذكرى الليالى والأيام التى اشتهرت بوقائع وحوادث لها خطر وشأن .

وإذا لم يكن لاحتفال الناس بليلة القدر معنى سوى إحياء ذكراها فماذا يقال فى تحرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الليلة وأمره الناس بتحريها ؟ .

هنا نجد الأستاذ الإمام عليه الرحمة يعمد إلى الأحاديث الواردة فى ذلك فيضرب عليها بكلمة ويرى أنه بذلك قد خلص منها :

يقول : إن تلك الأحاديث رواياتها مضطربة ، وأغلبها ضعيف ، والكثير منها موضوع ومثل ذلك لا يصح الأخذ به فى باب العقائد .

ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يقل لنا أى هذه الأحاديث موضوع وأيها ضعيف وبماذا كان ضعف هذا الضعيف ، ولم يكشف كذلك عن الاضطراب الذى يصح معه أن يضرب صفحاً عن أحاديث أخرجها البخارى وغيره عن جماعة من الصحابة يروى أحدهم عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان » .

ويروى آخر أنه قال : « تحروا ليلة القدر فى الوتر فى العشر الأواخر من رمضان » .

ويروى ثالث قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان ، ليلة القدر فى تاسعة تبقى ، فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى » .

فهل هذا هو الاضطراب الذى يأبى معه قبول الأحاديث ؟

نحن لا نجد بين ما أوردناه من أحاديث الأمر بالتحرى شيئاً من الاضطراب فى السند أو المتن بحيث يقدح فى صحتها ويوجب طرحها ؛ وكل ما فيها إنما هو اختلاف بالإجمال والتفصيل أو بوضع لفظ مكان مرادفه . وإذا كان جميع الناس ـ إلا من لا يعتد برأيه فى هذا المقام ـ على أنه يجوز رواية الأحاديث بالمعنى ما دام ذلك لا يخل بما قصد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إفادته من المعنى فالاختلاف الذى أشرنا إليه لا يضر فى شىء ولا يصح معه دعوى الاضطراب الذى تطرح من أجله الأحاديث .

وبعد . . فقد تبين مما قدمناه من الكلام على المعنى الأول لكلمة « القدر » أنه الفضل والشرف وعلو المنزلة ، وأن ليلة القدر لها شرف وفضل بنزول القرآن فيها من غير شك ، لكن لها ـ وراء

ذلك - شرفا وفضلا بما خصها الله به مما سنعرض للكلام عنه فيما يلى ، وأنه من أجل ذلك قد اختارها - الله تعالى - لتكون ليلة افتتاح الوحى ونزول أول ما أنزل من القرآن .

وأما عن المعنى الثانى وهو « التقدير » فقد اختار الشيخ الإمام فيه أيضا خلاف ما جرى عليه جمهور المتقدمين من العلماء :

قال - رحمة الله عليه : « سميت الليلة ليلة القدر إما بمعنى ليلة بالتقدير ، لأن الله ابتدأ فيها تقدير دينه وتحديد الخطة لنبيه فى دعوة الناس إلى ما ينقذهم مما كانوا فيه » .

فهو يحمل التقدير على خصوص ما يكون بالقرآن من الإرشاد والبيان وتحديد طريق السعادة والفصل بينها وبين طرائق الشقاوة والضلال ، ويقول أن هذا هو المراد مما ورد فى سورة الدخان من فرق الأمر الحكيم فى تلك الليلة « فالأمر الحكيم إنما هو أمر الرسالة والأوامر والأحكام لا شىء آخر سواها » ، هذا هو ما يرتضيه من معنى التقدير ومعنى فرق الأمر الحكيم .

وغريب جداً أن يحمل التقدير على ذلك المعنى الذى لا يخرج عما يتعلق بالوحى والرسالة وتحديد الدين أحكام الشريعة .

ونحن إذا كنا نتساهل فنقبل تأويل المرحوم الشيخ محمد عبده لهذا التقدير والتحديد ونقول : إنه ليس بلازم فى تسمية الليلة ليلة التقدير أن تقدر فيها جميع أصول الدين وتحدد جميع أحكام الشريعة بل يكفى أن يكون بدء ذلك كله فى تلك الليلة - إذا كنا نتساهل فنقبل هذا التأويل فليس من السهل أن يقبل ما يؤدى إليه مما يضيع معه معنى الإخبار فى - قوله تعالى - :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ① ﴾ (القدر - ١) .

أليس يكون معناه حينئذ : « إنا أنزلنا القرآن - أى ابتدأنا إنزاله فى الليلة التى بدأنا فيها بإرسال الوحى بالرسالة وبتحديد الشريعة وأحكام الدين ؟ وإذاً يكون حاصل المعنى : إنا ابتدأنا إنزال القرآن فى الليلة التى ابتدأنا فيها بإنزال القرآن ، وهذا شىء لا يقبله عاقل ولا يصح أن ينزل على مثله كلام عوام الناس فما بالك بكلام رب العالمين ؟

وكذلك الحال فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ④ ﴾ (الدخان - ٤) .

فإنه متى كان هذا الأمر الحكيم هو ما يختص بالرسالة والوحى والأوامر والأحكام - كما يقول الأستاذ الإمام - كان المعنى أنه يفرق ويبين ويفصل فى تلك الليلة الوحيدة التى لا تتكرر ولا تتجدد

على مر الدهور والأعوام كل أمر حكيم من أمور الدين وأحكام الشريعة ، وإذا كان معلوما بالضرورة أن تلك الليلة التى نزل فيها أول مانزل من القرآن لم يبين فيها كل أمر الحكيم من أمور الشريعة والدين ، فكيف يكون تأويل آية الدخان التى تنطق بأن الليلة المباركة وهى ليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ؟

نحن نوقن أن الأستاذ الإمام ـ عليه سحائب الرحمة ـ شعر ببعض الحرج فى تأويل الآية على النحو الذى يوافق ما يرمى إليه من المعنى فأراد أن يخلص من هذا الحرج بتقرير : أن ابتداء نزول القرآن كان فرقا بين الحق والباطل وكل ما جاء منه كان كذلك ، ثم توالى النزول بعد الليلة الأولى بما هو من نوع ما نزل فيها كما قال :

﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ (الدخان ـ ٥ : ٦) .

فصح أن ينسب إليها أنه يفرق فيها كل أمر حكيم ، لأن كل ما جاء فيها كان أمراً حكيما فرق به بين الحق والباطل وبداية لما يكون بعده من مثله ، كما صدق قوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾

(البقرة : ١٨٥) .

مع أنه لا يكون بينة وفارقا بين الحق والباطل إلا ما ظهر للناس منه وهو مانزل ويبلغ إليهم بالفعل أو كان بسبيل أن يبلغ ، فليس الأمر الحكيم الذى يفرق فى الليلة المباركة إلا أمر الدين والأحكام إ.هـ .

فهو يقول : إن ما نزل من القرآن فى الليلة الأولى التى جاء فيها الوحى أمر حكيم فرق به بين الحق والباطل ، وهو بداية لكل أمر حكيم جاء به القرآن بعد ذلك وفرق به بين الحق والباطل ، فكأن كل أمر حكيم جاء به القرآن من أوله إلى آخره قد كان فى ليلة الوحى الأولى .

ونحن نقول : إن هذا شىء فى غاية التكلف لا ينبغى أن يلجأ إليه فى تفهم آيات القرآن الكريم .

يقرر الأستاذ الإمام أن كل ما جاء فى تلك الليلة كان أمرا حكيما . وهذا حق لا مرية فيه .

ويقرر أن ما جاء فيها كان بداية لما جاء بعده من الأمر الحكيم . وذلك حق أيضاً لا ينازع فيه منازع .

ولكن ذلك كله لا يسوغ أن يقال : إن بيان كل أمر حكيم قد كان فى تلك الليلة .

وليس من هذا القبيل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ ﴾ . فإنه إذا كان القرآن ـ كما يقول الأستاذ الإمام ـ يطلق على جميع الكتاب العزيز وعلى أى جملة منه وكان كله هداية وفى كل جملة

منه هداية صح أن يقال : إن القرآن نزل فى شهر رمضان ما دام قد نزل جزء منه فى هذا الشهر ، ولاسيما أن هذه الآية لم تقل إن شهر رمضان قد أنزل فيه القرآن كله كما جاء فى آية الدخان :

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ ﴾ .

ثم إن فرقا كبيرا بين أن يقال : إن ما نزل فى تلك الليلة كان كله أمرا حكيما وأن يقال : إن كل أمر حكيم نزل فى تلك الليلة ، فلا يصح الخلط بين هاتين القضيتين ولا التخطى من إحداهما إلى الأخرى بدون وسيلة صالحة .

ولهذا لا يسعنا إلا أن نسير فى معنى « ليلة القدر والتقدير » على ما جرى عليه المتقدمون من العلماء .

فليلة القدر على هذا هى الليلة التى تقدر فيها الآجال والأرزاق والأقوات ، وتضبط فيها شئون سائر الكائنات وتحدد صفاتها وأحوالها .

غير أنه ينبغى أن يعلم أنه ليس المراد من تقدير هذه الأشياء فى ليلة القدر بدء تقديرها وإنشاء تحديد مواقيتها وضبط شئونها وأحوالها ؛ فإن ذلك أزلى سبق به علم الله وإرادته منذ القدم ، وإنما معنى ذلك إظهار هذه الأمور للملائكة وكشفها لهم ليضبطوها فى صحفهم ويقوموا فيها بما أمرهم الله .

وهذا هو ما اختاره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى وحرر القول فيه قبله الإمام النووى الذى اعتمد فيه على ما قرره الأئمة الأعلام .

قال النووى : قال العلماء : سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار لقوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ ؛ ورواه عبدالرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال التوربشتى : « إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع فى القدر الذى هو مؤاخى القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك : وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديد فى تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقدارا بمقدار » إ.هـ .

أى فالقدر بفتح الدال هو تقدير الأشياء وتحديدها فى الأزل ؛ وهذا ليس الكلام فيه ، وأما القدر بسكون الدال فهو تحديد ذلك للملائكة وضبطه وإظهاره لهم فى الليلة التى تسمى ليلة القدر من ليالى كل سنة .

وخلاصة القول فى هذا أنه إذا أخذت كلمة « القدر » ؛ بمعنى التقدير فلا يصح أن يقصر هذا التقدير على تقدير أمر الرسالة وتحديد أحكام الشريعة ، وإنما هو تقدير كل شىء أراد الله إعلام الملائكة به وإطلاعهم عليه ليقوم كل منهم بما وكل إليه من ذلك . وهذا هو معنى فرق الأمر الحكيم . فالأمر الحكيم ليس هو خصوص أمر الرسالة والقرآن ؛ وإنما هو كل أمر اشتمل على الحكمة ووافق الواقع واقتضت الإرادة الإلهية نفاذه فى الكون من شئون الدين والدنيا ؛ يطلع الملائكة منه فى ليلة القدر كل سنة على ما أراد كونه فيها .

وهذا هو الشرف وعظم الشأن الذى خص الله به ليلة القدر .

ويتلخص مما قدمناه أن ليلة القدر هى ليلة من كل سنة ، فتتكرر بتكرر الأعوام ، وإن الأحاديث الصحيحة قد طلبت تحريها والتماسها رجاء موافقتها بالعبادة وعمل الخير ، فإن الجزاء على ما يكون من ذلك فى ليلة القدر خير من الجزاء على ما يكون منه فى ألف شهر .

ولكن أى ليلة هى من ليالى السنة ؟ وهل هى ليلة معينة فى ذاتها لا تتنقل فى أشهر السنة أو أنها تتنقل فيها أو فى شهر رمضان خاصة فى لياليه كلها أو فى العشر الوسط منه أو فى العشر الأواخر ؟

قد اختلف العلماء فى ذلك اختلافا كبيرا . والذى رجحه ابن رشد فى مقدمات « المدونة » أنها تتنقل باختلاف الأعوام ، ولكن فى شهر رمضان خاصة . قال : « وهذا هو الذى ذهب إليه مالك والشافعى وأحمد بن حنبل وأكثر أهل العلم ؛ وهو أصح الأقاويل ، وأولاها بالصواب .

ويرى ابن رشد أنها تختص فى تنقلها ـ فى الأغلب من حالها ـ بالعشر الوسط وبالعشر الأواخر من رمضان ، وأن هذا القول هو الذى يتمشى مع جميع الأحاديث الصحيحة الواردة فى هذا الشأن .

ويقول : إن الأغلب أنها تكون من العشر الوسط ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة ومن العشر الأواخر فى الأوتار منها .

ويقرر ابن حجر فى « فتح البارى » أن أرجح أقوال العلماء فى ليلة القدر أنها فى وتر من العشر الأخير ، وأنها تتنقل فى أوتار هذا العشر .

وقال ابن القيم فى « زاد المعاد » فى بيان هدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى اعتكافه ـ أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ـ عز وجل ـ واعتكف مرة فى العشر الأول ثم الأوسط ثم العشرة الأخيرة يتلمس ليلة القدر ، ثم تبين له أنها فى العشر الأخير فداوم على اعتكافه حتى لحق بربه ـ عز وجل إ.هـ .

ويمكن أن يستخلص من هذا كله أن أرجح الأقوال فى ليلة القدر أنها تتنقل فى أوقات الثلث الأخير من رمضان .

وكذلك اختلف العلماء فى أنه هل لليلة القدر علامات تظهر لمن وفقت له ؟

والذى اختاره الطبرى أنه ليس لها شىء من العلامات ، وأنه لا يلزم فيها رؤية شىء أو سماعه .

أما العلامة التى حدث عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى ـ أنه عليه الصلاة والسلام ـ رأى فى منامه أنه يسجد فى ماء وطين وأن ذلك قد تحقق صبيحة ليلة إحدى وعشرين من رمضان فهى لا تدل على أن علامة ليلة القدر فى كل سنة أن ينزل فيها المطر أو يشتد ؛ كما لا يدل ذلك على أن ليلة القدر تكون دائما ليلة إحدى وعشرين من رمضان . وإنما كان ذلك علامة على ليلة القدر فى تلك السنة لا غير . قال ابن جرير : وذلك أنا شهدنا سنين كثيرة ينقضى فيها رمضان دون مطر مع اعتقادنا أنه لا يخلو رمضان من ليلة القدر .

ذخائر النفائس

في شهر الصيام

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

اختصّ شهر الصيام ، من بين سائر الشهور ، بنزول القرآن الكريم فيه ، بقوله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾

(البقرة الآية : ١٨٥)

ثم تُبَيِّنُ الليلة التى أنزل فيها القرآن ، بقوله - عز من قائل - فى سورة القدر :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤ ﴾ (القدر - ١ : ٥)

وكانت أولى الآيات التى أنزلت فيه ، حينما كان رسول الله - ﷺ - ، يتعبد ذات ليلة فى غار حراء ، وأقبل الوحى الأمين جبريل ، سفير رب العالمين ، يقول له : « اقرأ » فأجاب الرسول - ﷺ - : « ما أنا بقارىء » (أى لا أحسن القراءة ، أو يستفهم عما يقرأه) .

فأخذ جبريل النبىَّ وضغط عليه تنبيها له على تحمل أعباء النبوة ، حتى أحس النبى - ﷺ - بالتعب . وأرسله جبريل وقال له مرة آخرى : « اقرأ » . فكان جوابه - ﷺ - كما سبق : ما أنا بقارىء . ففعل جبريل ما فعل فى المرة السابقة ، ثم تكرر ذلك مرة ثالثة ، ثم قال جبريل :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾

(العلق - ١ : ٥)

ومن إلهام هذه الآيات البينات ، يقول كاتب هذه السطور ، فى قصيدة له :
(اقرأ) الآية الشريفة كانت :
مبدأ الوحى فى ثنايا الغار .

●●●

وفى ضوء ما قدمناه ، نستقبل هذا الشهر الكريم ، بالتعظيم والترحاب ، فقد جاء عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال - وقد حضر شهر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه (أى يحيطكم بمغفرته) فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء . ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[1] .

وفى رواية للنسائى ، عن قدر الصيام عامة يقول : « أتيت رسول الله - ﷺ - فقلت : - يارسول الله ، مرنى بأمر ينفعنى الله به ، قال : - عليك بالصيام ، فإنه لا مثيل له » . وزاد ابن حبان فى صحيحه : « فكان (أبو إمامة) لا يرى فى بيته الدخان نهارا ، إلا إذا أتاه ضيف » .

ومن خصوصيات الصيام ، أن الله - سبحانه وتعالى - قد اختص الصائمين بالدخول إلى الجنة من باب خاص بهم ، هم وحدهم ، يسمى : الريان ، وقد اشتق اسمه من (الرِّىّ) ، وهو نقيض الظمأ . . فقد روى سهل بن سعد عن النبى - ﷺ - ، قوله : « إن فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد » . رواه الشيخان والنسائى ، وزاد الترمذى : « ومن دخله لا يظمأ أبدا » .

ويقول إمام الدعاة الشيخ محمد متولى الشعراوى - رحمه الله - فى تفسير قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة الآية : ١٨٣)

« يلاحظ هنا دقة العطاء فى اللفظ القرآنى ، وخصوبة الأداء فى اختيار الكلمة فى مقامها : لماذا لم يقل : كتبتُ أو كتب الله ، ولكن يقول : (كُتب) وبناؤه للمجهول ، مع إنه لمعروف من الذى كتب : . . الله . ما العلة فى أنه عدل عن ذلك المبنى للمعلوم ، وبناه للمجهول ؟ هذه العلة يجب أن يلتفت إليها الذهن . . لماذا ؟ لأن قضية الإيمان عقد ، وعقد بين المؤمن والمؤمن به . . فالله لم يكلف من لم يؤمن به ، إنما كلف من آمن به ، إذن . . فحين دخلت للإيمان بالله ، دخلت عن طواعية ، وآمنت به ، إذن . . فأنت شريك فى كل التزام تقنينى يصدر عن ذلك الإله »[1] إلى أن يقول : « ومن اللحظة التى يقول فيها : (كُتب) ، فأنت شريك فى هذه العملية ، لو لم تؤمن به لما كتبت ، يعنى أنك عندما دخلت ، كنت معى فى هذه الكتابة ، أى فى إجراء صيغة العقد »[2] .

●●●

وما أصدق وأدق قول الرافعى ، فى تعريف الصوم ، بأنه : « فقر إجبارى ، يراد به إشعار النفس الإنسانية - بطريقة عملية واضحة كل الوضوح - أن الحياة الصحيحة ، وراء الحياة لا فيها ، وأنها إنما تكون على أتمها ، حين يتساوى الناس فى الشعور ، لا حين يختلفون ، وحين يتعاطفون بإحساس الألم الواحد ، لا حين

(١) رواه الطبرانى ، وقال المنذرى : رواته ثقات .

(٢) انظر كتابه (هذا هو الإسلام) - ط ثانية .. نوفمبر ١٩٨٥ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

يتنازعون ، بإحساس الأهواء المتعددة »[1] إلى أن يقول : « شهر .. هو أيام قليلة فى الزمن ، متى أشرقت على الدنيا ، قال الزمن لأهله : هذه أيام من أنفسكم لا من أيامى ، ومن طبيعتكم ، لا من طبيعتى .. فيقبل العالم كله على حالة نفسية بالغة السمو ، يتعهد فيها النفس ، برياضتها على معالى الأمور ، ومكارم الأخلاق ، وإنها والله طريقة عملية لرسوخ فكرة الخير والحق فى النفس » [2]

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الفقر الإجبارى ـ على حد تعبير الرافعى ـ الذى يصحبه الجوع والظمأ ، بطبيعة الحال ، هو الذى يجعل الإنسان أكثر شهية وتذوقا للطعام ، عند الإفطار ، وكذلك الشأن بالنسبة للارتواء بعد الظمأ ..

وليس يطرب صوت الماء مندفقا
كما ترى وقعه .. فى سمع ظمآن !

●●●

وقد تبارى شعراء الأدب العربى ، فى القديم والحديث ، فى تبيان فضائل شهر رمضان ، منذ عصر صدر الإسلام ، وحتى يومنا هذا ، حتى تجمع لدينا من قصائدهم ، تراث ضخم ، وزاد رفيع .. ومنه قول القائل :

من نـالـه داء ـ بفـرط ذنـوبـه
فليأت من رمضان : بـاب طبيبه
فخلوف هذا الصوم ياقوم .. اعلموا
أشهى من المسك السحيق وطيبه

أو ليس هذا القول قول مليككم :
الصوم لى ، وأنا الذى أجزى به

وقول الآخر :

أدم الصيام ، مع القيام ، تعبدا
فكـلاهمـا عـمـلان مـقـبـولان
قم فى الدجى ، واتل (الكتاب) ولا تنم
إلا كـنـومـة حـائـر ولهـان
فـلربمـا تـأتى المـنـيـة بـغـتـة
فتسـاق مـن فـرش إلى .. أكفـان
يـاحبـذا عينـان فى غسق الـدجى
مـن خشـيـة الـرحمن بـاكـيـتـان

وفى آبدة شعرية موجزة ، يقول شاعر آخر :

لقـد صمت عن لذات دهـرى كلهـا
ويـوم لقـاكم : ذاك فـطر صيـامى

ولكاتب هذه السطور خلجات وخطرات وجدانية ، يقول فى بعض أبياتها :

يـانفس جاءك شهـر الصوم ، فـابتهلى
وطهرى الثوب : ثوب الرجز والخطل
سبعون عاما مضت ، والشعر خاطرتى
وكم صـدحت بـه ، فى وجـد مبتهـل
شهـر الشهـور أتى بـالخيـر أجمعـه
عن سابغ العفـو والغفران لم يحـل
يانفسى ـ بل يانفوس النـاس أجمعهم ـ
منى إليكم نـداء ، غيـر مبتـذل :
بـالأمس كنا صغـارا فى مـدارجنـا
نلهـو ونمـرح فى فيض من الجـذل
واليوم صرنا ، مع الأيام ، فى كبـد
فى البـر والبحـر ، فى حـل ومـرتحـل
.. غـدا تغيب عن الأكـوان هيئتنـا
نمضى كطيف سرى ، كالحلم فى المقل
هيـا نشمـر للتقـوى سـواعـدنـا
للمكـرمـات ، قبيـل الفـوت والأجـل

---

(1) انظر كتابه (وحى قلم) . ص ٢ ط ١٩٤١ . ص ٧٣ .

(٢) انظر المصدر السابق ص ٧٧ .

من نصراء الفصحى في العصر الحديث ٢

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد(*)

والواقع أن مقالات « زكى مبارك » بشأن تدعيم وحدة اللغة - رغم ما فرض عليها من رقابة وقيود - أسفرت عن خلق مناخ صالح لتقبل التغيير ، وهو أمر يتفق مع نتائج الدراسات الإعلامية التى تذهب إلى أن « أجهزة الإعلام تستطيع أن تؤثر فى الاتجاهات التى لا يشتد التمسك بها ، وتوجه الاتجاهات القومية توجيها طفيفا نحو الغاية المرجوة »[1] ، فقد تحقق جزء من دعوة « مبارك » عام (١٩٣٩) ، فعمق هذا النجاح إيمانه باللغة ، وقال : « من[2] مغانم السنة الماضية أن تصير اللغة العربية لغة الدرس فى كلية العلوم ، وهى دعوة عانيت فيها من الشقاء ما عانيت ، فمن قال إنه دعا إلى هذه الفكرة مرة أو مرتين ، فأنا جعلتها حلما أهتف به فى يقظتى ومنامى خمس عشرة سنة » وهكذا نصر « مبارك » اللغة العربية فى وقت عز فيه النصير .

وعندما شاع فى أوائل الثلاثينيات « أن الوحدة العربية تساوى إضافة صفر إلى أصفار ليتكون المجموع صفرا ، وشاعت - أيضاً - الدعوات إلى العامية للقضاء على الفصحى ، وإلى الشعبية لينصرف كل شعب إلى إلهه ، وتقل الإيجابية بين أبناء العرب فيتباعدوا ويتباغضوا[3] ، وقف « مبارك » وسط هذه التيارات داعيا من دعاة وحدة العرب ، ومدافعا عن ثقافتهم ورابطا أمته العربية بأواصر وحدة اللغة .

وغنى عن البيان ما تسفر عنه وحدة اللغة إذا ما تحقق تعميمها فى التعليم الجامعى من الإثراء الفكرى وخلق قوى جديدة تدفعنا إلى الترجمة والتأليف ، وترفع عنا وصمة الفقر فى المكتبات ، ففى الممالك المستقلة بين الإنسان فى الأحياء

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة .

(١) ويلبور شرام : (ترجمة محمد فتحى) : أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية - القاهرة - ص ١٨٤ .

(٢) الرسالة : ٨ يناير ١٩٤٠ .

(٣) الدكتور على محمد الفقى : أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة - القاهرة - ص ١٢٤ .

الجامعية مكتبة خاصة بالطب ومكتبة خاصة بالعلوم ، وأخرى بالفلسفة أو الطيران ، وهكذا ، أما فى مصر فلا يجرؤ أحد من الناشرين على إنشاء مكتبة خاصة بعلم من العلوم »[١] .

ويؤكد الدكتور إبراهيم إمام - كرائد من رواد هذه الدعوة - قدرة اللغة العربية ونجاحها فى التعبير عن الفكر الحديث ، ويقول : « إن استخدامها فى ميادين العلم الحديث وخاصة فى الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية الحديثة ، يدفع إلى الإثراء الفكرى والتقارب فى مستوياتها المختلفة ، ولا ينبغى أن ننتظر حتى تقنن المصطلحات ونقف مكتوفى الأيدى بمعزل عن الحضارة[٢] .

وتذهب أهمية هذه الدراسة عنده إلى أننا « ما لم نستعمل اللغة فعلا فإننا نحكم على أنفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهان لشىء واحد كالعملة تماما ، ولكى تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة لابد أن تعبر عن الفكر الجديد »[٣] .

ومن أجل تثبيت مقومات اللغة فى التعليم الجامعى ، ينتقل « مبارك » إلى « لغة الرسائل » التى تقدم لامتحان « الماجستير والدكتوراة » - مناديا بأن تكون باللغة القومية ، مستخدما فى ذلك إثارة الهمم الوطنية ، فيقول : « ففى جامعة باريس مثلا لا تقبل الرسالة الأساسية بغير اللغة الفرنسية ، ولو كانت فى موضوع متصل بإحدى اللغات الأجنبية ، أما فى مصر فالأمر بالعكس ، تقدم الرسالة إلى الجامعة المصرية بأى لغة أجنبية بدون اعتراض ، ولو كانت فى صميم الآداب العربية ، أو الشريعة الإسلامية ، وهى حين تقدم بالعربية يجب أن تكون مصحوبة بخلاصة فرنسية أو إنجليزية ، ولو كان أعضاء الامتحان جميعاً مصريين »[٤] .

والحقيقة أنه فى أوائل عام (١٩٣٠) قاوم هذه البدعة فى مقالاته بجريدة البلاغ ، ودعا إلى تعديل هذه الفقرة من لوائح الجامعة المصرية ، وأوصى بجعل اللغة العربية لغة الرسائل العلمية والأدبية والتشريعية التى تقدم لنيل الدرجات الجامعية .

ويظهر مما سبق ذكره أن اقتراح « مبارك » لا يجنح إلى الشطط ، خاصة أن تقديم الرسالة إلى الجامعة المصرية بلغة أجنبية يشبه إلى حد كبير صحافة الدولة التى تعتمد كلية على الوكالات الأجنبية ، فتقيد حرية الإعلام والرأى العام فيها بقيود لها أثرها الخطير ، « إذ أن القراء فى هذه الحالة يكونون آراءهم عن الحوادث الدولية من وجهة نظر إنجليزية أو فرنسية أو سوفيتية أو أمريكية »[٥] ، بعيدا عن وجهة النظر القومية ، ولابد من منع هذا الخطر أو تفاديه بقدر الإمكان ، والواضح أن وجه الشبه بينهما هو التبعية لثقافة الغرب .

ونحن ننسى أننا قد نكون فى أمس الحاجة إلى هذه التبعية ما إذا كانت لغتنا عاجزة أو قاصرة ، وكيف تعجز وما من لغة من اللغات الحية على وجه الأرض اكتسبت من الفخر مثل اللغة

(١) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق - ص ١٦ .
(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق - صفحات ١١٧ ، ١١٨ .
(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق - صفحات ١١٧ ، ١١٨ .
(٤) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد - مرجع سبق - ص ٢٤ .
(٥) الدكتور خليل صابات : الصحافة مهنة ورسالة - دار المعارف - كتابك - العدد ٣٧ - ص ٢٣ .

العربية ، فهى اللغة الرسمية لدين الله الحق ، وليس ثمة ضمان أقوى وأكبر لخلود هذه اللغة وتهيئتها للانتشار من هذا الازدواج الوظيفى لها ، فهى لغة الأرض والسماء معا ، فضلا على أن « اللغة العربية تنطوى على عدة عوامل ذاتية تؤهلها للبقاء والانتشار ، من بينها :[١] .

(١) أنها لغة رسمية فى هيئة الأمم المتحدة .

(٢) قابليتها لمسايرة تقدم الزمن .

(٣) تحدث الملايين من غير العرب بها .

إلى غير ذلك من خصائص اللغة التى تجعل من اقتراح « مبارك » أمرا ميسورا ، وعلى كلٍّ فإنه قد رُهن بتعريب لغة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة ، وإضافتها إلى اللغة القومية .

فهو ينص على إيمانه بقوة اللغة والثقافة العربية التى تربط مصر بكل المتعاطفين معها ، ولو خرجوا عن حدود الوطن العربى ، كما ينص على عدم التعارض بين القومية العربية والقومية الإسلامية - أو الإخوة الإسلامية على حد تعبيره - غير أنه رأى فى القومية العربية البسط والعموم ، لذا دعا إليها وآمن بها ، وكان فى ذلك على جانب عظيم من الأمانة والصدق ، وهنا تعقيب للباحث يرد فى حينه[٢] .

ويرى « أنور الجندى » أن حادثين هامين فى حياة « مبارك » قد عمقا إيمانه بالقومية العربية :[٣] .

الأول : زيارته لمراكش عام ١٩٣٢ - بعد انتهاء إقامته فى باريس - واتصاله بالوطنيين العرب ، فى هذا الجزء النابض بالحياة من الوطن العربى ، الذى كان واقعا - آنذاك - تحت سيطرة الاستعمار الفرنسى .

الثانى : ذهابه إلى بغداد عام ١٩٣٨ ، وفيها صورة عهد الرشيد ومرسم الحياة العربية فى ازدهارها ، حيث كانت الترجمة والتأليف ومدارس العلم والحضارة ، وبذلك جمع بين عظمة الأمة العربية فى أقصى طرفيها « بغداد ومراكش » ، المدينتين اللتين تحملان أعظم مظاهر الحضارة فى الأمة العربية .

والحق أنه استنباط لا سبيل إلى إنكاره ، خاصة أن « مبارك » من الشخصيات « الدينامية » التى تمتعت بالحركة وأولعت بالأسفار والتنقل بين الأماكن المختلفة ، وتلك من أهم سمات الشخصية العنصرية كما يراها « ليرنو »[٤] ، فإلى جانب الأعوام السبعة التى قضاها فى « باريس » وما انطبع فى نفسه عن إنكار الغرب لفضل العرب على الحضارة - والعام الذى قضاه فى العراق ، كانت له عدة جولات فى أقطار العالم العربى مثل المغرب ودمشق والقدس وبيروت وغيرها ، من بيئات عربية آمنت بقوميتها ، مما أتاح له أن يرى ويسمع ويتحدث عن الأمة العربية ، وكانت النتيجة هى :

(١) حدة بصره لأبعاد فكر الغرب ، ومقاومة طغيانه .

---

(١) المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية : الدعوة إلى الإسلام - سبتمبر (١٩٧٢) ص ٢٩٠ .

(٢) نفس الفصل ص ٧٣ .

(٣) أنور الجندى : زكى مبارك دراسة لحياته - مرجع سبق - بتصرف - ص ٩٩ .

(4) Lerner, D., The passing of traditional society.,1958.

الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق - ص ٤٠٥ .

(٢) تعميق فهمه للقومية العربية ، وتبنيه لفكرتها .

(٣) مضاعفة أمانته للفكر العربي .

ولعل تلك النتيجة التي خرج بها من جولاته ، كانت وراء مقاومته لسيطرة أوروبا على العالم العربي في العلوم والآداب والفنون ، وحتى لا يساء فهم غرضه القومي ، يقول : « ما أدعو إلى غض أبصارنا عما في أوروبا من آثار العقول ، فهذا كلام لا يقوله رجل متخرج في السربون ، إنما يجب أن نروض أبناءنا على الشعور بأن لهم أدبا وعلما وفنا ، يجب أن نروض أبناءنا على الشعور بأن لنا عقولا وأذواقا وأحاسيس ، إننا صالحون لبناء مجدنا الأدبي والعلمي بأيدينا »[١] .

والواقع أن « مبارك » لا ينظر إلى هذا الموضوع من ناحية الغيرة على الاستقلال العلمي فحسب ، بل يستهدف أيضاً تدعيم العزة القومية بتراث الأمة العربية وحضارتها وخاصة أن طغيان الغرب الفكري واللهث وراءه والاعتماد عليه هو اعتراف خطير بأن حضارتنا واهية ولغتنا عاجزة ، ونحن فقراء ، ويبدو أنه يتفق مع « شكيب أرسلان » في أسس النهضة العلمية للأمة ، وفي ذلك يقول « شكيب » : « أن[٢] التجاريب من قديم الدهر أثبتت أن التربية العلمية لا تنهض بالأمة نهوضا حقيقيا إلا إذا حصلت ضمن دائرة لغتها وتاريخها وعقيدتها ومشربها ، فهو يربط بين النهضة العلمية للأمن وبين إطار لغتها وتاريخها وعقيدتها وشخصيتها ، كما يربط « مبارك » بين الأمة وبين دعمها بمجدها الأدبي والعلمي ، ذاهبا من وراء هذا التدعيم إلى تعميق القيم النضالية والاستقلالية في جماهير الوحدة العربية ، وهذا يؤكد أنه كان في أغلب أحواله خادما أمينا لقومية العرب ، بل من طليعة المجاهدين لأجل هذه القضية .

زكي مبارك والثقافة العربية :

وحتى تكتمل الصورة الكبرى التي يريدها « مبارك » لتأصيل الثقافة العربية ، نراه حريصا على تمجيدها من خلال اهتمامه بذخائر الأدب العربي وولائه لها ، وعندما رجع إلى القاهرة من باريس في مارس (١٩٣١) أخذ ينشر في جريدة البلاغ « مقالات عن ذخائر الآداب العربية ، حتى أن « الدكتور إبراهيم ناجي ضاق صدره بتلك المقالات »[٣] ، فقد كان ينتظر منه أن يكتب مقالاته عن الأدب الفرنسي ، وقد أشار « مبارك » إلى أهمية إحياء أمجاد العرب وثقافتهم لقدرتها على التئام شمل العروبة ، إذ أن « العرب لا يزالون أقوياء يخشى شرهم ، وذكرياتهم الأدبية والعلمية والتشريعية مقرونة بالإسلام ، وكل إحياء لذكريات العرب خليق بأن يثير الزهو والكبرياء في نفوس الأمم الإسلامية »[٤] .

وقد دفعه إيمانه بأصالة الثقافة العربية إلى النظر إلى من اعتبروا العرب نقلة مقلدين لليونان والفرس ، على أنهم هم « الشعوبية » ، أعداء الأمة العربية ، وذلك لما تتميز بها ثقافة العرب عن غيرها من الثقافات « فآثار العرب ترجع في صميمها إلى التشريع ، وهو من المعاني الجافة التي لا يقبل عليها غير أهل الجد من كبار الباحثين

(١) الدكتور زكي مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ٤٩ .

(٢) الفتح : ٢٤ ربيع الأول (١٣٥١) ، الدكتور احمد الشرباصي : شكيب أرسلان ـ القاهرة ـ ص ١٢٥ .

(٣) الدكتور زكي مبارك : ديوان ألحان الخلود ـ القاهرة ـ ص ٧ .

(٤) البلاغ : ١٥ يناير (١٩٣١) ، البدائع ـ القاهرة جـ ٢ ص ١٦٥ .

ولا كذلك آثار اليونان ، فإن معظمها يرجع فى جوهره إلى الأدب الصريح الذى يثير الشهوات ويهيج الأهواء [1].

وعندما حمل « طه حسين » لواء الدعوة إلى « النزعة اليونانية » منذ عام (١٩٢٥) أنكر عليه « مبارك » مسايرته لباحثى أوروبا فى تمجيد ثقافة اليونان ومشايعته لمن كتبوا فى ذلك[2] ، « ومبارك » لا يريد بدفاعه عن العرب وثقافتهم ومدنيتهم أن يزعم لهم أمجادا مكذوبة ، أو يدعى لهم ما ليس بحقيقة ، بل هو يتقيد فى تمجيدهم بالحق والواقع ، ويحارب الادعاء الباطل عليهم ، لذلك يعود فيقول : « وأنا لا أسوق هذه المؤاخذة تعصبا لبلادى ، فاليونانيون أنفسهم يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين ، وكانت زيارة مصر واجبة على كل يونانى يريد التفقه فى أسرار الوجود » ، كما يؤكد أن أستاذية مصر الفرعونية لليونانية الوثنية ليست أسطورة من الأساطير بل هى حقيقة من الحقائق [3].

ولا يطيق « مبارك » أن يسكت على صديق أو غير صديق يحاول الغض من ثقافة العرب وحضارتهم ، حتى لو كان غضه فى سياق الخيال ، أو من قبيل التعبيرات الشعرية التى لا تلتزم بحدود العبارة العلمية ، فعندما نشر « أحمد زكى أبو شادى » مقالا بمجلة « أدبى » عام (١٩٣٦) لخص فيه آراء « فرويد » ، ووصفه بأنه « الرسول الجديد »[4] ، وقف « مبارك » منه - وهو صديقه - موقفا حاسما ، وقال :[5] « قرأت مقال الدكتور أبو شادى عن (فرويد) فلم يرضنى . . وما أحب له أن يتورط فى مسائل تفسح المجال أمام الدساسين ، وما أحب له أن يفتح أعيننا على مأساة جديدة فى عالم الأخلاق » ، وأخذ « مبارك » يحاسبه بأقسى ما يكون من العنف مفندا مزاعمه وأبعادها ، من أجل تنقية ثقافة العرب ودينهم من غبار الغرب وآثاره ، ورد عليه خصمه بقوله :

« لا يجوز حمل تعابيرى الشعرية فى مقال عن « فرويد » على المحمل الذى ذهبت إليه ، إذ ليس من المعقول أخذها على حرفيتها ، ولولا الجو الذى خلقه حب الكيد لى لما رأى أحد فيها شيئاً »[6] ،

وفضلا عن حب الكيد أسند إلى « مبارك » تهمتى « الجمود » و« الرجعية » ، لكن « مبارك » فى سبيل تنقية الفكر العربى لم يبال باتهاماته ، لأن حزب الباطل أضعف من أن يحسب له حساب ،

كما تشدد فى محاسبة « سلامة موسى » ، رغم أنه - أيضاً - « صديق عزيز »[7] ، وذلك عندما نشر بمجلة « اللطائف »[8] مقالا عن بعض أدباء مصر ، « طه حسين والعقاد والزيات وزكى مبارك » ، جاء فيه « أنهم فى حقيقتهم وشعورهم متفرجون مستمتعون لأنهم يعالجون العادات العربية التى تدرس للذة والاستمتاع ، وليس للمغزى والكفاح » ، فهل يسكت « مبارك » لأن قائل هذا صديق حميم ؟ ، وكيف وقد تجنى على أدب العرب بتجريده من العمق والمغزى وإلحاقه إلى اللذة والمتعة ، وقد راع « مبارك » أن هذا كلام قد يزيغ بصائر القارئين لما ينطوى عليه من أبعاد خطيرة ، فمضى ينقض ما ذهب إليه « سلامة موسى » ، قبل أن يفعل فعله فى القلوب

(١) المرجع السابق - ص ١٦٦ .

(٢) راجع نزاليه « النزعة اليونانية » فى معاركه الأدبية .

(٣) الرسالة : ١٥ نوفمبر (١٩٤٣) .

(٤) راجع نزاليه (بين التجديد والتغريب) فى معاركه الأدبية .

(٥) البلاغ : ٢٣ أغسطس (١٩٣٦) .

(٦) البلاغ : ٣ سبتمبر (١٩٣٦) .

(٧) الرسالة : ١٩ أغسطس (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ٧٩ .

اللطائف المصورة : ٩ سبتمبر ١٩٤٠ .

والعقول ،[1] وفى مجال حث الكتاب والقاصين على التمسك بالفصحى ، مدح « المازنى » لالتزامه بها قائلاً : « وأفصح من كتب القصة فى هذا العصر الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، فهو الكاتب الوحيد الذى استطاع أن يحول تعابير العامة إلى تعابير فصيحة لا قلق فيها ولا اضطراب »[2] ، وفى نفس الوقت قدح « محمود تيمور » لتوشية قصصه باللغة العامية ، فقال : « صديقنا (تيمور) مفتون بالمستشرقين . . وهؤلاء الصبيان من المستشرقين يسرهم أن يسجلوا أن أول من كتب العامية بحروفها النطقية هو فلان ، والأستاذ محمود تيمور يسره أن يكون ذلك الفلان »[3] .

وفى ضوء هذا الفهم يبدو لنا « زكى مبارك » نسيجا وحده فى مجال تنقية الثقافة العربية من تيار « التغريب » وهو التيار الذى سار فيه كثيرون من بينهم « طه حسين وسلامة موسى وأحمد زكى أبو شادى ، ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ولطفى السيد وإسماعيل أدهم ، وعبدالعزيز فهمى »[4] ، وقد شايعوه وروجوا له ، فكان « مبارك » أصدق إيمانا وأقرب إلى الحق وأبعد عن الانحراف ، عندما قاوم اللغة العامية دفاعا عن لغة العرب ، وعندما تصدى للدعوات الإقليمية كالفرعونية أو الشعوبية ، وعندما نفى عن العرب تهمة التخلف العقلى ، وعندما عارض النزعة اليونانية ، وعندما حذر من أخطار الثقافات الأجنبية ، ونادى بالاستقلال لغة ودينا وتقاليد .

وفى مجال تأكيده على صمود الثقافة العربية كتب تحت عنوان « حياة مصر الأدبية فى عهد الاحتلال » يصور كيف حاولت بريطانيا جعل تعليمنا يعمل لإخراج الموظفين فلم تفلح ، وكيف حاولت فرض الثقافة البريطانية فلم تفلح ، وكيف عمدت إلى جعل الجامعة مباءة للإلحاد فلم تفلح ، وكيف حاولت محاربة اللغة العربية فلم تفلح (٥) ، والواقع أن « مبارك » كان مؤمنا بصمود الثقافة العربية وحيويتها ، ومن ثم فقد تصدى لمن أراد النيل منها .

وترجع أهمية محاربته للانحراف فى الفكر العربى المعاصر إلى تهيئة المناخ اللازم لتنقية الثقافة واستقرارها فى الأمة ، وبذلك يساعد الاتصال الجماهيرى فى تحقيق وظائفه الإعلامية من تفسير وإرشاد وتوجيه وتثقيف ، إلى غير ذلك ، « فالاتصال الجماهيرى هو فى أساسه تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها ، ولا يمكن أن يكتب له أى نجاح يذكر ما لم يكن انعكاسا صادقا لهذه الثقافة أو الحضارة »[6] ، وكأن « مبارك » كان مدركا بأن الاتصال الجماهيرى لن يكون له انعكاس صادق لثقافة تتسم بالبلبلة والاضطراب وفقدان الثقة ، فأخذ يسهم فى استقرار الثقافة ووحدتها .

ويظهر مما سبق أن « مبارك » كان من أوائل الداعين إلى تمجيد الثقافة العربية ، كما كان من العاملين على النهوض بها والذود عنها إيمانا بقدرتها على تعبئة المشاعر والأفكار والوجدان الجماعى ، ولعله أول من دعا ـ أيضاً ـ إلى تكوين « شخصية للأدب العربى »[7] تأخذ بالأصالة والتجديد ـ بلا محاكاة أو تقليد ـ وتجمع حولها عقول العرب وقلوبهم ، وتستقل بطابعها العربى التام عن هذا الدوى الهائل الذى تدفع به إلينا ـ كل يوم ـ ثقافة الغرب .

---

(١) راجع نزاليه « ماهية الأدب » فى معاركه الأدبية .

(٢) البلاغ : ١٦ اكتوبر (١٩٣٣) .

(٣) الرسالة : ١٥ ديسمبر (١٩٤١) ، زكى مبارك ناقدا ـ القاهرة ـ ص ١٤١ .

(٤) أنور الجندى : المعارك الأدبية ـ القاهرة ـ ص ٥ .

(٥) البلاغ : أول يولية (١٩٣٢) .

(٦) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مرجع سبق ـ ص ١٩٩ .

(٧) البلاغ : ٢٦ اكتوبر (١٩٣٠) ، البدائع ـ جـ ٢ ص ٥٥ .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حملة القرآن

قال الحسن : حملة القرآن ثلاثة نفر : رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس ، ورجل حفظ حروفه ، وضيع حدوده ، واستدر به الولاة ، واستطال به على أهل بلده ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن الكريم - لا أكثرهم الله - عز وجل - ! ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه ، فسهر ليله ، واستشعر الحزن ، وتسربل الخشوع ، وارتدى الوقار ، ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن ، أقل من الكبريت الأحمر ، بهم يسقى الله الغيث ، وينزل النصر ، ويدفع الأعداء .

حقائق

أضعف الناس من ضعف عن كتمان سره ، وأقواهم من قوى على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له .

حب الدنيا

من لهج قلبه بحب الدنيا التاط[1] قلبه منها بثلاث : هم لا يغبه[2] ، وحرص لا يتركه ، وأمل لا يدركه .

(١) التاط : التصق .

(٢) هم لايغبه : ملازم له .

العلم والتقوى

قالوا فلان عالم فاضل
فأكرموه مثل ما يقتضى
فقلت مالم يكن ذا تقى
تعارض المانع والمقتضى

الطعام حار

جلس أشعب مع قوم يأكلون فبكى ، فقالوا له : لماذا تبكى ؟ فقال : الطعام حار ! قالوا له : دعه حتى يبرد ، فقال أشعب : ولكنكم لا تدعونه !!

العشيرة

قال الأحنف بن قيس سيد بنى حنيفة ، وهو الذى قيل فيه ؛ إذا غضب غضب له مائة ألف سيف ، لا يسألونه مم غضبت .

قال : من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ، ومن خانه ثقاته فقد أُتى فى مأمنه ، قال الشاعر :

كنت من كربتى أفر إليهم
فهم كربتى فأين الفرار

وقال آخر فى هذا المعنى :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه
فقل أين يسعى من يغص بماء

أخى

لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ، ولا بمغلوب على رزقك ، ولا بمرزوق ماليس لك ، فعلام تقتل نفسك ؟!

حقا

سيكون الذى قضى
غضب المرء أم رضى

قلة الكرام

قال أبو تمام :

ولقد يكون ولا كريم تناله
حتى تخوض إليه ألف لئيم

وقال ابن أبى حازم :

وقالوا لو مدحت فتى كريما
فقلت : وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا
وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يُعد ليوم هول
ولا أحد يعود على عديم

دعاء

اللهم إنى أعوذ بك أن أفتقر فى غناك ، أو أضل فى هداك ، أو أضام فى سلطانك ، أو أضطهد والأمر لك !!

من أعلام الأزهر

الدكتور على العمارى[1] في بحوثه العلمية

للأستاذ الدكتور:
محمد رجب البيومى

لا أعرف فى زملائنا المتأدبين ، من هو أشد شكيمة ، وأصلب عودا من الدكتور على محمد حسن العمارى ، وقد قصدت بلفظ المتأدبين أن أرجع إلى عهد الصبا الناضر حين كان العمارى طالبا بالأزهر ، يقرأ دروسه باعتناء ويصل إلى الدرجات الكبرى فى الامتحان ، ثم هو فى القسم الثانوى يكتب فى الأهرام وفى السياسة الأسبوعية بحوثاً ذات ابتكار وينشر قصائد ذات بريق ، وله غيرة على الحق تجعله مهيبا أمام أساتذته حيث يناقش المدرس بطلاقة واعتداد ، ومعه دليله وحجته ، وهو مع الزملاء أشد حمية ، وأقوى نضالا وهذا إذا اعتقد أن الحق معه ، فإذا بدا له فى تشقق الجدل ما يضعف حجته ابتسم وسلم عن محبة وإخلاص ، أما غيرته على مقدسات الإسلام ونصوص الشريعة ، كغيرة أسد هصور ، وهو فى بعض الأحيان يخرج عما يعده الناس مداراة وكياسة حتى ليأتى بما يوقعه موقع التحقيق ، وكلنا يذكر غضبته لرسول الله - ﷺ - فى مجلس الأستاذ الزيات بإدارة « مجلة الأزهر » ، حين سمع بعض المتسرعين ينطق بما يجب أن يتحرز المسلم عن قوله ، فبادره بالصفع واللكم وقام الزيات ورمى بنفسه على القائل المتسرع ، ليحميه من أذى قد يودى به فتحل المسئولية على علىّ ، وأذكر أنى قلت لعلى بعد أيام من وقوع الحادث المشتهر ، كان الزجر باللسان كافيا يا أخى ، فقال وعينه تخطف ببريق حاد : ما هذا يافلان ، الموقف موقف رسول الله فهل أبالى عاقبة ما ! وكان الرجل صادقا كعهدى به .

---

(١) ولد - رحمه الله - فى ١٩١٣/٤/٣ وانتقل إلى جوار ربه فى ١٩٩٨/٧/٢٧

وقد تعلم ناشئا بمعهد الإسكندرية ثم بكلية اللغة العربية ، وعمل مدرسا بالأزهر حتى نال الدكتوراة فى البلاغة والنقد فالتحق بالجامعة ، وتهادته البلاد العربية مبعوثا علميا فى معاهدها وجامعاتها ، ولم يكن يترك القلم مادام معافى صحيحا ، حيث امتلأت المجلات الأدبية والعلمية ببحوثه الضافية ، وأكثرها جديد مبتكر لأنه لم يكن يخوض فى المعاد المردد ، بل يعمد إلى العويص من مسائل العلم وبخاصة مسائل النقد والبلاغة فيأتى بالجديد حقا ، وأنا أعجب لأناس سار ذكرهم فى البحث العلمى ، وأحرزوا شهرة لم ينلها الدكتور العمارى وهم دونه بمراحل ، وأحار فى تعليل ذلك ، ويخيل إلى أن عمق البحث ، وجدة الموضوع ، وإيجاز الأسلوب مما باعد بين نفر من القراء وبين بحوث العمارى ، ولكن الصفوة من الدارسين يعرفون العمارى وينزلونه النزل المطمئن بين الباحثين ، على أنه لم يجمع أكثر ما كتب ، فظلت مقالاته الجيدة بعيدة عن الأيدى فى مطاوى مجلات الأزهر والرسالة والتضامن الإسلامى ورسالة الإسلام ونور الإسلام ! وقد جمع فى عهد الطلب بالقسم الثانوى ديوانا شعريا ، كان باكورة طيبة من ناشىء يطمح إلى الأوج ، وقد هزته أريحية المراهق المتوثب فقال عن ديوانه :

قد قلت شعرا لو بعثت بدره
للخلد لاستبقت إليه الحور
كم عز آبده على طلابه
وكم ابتغاه متوج وأمير
لم تُنش أحرفه اللغات وإنما
صنع الجمال حروفه والنور

وأذكر أنى منذ عهد قريب قلت له : ياعلى ، ألا تزال الحور مشوقات إلى ديوانك ، فابتسم قائلا : يا أخى أنت لا تنسى الحق ولا الباطل . وكأنه يعد ما قال باطلا وعلىّ أن أنساه ، وأعجب ما كان يروعنى من الدكتور العمارى أنه يبدع فى البحوث الدينية إبداعه فى البحوث الأدبية حتى كأنهما فرسا رهان ! وصفحات « مجلة الأزهر » تسجل على مدى خمسة وأربعين عاما نقدات صائبة ممتازة وجهها لكتب منحرفة ، فأماط اللثام عن دوافعها ومطاويها ، وكان صريحا لا يحجم ، ولكنه كان كثيرا مايتجاهل اسم المنقود الدعى ، فلا يشير إليه ، بل يواجه القضايا ، مكتفيا بالمقول عن القائل ، ووجهة نظرة فى ذلك أنه لحظ أن هؤلاء الخائضين فى دين الله بما لا يعرفون يسرهم أن تشتهر أسماؤهم ويعدون ذلك كسبا أدبيا يروج به ماطبعوه وسودوه ، فإغفال أسمائهم أشد ألما وأبعد نكالا ، وما أخطأ الرجل فى فهمه ، لأن هذا هو الواقع الأليم .

وهذه الصفحات المحدودة لا تتسع للاتجاهات المختلفة فى آثار العمارى ، وقد رأيت أن أخص الناحيتين النقدية والبلاغية بما ألقى من ضوء ، لأن الفقيد أستاذ « تخصص فى البلاغة والنقد ، وادى واجب العلم فيما برع فيه ، فجادل وناقش ، وعارض وعورض ، وسار له ذكر طيب بين الخاصة من الدارسين فى هذا المجال ، وهو بذلك قد يسر لنا القول دون إرهاق .

لقد كانت أيام الثلاثينيات وماتلاها من أرقى أزمنة النهضة الأدبية بالقاهرة ، حيث كان للمحاضرات الأدبية مواسم آهلة تجمع شباب الجامعتين الأزهرية والمصرية ، إذ لا كرة قدم تشغل ، ولا شاشة تليفزيونية تلهى ، وكان الجمهور يعرف من المعقبين على هذه المحاضرات شابين معممين بارعين ، هما أحمد الشرباصى وعلى العمارى ، أما الشرباصى فيبهر بأسلوبه الخطابى الرقيق ، وبهدوئه المتزن ، وأما العمارى فيروع بالحجة البالغة ، والعلم الشامل ، وأذكر للعمارى موقفا كان السبب فى معركة أدبية حامية دارت على صفحات الرسالة بين الدكتور زكى مبارك والأستاذ السباعى البيومى ، حيث ألقى السباعى بمدرج دار العلوم محاضرة علمية قيمة عن المبرد صاحب الكامل ، وقد تعرض لشرح الكامل الذى كتبه العلامة سيد بن على المرصفى تعرضا متسرعا إذ نال من مكانة الشيخ بما كان الأحرى به أن يبتعد عنه ، وكان العمارى من حضور هذا الحفل الحاشد ، فتقدم إلى المنصة ليسأل الأستاذ السباعى أربعة أسئلة علمية ، هى فى الوقت نفسه رد حاسم على كل ما قاله عن المرصفى ، واضطر المحاضر إلى الإجابة ، فتورط فى رمى المرصفى بالجهل والادعاء ، وذاع الأمر فى بريد الرسالة ، فتحمس الدكتور زكى مبارك وهو من تلاميذ المرصفى للدفاع عنه ، وهاجم السباعى بعبارات قاسية فقامت معركة أدبية بين الأديبين الكبيرين ، ومن العجب أن المعركة فى بعض أسبابها قد دارت حول المقامات الأدبية ، ومن كان السابق فى إنشائها من الأدباء ، وادعى مبارك أنه السابق إلى معرفة المنشىء الأول للمقامات وهو أبو بكر بن دريد ، كما ذكر أن السباعى قد أخذ منه اكتشافه الأدبى دون أن يشير إليه وعدّ ذلك سرقة ، وتبرأ السباعى مما قاله مبارك ، ولم ينتهيا معا إلى رأى حاسم ، ولكن العمارى بعد أن هدأ النقاش ، أخذ يبحث المسألة فى هدوء ، ورجع إلى مصادر شتى ، حتى اهتدى إلى أديب لم يذكره أحد ممن أرخوا نشأة المقامات على أنه المبدع الأول . وإن ذكره مؤرخوه على أنه أديب قاص ، هذا الأديب هو أبو المطهر الأزدى محمد بن أحمد ، وقد سبق وجوده البديع الهمذانى بأكثر من سبعين عاما ، وبين أدبه وأدب بديع الزمان الهمذانى من التشابه ما ليس بين أدب ابن دريد وبديع الزمان ، فهوإذن مبتدع المقامات يقول العمارى[1] :

« شخصية أبى القاسم البغدادى [راوية الأزدى] وشخصية أبى الفتح الإسكندرى [راوية بديع الزمان الهمذانى] متشابهتان حتى فى التسمية ، وهما خرافيتان وكل منهما جمع أدوات النصب والاحتيال والنفاق ، فترى الواحد منهما يدارى أهل المجلس وينافقهم ، فيلبس ثوب التقى والصلاح ، حتى إذا رآهم على استعداد للهزل انقلب لاعبا متمردا عارفا بغرائب الخلاعة والمجون ، وقد وصف كل منهما الحياة الاجتماعية

(١) دراسات أدبية للدكتور محمد رجب البيومى

فى عصره ، فحكاية أبى القاسم وصف لحياة بغداد وما فيها من خلاعة ولهو ، وتدوين لكثير من عادات أهلها ، وإذ دون مظاهر الحياة فى عصره ، وكذلك فعل البديع فى مقاماته ، وكما دونا كثيرا من العادات ، دونا كثيرا من الألفاظ الجارية على الألسنة ، وينتقل أبو المطهر من فن إلى فن فى دعابة وظرف ، وحكايته كلها فى مجلس واحد ، وكذلك نرى البديع ينتقل من حال إلى حال .

لقد جاء العمارى بفصل الخطاب فى أمر تعارك حوله الأديبان الكبيران ، ولم يصلا إلى شىء ، ولا أدرى لماذا لم يحرص العمارى على نشر هذا التحقيق فى كتاب مستقل مع ما يشابهه من بحوثه كى يعم صداه الأدبى ، إذ اكتفى بنشر بحثه بمجلة الأزهر بالمجلد السادس عشر ص (١٣٥) وما بعدها ، وإليه رجعت الآن ، ولم أر من احتذاه فيما بعد ممن أرخوا لنشأة المقامات مع أنه عين الصواب غيرى فقد أيدته فى كتاب لى .

هذا مشهد من مشاهد العمارى فى أندية البحث الأدبى بالقاهرة ، وأذكر له مشهداً آخر كنت حاضره حينئذ حيث إن قاعة المحاضرات بدار الحكمة فى سنة ١٩٤٧ قد دأبت على إذاعة محاضرات رائعة فى التفسير القرآنى أسبوعيا يقوم بها نفر من أعلام الباحثين كالأساتذة محمود شلتوت وعبد الوهاب خلاف وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب حمودة ، وكان فيما تعرض له الأستاذ الكبير عبد الوهاب خلاف مسألة دوران الأرض حول نفسها إذ قال إن القرآن صريح فى ذلك ، إذ يقول الله عز وجل :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ (النمل : ٨٨)

هذا ما قاله الأستاذ خلاف ، وكان العمارى بين الحضور ، فصمم على أن يرد على الأستاذ ، واتجه إلى المنصة ، فوجد الشيخ يهم بالخروج ، وكأنه كان متعبا لفرط ما أجهد نفسه ، إذ حرص على جدة الأداء ورونق الأسلوب معا فى ارتجال بارع يعرفه الناس عن الأستاذ الكبير ، فأسرع العمارى إليه واستوقفه للنقاش فلم يستجب ، ورأى العمارى أن ينشر نقده على صفحات الرسالة[1] بعد أن حيل بينه وبين ما يريد ، فكتب مقالا موجزا قال فيه بعد أن ذكر ملابسات الموضوع إن الآية الكريمة فى سورة النمل تصور حالة من أحوال القيامة :

﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾ (القارعة : ٤ ، ٥)

وكما قال تعالى فى سورة الكهف :

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (الكهف : ٤٧)

وكذلك قوله تعالى :

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل : ٨٨)

وقد احتاط العمارى فذكر رأيا للزمخشرى يجيز رأى الأستاذ خلاف ، ولكنه لا يراه ، وأنا مع العمارى فى اتجاهه ، لأن الله - عز وجل - يقول قبل الآية الكريمة :

﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (النمل : ٨٧)

(١) مجلة الرسالة : ١٩٤٧/٣/٣١ .

هذه الحمية للرأى الذى يعتقده العمارى تغلب عليه فى كل مجلس علمى يشهده ، أذكر أننا كنا نحضر مناقشة رسالة من رسائل الدكتوراة فى موضوع نحوى دقيق ، فلمس العمارى من أسئلة بعض المناقشين ما ينبىء عن تورطه فى أخطاء ما كان له أن يقع فيها ، واحمر وجه العمارى ، ولكن قانون المناقشات الجامعية لايجيز لأحد من الحضور أن يتدخل فى النقاش ، وهذا ما يعرفه العمارى جيدا ، فرأيته يمسك بالقلم ويدون ملاحظاته ، حتى إذا انتهت المناقشة وتهيأ القوم للانصراف ، عجل العمارى فالتحق بالمناقش ، وعرض عليه رأيه فيما أبداه ، وكان الحق مع العمارى صريحا غير مجمجم ، فسكت الأستاذ على مضض ، وقد أدركت العمارى فقلت له : وما نتيجة ما صنعت لقد انتهى المجلس . وأخذ الطالب دون ما يستحق فى رأيك ، فقال متعجبا أتنتظر منى أن أسكت ؟ لابد أن يعرف المخطىء خطأه !

ومع اشتغال العمارى بالتأليف المدرسى للمعاهد الأزهرية فى سنوات عدة تشمل مقررات البلاغة والنقد ، فإن ذلك لم يمنعه من اليقظة الدائمة لما يحدث فى الساحة الأدبية من عراك فكرى يتجه حينا إلى قضية القديم والجديد ، وحينا إلى قضية الشكل والمضمون ، وحينا إلى ما يسمى بقصيدة النثر ، إذ كان من أقوى معارضيها ، وقد درس كتب التجديد المعاصر ووقف منها موقف المحايد المنصف ، فخالف ووافق وجهر بالحق فى مسائل يعتبرها المجددون قضايا مسلمة لا مجال للخلاف فيها ، ولعل الأستاذ ميخائيل نعيمة كان أكثر الناقدين استيلاء على فكر العمارى ، إذ عارضه فى أكثر ما كتبه فى مؤلفه (الغربال) وهو كتاب نال تقدير الصفوة من الناقدين وفى طليعتهم الأستاذ عباس محمود العقاد الذى كتب مقدمة الكتاب وأثنى على صاحبه بما يستحق ، والخلاف النقدى لا يمنع الثناء الصادق إذا صادف موقعه الصحيح ، كما لا يمنع النقد النزيه إذا انفسح مجاله دون افتعال ، وعلى ذكر الأستاذ العقاد أشير إلى محاورات عدة وقعت بين العمارى والناقد الكبير . حيث عقب علىٌّ على العقاد فى عدة مواقف تعقيبا مهذبا صادف ارتياح العقاد وقبوله ، فأجاب بما أوضح وجهة نظره فى هدوء يلتزمه العقاد مع من يلمح فى نقده صدق اللهجة ، ورغبة الوصول إلى الحق ، وأمثل لذلك بما عقب به العمارى على رأى العقاد فى تفضيل القصة على الشعر ، حيث كان هذا التفضيل مجال نقد لخصمه العمارى فى تفنيد صريح لقول العقاد إن القصة كثيرة الأداء قليلة المحصول ، والطبقة التى تروج بينها القصة لا ترتقى فى الثقافة والذوق مرتقى الطبقة التى يروج لديها الشعر فقال العمارى بصدد ذلك إن القياس الأول ، قد تحدث عنه علماء البلاغة حين قرروا أن خير الكلام وأبلغه ما جمع المعنى الكثير فى اللفظ القليل ، وهذا المقياس لا يصلح للموازنة بين القصة والقصيدة ، ولكنه يصلح للموازنة بين عبارة وعبارة ، أو بيت وبيت لأن فائدة القصة ليست مقصورة على الغرض الأساسى الذى وضعت من أجله ، فهناك التصوير الرائع والوصف الدقيق لحركات الأحياء ونوازع النفوس ، أما المقياس الثانى فليس فاصلا فى رأى العمارى لأن الطبقات الدنيا فى الثقافة والأخلاق لا تروج عندها القصة الفنية الجديرة بهذا الوصف بل تروج عندها أنواع رخيصة من مبتذل القول ومنحدره ، على أن العامة تحب الشعر السهل كما تحب القصة سواء

بسواء ! هذان النقدان واجههما العقاد برد يوضح مذهبه وقد نشر رده فى مجموعة « يسألونك للعقاد » ما بين ص ٢٦٦ وص ٢٧٣ ، ويطول القول لو حاولت تلخيص رد العقاد ، وقد أشرت إلى موضعه ليرجع إليه القارىء الفاحص إذا أراد ، وأنا بهذا أؤكد يقظة العمارى ، ومواجهته المهذبة لناقد كبير عرف بالشموخ والاستعلاء ! وهى مواجهة تكررت مرات أخرى ، أهمها دفاع العمارى عن المديح فى شعر شوقى مواجها رأى العقاد افتعال المدائح الشوقية وصدورها عن غير تجربة حقيقية ، وقد رد عليه العقاد بمجلة منبر الإسلام الصادرة فى صفر سنة ١٣٨٢ هـ ردا قال فيه :

« ولهذا لا نلوم بعض الفضلاء الذين تعجلوا ففهموا مما نكتبه فى هذا المعنى ، أننا ندافع عن شعر المديح بعد أن هاجمناه ، ومن هؤلاء الأفاضل صاحب الفضيلة الشيخ على محمد حسن العمارى الذى يقول إننا نرى العقاد يدافع عن شعر المديح بعدما قضى ردحا طويلا من الزمن يهاجمه كى يهدم شوقى » ونفى العقاد ما اتجه إليه فكر العمارى بأدلة من واقع نقده ، وخلاصة ذلك كله هى أن العمارى يصدع دائما بكلمة الحق من وجهة نظره أيا كان مخالفه ، وقد حمدت للعقاد هدوءه الحليم فى هذه المواجهة على غير عهده فيما يتصل بشوقى ومؤيديه .

ويجب ألا ننسى ما كتبه العمارى « بمجلة الأزهر » فى سلسلة متصلة من البحوث الأدبية تحت عنوان : (مناقشات أدبية) حيث فتح بابا للجدل المدعم حول شخصيات أدبية ذات وضع قلق فى التاريخ الأدبى ، ومن بينها شخصية « تأبط شرا ، وشخصية مالك بن الريب التميمى ، أما تأبط شرا فقد جمع الأستاذ عدة روايات عنه تتضارب وتتناقض وجعل من هذا التضارب سببا للحكم بأن « تأبط شرا » شخصية خيالية لم يعرفها التاريخ ، وأظننى على غير هذا الرأى ، لأن تضارب الأخبار كما يوهم اختلاقها ، فإنه يوهم أيضا اختلاق بعضها ، مع صحة بعضها الآخر ، فإذا أنكرنا مما قيل عن تأبط شرا من أنه تزوج جنية فى الصحراء ، ونازل السعلاة فلا نستطيع أن ننكر وجود لص فاتك عاش فى الصحراء ناهبا سالبا كغيره من ذؤبان العرب ، والشعر المروى على لسانه جيد لا افتعال فيه ، وما أظن أحدا يقدر على نظمه ثم يهبه سواه ! أما مالك بن الريب فقد أكد العمارى وجوده ، وأكد بعض ما روى من شعره ، ولكنه وقف من قصيدته فى رثاء نفسه موقف الرافض ، وقد اتخذ من النقد الداخلى دليلا على افتعال الأبيات واضطرابها فى المعنى بدءا وخاتمة ، وتلك وجهة نظر مقبولة ، ولكنها لا تنفى وجود أصل للقصيدة فى أبيات عدة تجاوزت خمسة عشر بيتا هى من أصدق الشعر وأروعه ، ثم بدا لبعض الرواة أن يزيدوا فى الأبيات زيادة أخلت بالمضمون حين جعلته يتناقض بدءا وخاتمة ، ولقد كان من الأوفق أن يقتصر العمارى على الحكم بزيادة بعض الأبيات لا أن يسارع بالقول الجازم بانتحال القصيدة ، وعزيز علىّ شخصيا أن تفقد هذه المرثية الرائعة نسبتها إلى أب معين ، وفيها من حرارة العاطفة ، وصدق الواقع ، وقوة الإيحاء ما لا نجده فى كثير من المراثى ، وهى بهذا الصدق الأمين أصيلة أصيلة زيد عليها بما لم يطمس بريقها الأخاذ .

« يتبع »

العلوم الكونية

قراءة إيمانية فى كتاب الكون من البداية إلى النهاية

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

البداية

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾
(الأنبياء : ٣٠)

وقد جاء فى التفسير أن السموات والأرض (كانتا رتقا) أى شيئا واحداً متصلا ، وهذا يدل على أنهما من عناصر واحدة ، (ففتقناهما) أى فصل الله بينهما فانتثرتا فى الفضاء أجزاء حيث شاء الخبير العليم . والرتق لغة يعنى : الضم والالتحام ، وهو عكس الفتق ، يقال : رتقت الشىء فارتق أى التأم .

ولما كان من معانى الإعجاز فى اللغة العربية الفوت والسبق ، فإن القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ينفرد بالسبق المعجز إلى تقرير حقيقة كونية عن أصل الكون تمثل تحديا مستمرا للعلم البشرى مهما تطور وتقدم ، ذلك لأن قضية أصل الكون ونشأته تعتبر من أمور الغيب التى يعلم الله وحده حقيقتها الكاملة مصداقا لقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (الكهف : ٥١)

لكن غيبية هذه القضية لم تمنع العلماء بحكم تعاليم الإسلام - أن يواصلوا البحث والتنقيب عن آيات الله فى الكون ليزداد الإنسان إيمانا بقدرة الخالق المبدع ووحدانيته . قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

(العنكبوت : ٢٠)

ولقد حقق العلم الحديث نجاحا محدوداً على طريق البحث عن أصل الكون فاستعان العلماء بتقنيات متقدمة فى الرصد والقياس لدراسة مسائل عديدة تتصل بتطور النجوم وخصائص موجات الراديو (اللاسلكى) وطبيعة الأشعة الكونية وغيرها .

واستطاع الفلكى « أدوين هابل » Edwin Hubble أثناء تحليله للضوء المنبعث من المجرات البعيدة ، أن يكتشف تباعد جميع المجرات الممكن رصدها عن بعضها البعض ، وكان هذا أول مفتاح على الطريق للكشف عن أسرار تاريخ الكون . فإذا كانت المجرات تتباعد الآن عن بعضها البعض ، فلابد إذن من أنها كانت فى الماضى السحيق متحدة ، مما يدل على أن للكون بداية .

وفى عام ١٩٤٨ م طرح الفيزيائى « جورج جامو » G . Gamow نظرية الانفجار الكبير Big Bang ، وهى من أكثر النظريات العلمية المقبولة عقلا فيما يتعلق بتفسير نشأة الكون المادى كله . إذ تصور هذه النظرية أن المادة الكونية الأولى كانت محتواة فى حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئا . وكانت هذه « البيضة الكونية الأولى » Cosmic egg كما يسميها العلماء ، فى حالة انضغاط شديد رفع من كثافتها ودرجة حرارتها إلى حد كبير جدا ، وجعلها فى حالة مواتية لجميع التفاعلات النووية . حينئذ حدث الانفجار الكونى الكبير فى لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها - حسب أرجح التقديرات العلمية - إلى ما بين ١٢ و ٢٠ مليار سنة . ونتج عن ذلك تباعد المجرات وتخلخل الكثافة ونقصان درجة الحرارة تدريجيا حتى أصبحت هذه الخصائص من أهم الوسائل التى يستعين بدراستها العلماء على فهم طبيعة الكون .

وقد أوضح « جامو » أن عمليات التمدد والتبريد تؤدى إلى تشتت وهج خافت من الإشعاع الأساسى بشكل منتظم فى جميع أرجاء الكون . وتأكدت صحة هذا الرأى عمليا فى عام ١٩٦٥ م عندما اكتشف العلماء بمحض الصدفة ، وباستخدام جهاز ضخم لالتقاط الموجات الدقيقة Microwaves إشعاعا ضعيفا منبعثا من الفضاء ، وأثبتوا أنه بقية من الإشعاع الأصلى الناتج من الانفجار الكبير .

الاتزان الكونى :

قال - تعالى - :

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾

(الرعد : ٢)

تشير هذه الآية القرآنية الكريمة إلى بعض الظواهر الكونية التى أخبر بها الله - سبحانه وتعالى - لتدل على كمال قدرته وبالغ حكمته ، ومنها أنه خلق السموات مرتفعات بغير عمد ، أى دعائم ، يمكن رؤيتها بالبصر . وقد جاء فى تفسير ذلك عن ابن عباس ومجاهد والحسن أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى . ولو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيا مطلقا للعمد ، مرئية وغير مرئية . والنفى المطلق يخالف الواقع الذى أودع الله تعالى فيه سننه ونواميسه وآياته التى وعد - سبحانه - بإظهارها مستقبلا على أيدى من

يشاء من عباده . وبهذا يكون المعنى العام أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق السموات ورفعها وربط بين أجزائها وحفظ اتزانها فى مواقعها التى قدرها لها من غير دعائم مرئية ، لأن هذه الدعائم من شأنها وطبيعتها التى أوجدها الله عليها أنها لا ترى أصلا .

ويمكن تصور هذه الدعائم غير المرئية ـ من منظور العلم الحديث ـ بأنها من نوع القوى المجالية التى تعمل وفق قانون محدد من أجل حفظ الاتزان الكونى والإمساك بالأجرام السماوية فى أفلاكها ومنعها من الانفراط فى الفضاء أو الوقوع على بعضها البعض . ذلك أن الأجرام السماوية تتحرك تحت تأثير قوى جاذبة للربط بينها وقوى رافعة لحفظها من السقوط .

وحيث إن قوى التجاذب الرابطة من شأنها أن تقرب وتجمع بين الأجرام ، فى حين تعمل طاقة حركتها (المكتسبة من القوى الرافعة) على انطلاقها بعيدا فى أعماق الفضاء طبقا لخصائص تأثير القوى فى الأجسام ، فإن تقرير حفظ هذه الأجرام من السقوط على بعضها البعض واستمرار دورانها فى أفلاك ثابتة يستلزم بالضرورة العقلية أن يكون تأثير قوى التجاذب مساويا ومضادا (أى معادلا) لتأثير طاقة الحركة ، وتصير الأجرام بذلك على أبعاد ثابتة فى مجموعاتها التى تنتمى إليها ، أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد عادل وساوى بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للأجرام السماوية وتأثير حركاتها المكتسبة من قوى الخلق والرفع ، فحفظها بذلك من السقوط بتأثير القوى الرابطة ، كما حفظها من التفرق بتأثير القوى الرافعة ، وهكذا انتظمت مكونات الكون الهائل فى نظام بديع يحكم حركتها ويمنع تصادمها رغم كثرتها ويحفظ اتزانها واستقرارها فى أفلاكها إلى ما شاء الله ـ

قال تعالى :

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

(يس : ٤٠)

ولم يتوصل العلم إلى إظهار هذه الحقيقة الكونية عن اتزان الأجرام السماوية إلا بعد نزول القرآن الكريم بأكثر من ألف عام ، وذلك عندما اكتشف العالم الإنجليزى « اسحق نيوتن » فى عام ١٦٦٧ م قانون الجذب الكونى بين جميع الكتل المادية لتفسير حركة الكواكب حول الشمس ، وحركة الأقمار حول الكواكب ، ثم أثبتت التجارب العملية صحة هذا القانون فى عالم القياسات العادية ، وقام على أساسه الكثير من الكشوف والاختراعات التى أفادت منها البشرية فى مختلف المجالات ، وخاصة فى مجال تطوير أبحاث الفضاء وإطلاق الأقمار الصناعية التى تدور حول الأرض فى مدارات مختلفة بحسب الأغراض التى صنعت من أجلها .

النهاية :

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴾

(النازعات — ٤٢ : ٤٥)

تؤكد هذه الآيات الكريمة حقيقة القيامة وانتهاء الحياة الدنيا ، كما تؤكد فى الوقت نفسه أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد استأثر بعلم الساعة ، فإليه وحده منتهاها . وليس هذا بالأمر الغريب ، فالإنسان يعلم حقيقة الموت ولكنه يجهل موعد حدوثه .

ويؤكد القرآن الكريم فى آيات أخرى حقيقة فناء الكون وحدوث القيامة والبعث ، وإفراد البقاء

والدوام لله الواحد ذى الجلال والإكرام ، وذلك فى مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

(الرحمن — ٢٦ : ٢٨)

وقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

(القصص : ٨٨)

ولقد توصل العلم الحديث إلى عدة حقائق هامة توافق اهتمام القرآن الكريم وإخباره بمشاهد القيامة وعلاماتها فى آيات كريمة متعددة منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحج : ٦٥)

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر : ٤١)

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى خلق هذا الكون وجعله على أعلى درجة من الترتيب والاتزان والجمال ، وهيأه لخدمة الإنسان المكلف بإعمار الحياة على الأرض وفق السنن الإلهية التى لا تتغير ولا تتبدل . قال تعالى ـ :

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾

(فاطر : ٤٣)

ويخبرنا الحق ـ عز وجل ـ بأن نهاية العالم عندما تحين الساعة ستكون بإيقاف هذه السنن والنواميس والقوانين التى اهتدى الإنسان إلى معرفة بعضها ، من ذلك مثلا أن تعطيل قوانين الحركة والجاذبية بأمر من الله من شأنه أن يحدث انشقاقا واختلالا فى توازن النظام الكونى يتبعه اضطراب فى حركة الأجرام السماوية بعد انقطاع خيط الجاذبية الكونية الذى كان يربط بينها . ولا يمكن للعلم البشرى أن يحيط بكل حقائق هذا اليوم العصيب ، ولا يملك أن يزيد شيئا إلا من خلال ما توحى إليه النصوص القرآنية فى ضوء ما يتوصل إليه العلماء من حقائق علمية . فمن المقبول عقلا أن يؤدى انفراط عقد الأجرام السماوية إلى تناثرها وتصادمها مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴾

(الانفطار — ١ : ٢)

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ ﴾ (القيامة : ٩)

كذلك من المقبول عقلا أن يؤدى الاضطراب فى نظام الكون إلى حدوث زلزال شديد وارتجاج هائل تنهار معه كتل الجبال وتتبدد صلابتها، كما تدك معه الأرض وتخرج ما فى باطنها من أثقال ، مصداقا لقوله ـ تعالى :

﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴾ (الواقعة — ٤ : ٦)

وقوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴾

(المزمل : ١٤)

وقوله تعالى :

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾

(الحاقة : ١٤)

وقوله سبحانه :

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾

(الزلزلة — ١ : ٥)

ويؤكد القرآن الكريم فى مواضع كثيرة على أن هذا الكون بمجراته ونجومه وكواكبه وأقماره ، زمامه فى يد خالقه ، ونواميس الحركة والحياة فيه من تدبير هذا الخالق الواحد الذى يقول للشىء كن فيكون . كذلك يؤكد كتاب الإسلام أن القيامة سوف تحدث بغتة بإذن الله ، وأن حضارة الإنسان على الأرض سوف تذهب بها رجفة من رجفات الاضطراب الكونى يوم الدمار الأكبر لكل شىء إلا ما شاء الله . قال - تعالى -

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ (الأنعام : ٣١)

وقال - سبحانه - : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (يونس : ٢٤)

ومن عجب ألا يؤمن الكفار بالآخرة ، ويعتقدون فقط فى الحياة الدنيا دون بعث :

﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾

(المؤمنون : ٣٧)

وكأن الحياة فى نظرهم مجرد أرحام تدفع وأرض تبلع ولا خلود ولا جزاء . لكن هذا الاعتقاد يتنافى مع حقيقة العالم الآخر الراسخة فى الضمير البشرى لأنها ترضى الجانب النفسى والأخلاقى للإنسان . ومن هنا فإن دعوة الإسلام إلى الإيمان بحقيقة الآخرة تحقق الاتزان النفسى للإنسان فى مقابل إيمانه بحتمية الموت فى الدنيا . قال تعالى :

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾

(البقرة — ١ : ٤)

أهم المراجع :

* محمد أحمد الغمراوى « الإسلام فى عصر العلم » .
دار الإنسان ، الطبعة الرابعة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م
* د . منصور حسب النبى ، « القرآن الكريم والعلم الحديث » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١ م .

بشريات

للأستاذ :
مجدى عبد الحميد بشير

ما أجمل أن يتفيأ المسلمون ظلال البشريات الطيبة ، والأمانى الحلوة ، فى شهر رمضان المعظم ، الذى يسبح الصائم فيه فى بحر زاخر من العطاءات الربانية ، والمواهب الإلهية ، والرحمات السماوية . وتزداد هذه النبرة الحميمة إشراقاً ، ويسطع بريقها حينما يفوح شذا الآمال بعطر العافية وألق الشباب المنبعث من قلب سليم ، وجسم صحيح ، وعقل متفتح يصبو دائما إلى أن يكون الغد أكثر إشراقا ، وأنصع بهاء .

وسبيلنا إلى ذلك آلاء الله المتجددة ، ونعمه التى تترى ، والتى يحلو الحديث عنها ، وقد زاد مغزاه ، وأكسبه عمقا أضواء ألقاها جماعة من أفذاذ العلماء ، أثلجت الصدور بشاراتهم الوضيئة . وسجلتها لهم مجلة Parade الأمريكية فى تنبؤ يكاد يكون غير مسبوق فى مستقبل زاهر للبشرية .

فمنذ بضعة عقود توصل العلماء لعلاجات حاسمة ، لكثير من الأمراض الأساسية ، التى كانت تصيب الناس .

فقد تمت السيطرة ـ ولله الفضل والمنة ـ على السل الرئوى والدرن والجدرى .

كما ساعدت الأساليب الجراحية المتقدمة ، والعقاقير المؤثرة ، فى التغلب على أنواع أخرى من الآلام ، كارتفاع ضغط الدم ، وأمراض القلب والسكر والصرع .

بل إن العلماء ليتوقعون أن يحدث من التقدم فى الخمسين عاما المقبلة ما يزيدنا فهما ، ليس فقط للطرق التى تعمل على أساسها الصبغيات والمورثات ، التى تتحكم فى الجسم البشرى ، بل أيضا تلك التى تعمل بها كيمياء المخ .

وتعميماً للفائدة هاك ما أدلى به جمع من العلماء الحائزين على جائزة نوبل فى الطب .

ويبلغ عددهم خمسة عشر طبيبا يقدمون الأمل للإنسانية فى صراعها الطويل ، لقهر التحديات

التى تواجهها وهى على أعتاب مئوية جديدة فى مسيرها المتئد .

« مشروع الجينوم البشرى » :

بحلول عام ٢٠٠٥ يتوقع العلماء لمشروع أسموه « الجينوم البشرى » وهو مشروع يهدف إلى عمل مسح شامل ودقيق لخريطة المورثات والصبغيات التى يعمل بمقتضاها الجسم يتوقع العلماء لهذا المشروع أن يتم ويكتمل ومعرفة لوحة المفاتيح هذه ستمكن الباحثين من إيجاد عقاقير جديدة ، لعلاج أمراض كثيرة ويقول دكتور / فراندين هيلى المدير السابق للمعاهد القومية للصحة والذى يعمل حاليا بجامعة أوهايو بأمريكا يقول :

إن دراسة خريطة الصبغيات والمورثات والتى تعد بمثابة لوحة المفاتيح للكائن البشرى إذ تتحكم فى كل حركاته وسكناته هذه الدراسة والمعرفة الموسوعية لها لن تترك أى مرض تقريبا دون أن تجد له علاجا . ودراسة الكيفية التى يتوارث بها أبناؤنا وأحفادنا بعض صفاتنا أدت إلى اكتشافات باهرة . فعلى سبيل المثال :

اكتشف العلماء فى العشرة أعوام الماضية مورثات تحد وتمنع من انتشار الخلايا السرطانية فى الإنسان والحيوان والتى وجد أنها قد تتفشى فى كل أعضاء الجسم وتسمى هذه المورثات Oncogenes ومن ثم فإن العلماء بصدد إيجاد عقاقير تحد من ضرر هذه المورثات عندما تنشط وتتحفز للهجوم .

ويشرح ستيفن موكرن نائب مدير المعهد القومى للقلب والرئة والدم نقطة جوهرية فيقول :

إن هناك مايتراوح من ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ مرض ينشأ كل منها عن نقص أحد المورثات بالذات وهذه الأمراض ـ ولله الحمد والشكر ـ نادرة لكنها معاً تمثل عبئا ثقيلا على الصحة العامة .

هذا وقد تحسنت فى العقد السابق القدرة على معالجة مشاكل الصحة العقلية عن طريق جيل جديد من العقاقير ذات التأثير الفعال . ومثال ذلك العقاقير التى تؤثر على كيمياء المخ والتى ساعدت على شفاء ما يتراوح بين ٦٠٪ إلى ٨٥٪ من مرضى إلخلل العقلى ونوبات الإثارة والانفعال والخلل القهرى والاكتئاب وغيره .

وأما د . هيربرت ميردز عميد كلية الأطباء والجراحين بجامعة كولومبيا فيقول :

لقد بدأنا فهم العلاقة المتداخلة بين علوم الحياة والسلوكيات ، إذ منذ بضع سنين لم أكن لأصدق أن جزيئا ما بالمخ يمكن أن يكون له تأثير فى إقدام الشخص على الانتحار ، لكن الآن ثبت لنا بالدليل القاطع أن تلك هى الحقيقة(١) .

وأما مرضا الرعاش وباركنسون وهما اثنان من الأمراض السيئة والأكثر شيوعا فى إصابة العقل بالخلل والارتباك فسوف يتم التحكم فيهما خلال السنوات القليلة القادمة وتواصل مجلة Parade تقديم باقة البشريات والنعم السابغة فتقول أن الدكتور كلود لانفانت مدير المعهد القومى للقلب والرئة والدم متفائل حيث سيتمكن العلماء من إيقاف أمراض القلب والحد من فشل القلب فى أداء مهمته فى القريب العاجل ويبشر مرضى انسداد الشرايين بإيجاد تقنيات جديدة تعيد سريان الدم عبر الشرايين والأوردة إلى حالته الطبيعية المعتادة ويوضح أن العقاقير التى تؤدى إلى انخفاض ضغط الدم وتقوى القلب تتطور يوما بعد يوم ويقدم العلم بشرى نرى أنها مغرقة فى التفاؤل لكننا نسوقها لمجرد العلم بها .

فالعلماء بسبيلهم إلى إيجاد قلب صناعى ذى

(١) ولا يعنى هذا أن المنتحر يعفى من مسئولية هذه الجريمة

مضخات وصمامات ومموِن كهربى ، كل ذلك داخل الجسم بهدف الاستغناء كليا عن القلب البشرى وهى هبة ربانية لا أظن الإنسان بقادر على العيش بدونها .

وحيث إن أخطر ما يصيب الإنسان هو النوبات القلبية ، والسكتات الدماغية ، حين يتسرب الدم للمخ ، فيقتل الملايين من الخلايا ، ويحرم المخ من نصيبه المعتاد من الأكسجين فإن د . دينيس باربوت الذى يقوم بإدارة برنامج لمعالجة النوبات بمستشفى نيويورك يزف البشرى باستحداث ثلاثين عقاراً لمعالجة هذه الأمراض الفتاكة .

بل إنه يؤكد أن وسائل جديدة استخدمت فى تصوير المخ ستجعل من السهل على الأطباء رؤية آثار النوبة قبل حدوثها بوقت مبكر مما يساعد على الحد من أضرارها .

ومرضى السكر ينحصر علاجهم ـ غالبا ـ فى تنظيم الوجبات الغذائية ، وأداء التمرينات الرياضية ، كما أن جرعات الأنسولين اليومية مطلوبة للبعض الآخر . والبشريات التى يسوقها العلم الحديث لهؤلاء الناس كثيرة منها أن بإمكانهم تقليل الضرر ، الذى يصيب الكلى ، والعيون بالتنظيم الصارم لمستويات السكر فى الدم والهندسة الوراثية فى القرن القادم ستؤدى إلى علاج شاف للنوع الأول من السكر وهو النوع الذى لا يعالج إلا بالأنسولين والمسئول عن ١٠٪ من حالات مرضى السكر .

ويبين د . فرانك فينيكور رئيس الجمعية الأمريكية لأمراض السكر هذه النقطة فيقول :

إنه بقياس المستويات غير العادية فى الجهاز المناعى ، والمورثات فى الأطفال الرضع يمكننا توقع من سيصاب بالنوع الأول من السكر وهى خطوة عظيمة إلى الأمام لكن القضاء على مرض السكر سيستغرق من العلماء على الأقل عقداً من الزمان .

أما الفيروس HIV والذى يتسبب فى مرض نقص المناعة المكتسبة « الإيدز » فمن غير المتوقع إيجاد لقاح ، أو علاج له فى القريب العاجل .

والسبب أن ذلك الفيروس يهاجم خلايا الدم البيضاء فى الجهاز المناعى مما يجعل مهمة ذلك الجهاز فى تعقب ذلك الفيروس والقضاء عليه أشد صعوبة ، وهذا الفيروس يشبه تماما فيروس الأنفلونزا ، وهو فيروس ذو قدرة هائلة على التمويه ، والتبدل والتغير واتخاذ أكثر من شكل فى كل عام ، فهو دائب التغير ، وعديم الثبات على حال واحدة .

ومع هذا فإن جهود العلماء لا تتوقف ، والأمل فى الله كبير فى إيجاد لقاح ذى تأثير فعال ، وهو أمر يتطلب من العلماء دمج من ٥ : ١٠ أنواع مختلفة من فيروس HIV المسبب للإيدز حتى تكون النتيجة معقولة .

ويحذر د . ديفيد بالتيمور أستاذ علم الأحياء فى معهد ماساشوستز للتكنولوجيا فيقول : إن علينا سلوك سبيل آخر لعلاج هذا المرض ، إذ ثبت لنا أن كل العلاجات التى أوجدناها تقتل ٩٩٪ من الفيروس فى الأشخاص المصابين به ، ثم سرعان ما يعود الفيروس بمستويات عالية . ولذا فإن الإيدز أو السيدا كما ينطقه الفرنسيون يعتبر من العلل القليلة التى لم يتقدم العلم فى علاجها كثيرا ، وبعد استعراض العلاجات الكثيرة بالعقاقير للإيدز ، والتى لا جدوى من الخوض فى تفاصيلها ينتهى العالم إلى الرأى ، الذى قال به الإسلام منذ أكثر من ١٤ قرنا ، والثابت فى قاعدة الوقاية خير من العلاج فما بالك بديننا الإسلامى

الحنيف الذى يحض على الفضيلة ويبشرنا بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾
(العنكبوت - ٤٥)

أما تورستين ويزل رئيس جامعة روكفلر - فيرى أن العلماء اليوم مهتمون بأنواع جديدة قاتلة من البكتيريا التى تبدى مقاومة ضارية للمضادات الحيوية ويبين أن الكميات الضخمة التى يتم إنتاجها واستعمالها من هذه المضادات دون تصاريح أو إشراف طبى كالأدوية المستخدمة فى المزروعات والعلاجات البيطرية كلها لم تؤد إلا إلى إيجاد جراثيم شديدة المقاومة للمضادات مستمسكة بحقها فى البقاء ويعطى تورستين أمثلة على ذلك كمرضى السل والدرن والذين كان من السهل اليسير علاجهم على مدى أربعين عاما مضت لكن المرض الآن يقاوم بضراوة المضادات الحيوية وكذلك البنسلين الذى كان بمقدوره إيقاف أنواع من المرض لم يعد ذا تأثير فعال فى هذا المجال وينهى ملاحظاته بالقول :

إن السيطرة التامة على انتشار هذه الأنواع الجديدة من البكتيريا ، أمر حيوى للصحة العامة ، فى الأيام المقبلة ، ومعظم العلماء على قناعة بأن المورثات التالفة تؤدى بالخلايا السرطانية إلى السعار والشراهة ، والسبب هو المواد الملوثة للبيئة ، وبعض الأطعمة والعقاقير ، وحتى تصل أبحاث المورثات إلى حلول أكثر حسما فستعالج السرطانات بنفس الطرق التقليدية كالعلاج بالكيماويات والعقاقير والإشعاع والجراحة ، لكن كلام العلماء لا يخلو من بشارة تؤكد أن بعض أنواع السرطان ستتم هزيمتها هزيمة منكرة إن شاء الله قريبا .

ويقدم العلماء أحد سرطانات الجلد ، وهو أكثرها فتكاً ، وأسرعها انتشاراً ، كمثال على ذلك ، مؤكدين أن الباحثين فى جامعة كلورادو طوروا نوعا من العلاج بالجينات ، الذى أثبت فاعلية فى التجارب المعملية على وقف انتشار المرض بفضل الله وعونه .

وفيما يخص علاج أكثر مشاكل الجلد شيوعاً كالصدفية مثلا فإن د . البرت كليجمان أستاذ علم الجلد بجامعة بنسلفانيا يؤكد أننا بإمكاننا مساعدة المرضى ، بيد أننا لم نحرز تقدما ذا بال فى هذا المجال لكنه يشيع الأمل والرجاء عندما يؤكد أنه قد تم تطوير تقنيات جديدة للعلاج من أحدثها الأسلوب المعروف بعلم التكهن بأمراض الجلد ويوضح العالم الكبير مفهوم ذلك العلم الجديد فيقول :

أنه إذا تمكنت أسرة المريض بمرض جلدى ما ، من الاحتفاظ بتاريخ مسجل ومدون ، لهذا المرض ، فإن بإمكان الأطباء القيام بإجراء اختبار للجلد فى عملية بسيطة ، لا يحس معها الجلد بنية المهاجمة ، أو الغزو ، والاختراق .

والهدف من وراء ذلك كله هو التنبؤ بتحديد أى الأمراض ، التى يمكن أن يهاجم الجسم فى معركة استباقية فاصلة والأمل معقود على أنه كلما كان التدخل مبكراً كانت الفرصة مهيأة أكثر لمنع أسوأ الأعراض حدوثا .

وبعد فإن البشرى محققة بالخير الجزيل والتوفيق المنشود لمن وطن نفسه على الاعتدال فى كل شىء .

ويلخص لنا د . هيل المسألة بقوله إن للجينات والكروموزمات دوراً كبيرا فى تحديد قابلية الشخص للإصابة بالمرض لكن اتباع الأساليب الصحية فى الحياة لا يقل أهمية عن ذلك .

وصدق من قال إن ديننا الإسلامى الحنيف جمع الطب والدواء فى نصف آية من كتاب الله الكريم فقال : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ فما أهنأنا بهذه البشريات وما أسعد الممتثلين لأوامر الله المتبعين سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

أتى رمضان . . فابتهج العباد ورف على الورى - جزلا - وداد
فأد حقوقه عملا وقولا لتدخل فى الألى بالفوز عادوا
فمن وضع البذور بغير رىٍّ فلن يلقاه - للأبد - الحصاد !

تقدم خميلة الشعر اليوم ، فى شرف استقبال شهر رمضان المعظم ، أحلى ما وصلها ، تحية لهذا الشهر ، الذى كرمه الله بأن جعله بداية لوحيه . ومقرا لليلة القدر ، كما نصر فيه عبده محمداً - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين معه فى غزوة بدر الكبرى ، فالخميلة اليوم تسجع بحلو النشيد ، معبرة عن مدى سرورها ، لأيام رمضان الخيرة ، ولياليه الساهرة ، والعامرة بذكر الله - عز وجل - ونسأل الله - سبحانه - أن يعيده على أمتنا الإسلامية والعربية ، وقد عاد المسجد الأقصى إلى أحضانه ، بعد أن طال أمد الأسر به .

ونستهل قصائد هذا العدد الجميل بقصيدة : (بشير النصر) للشاعر الكبير / السيد صديق حافظ ، الذى يعبر عن ترحيبه بالشهر الكريم بأسلوبه الرصين النابض بالإيمان .

أما قصيدتنا التالية فهى : (من بشائر النصر فى غزوة بدر) للشاعر خالد محمود إبراهيم سالم ، الذى يعيد إلى القلوب المؤمنة ذكريات النصر العظيم بغزوة بدر الكبرى .

ثم قصيدة تحمل عنوان : (سبحان الله) لشاعر يسعدنى أن أقدمه إلى قرائنا الأعزاء لأول مرة ، فقد أعجبنى أسلوبه فى النظم ، وكذا فى معانيه الموحية ، ذلكم هو الشاعر / محمد محمد عبد الرحمن .

وقصيدتنا الأخيرة : إلى الهائمة بآل البيت (بنت الشاطىء) للأستاذ محمد إبراهيم العرابى .

ونرجو بعد ذلك أن نصل إلى رضاء قرائنا الأعزاء ، والله هو الموفق .

بشير النصر

للأستاذ : السيد صديق حافظ

تعود فتخضر الحياة ، وتورق وتزهر فالأجواء تزهو وتعبق
وتثمر فالأيام يومان : مونق وآخر بالخيرات يهمى ، ويغدق
لياليك ياشهر المسرة والرضا حسان لهن الطهر تاج منمق

***

تهل علينا ذكريات مجيدة ترف بآفاق العلا ، وتحلق
تنزل فيك الوحى نورا ورحمة وفى يوم (بدر) عز لله فيلق
و (مكة) بالفتح المبين تألقت وهذا رسول الله فى (البيت) يشرق
يسبح لله الذى جاء نصره ويعفو عن القوم الجناة ويطلق

***

ولله يوم صائم متبتل ورايتنا فى خط (بارليف) تخفق
تولى عدو الله والذل ظله فلا هو يستأنى ، ولا الذل يسبق
ومن فوقه نار ، ومن تحته لظى تحاصره ، والموت أحمر يبرق

***

ومازال فيها بيننا (القدس) ديننا وقبلتنا الأولى .. لها نتشوق
نطهرها من كاذب خاب وافترى وخاب الذى يدعو له ويصدق
لقد ساء ظن المرجفين بربهم بما بدلوا .. والعهد بالشر يزهق

***

ألم يك مسرى النور (والقدس) موثقا فجند من حلوا الوثاق واعتقوا ؟
وعاث الصليبيون ما شاء مكرهم فزالوا عن البيت الطهور ومزقوا !
وكانوا لئاما .. أغرقوا أرضنا دما ! ولكن صلاح الدين يعفو ويرفق

***

(فلسطين) يفديها بنوها وإنهم لأهل لأن ينفوا الغزاة ويسحقوا
ومن ظن بالله الظنون فقد عدا وجاوز حدا لا يواتيه منطق !
هو الله يحيى الأرض من بعد موتها ويبطل كيد المفسدين ويمحق !

من بشائر النصر فى غزوة بدر

للأستاذ: خالد محمود إبراهيم سالم

إن طال ليلك أو غابت ثرياه   فارفع يديك وقل رحماك رباه
وإن تجاوز خصم حده وبغى   فالجأ إلى الله يحمى ظهرك الله
واسلك سبيل الألى اعتزوا بدينهم   خاضوا الحياة فما ضلوا وما تاهوا
خاضوا الحياة وفى أيمانهم صحف   فيها اليقين وفيها العز والجاه
خاضوا الحياة وكل منهمو بطل   حر تحصنه فى الساح تقواه
بر بإخوانه مدرار مرحمة   شهم شديد على الأعداء تياه
والله أيدهم روحا وأمكنهم   من كل طاغية غرته دنياه

***

وأذكر غداة التقى الجمعان حيث غدا   يوما له مجده فينا وذكراه

في يوم بدر وقد دان العدو لهم بمنطق لغة الأسباب تأباه
حين استحرت لظى واستحكمت وغدا كل تحث به غيظا حمياه
هذا حميته لله خالصة فالدين دولته والحق دعواه
وذاك يدفعه الشيطان في صلفٍ والظلم ديدنه والغدر سيماه
حيث استغاث رسول الله مبتهلا رباه نصرا عزيزا أنت مولاه
هذي العصابة إن تهلك يضع أبدا دين قويم زكي النبع نرضاه
واستنصر الله خير الرسل خاتمهم محمد فرأى البشرى برؤياه
فأرسل الله من آجناده مددا ترنو لصولته الدنيا وتخشاه
أوحى إلى الملأ الأعلى وقد نزلوا هيا لأمر عظيم قد قدرناه
فالساحِ فيها رجال ليس بينهمو إلا أبي شديد البأس تياه
فثبتوهم وخوضوها ولا تهنوا فالنصر منا وإنا قد أردناه
ومن يؤازره المولى وينصره يحظى ببغيته فيما توخاه
قل لي بربك من أردى خصومهمو يوم اللقاء عظيما في عطاياه
من ذا الذي أوهن الأعداء من عدد وعدة ليحق الحق إلاه
وأيد ربك لا أسباب تقهرها من ذا الذي يغلب القهار حاشاه
كل النواميس من آثار قدرته محكومة بنظام لا تخطاه

***

فإن أرابك أمر فاستعن أبدا بمالك الأمر مجراه وعقباه
واسأله نعماه رزقا ومغفرة فضلا تعمك في الدارين سعماه
فلن يخيب مع التواب مدكر ولن يضيع مع الوهاب أوّاه

سبحان الله

للأستاذ: محمد محمد عبد الرحمن

باسم العلى أصوغ الدر .. أغلاه
في سلسلٍ من جمان الشعر .. أصفاه
رب العطايا .. عظيم المن في سعةٍ
لم يعجز الله شيء .. قد تولاه
بكل حرفٍ من التنزيل نبصره
بكل سطرٍ سنى اللفظ أضفاه

***

سبحان ربي تجلى في صنيعته
إن شاء ، أفنى الفتى ، أو شاء أبقاه
أو شاء جمّعه ، أو شاء فرّقه
أو شاء أضحكه ، أو شاء أبكاه
له الجلال له التقديس نعبده
له الخضوع ، وكل الخلق ناجاه

***

رب السموات ، رب العرش والناس
وكل شيء بهذا الكون أحصاه
من أبدع القمر الزاهي ونوّره
من أبدع الكون .. بالأضواء حلّاه
والنيل بين ضفاف الخير عنبره
بالموج يجري .. وباسم الله مجراه
لا تملك النفس إلا ما رجوناه
يارب حقق لداع .. ما تمنّاه

***

الحمد لله نعبده ونخشاه
من أي فعل رديء القصد نأباه
الحمد لله ماسارت بنا قدم
وما خطونا .. بحب جل معناه
غصن السلام إذا كنا غرسناه
هل تزهو الأرض إلا ماغرسناه
والقلب إن سار نحو النور يؤنسه
وإن مشى في ظلام البغي أعماه
وكل نفسٍ لكأس الموت ذائقةٌ
وكل حي له حين سيلقاه

***

الله أكبر .. مادامت عطاياه
الله أكبر .. ما بالحق أملاه
الله أكبر .. ماأمست ليالينا
ونام كل امرئ والليل مأواه
وأشرق الصبح بعد الموتة الصغرى
في رحلة العمر والباري قصدناه

***

يا أيها الناس أوفوا بالعهود ولا
تبدلوا العهد إن العهد نرعاه
تبارك الله هذا الكون في يده
بالحول والطول .. قدوسا رجوناه
وليس إلا الهدى نجوى سرائرنا
ولا أمان لشعب .. لو فقدناه

إلى الهائمة بآل البيت

بنت الشاطئ

للأستاذ: محمد إبراهيم العرابى

درجت على الشط الذى مرآه   يحيى موات النفس إذ تلقاه
ولقد تبناها فعاشت عمرها   تهوى ركوب البحر لاتنساه
ركبت سفين الصعب لاتلوى على   مرسى إلى أن بثها نجواه
تعب السفين وما لبنت الشط من   شغف سوى علم يطل نداه
كم أبحرت كم سافرت مشغولة   وكتابها بيمينها ترعاه
هامت بآل البيت تهدى حبها   عطرا يعم الكون نعم شذاه
باتت على حب الرسول وآله   واستيقظت تهدى لنا أحلاه
ركبت سفين النور تقصد شطها   والحمل نور والشرع جلاه
ولقد أتى التاريخ يخطب ودها   فتعانقا وروت لنا مسراه
عبق تألق يرتوى من ريقها   شهدا تغذى فاستعاد سناه
فأتى بها كى تشهد العصر الذى   صنعت فكان الحق ما أعلاه
سير لأبطال تعالى قدرهم   لم يذكروا والمرء ما أنساه
شهدت فأحيت ذكرهم والعالمين   تذكروا والذكر ما أغلاه
ولقد أجادت فن غوص كله   علم وجاد العلم ما أثراه
قالوا لقد ماتت وهذا نعيها   والنعش محمول ونحن نراه
فلعلها إن يصدقوا قولهم   هى فرحة بحبيبها تلقاه
بجواره يحلو المقام حلاوة   يحظى بها كل الذى يخشاه
هذى النمارق صفها خدم لها   قالوا لها عودى فذا مرساه
بثت زرابى الجنان حفاوة   فى قصر عائشة كما تهواه
لكن فقدنا بدرنا وظلامنا   داج وما ندرى لأين مداه
ولقد حرمنا لفظها منظومة   أنغامه كالشعر عز رواه
لله ما أعطى. له ما يسلب   وإليه مرجعنا وجل علاه

دوحة الكتب

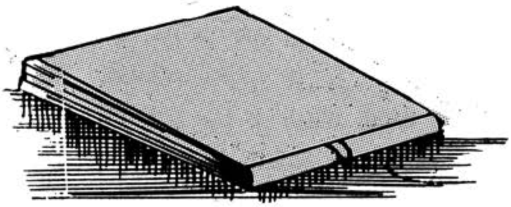

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

مسيرة العالم الطويلة إلى التشريع الإسلامى

تأليف دكتور/ حافظ يوسف

● عزيزى القارىء إن لم يكن هذا الباب شعاعا خالصا ينير ظلمة الحائرين ويفتح لهم طاقات المعرفة فلا فائدة من هذا العرض .

لأننا نطرح أهم القضايا التى تهم الجميع كى نبين لهم أن الإسلام دين الحضارات والإعجاز العلمى .

● واليوم نطرح على صفحات مجلتنا الغراء موضوعا يكاد يكون من أهم الموضوعات ، التى طرحت حتى الآن ليس من باب القراءةفحسب لكن من باب المعاملات الحياتية على بنى البشر بعامة وإن الإسلام يتميز على كل العقائد الدينية بأنه يتحمل العرض العلمى والمعالجة العلمية ، وعلى ذلك فلا يحق لإنسان العالم الحديث أن يصدر قراراً بشأن الإسلام من بعيد ، بل عليه أن يقبل ليفهم محتفظا بحقه فى أن يدبر إذا شاء .

قديما قالوا : إن القرآن عندما نزل كان التحدى فى اللغة ، ولكن الآن أصبح التحدى أكثر عمقا وشدة ، فمن أين يأتى من يقبل التحدى بالإضافة إلى اللغة بفكر يتجدد به التحدى ، فى كل جانب من جوانب الحياة ، مع مضى الزمن ، ولو نظرنا إلى رسول الله - ﷺ - كيف نشأ لوجدناه نشأ فى بيئة جافة من رمال ، وجبال جرداء ، تبعث على اليأس ، الماء والخضرة فيها استثناء ، وكان يتيما أميا فى مجتمع لا يقرأ ولا يكتب ، ومع ذلك فقد جاءنا بعلوم القرآن فى التاريخ والفلك والطب والنبات والسلوكيات ، والتربية ، والعلاقات الاجتماعية ، والجنس ، والفلسفة ، والسياسة والحكمة والتشريع الاجتماعى ، والجنائى ، وأتى بصور بلاغية ثرية معجزة ، وفن قصصى متطور ، ووصف أحوال البحر ولم يركبه ، كما أتى بشعائر لدين متكاملة ، ثم إنه أول من وضع الديانات السماوية الأخرى فى موقعها الحقيقى ، وجاء بنظرية اقتصادية عجزت أمامها النظريات التى تعانى من الأزمات والاندثار ، وظلت شامخة ، كل هذا إلى جانب فكر لما وراء الطبيعة ، يتصف بالجدة والاتساع ، وليس هذا فحسب بل إنه عاش حياة بشرية عادية رغم إنه مارس القيادة الفكرية واللغوية والسياسية والعسكرية ، وحقق فى حياته كل ما تنبأ بأن يقع فيها رغم أن حياته كانت دائما معرضة لخطر القضاء عليها فى مواقف كثيرة .

وفى هذا الكتاب نجد على صفحاته مسائل كثيرة وعميقة ، فى الأمور الخاصة والعامة ، بحياة البشر.

● ففى الفصل الأول تحدث عن الزواج والطلاق . فى : الديانة اليهودية ، والمسيحية من استقرار القرن الثانى عشر الميلادى وحتى الآن .

● وتحدث عن الطلاق فى فرنسا ، وإيطاليا ، والاتحاد السوفيتى ، والولايات المتحدة ، والصين ، والهند ، واليابان .

● ثم انتقل إلى مرحلة وضع المرأة الاقتصادى حيث أشار : أن الإسلام يفصل بين الذمة المالية للزوجة والزوج منذ ١٤٠٠ سنة دون أن يكون للزوج أى سلطان على أموال وأملاك الزوجة إلا ما تقدمه طائعة مختارة ، وعن طيب نفس ، ولكن العالم الغربى توصل إلى فصل الذمة المالية للزوجة فقط ، فى أواخر القرن العشرين مع إتاحة الفرصة لها لكى تحتفظ باسمها قبل الزواج .

● أيضا أشار إلى الأحوال الشخصية لغير المسلمين فى مصر ، وتعدد الزوجات .

● أما فى الفصل الثانى فتحدث المؤلف عن : نظام المواريث ، والأساسيات فى نظام المواريث الإسلامى .

● ثم نظام المواريث فى انجلترا وتاريخها ، وفى فرنسا ، وأسبانيا وإيطاليا ، والولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى والصين والهند .

● ثم انتقل فى الفصل الثالث إلى التأمين الاجتماعى ، ثم على من تجب الزكاة وشروط النصاب ومتى تجب .

● أما فى الفصل الرابع فوضح المؤلف الاقتصاد والملكية فى الإسلام فتعرض لأهم الموضوعات التى تهم المجتمع منها الربا والاحتكار . واحترام الملكية والمحافظة عليها وصك الدين ومال اليتيم والاقتصاد المتوازن والسلوكيات والتربية فى الإسلام تحدث عن السلوك الحضارى الإسلامى والسلوك الصحى .

● والفصل السادس كان موضوعه الحرب والسياسة والتميز العنصرى والسياسة ونظام الحكم فى الإسلام والسلوكيات فى الحرب والتميز العنصرى .

ومن أهم الموضوعات التى تعرض لها المؤلف :

الخمر والميسر ، وتأثير الخمر على الإنسان ، والتعاطى المزمن للكحوليات Clsoholirm وهو

تعبير يطلق على اضطراب السلوك الناتج عن تعاطى الخمور إلى الدرجة التى تؤثر فى الحالة الصحية والذهنية للمتعاطى .

● ثم تحدث عن التجربة التشريعية الأمريكية فى منع الخمور .

وفى الفصل الثامن أشار المؤلف إلى حد السرقة ، وفيه ثلاثة أركان الأخذ خفية ، والمال المأخوذ مملوك للغير والقصد الجنائى .

● أما القصاص فكان للمؤلف معه وقفة سريعة حتى قام بشرح بوافٍ للزنى والقرب منه وجرائمه وحدوده .

● وفى الفصل التاسع تعرض المؤلف إلى أنواع من الحكمة فى القرآن حتى انتهى فى الفصل العاشر إلى أسلوب التشريع فى القرآن .

● وأخيراً عزيزى القارىء هذه هى المسائل ، التى أشار إليها المؤلف ، موضحا بالدليل العقلى ، والنقلى صحة هذه المسائل ، والخوض فيها ، ومعالجتها حتى يكتشف الناس أن القوانين الوضعية أعجز من أن تشكل علاقة دائمة سليمة بين الناس .

يقول روفائيل إسرائيلى مؤلف كتاب « الإسلام فى الصين » أن الدارس لانتشار الإسلام على مدى التاريخ يكتشف أنه على الرغم من أن التاريخ الدينى والسياسى والاقتصادى للإسلام موقعه الشرق الأوسط إلا أن أكبر التكتلات الإسلامية من حيث العدد تقع هناك بعيداً فى شرق آسيا فى مناطق لم تطأها الجيوش الإسلامية .

● هذا هو الإسلام الذى طرحنا من خلاله كيف يعيش الفرد والمجتمع فى سلام ، وحب ، وطمأنينة ، ويحيا حياة كريمة وصادقة .

● وهكذا عزيزى القارىء نقدم لك كل ماهو جديد على ساحتنا الإسلامية ، لتعيش مطمئنا تاركا الحيرة والغفلة .

« رحلات ابن بطوطة »

● إن التراث يمثل أهمية كبرى للشعوب ، ففيه من الذخائر والتجارب ما يستوجب معرفته والاستناد إليه فى تطلعاتنا الحاضرة ، كما أن فقه هذا التراث يساعدنا على تبين نقاط الضعف ومواطن القوة فى حياتنا .

● فالتحقق من معرفة الماضى شرط أساسى لصياغة المستقبل .

وانطلاقاً من تقديرنا للثقافة العربية الإسلامية والإبداع الذى حققته فى مختلف مجالات المعرفة لغة وأدباً وعلماً وفنا وفلسفة ، فإننى أقوم بتحقيق ونشر أسفار (رحلات ابن بطوطة) المسماة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » للشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد إبراهيم اللواق الطنجى المعروف بابن بطوطة ، وهو من أشهر الرحالة المسلمين .

● ورحلاته من روائع بواكير أدب الرحلات العربى .

فى البداية اشتهر العرب بأنهم قوم رحل مأخوذون بالحركة والشغف بالأسفار فطرة لديهم ورثوها عن أجدادهم الأوائل ، وخلال العصور الوسطى تألقت الرسالة المحمدية فى القرن السابع الميلادى ، وكانت بداية القدر التاريخى للعرب أجمعين ، ومع التزايد الديموجرافى للعرب فى عصر بزوغ الإسلام، والرغبة فى الحياة الأفضل بالفتوحات ، اندفع المسلمون كالسيول فى شرايين العالم وراء صيحة « الله أكبر » ، فانتشر الإسلام

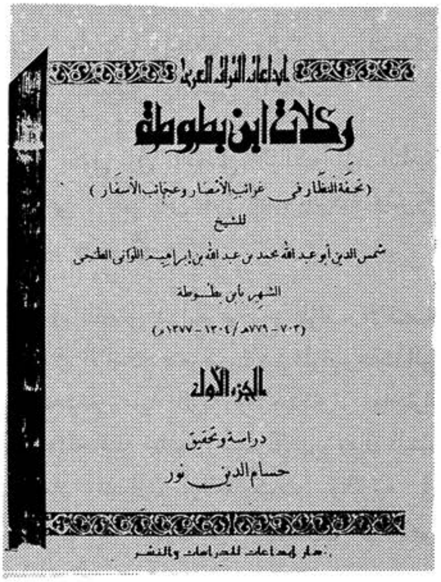

ودخل بلاداً جديدة ومع امتداد فتوحات المسلمين وماساد الرقعة الواسعة لهذا العالم الإسلامى من وحدة دينية كان المسلمون هم أكثر أهل الأرض تقلباً ، فى البلاد وجوباً للآفاق . ثم انتقل بنا الباحث إلى أنه من ميسرات الارتحال سهولة التفاهم ، فقد انتشرت اللغة العربية انتشاراً سريعاً ، وصارت اللغة الرسمية ولغة الدين والعلم فى العالم الإسلامى كله بل لغة التفاهم بين الشعوب فى كل دول الخلافة حتى وصل المحقق إلى تصنيف الرحلات ، منها الدينية كالحج والرحلات الزيارية ، أما الرحلات العلمية ، وهى ما كان هدفه السعى لطلب العلم .

● وقسمت إلى رحلات إسناد الأحاديث ، والتحقيق منها ، وأيضا الرحلات الفهرسية والمقصود منها : الرحلة التى يقتصر صاحبها فى

تدوينها على ذكر الشيوخ والعلماء الذين سمع منهم والكتب التى درسها عليهم .

● ثم الرحلات المعرفية وهى نمط من الرحلات العلمية الاستكشافية ، ودراسة الأماكن التى ورد ذكرها فى القرآن وكتب الحديث .

● ثم الرحلات السفارية والتجارية والجغرافية بعد ذلك وصل بنا إلى الرَّحالة المسلمون ، وذكر منهم المسعودى وابن حوقل ، والمقدسى والبيرونى ، وياقوت الحموى والبكرى الأندلسى وابن جبير والعبدرى وتناول سيرهم .

● ثم انتقل إلى تدوين الرحلات ، وكانت الأولى من ٧٢٥ إلى ٧٥٠ هـ قضى ابن بطوطة فيها أربعة وعشرين عاماً ، خرج من مدينة طنجة مسقط رأسه ، وأنهاها فى مدينة فاس ، أما الرحلة الثانية فهى من ٧٥١ ـ ٧٦٢ هـ فلم يمكث بمدينة فاس طويلاً ، فقد وجد فى نفسه نزوعاً للسفر إلى الأندلس ، أما الرحلة الثالثة فهى من ٧٥٣ ـ ٧٥٤ هـ وهى إلى أنحاء السودان الغربى بقصد إتمام مهمة رسمية كلف بها من قبل السلطان أبى عنان .

● ثم تحدث عن الخلفيات فى عصر ابن بطوطة منها : الخلفية التاريخية ، والخلفية الفكرية ، والخلفية الاجتماعية .

● وشرح الباحث الأهمية الأدبية لرحلات ابن بطوطة ، وتاريخ طباعة ونشر رحلات ابن بطوطة .

● أما منهج التحقيق الذى استند إليه المحقق أنه قد وجد فى أنحاء متفرقة من العالم ثلاث نسخ خطية من رحلات ابن بطوطة هى : ـ مخطوطة مكتبة باريس الوطنية ، ثم مخطوطة فى مكتبة بلدية ما نشستر بانجلترا .

● وأخيراً مخطوطة مكتبة جامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب ، وقد اتخذ المحقق النسخة المطبوعة فى باريس أصلاً فى التحقيق ثم المصادر التى اعتمد عليها الباحث ، ثم تحقيق خط سير ابن بطوطة وارتحالاته ، وتحقيق الأماكن الجغرافية .

● وأخيرا النص الأصلى لرحلة ابن بطوطة .

هذه هى الدراسة التى قام بتحقيقها الباحث حسام الدين نور فى وضوح ، وأدلة علمية ثابتة .

القلق والتوتر
عدو الإنسان الأول

تأليف / أبو الفدا محمد عزت

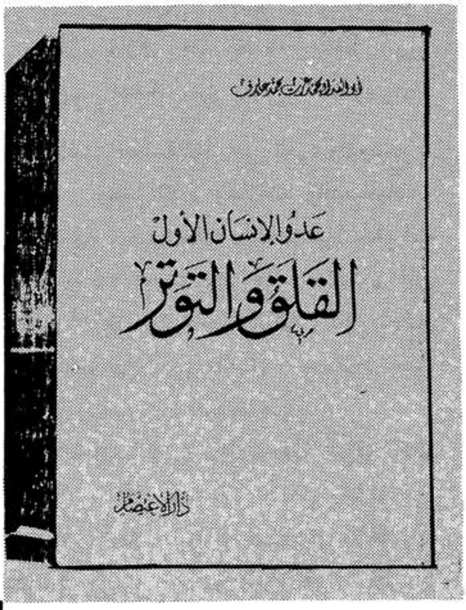

● عزيزى القارىء ، القلق هو أكثر أمراض العصر وأوسعها انتشاراً ، فهو لا يقتصر على الجانب النفسى بل يتعداه إلى أن يكون سببا فى كثير من الأمراض البدنية الخطيرة .

أنا عصبى ، هو متوتر هى قلقة ، كلمات يومية تصاحبنا أينما كنا ، من أشخاص يتفاوتون فى التعليم والثقافة ، وفى المزاج الشخصى ، وفى الحالة الاجتماعية .

إذاً نحن المسئولون عن توترنا ، وعن قلقنا ، وعن عصبيتنا ، وقليل من التنظيم يشفينا ، ولا يجعلنا عرضة للأمراض النفسية المدمرة .

● هذه هى الدنيا عزيزى القارىء لا تستحق أن نحزن عليها ، أو منها أو نتهافت على متاعها وزخرفها الفانى ، وقناعها الزائف .

وصدق الشاعر حين يقول :

لا الأمـر أمرى ، ولا التـدبير تـدبيرى
ولا الشئـون التى تجـرى بتقـديـرى
لى خـالق رازق مـا شـاء يفعـل بى
أحـاط بى علمـه من قبـل تصـويـرى

● فالأمراض النفسية تؤثر على الفرد والمجتمع ، فى تفكيره ، وتصرفاته ، وعلاقاته واقتصادياته ، من أجل حياة سعيدة هانئة ، ننعم فيها بالخيرات الوفيرة ، ونطرد همومنا وأتراحنا . وتذمرنا فإنى أقدم لكم أعزائى القراء هذا الكتاب لكى نعالج أنفسنا بأنفسنا من التوتر والقلق ، وضغوط الحياة بأنواعها ، ونحيا حياة سعيدة هنية .

● فى بداية كتابنا يقول المؤلف جملة تحوى الكثير من الأشياء ، التى تصيبنا ، وتقضى علينا هى أعصابك هى أسلاك أنوارك حيث يمثل الأعصاب بالسلك الكهربائى ومرور التيار فيه ، فإذا ما انقطع هذا السلك أو احترق فإن المصباح لا يضىء .

● كما قال (كارنيجى) فى كتابه « كيف نكسب الثروة والنجاح والقيادة » لو علم المرء مدى العلاقة بين أعصابه وأعضاء جسمه ووظائفها المختلفة لعمل على الاحتفاظ بهدوء أعصابه ؛ ليعيش سليما معافى . . الخ .

وذكر المؤلف الأمراض التى تصيب الإنسان من وراء أعصابه ، التى تحتاج كأى عضو فى الجسم لمقويات تعينها على مقاومة كهرباء الجسم العجيبة ، منها ما هو نفسى ، ومنها ما هو عضوى .

● أما مكبوتات النفس البشرية وتوتر الأعصاب .

فالحب بإطلاقه هو حب كل شىء جميل ، وحب كل فعل خير ، ولكن المطلق يقيد كالحرية هى حق لكل إنسان فى الدنيا ، ولكن لابد لها من ضوابط خلقية ، فليست حرية الجنس ، وحرية الكلمة ، وحرية الاعتقاد ، أن تباح الأعراض ، وتمارس الرذيلة على قارعة الطريق وغيره ، أو يقول الإنسان ما يسىء إلى خالقه سبحانه وتعالى ، أو يعتقد ما يشاء من كفر وزندقة ، هذه ليست حرية ، بل إباحية ومن ثم لابد من تقييد هذه الحرية ؛ لأنها تحرر من القيم والأخلاق ، والعقل ، هكذا الحب .

ومن خطوات السعادة ملؤها الحب وراحة البال ١ ـ حدد من أنت ؟ ٢ ـ ما من قلق إلا وله أسباب . جدد حياتك بالسفر ورؤية عالم جديد .

هل تكتئب بسرعة ؟ وطرح المؤلف ستة أسئلة هامة ، وعليك بالرد عليها .

● بعد ذلك انتقل المؤلف إلى أخطار القلق ، يقول هنرى وورد بتيشر: العمل لا يقتل البشر إنما القلق هو الذى يقتلهم . فالعمل صحى .. والقلق صدأ يعترى المدية .

● وعرض أسباب القلق العصبى : منها ألم البطن ، يتركز فى الغالب فى الجهة اليسرى ، يشكو المريض فى بعض الأحيان من الإمساك وصلابة البراز ، ثم انتفاخ فى البطن بعد الوجبات الغذائية .

القلق عدو الجمال عنوان موضوع هام بدأ بسؤال هل منا أحد لا ينظر للمرآة .

● يقول [الدكتور بيتر كلار] أستاذ علم النفس بجامعة كاليفورنيا بأمريكا .

● إن القلق يفقد الإنسان بهجة الحياة ، مما يجعل الإنسان يصاب باليأس ، فلا يهتم بصحته ، مما يجلب على نفسه الشيخوخة المبكرة .

وسئل رجل معمر تجاوز ١٢٠ سنة ، ومازال قوياً . كله حيوية ونشاط .

● ما سر شبابك ياعجوز ؟!

فقال سر قوتى فى ثلاث ١ ـ لا أحمل هما لغدٍ . ٢ ـ لا أحمل بغضا لأحد . ٣ ـ لا أحمل لنفسى نكداً .

● وهكذا عزيزى رجل الأعمال إذا أردت أن تستريح ، وتعيش مطمئنا ، فعليك بقراءة هذا الباب جيداً ، فإن فيه ما ينفعك ويرضيك ، إن معالى الأمور لا يبلغها إلا أصحاب الهمم والعزائم القوية ، الذين يضعون أمامهم أملاً كبيراً وطموحاً عظيماً .

لا أرق بعد اليوم•الأرق من لوازم القلق . لأن الإنسان المتوتر لا يهدأ فى فكره ، ولا فى أعصابه ومن ثم كيف يأتيه النوم وهو فى خضم دوامات الفكر التى أغرقته فى الهم والحزن .

● روشتة لك عزيزى الطالب عنوان موضوع جديد تطرق إليه المؤلف فى معايشة ووضوح مع الطالب .

● ثم وضح المؤلف الهدوء وأنه طريق الفكر الناجح فالهدوء الهدوء .. لا تفكر إلا بالهدوء اكتم عليك أفكارك وقراراتك وأسرارك . وابدأ يومك بهدوء واختمه بهدوء ، وسترى عجباً من التوفيق والنجاح ، وخطوات من التقدم الرزين نحو طموحاتك وآمالك فى طريق الثراء ، وكل طريق نحو العلا والفلاح .

● ويشرح المؤلف بعض التمارين لكى يتعود الإنسان على الهدوء والاسترخاء من اليد اليسرى حتى عضلات الوجه .

● أما النظام فكان للمؤلف معه وقفة ثابتة قائلاً حاول فى كل صباح عندما تستيقظ من النوم أن تقول لنفسك « سأقضى اليوم سعيداً » إن السعادة تنبع من أعماق النفس ، والمرء يغدو سعيداً بالقدر الذى يعتزم به أن يجعل نفسه راضياً بكل ما يكون .

خصص لنفسك كل يوم نصف ساعة تخلو فيها إلى نفسك وتقضيها فى هدوء واسترخاء متأملا فى قدرة الله ومعدداً نعمه التى أسبغها عليك ، فهذه الفترات تجلو بصيرتك وتزيدك فهماً لحقائق الحياة .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى شخصية الإنسان

وكيف تصبح قوية محدداً أن قوة الشخصية لا تخضع لقوة المادة فكم من أثرياء وحكام مع ما يملكون من قوة المادة الاقتصادية والسياسية تراهم ضعاف الشخصية سذجاً بلهاء .

● أما عامل الناس على قدر عقولهم فكان من النقاط الهامة التى تعرض لها المؤلف ضارباً عدة أمثال منها قول (ريتشارد وايتلى) فى كتابه « العميل يدير الشركة » الحرص على العميل فى إطار مصلحته بما يتوافق مع المصلحة العامة .

الاستفادة من الخبرات بما يواكب حركة العصر والتقنية الحديثة .

القياس والموازنة المستمرة ، تحطيم معوقات كسب رضا العميل ، تحويل الأقوال إلى أفعال ويقول أحد الحكماء :

ما وجدت راحة مثلها أعامل الناس بما جبلت عليه نفوسهم وبما يريحهم مما يجعلهم يريحوننى ويحبوننى .

● ثم أشار المؤلف إلى التفريط فى الحساسية وعدم الندم على فعل المعروف يقول أرسطو « إن الرجل المثالى يجد متعة فى تقديم المعروف وخدمة الآخرين ولكنه يخجل أن يتلقى عوناً من أحد ويرى من النبل والرفعة أن يصنع المعروف للناس لوجه الله .

● أما موضوع لا تدع فى حياتك قط مشكلة معلقة أبداً يقول المؤلف حدد ما هى المشكلة أولاً ؟ وما هى أسبابها من البداية .

أمسك بورقة وقلم وابحث فى كل زوايا المشكلة عن الحل .

واجه المشكلة بكل شجاعة . ضع نفسك دائماً مكان الغريم .

● وتعرض المؤلف إلى موضوع الضحك عندما ينسى القلق وينسفه حتى وصل بنا إلى كيف تقضى على التعب ؟ بالابتعاد عن الشيطان . والتنعم فى رياض الله .

● ثم طرح علاج التوتر الروحانى والاجتماعى ونصائح ذهبية لتقوية الأعصاب ، فهو ينصح بأكل البندق مع الزبيب ويدهن الجسم بزيت الزيتون المخلوط بالمسك .

● ثم العنبر من أعظم المقويات للأعصاب ، ثم المداومة على أكل العجوة ، والكثير والكثير .

● عزيزى القارىء لقد أصبح القلق والتوتر من سمات العصر والانفعال والغضب من طبائع الناس ، ولم ينج من ذلك كله إلا من رحم ربك من ذلك الصنف الذى واجه صراع الحياة .

فتذرع بالصبر وتحلى بالحلم وآمن بالقضاء خيره وشره ، وبأن لهذا الكون إلها يصرف أموره ويدبر شئونه ، ويحكم فيه قبضته وسلطانه فلا يكون إلا ماحكم وأمر ولا يقع إلا ما قضى وقدر .

● هذا المنهج هو ما خلص إليه المؤلف لإيمانه بمنهج دينه ، وصدق دعوته وسلامة مقصده ، لقد ذخر الكتاب بحقائق علمية وفوائد صحية ونصائح دينية وتوجيهات رشيدة تفيد البشرية .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

فى رمضان كانت البداية

يأتى رمضان من كل عام ليذكرنا ببداية استقبال الأرض منهاج الحياة ، الذى ارتضاه الله لعباده ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ففى رمضان نزل الوحى بالقرآن العظيم ، وفيه تنزلت رحمات ربنا ؛ لتعانق البشرية التى طال اشتياقها لمن يمحو عنها الظلم ، بعد أن أنهكتها الخلافات والأهواء ، والشهوات ، وأذلها الجور والبغى والطغيان .

فى رمضان نزل الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ بقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

﴿ العلق ١ : ٥ ﴾

كان الأمر من الله ـ تعالى ـ لرسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ ، ومازال الأمر الكريم لأتباع هذا الدين القويم ، أن يقرءوا ـ وبخاصة ـ آى الذكر الحكيم فى هذا الشهر الكريم الذى تتضاعف فيه الأعمال ، وتزداد فيه الحسنات ، وهاهى الفرصة التى يجب أن يغتنمها كل مسلم ؛ ليطهر نفسه وروحه ويوقظ ضميره ، وينعم بذكر الله ، ويظفر ببعض فيوضات الله فى تدبر آيات كتابه الكريم . فاللهم وفقنا إلى صوم الشهر الكريم ، وارزقنا تلاوة كتابك العظيم آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله شفيعا لنا فى الدنيا والآخرة ، وألهمنا العمل به ، وكل عمل يرضيك وترضاه لنا إنك سميع قريب مجيب .

وبهذه المناسبة الكريمة أرسل القارىء/ مصدق مطاوع عيسى من دمياط كفر المياسرة ـ الزرقا تحت عنوان : « غزوة بدر الكبرى » . يقول :

غزوة بدر الكبرى

خرج المسلمون بقيادة سيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى شهر رمضان ، من السنة الثانية للهجرة للاستيلاء على قافلة قريش التجارية لعل فى حصولهم على هذه الأموال ما يعوضهم بعض ما استولت عليه قريش من أموال تركوها وراء ظهورهم فارين بدينهم ، ولكن الفرصة فاتت ولم يبق للمسلمين إلا أن يثبتوا أمام العدو ، الذى أجمع على محاربتهم بعدما علموا بخروج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه لاعتراض قافلة تجارتهم ، بقى ان يثبت المسلمون ـ على الرغم من الفارق العددى الكبير لصالح الأعداء ـ حتى يحافظوا على كيانهم ودينهم من عتاة قريش .

ونزل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته عند ماء بدر ، وكتب الله النصر للفئة القليلة ، وهنا موضع لوقفة إعجاب بصدق وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للرسول الكريم ، وإيمانهم برسالته ، ولعلنا نخلص من هذا النصر بعدة نقاط يجب ألا تفارقنا كلما هل شهر رمضان ، شهر النصر والصبر من هذه النقاط :

★ حق الفرد فى النصح للقائد مادام على علم تام بالقضية المطروحة ، وأن يكون ذلك فى أدب واحترام .

★ الثقة الدائمة فى عناية الله وعدم اليأس .

★ التخطيط الدقيق يوصل إلى النصر الكامل .

★ الإيمان القوى بالله أولاً ، ثم الثقة بالنفس بدون تكبر أو غرور .

★ تحديد الهدف سلاح أساسى للتغلب على العوائق التى تقف فى الطريق ، أو تعرقل إتمام المهام .

وبعد ؛ فقد عاش المسلمون قادة وسادة وتربعوا على القمة ، وجنوا ثمار عدلهم ، وصفاء روحهم ، وقدموا للبشرية أنصع المثل فى الحكم والتعامل مع الآخرين .

الجهاد : صمام الأمان للأمة

وترسل القارئة : عبير محمد نصار ـ دمنهور هذه الكلمة حول الجهاد تقول :

إن واقع الأمة الإسلامية لا يخفى على ذى بصيرة ، والمتأمل لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدرك ـ بدون عناء ـ الداء والدواء ؛ إذ يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : « إذا ضن الناس بالدينار والدرهم .. وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

وكيف لا ، والجهاد إحدى شعائر الدين الكبرى ، التى حفظت للأمة كيانها ومجدها ، ولم لا .. وهو ذروة سنام الدين . وأن كل منصف وكل ذى بصيرة يعلم تماما أن ما آلت إليه أمتنا من سوء حال ، إنما هو نتيجة حتمية لبعدنا عن أوامر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى فيها عزنا وسعادتنا فى الدنيا والآخرة .

وهنا يجب التنبيه على أن المقصود من الجهاد هو الجهاد كما أراده رسول الله ـ وليس الإرهاب ،

الصدق شيمة المؤمنين

ويرسل القارىء : ياسر فكرى السيد سالم ميت خاقان ـ شبين الكوم :

يقول : إن الإسلام دين الله الذى ارتضاه لعباده ، وهو منهاج حياتهم ، أمرهم الله ـ سبحانه ـ أن يبنوا حياتهم تبعاً لتعاليمه ومبادئه ، ومن أهم هذه المبادىء : الصدق .

قال تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (المائدة : ١١٩) .

ولنعلم : أن الصدق ينجى صاحبه من كل سوء حتى إن ظن أن فى الصدق هلاكه ، فهو النجاة الحقيقية له .

والكذب صفة رذيلة تدل على سوء خلق صاحبها ، ولا عذر لمن يكذب ويتخذ الكذب أسلوباً لحياته ، يتعامل به سواء اضطر للكذب أم لا .

ولقد ذم الله الكذابين ، فقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (الزمر : ٦٠) .

ونهانا رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الكذب وأوضح أنه يهدى إلى الفجور ، وأن الفجور يهدى إلى النار .

وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم : « أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . قيل : أيكون بخيلاً ؟ قال : نعم ، قيل : أيكون كذاباً ؟ قال : لا » . راجع الطيالسى/ كتاب الكلام باب/ ١٩ .

وصدق الشاعر حين قال :

لى حيلة فيمن يخيف ∴ وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقول ∴ فحيلتى فيه قليلة

وأخيراً ينبغى علينا أن نربى أبناءنا على الصدق ، وأن نعودهم عليه ؛ حتى نخرج للدنيا جيلا نفخر به ، ويحقق ما نصبو إليه .

فالإسلام دين سمح لا يدعو إلا إلى كل خير .

ومن الجهاد جهاد النفس : فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » أخرجه الترمذى .

ومن الجهاد ـ أيضاً ـ حسن تبعل المرأة لزوجها ، ورعاية بيتها وأولادها وحجها .

وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عندما يعودون من غزواتهم يقولون : رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، يقصدون « جهاد النفس » .

ولو أن كل مسلم جاهد نفسه وروضها على الخير لصلح حال هذه الأمة ، ولم لا ؟ أليس من الجهاد تحرى الرجل الحلال فى مشربه ، وطعامه ، وفى مسكنه وكسائه ؟ أليس الجهاد فى مقاومة هوى النفس وشهواتها ؟

أجل .. إذا تمسك كل مسلم ومسلمة بهذا الواجب لظفرت الأمة الإسلامية ، بحماية دائمة ـ بإذن الله تعالى ـ من شر كل طامع ، ولظفرت كل أسرة براحة البال ، وحياة هانئة .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعزنا بهذا الدين القيم ويعز الإسلام بنا .

متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

وردت هذه الكلمة عن المتحف الإسلامى بالقاهرة من القارىء/ عبد الوهاب عبد الغفار عمر-كلية التربية ـ جامعة الأزهر يقول :

لمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة تاريخ يقارب اليوم مائة وعشرين سنة ، ففى عام ١٨٦٩ اقترح المهندس « سالزمان » على الخديوى إسماعيل ـ حاكم مصر آنئذ ـ أن ينشىء متحفاً للآثار الإسلامية فكلف الخديوى « يوليوس فرانتز باشا » مدير القسم الفنى فى إدارة الأوقاف بأن يخصص بناءً حكومياً ، يضم التحف التى يستطيع جمعها من الجوامع والدور القديمة ، ولكن هذه الفكرة لم تنفذ إلا عام ١٨٨٠ م ـ ١٢٩٧ هـ ، حينما طلب الخديوى توفيق من « فرانتز باشا » بأن يجمع التحف الأثرية من الأماكن التاريخية التى يرجع

ردود سريعة

القارىء : ن . ع . د بنى سويف وصلتنا رسالتك بعنوان « فاسألوا أهل الذكر » وأهل الذكر فى مثل حالتك إنما هم الأطباء فعليك استشارة الطبيب المختص ، ولا تتردد بعد ذلك .

●●●

القارىء : عبد الحميد جبارى ـ تلمسان ـ الجزائر نأمل أن تسمح الظروف مستقبلا بتلبية طلبك .

●●●

القارىء : عبد السلام محمد على القاهرة ـ شبرا

يمكنك إرسال إنتاجك مع دعائنا لك بالتوفيق .

عهدها إلى العصر الإسلامى ليحفظها من الضياع والتلف ، فجمعت من الإيوان الشرقى من جامع الحاكم بأمر الله . وقد أطلق على هذا الإيوان ـ الجزء الذى حفظت فيه الآثار « دار الآثار العربية » ، وهناك كتب المهندس « هرتس بك » أول دليل لمحتويات المتحف فى سنة ١٨٩٥ م - ١٣١٣ هـ ، وكان هذا الدليل باللغة الفرنسية . وقد اختارت « لجنة حفظ الآثار العربية » التى أنشئت عام ١٨٨١ م « هرتس بك » أول مدير ومشرف على « دار الآثار العربية » ، وقد أشار الرجل فى دليله المكتوب بالفرنسية إلى أن مكان الدار فى جامع الحاكم بأمر الله مكان غير صالح . فتقرر تشييد دار الآثار الإسلامية بباب الخلق (ميدان أحمد ماهر اليوم) وهو المكان الموجود فيه المتحف حاليا .

وقد وضع الحجر الأساسى للمتحف سنة ١٨٩٩ م . واكتمل البناء سنة ١٩٠٢ م ، وتم نقل التحف إليه فى نهاية عام ١٩٠٣ م . ومازالت التحف إلى اليوم ، حيث تعرض مجموعته النادرة بأسلوب علمى أنيق .

مصادر محتويات المتحف

قام المتحف بالتنقيب سنة ١٩٢٠ بجهة « درنكة » جنوبى غرب أسيوط فى صعيد مصر ، فكشفت هذه التقنيات عن مجموعة من المنسوجات . فلما تولى إدارة المتحف العلامة « على بهجت بك » زاد فى محتويات المتحف كثيرا عن طريق الشراء ، ومما عثر عليه فى حفائر مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) من قطع الخزف والفخار ، والمنسوجات ، والزجاج والقطع الخشبية ، والعملة والأدوات المعدنية .

وقد نمت مجموعة التحف الأثرية بسرعة نادرة ، وساعد على ذلك ـ أيضاً ـ ما قدمه الهواة للمتحف .

وقد وصل عدد التحف المعروضة بالمتحف عام ١٩٥٢ إلى ١٦٥٢٤ قطعة ، تجاوز سبعين ألف قطعة عام ١٩٧٧ م .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

للأستاذ : عمر البسطويسى

● **استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر** بمكتبه / صباح يوم ٩ من شعبان سماحة الشيخ محمد رشيد الميقاتى أمين عام كلية الشريعة الإسلامية فى طرابلس - لبنان عضو المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد رحب فضيلته بالضيف وتمت مناقشة أوضاع المسلمين فى لبنان .

وقد طلب سماحته من فضيلة الإمام الأكبر إعادة البعثة الأزهرية من علماء الأزهر إلى لبنان على نفقة لبنان على أن يتم اختيارهم حسب التخصصات المطلوبة ، وقد وعده فضيلته بالاستجابة إلى طلبه مؤكدا على أن الأزهر الشريف على استعداد دائم لتلبية كل طلبات المسلمين فى أى مكان فى العالم خدمة للإسلام والمسلمين ، كما طلب سماحته إمداد كلية الشريعة بلبنان بالكتب والمراجع القيمة العلمية للاستفادة منها فى الدراسة للطلبة وللرجوع إليها فى المسائل والقضايا الهامة وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على طلبه وتم تسليمه الكتب والمراجع المطلوبة فورا .

● كما استقبل فضيلته الدكتور الأمين محمد عثمان الأمين العام لمنظمة الدعوة الإسلامية بالسودان نائبا عن السيد المشير سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، وقد دار الحديث حول أوضاع المسلمين فى السودان الشقيق ، وتمت دراسة ما تقوم به منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان من أنشطة لخدمة المسلمين فى السودان دينيا وثقافيا واجتماعيا ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن العلاقة بين الشعب المصرى والشعب السودانى علاقة أزلية وتربطهما روابط متينة منذ زمن طويل وأن الأزهر الشريف لايألو جهدا فى تقديم علمه ومعارفه إلى إخوانه فى السودان فضلا عن دور مصر الرائد مع شعب السودان الشقيق .

وقد طلب الضيف منحا دراسية للطلاب المسلمين بجنوب السودان للتعليم بالأزهر الشريف وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها ، وفى نهاية اللقاء قدم الضيف الشكر للأزهر الشريف على دوره الرائد فى العالم أجمع فضلا عن السودان .

● **استقبل فضيلة الإمام الأكبر** وفدا إعلاميا من جمهورية إيران يضم عددا من رؤساء التحرير ومحررى الصحف والمجلات الإيرانية ومؤسسات الدعاية والنشر وقد رحب بهم فضيلته وأجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم وأكد على أن الأزهر الشريف جامعا وجامعة وعلماء مع الحوار البناء الذى يؤدى فى النهاية إلى تقارب وجهات النظر فى القضايا التى تهم الأمة الإسلامية وأن الأزهر الشريف يزداد قربا والتصاقا مع كل المسلمين بصفة عامة ومع إيران بصفة خاصة ، فكلنا أمة واحدة وقبلتنا واحدة ونستقى ديننا من أصول واحدة ، وقال : إن الشريعة الإسلامية دعت إلى الحوار البناء وإن آيات القرآن الكريم تحتوى على حوارات عديدة بين الأنبياء وأممهم وبين العقلاء والسفهاء .

كما أكد على أن شريعة الإسلام سوت بين الرجال والنساء فى أمور كثيرة منها أصل الخلقة والتكاليف الشرعية والعبادات وطلب العلم ، وقال : إن عندنا فى جامعة الأزهر عشرات الآلاف من الطالبات يدرسن حتى مرحلة الدكتوراه ، وهذه المساواة لاتمنع أن للمرأة خصائص وللرجال خصائص .

وحول سؤال : هل الإصلاح يأتى من الفرد أولا أم من المجتمع أو العكس أجاب فضيلته : الذى أميل إليه شخصيا أن الإصلاح يبدأ أولا من الفرد فى البيت فإذا تم إصلاحه جاء إصلاح المجتمع فى المدرسة والمعاهد العلمية ووسائل الإعلام .

وحول سؤال هل يمكن الإصلاح دون الخوض فى السياسة أجاب فضيلته : أن الإسلام لايفرق بين الدين والسياسة والنظام عندنا فى مصر نظام مؤسسات والأمور الشرعية مؤسستها الأزهر الشريف وكل مؤسسة تتعاون مع الأخرى .

وحول سؤال عن دور الأزهر فى نشر هذه الأفكار فى المؤتمرات العالمية أجاب فضيلته : لقد حضرت مؤتمرات كثيرة فى بلاد كثيرة وقلت فيها نفس الكلام بشرح وتوضيح ، وفى نهاية اللقاء شكر أعضاء الوفد شيخ الأزهر على هذا اللقاء الطيب المثمر المفيد معربين عن سرورهم بزيارة مصر والأزهر الذى هو أحد قلاع الإسلام المضيئة .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه يوم ١٣ من شعبان سنة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/٢ السيد (بيتر جينى) سفير إيرلندا بالقاهرة ، بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بالقاهرة وقد رحب فضيلته بالضيف وألقى الضوء على دور الأزهر الشريف منذ إنشائه وحتى الآن فى التعليم والدعوة ونشر الثقافة الإسلامية من خلال المعاهد الأزهرية والكليات الجامعية الأزهرية والرسالة السامية التى يقوم بها نحو المسلمين فى شتى أنحاء العالم حيث يفد إليه الطلاب من دول كثيرة من أنحاء العالم لتلقى العلم بالأزهر الشريف ، كما يقوم الأزهر بإرسال علمائه إلى المراكز الإسلامية فى معظم دول العالم ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بعيدا عن التطرف والغلو ، لأن الدراسة فى الأزهر تقوم على الوسطية وتدرس جميع المذاهب الفقهية ، وتناول علاقة الأزهر مع دول العالم ومع الديانات والمذاهب المختلفة . وأنها مبنية على الحوار البناء النافع الهادف الذى يحق الحق ويبطل الباطل وينصر المظلوم بعيدا عن

العقائد ، وأوضح أن الحوار يتم من خلال اللجنة الدائمة المشكلة بالأزهر الشريف برئاسة وكيل الأزهر الشريف ، وقد شكر الضيف شيخ الأزهر على إتاحته هذه الفرصة وهذه الزيارة وعلى هذه المعلومات الطبية المفيدة وعلى التعاون الوثيق بين مصر وأيرلندا فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والتعليمية وقد أهداه فضيلة الإمام كتابا عن الأزهر الشريف باللغة الإنجليزية ، كما أهدى الضيف فضيلة الإمام كتابا عن أيرلندا .

● استقبل فضيلة الأمام الأكبر بمكتبه يوم ٦ من شعبان ١٤١٩ الموافق ٩٨/١١/٢٥ معالى الشيخ / أحمد خالد الكليب وزير الأوقاف والعدل والشئون الإسلامية بدولة الكويت الشقيقة يرافقه السيد / عبد القادر العجيل مدير عام بيت الزكاة الكويتى والسيد / عبد العزيز المطوع نائب رئيس بيت الزكاة الكويتى ومعالى الشيخ / مشعل الصباح مدير إدارة الفتوى والسيد المستشار / عبد الرحمن الهادى مدير عام بيت الزكاة بالقاهرة يرافقهم المستشار محمد المطوع القائم بأعمال سفارة الكويت بالقاهرة .

وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء عن دور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع وفى دولة الكويت بصفة خاصة والدور الرائد لمصر بقيادة الرئيس / محمد حسنى مبارك والتعاون الوثيق بين وزارة الأوقاف بالكويت والأزهر الشريف .

وتأتى هذه الزيارة فى إطار اجتماعات المجلس التنفيذى لوزراء الأوقاف العرب واجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وتم أثناء اللقاء الاتفاق على افتتاح بعض المشاريع الخيرية التى يقيمها بيت الزكاة الكويتى بمصر بحضور فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة د / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة د / نصر فريد واصل مفتى الجمهورية ، والسيد المستشار ماهر الجندى محافظ الجيزة وعلماء الأزهر والأوقاف .

خمسون معهدا أزهريا جديدا

● فى يوم الجمعة الموافق ٨ من شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٨/١١/٢٧ تم افتتاح مجمع ورثة الحميدى الإسلامى (مسجد ومستوصف) بمدينة ٦ أكتوبر بالجيزة بتكلفة قدرها ٤٨٠ ألف جنيه ، وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر خطبة الجمعة وتحدث فيها عن عمارة المساجد وعن نعمة التعاون على البر والتقوى ، وعن الأخوة الصادقة .

ثم وضع حجر الأساس لمعهد التحرير الابتدائى الأزهرى بمدينة التحرير بإمبابة ويتكون من ثلاثة طوابق ، ويحتوى على ٢٢ فصلا دراسيا وملحقات إدارية ويتكلف ٥٥٠ ألف جنيه شاملة الفرش والتجهيز ، كما تم افتتاح مجمع المرحومة عائشة محمد عبدالمحسن الدعيج بالبراجيل الجيزة ويحتوى على دار مناسبات ، ومشغل للفتيات مجهز ، ومكتب تحفيظ قرآن كريم ، ومسجد يسع ٧٠٠ مصل ومصلى سيدات يسع ٣٠٠ مصل .

هذا ومن المنتظر البدء فى إنشاء خمسين معهدا أزهريا جديدا بتمويل من دولة الكويت الشقيقة فى إطار التعاون القائم بينها وبين الأزهر الشريف إيمانا بالدور الذى يضطلع به فى نشر الوعى الإسلامى ومساهمة فى رسالته السامية وسيتم البدء فى تنفيذ ١٠ معاهد كمرحلة أولى .

على هامش اجتماعات المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة

● برياسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة ، تم

اجتماع الدورة العاشرة للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالقاهرة فى الفترة من ٧ ـ ٨ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٦ ، ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٩٨ ، وقد افتتح فضيلته الجلسة بكلمة رحب فيها بالسادة الضيوف حيث قال : إن هذه الاجتماعات واللقاءات المقصود بها خدمة ديننا وأمتنا الإسلامية ، وإذا كان أهل الباطل يتجمعون حول باطلهم فأولى بأهل الحق أن يتجمعوا وأن يتناصروا من أجل إحقاق الحق ونصرة المظلوم ، ونشر الفضائل ، وإعلاء كلمة الله ، وأيضا من أجل تقديم العون إلى كل من يحتاج إليه وهذا أمر حثنا عليه ديننا الحنيف ، وهذا المجلس بلجانه المتنوعة إنما يجتمع للتنسيق الكامل لخدمة المسلمين فى كل مكان ، وحيا فضيلته السيد الرئيس محمد حسنى مبارك على دعمه الدائم للمجلس

ثم تحدث السيد المشير سوار الذهب نائب الرئيس حيث قال : إن المسلمين يواجهون تحديات تفوق الجهد فبعد عامين يدخل عالمنا العربى والإسلامى القرن الحادى والعشرين وهو يواجه متغيرات وتحديات متعددة شديدة التداخل والتعقيد على كافة المستويات .

وأبرز ما يزعجنا حقا ويؤرق مضاجعنا انطلاق موجات متتالية واسعة فى الأوساط الدولية تعمل على تشويه الإسلام وإدانته والتخويف منه وتصويره للرأى العام أنه خطر على العالم ومعاد للتطور والديمقراطية ويقيد الحريات وحقوق الإنسان والمرأة والأقليات ، ويمثل دعوة للعنف والتطرف ، كما أكد على الأخطر من ذلك حملات الضرر الفكرى بقصد طمس الهوية الإسلامية وجرنا إلى قبول مفاهيم جديدة فاسدة وضحت فى مؤتمراتهم كالأسرة والسكان والمرأة وأخيراً محاولتهم المفضوحة عبر الإنترنت إلى تحريف القرآن الكريم ، وكل هذا يدعونا إلى ضرورة التفكير الجاد والمبادرة للتصدى للحملة الإعلامية المغرضة ، ولذلك لابد من وقفة صارمة ضد هذه الحملة الشرسة وبيان وجه الإسلام الصحيح ، وأعرب عن تقديره للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى يبذل قصارى جهده فى لم شمل العرب ومساندة قضايا الأمة الإسلامية ، كما يسعى بإخلاص لتضامنها ووحدتها .

ثم تحدث الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس فحيا جمهورية مصر العربية فى شخص السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وحكومته الموقرة والشعب المصرى النبيل لدعمهم لهذا المجلس وإحاطته بالعناية والرعاية ، وأكد على أن وجود مقر المجلس فى القاهرة العاصمة الإسلامية التاريخية وصلته الرفيعة بالأزهر الشريف هذه القلعة الإسلامية العربية يشكل رأس مال معنويا كبيرا ومكانة مرموقة أعانت المجلس ليصل إلى ما وصل إليه الآن وقال إن أوضاع المسلمين ومشكلاتهم تحتاج منا الكثير والكثير وأول مشكلة تواجه المسلمين أنهم يعانون الإحباط فى مجالات مختلفة والمنظمات الشعبية الإسلامية تستطيع أن تكون منطلقا للأمل ومبعثا للرجاء بما فيها من عناصر مؤمنة .

كما تحدث الدكتور عز الدين العراقى الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى فقال : إنه من أجل التنسيق بين كل الجهود فقد أنشأت منظمة المؤتمر الإسلامى لجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة التى ينطوى تحتها عدد من المنظمات والهيئات الحكومية وغير الحكومية العاملة فى هذا المجال تحت المنظمة ـ بغية تجنب تداخل الجهود وقد عقدت عدة اجتماعات فى عدد من الدول الإسلامية المختلفة بقصد الارتقاء بالتعاون من أجل التصدى للمحاولات التى تستهدف العقيدة والهوية الدينية والثقافية ونشر الصورة الصحيحة للإسلام وعقيدته وتعاليمه ودعوته الإنسانية المبنية على الاعتدال وترك الغلو والتشدد والشطط والتعنت .

وعلى مدى يومين تم عقد لقاءات واجتماعات وجلسات عمل قدمت فيها تقارير أصحاب السعادة والمعالى والفضيلة رؤساء اللجان المتخصصة : (لجنة الإغاثة العامة ، لجنة التعليم والدعوة ، لجنة المعلومات والمتابعة ، لجنة التمويل والاستثمار ، لجنة النشر ، لجنة الإعلام ، لجنة الأقليات الإسلامية ، لجنة الشباب ، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل ، اللجنة الإسلامية العالمية لحقوق الإنسان) ، كما نوقشت القضايا الإسلامية ، القدس الشريف ، كوسوفا ، كشمير ، تركستان الشرقية ، البوسنة والهرسك ، الشيشان ، القانون الأمريكى للاضطهاد الدينى ، كتاب محمد للمستشرق (رودنسون) وقضايا أخرى ، ثم صدرت القرارات والتوصيات التى أسفرت عنها المناقشات :

١ ـ دعوة الأمانة العامة لمواصلة جهودها بالطرق الفعالة والمناسبة فى تقويم السلوك الإعلامى للفضائيات ووضع ضوابط قيمية وأخلاقية عند إنشاء مثل هذه الفضائيات ، والتأكيد على دور الفضائيات فى المجالين الإعلامى والاتصال ، والإفادة منها فى خدمة القضايا الإسلامية .

٢ ـ توفير الدعاة الأكفاء وإرسالهم إلى منطقة جنوب صحراء أفريقيا لمواجهة الأنشطة الهدامة ونشر صحيح الإسلام وتوضيح صورته السمحة .

٣ ـ العمل على توسيع قاعدة المنظمات النسائية للمشاركة فى إعداد ميثاقى المرأة والطفل ووضع خطة للعمل على تنفيذ المشروعات التى تفيد المرأة والطفل .

٤ ـ الاهتمام بدعم صندوق الطلبة المبعوثين لتمكينه من تقديم المساعدة الملائمة والممكنة لتسهيل عودة الطلبة الخريجين إلى بلادهم .

٥ ـ التأكيد على دور المدارس القرآنية الأهلية المنتشرة فى العالم ودعمها فنيا وماديا وبشريا .

٦ ـ حث الاجتماع الهيئات والمنظمات الإغاثية للقيام بدورها الإنسانى فى إغاثة الشعب العراقى وتحقيق معاناته بسبب الحصار المفروض عليه .

٧ ـ كما أقرت الهيئة الحوار بين الحضارات (الأديان) على أن يكون تحت رعاية وإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس ضمانا للتقيد بالأحكام الشرعية ، واحتراما للقيم الدينية .

٨ ـ أقرت الهيئة دعوة الأمم المتحدة ومجلس الأمن للضغط القوى على إسرائيل للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، وتسليم كامل التراب الوطنى الفلسطينى إلى الحكومة الفلسطينية .

٩ ـ وافق الاجتماع على انضمام المركز العام

للشبان المسلمين بالقاهرة عضوا بالمجلس ، واعتهاد المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية كعضو بالمجلس أيضاً .

١٠ - التأكيد على خطة العمل الهادفة إلى توحيد جهود الأقليات وتحقيق اتفاقها العام على المبادىء الإسلامية الأساسية وإمكانية قيام قيادة موحدة لهذه الأقليات .

ترقيات

صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يعين فى وظيفة وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام بالأزهر لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب الشيوخ الآتى أسماؤهم بعد : -

١ - عبدالرحيم أحمد أحمد أبو الوفا عابدين
٢ - قاسم عبدالصمد السيد الدسوقى
٣ - محمد حسن محمد محمد الشيخ
٤ - جابر مصطفى محمد الفرجارى
٥ - أبوالحمد حسين أحمد ربيع
٦ - عبدالمنعم عبدالرحمن إبراهيم حسانين
٧ - محمد على أحمد خليل
٨ - على عبدالله محمد فرج
٩ - محمد محمد عبدالقادر على

كما يعين فى الوظيفة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر لمدة سنة أو حتى بلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من : -

١ - الأستاذ / محمد نديم رمضان عطية ، وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالدقهلية .

٢ - الشيخ / محمد عبدالحميد مرسى الغرباوى ، مدير عام منطقة أزهرية (ب) بالوادى الجديد .

٣ - الشيخ / محمد سيد أبوالعلا عزيز ، مدير عام التعليم النوعى .

٤ - السيد / رشاد شعبان عبدالسلام زين ، مدير عام الشئون المالية .

٥ - السيدة / نبيلة إبراهيم حسن زاهر ، مدير عام الإدارة العامة لنشاط الفتيات .

٦ - السيد / شريف محمد إبراهيم ندا ، مدير عام شئون الطلبة والخدمات بمدينة البعوث .

صدر برئاسة مجلس الوزراء فى ١٧ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٦ ديسمبر سنة١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : بأن يسند إلى فضيلة الشيخ : طوسون إبراهيم أحمد هواش مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية - بالإضافة إلى عمله - القيام بعمل وظيفة الأمين المساعد للبعوث الإسلامية لحين شغلها بصفة أصلية ممن توافرت فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ٩١ ولائحته التنفيذية صدر فى ١٢ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ١ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلته بالموافقة على سفر كل من :

١ - فضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف .

٢ ـ فضيلة الشيخ / عبدالرحمن شمس الدين محمود مستشار العلوم الدينية بالأزهر الشريف إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية فى شهر رمضان المعظم عام ١٤١٩ هـ . صدر فى ١٦ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٥ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

● كما صدر قرار فضيلته بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى الجهات المبينة قرين اسم كل منهم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية خلال شهر رمضان المعظم سنة ١٤١٩ هـ على أن يتحمل الأزهر تذاكر السفر وبدل السفر المقرر قانونا .

م	الاسم	الوظيفة	الجهة الموفد إليها
١	دسوقى فهيم إسماعيل على	موجه بمنطقة الشرقية	مسجد وادى الأنتلوب بلوس أنجلوس بأمريكا
٢	السيد أحمد هلال السيد	موجه شئون قرآن بمنطقة الشرقية	مسجد ريفر صايد بسان فرانسيسكو بأمريكا
٣	مصطفى صبرى بربرى توغان	موجه بمنطقة قنا	مسجد فرزنو بولاية كاليفورنيا بأمريكا
٤	أنس عبدالفتاح أبو شادى	مدرس الفقه المقارن بطب الأزهر	المركز الإسلامى بمدينة سادل باك بأمريكا
٥	السيد إبراهيم محمد القصبى	شيخ معهد فتيات المحلة	المركز الإسلامى بولاية هيوستن بأمريكا
٦	عبدالله محمد فرج جبل	رئيس قسم بمنطقة أسيوط	المركز الإسلامى بولاية هيوستن بأمريكا
٧	إسماعيل فوزى صادق أحمد	موجه بمنطقة قنا	بمجلس رعاية الجالية بمدينة جرنفيل بولاية كا رولينا بأمريكا
٨	حسين محمد أبو عليو	موجه بمنطقة أسيوط	مسجد الصديق بمدينة ويكو (دلس) بأمريكا
٩	محمد منير أحمد نافع	واعظ بمنطقة الجيزة	مسجد النور بمدينة ساكرمنتو ـ كاليفورنيا
١٠	محمد عبدالعزيز عليوة	موجه بمنطقة الغربية	مركز الجالية الإسلامية بأدنتاريو بمدينة تورنتو بكندا
١١	أحمد عبدالفتاح محمد عطاالله	موجه شئون قرآن بمنطقة طنطا الأزهرية	المركز الإسلامى بجنوب مونتريال بكندا
١٢	يحيى محمد محمد السيد	موجه بمنطقة الشرقية	المركز الإسلامى للثقافة والإعلام مسجد أبوبكر الصديق بمدينة فيمخن بهولندا
١٣	محمد حسن عبادى عوض الله	موجه بمنطقة قنا	مسجد المحسنين بلاهاى هولندا
١٤	عبدالفتاح أحمد سليمان الشال	مدير التعليم الثانوى بالغربية	جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بهولندا
١٥	محمد أحمد حماد على	مدير إدارة قنا	
١٦	محمد محمد محمد جعفر شحاتة	مفتش وعظ بالمنوفية	
١٧	عبدالرحيم محمد إبراهيم ربيعة	موجه بمنطقة الغربية	
١٨	محمد إبراهيم إبراهيم سلام	شيخ معهد فتيات طنطا	المركز الإسلامى الثقافى ببروكسل بلجيكا
١٩	عبدالوكيل محمد عبدالدايم خميس	رئيس أقسام بمنطقة طنطا	دار الإفتاء بصوفيا ـ بلغاريا
٢٠	محمد بيومى محمود مهنى	موجه بمنطقة الغربية	دار الإفتاء بصوفيا ـ بلغاريا
٢١	محمد محمد على شحاتة	موجه بمنطقة بنى سويف	المكتب الثقافى المصرى بفيينا ـ النمسا
٢٢	مصطفى عبدالحميد مصطفى	مفتش وعظ بالقوات المسلحة	المركز الإسلامى العام باستراليا
٢٣	عربى إبراهيم إسماعيل سرحان	وكيل أول منطقة الأقصر	المركز الثقافى الإسلامى باستراليا
٢٤	السيد أحمد على محمد صديق	موجه شئون قرآن بالشرقية	الجمعية الإسلامية المصرية باستراليا
٢٥	عبدالحكم محمد السيد الفيومى	مدير تعليم منطقة دمياط	الرابطة الإسلامية بليما ـ بيرو
٢٦	عنتر محمد صابر الصيوفى	موجه بمنطقة المنصورة	المركز الإسلامى الجنوبى فى التيجرى بفنزويلا
٢٧	على محمد جامد عبدالله	موجه بمنطقة قنا	المركز الإسلامى بمدينة كريتشيرش نيوزيلاندا
٢٨	صلاح عبدالجليل عبدالحكيم حسن	موجه شئون قرآن بالمنيا	جمهورية الشيشان
٢٩	عبدالمنعم ربيع حسانين صالح	موجه شئون قرآن بقنا	جمهورية الشيشان
٣٠	أحمد عبدالباسط أحمد محمد	موجه شئون قرآن بقنا	المالديف

م	الاســم	الوظيفة	الجهة الموفد إليها
٣١	سيد عبدالرازق عبدالعليم	مفتش وعظ القاهرة	نيبال
٣٢	محمد بيومى حسين	موجه بمنطقة الزقازيق	مدغشقر
٣٣	حرزالله عبداللاه عبدالمولى	موجه بمنطقة قنا	اريتريا
٣٤	أحمد محمد جاب الله يوسف	مدير تفتيش وعظ المنوفية	مركز الدعوة الإسلامية استكهولم السويد
	صدر فى ١٧ من شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٧ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .		
٣٥	محمد أحمد سيد أحمد الواعظ	منطقة وعظ الشرقية	ألمانيا الاتحادية
٣٦	الأباصيرى عبدالهادى الخطيب	مفتش وعظ بمنطقة كفر الشيخ	مركز دار الإيمان الثقافى الإسلامى بمدينة أرلنجتون
	صدر فى ٢٠ شعبان ١٤١٩ هـ الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .		

من قادة الخلفاء الراشدين - بقية -

ثم خرج بهما إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التى عمَّمَه بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتقلد سيفا ، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ، ونودى فى الناس عامة : الصلاة جامعة ، فامتلأ المسجد بالناس حتى غص بالناس ، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبق لعثمان موضع يجلس فيه إلا فى أخريات الناس - وكان رجلا حييا رضى الله عنه - ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوقف وقوفا طويلا ، ودعا دعاء طويلا ، لم يسمعه الناس ، ثم تكلم فقال : أيها الناس ، إنى سألتكم سهرا وجهرا عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين ، إما علىّ وإما عثمان ، فقم إلىّ ياعلىّ ، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده ، فقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وفعل أبى بكر وعمر ؟ قال : اللهم لا . ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، قال : فأرسل يده وقال : قم إلى ياعثمان ، فأخذ بيده وقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - وفعل أبى بكر وعمر : قال : « اللهم نعم » ! قال فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان وقال : اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم اسمع واشهد ، اللهم إنى قد جعلت مافى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان » .

قال : وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر ، قال : فقعد عبد الرحمن مقعد النبى - صلى الله عليه وسلم - وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية ، وجاء إليه الناس يبايعونه ، وبايعه على بن أبى طالب أولا ، ويقال آخراً ، وما يذكره كثير من المؤرخين ، كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون ، أن عليا قال لعبد الرحمن خدعتنى ، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم فى شأنه ، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (الحج : ١٠)

« يتبع »

أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

كل عام وأنتم بخير ـ عزيزى القارىء ـ والأمة الإسلامية كلها شرقاً وغربا . . ، ويأتى رمضان . . فى ظل عواصف وأنواء تحيط بالأمة الإسلامية ، يأتى شهر رمضان . . وأمة الإسلام متفرقة متحاربة غافلة عما يحاك لها بليل من شياطين الإنس . . . !!

● لقد تنبه الغرب إلى البترول العربى الإسلامى باعتباره سلاحاً وثروة ، فراح ينسج المكائد لإشعال الفتن ونهب الثروات حتى أمسى سعر برميل البترول الآن ١٠ دولارات وقد كان فى أعقاب نصر العاشر من رمضان / أكتوبر ١٩٧٣ حوالى ٤٠ دولارا . . !!

● وتنبه الغرب إلى ضعف إسرائيل وعدم قدرتها على حماية مصالحه ، فراح يضعف العرب جميعاً بحروب حدودية وفتن عرقية وأخرى طائفية لينشغل الجميع ويتم استنزاف الأموال فيما لا يرفع مستوى معيشة ولا ينشر رخاء .

● وتنبه الغرب إلى وحدة الصف العربى التى أرغمت أوربا وأمريكا على احترام المصالح الوطنية للأمة العربية ، فراح يفرق بين أبناء الأمة . . يفرض الحصار ، ويوقع العقوبات ، فى ظل شرعية دولية عرجاء وصمت عربى مريب .

● أيها الأعزاء . . كل عام وأنتم بخير وأمة الإسلام بخير وليكن العاشر من رمضان شعلة مضيئة فى ظلامات وظلمات المجتمع الدولى .

وآن لأمة الإسلام أن تتعافى وليس ذلك على الله ببعيد .

○ القاهرة المنامة ○ـ

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يحضر اجتماعات مجمع الفقه الإسلامى بالبحرين

شارك فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اجتماعات الدورة الحادية عشرة لمجلس مجمع الفقه الإسلامى الدولى التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى بمشاركة عدد من كبار العلماء والفقهاء من مختلف أنحاء العالم .

وقد بحث المجلس عدداً من القضايا الشرعية ، من بينها : بيع الدين والمضاربات والفتاوى وعقود الصيانة ، كما بحث المؤتمر موضوع الحداثة والعلمنة والوحدة الإسلامية .

الأزهر يدعم مؤسسات الدعوة فى جامبيا

● جامبيا : وكالات الأنباء :

أفادت مصادر وزارة الشئون الدينية فى جامبيا أن الأزهر الشريف يدعم مؤسسات الدعوة والتعليم الدينى عن طريق توسيع دائرة المنح الدراسية المخصصة لأبناء المسلمين لدراسة علوم الدين واللغة العربية ، الجدير بالذكر أن المسلمين فى جامبيا ٩٨٪ من السكان .

حماية الأسرة من سلبيات التكنولوجيا فى جامعة الأزهر

نقلًا عن جريدة « الوفد » :

يدرس مركز البحوث السكانية بجامعة الأزهر إنشاء لجنة من أساتذة كلية الطب وعلماء الإسلام مهمتها حماية المرأة المسلمة وأسرتها من سلبيات التكنولوجيا المتقدمة ومن عشوائية البحوث ، ووضع ضوابط أخلاقية يلتزم بها الأطباء من بحوث التكاثر البشرى بما يتلاءم مع الثقافة والقيم الإسلامية .

إحياء التراث الطبى العربى ـ الإسلامى

القاهرة ـ عن جريدة « أخبار المسلمين » :

تم التوقيع على اتفاقية لإحياء التراث الطبى العربى بين المركز العربى للوثائق والمطبوعات التابع لجامعة الدولة العربية والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

وتنص الاتفاقية على التعاون المشترك فى مجال نشر الثقافة الإسلامية وإحياء التراث الطبى بفروعه المختلفة ، وتشجيع الباحثين العرب والمسلمين فى حقول الصحة والطب ونشر أبحاثهم والتعريف بتطور العلوم الطبية عند العرب والمسلمين وبيان موقف الإسلام من التقنيات الطبية المعاصرة .

صفوت الشريف يوصى بزيادة نسبة البرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون

شهدت المحطات والقنوات التليفزيونية فى مصر زيادة ملحوظة فى عدد البرامج الدينية لتأكيد الهوية الإسلامية والعربية لمصر مع الاهتمام بتفسير القرآن الكريم والرد على أسئلة المستمعين والمشاهدين .

وقد علم محرر « الأزهر » أن هذه الزيادة تأتى استجابة لتوصية وزير الإعلام بزيادة ساعات البرامج الدينية .

هيئة الأوقاف تنفى عرض أى أثر تاريخى للبيع

القاهرة : عن جريدة « الأهرام » :

اكدت هيئة الاوقاف انه لم يسبق لها ان عرضت اى أثر تاريخى للبيع سواء ما يقع منها تحت إدارتها أو ضمن الأوقاف الأهلية والخيرية واكد رئيس هيئة الاوقاف ان تعليمات وزير الأوقاف تقضى بالاهتمام إلى أقصى حد بالآثار التى تحت إدارتها والالتزام الكامل بقرارات اللجنة المشكلة من الآثار والأوقاف ومحافظة القاهرة من أجل تفريغ السكان الشاغلين للآثار وكذلك المحال التجارية .

معرض زراعى صناعى للدول الإسلامية فى القاهرة

القاهرة ـ لمحرر « الأزهر » :

صرح السيد كامل الشريف لمحرر الأزهر بأنه تم عقد اجتماع بين لجنة التمويل والاستثمار ولجنة الإعلام بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة حضره رؤساء اللجان وعدد كبير من ممثلى وزارات الأوقاف والمؤسسات الإسلامية الأعضاء بالمجلس .

وقد تقرر تشكيل لجان لجمع التبرعات لدعم مشروعات الدعوة والإغاثة فى بلدان العالم الإسلامي .

كما تقرر إقامة معرض زراعى صناعى للدول الإسلامية فى مدينة القاهرة ـ وإقامة معهد لتدريب رجال الدعوة على أعمال الإغاثة .

وزير الأوقاف : ضرورة الاهتمام بتحقيق المخطوطات الإسلامية

القاهرة : عن جريدة « أخبار المسلمين »

أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف على الدور الذى يقوم به المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة فى نشر التراث الإسلامى المتمثل فى المخطوطات الإسلامية الوفيرة التى تزخر بها المكتبات الإسلامية المصرية .

لأول مرة ٦٠٠٠

إمام وخطيب بالأوقاف

بنظام المسابقة

القاهرة : خاص لمحرر « الأزهر » :

لأول مرة يتم اختيار الأئمة الجدد وعددهم ٦٠٠٠ خريج من كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية بنظام المسابقة وليس بالتكليف .

وصرح السيد وزير الأوقاف أن وظيفة (باحث دعوة) انتهت من سجلات الوزارة ومساجدها للأبد ، وأنه لن يحول أى إمام إلى وظيفة إدارية ، وطالب الوزير الدعاة بالتركيز على منهج الإسلام فى الدعوة إلى الله .

تعاون مصرى ماليزى

لنشر الثقافة الإسلامية

وقع الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف اتفاقية للتعاون والتنسيق فى مجالات الدعوة والتعليم والثقافة الإسلامية بين مصر وماليزيا .

وتنص بنود الاتفاق الذى وقعه وزير الشئون المالية الماليزى على توحيد الجهود للحفاظ على التراث الإسلامى وتبادل الدراسات والبحوث وتبادل الوفود لدعم مسيرة العمل الإسلامى .

○ صنعاء ○

أقدم نسخة من المصحف الشريف بخط الإمام على ـ رضى الله عنه ـ

علم محرر « الأزهر » أنه تم العثور على مجموعة من المصاحف فى خزانة الجامع الكبير فى صنعاء ، يعود تاريخ كتابتها إلى عام ٣٠ هـ .

ومن هذه المصاحف نسخة بخط الإمام على بن أبى طالب ، ونسخة أخرى بخط الصحابى الجليل سلمان الفارسى ، ونسخة ثالثة بخط زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم أجمعين ، وقد قامت وزارة الشئون الدينية فى اليمن بتصوير هذه المصاحف لإهدائها إلى المؤسسات الإسلامية فى العالم .

تركيا

تسجيل الترجمات الشفوية لمعانى القرآن الكريم فى شهر رمضان

أسطنبول ـ وكالات الأنباء :

تم الاتفاق بين مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسطنبول والمراكز الإسلامية فى أفريقيا لتسجيل معانى القرآن الكريم باللغات الأفريقية من خلال تفسير القرآن الكريم التى تعقد بالمساجد الكبرى بالدول الأفريقية .

وأشارت مصادر مركز الأبحاث التركى أن المركز قد اتفق على تسجيل ترجمة معانى القرآن الكريم بلغة « الولوف » وبلغة (التماشق) و (الصنغاى) .

Un jour, on exposa devant le Prophète-b.s- un cas de vol d'une tunique. Le plaignant saisit de compassion envers le voleur, voulut lui pardonner. Le Prophète-b.s-lui dit:***"Pourquoi ne lui as tu pas pardonné avant de me l'amener?".*** **Hadith rapporté par Abu Dawud.**

Il a dit également:***" Quiconque intecède pour arrêter l'application de la loi divine, agit à l'encontre de la volonté d'Allah."***

Hadith rapporté par Abu Dawud.

2- L'intercession dans l'application de la loi du talion est permise, car ceci est un droit de l'individu et l'ayant-droit a le droit de pardonner mais sous certaines conditions qui seront expliquées plus loin.

3- L'intercession dans "Al-Tà zir" est possible. "Al-Tà zir" (c'est la peine laissée à l'arbitraire du juge, cela relève du ressort des autorités et non des particuliers).

Il est permis au juge de pardonner, sauf si la peine infligée aux coupables sert à les reformer, dans ce cas, il doit appliquer la peine pour combattre la corruption de crainte qu'elle ne se propage, car le but visée est de proscrire le mal et d'apporter quelque utilité; c'est dans ce but que le juge doit statuer les affaires.

strictement fixées pour certaines crimes. Ces sanctions fixées sont un droit d'Allah, elles sont immuables, et ne peuvent faire l'objet d'aucune modification ni en augmentation ni en diminution, de même, elles ne doivent pas être supprimées ni par le gouverneur ni par ceux qui sont gouvernés.

Quant aux transgressions qui sont moindres et dont le danger n'est pas aussi grave que ceux qui exigent le "Qiças" ou le "Hadd", l'Islam a établi pour ceux-là un châtiment moins sévère: "Al-Tà zir"[3]

" Al Tà zir" c'est une correction qui commence par le blâme, les réprimandes et progresse en intensité jusqu'à la flagellation[4], la mise à l'écart, la prison et l'exil.

La jurisprudence islamique a mentionné quelques transgressions telles que l'usure, le blasphème, le pot de vin, la traîtrise et n'a pas fixé les peines légales à infliger à leurs auteurs, mais a laissé au gouverneur, aux autorités et aux jurisconsultes la liberté de fixer les transgressions qui nécessitent une punition (Al-Tà zir). Ces punitions diffèrent d'une contrée à l'autre et d'une époque à l'autre. Cela leur a permis également de fixer la correction en fonction de chaque cas séparément.

Il existe en autre des principes fondamentaux qu'il ne faut jamais transgresser, tels que la justice, l'égalité de tous devant la loi, etc...dont les plus importants sont les suivants:

1- Il n'est point licite que le juge accepte l'intercession de qui que ce soit en ce qui concerne l'appliquation d'une loi d'Allah (Hadd).

De même, il est illicite que quiconque intercède en faveur d'une personne méritant la sanction pénale (Hadd) à partir du moment où l'affaire est portée devant le juge.

Mais, avant que l'affaire ne soit portée devant le juge, non seulement l'intercession est permise, mais aussi le pardon en ce qui concerne les droits des individus. Le Prophète-b.s- a dit: ***"Intercédez en faveur des autres tant que l'affaire n'est pas portée au juge, mais une fois que celle-ci parvient au juge même si le plaignant pardonne, Allah-Gloire à Lui- ne pardonna pas."***

Hadith rapporté par Al-Darqatany.

De même d'après, ce qui fut rapporté de l'histoire de Fatima fille de Assad et de l'intercession de Ossama Ibn Zaïd en sa faveur après qu'elle eut volé, le Prophète-b.s- dit à Ossama: ***" Comment oses-tu intercéder à l'encontre d'une loi divine Ô Ossama?[5]".***

Hadith rapporté par Muslim.

---

[3]Toute transgression pour lequel aucun châtiment légal n'a été prévu doit être corrigé, mais l'évaluation de la peine dans ce cas est laissée au juge.

[4]S'il s'agit de flagellation, celle-ci ne doit pas dépasser dix coups.
Le Prophète-b.s- a dit: *"On ne doit pas dépasser dix coups comme correction, sauf pour le "Hadd" prescrit par Allah"* **Hadith rapporté par Al-Bokhary et Muslim.**

[5]Ossama Ibn Zaïd-A.s.l.-un des notables compagnons, nommé le bien-aimé du Prophète-b.s-. Sa tribu le pria d'intercéder en faveur d'une voleuse pour ne pas amputer sa main. Ce qu'il fit et supplia le Prophète-b.s-de la pardonner. Le Prophète-b.s-refusa l'intercession et ordonna d'amputer la main de la femme.

LES OBJECTIFS DE LA JURISPRUDENCE ISLAMIQUE (SUITE)

par : MME HODA HUSSEIN CHAARAWY

En veillant à la formation de l'homme vertueux et à l'établissement d'une société vertueuse, l'Islam vise essentiellement à préserver pour les gens toutes les nécessités vitales dont la perte ou le manque amène le déséquilibre, le désordre et la corruption. Ces nécessités peuvent être cernées autour des cinq principes fondamentaux suivants:

1- La religion.
2- L'âme.
3- Les biens.
4- La raison.
5- La progéniture.

Si ces nécessités sont respectées, sauvegardées grâce à une auto-discipline continue qui va de pair avec la conscience morale de la personne d'une part, et les vertus d'une société qui se plie aux ordres d'Allah d'autre part, les gens pourront vivre en sécurité dans un climat favorable à une vie honorable, à la prospérité, la paix, la sécurité et la tranquillité.

Or, comme le mal existe dans l'humanité depuis sa création et comme les gens ont des natures différentes semblables aux métaux, parmi lesquels se trouvent ceux qui sont précieux et ceux qui sont bas; il fallait affronter les crimes que l'Islam juge dangereux, et qui peuvent porter atteinte aux nécessités vitales des gens, et cela au moyen de sanctions dissuassives et répressives qui varient en sévérité selon le degré du tort qu'elles causent.

L'Islam a établi la loi du talion (qiças) et la rançon du rachat (Dyia)[1] sur les délits commis envers la personne par le meurtre, la blessure ou la privation d'un membre.

L'islam a aussi établi des sanctions pénales"Hadd"[2]. Ces sanctions Allah les a

[1] Al Dyia c'est un dédommagement versé comme "prix du sang" de la victime aux ayants droit.
[2] C'est le fait d'infliger à l'auteur d'une action interdite par Allah une peine corporelle.

Premièrement: quand le Messager -b.s.- apprit que la tribu de Qoraïch était sortie pour repoussser leur attaque, il prit la décision de les affronter. Toutefois, il consulta ses compagnons à ce sujet. Abou Bakr puis Omar l'approuvèrent; ensuite Amr parla et dit : "Ô Messager d'Allah, poursuis ce qu'Allah t'a indiqué, nous sommes avec toi. Par Allah, nous ne ferons point comme le peuple d'Israël qui dit à Moïse: "***Pars toi avec ton Seigneur et combattez; quant à nous, nous restons là***". Nous te disons plutôt : "***Pars toi avec ton Seigneur et nous sommes tous à combattre à tes côtés***".

Alors le Prophète -b.s.-invoqua son Seigneur pour obténir Sa bénédiction, puis il dit : "***Ô vous les Ançars, prêtez-moi conseil***", car ces derniers lui avaient prêté serment d'allégeance à Al ʻAqaba qu'ils le défendraient contre son ennemi quand celui-ci arriverait à Médine. Il craignit que les Ançars ne le soutiennement qu'uniquement contre ceux qui l'attaquent à Médine. Alors Saʻd Ibn Moʻaz, l'un des Ançars prit la parole: "***Par Allah, as-tu besoin de nous, ô Messager d'Allah- Oui certes***", répondit Mohammad. Saʻd dit alors: "***Nous avons cru en toi***".

Ceci est un exemple de la consultation telle que la pratiquaient le Prophète et les Sages Califes après lui.

Dr. Rokeya GABR

A l'occasion du mois de Ramadan Le mérite du jeûne

Dr. Rokeya Gabr

Selon Abu Horaïra - qu'Allah soit satisfait de lui - le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut - a dit: "Toute œuvre du fils d'Adam est multipliée : chaque bonne action est décuplée et même peut même être multipliée sept cent fois. Allah - qu'Il soit glorifié et exalté - a dit: "***A l'exception du jeûne : il m'appartient et c'est Moi qui en accorde la récompense. Le jeûneur se prive de ses désirs et de sa nourriture pour Moi. Le jeûneur éprouve deux joies : la joie de la rupture de son jeûne et la joie de rencontrer son Seigneur. L'haleine du jeûneur est, pour Allah, bien plus agréable que le parfum du musc***".

Hadith rapporté par Muslim

Sahl Ibn Sa'd - qu'Allah soit satisfait de lui - a rapporté que le Messager d'Allah - à lui bénédiction er salut - a dit: "***Dans le Paradis, il y a une porte qu'on appelle "Al Rayyân" et par laquelle entrent les jeûneurs le Jour du Jugement Dernier; personne n'y entrera avec eux. On dira: "Où sont les jeûneurs?" Ils entreront alors par cette porte puis, lorsque le dernier d'entre eux sera entré, on fermera cette porte et personne n'entrera après cela***".

Hadith rapporté par Muslim.

Ces deux hadiths, parmi tant d'autres qui rapportent les paroles du Prophète Mohammad - à lui bénédiction et salut - montrent au musulman les mérites du jeûne.

La bataille de Badr durant le mois de jeûne

Le combat de Badr renferme bien des leçons et des exemples à suivre; mais nous allons ici mettre en valeur trois situations qui tournent autour du principe de la consultation en Islam.

REVUE
AL AZHAR

Ramadan 1419 H. Jan. 1999 Vol. 71 Part IX

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

him) narrated that the Messenger of Allah (P.B.U.H) said: "Whoever sends a prayed to me Allah sends ten to him". He also advised his daughter Fatima Al Zahraa when her hands became rough after working on the millstone for long and so she wanted a servant to say (Subhana Allah thirty three times, Allahu Akbar thirty three times and La illaha illa Allah to make a hundred) before going to sleep and this will be better for her than to have a servant.

It is also important to mention the Prophet's (p & P B U H) advice to the poor Muhajerin, to say Subhana Allah Alhamdu Lilla, La illaha illa Allah and Allahu Akbar after every prayer. The relation between the remembrance of Allah and the number thirty three is something essential.

Science proved that the vertebrae in the spine of the human body are thirty three. So, it is a though whoever says the words of prayers is actually saying (O Allah You are the support for my back), Accordingly all of these supplications are related to counting and calculation in a serious kind of work with something fruitful in this life and the hereafter. It is a divine revelation that strickes hard at the materialistic nonsense, and raises the human being high even while doing something that is not considered as valuable as it really is. This work raises the person high in bright skies. But it is really rejected foolishness to leave a person to count whatever he wishes just to waste time and life.

Opposite Intentions :

This means that the person means something and then would do something different in order to bring about sleep. Those who stand for this kind of treatment suggest that people who suffer from lack of sleep have to stay awake during the night without taking any kind of medicine or caffeine. Scientific experts proved that when those people who could not sleep were asked to remain attentive for half an hour the majority of them went to sleep at once. On the contrary, when those people were told (by telephone) that they could go to sleep, a lot of them woke up and could not go back to sleep again. Meanwhile, a famous psychologist succeeded in developing a kind of treatment which he called (Controlling Sleep through an Insentive).

This method treats those for whom sleeplessness is related to staying in bed. The treatment requires that they leave their beds so long as they do not feel ready to sleep. This means that they should not do anything other than sleep while being in bed (like watching television or reading a book). Only a few acts were exempted.

If someone could not sleep after going to bed and spending ten minutes there, he has to leave the bed and go to another room until he feels the desire to sleep. He should repeat this until he sleeps. He also has to get up at the usual time for him if he was to sleep early without taking any naps in the afternoons. No attention should be given to the side effects like being tired or suffering from unbalanced performance.

to be fallowed

on imagining crows flying and hovering round about each other. Then you will see how such materialistic persons play with the minds of people. Their evidence herein is that modern science proved that the human brain is divided into two hemispheres with different functions each. The right section of the brain is mainly concerned with visual images while the function of the left side is speaking, counting, and calculating. This is a scientific fact.

It is indisputable that counting and imagination make both sides of the brain in contineous work. They provide for the brain a refuge to be able to flee from cares, worries and other trouble which consequently allow sleep to creep into our subconscience. All of this can not be reached through trivial imagination which fill modern clinics of slumber medicine.

Another method similar to that of counting the sheep is to imagine writing the numbers from one to one hundred on an imaginary blackboard. But to move away from that worthless nonsense, let's mention some methods of treatment set by the Prophet (Prayers and Peace Be Upon Him). Such methods aim at comforting the conscience and the mind as well. Accordingly, we can get a quiet sleep and consequently we become prepared for a new blessed day.

Al-Bara bin Azib Narrated : The Prophet (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) told me, "Whenever you go to bed perform ablution like that for Salat) (prayed), lie on your right side and say (O Allah I surender to You and entrust all my affairs to you and depend upon You for your Blessings, both with hope and fear of You: O Allah ! I believe in Your Book (the Qur'an) which You have revealed and in Your Prophet Muhammad (Prayers and Peace of Allah Be Upon Him) whom You have sent). Then if you die in that very night, you will die with faith i.e. on the religion of Islam. Let the aforesaid words be your last utterance before sleep".

The Hadith shows us that the best and most important condition to get ready for a quiet sleep is to enjoy spiritual and senseous purity, to direct oneself completely to the Creator of all powers and fate, as well as to submit to Him in every worth and worthless matter, If it is necessary to count something to bring about sleep, this should not be illusions or lies. It should be something good that can be useful for the person in this world and the Hereafter.

Sleep is exactly as wakefulness. Both are two kinds of behaviour that should aim at gaining a reward from Allah. Here are some prayers and supplications (Duaa) which are related to counting and which can be practissed either by day or by night :

Narrated Abu Ayub Al Ansari. The Prophet (P.B.U.H) said that "Whoever says Subhan Allahu wa bihamdihi one hundred times a day, , will be forgiven all his sins even if they were as much as the foam of the sea. The duaa means to say : Glorified be Allah, the Most Great ! Glorified be Allah and praised be He.

The Perophet (P.B.U.H) advised Muslims to send prayers to him a lot by saying (Allahuma sali wa salim ala Muhammad). Accordingly, Abdullah bin Amr (May Allah be pleased with

Definition of Insomnia :

Most researchers define insomnia as the unability to sleep at night which has its harmful effects that cause deficiency in performing the jobs which could be done by day only. The effective factor here (to speak more specifically) is not the span of time we spend in bed whether short or long. If we count on that you can be classified as one of those who suffer from sleeplessness. This point is not at all important. Allah described his faithful slaves saying :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

"They used to sleep but little at night. (77) and in the morning they asked (Divine) protection. (18).

(Al Dhariyat)

But inspite of that those faithful people were religious by night and as cavaliers (heroes) by day.

What matters is the quality, the efficiency and the extent of wakefulness (you enjoy while doing your job). Although some people do not sleep more than three or four hours every night, they are perseverent and perform well while doing their jobs during the day. Perhaps one of those people might complain of the pressing need for sleep. Then he might only be affected by what we used to repeat in our childhood that we must have no less than eight hours sleep. But this rule can not be applied to all people in all cases.

Edison,the inventor, who had rarely got enough sleep every night, had an excelent performance including a few naps in the middles specially when he used to solve some problems. But, the right path has to be followed as we can not all be like Edison. Besides, chronic insomnia might be destructive. The person affected by this illness is aware of the most effective way of torture. He can explain why sleeping pills next to aspiring is most widely used in some countries like the U.S.A.

The Americans in the U.S.A swallow about thirty million tapes of aspirin (millions of aspirin tablets) every night. This has an opposite effect because aspirin turned to be one of the main causes of sleepessness, together with a number of bad habits. The most dangerous of such habits are taking drugs and drinking alcohol.

Methods of Treatment :

It is satisfactory to know that there is not much difference between the most advanced scientific methods to bring about sleep and to get rid of insomnia, and the methods which have already been applied and proved to be effective. Modern experts of sleep medicine suggest improving sanitary conditions when going to sleep. This has got just a little significance because a lot of nonsense entered into this theory.

The Superstitious Idea of "Counting the Sheep"

Take for example this old tradition which depends on a methods called "Counting the Sheep" used in order to treat insomnia and bring about sleep. This method might also depend

Methods to Treat Insomnia Between the Nonsense of Materialists and the Guidance of Islam

By : Mr. Abdul Hamid Beshir
Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

Islam endeavours greatly to spread out the spirit of tranquility and peacefulness among people. The remembrance of Allah in all situations is its magical effect in this respect. Allah says ;

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ﴾

"Those who believe and whose hearts find rest in the remembrance of Allah. Now surely in Allah's remembreance do hearts find rest"

(Al Rad 28)

In this way Islam encounters face to face an enemy that for long has robbed a lot of people of rest and has made the beds of those arrogant ones too rough for them to be able to sleep along the days.

Napoleon Bonaparte could not get rid of that enemy and Winston Churchil suffered a lot. As for Dickens and Kafka (the two famous novelists), they were obliged to change some of their habits to overcome that enemy, but in vain. Some people would not believe that a Brithish Prime Minister had to resign and give up his high position because he could not conquer that enemy and get enough rest. His performance had been disordered. Even Thomas Edison (the renowned inventor) could not beat that enemy except from time to time.

Well, what were those famous people together with millions of other human beings looking for ? They were greatly perplexed. The matter is difficult and even unattainable (impossib). It is simply the natural behaviour enjoyed by people of sound consciences and piety even if they could not get much. It is to be able to sleep at night and to have some rest.

To be deprived of this blessing a person falls a prey to insomnia (sleeplessness) which is a kind of pain as old as history. The causes of insomnia are not understood even nowadays and after decades of contineous research and hard work trying to find out the nature of that illness.

And say : «O my Lord I seek refuge with Thee from the suggestions of the Evil Omes; «And I seek refuge with Thee, O my Lord lest they should come near me.»

The Muslim home is a place which disobey the devils and contradicts its whisperings The main guide line of that home is Alla's obedience and love to His Messenger, peace be upon him.

A home with strong relationships

The Muslim home is very unique in its and caring relationships. The members of the Muslim family are gathered and controlled by their love and obedience first to Allah then to each other and to the community around them. The most important bond between the husband and his wife is love and mercy which eventually will be transferred to the children and then to the whole world It is a home in which the Islamic character is built and flourished under the merciful rules of Islam.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ
أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

And among His Signs is this, that He created for you mates from among yourselves, that ye may dwell in tranquillity with them, and He has put love and mercy between your (hearts): verily in that are Signs for those who reflect.

(Ar-Rum 21)

A home with message and responsibility

The Muslim home is a home of Dawa (propagation of Islam). The goal of everyone who lives in that home is to propagate Islam and spread the Message within the Muslims and the non Muslims as well. They should do so by setting an example and by spreading the Islamic information within the extended family and the neighborhood as well. The Muslim home is always opened and ready for help, care and support for its community and for the Islamic world as a whole.

Finally, I like to add that the Muslim home should also be unique in its furniture and decoration for it should represent the religious spirit of the people who live in it. It also should not contain in a way or another any pictures or figures which contradict with the Islamic rules and believes.

Then I pray to Allah Almighty to help us build our homes on piety, godfearing and love for Him and His Messenger.

A home based on knowledge

The Muslim home is a home based on knowledge. Every member in the family is encouraged to learn and seek knowledge. As Muslims we are encouraged to learn in the different areas of knowledge but it is more important to learn the rules of our faith and the basic specific jurist information that the person should know in order to worship Allah in the right way.

The Muslim woman unlike any other woman at time of the Prophet, peace be upon him, was encouraged to learn the rules of her faith in order to know both her rights and duties. As Al-Bukhari narrated in his authentic book of the Prophetic tradition that the Prophet, peace be upon him, said that the best women were the women of Al-Ansar because shyness did not stop them from learning their faith.

The Muslim home is observed by the angles :

It is a home that is lightened by the recitation of the Qur'an and the practice of the prophetic tradition. In the model Muslim home the prophetic style of life is a style that is brought into life through practice and adaptation. It is narrated by Abi Mosa Al-Ashari that the Prophet, peace be upon him, said :

The diffarence between the house where the name of Allah has been mentioned and the house where Allah had not been mentioned is like the difference between the alive and the dead person.

(narrated by both Al-Bukhari & Muslim)

Here the Prophet, peace be upon him, is creating a similarity between the house where Allah is mentioned and the living person but the house it which Allah is not mentioned is like the dead person. Allah's mentioning here is meant to be through prayers, recitation of the Qur'an and the other types of dhikr (means of mentioning the glory of Allah). Members of the Muslim family always remember Allah not only in their prayers but also in their daily practices. Whenever the Muslim mentions Allah's name there is an angle writing what he is saying thus through dhikr the Muslim family will be able to be observed by the angles continuously.

The Muslim home has no room for the devil (Shytan)

The Muslim home has no room for the devils because it is protected by Allah and His words. Muslims always gain Allah's protection as we are asked to do that through different means, for example: the recitation of the Aya of the Throne (Aya 255, Sura Al-Baqarah) because it protects the person especially while he is sleeping. In this great Aya of the throne Allah is describing some of His characteristics which provide and mentain life for all beings because His life is the source and constant support of all derived forms of life. Allah's protection can also be gained from the recitation of the last two Ayas of Sura Al-Baqarah.

According to Allah's orders His protection against the devil can be gained from the recitation of the other Ayas like the two Ayas of Surah Almouminoun (The believers):

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾

The Muslim Home

by : Hadeer Refat Abo El–Nagah

While the western civilization is presenting to the world an increasing number of broken homes and unsuccessful marriages, the Islamic civilization is providing the model of the right and fruitful relationship between man and woman within the holly bond of marriage. This model should be presented to the coming generations who are in an urgent need to establish their relationships on solid foundations. The rightful and deep relationships provided through the Islamic marriage which is based on the Islamic rules provide the couples and their offspring with a quiet and respectful place which they can call home.

Here I am presenting some of the main elements which characterize the Muslim home:

A home built on the love for Allah and His Messenger :

While every thing around us is materialistically centered the human soul is looking for a spiritual authority to fill in the huge hole and emptiness which the modern human beings feel. Islam provides the humanity with the spiritual power to contact with The Creator. Islam-not like any other religion-exceeds the walls of the worshipping place (the masjid) to be part of the Muslims everyday life. It regulates all and every detail of the marital relationship before, during and even after the marriage.

The Muslim home is not built on two conflicting powers trying to control each other it is rather built on two believing hearts who are trying to work together to serve Allah through their marriage. The supremacy in the Muslim home is not to a dictator husband who tries to force his rules no matter what they are, nor to a proud arrogant wife who cares only about herself. But the supremacy here is to Allah. He is the only authority which can draw the guide lines for the Muslim family as He says in the Qur'an:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

Ye who believe. obey Allah, and obey the Messenger, and those charged with authority among you. If ye differ in anything among yourselves, refer it to Allah and His Messenger, if ye do believe in Allah and the Last Day: that is best, and most suitable for final determination.

(S,4. A,59)

AL-AZHAR MAGAZINE

Ramadan 1419 H. Jan. 1999

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part IX

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation

AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● رمضان شهر النفحات الربانية	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٣٣٧
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٣٤٢
● قبس من انوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٣٤٧
● يوم النصر العظيم	
للاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	١٣٥٠
● رمضان شهر الجهاد	
لفضيلة الشيخ : السيد عبد المقصود عسكر	١٣٥٥
● رمضان شهر الخيرات والنفحات والبركات	
لفضيلة الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١٣٦٠
● سلوكيات المسلم فى رمضان	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى	١٣٦٤
● الصوم توازن بين المادية والروحية	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومى	١٣٦٨
● رمضان شهر الوجدان	
للأستاذ الدكتور : مبروك عطية أبو زيد	١٣٧٠
● الإسراء والمعراج منعطف فى تاريخ الدعوة	
للأستاذ الدكتور : سعد ظلام	١٣٧٣
● القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة	
لفضيلة الشيخ : محمد حافظ سليمان	١٣٨٢
● حسن التلاوة رحمة ونعمة	
لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون	١٣٨٧
● تاج الجوامع اول جامع فى افريقية	
دكتور : عبد العزيز صلاح سالم	١٣٩٢
● من بواهر الآيات « والقت مافيها وتخلت »	
لفضيلة الشيخ : محمد عبد الرحمن صان الدين	١٣٩٨
● إنسانية الاعياد فى الإسلام	
لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم	١٤٠٢
● من قادة الخلفاء الراشدين « امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه »	
للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين	١٤٠٥
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين	١٤٠٨
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر « تحقيق القول فى ليلة القدر » لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج الدين	
إعداد وتقديم : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤١٢
● ذخائر النفائس فى شهر الصيام	
للأستاذ : أحمد مصطفى حافظ	١٤٢٥
● من نصراء الفصحى فى العصر الحديث	
للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد	١٤٢٨
● طرائف ومواقف	
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤٣٤
● من اعلام الأزهر « الدكتور على العمّارى فى بحوثه العلمية	
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى	١٤٣٦
● العلوم الكونية « قراءة إيمانية فى كتاب الكون »	
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا	١٤٤٢
● بشريات	
للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير	١٤٤٧
● خميلة الشعر	
للأستاذ : محمد عبد الوهاب	١٤٥١
● بشير النصر	
للأستاذ : السيد صديق حافظ	١٤٥٢
● من بشائر النصر فى غزوة بدر	
للأستاذ : خالد محمود إبراهيم سالم	١٤٥٣
● سبحان الله	
للأستاذ : محمد محمد عبد الرحمن	١٤٥٥
● دوحة الكتب	
إعداد : محمود الفشنى	١٤٥٧
● بين المجلة والقارىء	
إعداد : عادل رفاعى خفاجة	١٤٦٥
انباء مكتب شيخ الأزهر	
للأستاذ : عمر البسطويسى	١٤٧٠
● اخبار العالم الإسلامى	
يحررها الدكتور : حسن على محمد	١٤٧٨
● القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية	
د . هدى حسين شعراوى	١٤٨٢
● المقالة الأولى	
د . رقية جبر	١٤٨٦
● القسم الإنجليزى	
● المقالة الثانية	
للأستاذ : عبد الحميد بشير	
ترجمة : حنان عبده الطهطاوى	١٤٩١
● المقالة الأولى	
هدير رفعت أبو النجا	١٤٩٤

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الجائزة

أحمد المولى تبارك وتعالى وأصلي وأسلم على أسعد الخلق رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة، وسلم.

وبعد

فقد مضى شهر القرآن، شهر الصفاء والوفاء، شهر رمضان، وجاء يوم الجائزة للفائزين الذين اهتدوا بهدى رسول الله فيه، وأدوا حقوقه وواجباته، وفازوا فيه بالرضا والغفران والقبول. قيل: إنما سمي العيد عيدا، لأنه يقال للمؤمنين فيه: عودوا إلى منازلكم مغفورا لكم، وسميت ليلة الفطر بليلة الجائزة لأنه إذا كان غداة الفطر بث الله ملائكته في كل البلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه

شوال ١٤١٩ هـ - فبراير ١٩٩٩م - الجزء العاشر - السنة الحادية والسبعون

السكك وينادون بصوت يسمعه كل من خلق الله ـ تعالى ـ إلا الجن والإنس فيقولون : ياأمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله لملائكته : ياملائكتى فيقولون لبيك وسعديك فيقول لهم : ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا ومولانا توفيه أجره ، قال فيقول الجليل ـ جل جلاله ـ أشهدكم ياملائكتى أنى قد جعلت ثواب صيامهم من شهر رمضان ، وقيامهم رضائى ومغفرتى ، ثم يقول : ياعبادى سلونى ، فوعزتى وجلالى لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا شيئا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، وعزتى وجلالى لأسترن عليكم عثراتكم ماراقبتمونى ، ولا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود ، انصرفوا مغفورا لكم ، قد أرضيتمونى ، ورضيت عنكم ، قال : فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطى الله ـ عز وجل ـ هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان .

أحبابى : ليس العيد بلبس الناعمات ، وأكل الطيبات ، والتمتع باللذات والشهوات ، لكن العيد بظهور علامة القبول للطاعات ، وتكفير الذنوب والخطيئات وتبديل السيئات بالحسنات ، والبشارة بارتفاع الدرجات ، والخلع والطرف والهبات ، والكرامات . وانشراح الصدر بنور الإيمان وسكون القلب بقوة اليقين ، وما ظهر عليه من العلامات .

قيل : إن رجلا دخل على علىّ ـ رضى الله عنه وكرم الله وجهه ـ فى يوم عيد ، وهو يأكل الخبز الخُشْكار[1] ، فقال له : اليوم يوم العيد ، وأنت تأكل الخبز الخشكار ؟ فقال : اليوم عيد لمن قبل صومه ، وشكر سعيه ، وغفر ذنبه ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد ، فينبغى لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ، ولا يتقيد به ، بل يكون نظره فى يوم العيد نظر التفكر والاعتبار .

وعلى العاقل أن يتخلق بوصف الذل والانكسار والفاقة فلا يرى له شفوف نفس على أحد من المسلمين ، وأن يكثر الملازمة والوقوف فى المواكب الإلهية ليلا ونهارا ، وأن يكون صادق الالتجاء إلى الله فى كل وقت وكل حين ، وأن يكف جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل محرم ومكروه وخلاف الأولى ، أو خطور ذلك على باله ، وعلى العاقل أن يتفقد قلبه صباحا ومساء من دخول الصفات الرذيلة ، وهذا من أكبر نعم الله ـ تبارك وتعالى ـ على عباده ، وأن يعرف الصفات التى تتوارد على قلبه حتى يشكر الله أو يستغفره ، فيتوارد على قلوب العلماء العاملين ـ رضى الله عنهم ـ خمسة أشياء : العلم والحلم والحكمة والخشية والكرم ، ويتوارد على قلوب الأولياء ـ رضى الله عنهم ـ خمسة أشياء : الصمت والذكر والفكر والنور ، وزيادة العقل ، وعمدة هذه الصفات تحصل من الجوع ومن قيام الليل ، ويتوارد على قلوب الغافلين خمسة أشياء : الغفلة والسهو والضحك والراحة والنوم ، ويتوارد على قلوب المنافقين خمسة أشياء : الهوى ، والبغض للعبادة ، والخبث ، والمكر ، والنفاق ، هذه

---

(١) الخبز الخشكار : الخبز الأسمر غير النقى (فارسى) المعجم الوسيط (١/٢٣٥) .

أمهات الصفات ، وكان سيدى على الشاذلى - رضى الله عنه - يقول : تفقدوا بيت ربكم ، وهو القلب ، وانظروا ما نقص من صفاته ، وأركانه وأبوابه ، فإن الله - تعالى - جعل أرضه من المعرفة ، وسماءه من الإيمان ، وشمسه من الشوق ، وقصره من المحبة ، وبابه من الهمة ، ورعده من الخوف ، وسحابه من الوفاء ، ثمرته من الحكمة ، وبهاءه من العلم ، وبرقه من الرجاء ، وغمامه من الفضل ، ومطره من الرحمة ، ونهاره من الطاعة ، وليله من المعصية ، فمن لم يكن فى زيادة تفقد كل وقت لهذه الصفات فهو مغرور ، وأما أركانه فهى أربعة : الأنس والتوكل واليقين والصدق ،وكذلك أبوابه أربعة : العلم والحلم واليقين والمعرفة ، وقد قفل الله - تعالى - على القلب بقفل ولا يفتحه إلا هو يوم القيامة .

وبالجملة : فمن لم يكن بوابا لقلبه يعرف ما يدخل وما يخرج فهو فى خسران(٢) .

وعلى العاقل أن يداوم على عبادة ربه بهمة ونشاط كما كان فى رمضان حتى يلقى الله وهو فى طاعة دائمة ، وسعادة ربانية ، وأن يقتدى بسيد الخلق بصوم ستة أيام من شوال ، لأن النفوس عقب رمضان أرغب فى الطعام وما تشتهيه ، فإذا عادت للصيام بأمر الله - تعالى - كان شاقا عليها ، فكان أجره عظيما ، لهذا كان صومها مستحبا ، ومن صامها فكأنه صام الدهر ، لأن اليوم بعشرة أيام :

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام : ١٦٠) .

فرمضان بعشرة شهور ، والست بشهرين ، وقد صرحت بذلك رواية النسائى ، ولو فرقها أو صامها فى النصف الثانى كفى ، ولكن الأفضل أن تكون متوالية وعقب يوم العيد ، فعن أبى أيوب الأنصارى - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر »(٣) .

ثم يحرص المسلم على صيام ثلاثة أيام الليالى البيض بنور القمر من كل شهر وهى : الثالث عشر واللذين بعده ، وكان هذا عادة الجمهور سلفا وخلفا ، فعن ملحان القيسى - رضى الله عنه - قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا أن نصوم البيض ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر ، قال : « هن كهيئة الدهر »(٤) .

ثم إنه لما كان يوما الاثنين والخميس يومين عظيمين ، لما وقع فيهما ولأن الأعمال فيهما تعرض على الله تعالى ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرص على صومهما ، عن أبى قتادة - رضى الله عنه - قال : سئل النبى - صلى الله عليه وسلم - عن صوم يوم الاثنين والخميس ، قال : « فيه ولدت ، وفيه أنزل علىّ القرآن »(٥) .

---

(٢) لطائف المنن والأخلاق للشعرانى ص (٢٣٢ ، ٢٣٣) عالم الفكر .

(٣) رواه الخمسة إلا البخارى .

(٤) رواه أصحاب السنن بسند حسن .

(٥) رواه أبو داود ومسلم .

كما سئل عن ذلك ، فقال : إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين ويوم الخميس ، فأحب أن يعرض عمل ، وأنا صائم »[٦] .

وهذا لحكم يعلمها الله ، ولعل منها ظهور فضل الآدميين فى الملأ الأعلى ، ومنها : الخوف من ذلك العرض ، كما عليه أن يديم فعل الخير فى غير رمضان ، وهى كثيرة بينها سيد الخلق فى الحديث الذى رواه أبو ذر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس » قيل : يارسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ فقال : « إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم ، وتهدى الأعمى ، وتدل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك »[٧] .

وعن جابر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « كل معروف صدقة »[٨] .

وقالت أم المؤمنين : عائشة ـ رضى الله عنها ـ إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « خلق الله كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاث مائة مفصل ، فمن كبر الله وحمده ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل عظما عن طريق الناس ، وعزل حجرا عن طريقهم ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاث مائة ، فإنه يمسى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار »[٩] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « كل سلامى من الناس عليه صدقة : كل يوم تطلع عليه الشمس ، يعدل بين اثنين ، ويعين الرجل فى دابته ، ويحمله عليها ، ويرفع له عليها متاعه ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة »[١٠] .

وينبغى لكل متعبد وعارف أن يحذر فى جميع أحواله من الرياء ، ورؤية الخلق ، والعجب ، فإن النفس خبيثة ، وهى منشأ الأهوية المضلة والشهوات المردية ، واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق ـ عز وجل ـ لا طريق إلى الأمن من غوائلها مادام الروح فى جسد ابن آدم .

اللهم طهر ألسنتنا من الكذب ، وقلوبنا من النفاق ، وعملنا من الرياء ، وبصرنا من الخيانة ، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وحبب إلينا يارب حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(٦) رواه أصحاب السنن . بسند حسن .
(٧) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٧١/٨) برقم (٣٣٧٧) إسناده صحيح على شرط مسلم والجامع الكبير (٦١٣/٢) .
(٨) إسناده صحيح وأخرجه البخارى فى الأدب (٦٠٢١) .
(٩) إسناده صحيح أخرجه مسلم (١٠٠٧) فى الزكاة .
(١٠) البخارى (٢٧٠٧) فى الصلح . ومسلم (١٠٠٩) فى الزكاة .

احتفال مصر بليلة القدر

تأكيداً لدور مصر الريادى فى المحافظة على القرآن الكريم ، وفى مثل هذا اليوم من كل عام ، وفى ليلة مباركة نزل فيها القرآن الكريم ، يتجدد لقاء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية بأبنائه حفظة كتاب الله - تعالى - .

ومما لا شك فيه أن التمسك بالقرآن الكريم ، والعمل بما جاء به يحفظ على الأمة وحدتها ، ويخلق من أبنائها جيلاً جديداً يبنى ولا يهدم ، يعمر ولا يخرب ، يجمع ولا يفرق ، يصلح ولا يفسد ، فلا تلعب به الأهواء ، ولا يزيغ عن جادة الحق والهدى .

وقد كرم السيد رئيس الجمهورية حفظة كتاب الله من الفائزين فى المسابقة العالمية والتى شارك فيها ٦٨ متسابقاً يمثلون ٦٠ دولة من أنحاء العالم .

والمسابقة المحلية شارك فيها نحو ٢٠٠ ألف شاب وفتاة وطفل ، وبلغت جوائز المسابقتين نحو ١,٥ مليون جنيه ، وقد فازت مصر بالمراكز الأولى فى حفظ وتلاوة وتجويد وتفسير القرآن الكريم فى فروع المسابقة العالمية الأربعة .

كما كرم السيد رئيس الجمهورية محافظة سوهاج بجائزة قدرها ١٠٠ ألف جنيه لتميزها فى نشر الكتاتيب والاهتمام بالقرآن الكريم .

فى احتفال مصر بليلة القدر

خطابُ الرئيس محمّد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

- الإمام الاكبر شيخ الازهر ..
- العلماء الاجلاء ..
- الإخوة والاخوات الاعزاء ..

فى هذه الليلة المباركة ، ليلة القرآن الذى انزله الله على رسوله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

يتوجه ملايين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها إلى الحق سبحانه وتعالى بالدعاء والصلاة من قلوب ملأها اليقين والإيمان ، ونفوس طهرها الصيام والقيام ، مستبشرين بالإجابة وقبول الدعاء ، فى ليلة عظيمة هى عند الله خير من الف شهر وهى - على الدنيا كلها - سلام حتى مطلع الفجر .

وقفة مع النفس:

وقد اعتدنا فى احتفالنا بهذه الليلة العظيمة أن تكون لنا وقفة مع أنفسنا ، نراجع معًا ما حققناه خلال العام الذى مضى ، ونتعاهد فيها من جديد على مواصلة العمل ، ومواجهة التحديات ، وفاء بحق رسالة الإسلام العظيمة التى أكرمنا بها الله ، وجعلنا - بسببها - شهداء على الدنيا كلها بقيم الخير والعدل والحق والسلام ، وهى القيم التى دعت إليها وبشرت بها رسالات السماء .

- السادة العلماء .
- الإخوة والأخوات . .

وتتزامن وقفتنا مع النفس هذا العام مع أحداث عالمية جسام ، كما تتزامن هنا فى مصر مع إنجازات كبيرة

حققناها ، ومازلنا نتطلع إلى المزيد منها ، وأخيرا تقف أمتنا الإسلامية مع شعوب الدنيا كلها على مشارف قرن جديد لا يعلم إلا الله ماسوف يحمله لتلك الشعوب من أسباب الأمن والاستقرار والرخاء ، أو نذر من القلق والظلم والصراع .

فأما على صعيدنا المحلى هنا فى مصر ، فقد شهد عامنا الذى مضى جهودا دائبة حثيثة ، قامت بدور الريادة فيها عقول أبناء مصر من العلماء والفنيين والخبراء ، وحققتها على أرض الواقع سواعد المصريين الذين اعتادوا على البذل والعطاء وتخطى العقبات ، وتوجهت هذه الجهود كلها وجهتين أساسيتين متكاملتين :

الوجهة الأولى : استكمال تطوير البنية الأساسية للمجتمع ، باعتبار تلك البنية حجر الأساس ونقطة الانطلاق لكل نهضة زراعية أو صناعية أو خدمية .

والثانية هى : الخروج بالحياة والعمران من الوادى الضيق حول مجرى النيل إلى مناطق شاسعة ظلت طويلا تنتظر يد البناء والتعمير ، لتفىء بعد ذلك على الشعب كله رخاء وثروة ، وقد مرت بكثير من الباحثين والمحللين لحظات تشككوا فيها فى إمكان تحقيق هذه المشروعات العملاقة فى المستقبل القريب ، بسبب ضخامة الجهد المطلوب ، وضخامة التكلفة التى تتطلبها إقامة تلك المشروعات ، إلا أن روح التحدى والإصرار على النجاح قد استطاعت أن تتغلب وأن تنتصر ، وأن تدفع هذه المشروعات إلى أبعد مما كنا نرجو ونتوقع ، فبدأت معالم النماء وبراعم الازدهار تتفتح فى جنبات الوادى ، مؤذنة بعهد جديد فى حياة مصر ، يمتد فيه العمران وتنتشر الحضارة إلى مناطق وربوع بعيدة عن الوادى ، كان مجرد الوصول إليها أمرا يستبعده كثيرون .

وعلى الصعيد المحلى كذلك ، اكتملت أكثر حلقات الإصلاح الاقتصادى ، وتحررت المشروعات الاقتصادية من معظم القيود التى أحاطت بها فى مراحل سابقة من تاريخنا ، وبدأ القطاع الخاص يشارك مشاركة فعالة ، من خلال جهود متميزة بكل المعايير فى بناء النهضة التى توفر لتلك المشروعات إطارا قانونيا واضح المعالم ، كفيلا بتحقيق أهداف النشاط الاقتصادى فى جو من المنافسة الحرة والمفتوحة ، وغنى عن الذكر أن إنجاز هذه المشروعات الكبرى من شأنه أن يعجل برفع مستوى المعيشة للفئات الكادحة محدودة الدخل ، وهى الفئات التى تحتل الجانب الأكبر من اهتمامنا فى هذه المرحلة ، بعد أن طال حرمانها من الفرصة المتكافئة للعيش فى مستوى إنسانى كريم ، يرتفع فوق حد تلبية الضرورات والحاجات الأساسية ، ولعل أهم مانفخر به ونعتز أن إنجاز هذه المشروعات الكبرى وما صاحبها من جهود هائلة على المستويين التشريعى والتنفيذى قد تحقق كله دون مساس بالحقوق الشخصية والحريات العامة للمواطنين ، إيمانا بأن المواطن الحر الكريم هو وحده القادر على البناء والمستعد للعطاء ، انطلاقا من مشاركته الحرة فى العمل الوطنى ، ومن إحساسه الصادق بالانتماء لمجتمعه .

تطورات جذرية هامة :

- السادة العلماء . .
- أيها الإخوة والأخوات . .

إن العالم يمر فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخه بتطورات جذرية هامة ، كفيلة بأن تترك آثارا لا يمكن تجنبها أو تجاوزها طوال القرن الذى أصبحنا على أبوابه ، وليس أمام الشعوب الإسلامية بديل سوى أن تسهم بفعالية فى صياغة القيم والقواعد التى تحكم حركة المجتمع الدولى فى هذه الفترة الحرجة ، وفى إرساء تقاليد جديدة ، تقوم على تحقيق العدالة وتكافؤ الفرص ، والعمل على تضييق الفجوة القائمة بين الدول النامية التى تنحت فى الصخر لكى تلحق بركب التنمية والتقدم ، وتلك التى حققت تقدما صناعيا وتكنولوجيا هائلا ، مستفيدة من الظروف التى سادت المجتمع العالمى قرونا طويلة ، وأفرزت ثورة صناعية ضخمة فى القارة الأوروبية ، حققت لدولها مركزا مرموقا متميزا على سائر الأقطار فى شتى القارات .

ليس أمامنا بديل سوى السعى بكل الوسائل إلى تعويض مافاتنا فى تلك الحقبة الطويلة والتزود بعوامل القوة التى تمكننا من القيام بدورنا والدفاع عن حقوقنا ومصالحنا وسط هذه الأنواء التى يشهدها العالم فى فترة الانتقال من النظام القديم إلى نظم وأوضاع جديدة ، تتغير فيها الموازين وتستحدث المعايير ، وتتطور القيم والأسس التى تحكم التحول وتضبط حركة التعامل بين الدول .

حث الإسلام على العلم:

وليس هناك من هو أجدر من المسلمين بالاهتمام بالعلم والتركيز على تحصيله ونشره ، لأن الإسلام حض على العلم ، ورفعه مع العمل إلى مصاف العبادات ، فقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر:٢٨)

والرسول الأمين ينصحنا بأن نسعى إلى تحصيل العلم فى كل بقاع الأرض ، والعلم يمتد إلى كل ما ينفع الناس فى الدنيا والآخرة ، وما يرفع شأن المسلمين ويعزز قدرتهم على الخلق والإبداع ، والإسهام فى الارتقاء بنوعية الحياة على هذا الكوكب ، لأن هذا هو الاختبار الحقيقى لمعادن الشعوب وقيمها وعقائدها .

وجدير بالمسلمين كذلك أن يعمقوا فى مجتمعاتهم وفى تعاملهم مع غيرهم مفاهيم التسامح والإخاء ، وينأوا عن التعصب والتطرف لأن الإسلام يقوم على التسليم بوحدة المجتمع الإسلامى ، وعلى قبول التعدد وتحكيم العقل وترويج العمل الصالح . .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات:١٣)

فلا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، ولا تفرقة بين الناس على أساس العرق أو الدين أو الثقافة أو اللون ، ولا بغضاء أو كراهية ، ولا حقد ولا ضغينة ، بل محبة فى الله وسعى إلى تقواه وسير على صراطه .

صيانة القيم والمبادىء :

وإذا كنا مطالبين بأن نصون تلك القيم الرفيعة والمبادىء القويمة فى سلوكنا مع غيرنا ، فإننا ملزمون فى المقام الأول بأن نراعيها فى نطاق الأمة الإسلامية ، بحيث نضرب لغيرنا المثل والقدوة ونجعل أفعالنا وأقوالنا ترجمة صحيحة لمعتقداتنا ومبادئنا ، ونرسى فى تعاملنا داخل الأسرة الإسلامية الواحدة تقاليد رفيعة ترتفع فوق الخلافات والرؤى الضيقة ، وتتنزه عن الغلو والإسفاف والشطط ، وتتجنب الافتراء والجور ، وتحترم الحق وتصون الواجب ، وتعلى كل مايحفظ كيان الأمة وكرامة شعوبها ، وترفض كل ما يؤدى إلى ترويج الباطل وتزييف الحقائق ونشر الأكاذيب لأن هذا السلوك لا يمكن أن يحقق فائدة أو يدفع ضررا ، وكل ما يترتب عليه هو تعطيل مسيرة الأمة ، وتشويه صورتها والإساءة إلى تاريخها .

مصر الكنانة :

والحق أن مصر الكنانة - التى خصها الله بالذكر والتكريم فى كتابه الحكيم - هى أول من يلتزم بهذه المبادىء السامية والقيم الرفيعة ، فهى بلاد الأزهر الشريف ومنارة العلوم الإسلامية ، ومعقل الاعتدال والوسطية ، وعرين المؤمنين الصادقين ، الذين يحفظون عهد الله والوطن ، ويصونون الوعد والقسم ، لا يتنكرون لحق ، ولا يفرطون فى واجب ، ولا يتخلفون عن نجدة الشقيق والرفيق ، بل يظلون دائما كراما حافظين إلى يوم الدين .

كان هذا عهدنا وسيظل ، كان هذا التزامنا الأسمى الذى لا نفرط فيه ولا نتهاون ، ويظل أساس تعاملنا مع البعيد والقريب ، والخصم والحليف ، والكبير والصغير ، لأننا لا نصدر عن الهوى ولا نميل لغرض ، بل إننا نلتزم بالحق والمبدأ ، ونعلى شرع الله وتعاليمه ، ونسير على صراطه فى السر والعلن ، لا نظهر غير ما نبطن ، ولا نقول ما لا نفعل .

نظرة إلى أوضاع أمتنا الإسلامية :

إننا ننظر إلى أوضاع أمتنا الإسلامية هذه الأيام ونتدبر أحوالها ، ونشعر بالرضا عما نلمسه من يقظة للتحديات التى تواجهها ، وإدراك للمتطلبات التى يتعين عليها أن توفرها لكفاحها فى هذا العصر الجديد ، غير أننا نشعر إلى جانب هذا بالأسى لما نراه من فرقة وتعميق للخلافات والمنازعات بين بعض دولها ، ولما تتعرض له الشعوب من المآسى والمحن ، وما تقاسيه من المعاناة والألم ، فى الوقت الذى تتسابق فيه الشعوب الأخرى للوصول إلى مشارف جديدة للتقدم والرفاهية .

إننا نشعر بكثير من الحزن والأسى للأوضاع التى يمر بها شعب العراق الشقيق ، والظروف الصعبة المتردية التى يعيش تحت وطأتها طوال الأعوام الماضية ، بدلا من توجيه موارده وقدراته للتغلب على أحزان الماضى وتراكماته ، والإعداد لمواجهة تحديات الحاضر وتأمين المستقبل ، واستئناف دوره فى تعزيز التضامن العربى ، وتدعيم الأمن والاستقرار فى منطقة تحظى باهتمام كبير فى الوطن العربى ، وعلى الصعيدين الإقليمى والدولى .

نحن نساند حق الشعب العراقى فى تحسين أحواله المعيشية والتخفيف من معاناته ، والحفاظ على وحدته الإقليمية والوطنية ، ونعارض أى انتهاك لسيادته أو تدخل فى شئونه الداخلية ، فتلك هى الخطوط التى تتفق مع مبادئنا وسياستنا ، والثوابت التى لا نحيد عنها مهما حاول المرجفون والمكابرون أن يروجوه من الأكاذيب التى لا تنطلى على أحد ، لأن الحق بيِّن والباطل بيِّن ، ولن يضيع الحق بين الله والناس ولو كره الجاحدون .

ونساند حق الشعب الفلسطينى الشقيق فى استكمال حلقات السلام العادل المتكافىء الذى يقوم على احترام الحقوق والوفاء بالالتزامات ، والحفاظ على حرمة المقدسات وعدم الإخلال بما تم التوصل إليه من اتفاقيات فتلك هى أسس المعاملات الدولية . . وهذا هو الشرط الأساسى للحفاظ على التوجه نحو السلام ، وتأمين الشعوب من الأخطار التى تهدد أمنها وتبدد سلامها واستقرارها ، وتجهض أحلامها فى مستقبل أسعد .

ديننا الحنيف والمحافظة على قيمه الأساسية :

وسنظل أوفياء لهذه المبادىء ، حافظين لتلك التعاليم المستمدة من شرائع الله والقيم الأساسية لدينه الحنيف ، لأن المجتمع الدولى ـ شأنه فى هذا شأن المجتمع فى كل دولة ـ لا يصلح ولا تستقيم أوضاعه إلا إذا كان قائماً على التمسك الصارم بالمبادىء ، والحفاظ على الحقوق ، والصلابة فى مواجهة التحدى ، ورفض الإخلال بالواجبات والتنصل من الالتزامات والتسليم بالمساواة بين الجميع أمام القانون ، لأن الحياة لا تستقيم إلا بالخضوع لتلك الأحكام الآمرة القاطعة .

صلاح البيت :

وقبل ذلك كله ، علينا جميعا أن ندرك أنه لا أمل لأمتنا الإسلامية فى اللحاق بالآخرين ، أو فى حماية مصالحها الكبرى فى مواجهتهم ، إلا إذا كانت نقطة البدء هى « إصلاح البيت » وتغيير صورة الحياة داخل الدول والمجتمعات المسلمة ، تحررا من الفكر الجامد المنعزل ، وتخلصا من أنماط السلوك وألوان التقاليد التى فقد كثير منها مبرر وجوده واستمراره ، إحياءا لقيم العلم النافع ، والعمل المنتج ، والإبداع الخلاق الذى يفتح للأمة طريق المستقبل ، إلا بدعوة جيل الشباب أن يصححوا فهمهم للإسلام ، وأن يتعرفوا من جديد على مقاصده الكبرى وأهدافه النبيلة ، ونظرته للكون وللناس ، مدركين أنه ليس مجرد نصوص جامدة يرفعها الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإنما هو دعوة إنسانية لتعمير الكون ، وإحياء النفوس ، وتحريك العقول ، وهداية مسيرة الناس ، وإصلاح ذات البين بين الأفراد والشعب مسئولية علماء الإسلام وكل صاحب رأى .

ولن يستطيع أن يحمل هذه الأمانة وأن يزود جيل الشباب بهذا الفهم السليم للإسلام ورسالته الخالدة إلا أنتم ياعلماء الإسلام ، الذين أعلى الله قدركم ، وجعلكم - بما تحملونه من العلم الصحيح النافع - ورثة لأنبيائه ، تسألون يوم القيامة عما يسأل عنه هؤلاء الأنبياء ، ويحمل هذه الأمانة معكم كل صاحب رأى فى الأمة ، مصداقا لقوله تعالى مخاطبا نبيه - ﷺ - :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف:٤٤)

رجاء وأمل :

وأسأل الله تعالى ونحن نقف بين يديه لكى نحتفل بهذه الليلة المباركة العظيمة ، ونلتمس الخير فى رحابها ، أن يكون مع أبناء شعبنا المصرى الباسل المجاهد ، ومع أمتنا العربية والإسلامية وهى تخوض بصبر وشجاعة معاركها ضد التخلف والفرقة والتمزق . . وضد العدوان على حقوقها المشروعة ومصالحها الحيوية .

كما نسأله - سبحانه - أن يجعل أعمالنا جميعا خالصة لوجهه ، نافعة لعباده . . إنه سبحانه أكرم مسئول ، وخير عون للمؤمنين الصالحين . .

وكل عام وأنتم وأمتنا كلها بخير . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . ■

فى احتفال مصر بليلة القدر

كلمة فضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهـر

وألقى فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ كلمة قال فيها : إن الرسول الكريم علمنا أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، لكن شريعة الإسلام تقول مرحبا . . ومرحبا . . ومرحبا للقوى العادلة . . العاقلة . . الحكيمة التى تقف إلى جانب الحق حتى ينتصر . . وتقف فى وجه الباطل حتى يندحر .

وشريعة الإسلام تقول : سحقا . . وسحقا . . وسحقا للقوى الغادرة . . للقوى المعتدية . . للقوى التى لا تفى بالعهود . . للقوى التى أصحابها يأكلون معك فى أول الليل ويغدرون بك آخره ، هنا يقول القرآن سحقا لهذه القوة لأنها قوة فاجرة . . وقوة غادرة . . وقوة لا تعرف معنى الوفاء بالعهد ولا تعرف الشرف ولا تعرف معنى الكرامة .

القوة التى يحبها الإسلام هى القوة التى تقف إلى جانب الحق تدافع عن المظلوم . . تقف إلى جانب أصحاب الفضائل تقف إلى جانب الفضائل التى أمرنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ باعتناقها ، أما الذين يملكون شيئا من القوة فيغدرون ويكذبون باسم الإسلام . . فالإسلام برىء منهم . .

القوة مرحبا بها . . لكن أية قوة هى التى نرحب بها القوة العاقلة . . القوة الرشيدة . . القوة التى تنصر الحق وتفى بالعهود والمواثيق .

وقال الإمام الأكبر : ياسيادة الرئيس بإيماننا الذى تتزلزل معه الجبال ولا يتزلزل بأن القرآن قد أخرج الناس من الظلمات إلى النور ، لإيماننا بذلك إيمانا عميقا نحرص فى الأزهر حرصا تاما فى المراحل الابتدائية وفى المراحل الإعدادية ، وفى المراحل الثانوية ، وفى المراحل الجامعية نحرص كل الحرص ، ونبذل كل ما نستطيع من بذل ، والدولة أكرمها الله تعيننا على ذلك وتساعدنا على ذلك وتقدم لنا الميزانية التى نريدها لهذا الحرص فإننا نهتم بتحفيظ القرآن الكريم لأبنائنا ولبناتنا فى الأزهر الشريف ونتعاون أيضاً لأن الإسلام يأمرنا بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى والأوقاف ومع كل المؤسسات التى تخدم القرآن الكريم وتخدم العلم النافع .

إننا فى هذه الليلة المباركة نتضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يوفق الرئيس محمد حسنى مبارك وأن يوفقنا جميعا معه لما يحبه ويرضاه .

فى احتفال مصر بليلة القدر

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

وقد أشاد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف بالإنجازات الكبيرة التى تحققت فى عهد الرئيس حسنى مبارك فى قطاع وزارة الأوقاف وقال ـ إن قطاع وزارة الأوقاف يأتى فى مقدمة القطاعات التى شهدت فى عهد الرئيس مبارك تطورا بالغ الأهمية ، ومن حق الرئيس علينا أن يعرف المواطنون ما قدمه لقطاع الدعوة الإسلامية أثناء فترة رياسته مما لا مجال لمقارنته بما شهدته الدعوة الإسلامية فى مصر عبر تاريخها الطويل .

● لقد كانت ميزانية وزارة الأوقاف عام (٨١ ـ ٨٢) حوالى ٣٨ مليونا من الجنيهات وقد تضاعفت هذه الميزانية فى عهدكم ـ ياسيادة الرئيس ـ أكثر من ست عشرة مرة حتى وصلت إلى ٦١٦ مليونا من الجنيهات .

● كان عدد المساجد التابعة لوزارة الأوقاف عام (٨١/٨٢) ٥٦٠٠ مسجد فقط ، واليوم وصل عددها إلى واحد وأربعين ألف مسجد وأربعمائة من بينها عشرون ألف مسجد تم ضمها إلى الوزارة خلال السنوات الثلاث الماضية فقط بالإضافة إلى ضم ثلاثة آلاف زاوية تتكفل الوزارة بكل نفقاتها واحتياجاتها . . ويعنى ضم المسجد الواحد إتاحة أربع فرص عمل أمام المواطنين .

● أصبح للدعاة فى عهدكم مستشفى يعد صرحا طبيا رائعا بطاقة مائة وستين سريرا ، ويعد مفخرة من مفاخر الطب بين أرقى المستشفيات فى مصر ، وقد تفضلتم بوضع حجر الأساس لهذا المستشفى الكبير ، وتفضل الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بافتتاحه بصفة رسمية بمناسبة الاحتفال بليلة القدر .

● تم فى عهدكم تجديد تاريخى للجامع الأزهر ، وتجديد شامل لمسجد الإمام الحسين ، ويتم حاليا تطوير وتوسيع مسجد السيدة زينب بمساحة تعادل مساحته الحالية ، كما يتم توسيع مسجد السيدة نفيسة وغيرها من المساجد الكبيرة ، وتم إحلال وتجديد المئات من المساجد فى جميع أنحاء الجمهورية .

● صدرت فى عهدكم أربع ترجمات لمعانى القرآن الكريم باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية ، ويجرى الآن إعداد الترجمة الأسبانية ، وتقوم الوزارة بإرسال هذه الترجمات مجانا إلى المسلمين فى كل أنحاء العالم .

● تم فى عهدكم - ياسيادة الرئيس - عقد عشرة مؤتمرات إسلامية عالمية لمناقشة « قضايا الإسلام » « ومشاكل العصر » ، وارتياد الطريق إلى المستقبل أمام المسلمين ، وقد أكدت هذه المؤتمرات ريادة مصر الفكرية فى العالم الإسلامى .

● ومن منطلق مسئولية وزارة الأوقاف فى مجال التوعية الدينية السليمة فى الداخل والخارج زاد فى عهدكم عدد المنح التى تقدمها لأبناء العالم الإسلامى للدراسة فى الأزهر الشريف من ٨٩ منحة عام ٨٢/٨١ إلى ٦٨٥ منحة عام ١٩٩٨ م . كما تضاعف عدد المبعوثين الدائمين والمؤقتين من علماء الأوقاف إلى كل القارات أكثر من عشر مرات .

● ومن منطلق مسئولية مصر التاريخية بوصفها بلد الأزهر الشريف وقبلة المسلمين فى العلوم الإسلامية تجرى الوزارة تحت رعايتكم الكريمة المسابقة العالمية للقرآن الكريم وتشجيعا للأجيال المسلمة على الاهتمام بالقرآن الكريم حفظا وفهما وسلوكا بعيدا عن كل شكل من أشكال التطرف أو الانحراف .

● وانطلاقا من دعوتكم - ياسيادة الرئيس - إلى الخروج من الوادى الضيق إلى الصحراء لزراعتها وبناء حضارة جديدة فيها ، اتجهت « هيئة الأوقاف المصرية » إلى استثمار جزء من أموالها - التى أوقفها الواقفون على أعمال الخير - فى الإسهام فى المشروعات القومية الكبرى . فقد تم تخصيص عشرين ألف فدان لهيئة الأوقاف فى « شرق العوينات » ، وثلاثين ألف فدان أخرى فى « منطقة توشكى » ، وستعمل الهيئة جاهدة على الإسراع فى استزراع هذه المناطق وتوفير أراض وفرص عمل للشباب والمزارعين تشجيعا لهم على المشاركة فى بناء مصر الحبيبة .

وهكذا تستمر مسيرة الخير بقيادتكم الرشيدة ، وتوجيهاتكم الحكيمة نحو مزيد من التقدم والرخاء والازدهار لشعب مصر الذى يعتز بكم كل الاعتزاز . ■

المؤسسات الدينية تبايع مبارك لفترة رياسة قادمة

أعلنت المؤسسات الدينية فى مصر مبايعتها للرئيس مبارك لفترة رياسة جديدة.

جاء ذلك فى احتفال المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين وحضره فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين بمصر.

قال شيخ الأزهر: إننا نجدد البيعة لرجل أعطاه الله عقلاً راجحاً وحرصاً على وطنه واستقامة فى العمل: نبايعه بقلوبنا وأرواحنا قبل ألسنتنا، لأننا عهدنا فيه الصدق فى الكلمة، وحب مصر، وحب من يحب مصر، يصلح ولا يفسد، يجمع ولا يفرق، يبنى ولا يهدم. قال الدكتور زقزوق: إننا نبايع الرئيس مبارك لإنجازاته الكبرى الماثلة للعيان، فعلى المستوى الشخصى والمحلى والعربى والدولى جعل لمصر مكانتها ووزنها وثقلها فلم يعد لمصر أعداء فى أى مكان، كما خرج إلى الصحراء لتعميرها وبنائها حتى يمكن لأجيالنا أن يجدوا العمل والغذاء فى المستقبل، إننا نبايع الرئيس مبارك ليس مجاملة له فهو ليس فى حاجة إلى مجاملة، وليس دعاية له فهو غنى عن ذلك فأعماله تتحدث عنه، وأخلاقه تصنع له الدعاية وسياسته تجعله أهلاً للريادة والقيادة.

وقال الدكتور نصر فريد واصل إننا نعلن مبايعتنا وتأييدنا الكامل للرئيس مبارك من أجل دعم مسيرة الرخاء والاستقرار والوقوف بجانب الحق والشرعية، فهو قائد سفينة السلام الوطنية والعالمية، ومن ينكر ذلك فهو منكر لنعمة الله.

وقال الدكتور إسماعيل الدفتار الأستاذ بجامعة الأزهر وعضو مجلس الشورى نبايع الرئيس مبارك مبايعة المحبين الذين يصدق فيهم قول رسولنا الكريم «خير أمتى الذين تحبونهم ويحبونكم وتدعون لهم ويدعون لكم».

وللرئيس مبارك رصيده العظيم الذى جعل الشعب المصرى يلتف حوله ورسولنا الكريم يقول: «من صنع فيكم معروفاً فكافئوه».

وإعلاننا عن مبايعتنا وثقتنا بالرئيس مبارك هو أداء لواجب دينى ووطنى.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا
اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ
وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ
كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(البقرة : ١٣٣ - ١١٨).

بيَّن القرآن أن أهل الكتاب قد دأبوا على تضليل بعضهم البعض، وأن الخلاف بينهم قد أدى إلى التنازع والتخاصم فقال :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(البقرة : ١١٣)

فالآية الكريمة معطوفة على قوله - تعالى - قبل ذلك :

﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾

(البقرة : ١١١)

إلخ ، لزيادة بيان طبيعة أهل الكتاب ، المعوجة ، وأن رمى المخالف لهم بأنه ضال شنشنة فيهم .

والشىء : يطلق على الموجود ، أو ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، وقد ينفى مبالغة فى عدم الاعتداد به واليهود كفرت عيسى - عليه السلام - ومازالوا يزعمون أن المسيح المبشر به فى التوراة لم يأت ، وسيأتى بعد ، فهم يعتقدون أن النصارى باتباعهم له ليسوا على أمر حقيقى من التدين ، والنصارى تكفر اليهود لعدم إيمانهم بالمسيح الذى جاء لإتمام شريعتهم ، ونشأ عن هذا النزاع عداوة اشتدت بها الأهواء والتعصب حتى صار كل فريق منهم يطعن فى دين الآخر ، وينفى عنه أن يكون له أصل من الحق .

وجملة ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾

(البقرة : ١١٣)

حالية ، والكتاب للجنس .

أى : قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب ، إذ اليهود يقرءون التوراة والنصارى يقرءون الإنجيل ، وحق من حمل التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله وآمن به ألا يكفر بالباقى ، لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثانى ، شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها البعض .

وقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

(البقرة : ١١٣)

معناه : كما أن أهل الكتاب قد قال كل فريق منهم فيمن خالفه إنه ليس على شىء من الدين الحق . فكذلك قال الذين لايعلمون ، وهم مشركو العرب ، فى شأن المسلمين : إنهم ليسوا على شىء من الدين الحق ، فتشابهت قلوب هؤلاء وقلوب أولئك فى الزيغ والضلال .

والهدف الذى ترمى إليه هذه الجملة ، هو أن إنكار اليهود والنصارى لرسالة محمد - ﷺ - لاينبغى أن يثير شبهة على عدم صحتها ، حيث يسبق إلى أذهان الضعفاء من الناس أن تلاوتهم للكتاب تجعلهم أعرف بالنبوة الصادقة من غيرها . فكأن القرآن يقول : إن تلاوتهم للكتاب وحدها لاينبغى أن تكون شبهة .

ألا ترون اليهود والنصارى وهم يتلون الكتاب كيف أنكر كل فريق منهما أن يكون الآخر على شىء حقيقى من التدين ، فسبيلهم فى إنكار دين الإسلام كسبيل المشركين الذين أنكروه عن جهالة به .

وفى هذه الجملة توبيخ شديد لأهل الكتاب ، حيث نظموا أنفسهم - مع علمهم - فى سلك من لايعلم .

وقوله :

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(البقرة : ١١٣) .

صدر بالفاء ، لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة ، وإظهار ما أكنته ضمائرهم من الهوى والضلال ، متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها ، وهو خبر المقصود منه التوبيخ والوعيد .

والضمير المجرور بإضافة بين إليه راجع إلى

الفرق الثلاث ، وما كانوا فيه يختلفون يعم ما ذكر وغيره وقيل الضمير يعود على اليهود والنصارى .

والاختلاف : تقابل رأيين فيما ينبغى انفراد الرأى فيه .

ولم تصرح الآية الكريمة بماذا يحكم الله بينهم ، لأنه من المعلوم أن من مظاهر حكم الله يوم القيامة إثابة من كان على حق ، وعقاب من كان على باطل .

وبذلك تكون الآية الكريمة قد فضحت أهل الكتاب ، حيث بينت كيف أن كل فريق منهم قد رمى صاحبه بالضلال ، وفى هذا تثبيت للمؤمنين ونهى لهم عن أن ينهجوا نهجهم .

ثم تحدث القرآن عن سوء عاقبة من يسعى فى خراب بيوت الله ، فقال :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٤)

ويرى بعض المفسرين أن هذه الآية نزلت فى شأن الرومانيين الذين غزوا بيت المقدس وخربوه . ويرى آخرون أنها نزلت فى كفار قريش حين منعوا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية .

وكيفما كان سبب النزول ، فالآية تشمل بذمها ووعيدها ، كل من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها .

ومن اسم استفهام يراد منه النفى ، أى : لا أظلم . والمساجد : جمع مسجد ، وهو المكان الخاص للعبادة ، مأخوذ من السجود ، وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعاً لله وتعظيما .

والظلم : الاعتداء على حق الغير ، بالتصرف فيه بمالا يرضى به ، ويطلق على وضع الشىء فى غير ما يستحق أن يوضع فيه ، والمعنيان واضحان هنا .

وذكر اسم الله كناية عما يؤدى فيها من العبادات ، إذ لاتكاد عبادة تخلو من ذكر اسمه ـ تعالى ـ :

والسعى فى الأصل : المشى بسرعه فى معنى الطلب والعمل .

والخراب : ضد التعمير ، ويستعمل لمعنى تعطيل المكان وخلوه مما وضع له .

قال القرطبى : « وخراب المساجد قد يكون حقيقياً ، كتخريب بختنصر والرومان لبيت المقدس حيث قذفوا فيه القاذورات وهدموه . ويكون مجازاً كمنع المشركين حين صدوا رسول الله ـ ﷺ ـ عن المسجد الحرام ، وعلى الجملة فتعطيل المساجد عن الصلاة وإظهار شعائر الإسلام فيها خراب لها »[1] .

والمعنى : لا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يعبد فيها الله ، وعمل فى خرابها بالهدم كما فعل الرومان وغيرهم ببيت المقدس . أو بتعطيلها عن العبادة كما فعل كفار قريش ، فهو مفرط فى الظلم بالغ فيه أقصى غاية .

قال صاحب الكشاف : « فإن قلت : فكيف قيل مساجد الله ، وإنما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد هو بيت المقدس أو المسجد الحرام ؟ قلت : لا بأس أن يجىء الحكم عاماً ، وإن كان

---

(١) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٧٧ .

السبب خاصاً ، كما تقول لمن آذى صالحاً واحداً : ومن أظلم ممن آذى الصالحين ، كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ ويل لكل همزة ﴾ (الهمزة : ١) والمنزول فيه هو الأخنس بن شريق »(٢) .

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ﴾

(البقرة : ١١٤)

معناه : ما ينبغى لأولئك الذين يحولون بين المساجد وذكر الله ويسعون فى خرابها أن يدخلوها إلا خائفين من الله ـ تعالى ـ لمكانها من الشرف والكرامة بإضافتها إليه ـ تعالى ـ أو إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم ، فضلا عن أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها .

قال ابن كثير : « وفى هذا بشارة من الله للمسلمين بأنه سيظهرهم على المسجد الحرام ، ويذل لهم المشركين حتى لايدخل المسجد الحرام واحد منهم إلا خائفاً يخاف أن يؤخذ فيعاقب ، أو يقتل إن لم يسلم ، وقد أنجز الله هذا الوعد فمنع المشركين من دخول المسجد الحرام ، وذلك أنه بعد أن تم فتح مكة للمسلمين أمر النبى ـ ﷺ ـ من العام القابل منادياً ينادى برحاب منى « ألا لايحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته » .

وعندما حج النبى ـ ﷺ ـ عام حجة الوداع لم يجترىء أحد من المشركين أن يحج أو أن يدخل المسجد الحرام . وهذا هو الخزى فى الدنيا لهم ، المشار إليه بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ﴾ (البقرة : ١١٤) .

لأن الجزاء من جنس العمل(٣) .

ثم ختمت الآية الكريمة ببيان عاقبة هؤلاء الساعين فى خراب مساجد الله فقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٤) .

أى : لهم فى الدنيا هوان وذلة بسبب ظلمهم وبغيهم ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم يخلدون معه فى النار . وليس هناك أشقى ممن يعيش دنياه فى هوان وذلة ، ثم ينتقل إلى أخراه فيجد مصيره العذاب الأليم الذى لايموت فيه ولايحيا .

ثم أخذ القرآن فى تسلية المسلمين الذين أخرجوا من مكة وفارقوا المسجد الحرام ، مبينا لهم أن الجهات كلها لله ـ تعالى ـ فقال :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة : ١١٥) .

المشرق والمغرب : مكان شروق الشمس وغروبها ، والمراد بهما هنا جميع جهات الأرض .

واللام فى قوله : « ولله » تفيد معنى الملك .

والتولية : التوجه من جهة إلى أخرى .

و(ثم) اسم إشارة للمكان .

والوجه : الجهة ، فوجه الله الجهة التى ارتضاها وأمر بالتوجه إليها وهى القبلة .

والمعنى : أن جميع الأرض ملك لله وحده ، ففى أى مكان من المشرق والمغرب توليتم شطر القبلة التى أمركم الله بها ورضيها لكم ، فهناك جهته ـ سبحانه ـ التى أمرتم بها ، والتى تبرأ ذممكم باستقبالها .

ومعنى هذا : الإذن بإقامة الصلاة فى أى مكان من الأرض دون أن تختص بها المساجد ، ففى

(٢) تفسير الكشاف جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٨ .

الحديث الشريف : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

وكأن الآية تومى ، إلى أن سعى أولئك الظالمين فى منع المساجد من ذكره - تعالى - وتخريبها ، لايمنع من أداء العبادة لله - تعالى - : لأن له المشرق والمغرب وما بينهما ، فأينما حل الإنسان وتحرى القبلة المأمور بالتوجه إليها فهناك جهة الله المطلوب منه استقبالها .

وذيلت الآية بقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١١٥)

لإفادة سعة ملكه أو سعة تيسيره على عباده فى أمر الدين . أى : إن الله يسع خلقه جميعاً برحمته وتيسيره وجوده وهو عليم بأعمالهم لايخفى عليه عمل عامل أينما كان وكيفما كان .

ثم حكى القرآن بعض الأقاويل الباطلة التى افتراها أصحاب القلوب المريضة فقال - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة : ١١٦ ، ١١٧) .

قوله - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

معطوف على قوله - تعالى - قبل ذلك « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء إلخ » .

واتخذ : من الاتخاذ وهو الصنع والجعل والعمل .

والولد : يطلق على الذكر والأنثى ، والواحد والجمع .

والذين قالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود والنصارى والمشركون ، فقد حكى الله عن اليهود أنهم قالوا : ﴿ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ وحكى عن النصارى أنهم قالوا : ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ وحكى عن المشركين أنهم قالوا « الملائكة بنات الله » فيصح أن يكون الضمير فى قالوا عائداً على الفرق الثلاث أو على بعضهم . فمن المعروف أن القرآن يجرى على الأسلوب المعروف فى المخاطبات حيث يسند إلى القوم ما صدر من بعضهم فحين قال :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة : ٣٠) .

أصبح من السائغ فى صحة المعنى أن يكون هذا القول قد صدر من طائفة منهم :

وقوله ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ : تنزيه له عما هو نقص فى حقه ومحال عليه من اتخاذ الولد ، لاقتضاء الوالدية : النوعية والجنسية والتناسل والافتقار ، والتشبيه والحدوث وفى الصحيحين عن رسول الله - ﷺ - أنه قال :

« لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً ، وهو يرزقهم ويعافيهم » .

وسبحان : مصدر لسبح بمعنى نزه ، وهو منصوب بفعل لم يسمع من العرب التصريح به معه ، والأصل : أسبحه سبحانه ، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه ، وأضيف إلى ضمير المنزه .

وقوله :

﴿ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٦) .

إضراب عن مقالاتهم التى نسبوا بها إلى الله اتخاذ الولد ، وشروع فى الاستدلال على بطلانها .

واللام فى قوله : ﴿ لَّهُ ﴾ للاختصاص الكامل وهو الملك الحقيقى ، و (ما) اسم موصول يراد

منه الكائنات : ما يعقل وما لا يعقل ومن جملة هذه الكائنات من ادعوا أنه ولد الله .

والمقصود إثبات أن قولهم

﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

زعم باطل ، فإن جميع ما احتوت عليه السموات والأرض مملوك لله يتصرف فيه كيف يشاء ، فلا حاجة إلى اتخاذ الولد ، إذ الولد إنما يسعى إليه الوالد ، أو يرغب فيه ليعتز به أو ليحيى ذكره ، أو ليستعين به على القيام بأعباء الحياة . والله - تعالى - منزه عن أمثال هذه الأغراض التى لاتليق إلا بمن خلق ضعيفاً كالإنسان ، ثم إن الحكمة من التوالد بقاء النوع محفوظاً بتوارد أمثال الوالد حيث لاسبيل إلى بقائه بعينه ، أما الخالق - تعالى - فهو الواحد فى ذاته وصفاته ، والباقى على الدوام ، كما قال تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٦ ، ٢٧) .

وقوله - تعالى - :

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة : ١١٦) .

معناه : كل له مطيعون طاعة تسخير وانقياد ، خاضعون لايستعصى منهم شىء على مشيئته وإرادته : شاهدون بلسان الحال والمقال على وحدانيته من القنوت وهو لزوم الطاعة مع الخضوع ، وإنما جاء ﴿ قَٰنِتُونَ ﴾ بجمع المذكر المختص بالعقلاء ، مع أن الخضوع لله يكون من العقلاء وغيرهم تغليباً للعقلاء على غيرهم ، لأنهم أهل القنوت عن إرادة وبصيرة ، ولأن ظهوره فيهم أكمل من ظهوره فى غيرهم .

وفصلت جملة

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ (البقرة : ١١٦)

عن سابقتها ، لقصد استقلالها بالاستدلال على نفى أن يكون لله ولد ، حتى لايظن السامع أنها مكملة للدليل المسوق له قوله - تعالى - :

﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٦)

ثم بين - سبحانه - بعض مظاهر قدرته فقال :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٧) .

أى : مبدعهما ومنشئهما بلا احتذاء ولا اقتداء . وبلا آلة ولا مادة ، وبديع صفة مشبهة من أبدع ، والذى ابتدعهما من غير أصل ولا مثال هو الله - تعالى - وخص السموات والأرض بالإبداع ، لأنهما أعظم ما يشاهد من المخلوقات .

قال القرطبى : « قوله - تعالى - :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (البقرة : ١١٧) .

فعيل للمبالغة . وارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف ، واسم الفاعل مبدع كبصير من مبصر . أبدعت الشىء لا عن مثال ، فالله - تعالى - بديع السموات والأرض ، أى منشئهما وموجدهما ، ومخترعهما ، على غير حد ولا مثال ، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع ، ومنه أصحاب البدع ، وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام . . . »[1] .

وقوله :

﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (البقرة : ١١٧)

(١) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٨٦ .

معناه : وإذا أراد - سبحانه - إحداث أمر من الأمور حدث فوراً . « كُن فَيَكُونُ » فعلان من الكون بمعنى الحدوث . ويرى كثير من أهل السنة أن الجملة واردة على وجه التمثيل ، لحدوث ما تتعلق به إرادته - سبحانه - بلا مهلة وبلا توقف . وليس المراد أنه إذا أراد إحداث أمر أتى بالكاف والنون ، ففى الكلام استعارة تمثيلية .

ويرى آخرون أن الأمر يكن محمول على حقيقته ، وأنه - تعالى - أجرى سنته فى تكوين الأشياء أن يكونها بكلمة كن أزلا .

وبذلك نرى أن الآيتين الكريمتين قد حكتا بعض الشبهات الباطلة التى أوردها الضالون حول وحدانية الله ، وردت عليها بما يدحضها ويثبت كذبها .

ثم أورد القرآن بعد ذلك الشبهات التى أثاروها حول نبوة محمد - ﷺ - وأجاب عنها بما يبطلها فقال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة: ١١٨) .

عن ابن عباس قال : قال رافع بن حريملة اليهودى لرسول الله - ﷺ - يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله يكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله هذه الآية (١) .

فالآية الكريمة معطوفة على قوله :

﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (البقرة : ١١٦) .

ومعنى الآية الكريمة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

علماً نافعاً أمثال هؤلاء اليهود الذين طالبوك بالمطالب المتعنتة - يا محمد -

﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

إما مشافهة ، أو بواسطة الوحى إلينا لا إليك ، أو يرينا حجة تقوم على صدق رسالتك ، قالوا هذا على وجه العناد والجحود أن تكون الآيات التى أقامها الله على صدق رسالته آيات حقاً .

وقد رد الله تعالى عليهم بقوله :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾

(البقرة : ١١٨) .

أى : مثل هذا القول المتعنت ، قال الجاحدون من أسلافهم الذين أرسل الله إليهم الرسل ليخرجوهم من الظلمات إلى النور وفى هذه الجملة تسلية للرسول - ﷺ - بأن ما لاقاه من قومه مثل ما لقيه الرسل من قبله .

﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

أى تشابهت قلوب هؤلاء وأولئك فى العناد والضلال .

﴿ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة : ١١٨) .

أى : جعلناها بينة واضحة فى ذاتها لمن شأنهم الإخلاص فى طلب الحق أينما كان ، فيتجهون إليه عن طريق الأدلة الصحيحة بقلوب نقية من الأهواء موقنة بجلال الحق ووجوب الطاعة .

قال الإمام الرازى : وتقرير شبهتهم أن الحكيم إذا أراد تحصيل شىء ، اختار أقرب الطرق إليه ، وبما أن الله قد كلم موسى وكلمك يا محمد فلم

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٦١ .

لايكلمنا مشافهة ، أو يخصك بمعجزة يتجلى من ورائها صدق نبوتك ، وهذا منهم طعن فى أن القرآن معجزة ، لأنهم لو أقروا بذلك لاستحال أن يقولوا ما قالوه .

فأجابهم الله عن هذه الشبهة بقوله :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾

(البقرة : ١١٨) .

وحاصل هذا الجواب : أنا قد أيدنا قول محمد بالمعجزات ، وبينا صحة قوله بالقرآن وسائر الحجج ، فكان طلب هذه الزوائد من باب التعنت . وعليه فلن تجاب مطالبكم لوجوه منها :

١ ـ لو كان فى معلوم الله أنهم يؤمنون عند إنزال هذه الآيات لفعلها ولكنه علم أنه لو أعطاهم ما سألوه لازدادوا لجاجاً .

٢ ـ إن حصول الدلالة الواحدة تمكن المكلف من الوصول إلى المطلوب ، فإذا لم يكتف بها ، كان طلبه من باب المعاندة .

٣ ـ ربما كانت كثرة المعجزات وتعاقبها تقدح فى كونها معجزة لأن الخوارق متى توالت كان انخراق العادة عادة . فثبت أن عدم إسعافهم بهذه الآيات لايقدح فى النبوة [١] .

هذا ، وبعض المفسرين يرى أن المراد « بالذين لايعلمون » اليهود ، وبعضهم يرى أن المراد بهم مشركو العرب وبعضهم يرى أن المراد بهم النصارى ، ونحن نرى أن اللفظ صالح لأن يندرج تحته جميع هذ الطوائف قضاء لحق الموصول المفيد للتعميم ، ولكننا نختار أن اليهود هم المقصودون قصداً أولياً من هذه الآية للأسباب الآتية :

١ ـ الآية ضمن سلسلة طويلة من الآيات السابقة عليها واللاحقة لها ، وكلها تتحدث عن بنى إسرائيل وأحوالهم وأخلاقهم .

٢ ـ جملة :

﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾

(البقرة : ١١٨) .

قرينة على أن المقصود بالذين لايعلمون هم اليهود المعاصرون للعهد النبوى ، حيث كان أجدادهم يطلبون من موسى مثل هذه المطالب ، لقد قالوا له :

﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾

(البقرة : ٥٥) .

وقالوا :

﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ (النساء : ١٥٣) .

وطلبوا منه كثيرا من المطالب المتعنتة .

٣ ـ الآية مدنية ومن سورة البقرة التى هى من أوائل ما نزل على الرسول ـ ﷺ ـ بالمدينة ، ومن المعروف أن حديث القرآن المدنى عن أهل الكتاب بصفة عامة ، وعن اليهود بصفة خاصة ، أكثر من حديثه عن مشركى العرب ، لأن البيئة المدنية صلتها بأهل الكتاب أشد وألصق .

(١) تفسير الرازى جـ ١ ص ٤١٦ .

٤ ـ سبب نزول الآية الذى ذكرناه يؤيد أن اليهود مقصودون قصداً أولياً فى هذه الآية .

٥ ـ القائلون بأن المراد بالذين لايعلمون مشركو العرب ، دعموا قولهم بأن آيات القرآن التى تحكى عنهم أمثال هذه المقترحات مستفيضة . وكأنهم يستبعدون أن تصدر مثل هذه الأسئلة عن اليهود .

وردنا عليهم أن القرآن قد حكى عن اليهود أمثال هذه الأسئلة بدليل قوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾

(النساء : ١٣٥) .

٦ ـ الإمام ابن جرير رجح أن المراد « بالذين لايعلمون » النصارى ، مستدلا بأن ذلك فى سياق خبر الله عنهم ، فالآية السابقة على هذه الآية تقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾

(البقرة : ١١٦) .

والنصارى هم الذين قالوا ذلك .

وهذا الاستدلال لانوافقه عليه لما يأتى :

(أ) لأن الآية ليست فى سياق خبر الله عن النصارى ، وإنما هى فى سياق خبر الله عن اليهود ، الذين زخرت سورة البقرة ببيان مواقفهم وحجاجهم وأخلاقهم فى أكثر من مائة آية سابقة ولاحقة من هذه السورة .

(ب) ليس النصارى وحدهم هم الذين قالوا اتخذ الله ولداً وإنما اليهود أيضاً قالوا ذلك ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾

(التوبة : ٣٠) .

(جـ) لم يأت الإمام ابن جرير بدليل واحد ينقض به رأى القائلين بأن المراد بالذين لايعلمون اليهود ، ولم يتعرض للنص الذى أورده ابن عباس فى سبب نزول الآية بالتضعيف أو الإعلال ، مع أنه انتقد رأى القائلين بأن المراد بهم مشركو العرب (بأنه قول لا برهان على حقيقته فى ظاهر الكتاب) .

هذا وبعد تلك الأدلة على ما ذهبنا إليه نعود فنقول مرة أخرى : إننا لانمانع فى أن يكون المراد بالذين لايعلمون جميع الطوائف المشركة ولكننا نرجح أن اليهود هم المقصودون قصداً أولياً مهما دخل غيرهم معهم فى السياق ، وإن الآية قد نزلت للرد على مطالبهم المتعنتة واقتراحاتهم التى لا خير من ورائها ، ومحاولاتهم الطعن فى نبوة النبى ـ ﷺ ـ .

« يتبع »

قبس من أنوار النبوة

رعاية الإسلام للحرمات

لفضيلة الشيخ
على حامد عبد الرحيم

١ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من اطلع فى بيت قوم من غير إذنهم فقد حل لهم أن يفقأوا عينه ». (رواه الشيخان)

٢ ـ وعن معاوية ـ رضى الله عنه ـ قال سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم ». (رواه أبو داود)

إن الله ـ عز وجل ـ خلق النفوس فسواها ، وألهمها فجورها وتقواها وهو الذى يعلم ظواهرها وخفاياها ، وسرها ونجواها ، أمر عباده أن يكون خلقهم مستقيما ، وسلوكهم قويما ، يحافظ على كرامة الفرد والمجتمع ويحمى الإنسان من كل جوانبه ، ويحوطه بالعناية والرعاية من كل ما يؤذيه . وهو عندما يحرم على الإنسان أمرا من الأمور فهو كذلك يحرمه على غيره حتى لا يؤذى غيره ولا يؤذيه الغير .

والإسلام عندما يحرم عليك إيذاء غيرك فهو يحرم على غيرك أن يؤذيك ، وعندما يحرم تتبع عورات الناس والبحث عن عيوبهم فهو كذلك يحرم هذا على الناس جميعا .

وإن نظرة فى تعاليم الإسلام تدلنا فى جلاء ووضوح أن الله ـ تبارك وتعالى ـ ينفى الإيمان الكامل عن أولئك الذين يتتبعون العورات وينتهكون الحرمات ، ويشيعون عنهم ما هم منه

براء أو يحبونه لهم إن الله يتوعدهم بأليم العذاب وشديد العقاب فى الدنيا والآخرة . قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النور : ١٩)

ولقد كرم الله الإنسان وفضله على سائر المخلوقات ، وحافظ على كرامته وشرفه ودعا إلى رعاية حرماته وحرم انتهاكها ، بل توعد من اجترأ على غيره . ولقد صعد الرسول - ﷺ - المنبر ونادى بصوت رفيع ، فقال - فيما رواه الترمذى - :

« يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوارهم ، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله » .

لقد نظر عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - إلى الكعبة المشرفة واستحضر فى ذهنه تكريم الله - سبحانه - وتعظيمه لمكانتها حيث وضعها الله فى الأرض لعبادته وتقديسه وقال عنها :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

(آل عمران : ٩٦ ، ٩٧)

وحيث قال :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(البقرة ١٢٥)

حين استحضر عبد الله بن عمر تلك الحرمات التى أحاط الله بها الكعبة قفزت إلى ذهنه صورة أخرى هى صورة الكيان الكامل لتكريم الشخصية الإسلامية فقال : فيما أخرجه الترمذى - وهو ينظر إلى الكعبة : « ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك » .

إن شأن المؤمن الابتعاد على كل ما يؤذى الناس حتى يحفظه الله من أذى الناس وإن المسلم مأمور بالحفاظ على الحرمات . لتحفظ حرماته .

روى عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - أنه دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية وذما فى آخر ، فقال له عمر : إن شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، فنظرنا فيما نسبته إليه ؛ فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾

(الحجرات : ٦)

وإن كنت صادقا فأنت :

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (القلم : ١١)

وإن شئت عفونا عنك ، فقال الرجل : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى ذلك أبدا .

وفى الإسلام الحنيف تثبيت لحقوق الإنسان على أخيه الإنسان وفى مراعاة هذه الأخلاق والحقوق تسمو النفوس وترقى الهمم وتتيقظ الضمائر وتستنير البصائر وتحفظ الحرمات وتسود المودة بين المسلمين ، ويتعاون المؤمنون على البر والتقوى ، وليس على الإثم والعدوان وليت المسلمين يدركون أن المؤمن ليس بطعان ولا لعان ولا سباب ولا نمام ولا مغتاب .

ويعلم ويوقن أن كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه وماله وعرضه ، ويحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المؤمن .

متى يأتى العيد؟

لفضيلة الشـيـخ:
السيد عبد المقصود عسكر

لقد ارتبطت الأعياد فى الإسلام بعبادات وشعائر يتقرب بها المسلم إلى الله ـ عز وجل ـ طامعا فى ثوابه راغبا فى رضاه .

كما أنها ارتبطت بذكريات حبيبة إلى قلوبنا ، عزيزة على نفوسنا ، يؤدى تذكرها وإحياؤها فى مناسباتها إلى إيقاظ وعى الأمة وحثها على العمل لاستعادة أمجادها وأيام عزها وسيادتها .

وارتباط الأعياد الإسلامية بعبادات وشعائر تخصها يجعل المسلمين ذاكرين لله فى كل أوقاتهم وجميع أحوالهم ويحفظ المسلمين من الانزلاق فى طريق الفساد والمجون والانحلال والفجور .

إن الأعياد فى الإسلام فرصة جديدة لمزيد من الطاعة والتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، ومد يد العون والمساعدة للمحتاجين من عباد الله كى يعم الفرح والسرور ربوع الأرض التى تستظل براية الإسلام فلا يكون هنا أو هنالك بائس ولا مكلوم ولا فقير ولا محروم ولا مضطهد ولا مظلوم .

فى الأعياد نصل أرحامنا ونبر أهلنا وأقاربنا ونحسن إلى فقرائنا ونعود مرضانا وندخل السرور على أولادنا حتى يفيض الخير ويعم البر وتشيع البهجة والفرحة .

وإن فى أعيادنا فرحا لا طيش فيه ، ولهوا لا مجون فيه ، وسرورا لا تهريج فيه ، ولعبا لا فجور فيه .

عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : « دخل علىَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش

وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : « دعهما » فلما غفل غمزتهما فخرجتا » وفى رواية أنه قال : « دعهما ياأبابكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا[1] »

وفى رواية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يومئذ : « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة . إنى أرسلت بحنيفية سمحة[2] » .

ومعنى تغنيان بغناء بعاث أى تغنيان بما قالته الأنصار من أشعار فى الفخر والشجاعة ، وما جرى فى المعركة التى جرت فى الجاهلية بين الأوس والخزرج عند الحصن المسمى بعاث ، وقد وقعت فى تلك المعركة مقتلة عظيمة بين الفريقين وانتصر فيها الأوس على الخزرج فلما جاء الإسلام وهداهم الله للدخول فيه ألف الله بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخواناً .

إننا فى عيد الفطر المبارك نفرح لأن الله وفقنا لطاعته فى شهر رمضان وأكملنا عدته صياما لنهاره ، وقياما لليله ، وذلك من فضل الله علينا ، وحقيق بمن تفضل الله عليه بهذا الخير أن يفرح وأن يكون له عيد .

وقد وفقنا الله لمصاحبة القرآن فى شهر رمضان قراءة وتدبرا وفهما والتزاما بأحكامه ، وتلك نعمة كبرى من نعم الله نسأله - سبحانه - أن يديمها علينا بعد رمضان وهذه النعمة تستدعى الفرح والسرور . . ولهذا فقد جعل الله تلك المناسبة عيدا للمسلمين .

وقد وفقنا الله لإحياء سنة الاعتكاف وتعظيم شعائر الله فى شهر رمضان فازددنا بذلك قربا من الله وصلة به وتوكلا عليه واعتزازا بعبوديتنا له .

وحقيق بمن وفقهم الله لهذا الخير أن يفرحوا به وأن يكون لهم عيد يعلنون فيه عن فرحهم وسرورهم بفضل الله عليهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

(يونس : ٥٧ - ٥٨) .

وقد شرع الله لنا صدقة الفطر نختم بها رمضان ونستقبل بها هلال العيد حتى يكون الفرح عاما والسرور شاملا بعد أن أغنينا الفقراء عن ذل السؤال فى يوم العيد .

وفى أول عيد للفطر فى الإسلام فى السنة الثانية من الهجرة النبوية احتفل المسلمون كذلك بعيد النصر عيد انتصار الحق على الباطل فى غزوة بدر الكبرى التى أعز الله فيها المسلمين مع قلتهم وأذل الكافرين مع كثرتهم وذلك يعنى أن عيد الفطر كان - أيضاً - عيدا للنصر على النفس الأمارة بالسوء بعد أن ألزمها المسلمون بطاعة الله والبعد عن معاصيه ومراقبته فى السر والعلن . وكان عيدا

(١) متفق عليه وهذا لفظ البخارى

(٢) مسند الإمام أحمد

للنصر على الضعف البشرى بتقوية الإرادة وشحذ العزيمة فى مدرسة الصيام . وكان عيدا للنصر على الشيطان الذى يقعد للناس بكل سبيل ويصدهم عن ذكر الله ويصرفهم عن طاعته .

لما انتصر المسلمون الأولون على نفوسهم الأمارة بالسوء وانتصروا على ضعفهم وهواهم مستعينين بالله ، وانتصروا على شياطينهم ومضوا على طريق الجهاد لإعلاء كلمة الله باذلين النفس والنفيس استحقوا بذلك نصر الله .

لقد كانوا قلة فى العدد لكنهم كانوا كثرة بالإيمان الذى جعلهم أهلاً لعون الله ومدده :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(آل عمران : ١٢٣)

لقد كانوا فقراء فى السلاح ولكنهم كانوا أغنياء بالهداية والفلاح ولذلك استحقوا نصر الله :

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

(البقرة : ٢٤٩) .

إن سر هزيمة المسلمين اليوم أنهم انهزموا أولا فى ميادين جهاد النفس والهوى والشيطان ، وأنهم فرطوا فى أمر الله وبارزوه بالمعاصى وتعلقوا بالدنيا واغتروا بزينتها فتصارعوا فى طلبها وتكالبوا على متاعها الفانى ورغبوا عن الآخرة ونعيمها الباقى فأورثهم ذلك خوفا وجبنا وامتلأوا هلعا ووهنا وأصبحوا يخافون الأعداء بعد أن كانوا يخيفونهم .

وهذه الحال السيئة التى وصل إليها المسلمون صورها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين أسبابها ووصف العلاج منها فقال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن . فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت[1] » .

إننا نتمنى أن يأتى إلينا العيد الذى يفرح فيه كل المسلمين ننتظر العيد الذى يفرح فيه المسلمون المحاصرون فى فلسطين والمطرودون منها ومن غيرها من بلاد المسلمين .

إننا ننتظر عيدا نفرح فيه جميعا بنصر الله والفتح المبين واسترداد المقدسات وتحرير المسجد الأقصى الأسير ، فمتى يأتى هذا العيد ؟

إننا حين ننظر فى أحوالنا نجد أن أمتنا متفرقة ، ونرى المؤامرة ضد الإسلام قد كشرت عن أنيابها وجاهرت بأهدافها دون مواربة أو حياء .

ونرى دماء المسلمين مهدرة وأعراضهم مستباحة ومقدساتهم مدنسة ومسلوبة وثرواتهم مغصوبة ومنهوبة .

حين ننظر حولنا ونرى ذلك كله يتملكنا الأسى ويستبد بنا الحزن ونتساءل : متى يأتى العيد ؟

ولولا بقية من أمل نستمدها من إيماننا بالله وثقتنا فى وعده إذ يقول وهو أصدق القائلين :

---

(١) رواه ابو داود فى سننه ورواه الإمام احمد فى المسند مع اختلاف يسير فى بعض الفاظه.

﴿ هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (التوبة : ٣٣) .

لولا هذا الأمل لتملكنا اليأس بدلا من الأسى واستبد بنا القنوط بدلا من الحزن .

إننا موقنون بوعد الله مدركون لسننه فى خلقه ونعلم علم اليقين أن النصر لا يأتى إلا مع الصبر ، وأن المنح تكون فى طيات المحن ، وأن الكرب حين يشتد يأتى الفرج مصداقا لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (.... واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)[٢] .

إن الطريق إلى النصر يبدأ بالصلح مع الله وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ونبذ أسباب الفرقة والخصام والعمل على تحقيق المحبة والوئام .

وحين تتوثق صلتنا بالله ـ تعالى ـ يكون فى عوننا فيلم شملنا ويجبر كسرنا ويقوى ضعفنا وندعوه فيستجيب لنا وينصرنا على أعدائنا .

والمؤمنون يعلمون أن الدعاء من أقوى أسلحة النصر ، وقد قيل لإبراهيم بن أدهم : مالنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟

قال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[٣] .

هذه هى الآفات التى شاعت وانتشرت وكانت سببا لما نحن فيه .

إننا مازلنا ـ والحمد لله ـ نحفظ ونفهم ونعى قول الله تعالى :

﴿ وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

(الأحزاب : ٢٢) .

ونعلم كذلك أن عاقبة الإيمان الصادق الذى يزيد مع المحن قوة ومع الشدائد متانة هى النصر المرتقب ، مصداقا لقول الله تعالى :

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

(الأحـزاب : ٢٥ ـ ٢٧) .

إننا لم نهزم إلا من جهة أنفسنا وسوء تصرفنا ، فإذا أصلحنا أنفسنا واستقمنا على أمر الله فإن نصر الله قريب ووعده أكيد وهو سبحانه سميع مجيب ولا يخلف الميعاد . وعندها سيأتى العيد الذى ننتظره . ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا .

(١) رواه الطبرانى

(٢) من كتاب الشكر لابن أبى الدنيا .

الإسلام فى معترك التحدى

لمنهج السماء

للأستاذ الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجى

-١٠-

لم يعد هناك مجال للحاقدين على الإسلام ، والمنكرين للحقيقة الخالدة ، وأنه دين سماوى ، ووحى إلهى ، ورسالة عامة إلى البشرية كافة ؛ نزل بها القرآن الكريم ، وبشر بها نبى الإسلام ، محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى دعوة واضحة لأصولها ومبادئها ، ولمنهجها فى العقيدة والفكر ، والسلوك ، والعمل ، وصنع الحاضر والمستقبل للإنسان .

رسالة جمعت كل أسباب التقدم والرقى ، فى عناق دائم لفطرة الإنسان ، مع روح الإيمان ، ومع السمو بالعقل والفكر ، وبالحياة نفسها ؛ ليصبح هذا المخلوق المتمرد أهلا ، لأن يندمج فى الوجود الإنسانى وفى الكون الكبير ، ويصير خليفة لله فى الأرض ، يزرع الخير والرخاء ويبنى السلام والإخاء ، بين البشر على السواء .

يقول بعض المضللين أن شريعة الإسلام نزلت لأمة الصحراء ، فى فترة تاريخية معينة ، وكذبوا فى افتراءاتهم وأضاليلهم ؛ فالإسلام ورسالته ممتدان إلى نهاية الحياة ، وشريعته مستمرة إلى نهاية الزمان ، وهى صالحة لكل زمان ومكان .

لقد كرّم الإسلام الإنسان وفجّر فيه طاقات البناء والعمل ، وهو نداء إلهى كريم لوجدان الإنسان وعقله وروحه ، ليعمل دائبا من أجل تقدم البشرية ، وازدهار الحضارة ، ونهضة الشعوب ، وسعادة الإنسان ، وهو الدين الإلهى الذى يقف اليوم شامخا فى معركة التحدى ، لمنهج السماء ، ولكل المذاهب الضّالة ، من علمانية ، ووجودية ، ومادية جدلية ، وغيرها .

ولم تسعد الإنسانية بحضارة كحضارة الإسلام التى غرست المحبة بين البشر جميعا ؛ وإذا كانت أثينا وروما فى غابر الزمان ، قد شرعتا للغرب القديم حضارته ، فإن مبادئها الوثنية لا تزال هى مصدر حضارة أوروبا إلى اليوم بما تشتمل عليه من حب للسيطرة ، ومن تطهير عنصرى ، ومن الاغتصاب الجماعى ، والانحلال الأُسرى والخلقى ، وإبادة للشعوب .. وفى امتداد الإسلام التاريخى لم يضطهد أمة أو شعبا ، أو عنصرا ، أو دينا ، بينما استأصل الغزاة الأوروبيون من هنود أمريكا ما يقارب الستين مليونا ، ومن الأفارقة أكثر من مائة مليون خلال حملة اصطياد العبيد السود ؛ لنقلهم إلى مراكز العمل

الجبرى فى أوروبا وأمريكا ، كما يقول جارودى فى كتابه « الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - الصفحة ١٤١ .. وفى عصر الاستعمار الأوروبى للشرق لا تسأل عن أعداد الضحايا والقتلى ؛ لأن عددهم يفوق كل إحصاء ، وكل تخيّل .

وأمامنا مثل كريم من الإسلام ، الإمام جعفر الصادق كان له صديق حميم ، فسمعه مرة يقول لبوذى وثنى : يا ابن الفاجرة ، فغضب جعفر ، وقال لصديقه : أتتهمه فى أمه ؟ فقال الصديق : إنه بوذى وثنى ، فردّ عليه الإمام أليس هو أخ لك فى الإنسانية ؟ وترك صداقته ومجالسته .

هذا هو الإسلام فى مبادئه وإنسانيته ، وفى دعوته إلى الإيمان ، والعمل الصالح ، وفى عناقه الدائم للحق والعدل ، والخير والسلام ، وبناء الذات بالطهارة الروحية والفكرية والجسدية ، مما جعل الإنسان يصيح بملء فمه : أنا الإنسان ، وأنا خليفة الله فى الأرض .

لقد فجر الإسلام عظمة الإنسان الذاتية ، ودعا إلى إيقاظه من نومه إن كان نائما ، وإلى بعث إدراكه لمعنى الحياة ، وما من دين استطاع أن يزرع فى أتباعه شعورا بالعزة كدين الإسلام ، الدين الذى محا جميع الفروق بين الناس كافة ، بينما نجد فى عصرنا : أن الصليب الأحمر - وهو هيئة إنسانية عالمية - يفرق فى المعاملة بين المسلم ، وغير المسلم فكان فى أثناء أحداث فلسطين يهمل الجرحى المسلمين ، ويميز عليهم جرحى اليهود ، دون مبالاة ، أو اعتذار ؛ كما ذكر ذلك أيضا جارودى فى كتابه « الأساطير » .

- ٢ -

إن الإنسان المسلم مطالب دائما بأن يعيش حياته مع القرآن الكريم ، مع منهج السماء ، ودين الفطرة ، وعقيدة التوحيد ، وشريعة العدل .. ومن الفخر له أن يردد فى كبرياء ونشوة : أنا مسلم ، وإذن أنا موجود وما أكرم ما قالت عائشة عن رسول الله - ﷺ - كان خلقه القرآن[1] .

لقد وعد الله المسلم بأن يستخلفه فى الأرض :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور : ٥٥)

وفى تحرير الإسلام لأرض الشام من استعباد الروم خرج هرقل منها مهزوما مدحورا ، ووصل أنطاكية وأقبلت فلول جيشه ذليلة محطمة ، فجمع كبار قواده وقال لهم : أخبرونى عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ فردُّوا عليه : بلى ، نحن أكثر منهم أضعافا مضاعفة فى كل موطن ، فقال لهم : فما بالكم تنهزمون فسكتوا وقال قائد منهم : أيها الملك لقد انتصروا وهزمنا من أجل أنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أننا نشرب الخمر ، ونزنى ، ونركب الحرام ، وننقض العهد ، ونظلم ، ونأمر بالمنكر وننهى عما يرضى الله ، ونفسد فى الأرض .

وفى غزو المسلمين لفارس جلس رسول المسلمين فى مجلس امبراطور الفرس « يزدجرد » ، وأقبل عليه الإمبراطور يسأله : من تكونون ؟ وماذا تريدون ؟ فرد عليه رسول المسلمين : « إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل السماء » .

ويقول برناردشو : « الإسلام الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة ، وهو صالح لكل العصور » ، وقال عن رسول الإسلام : إنه يجب أن يسمى منقذ الإنسانية ، وأعتقد أنه لو أتيح

(١) مسند احمد ٦/٩١ ، ١٩٣ ، والبيهقى فى السنن ٢/٤٩٩ ، واخلاق النبى رقم ٢٩ .

لرجل مثله أن يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته بأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة اللذين يفتقر العالم إليهما كثيرا .

إن الإيمان بالإسلام أمر يوجبه العقل ومسيرة التاريخ وحتمية انتصار الإنسان والحضارة . . يقول شكسبير فى مسرحية « العاصفة » : إذا عشت فى ما ضيك جعلت منه مقدمة لمستقبلك ، ويقول المفكر الأمريكى سانتيانا : لقد حكم على الذين ينسون الماضى أن يتابعوا العيش بين أحضانه . . وهذا أبلغ كلام يقال للمنحرفين عن منهج السماء والإسلام .

- ٣ -

إن المستقبل القريب يحمل لنا تحديات لابد لنا من مواجهتها ، والاستعداد لملاقاتها ، وليس كمبادىء الإسلام سلاحا فى نضالنا الدائم فى معترك التحدى لمنهج السماء ؛ والثقافة دائما هى الأساس الأول فى كل بناء ، فإذا آمن الشباب بثقافات الإسلام كان من الحتم أن ينتصروا فى كل معارك التحدى ، أما المناهج الغربية فى الفكر والسلوك فهى بعيدة عن أن نصل بها إلى شىء ، وما أوسع الفروق الجوهرية بيننا وبين الغرب . وليس التنوير الذى يدعوننا إليه إلا تعبيرا عن مرحلة عصر النهضة وهو عصر معركة ماضية ، دارت رحاها فى أرض غير أرضنا ، ولأغراض ليست هى التى تمثل أمامنا اليوم فى أرض الواقع المعاش .

وهؤلاء التنويريون ، ومثلهم الحداثيون ، ومن شابههم قد أصبحوا يؤمنون بالغيبيات ، التى كانوا يرفضونها ويكفرون بها ، كإيمانهم بحتمية التقدم ، وبما يسمونه « تيار التاريخ » ، وشأنهم فى ذلك شأن العلمانيين وكل أصحاب الفلسفات المعاصرة التى تكفر بالغيبيات ، وبنظام الأسرة وبالسلوك الإنسانى المستقيم ، وما أكثر ما يدعون إليه من « المجتمع المدنى » الذى لا يعنى شيئا إلا الخروج على منهج السماء ، وهو ليس إلا وصفا للسوق الرأسمالية لا أكثر ولا أقل ، وأبسط تعريف لهذا المصطلح أنه حق وعمل الجماهير فى دعم ماهو قائم من القواعد أو تغييرها وفق ماتحب وتشاء[1] .

إن الصهيونية التى تتنمرّ اليوم للسلام ، ولحق الشعب الفلسطينى فى أرضه ، وللمسجد الأقصى ، الذى هو شعار الإسلام على طول الزمان والذى كان إليه مسرى رسولنا الكريم ، محمد - ﷺ - ومنه كان معراجه إلى السماء ، لابدّ لهذه الفلسفة المتمردة على شرائع الحق والعدل والسماء أن تقف ، وتكف عن السير فى طريقها المشئوم ، لتعرف ما تجهله دائما من أن الحق فوق القوة ، وأن شريعة الغاب لا يسندها حق ولاشريعة ولا قانون .

وهذه الأقليات الإسلامية التى تلقى فى كل مكان شر العدوان والقتل والتشريد لابد أن يحميها القانون الدولى الذى لا يبيح العدوان الصارخ على النفس أو العرض أو المال ، أو الموطن ، ولا يجيز التعرض للطفل والمرأة والمريض والشيخ الهرم . . ومصير هؤلاء العدوانيين الوبال والنكال بإذن الله - تعالى -

إن روح الحقد والكراهية والتعصب ضد الإسلام ، وضد كل ما هو إسلامى ، يجب أن تقف ، وأن تحترم حق الإنسان المطلق ، فى الحياة ، والعقيدة وفى النفس والمال والعرض . والإسلام لن يهزم أبدا فى صدور المؤمنين به ، ولن يغيِّر وجه التاريخ نعيق الببغاويين الحاقدين على منهج السماء ، والكافرين بكل قيم الإسلام ، بل ولكل القيم الإنسانية النبيلة التى لن ينطفىء نورها أبدا بإذن الله .

إن استقبال القرن الجديد ، يجب أن يصاحبه تغيير شامل فى الفكر والسلوك والعمل فى عقول الذين يتزعمون حضارة الغرب اليوم ، ولهم فى الإسلام ومبادئه ومنهجه القدوة الحسنة الطيبة دائما وأبدا بفضل الله .

---

(١) راجع ص٤٣ مجلة التمويل والتنمية - عدد سبتمبر ١٩٩٨

السخاء

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى

الإسلام دين يقوم على البذل والإنفاق فى سبيل الخير ، ولذلك حبب إلى بنيه أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية ، ووصاهم بالمسارعة إلى دواعى الإحسان ووجوه البر وأن يجعلوا تقديم الخير إلى الناس شغلهم الدائم خصوصا إذا كان لديهم من المال ما يفى بالحاجة ويفيض بالزيادة .

ذلك أن السخاء خلق من أخلاق الأنبياء ، وهو أصل من أصول النجاة قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل) (١) وقال أيضا (إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولايصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما) (٢) .

(١) رواه الترمذى والبيهقى والطبرانى هكذا ورد فى كتاب التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول المجلد الخامس كتاب البر والأخلاق تأليف الشيخ منصور على ناصف الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

(٢) أورده الطبرانى فى المعجم الكبير . هكذا ذكره الإمام جلال الدين السيوطى فى جمع الجوامع العدد / ١٢ من الجزء الأول فى السنن القولية المجلد الثانى .

وللسخاء صور كثيرة فمنها:.
أولا: سخاء الإنسان على نفسه

فتعاليم الإسلام توصى بأن يكرم المرء نفسه وذلك بأن يشبع نهمتها من الحلال فيصدها بذلك عن الحرام كما يصونها عن مظاهر الفاقة التى تخدش مكانتها فى المجتمع ، وتهبط بها دون المستوى الواجب لعزة المسلم ، وذلك كله فى نطاق القصد الذى لا إسراف فيه ولا شطط (٣) .

عن جابر قال : جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة ما أملك غيرها ، فأعرض عنه فأتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك ، فأعرض عنه فأتاه من قبل ركنه الأيسر فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك فأخذها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحذفه بها فلو أصابته لأوجعته وقال يأتى أحدكم بجميع ما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى) (٤) .

ثانيا: سعة الإنسان فى نفقته على أهله وولده

ليس من الدين أن يدع المرء زوجته أو بنيه وبناته فى حال فاقه من الاحتياج والضيق ثم ينفق ماله فى مصرف آخر مهما كان خطره ، فروابط الأسرة أولى بالعناية وأحق بالسعة من غيرها قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **(دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك)** (٥) .

والإسلام بهذا الإرشاد الدقيق يريد أن يرتب النفقات المشروعة الترتيب المثمر الصالح فإن الأسرة قوام المجتمع الكبير والخلية الحية التى تكون بناءه الضخم ، فتوجيه العناية إليها أولاً أجدى على الأمة كلها من حرمانها لحقها ،

ثم إن فى هذا الإرشاد زجراً لأولئك الذين يجنحون إلى السرف خارج بيوتهم وبين أصدقائهم فإذا خلوا إلى أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والعسف .

ثالثا: حق القرابة فى عطاء المسلم

إن أقرباء المسلم أجدر الناس بالإفادة من فضول ماله ، ومن حقهم أن ينصرف إليهم عطاؤه الذى تجود به يده ، فهم أولى بالخير من آخر قصى لأن ذلك قد يزرع الضغينة فى

---

(٣) كتاب خلق المسلم تأليف الشيخ محمد الغزالى .
(٤) أخرجه أبو داود هكذا جاء فى كتاب تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول الجزء الثالث للمحدث عبد الرحمن بن على الشيبانى .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جزء ٧ كما رواه الترمذى وأحمد . جاء ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول المجلد الثانى تأليف الشيخ منصور على ناصف المرجع السابق .

قلوبهم ويشعرهم بأن إهمالهم متعمد للنكاية بهم والإزراء عليهم . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لايقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لاينظر الله إليه يوم القيامة)[٦] . وفى حديث آخر يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (الصدقة على المسكين صدقة وعلى القريب صدقتان صدقة وصلة)[٧] واللفظ لابن خزيمة .

رابعا : بذل الخير إلى الغير من الفقراء

إذا كان من الواجب على المسلم أن يقتصد فى مطالب نفسه وأهله حتى لاتستنفد ماله كله ، فإن عليه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله وأن يجعل فى ماله متسعا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين وإلى هذا يشير رسول الله ـ ﷺ ـ فى قوله : (يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى)[٨] وفى حديث آخر يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : إن فى المال لحقا سوى الزكاة ثم تلا[٩] .

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾

(البقرة ـ ١٧٧)

وفى حق القرابة وحق الغير من الفقراء والمساكين فى جود المسلم يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

(الإسراء ـ ١٦)

خامسا : من السخاء أداء المسلم للزكاة وبذل الصدقات

١ ـ إن نجاح المرء فى إزاحة عوائق البخل التى تعترض مشاعر الخير فيه حتى يؤدى ما عليه من زكاة وصدقة هو فى نظر الإسلام فضيلة كاملة ، إذ المعروف أن الإنسان يشتد أمله فى

---

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط هكذا ورد فى مجمع الزوائد الجزء الثالث باب الصدقة على الأقارب تأليف الحافظ نور الدين الهيثمى وهو جزء من حديث طويل .

(٧) صحيح ابن خزيمة وكذا صحيح الترمذى والشيخين والنسائى وإن اختلف اللفظ كما جاء فى كتاب التاج الجامع للأصول المرجع السابق .

(٨) رواه مسلم جاء ذلك فى كتاب رياض الصالحين تأليف الإمام محيى الدين النووى الشافعى.

(٩) رواه الترمذى جاء ذلك فى كتاب التاج الجامع للأصول المجلد الثانى المرجع السابق الاشارة إله صـ ٤٢ .

الحياة عندما يكون صحيح البدن طامحا فى المستقبل قد ضاعف من ثروته ، فإذا غالب تلك العوامل كلها وبسط كفه فى ماله ينفق منه عن سعة فى وجوه البر كان ممن يفعل الخير العظيم ، ذلك أن الإسلام يعد البخل من النزعات الخسيسة التى يجب أن تخاصم بعنف وأن تقاوم دسائسها بيقظة ونشاط ، وبين أن الفوز بخيرى الدنيا والآخرة لايحرزه إلا من نجح فى قمع دوافع البخل فى نفسه حتى عودها البذل والسخاء قال الله ـ تعالى ـ

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(التغابن ـ١٦)

٢ ـ والأموال التى يبذلها المسلم على اختلاف صنوفها من زكاة وصدقة ونفقة وما شابه ذلك جليلة الخطر فى معاش الإنسان ومعاده . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر)[١٠] وقال أيضا : (حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع)[١١] .

٣ ـ وما من شىء أشق على الشيطان وأبطل لكيده وأقتل لوساوسه من إخراج الصدقات ولذلك يقذف فى النفوس الوهن حتى يثبطها عن البذل قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة ـ٢٦٨)

وفى الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ قوله : (لايخرج رجل شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا كلهم ينهى عنها)[١٢] .

الإيثار أعلى درجات السخاء :

فهو جود بالمال مع الحاجة إليه وليس بعده درجة وقد أثنى الله على صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ بهذا الوصف الكريم فقال ـ جل وعلا ـ :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(الحشر ـ٩)

---

(١٠) رواه الطبرانى فى الكبير ذكر ذلك الحافظ المنذرى فى الجزء الثانى من كتابه الترغيب والترهيب عن صدقة السر طبعة دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ سنة ١٩٧٩ م .

(١١) رواه أبوداود فى المراسيل ورواه الطبرانى والبيهقى عن جماعة من الصحابة مرفوعا كما جاء فى كتاب الترغيب والترهيب الجزء الثانى المرجع السابق .

(١٢) مسند احمد والبزار والطبرانى وابن خزيمة والحاكم والبيهقى جاء ذلك فى كتاب الترغيب والترهيب المرجع السابق .

ذلك أنهم تشبهوا برائدهم ومعلمهم النبى - ﷺ - إذ كان الإيثار من أخلاقه السامية يشير إلى ذلك قول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : (ما شبع رسول الله - ﷺ - ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا) (١٣) .

السخاء على أهل الذمة من صدقات التطوع

لاجناح على المسلم أن يعطى غير المسلم الفقير من أهل الذمة ما يتطوع به من الصدقات رعاية للرابطة الإنسانية ولحرمة العهد الذى بينهم وبين المسلمين ، وكفرهم بالإسلام لايمنع من البر بهم والإحسان إليهم ماداموا غير محاربين للمسلمين قال تعالى :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ـ ٨)

ويؤيد هذا الرأى الإمام أبوالفداء إسماعيل ابن كثير فى تفسيره إذ يقول عن تفسير قوله - تعالى -

﴿ • لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة ـ ٢٧٢)

إن المتصدق إذا تصدق ابتغاء وجه الله فقد وقع أجره على الله ولا عليه فى نفس الأمر لمن أصاب : البر أو فاجر ؟ أو مستحق أو غيره ، وهو مثاب على قصده ومستند هذا تمام الآية

﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

(البقرة ـ ٢٧٢)

وقد مدح الله الأبرار من عباده بقوله

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(الإنسان ـ ٨)

وقد كان الأسرى حينئذ من أهل الشرك كما جاء عن الحسن وغيره فيما أورده ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٤) .

السخاء من صدقة الفطر على أهل الذمة :

وقريب من صدقة التطوع صدقة الفطر ، والكفارات والنذور فقد أجاز أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وبعض الفقهاء صرفها إلى أهل الذمة لعموم الأدلة مثل قوله - تعالى - فى الصدقات :

---

(١٣) رواه الشيخان بهذا المعنى وإن اختلف اللفظ جاء ذلك فى كتاب رياض الصالحين باب فضل الجوع وخشونة البعض .

(١٤) نقلا عن كتاب فقه الزكاة للدكتور يوسف القرضاوى صـ٢ صـ ٧١٠ ومختصر تفسير ابن كثير اختصار وتحقيق محمد على الصابونى .

﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾

(البقرة ـ ٢٧١)

من غير فصل بين فقير وفقير ، ومثل قوله ـ تعالى ـ فى الكفارات .

﴿ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾

(المائدة ـ ٨٩)

وقوله ـ جل جلاله ـ :

﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ﴾

(المجادلة ـ ٤)

من غير فصل بين مسكين ومسكين ولأن هذا من باب ايصال البر إليهم وما نهينا عنه .

ومع ذلك قالوا : إن صرف هذه الأشياء إلى فقراء المسلمين أفضل بلا ريب لما فيه من إعانة المسلم على طاعة الله ، كما اشترط أبو حنيفة ألا يكون غير المسلم عدوا محارباً للمسلمين لأن الصرف إليه حينئذ يقع إعانة له على قتال أهل الإسلام وهذا لايجوز (١٥) .

لفتة إنسانية عن روح الإسلام السمح:

وروى ابن أبى شيبة عن أبى ميسرة أنه كان يعطى الرهبان صدقة الفطر ، وعن عمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل ومرة الهمذانى أنهم كانوا يعطون منها الرهبان ، وهى لفته إنسانية كريمة تنبىء عن روح الإسلام السمح الذى لاينهى عن البر بمخالفيه الذين لم يقاطعوا أهله ويعادوهم فلاغرو أن تشمل مسرة العد كل من يعيش فى كنف المسلمين ولو كانوا من الكفار فى نظره ، على أن هذا إنما يكون بعد أن يستغنى فقراء المسلمين أولا (١٦) .

أمثلة عن بعض الأسخياء:

١ ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان النبى ـ ﷺ ـ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى ـ ﷺ ـ القرآن ، وفى رواية فيدارسه القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة (١٧) .

٢ ـ ولما مرض الصحابى الجليل قيس ابن سعد بن عبادة استبطأ إخوانه ، فقيل له إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين . فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا فنادى : من كان عليه لقيس بن

---

(١٥) كتاب فقه الزكاة المرجع السابق ص ٧١٠ .
(١٦) كتاب فقه الزكاة المرجع السابق ص ٩٦٢ .
(١٧) رواه الشيخان
المجلد الثانى المرجع السابق الإشارة إليه .

سعد حق فهو منه برىء قال : فانكسرت درجته بالعشى لكثرة من زاره وعاده .

٣ - واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبى معيط داره التى فى السوق بتسعين ألف درهم ، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله : ماهؤلاء ؟ قالوا : يبكون لدارهم : فقال : ياغلام ائتهم فأعلمهم أن المال والدار لهم جميعا .

٤ - وحكى أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال : والله لأعلمن الشيطان أنى عدوه ، فعال محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم فرهنهم بها حلى نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته [١٨] .

وبعد

فإن السخاء سبب النماء ، والكرم طريق السعة وأن الذى يجعل يده ممرا لعطاء الله يظل مبسوط اليد بالنعمة مكفول اليوم والغد بالنصيب الوافر من رحمة الله وكرمه تصلى عليه الملائكة ، ويرتقب له المزيد من الفضل . ففى الحديث القدسى عن الله تبارك وتعالى :

(ياابن آدم أنفق أُنفِق عليك ، يد الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار)[١٩] ذلك أنه من الأمور المسلم بها فى تعاليم الإسلام أن ماأنفق فى سبيل الله لا يعتبر من الأشياء المعدومة بل هو من المدخرات الباقية .

قال الله تعالى :

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ (النحل - ٩٦)

وقال جل وعلا ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (القصص - ٦٠) .

(١٨) كتاب إحياء علوم الدين الجزء العاشر للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى .

(١٩) رواه البخارى ومسلم هكذا ورد بكتاب الاحاديث القدسية الجزء الأول طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة القرآن والحديث ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ - يناير سنة ١٩٨٦ .

الإسراء والمعراج

منعطف فى تاريخ الدعوة

٣

للأستاذ الدكتور:
سعد ظلام

٣- وراثة الرسالات السابقة :

المؤمنون فى كل الرسالات وفى كل العصور ، وحتى إن بدوا قلة يخاف عليهم ، لكنهم هم الذين يبقون بعد هلاك المفسدين من أقوامهم ، وهم الوارثون للأرض والمال والدين .

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ ﴾ (يونس : ٧٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ١٣ - ١٤) .

وقاعدة التوازن البيئى تقضى بذلك ، لأن هؤلاء الأقوام الذين لم يؤمنوا ليسوا أصحاء ، إنهم مفسدون ، ومعتدون وظالمون ومجرمون ، ومشركون وكافرون ، ومعرضون ٦ أى أنهم مرضى ، والأصحاء عادة هم الذين يبقون بعد أن يفنى المرضى ويسدل عليهم الستار .

وهذا ما يؤكد القرآن عليه فى كثير من قصصه لرسول الله حتى يطمئن على مستقبل المستضعفين المؤمنين به .

والمجتمع المريض لابد أن يبيد انطلاقا من هذه القاعدة ، قاعدة التوازن البيئى ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور : ٦٣) .

وكثيرا ما نلمح الأنبياء يزجون إلى أقوامهم تلك القاعدة حتى يفيئوا إلى أمر الله وإنها لنصيحة غالية .

قالها هود لقومه :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ﴾ (هود : ٥٧) .

وقالها موسى لقومه :

﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٢٩) .

وقالها الله لكل أمم الأرض وأزجاها نصيحة غالية ليفيئوا إلى أمر الله : ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (الأنعام : ١٣٣) .

ولما كانت الأمة المحمدية آخر الأمم ، ورسولها خاتم الرسل فقد وعد الله الذين آمنوا بالاستخلاف فى الأرض :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾

(النور : ٥٥) .

وفى كل الأحوال : « والباقيات الصالحات » فالمسلمون وارثو الأمم والأنبياء والرسالات والأرض ، ومكن لهم دينهم وبدلهم بعد خوفهم أمنا ، لأنهم كما قال ربهم .

﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ (النور : ٥٥) .

ثالثا :

إقرار أصحاب الديانات السابقة بصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى - « بعد أن حكى ما حدث لموسى وهارون مع قومهما ، وكيف أن الله رزقهم الطيبات وأمدهم بالعلم فكان سبب اختلافهم ، قال سبحانه :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس : ٩٤) .

تثبيت للأمة وإعلام لهم أن صفة نبيهم موجودة فى الكتب المتقدمة التى بأيدى أهل الكتاب . قال تعالى . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة : ١٤٦ - ١٤٧) .

ورؤساء المسيحية يقلبون الحقائق فى هذه الآية يزعمون أن الله نصب من أهل الكتاب مستشارين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويستدلون بقوله تعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾ (يونس : ٩٤) .

ويقفون عند هذا الحد الذى يوافق زعمهم ، ولو أنهم أكملوا الآية لأقروا إقرارا يقينيا برسالته لأنها تكذبهم فى زعمهم وتدحض دعواهم ﴿ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ .. ﴾ أى أنهم يقرون بذلك .

رابعا: توجيه الدعوة إلى الناس كافة:

وهذا خروج بالدعوة من نطاق المحلية الضيقة التى كانت محصورة فيها فى مكة ، وقد أشارت إليه السورة لأول مرة بعد الإسراء ، إلماحا إلى انتقالها إلى الآفاق العالمية .

ونلمح هذا فى سورة يونس بشارة للدعوة والداعية بالتمكين وعالمية الرسالة .

٢ ـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٧ ــ ٥٨) .

والآيتان تدخلان على النفوس من أبوابها ، وتدعوان كل الحراص على الفضائل فى كل زمان ومكان والمرضى فى كل الأمم والديانات والحيارى ، والظمأى وطلاب الرحمة أن يستقوا من نبع القرآن ليشفوا ويهتدوا ويسموا ويعتبروا ويرحموا : فليفرحوا بفضل الله ورحمته ، فالقرآن خير مما يجمعون من حطام الدنيا ، أو فالفرح بفضل الله ورحمته خير من كل ما جمعت أيديهم من زهرة الحياة .

٢ ـ وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٤ ــ ١٠٦) .

أى إن كنتم فى شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحق ، فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله وحده ، لا شريك له ، وقد أمره الله بعبادته وحده ، ونهاه أن يكون مع المشركين وألا لا يدعو من دون الله ما لا ينفع ولا يضر ، فهذا هو الظلم .

٣ ـ وفى جهارة وهتاف بالحق يوجه الله نبيه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٨ ــ ١٠٩) .

قضية الناس والدعوة:

منذ فجر التاريخ ودعوات الإصلاح لا تجد الاستجابة الرشيدة ، والإقبال الواعى من الجماهير ، ومرجع ذلك إلى أسباب كثيرة :

(أ) منها حرص بعض القيادات على مراكزهم ، وقد وجدنا مصداقا لذلك قول قوم موسى : ﴿ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ٧٨) .

(ب) التمسك بدين الآباء كما قال قوم شعيب : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ (هود : ٨٧) .

لقد اعتبروا دعوة شعيب لهم بالإصلاح تدخلا فى عبادتهم وفى شئونهم الخاصة وحرصهم على المال وجلبه من أى طريق .

والاستكبار ، وهو حرص يصيب غير المهديين بهداية الله ، إنهم يعطلون أحاسيسهم أن تتفتح على ضياء الله وتشرب من حبه وحقه ، وتحكى الآيات عن استكبار كل الأقوام ، وأن قيادات المستكبرين تنصب نفسها لتمنع الضعفاء أن يهتدوا ويرشدوا .

وقد تنوع الاستكبار ، فهناك استكبار عن النبى ، وعن الحق الذى جاء به ، وعن الله ، وآيات الله وعن العبادة .

وسبب الاستكبار التكذيب والتعالى والكفر وحجب هداية الله والعتو والتبعية والوقوف عند ميراث الآباء ، وهو أقلها شأنا .

ويتدرج هذا الاستكبار تدرجا طبيعيا بين الإعراض ، وطلب الآيات والدلائل إلى الإصرار وإلى الإنكار والمكر السيىء .

وقريش أعرضت لطلب الآيات :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (يونس : ٢٠) .

ولقد عرضت سورة يونس موقف قريش من الدعوة عرضا جميلا ، فمرة طالبوا رسول الله بالآيات ، ومرة أخرى اتبعوا الظن ، وكذبوا .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

(يونس : ٣٦) .

وقد أبرزت السورة هذه القضية إبرازا شديدا من خلال منطلقات كثيرة ـ فمرة عن طريق تلاقى الرسل والرسالات ، ومرة عن طريق وراثة الإسلام للرسالات السابقة ، ومرة ثالثة عن طريق إقرار أصحاب الديانات السابقة بصدق الرسول ، ومرة رابعة بتوجيه الدعوة إلى كافة الناس ، وهذا ملحظ جديد ، ربما نلمسه لأول مرة بعد الإسراء .

تلاقى الرسالات والرسل:

وقد عرض القرآن ماحدث لنوح وموسى مع أقوامها من خلال مشاهد التكذيب والاستكبار والإعراض وسوء العاقبة ، وأن الغاية من إرسال الرسل ، وإنزال الكتب غاية واحدة فى جميع العصور ، وهى إحقاق الحق بكلمات الله ، وأن الإقبال على الهداية أو الإيمان بالرسل يكون فى كل الرسالات وفى كل الظروف قليلا ضئيلا .

قال تعالى :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾

(يونس : ٧١ ـ ٧٣)

ونود أن نؤكد هنا على بعض النقاط :

أ ـ مقدار حرص نوح على قومه على الرغم من تهديدهم وتعذيبهم إياه : ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (يونس : (٧١) .

وقد ورد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال عندما علم بخروج قريش لملاقاته عندما علموا بمجيئه معتمرا فى الحديبية قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ياويح قريش قد أكلتهم الحروب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوا كان الذى أرادوا ، وأن أظهرنى الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، ولما علم بحرصهم على صده عن البيت قال أيضا فى الحديبية : « لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها »[1] .

ب ـ إن الدين عند الله الإسلام ، وهذا ما قاله نوح ـ عليه السلام ـ :

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس : ٧٢) .

ج ـ إن تكذيب الأقوام لرسلهم كان يدين الجميع ويبدو كما يقول القرآن أنهم قد ﴿ تواصلوا به ﴾ ، ولكن الله ناصر نبيه والمؤمنين به ، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾ ، وكان المؤمنون به وارثين للدين والأرض ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ ﴾ .

د ـ ثقة الرسول فى نصر الله :

﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴾

(سورة يونس : ٧٣) .

هـ ـ تشابه أقوال اللاحقين للسابقين فى التكذيب . ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴾

(يونس : ٧٤) .

وكذبوا بالقرآن عن جهل :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

(يونس : ٣٩) .

وذكرت السورة أن بعضهم آمن وبعضهم لم يؤمن : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس : ٤٠) .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس : ٤٢ ــ ٤٤) .

ولقد عكفوا على ما وجدوا عليه آباءهم ضيقا منهم بعدم الإقبال على الجديد ، وجهلا وتخلفا ، ولقد افتروا على الله وعلى رسوله الكذب حتى اتهموا الرسول بافتراء القرآن :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

(يونس : ٦٩) .

﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ ﴾

(يونس : ٦٠) .

ولم تكن قريشا بدعا فى الأمم .

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ ﴾

(يونس : ١٩) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾

(هود : ١١٨ ــ ١١٩) .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (يونس : ٩٩ ــ ١٠٠) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

(يونس : ٩٦ ــ ٩٧) .

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس : ٤١) .

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾

(يونس : ١٠٩) .

قضية النفوس القلقة :

وقد عرضت سورة يونس بعض النفوس القلقة إزاء الأحداث العوارض ، فهى لا تستقر إلا حيث تتحول ، ولا تتحول إلا حيث تستقر ،

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾

(يونس : ١٢) .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (يونس ٢١ ــ ٢٣) .

وهذه النفوس الزئبقية هلامية الرأى والتفكير ، لا تحمد للصبح أن يشرف ، ولا للحديقة أن تثمر ، ولا للحياة أن تبتسم لأنها تتحول بتحول المصلحة ، وتنقلب بانقلاب المنفعة ، ولا تؤمن إلا بما يجيء لها هى بالنفع الشخصى ، وهى فى كل مجتمع وملة وبيئة وأمة ، تمكر بالصدق والحق أما ملأ الكون وصوا وجه الحياة ويبغون فى الأرض بغير الحق ، ونعمة الله فوق شفاههم .

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾

(الأنفال : ٣٠) .

والتاريخ يحكى عن بنى إسرائيل أنهم بعد نعمة الله عليهم أنجاهم من فرعون وعبر بهم إلى سيناء :

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾

(الأعراف : ١٣٨) .

لقد أعطت السورة معراجا للدعوة ، ومنطلقا جديدا إلى آفاق أرحب وأشمل وأوسع وأنها ستخرج من نطاقها المحل الضيق المحاصر فى مكة وأنها ستنتصر وأنها ستشمل الإنسانية على اتساعها والنطاق الإنسانى على امتداده ، وأعطت للرسول منهجا جديدا فى الدعوة يتلاءم مع طبيعة المرحلة الجديدة ، وعرضت القضايا التى أثارتها قريش وناقشتها وردت عليها ودحضتها ، وبشرت بمنهج عالمى رشيد للدعوة تمثل فى تلاقى الرسالات ووراثة النبوات وتصديق أهل الكتب السابقة بصدق رسالة الرسول وتوجيه الدعوة إلى الناس كافة ، وهذا مالم نجده قبل الإسراء والمعراج .

وما تأكد فى سورة هود وهى السورة التالية فى النزول لسورة يونس ، وماتنامى بعدهما فى السور المكية الباقية فى العهد المكى ثم فى سور العهد المدنى .

وقد زامن ذلك إستراتيجية جديدة للدعوة تمثلت فى بيعتى العقبة ، ثم فى الهجرة وماصاحبها وترتب عليها من قيام الدولة الإسلامية فى ظل الدعوة ، أو نمو الدعوة الإسلامية فى ظل الدولة .

ولهذا كله نرى أننا فى حاجة إلى منهج قرآنى للدعوة يصاحب نزول القرآن صعودا وترتيبا ، حتى نتبين كيف تطور هذا المنهج وما مراحله ؟ وخطواته ؟ ومعراجه ؟ وما العقبات التى اعترضت طريقه ، وكيف تغلب عليها ؟ ثم قبل ذلك وبعده نحن فى حاجة إلى أن نتعلم أسلوبى الدعوة والداعية ، وكيف يستقيان ؟ وكيف يزاملان الأحداث صعودا إلى مدارج السمو ، مرورا بمراحل التأزم والصراع ، وكيف خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المآزق وتخطى به العقبات ، وكيف جرت باسم الله مجريها ومرساها .

ونأمل ألا ننسى القدس والأقصى مسرى رسول الله فى خضم الأحداث .

هذا وبالله التوفيق .

الزهد فى الإسلام

للأستاذ الدكتور: عامر النجار

- ٢ -

الزهد والتصوف :

يتحدث ابن خلدون فى مقدمته عن نشأة الزهد فى الإسلام وعلاقته الوثيقة بالتصوف ، فيقول : « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق بالخلوة والعبادة . وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف . فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى ، وما بعده ، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[١] .

فالزهد . . كان المدخل الطبيعى إلى التصوف فى الإسلام ، ولقد وجد الصوفية الأوائل فى نماذج الزهاد السابقين صورة صادقة ، ومثلا للحياة الروحية فى الإسلام ، ووجدوا فى أهل الصفة ضوءا ودليلا على زهدهم ، وأهل الصفة - كما ذكرنا - كانوا من صحابة رسول الله - ﷺ - من فقراء المسلمين الذين كانوا يرابطون فى مسجد رسول الله - ﷺ - فى المدينة .

وقال الإمام أبو القاسم القشيرى - رحمه الله : - اختلف الناس فى الزهد من حيث متعلق حكمه ، فمنهم من قال : « الزهد فى الحرام ، لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى . . ومنهم من قال الزهد فى الحرام واجب ، وفى الحلال فضيلة ، فإن إقلال المال - والعبد صابر فى حاله ، راض بما قسم الله تعالى له ، قانع بما يعطيه - أتم من توسعه ، وتبسطه فى الدنيا ، فإن الله تعالى زهد الخلق فى الدنيا بقوله :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

(النساء : ٧٧) .

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٩٨ .

ومنهم من قال : إذا أنفق العبد ماله فى الطاعة ، وعلم من حاله الصبر ، وترك التعرض لما نهاه الشرع عنه فى حال العسر ، فحينئذ يكون زهده فى المال الحلال أتم .

ومنهم من قال : ينبغى للعبد ألا يختار ترك الحلال بتكلفة ، ولا طلب الفضل مما لا يحتاج إليه ، ويراعى القسمة ، فإن رزقه الله ، - سبحانه وتعالى - ، مالا من حلال شكره ، وإن وقفه الله تعالى ، على حد الكفاف لم يتكلف فى طلب ما هو فضول المال ، فالصبر أحسن بصاحب الفقر ، والشكر أليق بصاحب المال الحلال »[1] .

وأهل الزهد على معان شتى فى نظر أبى سعيد الخراز ، فمنهم « من زهد لفراغ القلب من الشغل ، وجعل همه فى طاعة الله تعالى وذكره فكفاه الله عند ذلك ، ومنهم من زهد لخفة الظهر ، وسرعة الممر على الصراط ، إذا حبس أصحاب الأثقال للسؤال ، ومنهم من زهد رغبة فى الجنة واشتياقا إليها . . وأعلى درجات الذين زهدوا فى الدنيا ، هم الذين وافقوا الله تعالى فى محبته ، فكانوا عبيدا عقلاء عن الله - عز وجل - : أكياسا ، سمعوا الله - جل ذكره - ذم الدنيا ووضع من قدرها ، ولم يرضها داراً لأوليائه ، فاستحيوا من الله - عز وجل - أن يراهم راكنين إلى شىء ذمه ولم يرضه . وجعلوا ذلك على أنفسهم فرضا ، لم يبتغوا عليه من الله - عز وجل - جزاء ولكن وافقوا الله فى محبته كرما منه - سبحانه وتعالى - فأهل الموافقة - لله تعالى فى الأمور : هم أعقل العبيد وأرفعهم عند الله قدراً »[2] .

وكما يقول الطوسى فى اللمع : « من لم يحكم أساسه فى الزهد لم يصح له شىء مما بعده ، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة »[3] .

والحقيقة أنه يكاد يكون الزهد سمة عامة وملمحاً أساسياً من ملامح التصوف الإنسانى فى كل العصور ، فعن طريق الزهد يستطيع الصوفى أن يسيطر على نوازع نفسه ورغباتها ، كما يمكنه أن يقهر شهواته الدنية ويهزم لذاته الرخيصة .

وقد سئل ابوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبى عن الزهد فى الدنيا : أفرض أم نفل ؟ فقال : « فرض الله تعالى على العباد الزهد فى حرامه ، ونفلهم الزهد فى حبس حلاله ، لموضع الفضل ، وأمرهم بالرغبة فيما فيه رغبهم ، وبالزهد فيما فيه زهدهم .

فإذا كان الرجل يحسن التمييز بين الفرض والنفل لم يقدم على الحرام ، ولم يزهد فى الحلال . إلا أن الله تعالى لم يغفل أن يزهد الإنسان فى حلاله »[4] وذلك لفهم المحاسبى جيدا لقول الله تعالى :

---

(١) القشيرى ، الرسالة ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ .

(٢) الخراز ، ابو سعيد ، الطريق إلى الله او الصدق ، تحقيق : د . عبدالحليم محمود ، نشر دار الإنسان بالقاهرة ، ١٩٧٢ ، من ص ٧٥ إلى ص ٨٠ ، بلختصار .

(٣) الطوسى ، ابو نصر السراج ، اللمع ، تحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٠ م ، ط دار الكتب الحديثة بمصر ، والمثنى ببغداد ، ص ٧٢ .

(٤) المحاسبى ، المسائل فى الزهد ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مكتبة التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٤ .

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

(الأعراف : ٣٢) .

فواجب الإنسان أن لا يحبس ماله الحلال عن الإنفاق فى أوجه الخير المختلفة وفى سبيل الله . . فالإنسان كما يرى المحاسبى إن أعطى الدنيا « لم يمنعه حلول النعمة عن أداء شكرها ، وإن منع لم يمنعه نزول البلية عن النظر إلى موضع الخيرة »[1] أى الاختبار .

ويقول المحاسبى : « لرب مقل قد ظهر الزهد على ظاهر بدنه ، وقلبه مشغول بالرغبة ، فقد استقل كل ما صار إليه من الدنيا ، وإن كان فى العدد كثيرا ، ويستكثر ما بيد غيره ، وإن كان فى العدد قليلا . . أما الزاهد فقد طهر قلبه من الدنيا ، واستراح من ضيق الرغبة ، فعلاه الوقار ، وصار من الراحة إلى ما صار ، فمن علم عاقبة الزهد ، هان عليه فى الابتداء مؤنة الشدة ، ومن خلع الهوى ، جانب عيش الدنيا إذا وزن الأشياء بمعيار العدل »[2] .

وكان الحسن البصرى (ت ١١٠ هـ) سيد التابعين ، زاهدا من كبار الزهاد . تأثر تأثراً بالغا بكلمات الله فى قرآنه المجيد . ويقال إنه كان إذا قرأ الآية الشريفة :

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

آل عمران : ١٠٦ .

أخذ فى البكاء بكاء شديدا . وكان يعظ فى مجلسه دائما بذكر قول الله تعالى :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

(الشورى :٢٠)

إن الزهد الحقيقى عندنا هو ترك كل ما يشغل القلب والعقل عن الله تعالى ، فيكون مع الله فى سائر سكناته وحركاته .

ويفهم بعض الناس خطأ أن الزهد يعنى تجنب المال بالكلية ، إنما الزهد الحقيقى أن يتساوى عندك وجود المال وعدمه ، وألا يشغل قلبك المال وحب الدنيا « فالدنيا لا تذم لذاتها فإنها مزرعة الآخرة ، فمن أخذ منها مراعيا للقوانين الشرعية أعانته على آخرته ، ومن ثمة قيل : لا تركن إلى الدنيا ، فإنها لا تبقى على أحد ، ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها »[3] .

وليس الزهد خمولا وكسلا وتواكلا ، وإنما هو قوة إيمان ورضا بعطاء الله فى حالة بسطه أو قبضه . وليس الزهد حرمانا من الطعام والشراب ، ولكن الزاهد يهتدى بهدى رسول الله ـ ﷺ ـ فى الطعام . يقول رسول الله ـ ﷺ ـ : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » [الترمذى] .

وهنا لابد لنا من وقفة ، فلا زهد فيما أحاله الله سبحانه وتعالى من طيبات ، فللزاهد أن يأخذ منها

(١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ ، ٣١ .
(٣) المناوى ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، طبع مطبعة مصطفى محمد بالقاهرة ، ١٣٥٦ هـ ، ص ٥٤٥٠ .

دون إسراف ، وليس له أن يحرم نفسه فيضعف جسده مما قد يؤدى إلى عجزه عن السعى على نفسه أو من يعول . والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ (النساء : ٢٩) .

ويقول أيضاً : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥) فلا زهد من ترك مطعم ولا مشرب ، وتاركه قاتل لنفسه ومن يعول ، وهو من أهل النار ، والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعى على نفسه أو على من يعول ، مخالفا لما أمر الله به وأرشد إليه »[1] .

وليس الزهد فى أن يحرم الإنسان نفسه من متعة حلال كالنكاح ورسول الله - ﷺ - يقول : « النكاح من سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » [رواه ابن ماجه] .

يقول الإمام أحمد بن حنبل : « ليس العزوبة من أمر الإسلام فى شىء . . لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا . وقد كان النبى - ﷺ - يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل ، فمن رغب عن فعل النبى - ﷺ - فهو على غير الحق »[2] .

إن الزاهد الحقيقى قلبه معلق بربه ولا يتعلق به سواه ، وهذا هو زهد خاصة الخاصة ، فالزهد على مراتب ثلاث كما قال ابن عجيبة : « فزهد العامة : ترك ما فضل عن الحاجة فى كل شىء ، وزهد الخاصة : ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله فى كل حال ، وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله فى جميع الأوقات »[3] .

والزهد ليس انهزاما ولا ضعفا ولا سلبية فى الحياة ، وإنما هو قوة روحية عظيمة ، وإيمان صادق ، وما أحوج إنسان هذا العصر الذى يعيش فى مادية محضة أن يتنسم عبق الحياة الروحية ، فيتعرف على الإيثار ، ويلوذ بالإيمان ، ويتدثر بالأخلاق ، وتطمئن نفسه القلقة حين يدرك ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ (النجم : ٤٢) .

وإن حياة الزهاد الأوائل قطعة ناصعة من تاريخنا الإسلامى العظيم . فهم كوكبة نيرة أضاءوا الحضارة الإسلامية وصنعوا مجد الإسلام بزهدهم وجهادهم العظيم . أنهم أسماء نابهة أشرقت فى سماء الإسلام لتصنع أمة عظيمة كان أبرز خصائصها إعلاء شأن الروح . لقد صنعوا أسمى العلاقات الإنسانية والسمو الروحى الصادق ، وضربوا أروع المثل الإنسانية العالية ، وارتفعوا بالإنسان على أدران المادية الزائلة . هذه الكوكبة الخالدة العظيمة من الزهاد الأوائل ، منهم أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، وأبو ذر الغفارى ، وسلمان الفارسى ، وأبو هريرة ، والزبير بن العوام ، وأبو الدرداء ، وحذيفة بن اليمان ، ومعاذ بن جبل ، وأبو عبيدة

---

(١) الشوكانى ، زبدة التفسير من فتح القدير ، اختصار محمد سليمان الأشقر ، ط الكويت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) ابن الجوزى ، ابو الفرج ، تلبيس إبليس ، طبعة المنيرية ، ١٣٦٨ هـ ، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن عجيبة ، معراج التشوف إلى حقائق التصوف ، مطبعة الاعتدال ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٧ .

ابن الجراح ، وعبدالله بن عباس ، وعبدالله بن عمر ، والأحنف بن قيس ، ووهب بن منبه ، وطاووس بن كيسان ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد بن جبير ، وعطاء بن رباح ، وسعيد بن جبير ، وأويس القرنى ، وسفيان الثورى ، وعاصم بن هبيرة ، والحسن البصرى ، وأبو حنيفة النعمان وأبو سليمان الدارانى ، وسهل التسترى وأحمد بن أبى الحوارى ، وعمر بن عبدالعزيز ، والأوزاعى ، وأبو مسلم الخولانى ، والسرى السقطى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وإبراهيم بن أدهم ، وعبدالله بن المبارك ، والفضيل بن عياض ، وأبو عثمان الحيرى النيسابورى ، والمحاسبى ، والحكيم الترمذى . . ومئات من الزهاد العظام الذين أثروا الإنسانية بأروع نفحات روحهم الزكية الطاهرة المباركة ، وتركوا لنا تراثا روحيا نابضا بالحياة ، تشهد لهم بأن الزهد لم يكن انهزاما فى الحياة ولا سلبية وخمولا . بل كان ارتفاعا بالإنسان ، وسموقا بالمبادىء والمثل الإنسانية الرفيعة .

ولقد ساعد العصر الذى عاش فيه أبى سعيد ابن الأعرابى على ظهور الزهد كرد فعل لحياة الترف التى عاشها العباسيون فقد ماجت الخلافة الإسلامية ببغداد ببذخ لا حد له وعاش الولاة والخلفاء والأمراء وعمالهم فى بحبوحة من العيش والسرف البالغ . فلقد تدفقت على خزائن الدولة ملايين الدنانير من كل حدب وصوب نتيجة لازدهار التجارة والزراعة آنذاك . فخراسان مثلا كانت تصنع « عشرين ألف ثوب فى السنة ، وطبرستان ونهاوند ستمائة قطعة من الفرش ومائتين من الأكسية ، يضاف إلى هذا ألوف القناطير من الزيت والعسل والتمر من سائر أنحاء المملكة »(1) .

ومن أعلام الصوفية الزهاد فى الإسلام : عبدالله بن المبارك وإبراهيم بن أدهم وأبو سليمان الدارانى .

١ ـ عبدالله بن المبارك

من أبرز زهاد القرن الثانى الهجرى ، عبدالله ابن المبارك [١١٨ ـ ١٨١ هـ] . كان تاجرا صالحا وعالما ورعا ، وكان محبا للترحال طلبا للعلم والتجارة .

وقد تلقى العلم عن كثير من العلماء ، منهم « يحيى بن سعيد الأنصارى ، والأوزاعى ، وروى الموطأ عن مالك بن أنس »(2) . ولم يكن أشد منه حبا لحديث رسول الله ـ ﷺ ـ ، وكان أبو سلمة يقول عنه : ابن المبارك فى الحديث مثل أمير المؤمنين فى الناس »(3) .

فابن المبارك أحد المحدثين الثقات ، وعلم من أعلام الرواية فى الحديث النبوى ، وحافظ من حفاظ وقته للحديث الشريف . ويعد عبد الله بن المبارك ، نموذجا رائعاً للزهاد المجاهدين العظام ، فقد عرف عنه أنه كان يحج عاما ، ويغزو عاما . وقد شارك بنفسه فى غزو الروم ، كما كان ينفث فى

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٥٧ .

(٢) اليافعى ، مراة الجنان ، ص ٣٧٩ .

(٣) البغدادى ، تاريخ بغداد ، ج ١٠ ، ص ١٥٦ .

روع المجاهدين روح القتال ، ويعظهم ويدعوهم للشهادة فى سبيل الله تعالى . وكان يكسب مالا كثيرا من تجارته ينفقه كله فى سبيل الله وعلى فقراء المسلمين وطلبة العلم .

ويؤكد عبدالله بن المبارك على أهمية الاعتكاف عن الناس من وقت لآخر ، فينبغى على المؤمن الصادق أن يقسم وقته بين الخلق وخالقهم ، قيل له مرة : ما دواء القلب ؟ فقال : قلة الملاقاة للناس . وقيل : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، آنسه بالوحدة ، وأغناه بالقناعة ، وبصره بعيوب نفسه ، فمن أعطى ذلك ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة »[1] .

وكان يرى أن الجهاد من أعظم القربات إلى الله ، لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون كما قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (آل عمران : ١٦٩) .

فكان يرفع من شأن الجهاد عن أى عبادة من العبادات .

ومن خلال حياة ابن المبارك يستطيع أى باحث أن يستشف بسهولة كيف كان الرجل إيجابيا فى الحياة ، يعيش فى قلب الحياة ، لا ينفصل عنها ، فقد كان تاجرا ، وكان عالما ، وزاهدا من كبار الزهاد ، وضع كل ثروته فى خدمة العلم ، وطلبته ، وأنفق ماله كله على فقراء المسلمين وذوى الخصاصة والحاجة .

ومن سلوكه العملى الرائد استطاع أن يصحح المقولة الخاطئة حول الزهد فى الإسلام بأنه خمول وسلبية وبعد عن المجتمع ، والجهاد فى سبيل الله . فقد كان يحج عاما ويغزو عاما . ويدعو بسلوكه العظيم إلى فهم الحياة الروحية فى الإسلام فهما صحيحا ، فكان إلى جانب زهده العظيم ،

وورعه المعروف ، وكثرة انقطاعه للخلوة والعبادة ، كان يعرق ويعمل بالتجارة . قال له الزاهد الكبير الفضيل بن عياض مرة ، يا ابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ،

ونراك تأتى بالبضائع من بلاد خراسان إلى البيت الحرام وكيف ذاك ؟ فقال : إنما أفعل ذلك لأصون ماء وجهى ، وأكرم به عرضى ، وأستعين به على طاعة ربى . لا أرى لله حقا إلا سارعت إليه حتى أقوم به . فقال الفضيل : يا ابن المبارك ، ما أحسن ذا إن تم ذا »[2] .

ولهذا ليس غريبا أن يقول إسماعيل بن عياش : « ما على وجه الأرض مثل عبدالله بن المبارك »[3] وأن يقول فيه سفيان الثورى . « لو جهدت جهدى أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر »[4] .

(١) القشيرى ، الرسالة القشيرية ، ص ٥٥ .
(٢) البغدادى ، تاريخ بغداد ، جـ ١٠ ، ص ١٦٠ .
(٣) مرجع سابق ، جـ ١٠ ، ص ١٥٧ .
(٤) الاصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ١٦٣ .

٢- إبراهيم بن أدهم

إبراهيم بن أدهم [ت سنة ١٦٢ هـ] ، كان أميرا من أمراء بلخ ، ولكنه شعر أن زخارف الدنيا لا تساوى شيئاً عند الله ، وأن الآخرة هى المقام فزهد فى الإمارة والحكم ، وارتحل إلى بلاد الشام ، وعمل بيده فى أعمال مختلفة .

وقد سئل ابن أدهم مرة : لم هجرت الناس ؟ فقال : « أمسكت بدينى ، وبين صدرى ، وبرزت من بلد إلى بلد ، أرض ترفعنى ، وأرض تضعنى ، أفعل ذلك لعلى أصون دينى من وساوس الشيطان وأمر بإيمانى سالما من باب الموت »[١] .

يقول إبراهيم بن أدهم فى إحدى مواعظه محذرا من الدنيا ، وداعيا إلى الزهد فيها : « تريدون أن تجاوروا الله فى داره ، وتحطوا رحالكم بقربه بين أوليائه وأصفيائه وأهل ولايته ، وأنتم غرقى فى بحار الدنيا ، حيارى ترتعون فى زهواتها وتتمتعون فى لذاتها ، وتتنافسون فى غمراتها . فمن جمعها ما تشيعون ومن التنافس فيها ما تملون . كذبتم والله أنفسكم ، وغرتكم ومنتكم الأمانى ، وعللتكم بالتوانى . . أما تعلمون أنه لا تنال جنته إلا بطاعته ، ولا تنال ولايته إلا بمحبته ، ولا تنال مرضاته إلا بترك معصيته . فإن الله تعالى قد أعد المغفرة للأوابين ، وأعد الجنة للخائفين »[٢] .

وإبراهيم بن أدهم نموذج للزاهد المجاهد ، فقد كان يعمل ويعرق ليأكل ، ومات وهو يغزو فى بلاد الروم .

ومن أبرز تلاميذ ابن أدهم شقيق ابن إبراهيم البلخى (ت ١٩٤ هـ) وله كلام طيب فى الزهد والزاهدين . قال : « الزاهد هو الذى يقيم زهده بفعله ، والمتزهد هو الذى يقيم زهده بلسانه »[٣] .

٣- أبو سليمان الدارانى

أبو سليمان الدارانى [ت ٢١٥ هـ] ، أصله من أهل واسط بالعراق ، ولكنه ارتحل إلى بلاد الشام ، واستوطن منطقة « دارايا » التى تقع غربى مدينة دمشق وإليها ينتسب .

يقول الدارانى عن حقيقة الزهد : « لا يزهد فى شهوات هذه الدنيا ، إلا من وضع الله فى قلبه نورا يشغله دائما بأمور الآخرة »[٤] .

ويقول محذرا من غرور الدنيا وضرورة الزهد فيها : « من ترك الدنيا للآخرة ربحهما ، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما ، وكل أم يتبعها بنوها ، وبنو الدنيا تسلمهم إلى خزى شديد ، ومقامع من حديد ، وشراب الصديد ، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ونعيم ، فى ظل ممدود ، وماء مسكوب ، وأنهار تجرى بغير أخدود . . من نظر إلى الدنيا مولية صح عنده غرورها ، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب فى قلبه حبها »[٥] .

رحم الله الدارانى ، فقد كان مثلا صادقا للزاهد الحق .

---

(١) نيكولسن ، فى التصوف الإسلامى وتاريخه ، تعريب وتعليق : الدكتور أبو العلا عفيفى ، ص ٤٨ .
(٢) الأصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ٨ ، ص ٢٤ .
(٣) القشيرى ، الرسالة ، ص ١٦ ، ١٧ .
(٤) فريد الدين العطار ، تذكرة الأولياء ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .
(٥) الأصبهانى ، حلية الأولياء ، جـ ٩ ، ص ٢٧٨ .

الاستغفار

في القرآن الكريم

للأستاذ: محمد عبد العظيم الجوهري

إذا أردنا أن نختار سورة من القرآن الكريم يشيع فيها الاستغفار من أولها إلى آخرها فسوف نجد ذلك فى سورة نوح ـ عليه السلام ـ .

ففى أولها : نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ① قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ② أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ
وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ
أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(الآيات ـ ١ : ٤) .

وفى وسطها نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ
كَانَ غَفَّارًا ⑩ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ⑪ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾

(الآيات ـ ١٠ : ١٢) .

وفى آخرها نقرأ قوله ـ تعالى ـ :

رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ㉘

(الآية ـ ٢٨) .

إن سورة نوح عبارة عن صدور أمر من الله إلى نوح بالرسالة وإبلاغها إلى قومه بأنه نذير من الله لكى يعبدوه ويطيعوا رسوله فإذا استجابوا لدعوته بشرهم بغفران ذنوبهم . والسورة تتضمن ـ أيضا ـ تقريرا من نوح عليه السلام ـ بأنه قال لقومه : استغفروا ربكم فهو غفار للذنوب ، ودعاء منه عليه السلام بطلب المغفرة من الله ، له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات فى كل زمان ومكان .

والاستغفار . . يدفع عن النفس الشعور بالكبر والزهو بالنفس ، والعجب بأعماله وكذا بعباداته ، ويورثها الإحساس بالتقصير ، وهذا الإحساس

بالتقصير يدفع المسلم للمزيد من العمل فى طاعة الله فتزداد حسناته ويثقل ميزانه عند الله يوم القيامة .

وتدبر قول الله ـ عز وجل ـ للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد أن فتح الله على المسلمين مكة ودخل الناس بعدها فى دين الله أفواجا :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

(سورة النصر) .

فإن حكمة الله بالغة فى هذا التوجيه الوارد فى السورة حتى لايتيه المسلمون عجباً بهذا الفتح وهذا النصر فهو نصر الله ومن الله فلا يتجبرون فى الأرض على من نصرهم الله عليهم دون قتال .

وتدبر أيضا حكمة الاستغفار دبر كل صلاة كما علمنا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى هذا الدعاء المأثور : « أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه » حتى لايعجب المسلم بصلاته وعبادته ويتألى بها على الله كما تألى بعض الأعراب على الله ومنوا على الرسول ـ ﷺ ـ بإسلامهم ، وسجل الله ـ تعالى ـ عليهم ذلك فى كتابه العزيز وأوحى لرسوله بماذا يرد عليهم :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الآية ١٧ ـ الحجرات) .

ولذلك كان من التوجيهات الأولى من الله لرسوله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾

(٦/المدثر) .

وقد أوصى الرسول ـ ﷺ ـ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بلزوم الاستغفار فقال فيما رواه عنه ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لايحتسب » رواه أبو داود .

وكان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسوة وقدوة لأصحابه فى ذلك فعندما أوصاهم بأن يكثروا من الاستغفار قال لهم فيما رواه عنه أبو هريرة : « والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخارى . على الرغم من أن الله ـ تعالى ـ بشره بقوله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

(الآية ١ ، ٢ ـ الفتح) .

والاستغفار . . هو دعاء الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين منذ آدم ـ عليه السلام ـ حتى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإلى أن تقوم الساعة .

ولنصحب المستغفرين وآيات استغفارهم فى القرآن الكريم . . ونسأل الله أن نكون منهم .

١ - استغفار آدم وحواء :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

(الآية ٢٣ - الأعراف) .

٢ - دعاء نوح - عليه السلام - :

﴿ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾

(الآية ٢٨ - نوح) .

٣ - دعاء إبراهيم عليه السلام :

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

(الآية ٤٠ ، ٤١ - إبراهيم) .

وكذلك فى ضراعته إلى الله :

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

(الآيات ٧٨ : ٨٢ - الشعراء) .

٤ - دعاء موسى - عليه السلام - :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الآية ١٦ - القصص) .

٥ - دعاء الملائكة حملة العرش :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾

(الآية ٧ - غافر)

٦ - دعاء الصالحين - رضوان الله عليهم - :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

(الآية ١٠ - الحشر) .

٧ - دعاء الاستغفار الذى علمه الله لكل مستغفر : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

(٢٨٦ - البقرة) .

٨ - دعاء سيد الاستغفار الذى علمه لنا الرسول . . - عليه الصلاة والسلام - :
« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفرلى ، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخارى عن شداد بن أوس - رضى الله عنه - .

المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف فى المصحف الشريف

للدكتور: جمال عبد العزيز أحمد

فى المصحف الشريف علامات للوقف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعانى النحوية ، والمعانى الدلالية ، وكلها يدور حول مراعاة تمام المعنى وصحته ، ودفع اللبس ، والتمييز بين المعانى المتداخلة وجهات الكلام .

وسوف نورد - فيما يأتى - تعريفاً بكل رمز من رموز الوقف ، ونعقبه بدراسة نحوية لكل منها :

أولا : الوقف اللازم ورمزه « مـ »

وهو الوقف على كلمة لو وصلت بما بعدها لأوهم وصلها معنى غير المراد ، ويكون هذا الوقف فى وسط الآية ، وفى آخرها . وسمى الوقف على هذه المواضع وماشاكلها لازما ؛ للزومه وتحتمه ، من أجل سلامة المعنى ، وحسن التلاوة وإحكام الأداء[1] .

ويأتى هذا الوقف للتمييز بين أشكال الكلام المختلفة ، ولإزالة اللبس بينها ، والفصل بين جهات الكلام ، كالتمييز بين كلام الله - عز وجل - وكلام الكفار ، كقوله - تعالى - :

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (البقـرة : ٢٦) .

فالوقف اللازم على « مثلا » ليفصل بين كلام الكفار ، وكلام الله - عز وجل - ، وتكون جملة

(١) شرح طيبة النشر فى القراءات العشر لابى القاسم النويرى ١/ ٣٣٤ .

« يضل به كثيراً » جملة مستأنفة . ولو وصل الكلام لكانت صفة لـ « مثلاً » ، ولأفادت أنه من كلام الكفار ، وهو غير صحيح[٢] .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾

(المائدة : ٧٣) .

فالوقف اللازم على « ثلاثة » يميز بين قول النصارى القائلين بالتثليث ، وقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ رداً لقولهم ، ولو وصل الكلام لأوهم أن يكون ذلك من كلامهم ، فيؤدى إلى التناقض ، والواو على الوقف اللازم تشعر بالاستدراك ؛ لأن ما بعدها عكس حكم ما قبلها .

* ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

(سورة الأنعام : ١٢٤) .

فالوقف اللازم على « رسل الله » يفصل بين كلامين : كلام الكافرين (كفار قريش) ، وكلام الله ـ عز وجل ـ ، وجملة « الله أعلم حيث يجعل رسالته » تعد ابتدائية ، ولو وصل الكلام لكان هذا من تتمة قولهم ، فيؤدى إلى فساد المعنى ، وهو الجمع بين ما يدل على الكفر ، وما يدل على الإيمان .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(سورة يونس : ٦٥) .

فالوقف اللازم على « قولهم » يدفع إيهام أن ما بعده من قولهم ، وإنما الصحيح أنه من قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، وعليه فجملة إن العزة لله جميعاً ابتدائية ، ولو وصل الكلام لكانت الجملة فى محل نصب مفعول به للقول ، فيترتب عليه الجمع بين متناقضين وهما الكفر والإيمان[٣] .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّٰسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (سورة آل عمران : ٧) .

فالوقف اللازم على لفظ الجلالة « الله » يمنع وهم ـ أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله ، وهو رأى الجمهور[٤] ، وعليه فالواو استئنافية ؛ « الراسخون » مبتدأ ، مخبر عنه بـ « يقولون » ، وعلى الوصل تكون الواو عاطفة ، و « الراسخون » معطوفاً على لفظ الجلالة ، وجملة « يقولون » حالاً منهم ، وقد ذهب إلى هذا قلة من أهل العلم[٥] .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا۟ الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا۟ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (سورة المائدة : ٥) .

---

(٢) الفريد فى إعراب القرآن المجيد ١/٢٥٩ ، والبيان فى غريب إعراب القرآن ١/٤٤ .

(٣) انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١/٣٤٥ ، ٣٥٨ ـ ٣٥٩ .

(٤) البحر المحيط ٢/٣٨٤ ، والكشاف ١/٤١٣ ، ومعانى الفراء ١/١٩١ ، والقطع لابن النحاس ٢١ ـ ٢١٣ ، والطبرى ٣/١٢٢

(٥) منهم محمد بن جعفر بن الزبير والربيع بن أنس وعلى بن سليمان : انظر القطع ٢٢٥ ، والطبرى ٣/١٢٢ والبرهان ١/٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، وتفسير مجاهد ١/١٢٢ .

فالوقف اللازم - فى بعض طبعات المصحف - يمنع اللبس الواقع من عطف « المحصنات » على « طعامكم » لأنه يؤدى إلى مخالفة الحكم الشرعى ، وهو تحليل المحصنات من المؤمنات لأهل الكتاب ، ولكن الوقف يجعل الجملة مستأنفة ، ويكون خبر « والمحصنات » محزوفاً تقديره « حل لكم كذلك إذ آتيتموهن أجورهن . . » أو يكون قوله : « والمحصنات » معطوفاً على قوله : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » ، وتكون جملة « وطعامكم حل لهم » مقحمة بين المتعاطفين وقيل : « المحصنات » معطوف على « الطيبات » ، فهو من عطف المفردات ، من عطف الخاص على العام ، وهو وجه حسن أيضاً[٦] .

* ومن الوقف اللازم أيضاً واللبس فيه واقع فى حرف مثل الواو ، فلا يتميز كونها استئنافية أو عاطفة إلا به قوله - تعالى - :

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (سورة البقرة : ٢١٢) .

فاللبس واقع فى الواو ، حيث يتطرق إلى القارىء وهم أنها عاطفة إذا وصلها ، ويؤدى إلى الفساد المعنى بتقييد سخرية الكافرين من الذين آمنوا والذين اتقوا بالحال « فوقهم » وبالظرف « يوم القيامة » ، وليس هذا هو المراد ، بل المراد أنهم يسخرون منهم فى الحياة الدنيا ، وأن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ، فالوقف اللازم على « الذين آمنوا » يترتب عليه أن تكون الواو استئنافية لاعاطفة[٧] .

* وقد يكون الوقف اللازم لإزالة اللبس ، ودفع الوهم الحاصل فى موقع الجملة ، ففى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾

(سورة النساء : ١٧١) .

الوقف اللازم على « ولد » يمنع إيهام أن الولد الذى نزه عنه - عز وجل - موصوف بأن له ما فى السموات وما فى الأرض ، ويثبت أن هذه الصفة لله - سبحانه وتعالى - وحده ، والجملة على هذا استئنافية لا محل لها من الإعراب ، ولو وصل الكلام لكانت الجملة فى محل رفع لـ « ولد » ، ويؤول هذا إلى اختلال المعنى ، ووقوع اللبس ، وإثبات ولد ليس له ما فى السموات وما فى الأرض[٨] .

* وقد يكون الوقف اللازم اللبس الحاصل فى الفاعل ، فمن ذلك قوله - تعالى - :

﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

(ســورة العنكبوت : ٢٦) .

فالوقف اللازم على « لوط » يزيل اللبس فى الفاعل بين « آمن » و « قال » ، فيجعل لكل فعل فاعلاً مستقلا ، فالذى « آمن » هو « لوط » ، والذى قال : « إنى مهاجر إلى ربى » هو إبراهيم - عليه السلام - ، والوصل يوهم أن الفاعل

(٦) التبيان للعكبرى ٤٢٠/١ .
(٧) البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ١٤٩/١ .
(٨) انظر منار الهدى للأشمونى ١١٣ ، والقطع ٢٧٩ .

واحد ، وخاصة أن الفاعل فى قال ضمير مستتر ، والأصل أن « الضمير يعود على أقرب مذكور » .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ٣٦) .

فالوقف اللازم على « يسمعون » يدفع وهم أن الواو بعده عاطفة ؛ لأن هذا يؤدى إلى التناقض وهو التسوية بين الأحياء والموتى فى الاستجابة ، أما الوقف فيجعل الواو استئنافية ، ويكون « الموتى » مبتدأ مخبرا عنه بقوله : « يبعثهم الله » ، وهو المراد[٩] .

* وقد يكون اللبس فى التركيب واقعا فى صيغة الفعل ، فيختلط على القارىء كونه للأمر أو للمضارع ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (سورة المائدة : ٢) .

فالوقف على « تعتدوا » يدفع إيهام عطف فعل الأمر « تعاونوا » على المضارع « تعتدوا » ، بل هو معطوف على النهى المتقدم فى صدر الآية .

* وقد يكون اللبس واقعا فى الجملة بين كونها صفة ، وكونها استئنافية ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾

(سورة هود : ٢٠) .

فالوقف اللازم على « أولياء » يمنع إيهام أن جملة « يضاعف لهم العذاب » صفة لقوله : « أولياء » ، ويفيد نفى الأولياء مطلقاً ، وأن جملة « يضاعف لهم العذاب » استئنافية مستقلة عما قبلها .

وهكذا يتبين أن الوقف اللازم يميز بين المعانى الملتبسة ، والصور المتداخلة ، كما أنه يحقق سلامة المعنى وحسن الأداء ، وهو مرتبط فى كل ذلك بالمعانى النحوية ، والتوجيهات الإعرابية .

ثانياً : الوقف الممتنع أو القبيح ، ورمزه « لا »

ويعنى الوقف الذى لا يفهم السامع منه معنى ، ولا يستفيد منه فائدة يحسن سكوته عليها لشدة تعلقه بما بعده من جهتى اللفظ والمعنى معاً .

ويلاحظ أن هذا الرمز « لا » يأتى غالباً فى المواضع التى تكون فيها الجمل مكتملة الأركان من حيث الظاهر ، ولكنها ليست فى الحقيقة مستقلة فى المعنى ، وإنما متعلقة بما بعدها ، ومن ثم يأتى هذا الوقف لمنع الفصل بين القسم وجوابه ـ مثلاً ـ كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (سورة البقرة : ١٤٥) .

فلا يجوز الوقف على « العلم » لأنه يؤدى إلى الفصل بين القسم وجوابه ، فهذا من نوع الوقف القبيح ، وإنما نص العلماء على هذه الكلمة دون غيرها ؛ لأن القارىء قد يستسيغ الوقف هنا لطول

(٩) انظر : شرح طيبة النشر ٣٣١/١ ، ومنار الهدى ١٣٠ ، والقطع ٣٠٤ ، والبرهان ٣٥٣/١ ، والفريد ١٤٤/٢ ، والبيان ٣٢٠/١ .

التركيب ، أو لاستيفاء الجملة الصغرى أركانها النحوية ، فيأتى هذا الرمز بمثابة التنبيه له إلى مراعاة عدم الوقف .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾

(سورة المائدة : ٥٣) .

فلا يجوز الوقف على « أيمانهم » لمجىء جواب القسم بعده ، وإنما كان الرمز على هذه الكلمة بالذات لأن التركيب قد طال عندها مما يشعر القارىء للوهلة الأولى أن الكلام قد تم ، فيأتى هذا الرمز تنبيها له إلى عدم تمامه .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾

(سورة النحل : ٣٨) .

فالرمز « لا » على « أيمانهم » ينبه القارىء إلى مجىء الجواب بعده .

* وقد يكون الرمز « لا » موضوعاً لمنع الفصل بين الصفة والموصوف ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ (سورة الأعراف : ١٦٤) .

فإن الرمز « لا » يشير إلى منع الوقف على « قوماً » لئلا يفصل بين الصفة وهى جملة « الله مهلكهم » والموصوف وهو « قوماً » ، ولأن ذلك يؤدى إلى فساد المعنى ، وهو أنهم عوتبوا لأنهم يعظون قوما ، وليس هذا هو المراد ، بل المراد أنهم عوتبوا لأنهم وعظوا قوماً لارجاء منهم .

* وقد يكون الرمز « لا » موضوعاً لمنع الفصل بين المبتدأ والخبر كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(ســورة الأعراف : ١٥٧) .

فالرمز « لا » موضوع عند « معه » ، وذلك لأنه مظنة الوقف ، نظراً لطول التركيب ، وهو أمر غير جائز لمجىء خبر المبتدأ بعده ، وهو « أولئك » .

* وقد يوضع الرمز « لا » لمنع الفصل بين الحال وصاحبها ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(سورة النحل : ٧٦) .

فإن الرمز « لا » يشير إلى منع الوقف على « بالعدل » لئلا يترتب عليه الفصل بين الحال وصاحبها ، وهو « من يأمر بالعدل » ولأنه به تتم المعادلة أو التسوية بين الرجلين ، فالأبكم لا يقدر على شىء ، وهو كَلٌّ على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، والآخر يأمر بالعدل ، وهو على صراط مستقيم ، فقد أسند إلى الرجل الأول وصفان : أنه لا يقدر على شىء وهو كَلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، وأسند إلى الرجل الثانى وصفان مقابلان للسابقين وهما : أنه يأمر بالعدل ، وهذه تقابل وصف الأبكم بأنه لا يقدر على شىء ، والثانى أنه على صراط مستقيم ، وهى تقابل وصف الأبكم بأنه كَلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، أى أنه مشتت غير مستقيم .

* أو يكون عدم الوقف لمنع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٥١ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الأنفال :٥٢ و ٥٤) .

فالرمز « لا » على « فرعون » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف وهو « الذين من قبلهم » والمعطوف عليه ، وهو « آل فرعون » حتى يتوجه الإخبار بالفعل « كفروا » إليهم جميعاً ، أما الوقف على « فرعون » فيفيد توجه هذا الإخبار إلى « الذين من قبلهم » فقط .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة الأنفال : ٥٣) .

فالرمز «لا» على « بأنفسهم » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف وهو « أن الله سميع عليم » ، والمعطوف عليه ، وهو « أن الله لم يك مغيراً نعمة . . » ، وهو أيضاً يشعر بتمام الكلام ؛ لأن الجملة عنده قد طالت ، وتم معناها إلا أن لها تعلقا بما بعدها ، فلذلك حسن الوصل ولم يحسن الابتداء بما بعده ، لأن « أن » المفتوحة لا تأتى فى أول الكلام .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴾ (سورة المائدة : ١٠٦) .

فالوقف الممنوع عند « قربى » ، وهو يشير إلى منع الفصل بين المعطوف عليه ، وهو « لا نشترى به ثمناً » ، والمعطوف وهو « نكتم شهادة الله » ؛ وإنما احتيج إلى التنبيه على ذلك لإقحام الجملة الشرطية بينها ، وهى « إن ارتبتم لا نشترى به ثمناً . . » .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾

(سورة التوبة : ٣) .

فالرمز « لا » على « المشركين » يشير إلى منع الفصل بين المعطوف عليه وهو الضمير المستتر فى « برىء » ، أو محل « أن » واسمها من جهة ، والمعطوف وهو « رسوله » من جهة أخرى ، أما الوقف فإنه يؤدى إلى أن يكون المبتدأ « رسوله » خالياً عن الخبر[١٠] .

* وقد يكون لمنع الفصل بين البدل والمبدل منه ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ (سورة التوبة : ٢٥) .

فالرمز « لا » على « حنين » يشير إلى منع الفصل بين البدل « إذ » ، والمبدل منه وهو « يوم حنين » ، وذلك لأنهما مترابطان فى المعنى ، أما الوقف فإنه لا يفيد سبب تخصيص « يوم حنين » بالنصر ، إنما تأتى هذه الفائدة من مجىء البدل بعده ووصل الكلام[١١] .

* أو لمنع الفصل بين الفعل وفاعله ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال : ٥٠) .

فالرمز « لا » يشير إلى منع الوقف لئلا يفصل

(١٠) وقد ذهب إلى هذا بعضهم ، وهو ضعيف . (منار الهدى ١٦٢ ، والقطع ٣٥٨ ـ ٣٥٩) .
(١١) ولذلك كسرت « إن » (التبيان فى إعراب القرآن ٢/٩٦٥)

بين الفعل وفاعله ، ولو ابتدىء بالملائكة لعاد الضمير من « وجوههم وأدبارهم » على غير عائد فالكلام متصل بما قبله .

* أو يكون لمنع الفصل بين الفعل والمفعول به ، كما فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

(سورة النور : ٦) .

فالرمز « لا » على « بالله » يشير إلى منع الفصل بين جملة « إنه لمن الصادقين » ، وعاملها وهو « شهادات » أو « شهادة » ؛ لأنها مفعول لـ « شهادات » علق عنه باللام فى الخبرة[١٣] . ومثله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾

(سورة النور : ٩) .

ويكون كذلك لمنع الفصل بين المستدرك والمستدرك عليه ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾

(سورة الأنفال : ٤٢) .

فالرمز على « الميعاد » لمنع الفصل بين جملة « ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وبين ما استدرك به عليه ، وهو قوله : « ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد » ، فهو من تتمة الكلام .

● وهكذا يتضح أن علماء الوقف قد وضعوا هذا الرمز لتأكيد اتصال الكلام بعضه ببعض ، وخاصة فى المواضع التى يتوهم أن الكلام قد تم عندها ، أو يسوغ الوقف فيها لطول التركيب أو لضيق النفس ونحو ذلك .

ثالثا : الوقف الجائز ورمزه « ج »

وهو علامة للوقف الجائز جوازاً مستوى الطرفين ، ويلاحظ أن موضع الوقف عند هذا الرمز يكون محتملاً للوقف والوصل على السواء ؛ وذلك لأن التعلق النحوى فيه يكون متوسطاً من جهة اللفظ والمعنى بما بعده ، فليس هذا بالتعلق القوى لفظاً بحيث يكون الوصل أولى ، فإن هذا هو محل الوقف الجائز مع كون الوصل أولى ، والذى يرمز له بالرمز « صلى » ، ولا هو بالتعلق الضعيف بحيث يكون الوقف أولى ، وهو الذى يرمز له بالرمز « قلى » .

وحين نتتبع مواضع هذا الرمز نجد أن الجمل التى تأتى بعده تكون مستقلة عما قبلها استقلالاً نحوياً لفظاً ومعنى ، ولكن بينها وبين ما قبلها تعلق من جهة المعنى العام ، كما نرى فى الآيات الآتية :

* قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(سورة البقرة : ١١٥) .

ففى هذه الآية نجد أن جملة « ولله المشرق والمغرب » تامة نحويا ، والجملة التى بعدها مستقلة عنها ، والفاء استئنافية فيها ، لكنها من جهة المعنى العام مرتبطة بها ؛ لأنه إذا كان لله

المشرق والمغرب فيستوى حينئذ أن يتوجه الإنسان إلى أى جهة منها ؛ وكذلك قوله ـ تعالى ـ : « فثم وجه الله » . جملة اسمية مكتملة نحويا بمبتدئها وخبرها ، والجملة التى بعدها مستقلة عنها نحواً ودلالة ، لكنها تأتى بمثابة التوضيح لما قبلها ، أو إضافة معنى جديد يتعلق بالمضمون العام لسياق الآيات .

* وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٥٩) .

نجد أن جملة « إنما أمرهم إلى الله » جملة ابتدائية ، ولذلك بدأت بـ « إن » المكسورة الهمزة ، والجملة التى قبلها مستقلة عنها نحواً ، لكنهما متصلتان من جهة المعنى العام .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤) .

فالوقفات هنا عند جمل تامة نحواً ودلالة ، ولكنها مرتبطة بما بعدها من حيث المعنى العام ، وقد تبدأ بعد هذا الرمز (ج) « بواو ، وفاء ، وثم » ، ولكنها من قبيل عطف الجمل أو الاستئناف .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾

(سورة الكهف : ١٨) .

فالواو فى « ونقلبهم » تحتمل أن تكون استئنافية ، وأن تكون عاطفة .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾

(سورة الكهف : ٢٣ ـ ٢٤) .

فالواو فى « واذكر » تحتمل العطف والاستئناف ، فالعطف يقتضى الوصل ، والاستئناف يقتضى القطع .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾

(سورة الكهف : ٣٣) .

فالواو فى « وفجرنا » محتملة للعطف والاستئناف .

* ومن ذلك قوله تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾

(سورة البقرة : ٤٩) .

وذلك أن جملة « يذبحون » يحتمل فيها أن تكون فى محل نصب حال من فاعل « يسومونكم » ، وأن تكون استئنافية لا موضع لها من الإعراب ، وقعت جواباً عن سؤال نشأ من جملة « يسومونكم » ، ولا مرجح لأحد هذين الوجهين على الآخر ، بل هما سواء .

* ومن أمثلته أيضاً الوقف على كلمة « حسيسها »

من قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾

(سورة الأنبياء : ١٠٢) .

لأن جملة « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون » يحتمل أن تكون فى محل نصب على الحال من فاعل « يسمعون » ، وأن تكون استئنافية لا موضع لها من الإعراب .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨٠) .

ويلاحظ أن الانقطاع بين الجمل فى الوقف الجائز يكون على درجة أقل من الوقوف السابقة كالوقف اللازم والكافى ، ويكون الاتصال فيه أقوى من غيره من الوقوف .

* وقد تكون الصلة بين ما بعده وما قبله صلة خبر بمخبر عنه أو حال بصاحبها ، أو معطوف بمعطوف عليه ، أو جواباً لقسم أو سؤال ، أو بقية كلام أو قصة .

فمثال ما يكون خبراً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾

(سورة الكهف : ٢٦) .

فجملة « له غيب السموات والأرض » خبر للفظ الجلالة ثانٍ فى محل رفع .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ (سورة الكهف : ٥٨) .

فجملة « لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب » خبر ثالث لـ « ربك » .

* ولكن ينبغى التنبيه إلى أن جملة الخبر فى مثل هذا الوقف لا تكون خبراً أول ؛ لأن الخبر الأول يكون شديد الاتصال بالمخبر عنه ، فلا يحسن الوقف قبله .

* ومثال الحال قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ﴾

(سورة الكهف : ١٨) .

فجملة « وكلبهم باسط ... » حال من الضمير « نقلبهم » ولذلك حسن الوصل ، كما يمكن أن تكون جملة مستأنفة فيجوز الوقف .

* ومثال الجملة المعطوفة على ما قبلها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾

(سورة الكهف : ٢٨) .

هنا نجد أن الوقف موجود عند موضع العطف ، والعطف يقتضى المشاركة .

* ومنه أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(سورة الكهف : ٤٦) .

فالوقف الحسن هنا كائن قبل حرف العطف لاكتمال أركان الجملة نحويا غير أن الواو بعدها عاطفة والجملة بعدها معطوفة على ما قبلها ومن ثم حسن الوصل كذلك .

* ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾

(سورة الكهف : ٥٦) .

فجملة « واتخذوا » معطوفة على ما قبلها ، ومتفقة معها فى الخبرية .

* ومثال جواب القسم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾

(سورة الكهف : ١٤) .

فجملة « لقد قلنا . . . » هو جواب قسم محذوف ، والتقدير : « والله لقد قلنا إذاً شططاً » ، وهى متصلة فى المعنى بما قبلها ؛ لأنها بمثابة الرد على ما يفهم من سياق الكلام السابق ، كأنهم قالوا : لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططاً ، فلأجل هذه الصلة كان الوقف على « إلها » حسنا ، وكان وصل بما بعده أولى .

* ومثال جواب السؤال قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾

(سورة الكهف : ٨٣) .

فلأجل الصلة بين السؤال والجواب كان الوصل أولى .

* ومثال كون ما بعد هذا الوقف من بقية كلام سابق أو بقية قصة سابقة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾

(سورة الكهف : ٢٢) .

فجملة « ويقولون سبعة » هى من تتمة كلامهم .

* وكذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾

(سورة الكهف : ٩٨) .

فجملة « فإذا جاء . . » هى من تتمة كلام ذى القرنين ، ولذلك كان الوصل أولى ، فنجد أن هذا النوع من الوقف يأتى بين الجمل التى لها صلة بما قبلها فى الوقت الذى يكون ما قبلها مكتفياً بنفسه من حيث المعنى .

* والحاصل أن هذا الوقف يأتى فى المواضع التى يكون ما قبلها متعلقاً بما بعدها لفظياً ومعنويا إلا أن التعلق اللفظى ليس بين الأركان النحوية الأساسية ، وإنما بين الجمل ومكملاتها ، أو التوابع ومتبوعاتها ، أو الجمل التى تحتاج إلى توضيح أو تفسير أو تعليل ، وأكثر ما يكون ذلك فى أثناء الآيات وخاصة المدنية منها .

يتبـــع

من قادة الخلفاء الراشدين

ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

لما بايع أهل الشورى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ خرج وهو أشدهم كآبة ، فأتى منبر النبى ـ ﷺ ـ فخطب الناس فحمد الله ، وأثنى عليه وصلى على النبى ـ ﷺ ـ وقال : [1] « إنكم فى دار قلعة وفى بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (فاطر : ٥) .

واعتبروا بمن مضى ، ثم جدوا ولاتغفلوا فإنه لايغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ، ومتعوا بها طويلا ؟ ألم تلفظهم ؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، واطلبوا الآخرة ، فإن الله قد ضرب لها مثلا بالذى هو خير ، فقال تعالى :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(الكهف : ٤٥ ، ٤٦) .

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ٧/١٦١ ، ١٦٢ .

أوامر الخليفة إلى القادة والرعية :

ثم عكف عثمان على رسم السياسة العامة للدولة فضمنها خمسة كتب تحدد ملامح هذه السياسة وأبعادها وأهدافها : (١)

كتب عثمان إلى عماله :

« أما بعد فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة ، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة ، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة ، ولم يخلقوا جباة ، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ، ولايكونوا رعاة ، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء ، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين فيما عليهم ، فتعطوهم مالهم ، وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تثنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم ، ثم العدو الذى تنتابون ، فاستفتحوا عليهم بالوفاء » .

وكتب إلى أمراء الأجناد :

« أما بعد فإنكم حماة المسلمين وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر مالم يغب عنا ، بل كان على ملأ منا ، ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ، ولاتبديل ، فيغير الله مابكم ، ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون ، فإنى أنظر فيما أكرمنى الله النظر فيه والقيام عليه .

وكتب إلى العمال على الخراج :

« أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق ، فلا يقبل إلا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق به ، والأمانة الأمانة قوموا عليها ، ولاتكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم ، والوفاء الوفاء ، لاتظلموا اليتيم ، ولا المعاهد ، فإن الله خصم لمن ظلمهم » .

وكتب إلى عامة الرعية :

« أما بعد فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثة فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : الكفر فى العجمة ، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا » .

وكتب إلى أهل الأمصار :

« أما بعد فإنى آخذ العمال لموافاتى فى كل موسم ، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فلا يرفع على شىء ولا على أحد من عمالى إلا أعطيته ، وليس لى ولعيالى حق قبل الرعية إلا متروك لهم ، وقد رفع إلىّ أهل المدينة أن أقواما يشتمون ، وآخرين يضربون ، فيا من ضُرب وشُتم سرا ، ومن ادعى شيئا من ذلك فليواف الموسم ، فليأخذ بحقه حيث كان منى أو من عمالى أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين » .

وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد أوصى أن تقر عماله سنة ، فلما ولى عثمان أقر العمال على أعمالهم سنة (٢) .

وكان العمال على الأمصار :

فى مكة : نافع بن عبد الحارث الخزاعى .

فى الطائف : سفيان بن عبد الله الثقفى .

(١) انظر الطبرى جـ ٥ احداث علم ٢٣ هـ ، ٢٤ هـ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٦٣/٧ .

(٢) البداية والنهاية ١٦٣/٧ .

فى صنعاء : يعلى بن منبه حليف بنى نوفل بن عبد مناف .
فى جند : عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى .
فى الكوفة : المغيرة بن شعبة الثقفى .
فى البصرة : أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعرى .
فى الشام : معاوية بن أبى سفيان الأموى .
فى حمص : عمير بن سعد .
فى مصر : عمرو بن العاص السهمى .
فى البحرين : عثمان بن أبى العاص الثقفى .

سعد بن أبى وقاص:

كان المغيرة بن شعبة هو أول عامل لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يعزله عثمان بن عفان وكان واليا على البصرة ، حيث استعمل الخليفة بدلا منه سعد بن أبى وقاص الذى كان بدوره أول عامل يعينه عثمان فى خلافته ، وكان ذلك عام ٢٤ هـ ، وكان عمر بن الخطاب قد قال فى وصيته : « فإن أصابت الإمرة سعدا فذاك ؛ وإلا فليستعن به أيكم ولى ، فإنى لم أعزله عن عجز ولاخيانة » فاستعمله عثمان سنة وبعض أخرى [١] ثم عزله ، وكان سبب العزل أن سعدا اقترض من ابن مسعود مالا من بيت المال ، فلما تقاضاه ابن مسعود ولم يتيسر قضاؤه تقاولا ، وجرت بينهما خصومة شديدة فغضب عليهما عثمان فعزل سعدا ، واستعمل بدلا منه ، الوليد بن عقبة [٢] .

قادة الفتوحات فى المشرق[٣]:

حبيب بن مسلمة الفهرى :

وفى خلافة عثمان - رضى الله عنه - نقضت أرمينيا عهدها مع المسلمين ، مستغلة قلة عدد ما بها من جند المسلمين فكتب عثمان إلى معاوية بن أبى سفيان والى الشام والجزيرة وثغورها يأمره بإعادة إخضاع أرمينيا ، فأنفذ معاوية جيشا قوامه ستة آلاف يقودهم حبيب بن مسلمة الفهرى الذى سار بالجيش حتى وصل إلى أولى مدن أرمينيا (قاليقلا) سنة ٢٦ هـ فضرب عليها الحصار حتى اضطر أهلها إلى طلب الصلح على أن يؤدوا الجزية فأمنهم حبيب بن مسلمة وأجابهم إلى الصلح .

ثم علم حبيب أن (موريان) بطريق أرمينيا قد جمع جموعا عظيمة ، فكتب إلى عثمان يسأله المدد ، فكتب عثمان إلى معاوية الذى وجه ألفى رجل إلى حبيب .

وكتب عثمان أيضا إلى سعيد بن العاص أمير الكوفة يأمره بأن يمد حبيب بن مسلمة بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلى الذى خرج على رأس ستة آلاف من جند الكوفة .

أما حبيب بن مسلمة فلم ينتظر وصول المدد حيث هاجم بمن معه جموع الروم بغتة فاجتاحهم وقتل قائدهم (موريان) .

سلمان بن ربيعة الباهلى :

كان الخليفة قد أرسله على رأس جيش لنجدة حبيب بن مسلمة فى (قاليقلا) فوصلها ليجد حبيبا قد ظفر بها فأراد أن يؤمر نفسه عليه ومن معه ، فرفض حبيب ذلك فافترقا على أن يواصلا الفتح حبيب فى غرب أرمينيا ، وسلمان فى شرقها .

سار سلمان إلى إقليم (أرّان) ففتح (البيلقان) صلحا بعدما قبل أهلها بدفع الجزية ثم استولى على (ثوثر) بعد أن صالحه أهلها كذلك على الجزية ثم وجه خيله إلى سائر أنحاء الإقليم ،

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ١٦٣/٧ .
(٢) البداية والنهاية ١٦٥/٧ .
(٣) البلاذرى ، فتوح البلدان : ٤٣٢ : ٤١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٦٣/٧ ، ١٦٤ .

وكتب إلى أكراد (البوسنجان) إلى الإسلام فقاتلوه أول الأمر ثم أقروا بعد ذلك بالجزية بعدما ظفر بهم سلمان .

أما حبيب فقد سار من (قاليقلا) قاصدا (خلاط) أحد أشهر مدن أرمينيا فأتاه بطريقها بكتاب عياض بن غنم الذى كان قد أمنه وقومه على نفسه وماله وبلاده لقاء الجزية زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأقره حبيب على ما فى كتابه ولم يقبل منه ما قدمه له من مال وهدايا ، ثم واصل السير فى بلاد غرب أرمينية بجيوشه المظفرة فاضطر الجميع لطلب الصلح ، فقد أتاه بطريق (دبيل) فصالحه عنها وكتب له :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة الفهرى لنصارى أهل دبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدهم وغائبهم ، أنى أمنتكم على أنفسكم وأموالكم ، وكنائسكم وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم وأديتم الجزية والخراج ، شهد الله وكفى بالله شهيدا » .

وأتاه رسول بطريق (جرزان) حاملا الهدايا طالبا الصلح فأجابه إليه حبيب ، وكتب له :

« أما بعد : فإن نقلى رسولكم قدم على وعلى الذين معى من المؤمنين ، فذكر عنكم أننا أمة أكرمنا الله وفضلنا ، وكذلك فعل الله ، وله الحمد كثيرا وصلى الله على محمد نبيه،خيرته من خلقه وعليه السلام ، وذكرتم أنكم أحببتم سلمنا ، وقد قومت هديتكم وحسبتها فى جزيتكم وكتبت لكم أمانا واشترطت فيه شروطا فإن قبلتم ووفيتم به وإلا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وطلب الصلح كذلك أهل (تفليس)فأجابهم حبيب وكتب لهم : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل (تفليس) من (منجليس) من (حرزان القرمز) بالأمان على أنفسهم ، وبيعهم ، وصوامعهم ، وصلواتهم ، ودينهم على إقرار بالصغار ، والجزية على أهل كل بيت دينار ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوت تخفيفا للجزية ، ولا لنا أن نفرقهم استكثارا منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله - ﷺ - وقرى المسلم المحتاج ليلة بالمعروف من حلال طعام أهل الكتاب ، وإن انقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه إلى أدنى فئة من المسلمين إلا أن يحال دونهم ، وإن أنبتم وأقمتم الصلاة فإخواننا فى الدين ، وإلا فالجزية عليكم ، وإن عرض المسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم ، هذا لكم ، وهذا عليكم ، شهد الله وكفى بالله شهيدا »

وواصل حبيب بن مسلمة إخضاع أرمينية حتى بلاد القوقاز شمالى أرمينيا فوقف محاذيا لجيش سلمان الذى كان قد توقف عند بحر الخزر .

عبدالله بن عامر قائد فتوح فارس [1] :

وحدث أن انتفضت آمد وبلاد الأكراد وخلعت عصا الطاعة ، فعزم والى البصرة أبو موسى الأشعرى على الخروج إليهم ولكن أهل البصرة كانوا قد تألبوا عليه ، وسار وفد منهم إلى الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنهم - وطلبوا عزله من الولاية عليهم ، فعزله عثمان ، وولى مكانه

(١) الطبرى ، تاريخ الامم و الملوك ، احداث ٣١ هـ .

عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة القرشى ابن خاله وكان ابن خمس وعشرين سنة ، وجمع له جند أبى موسى ، وجند عثمان بن أبى العاص من عمان والبحرين ، فصرف عبيد الله بن معمر عن خراسان وبعثه إلى فارس ، وولى على خراسان مكانه عمير بن عثمان بن سعد فأثخن فيها حتى بلغ فرغانة ولم يدع كورة إلا أصلحها ، ثم ولى عليها فى السنة التالية أمين بن أحمر اليشكرى ، وعلى كرمان عبد الرحمن بن عبيس ، واستعمل على سجستان عبد الله بن عمير الليثى فأثخن فيها إلى كابل ثم عمران بن الفضيل البرجمى ، وعلى مكران عبيد الله بن معمر ، فأثخن فيها حتى بلغ النهر .

وثار أهل فارس على عبيد الله بن معمر ، الذى خرج إليهم والتقى بهم عند اصطخر فهزم وقتل ، فلما بلغ الخبر عبد الله بن عامر استنفر أهل البصرة وسار بهم إلى فارس على مقدمته عثمان بن أبى العاص ، وعلى مجنبتيه أبو برزة الأسلمى ومعقل بن يسار ، وعلى الخيل عمران بن حصين وأوقع الهزيمة بجموع الفرس فى (اصطخر) فهزمهم شر هزيمة ودخل المدينة عنوة ، ثم سار إلى (دار أبجرد) ثم إلى (جور) وكان يحاصرها هرم بن حيان فما أن وصلها ابن عامر حتى سقطت ، ثم علم بأن (اصطخر) خلعت عصا الطاعة ثانية فسار إليها وضرب عليها الحصار ورماها بالمنجنيق وافتتحها عنوة وأذل أهلها إذلالا شديدا ، وكتب إلى عثمان بن عفان يعلمهُ بالنصر ، فكتب إليه عثمان بأن يستعمل على بلاد فارس هرم بن حسان اليشكرى ، وهرم بن حيان العبدى ، والخريت بن راشد ، والمنجاب بن راشد ، والترجمان الهجيمى ، وأمره أن يفرق كور خراسان فى جماعة ، فيجعل الأحنف بن قيس على المروين ، وحبيب بن قرة اليربوعى على بلخ ، وخالد بن عبد الله بن زهير على هراة ، وأمين بن أحمر على طوس ، وقيس بن هبيرة المسلمى على نيسابور .

الأحنف بن قيس :

ولما رجع ابن عامر إلى البصرة بلغه نقض أهل خراسان للذمة ونكثهم للعهد فتجهز للسير لهم ، واستعمل على حرب سجستان الربيع بن زياد الحارثى ، وعلى كرمان مجاشع بن مسعود السلمى ، وتقدم هو إلى نيسابور وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس فأتى (الطبسين) وهما حصنان بخراسان ففتحهما عنوة ، ثم سير أمراءه إلى أعمال نيسابور ففتحوا (زام) (قهستان) و(بيهق) و (بشت) وواصل المسير حتى فتح (نيسابور) وكل أعمالها و (طوس) و (هراة) وكل أعمالها .

ووجه ابن عامر الأحنف بن قيس إلى (طخارستان) فأتى سوا نجرد فصالحه أهلها على ثلاثمائة ألف درهم ، ومضى إلى (مرو) و (الروء) فقاتله أهلها فلما أوشكوا على الهزيمة طلبوا الصلح فأجابهم الأحنف إليه .

واستولى الأحنف على (رستاق) فاحتشد لقتاله أهل (الجوزجان) و(الطالقان) والفارياب) و(الطاغنيان) فقاتلهم الأحنف قتالا شديدا حتى أوقع بهم الهزيمة ، ثم سار قاصدا بلخ حاضرة طخارستان ففتحها ، ومنها اتجه إلى خوارزم ولكنها استعصت عليه فعاد إلى بلخ .

« يتبع »

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:

السيد العراقى شمس الدين

السؤال من السيد/ حمدى السعيد إدريس يقول:

ما حكم صيام الستة أيام من شوال؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد . . فنفيد بأن صيام الستة أيام من شوال مندوب مستحب وليس واجبا وقد ورد فى ذلك قول النبى - ﷺ - «من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم. كما جاء فى فضلها حديث رواه الطبرانى «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» . ومعنى صيام الدهر صيام العام . وجاء بيان ذلك فى حديث النبى - ﷺ - فى عدة روايات لابن ماجه وابن خذيمة فى صحيحه والنسائى ومؤداها أن الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان بعشرة أشهر والأيام الستة من شوال بستين يوما أى بشهرين ، وهذا تمام السنة اثنى عشر شهرا .

وهذا الفضل لمن يصومها فى شوال سواء كان الصيام فى أوله أم فى وسطه أم فى آخره ، وسواء كانت الأيام متصلة أم متفرقة وإن كان الأفضل أن تكون من أول الشهر وأن تكون متصلة ، وهى تفوت بفوات شوال . والله أعلم .

السؤال مقدم من م.م.م.ح

تقدم شاب لخطبتى وبعد فترة فسخ الخطبة بعد أن قدم لى شبكة من الذهب فهل من حقى أخذ الشبكة أم أردها إليه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ .

وبعد .. فنفيد بأنه إذا كان الفسخ والعدول من جهة الخاطب فإن الشبكة من حق المخطوبة ؛ وإذا كان الفسخ والعدول من جهة المخطوبة فإن الشبكة ترد إلى الخاطب والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ حسن عبد الباسط عبد العال يقول فيه :

ما هى مدة الحضانة الشرعية للطفل الصغير وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فنفيد بأن مذهب محمد هو الذى عليه الفتوى وقد أخذ قانون المحاكم الشرعية مراعاة كلا التقديرين كما راعى ذلك فى الغلام : فجعل التسع حدا أدنى وجعل الإحدى عشرة حدا أعلى سنة قمرية وللقاضى أن يحكم بانتهاء الحضانة فيما بين ذلك حسبما يرى من المصلحة للصغير غير أن المادة عشرون من القانون المعدل رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ م جعلت انتهاء حضانة النساء ببلوغ سن الصغير من العاشرة وبلوغ الصغيرة اثنى عشرة سنة . ويجوز للقاضى بعد هذه السن إبقاء الصغير حتى سن الخامسة عشرة.، والصغيرة حتى تتزوج فى يد الحاضنة دون أجر حضانة إذا تبين أن مصلحتها تقتضى ذلك والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من م.ح.ج.

توفى رجل وعليه ديون من مؤخر صداق ونفقة وغيره وترك زوجة وأولادا من زوجتين فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وبعد .. فنفيد بأن جميع الديون من نفقة ومؤخر صداق وغيره تسدد أولا ، وما تبقى يعتبر تركة للمتوفى يقسم على ورثته الشرعيين هم : الزوجة ولها الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولاده من زوجتيه تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى هذا والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ م.ع.خ.

قلت لزوجتى لو خرجت من باب الشقة تكونى محرمة علىّ وأقصد منعها من الخروج فقط ولم أمعن طلاقها . وخرجت .

ومرة ثانية قلت لها : تحرمى على لو خرجت بدون إذنى بقصد منعها فقط ولم أقصد طلاقها . وخرجت .

ومرة ثالثة قلت لها : أنت طالق طالق وكان ذلك منذ عشرة أيام تقريبا وأريد مراجعتها ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد : فإن اليمين الأولى واليمين الثانية يمينان معلقتان لم يقصد بهما الحالف طلاق زوجته فلا تحسبان بيمين طلاق ، وإنما يكفر عنهما الحالف بإطعام عشرة مساكين فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام عن كل يمين ؛ أما اليمين الأخيرة فهى يمين طلاق وتعتبر طلقة أولى رجعية وقد راجع الزوج زوجته أمام اللجنة وتبقى الزوجة فى عصمة زوجها على طلقتين فقط والله أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ يسرى حافظ على يقول فيه.

توفيت امرأة عن أربع بنات ، أخ شقيق ، أخت شقيقة ، بنت أخ شقيق / فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد بأن للبنات الأربع الثلثين فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأخ والأخت الأشقاء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى ولا شىء لبنت الأخ لأنها من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « آتى باب الجنة يوم القيامة ، فأستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك » رواه مسلم .

من أعلام الأزهر

على العمارى

فى بحوثه العلمية (٢)

للدكتور : محمد رجب البيومى

شغل العمارى نفسه بالبلاغة العربية ، وكتبها التراثية ، وتياراتها التجديدية بما لا أعرف أن أستاذاً أزهرياً غيره قد كابد فى هذا السبيل ما كابد ، نعم أعرف أن رسائل جامعية عديدة كتبت فى البحوث البلاغية ، وأن كتبا كثيرة عالجت مسائل البلاغة لجماعة من الفضلاء ، ولكن العمارى (مع أنه كتب رسالة جامعية ممتازة عن قضية اللفظ والمعنى نال بها درجة الدكتوراة ، كما ألف كتباً قيمة للترقية فى مادة البلاغة والنقد فشارك زملاءه الأكاديميين فيما سطروه) مع ذلك الذى شارك فيه سواه فقد امتاز امتيازاً منفردا بمواصلة الكتابة النقدية فى المجلات العلمية عن شجون من الفن البلاغى شغلت أذهان الباحثين ، ورأى فى بعض ما يكتب ما يدعو للنقاش المتواصل ، فلم يتوان قلمه عن تتبع ما يقع فى يده من البحوث تأييداً وتفنيدا وكأنه يرى فريضة عليه أن يرصد كل تجديد بلاغى ليبدى رأيه فيه عن حياد لايعرف التعصب ، وإن ظن قوم أنه ينحاز ولايحايد . لأنهم يريدون من يؤيد ويصفق لا من يزن القول بالميزان الدقيق ، ولو أتيح له أن يجمع ماتفرق من هذه البحوث فى مجلتى « الرسالة والأزهر » وحدهما لأمكن لأبناء الجيل المعاصر أن يقفوا على جهد دءوب لم تبطىء به قدم عن المسير .

(١) المجلد السادس عشر [مجلة الأزهر] ص ٢٧٧.

د . على العمارى

ولعل من أوائل ما خاض به حلبة الصيالة فى هذا النطاق مانشره بمجلة الأزهر (المجلد السادس عشر) تحت عنوان (البلاغة وعلم النفس) حيث اتجه إلى مناقشة أستاذ كبير له آثاره الممتازة فى فروع كثيرة من فروع المعرفة ، ومن بينها البلاغة العربية حيث كتب رسالة موجزة تحت عنوان (البلاغة وعلم النفس) نعى فيها على الأسلاف أنهم لم يربطوا بين البلاغة وعلم النفس مع أن هذا الربط ضرورى لفهم الإعجاز القرآنى وتفسيره ، إذ لايتم ذلك الفهم إلا بإدراك ما استخدم القرآن من الظواهر النفسية ، والنواميس الروحية ، مستدلا وهاديا ، ومقنعا ومجادلا ، ومثيراً ومهددا ، فليس يصح أن تعلل عبارة من عباراته أو يجنح للفظ فى آية من آياته ، أو يستشهد لأسلوب من أساليبه إلا بموقعه كله من النفس ، وبما كشف العلم عن هذا الموقع ، فبالأمور النفسية لاغير يعلل إيجازه وإطنابه وتوكيده وإشاراته وإجماله وتفصيله ، وتكراره وإطالته ، وما قام من تعليل هذه الأشياء وغيرها على ذلك الأصل ، فهو الدقيق المنضبط ، وماجاوز ذلك فهو الادعاء والتمحل أو هو شبه شىء به ، هذا الباب ما اتجه إليه الأستاذ أمين الخولى فى رسالة (البلاغة وعلم النفس)وقد قرأ العمارى الرسالة فأشار إلى مبالغة تخللتها حين جزم الأستاذ بأن كل تعليل لأسلوب القرآن لايقوم على أساس نفسى هو ادعاء وتمحل ، فأراد العمارى أن يعارض هذه الوجهة ، فاتجه إلى المثالين الوحيدين اللذين ذكرهما الخولى فى مجال الاستشهاد تأييداً لدعواه ليبين موقف القدماء منهما ، وهل وقعوا على غير الصواب ! هذان المثالان هما ما يعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وما قيل من أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، فنقل العمارى عن الأقدمين ما ذكروه فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وكيف التفتوا إلى العلة النفسية التى افتقدها الأستاذ الخولى فيما زعم ، ونقل من (المطول) ما يدل على التعليل النفسى ، أما أن التعليل لتفوق المجاز على الحقيقة بأنه كدعوى الشىء بالبينة ، فليس وحده التعليل كما أراد الأستاذ الخولى أن يقرر ، إذ نقل الأستاذ العمارى تعليلات كثيرة ، أهمها ما كتبه عبد القاهر فى أسرار البلاغة عن تأثير التمثيل البيانى فى النفس ! وبذلك يكون العمارى قد أكد التفات القدماء إلى العامل النفسى ، مما ينفى تقرير الأستاذ الخولى ، ولعلى أكون مقاربا للحقيقة حين أقول إن الأستاذ الخولى أراد أن يجعل العامل النفسى أهم العوامل فاندفع به القلم إلى جحود كل عامل سواه ، كما اندفع إلى الحكم على الأقدمين جميعاً بإهمال هذا العامل ، ولو قال أنهم

لم يجعلوه فى مقدمة العوامل لتلاقت الوجهتان .

ولم يكد ينشر هذا المقال وتمر عليه بضعة أشهر حتى وقعت فى يد العمارى كراسة لطالب بكلية الآداب تضم بعض ما ألقى الأستاذ الخولى من محاضرات بلاغية ، وفيها ما يعرف العمارى وما ينكر ، فشمر لنقدها فى مقالات متوالية تتابعت بمجلة الرسالة فى السنة الرابعة عشرة ! وفيها الحديث عن الأثر النفسى المشار إليه من قبل ، كما تضمنت نقدات لبعض أبواب البلاغة كالقصر والفصل والوصل وغيرها فاتسع المجال للعمارى كى يركض فى ميدان فتحت له الرسالة صدرها على أوسع مراميه ، ومما لاحظته أن العمارى قد اشتط فى أسلوبه النقدى ، وكان فى الاعتدال الهادىء مايقربه لنفس القارىء المحايد ، لاسيما أن الكلمة الأخيرة فى هذه المسائل لايمكن أن تقال على وجه التأكيد ، وأنا أعلم جيدا أن الأستاذ الكبير أمين الخولى يعرف كل النقول التى سردها العمارى عن القدماء ، فقد هضم البلاغة القديمة هضماً لا شبهة فيه ، ولكن ما يرجوه أبعد منالا ، وأوسع همة مما وقف عنده السابقون ! لذلك وجد العمارى من ينازعه القول على صفحات الرسالة وهو المرحوم الأستاذ كامل السيد شاهين صهره وصديقه ، ولا أكتم القارىء أنى وقد كنت أقرأ هذه المعركة بعيداً عن المشاركة فيها قد ارتحت كثيرا إلى تقابل الآراء وتعارضها بين الصديقين ، لأن البلاغة فن من الفنون وليست علما جامدا نتعبد بمصطلحاته ، وماتحجرت مسائل البلاغة إلا حين تسورت بأساليب المنطق ، ومقررات الفلسفة ، وهذا ما دعا إلى اجتنابه الأستاذان أمين الخولى وعلى العمارى . نعم ، دعا العمارى إلى التجديد البلاغى كما دعا به قبله الأستاذ الخولى ، ولكن دعوة الخولى كانت عالية الصوت ، شديدة الملامة ، وكأنها تقريع وتوبيخ ، أما دعوة العمارى فقد كانت دعوة هادئة وادعة ، تلتمس الأعذار بها وتقدر الملابسات والأحوال ، ثم تطب للداء متلمسة وسائل الدواء ، ومن أشهر ماكتبه فى ذلك بحثه المنشور بمجلة الأزهر تحت عنوان (البلاغة العربية وحاجتها إلى التجديد) فقد ابتدأه بإيضاح أن البلاغة فى حاجة إلى من يجدد أخلاقها ، ويجلو صدأها ، ولكنها لاتظفر إلا بالدعاوى الكاذبة ، فمن الكاتبين من يدعى التأليف البلاغى وهو قانع بجمع الأشتات ، وإضافة النماذج ، ووضوح العرض ، ومنهم من يكتب ليهدم لاليبنى ، إذ تنتظر ما ينهض بعد الهدم من جدار مائل فلا تكاد تجد ، وبعد إفاضة فى مناهج الدراسة الراهنة بالمدارس والجامعات ، وعرض أمثلة لما أثقلت به شروح التلخيص من مماحكات وتأويلات ، تعرض إلى طريقة عبد القاهر وسابقيه فى المنحى البلاغى ثم طريقة السكاكى وخالفيه فى المنحى المخالف ، ورأى بعد ذلك أن نأخذ من الناحيتين معا ما يفيد ، على أن تهذب الطريقة الثانية وهى طريقة السكاكى ومن تلاه ، فتحذف منها البحوث المنطقية ، والقضايا الفلسفية ، ونستغنى عن بحث الدلالات وعن الجامع العقلى والوهمى والخيالى ، وإيجاز التعاريف مع إخراج محترزاتها ، والخلاف فى الاستعارة أهى مجاز عقلى أم مجاز لغوى إلى آخر ما ينحاز إلى هذا الجانب من السفسطات ! ويخيل أن العمارى بذلك قد قضى كل القضاء على مدرسة

(١) مجلة الأزهر - المجلد الثامن عشر سنة ١٣٦٦ هـ ص ٨٣٨ .

السكاكى وآثر مدرسة عبد القاهر وسابقيه ، فلماذا لايعلن ذلك صراحة ، ولماذا لايقول إن لدينا طريقة واحدة هى التجديد البلاغى على منهج المدرسة البيانية التى بدأت بالجاحظ ، وكان عبد القاهر فارسها المعلم ، ثم لماذا لم يشر إلى ضرورة الانتفاع بما جد من العلوم الحديثة التى أشار الأستاذ الخولى إلى بعضها ، وكان صاحب صواب فيما اتجه إليه لعل العمارى وقد حمل لواء الدفاع عن السابقين من أصحاب البلاغة الكلامية حيناً من الدهر ، قد رأى من الوفاء أن نعترف بجهودهم فنرجع إلى مؤلفاتهم ولكن بعد أن يجردها من سماتها الواضحة ! ونحن إذا فعلنا ذلك لم نبق بها شيئا ذا بال ، على أن ما التفت إليه العمارى التفاتاً حسنا هو الاهتمام بتاريخ البلاغيين لأن كثيرا منهم قد غابوا فى غياهب الزمن دون تأريخ جامع لحيواتهم ، وقد بدأ بنفسه فكتب مقالات شافية عن السيد التفتازانى والسيد الجرجانى وعضد الدين الإيجى ومن شابههم من أصحاب المدرسة الكلامية ، ولا أقول الأعجمية كما يقول بعض المؤرخين ، لأن الزمخشرى وعبد القاهر من صميم العجم جغرافيا ، ولكنهما من أعيان المدرسة البيانية تأليفاً وأسلوباً . ولعل العمارى ترك التأريخ لأمثال الجاحظ وابن سنان وعبد القاهر وابن رشيق وابن الأمير لكثرة ما كتب عنهم ، إذ كان مغرما بإضافة الجديد .

وقد يظن القارىء أنى قد شطحت فى هذا الفهم ، حين أحاول أن أعلن أن العمارى قد أشار إلى المدرسة الكلامية وفاءً وحمية ، لا إيمانا واعتقادا ولكنى أضع أمامه الدليل القاطع على ماذهبت إليه إذ هو فى نقداته البلاغية التى كان يوالى نشرها فى المجلات ، كان يتجه إلى طريقة الكلاميين فينسفها نسفا ، ومن أوضح ما كتبه فى ذلك بحثه الجيد المنشور تحت عنوان (قواعد بلا شواهد) [1] وفى بعضه طفيف لعبد القاهر ، ولكنه مما يرد عليه فى غير مشقة ! أما النقد الجوهرى فهو ما اتجه به إلى هؤلاء حين قال ببعض التصرف :

« إن عبد القاهر كان أقرب البلاغيين إلى المنهج السليم ، ولو أن كل الباحثين من بعده جعلوا منهجهم منهجه لكانت البلاغة الآن من الدراسات الممتعة ، ولكن الذى حدث أن السكاكى أراد أن يستخرج للبلاغة قواعد من كلام البلاغيين لا من كلام العرب ، وهذا مفتاح المسألة فكان يرسم صورة لقاعدة ثم يضيف إليها ما يمكن أن يفترضه العقل ، ومالت به الطريق كثيرا فى التعليلات ، إذ استخرجها من منطقه ولم يستخرجها من أساليب الكلام ، وجاء العلماء من بعده فجعلوا من أكبر همهم شرح هذه التعليلات والزيادة عليها ، ولم يكن كلام العرب أكبر همهم ، بل كان النظر المنطقى ، والتقسيم العقلى هو الموجه ، وكان من نتيجة ذلك ما أظن [ولماذا يظن ولا يتأكد] أنه السبب فى ضعف علوم البلاغة » . ثم قال بعد أن ذكر خطر الأمثلة التى تضرب للقاعدة دون الرجوع إلى شاهد من كلام العرب :

« لو أن العلماء كلهم حاولوا أن يستخرجوا قواعد البلاغة من كلام العرب ، فلا تذكر قاعدة إلا بشاهدها ، ولا يناقش تعليل من التعليلات إلا فى ضوء الكلام الفصيح ، لو كان الأمر كذلك

---

(١) مجلة الأزهر - المجلد العشرون سنة ١٣٦٨ ص ٨٢٨ .

لكانت علوم البلاغة من أمتع العلوم وأحبها للنفوس ، وليس أدل على ذلك من أن هذه العلوم بصورتها الراهنة ثقيلة الظل ، خشنة الملمس محشوة بالأمثلة التى تفسد الذوق ، وتسمج على الطبع ، فترى نفسك فى جفاف أدبى ، فإذا أخذت فى الأسلوب رأيت المنطق والفلسفة وما شئت من ركاكة وتعقيد » .

وقد أطيل القول إذا اتجهت إلى تلخيص كل ما أتى به العمارى فى هذا المجال ، ولكن ما سطرته يوضح اتجاهه البلاغى - وقد تخصص فيه - بما لامزيد عليه ، والحق أنه بذل من الجهد ما أقنع وأمتع أما تراثه النقدى فيملأ عدة أجزاء إذا جمع وحُقق ، وعلى أنه نشر جزءاً منه تحت عنوان (الصراع الأدبى بين القديم والجديد) . وهو يحتاج إلى بحث مستقل ومن فصوله [1] التجديد غير التبديد ، ويضم مباحث شتى تتحدث عن تجديد الألفاظ ، والاستهانة بالقواعد المقررة ، وموقف المدارس الحديثة تجاه الأدب القديم [2] عبر التاريخ ، ويشمل موقف اللغويين والرواة من الجديد منذ عهد التدوين ، ورأى ابن خلدون فى تفصيل الإسلاميين على الجاهلين والرد عليه ، وإن كنت لا أزال أميل إلى رأى ابن خلدون مع ما أبداه العمارى من ملحوظات [3] أما باب إنصاف الجديد فهو فى نظرى أهم فصول الكتاب لأنه أفاض إفاضة شافية فى إنصاف الجديد كما عبر عنه الجاحظ وابن خلدون كما بسط قضية التجديد فى شعر أبى تمام راجعاً بها إلى العباسية والأموية ، ومن بحوثه الطريفة ما كتبه تحت عنوان (الشعر الحديث ومناسبته للساقط من شعر أبى تمام) وقد نازل الشعر الحر منازلة منطقية تستند إلى البراهين الدالة ، وتحدث عن قصيدة النثر وكأنه يتحدث اليوم عن آفاتها القاتلة التى يشيعها بعض الأغرار فى الصحف والمجلات ، مع أن الكتاب قد صدر فى مارس سنة ١٩٦٥ أى منذ أكثر من ثلاثين عاما ! وتتوالى فصول الكتاب متحدثة عن الدعوة العامية وأسرارها ، وعن رواد النهضة المعاصرة ، وعن مستقبل الشعر وتقليد الأدب الغربى ، ولعل خير ما يذكر عن هذا السفر القيم هو ماذكره الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فى مقدمته الوافية حيث قال بعد عرض شاف [1] :

« أما الضلال والانحلال والتعسف والشطط والشعوبية التى تجافى اللغة ، والشيوعية التى تنافى الدين ، والإقليمية التى تحاصر الأدب فقد كفانى أمرها الأستاذ الصديق على العمارى فى هذا الكتاب الذى عرض قضية الصراع الأدبى فى خلال القرون منذ تجهم النقاد الأولون لشعر عدى ابن زيد إلى أن نشبت فى العهد الأخير معركة الديوان ، ثم تكلم على نزعات التجديد فى القدامى والمحدثين وكشف عن الاعتدال والقصد ، أو الإسراف والغلو فى أولئك وهؤلاء ، وأبان عن الزيغ والزيف فى أقوال المنحرفين الذين أضلهم الله على علم » .

وقال الزيات بعد عرض دقيق وعلى الجملة فقد عالج فى الوقت المناسب ، وبالرأى الصائب ، وجوه الصراع الأدبى الذى يتجدد على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف ، ويقف

(١) مقدمة (الصراع الأدبى) للدكتور العمارى ص ١٣ ، ١٤ .

الناس منه موقف الجامد الذى يعارض ولايتغير ، والمعتدل الذى يقبل ولايسرف ، والمتطرف الذى يميع ولايتماسك ، ويحتاج هؤلاء جميعاً إلى كتاب كهذا الكتاب ليبعث الحركة فى الجامد والقوة فى المعتدل والبصيرة فى المتطرف » .

وفى الأستاذ العمارى بطولة أحمده عليها ، فهو لايجامل صديقا فى تحليل أثر علمى مهما كان وثيق الارتباط به ، وإذا لم يشأ أن يغضب هذا الصديق فإنه يسكته سكوتا تاما عن الكتابة عن مؤلفه مهما ألح وألحف ، وقد تعرض لمجافاة بعض الزملاء لأنه قال الحق فى بعض مؤلفاته شفويا فى أحد مجالس العلم ، ولم يعلن رأيه فى صحيفة ، فضرب العمارى كفا بكف ، وقال معى براهينى العلمية ، فماذ يصنع إن نقدته فى صحيفة سيارة إذا ضج من حديث عابر ! وأذكر فى هذا المنحى أن العالم الكبير والمؤرخ الثقة الأستاذ صادق إبراهيم عرجون قد أهداه كتابه عن عثمان بن عفان ليكتب عنه وابتسم العمارى قائلا إنه سيكتب رأيه الصريح دون مواراة ، فرحب عرجون بما قال صاحبه ، وإذا كان الكتاب من الجودة والإخلاص والحمية بحيث أصبح فريداً فى بابه ، فإن العمارى قد أثنى على حسناته الأسلوبية ، وأفكاره الدقيقة وتعليلاته التاريخية ثناء المعجب ، ولكنه مهد بذلك ليتحدث عما يراه من المآخذ الواضحة فأعلن فى إخلاص ، أن المؤلف قد جعل مدار الحكم على عثمان هو ما عرف من أخلاقه الشخصية ، وأحواله الإنسانية ، فكان بذلك متجها إلى تبرير كل ما صدر عن الخليفة الثالث من أعمال مع التماس الصواب ولو كان بعيدا ، والعمارى يقول بصدد ذلك [1] وهذا وإن أرضانا كمسلمين فإنه لايمكن أن يرضينا كباحثين متطلعين لوجه الحق فى أحداث التاريخ وإنه ليسر كل مسلم ألا يجد مطعنا فى أعمال صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كيف ، وليس أحد معصوماً إلا الأنبياء » .

وبناء على ذلك فقد سرد العمارى مواقف تاريخية كانت ذات مأخذ صريح يتعلق بأعمال الخليفة الشهيد ، ولا أحب أن أعيدها ، ولكنه بذلك قد عبر عن إخلاص للحقيقة دون أن يتزحزح عن حب الخليفة الشهيد ، وهذا هو شعورنا جميعا ! كما أزعم .

وقد كان العمارى شاعرا ، وله قصائد منثورة فى الصحف ، وديوان من شعر الصبا ، ولم ينس الشعر فى آخر لحظات حياته حيث ودع الدنيا بقصيدة باكية قال فيها :

ثمانون مرت مسرعات وأربع	وليس لغير الله فى القلب موضع
فإن كنت فى سمت الطريق فرحمة	وإن جارت الأهواء فالعفو أوسع
وداعاً بنى الدنيا وداع مفارق	إلى الأبد الأسنى الذى لايودع

رحمه الله ، وأجزل مثوبته فى عالم البقاء .

---

(١) مجلة الرسالة ١٩٤٧/٨/١١ .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ذكر الموت

على العاقل أن يذكر الموت فى كل يوم وليلة مرارا ، ذكرا يباشر به القلوب ، ويقذع[1] الطماح فإن فى كثرة ذكر الموت عصمة من الأشر[2] ، وأمانا ـ بإذن الله ـ من الهلع[3] .

سرعة الجواب

اجتمع رجل يقال له : يموت بن المزرع ، وآخر يقال له : سهل بن صدقة فقال الثانى للأول : ضربك الله باسمك[4] فأجابه الثانى : وأنت أحوجك الله إلى اسم أبيك[5] .

الثقيل لا يهضم

سقط الثقيل من السفينة فى الدجى
فبكى عليه رفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتانى سالما
لم أبتلعه لأنه لا يهضم

ما مدحتك

مدح رجل هشام بن عبد الملك ، فقال : ياهذا إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه ، فقال : ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك ؛ لتجدد شكرا .

فقال هشام : هذا أحسن من المدح فوصله وأكرمه .

---

(١) يكشف النفس عن الاسترسال فى الشهوات.
(٢) البطر والتعاظم .
(٣) الخوف الشديد .
(٤) اى رزقه الموت [لان اسمه يموت]
(٥) اى احوجه إلى الصدقة لان اسمه سهل بن صدقة ، وهو غاية فى الاستحضار .

طلب العلم حتى الممات

سئل عبد الله بن المبارك :
لو أن الله أوحى إليك ، أنك تموت العشية فماذا أنت صانع ؟
فقال : أقوم وأطلب العلم حتى يأتى الممات .

قوة الذكاء

دخل رجل فقير ذكى على رجل موسر فقال له : لقد وعدتنى وعدا فأنجزه لى ، فقال الغنى : ما أذكر هذا الوعد !! فقال الفقير : صدقت ؛ أنت لا تذكره لأن من تعد مثلى كثير ، وأنا لا أنسى لأن من أسأله مثلك قليل .
فقال الغنى : أحسنت بجوابك ثم قضى حاجته وحمد الله .

دعوة المظلوم

قال ابن خالد البرمكى لأبيه وهم فى القيود ، ولبس الصوف والحبس : ياأبتاه بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة ؛ أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ، فقال له أبوه : يابنى دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها ثم أنشد يقول :

رب أقوام غدوا فى نعمة
زمنا والدهر ريان غدقْ
سكت الدهر زمانا عنهم
ثم أبكاهم دما حين نطق

نصيحة

لاتمنعن يد المعروف عن أحد
مادمت مقتدرا والعيش جنات
قد مات قوم وماماتت مكارمهم
وعاش قوم وهم فى الناس أموات

●●●

الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضىء فلا تكدره بآثامك .

كلمات أربع

إذا كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك ، وإذا كنت عند الناس فاحفظ عينيك ، وإذا كنت فى المجلس فاحفظ لسانك ، وإذا كنت على الطعام فاحفظ بطنك .

قالوا..

إذا عظمت الذنب فقد عظمت حق الله ، وإذا صغرته فقد صغرت حق الله ، وما من ذنب عظمته إلا صغر عند الله ، وما من ذنب صغرته إلا عظم عند الله .

دعاء

اللهم إنى أبرأ إليك من حولى وقوتى ، وألجأ إلى حولك وقوتك ، أحمدك إذ أوجدتنا من العدم وفضلتنا على كثير من الأمم .

علماء من مصر

شرف الدين الدمياطى

لفضيلة الشيخ:
عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فى أثناء سيرى استرعى انتباهى بعض الكتب المعروضة على قارعة الطريق ، فوقفت أتأملها فإذا بينها كتاب ضخم يحمل عنوان « المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح » فتقدمت إليه والتقطته واشتريته ضمن مجموعة أخرى من الكتب رائقتى .

وحين وصلت إلى المنزل أخذت أتصفح الكتاب فوجدته كنزا من كنوز الحديث ، يتناول أبوابا من السنة تدور حول الأعمال الصالحة والثواب عليها ، وعلمت أن المؤلف ـ رحمه الله ـ قد أنفق فى جمعها جهدا كبيرا ، واستهدف بها ثوابا عظيما .

كان هذا الكتاب لعالم مصرى جليل عاش خلال القرن السابع الهجرى هو الإمام الحافظ أبو محمد شرف الدين عبدالمؤمن بن خلف الدمياطى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ .

العصر والنشأة :

نشأ الدمياطى خلال القرن السابع الهجرى حيث ولد سنة ٦١٣ هـ فى قرية تسمى « تونة » فى جزيرة بحيرة المنزلة من أعمال مدينة تنيس .

وانتقل إلى مدينة دمياط وهى أحد ثغور الإسلام فى مصر .

وكان العصر الذى نشأ فيه يموج بكثير من الأحداث الجسام ، فقد شهد القرن السابع الهجرى الصدام الهائل بين التتار والمسلمين ، وكيف اجتاح التتار بغداد سنة ٦٥٦ هـ وأسقطوا الخلافة العباسية ، فلجأ آخر الخلفاء العباسيين إلى مصر التى استطاعت أن تحفظ للخلافة العباسية بقاءها واستمرارها إلى حين من الزمن .

وبدأ التتار يتحفزون لغزو الشام ثم مصر ، وصاحب ذلك أو سبق العدوان الصليبى الذى استشرى فى بلاد الشام ثم مصر ، وتصدت مصر

لهذه الحملات التتارية والصليبية واستطاعت أن تقهر العدوانين فى صراع دام طويل ، ولكنه أثمر ثمارا يانعة من البطولة والتضحية ، إلى جانب ثمار أخرى تمثلت فى طائفة من العلماء العظام من أمثال العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ المنذرى ، وابن دقيق العيد ، وتقى الدين السبكى ، وغيرهم ممن ملأوا الآفاق علماً ومعرفة ونورا ، إلى جانب دورهم البطولى فى الجهاد ضد أعداء الدين والأمة .

طريقه العلمى :

تلقى الدمياطى العلم على بعض علماء دمياط فى أول أمره ، وكانت دمياط فى ذلك الوقت مركزا من مراكز العلم فى مصر .

وفى دمياط تفقه فى مذهب الشافعى ، وقرأ القراءات والحديث على أخوين شقيقين هما الإمامان أبو المكارم عبد الله ، وأبو عبدالله ابنا منصور السعدى .

وسمع الحديث أيضا فيها على الشيخ أبى عبد الله محمد بن موسى النعمان ، وهو الذى حبب إليه طلب الحديث والإقبال عليه ، بعد أن كان فى أول أمره منصرفا إلى طلب الفقه وأصوله على مذهب الإمام الشافعى .

ولم تقف همة شرف الدين الدمياطى عند حدود دمياط ، ولكنه رحل إلى الإسكندرية فى سنة ست وثلاثين وستمائة ، ولقى فيها نخبة من العلماء الأفاضل وتلقى عليهم .

ثم قدم القاهرة بعد ذلك وصحب إمام الحديث بها وهو الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى صاحب كتاب « الترغيب والترهيب » وغيره من المؤلفات الفريدة . يقول السيوطى منوها به : حين حججت شربت من زمزم على نية أن يجعلنى الله فى الحديث مثل الحافظ عبد العظيم المنذرى قال : وأجاب الله دعائى .

ويعرف التلميذ بأستاذه كما يعرف الأستاذ بتلاميذه .

لزم الدمياطى المنذرى فترة من الزمن ، وكان كلما رحل إلى مكان عاد إلى المنذرى ليجدد العهد معه . . وقد استفاد من المنذرى فائدة عظيمة .

وكان المنذرى غاية فى الورع والصلاح يعمل بما يعلم ـ وهذا هو ميزان العلماء ـ ومن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم .

يحكى الدمياطى عن شيخه المنذرى قائلا : خرج المنذرى يوما من الحمام وقد أخذ منه حرها فما أمكنه المشى ، فاستلقى فى الطريق إلى جانب حانوت .

فقال له الدمياطى : ياسيدى أنا أقعدك على مصطبة الحانوت ، وكان الحانوت مغلقا .

فقال المنذرى وهو فى هذه الشدة : أأجلس بغير إذن صاحبه ؟ كيف يكون ذلك ؟ ورفض الجلوس .

ويعلق راوى القصة قائلا : فكر فى هذا الحادث أيها القارىء ، شيخ يمتنع أن يجلس أمام الحانوت على المصطبة ليستريح من تعبه ، لأن صاحبه لم يأذن له ، مع أن الحانوت مغلق ، ولم يعطل أى حركة تجارية أو مصلحية ، لاتعجب فإن فى هذا نصوص العلم وتعاليم الرسول ـ ﷺ ـ .

رحلة إلى خارج مصر :

وفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة رحل الدمياطى إلى الحرمين الشريفين ، والتقى هناك بمن شاء من العلماء .

ثم ارتحل بعد ذلك بعامين إلى الشام ثم إلى الجزيرة والعراق ، وأخذ من علماء هذه البلاد ، وما أكثرهم ! وما أجلهم !

وأقام كثيرا فى دمشق حتى أصبحت له فيها شعبية كبيرة ، ولكن القاهرة كانت دائما هى موئله الأول والأخير ، وفيها انتشر علمه الواسع وألف مؤلفاته العديدة النافعة . . إلا أن صيته فى دمشق كان ذائعا .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه السبكى فى الطبقات الكبرى : هو حافظ زمانه وأستاذ الأستاذين فى معرفة الأنساب ، وإمام أهل الحديث المجمع على جلالته ، الجامع بين الدراية والرواية بالسند العالى القدر .

وقال عنه صلاح الدين بن شاكر الكتبى فى كتابه « فوات الوفيات » : هو الإمام البارع الحافظ النابه المجرد الحجة علم المحدثين عمدة النقاد .

وقال عنه الحافظ المزى : ما رأيت أحفظ منه .

وقال عنه الذهبى فى معجمه : هو العلامة الحافظ الحجة أحد الأئمة الأعلام وبقية نقاد الحديث .

ووصفه أبوحيان الأندلسى بحافظ المشرق والمغرب .

وقال عنه السيوطى فى كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » : هو العلامة الحافظ الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين ، تفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فأوعى ، وتخرج بالمنذرى ، وألف ، وكان واسع الفقه رأسا فى النسب ، جيد العربية غزير اللغة .

تلاميذه :

وللدمياطى تلاميذ ناجحون يشيرون إلى تقدم أستاذهم وفضله منهم تقى الدين السبكى الذى كان أكثر تلاميذه ملازمة له ، وقد توفى السبكى سنة ٧٥٦ هـ والصاحب كمال الدين بن العديم ، والشيخ أثير الدين أبوحيان النحوى ، ومحيى الدين النواوى وغيرهم من أصحاب العلم والفضل . ذكر ذلك الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش فى مقدمة تحقيقه لكتاب : المتجر الرابح للدمياطى .

مـــؤلـفـاتـــه :

وللدمياطى مؤلفات عدة تدل على علو كعبه فى الحديث وغيره . ومن ذلك الكتاب الذى أشرت إليه وهو « المتجر الرابح فى ثواب العمل الصالح » وهو يعتمد على ما يقرب من ألف باب تدور كلها حول الأعمال الصالحة وثوابها ، موثقة بالأحاديث الصحيحة المعتمدة ، ومشيدة بآيات القرآن الكريم . وهو يضم ألفين ومائة وأربعة وعشرين حديثا ، بدأت « بأبواب العلم » ، واختتمت « بأبواب الزهد والأدب » .

وقال الدمياطى فى مقدمة كتابه : « رب فاحمد نفسك عنا لنفسك ، كما ينبغى لجلال وجهك

وكمال قدسك ، فإنا عن القيام بحق حمدك عاجزون ، ولعظمة جبروتك خاضعون ، وإليك فيما منحت أهل قربك راغبون ، فجد علينا من خزائن جودك بما تعلقت به الآمال ، فإنك واسع العطاء جزيل النوال » .

وهو كتاب جليل الفائدة عظيم المنفعة لاغنى عنه لطالب علم ولا لمغتنم أجر وله غير هذا الكتاب مؤلفات كثيرة منها :

- الأربعون الحلبية فى الأحكام النبوية .
- الأربعون فى الجهاد .
- الأربعون المتباينة بالإسناد المخرجة على الصحيح من حديث أهل بغداد .
- التسلى والاغتباط بثواب من تقدم من الأفراط .
- ذكر أزواج النبى - ﷺ - وأولاده وأسلافه .
- كتاب فى السيرة النبوية ، ولعله كتاب : مختصر فى سيرة سيد البشر .
- معجم شيوخ الدمياطى . يوجد الجزء الثالث منه بالمكتبة الأزهرية وله غير ذلك .

المناصب التى تقلدها :

وقد تقلد الدمياطى عدة مناصب علمية ، فقد كان شيخا للمدرسة المنصورية ، وشيخا أيضا للمدرسة الظاهرية .

ويبدو أنه كان عازفا عن المناصب مشغولا بالعلم والتأليف والتدريس عن المزاحمة فى تقلد المناصب .

وكان على يسار فى حياته . قد وسع الله له فى الرزق ، كما منحه هيئة جميلة وجاها ، وحسن خلق ، وتحلى بالفصاحة وجودة العبارة ، وكان مهيب الطلعة يحبه ويقبل عليه كل من يراه .

وقد ظل الدمياطى يؤلف ويدرس طول حياته حتى حانت وفاته فجأة دون مرض سابق ، لقد صلى العصر - كما يقول ابن تغرى بردى - ثم غشى عليه فى موضعه فحمل إلى منزله فمات من ساعته .

وكان ذلك فى يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة سنة ٧٠٥ هـ ودفن فى مقابر باب النصر بالقاهرة .

وصلى عليه فى دمشق صلاة الغائب .

رحمه الله رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للإسلام والعلم وأهلهما أفضل الجزاء .

عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله - ﷺ - : « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » رواه مسلم .

الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ

مناط القدوة، وأسرار النبوغ

للأستاذ: نبيل محمد رشاد

لقد ظلت الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » ـ رحمها الله تعالى ـ ملء السمع والبصر والفؤاد على امتداد ثلثى قرن من الزمان، تعمل بهمة لا تعرف الفتور فى شتى المجالات الفكرية والأدبية والدينية.

ولست أستطيع فى هذا المقال أن أحيط بنتاج الدكتورة الثر فى كل هاتيك الميادين، وحسبى أن أشير ـ فى إيجاز ـ إلى ثلاثة عوامل رئيسية فى حياة الدكتورة عائشة قد مكنتها من أن تتبوأ مكانتها الرفيعة فى هذا المجال:

أما العامل الأول: فيتعلق بأصل النشأة حيث تربت فى بيت علم ودين، وفضل وتصوف، فقد كان والدها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على عبد الرحمن عالماً أزهريا، وكانت له خزانة كتب كبيرة تضم أمهات كتب التراث العربى والإسلامى فى اللغة والأدب، والنحو والتصريف، والتوحيد والفلسفة والمنطق، والتفسير والحديث، والفقه والأصول، وقد نهلت الدكتورة عائشة من هذه

الخزانة ما نهلت ، وقرأت على أبيها ما قرأت ، وأخذت عليه العهد ، وأوصاها أن تصبر على لأواء البحث ، وأن تحتسب ما تنفق فيه من وقت وجهد فى سبيل الله مع ملازمة الطاعة بالغداة والعشى ، وابتغاء وجه الله فى كل ما تأتى وما تذر ، وهو فى هذا التوجيه ، وهذه التربية قد لفت نظرها ـ منذ نعومة أظفارها ـ إلى ارتباط العلم بالتقوى فى شريعة الإسلام ، ومما يدل على هذا من بعض الوجوه قولها فى حزن وأسى « يرحل آباؤنا وشيوخنا ـ رضى الله عنهم ـ وقد زودونا عند الرحيل بوصاياهم ، وعهدوا إلينا أن نحمل من بعدهم أمانة الجهاد فى سبيل ما تفانوا له دفاعا عن شرف الإنسان ، وتحقيقا لوعد نبينا المصطفى ـ عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التحية ـ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ـ وفى رواية من خذلهم ـ حتى يأتى أمر الله وهم كذلك »[1] .

روانى هذا الحديث فى صحيح مسلم فضيلة والدى ، العالم القدوة قبيل رحيله إلى رحاب الله تعالى

وأمرنى ـ رضى الله عنه ـ فتلوت الآية المحكمة :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

(الكهف : ٢٨)[2] .

العامل الثانى : إنها تخرجت فى كلية الآداب بعد أن حصلت على ليسانس اللغة العربية عام ١٩٣٩ م ، وفى كلية الآداب تلقت العلم على أيدى جهابذة العلماء والمفكرين والأدباء والفلاسفة الذين لانزال نذكرهم ونذكر أعمالهم الأدبية والعلمية بالإجلال ونأسى بذكرها على ماآل إليه أمر الدراسات الأدبية العليا وطلابها فى هذا الزمان من ضعف وهوان .

تلقت الدكتورة عائشة علومها ومعارفها على أيدى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين ، والأستاذ البحاثة أحمد أمين ، والمفكر الإسلامى والأديب ، وفيلسوف الأخلاق الدكتور عبد الوهاب عزام ، والأستاذ مصطفى السقا الذى أعفاها من حضور دروسه فى اللغة والنحو نظراً لارتفاع مستواها عن مستوى زملائها وزميلاتها[3] ، والدكتور حسن إبراهيم حسن

(١) رواه احمد والشيخان ـ صحيح الجامع الصغير (٧٢٩٠) ، المسند ٢٦٩/٥ .

(٢) د . عائشة عبد الرحمن : نص من سلسلة مقالاتها عن « الدين والإنسان : واقع وآفاق » نشرتها جريدة الأهرام فى موسم رمضان ١٤١٠ هـ ـ ابريل ١٩٩٠ م .

(٣) د . عائشة عبد الرحمن : على الجسر (اسطورة الزمان) سيرة ذاتية نشرتها دار الهلال بمصر دون تاريخ ص ٧٠ .

الذى كان يدرس التاريخ الإسلامى ، وغيرهم من إخوان هذا الطراز .

ولقد تابعت الدكتورة بنت الشاطىء دراساتها العليا بكلية الآداب بعد تخرجها تحت إشراف الدكتور طه حسين فحصلت على درجة الماجستير عام ١٩٤١ م ببحثها عن « الحياة الإنسانية فى أدب أبى العلاء » ، ثم حصلت على درجة الدكتوراة عام ١٩٥٠ م ببحثها « الغفران : دراسة نقدية » مع تحقيق نص رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى(٤) .

ودراستها لشعر أبى العلاء ونثره فى هذه المرحلة الباكرة من حياتها قد أسهم ـ بلاشك ـ مع ما قرأت فى مكتبة أبيها ، وما سمعت من أفواه أساتذتها فى إعطائها تلك الخصوصية اللغوية والأسلوبية التى تميزت بها .

العامل الثالث : التقاؤها بالشيخ أمين الخولى .

ولقد كان الشيخ أمين الخولى عالما ذائع الصيت فى ذلك الزمان ، وكان يتصف بسعة العلم ، وحدة الذكاء ، والحرص على الدقة العلمية والمنهجية ، وكان له أثره فى تلامذته بعامة وفى الدكتورة عائشة بخاصة ، وهاهى تتحدث عن أثره البالغ فى توجيهها فتقول : « ظل لمدى ثلث قرن يقود خطاى على الطريق الشاق ، ويحمينى من عثرة الرأى ، ومزالق التأويل وسطحية النظر ، ويأخذنى بضوابط منهجه الدقيق الصارم الذى لا يجيز لنا أن نفسر كلمة من كلمات الله تعالى دون استقراء لمواضع ورودها بمختلف صيغها فى الكتاب المحكم ، ولا أن نتناول موضوعا قرآنياً أو ظاهرة من ظواهره الأسلوبية ـ دون استيعاب لنظائرها ، وتدبر سياقها الخاص فى الآية والسورة ، وسياقها العام فى القرآن كله »(٥) .

كان الشيخ أمين الخولى يدرس علوم القرآن عام ١٩٣٦ لطلبة كلية الآداب ، وكانت عائشة عبد الرحمن من الطالبات اللائى يستمعن لدرس الأستاذ ، واقترح الشيخ الخولى على الطلاب أن يقوموا بعمل أبحاث فى موضوعات بعينها حددها لهم فى علوم القرآن ، وتعجلت عائشة واختارت موضوع نزول القرآن مزهوة مغرورة بما حصَّلت على يد أبيها ، وفى مكتبته الزاخرة من العلم حتى أنها لم تطلب لإتمام إنجازه إلا يوما ، أو بعض يوم ، وكانت المواجهة ، وكان اللقاء الذى كفكف فيه الشيخ من غلواء غرورها ، ووضع فيه خطاها على أول الطريق الصحيح ، طريق القراءة المنهجية الواعية التى تفرق بين مصادر الموضوع ومراجعه ، وتعرف كيف تستطيع أن تستخدم هذه وتلك فى خدمة موضوعها تقول الدكتورة عائشة :

ـ قال فى نبرة إشفاق وتحذير :

ـ كذا . . فكرى مليا ، فربما بدا لك أنك فى حاجة إلى مزيد من الوقت .

ـ وأبيت أن أتراجع .

ـ ولماذا أتراجع ومبلغ علمى أن المادة مبذولة جاهزة ، ومصادرها الأصيلة فى متناول يدى ،

---

(٤) ابو العلاء المعرى : رسالة الغفران تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن . المقدمة ص٧٣ سلسلة ذخائر العرب . دار المعارف بمصر الطبعة الثامنة ١٩٩٠ م .

(٥)د . عائشة عبد الرحمن : الإعجاز البيانى للقرآن ومسائل ابن الأزرق : دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٨٧ م . ص ١١ .

فلن يحتاج الأمر معى إلى أكثر من بضع ساعات للمراجعة ، وبضع ساعات أخرى التنسيق والكتابة ؟

ولم يفتنى أن الأستاذ يرانى تورطت فى هذا التعجل فكأنى خشيت أن يأخذ عنى فكرة خاطئة فقلت أسأله مدلة بما أملك من ذخائر مادته .

ـ هل يكفى أن أراجع فى موضوعى كتابى الإتقان واللباب للسيوطى ، وكتاب البرهان للزركشى ، مع الاستئناس بالسيرة لابن هشام ، وتفسير ابن جرير الطبرى ؟

أجاب :

ـ كتاب واحد منها يكفى الآن لو أنك عرفت ـ حقا ـ كيف تقرئين .

وكان هذا آخر ما توقعت أن أسمع .

ألمثلى يقال ذلك وما من كتاب من أصول العربية والإسلام يعيينى أن أقرأه ؟

وكبحت غضبى وأنا ألتمس للأستاذ العذر ، فلعله يتصور أننى كغيرى من الطلاب وفيهم ـ حقا ـ من لا يعرف كيف يقرأ .

وقلت مستدركة عليه فى نبرة متحدية :

ـ ما ذكرت هذه الكتب إلا لأنى قرأتها ، واستوعبت ما فيها ، وإنما كان سؤالى عن مصادر أجنبية ظننت أن الأستاذ قد يضيفها إلى مراجعى .

فما زاد على أن قال :

ـ لو أدركت الفرق بين المصادر والمراجع لما تورطت فى مثل هذا السؤال المنكر .

وتحيرت لا أملك سؤالا ولاردا ، فما كنت حتى تلك اللحظة قد فكرت فى التمييز بين المصدر والمرجع .

وتابعت الإصغاء إلى الأستاذ وهو يلقى علينا مبادىء منهجه حريصة على ألا تفوتنى كلمة واحدة مما يقول ، ومن ذلك اللقاء الأول ارتبطت به نفسيا وعقليا ، وكأنى قطعت العمر كله أبحث عنه فى متاهة الدنيا ، وخضم المجهول(٦) .

هذه هى العوامل الثلاثة التى استطاعت بها الدكتورة بنت الشاطىء أن تنمى ما عندها من استعداد طبيعى للتفوق والنبوغ ، وأن تصقل ماحباها الله به من مواهب أدبية وفنية ، وأن تشق طريقها فى ميدان البحث العلمى فى الدراسات العربية بعامة ، والقرآنية بخاصة .

---

(٦) د . عائشة عبد الرحمن : على الجسر . مرجع سابق . ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ .

زكى مبارك بين الوطنية والعروبة والإسلام

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد (*)

فى غضون النصف الأول من القرن العشرين استطاع الدكاترة « زكى مبارك » بمؤلفاته ومقالاته أن يشكل له وجوداً ملحوظاً ، وقد بدأت صلتى بذلك الكاتب والمؤلف الفذ منذ قراءتى جانباً من نزالياته الصحفية مع كتاب عصره حول مفاهيم « الثقافة والأدب واللغة والقومية والعروبة والإسلام » .

أيقنت أن الرجل جدير بالدراسة لما اتصف به أسلوبه الأدبى وفنه الصحفى من مظاهر القوة ، ولعل من أهم هذه المظاهر :

(١) تحدثه فى الصحافة إلى عقل القارىء مباشرة فى وضوح ويسر .

(٢) إيثاره للأساليب العربية التى يفهمها العامة ولا ينفر منها الخاصة .

(٣) مناوشته للخصوم وحملهم على منازلته فى سبيل ما يراه حقاً .

(٤) معالجته الأمينة لقومية العرب وآدابهم ولغتهم ودينهم . ولعل من مظاهر قوة هذا الكاتب ـ أيضاً ـ أنه كاتب حلو المودة ، مرُ العداوة ، يخاصم فى سبيل الحق ولايعادى ، يبرم وينقض ، يؤيد ويعارض ، وبعض الناس تغلب عليهم السذاجة فلا يؤيدون ولا يعارضون ، وقد تماسك الرجل فى أزمات كثيرة ، وعرف كيف يقارع الحوادث والخطوب حتى أصبح رجلاً يحسب له حساب فى الرأى والفكر .

(*) الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

وفيما يلي نعرض جانبا من مواقفه تجاه الوطن المصرى ، والعربي ، والإسلامى ، وتأصيل الثقافة العربية والإسلامية .

زكى مبارك ووحدة الوطن :

لعل من أبرز سمات « زكى مبارك » : ولاؤه لوطنه ، وقد نشأ معه ذلك الولاء منذ ارتباطه بقريته ـ سنتريس ـ (بمحافظة المنوفية فى مصر) أو وطنه الأدنى ، حتى بلغ الولاء به أعلى مراتبه مع وطنه الأعلى « إذ أن الوطن بيت كبير والأمة أسرة واسعة »[1] ، كما أن حب الوطن له مدارجه ، فالإنسان يحب بيته ثم قريته ثم إقليمه ثم وطنه ثم أمته ، وهى كلها بيئات انتسب لها « مبارك » ونعم بخيراتها ونطق بلغتها وخضع لنظمها واحتمى بقومها وتشرب ثقافتها واشترك فى المشاعر مع أهلها ، وأخذ منها وأعطى فأصبح منها وهى منه ، « فوحدة الآلام والآمال ووحدة الثقافة ، مما يجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة متميزة عن الأمم الأخرى »[2] .

وفى ضوء هذا الفهم كانت وحدة الوطن إحدى الدعائم التى أقام عليها « مبارك » صرح القومية العربية ، وهى وحدة تستدعى النظر إلى مصريته ثم عروبته :

(أ) ارتباطه بالوطن المصرى :

لا ريب أن الوطن المصرى ـ كوحدة جغرافية مستقلة ـ يمثل ركنا طبيعيا هاما من الوحدة العربية فى البيئة الكبرى لما بينهما من تشابه فى كثير من الخصائص كما يذهب إلى ذلك « رمزى موير » بقوله : « إن الإقامة فى بقعة جغرافية ذات معالم مقصورة عليها هى فى الغالب معدودة بين الروابط التى لابد منها لتكوين الأمة . . يرجع الفضل فى قوميتها إلى تلك الوحدة ولذلك الحب الذى يشعرون به للتربة التى درجوا عليها »[3] .

ويبدو أن أول من عبر عن الشعور بالمصرية ومعانى الوطنية هو « رفاعة الطهطاوى » ، الذى كان أحد رواد النهضة فى هذه الفترة ، ثم تبعه آخرون فى ذلك كأديب إسحق ، الذى نقل إلى المصريين شيئاً من بذور الثورة الفرنسية ، كما نقل تفسيرا لكلمات الوطن والوطنية ، وكذلك « على مبارك » فى كثير من مؤلفاته[4] ، وكذلك « أحمد لطفى السيد » الذى اشتهر بفكرة القومية المصرية[5] ، حتى كان العهد بزكى مبارك .

ولعلى لا أبتعد عن الحقيقة إن ذهبت إلى أنه كان من أشد كتاب عصره إيمانا بالوطنية وأكثرهم ترجمة لمشاعره عنها وأغيرهم على استقلال وطنه ، ربما لأنه أكثرهم ارتباطا به «فالوطنية هى ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن »[6] .

ومن أبرز دلائل هذا الولاء ، مشاركته الفعالة فى ثورة ١٩١٩ ـ منذ فجر شبابه ـ وعدم تنازله عن وطنيته رغم مالاقاه من اضطهاد واعتقال[7] .

---

(١) ميشيل عفلق : فى سبيل البعث ـ القاهرة ـ ص ٣١ .

(٢) ساطع الحصرى : ما هى القومية ـ القاهرة ـ ٢٥٢ .

(٣) العقاد : ساعات بين الكتب ـ القاهرة ـ ص ٢١٠ .

(٤) الدكتور عبداللطيف حمزة : مستقبل الصحافة ـ القاهرة ـ جـ ١ ص ١٧٥ .

(٥) الدكتور عبداللطيف حمزة : ادب المقالة الصحفية ـ القاهرة ـ جـ ٦ ص ٢١٨ .

(٦) ساطع الحصرى : آراء واحاديث فى الوطنية والقومية ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة (١٩٤٤) . ص ٧ .

(٧) راجع اتجاهاته الاتصالية ، الاتجاه السياسى ، .

ومما يؤكد انتماءه لوطنه وولاءه لاستقلاله موقفه من « مشروع ملنر » ، ففى عام (١٩٢٠) نظم « أحمد شوقى » قصيدة فى الدعوة إلى قبول « مشروع ملنر » ، وقرأها « مبارك » وهو فى غياهب الاعتقال ، وقد صور وقعها عليه بقوله « ثار غضبى عليه وصممت على إيذائه حين أجد السبيل إلى تنسم هواء الحرية »[١] ، وعندما خرج من الاعتقال فى خريف سنة (١٩٢٠) كان أول ما كتب مقالة تحت عنوان « مقاصد الشعراء »[٢] حمل فيها بالنقد الساخر على موقف « شوقى » من مشروع « ملنر » ودعاه - متهكما - إلى ضرورة التفرقة بين « الحكم على صفاء الكأس ، وحلاوة العين ، ورشاقة القد » وبين الحكم على آمال أمة تختلف أطماعها باختلاف عقول أبنائها من العلماء والحكماء ، كما دعا إلى عدم الاقتداء به ، إذ أن شعره ليس شريعة عامة للشعب ، فهو بدلا من أن يتعالى إلى أبكار الأمانى ، ينسفل إلى ثنيات النوازع ، كما يدعو الناهضين إلى السقوط ولا يحض الساقطين على النهوض » .

ومن ثم فقد كشف موقفه الثورى سنة (١٩١٩) عن آماله فى وطنه وآلامه التى استعذبها فيه ، يعبر عن ذلك بقوله : « أحبك ياوطنى وأستعذب عذابى فيك لأنك فى عينى وقلبى غاية فى روعة الجمال ، فلم يعان أحد من الظلم فى وطنه ما عانيت فما زادنى ذلك الظلم الأثيم إلا عرفانا بجمال وطنى ، وهل رأيتم جميلا غير ظلام »[٣] ، وفى مجال الفخر بوطنه والتنبؤ بمستقبله المشرق ، يقول : « لن تضام مصر ولن يضام أهلها ولن تجف أقلامها ولن يكون لها بين المظلومين مكان ... لا أقول إن مصر باقية ما بقى النيل ولكن أقول إنها باقية ما بقى الوجود ، وهى التى شرعت لجميع الأمم مذاهب الرأى والفكر »[٤] .

مقاومة أعداء العروبة والإسلام :

كما يمكن النظر إلى مقاومته لأعداء العروبة والإسلام على أنها من أول الدلائل على صدق وطنيته ، فقد أدرك أبعاد المخططات الاستعمارية وما تستهدفه من تفكك الوحدة الوطنية ، فكان إذا ذكر أهل الغرب ألقى الضوء على مساوئهم ، وهذا فى حد ذاته نوع من التوجيه الوطنى التنويرى ، من ذلك قوله : « إن أهل الغرب لئام تطغيهم القدرة وتعميهم النعمة ، ولن تكون هذه المبتدعات فى أيديهم إلا وسائل فناء وإهلاك وتخريب »[٥] ، وهو يسعى هنا إلى إثارة الشكوك حولهم وإيقاظ الشعب لأهدافهم ، وإثارة السخط عليهم والكراهية لهم حتى لا ينخدع بهم كاتب أو قارىء .

وينجح الإعلامى عادة فى إثارة الكراهية عندما يقدم معلومات جديدة يشعل بها النار ، أو يزيد الشرارة الملتهبة اشتعالا ، وتفعل أجهزة الإعلام ذلك لإثارة الشك نحو الأجانب غير المرغوب

(١) الدكتور زكى مبارك : الأسمار والأحاديث - القاهرة - ص ١٦٢ .

(٢) جريدة المحروسة : ٢٣ اكتوبر (١٩٢٠) ، الدكتور زكى مبارك : احمد شوقى - القاهرة - ٢٤٥ .

(٣) الرسالة : ٣٠ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون - ص ١١٩ .

(٤) الرسالة : ٣٠ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون - ص ١١٩ .

(٥) الاثنين والدنيا : ٦ مايو (١٩٤٢) .

فيهم[1] ، ومن ثم فقد اشتد « مبارك » فى وصف المستعمرين ولجأ إلى وصمهم بصفات المنافقين فى سبيل التنفير منهم ، فقال عنهم : « لا يوفون إذا عاهدوا ولا يصدقون إذا وعدوا ، ولا يبرون إذا أقسموا ، فهم مغرمون بنقض العهود وتمزيق المواثيق ، ولست فى حاجة إلى تذكير قرائى بالسبعين وعدا التى ظفرنا بها من الساسة الإنجليز »[2] ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك عندما رأى أن « كل من يمت إلى الغرب بصلة قريبة أو بعيدة إنما هو خادع ماكر خبيث لا عهد له ولا أمان »[3] .

وليس من شك أن العلاقة قوية بين الوطنية وإعلان الحرب على دعاة التغريب فما استمد نجاح مقاومته إلا من وطنيته وعروبته ، وطالما فخر « مبارك » بأنه مصرى عربى ، ورددها يملأ بها فمه أو يشغل بها قلمه ، كما تغنى بعروبة وطنه الذى ينتسب إليه سياسيا ، يقول : « أنا عربى والمصريون عرب فى أقوالهم وأفعالهم وسجاياهم ودينهم ومذاهبهم »[4] .

زكى مبارك وزعامة مصر :

و « مبارك » مولع بتمجيد زعامة مصر ، وفى ذلك يقول : « مصر اليوم هى دولة الفكر والرأى وإليها المرجع فى الفصل بين الحقائق والأباطيل »[5] ، وهو مغرم - أيضاً - بتأكيد صمودها ، ومن ذلك قوله : « فما طمع فيها طامع إلا قصمت ظهره ، ولا دخلها غاصب إلا كانت وبالا عليه ، ولو استفتيت التاريخ لأفتاك ثم أفتاك »[6] ، وقد أشار بإعزاز إلى قول « مصطفى كامل » : « لو لم أكن مصريا لتمنيت أن أكون مصرياً » ، معلقا على عبارته بقوله : « إنها أصدق من الصدق وأصوب من الصواب »[7] ، وفى موضع آخر يبالغ فى انتمائه لوطنه بقوله : « ولو أننى أستغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب على ذنوب »[8] ، ولعله لم يبتعد عن الحقيقة عندما وصف نفسه بصفات إحداها : « الوطنية الصادقة التى يعرفها جميع الناس »[9] .

ويظهر مما سبق أن « مبارك » كان وطنيا بكل ما تحمله الكلمة من صدق ، وإذا عُدَّ الوطنيون المخلصون فهو فى الرعيل الأول ، شرّق وغرّب وأفصح وأعرب وهو فى كل حالاته ونزعاته مصرى عربى .

(ب) ارتباطه بالوطن العربى :

تأسيساً على أن « وظيفة الإعلام ليست دعم الاتجاهات فقط ، إنما قد تحدث التغيير

---

(1) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - ص ٩٧ .
(2) الاثنين والدنيا : المرجع السابق .
(3) انور الجندى : زكى مبارك ودراسة تحليلية - ص ١٠٣ .
(4) الرسالة : ١٢ يولية ١٩٤٣ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ٤٣٦ .
(5) الرسالة : ١٢ يولية ١٩٤٣ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ٤٣٦ .
(6) الرسالة : ٢٧ يولية ١٩٤٢ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق ص ٢٩٠ .
(7) الرسالة : ٢٧ يولية ١٩٤٢ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق ص ٢٩٠ .
(8) الرسالة : ٣٠ سبتمبر ١٩٤٠ .
(9) مسامرات الجيب : ٣٠ اكتوبر ١٩٤٩ .

أيضاً »[1] ، فإنه يمكن النظر إلى منهج « زكى مبارك » فى اتجاه وحدة الوطن العربى على أنه تغيير للمناخ العربى ، وأعنى به التغيير الذى يقوم - عند بعض الباحثين - على « التقمص الوجدانى الذى يميز انتقال المجتمع من الشكل التقليدى إلى الشكل الحديث ، فيحفز بذلك الأفراد للعمل فى حرية وتعاون كاملين »[2] لتحقيق المثل التى يرجوها من خلال استراتيجيته القومية التى يستهدف بها صالح وطنه وعروبته ، فهو يدعو « أبناء العرب فى المشرق والمغرب إلى حب جميع البلاد العربية حبا يصيرها فى عيونهم وقلوبهم ملاعب حبيبة ، أدعوهم إلى التآخى الصادق المتين ، أدعوهم إلى « التصوف فى الأخوة » بحيث يصبح كل رجل وهو مسئول عن حياة أخيه فى المحضر والمغيب »[3] .

زكى مبارك والقضية الفلسطينية:

والواقع أن « مبارك » الذى جاهد أصدق الجهاد فى نقل الغرر من آيات الأدب الفرنسى الحديث ، هو عينه « مبارك » الذى قاوم خصوم العروبة ومن آزرهم بأسلوب يشهد أنه مجروح القلب من أزمات جيله ، يتضح ذلك من شدته على من تعاون مع خصوم العرب ، وهو مخدوع أو غير مخدوع ، فيقول : « الدنيا كلها تجتمع ، ونحن نفترق ، مع أننا أحوج من سائر العالمين إلى الائتلاف ، والعرب والمسلمون فى جميع بقاع الأرض يرون مصر مشرق الأنوار العربية والإسلامية »[4] .

ولقد توسل « مبارك » بلسانه وبيانه وسائر جهوده لحراسة أمجاد العرب والمسلمين والدفاع عن قضاياهم حيثما كانت ، فعلى سبيل المثال نراه يتعاطف مع قضية فلسطين ويفرد لها فصلا بأحد مؤلفاته[5] ، يصور فيه نبضاتها وأزماتها ، ولم يخف على المستشرقين حبه لها وحسرته عليها ، فأغراه « كانير » - من مستشرقى فرنسا - بقضاء شهر رمضان فى « فلسطين » - قبل محنة عام (١٩٤٨) - لإلقاء عدة محاضرات عن « الديموقراطية فى الإسلام »[6] بحجة أن أهل « فلسطين » يحبون رؤية وجهه وكان رد زكى مبارك عليه : « إذا كنت تظن أنك تستطيع أن تشترينى وتشترى قلمى لحساب الحكومة البريطانية ، فيؤسفنى أن أرفض طلبك من أوله لآخره ، ولست على استعداد لأن ألقى هذه المحاضرات إلا إذا قبلتم أن أشن فيها الحرب على المستعمر الإنجليزى »[7] ، فقال له « كانير » بإعجاب بالغ : « إذا كنت قد أسفت لأنك رفضت هذه المحاضرات ، فإنى قد سعدت جداً بأن أقابل وطنيا يضع مصلحة وطنه فوق كل شىء »[8] .

وينطوى هذا الموقف على ولائه لأهل

---

(١) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير - مرجع سبق - ص ١٥٦ .

(2) Daniel Lerner, the passing of traditional Society : modernizing the middle East. Illinois., (1964) pp. 47-48.

(٣) الرسالة : ١٩ اغسطس (١٩٤٠) - الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون - مرجع سبق - صفحات ٨٢ - ٨٤ .

(٤) الرسالة : ١٩ اغسطس (١٩٤٠) - الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون - مرجع سبق - صفحات ٨٢ - ٨٤ .

(٥) ليلى المريضة فى العراق - القاهرة - جـ ٢ ص ١٢٠ .

(٦) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

(٧) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

(٨) الصباح : ٦ مايو (١٩٤٣) .

فلسطين ، حيث رفض زيارتهم عن طريق الدعاية البريطانية ، كما يعكس - أيضاً - يقظته لكل ما استحدث الاستعمار من أساليب وأحاييل ، مما يؤيد ذلك أنه أثناء الحرب العالمية الثانية اشترت الدعاية البريطانية أقلام بعض الكتاب والخطباء العرب ، ولكنها عجزت عن شراء ضمير الدكتور زكى مبارك ، رغم أنه كان يعانى فى تلك الفترة ضائقة مالية ، واضطهاد ظالم فى عمله بوزارة المعارف[1] .

زكى مبارك ومؤازرة العراق :

والواقع أن موقفه القومى من « فلسطين » لا يقل عن مؤازرته للعراق ، أوضح ذلك بقوله : « وكيف لا أصدق فى حب وطن كاد ينسينى وطنى ، ولو عبرت عن نفسى تعبيرا صحيحا لقلت إنى لم أستطع التوهم بأن مصر والعراق وطنان مختلفان »[2] ، هذا فضلا عن توجيهه لحياة العراق الأدبية والاجتماعية ، ودفعها على طريق العروبة ، أثناء ابتعاثه هناك ، وقد أعانه إخوانه العراقيون - على حد قوله - « على تحقيق هذا الغرض الشريف ، فهم الذين دعونى إلى الاشتراك بأنديتهم الأدبية والعلمية ، وحضونى على المشاركة فى توجيه الرأى العام بالمقالات والمحاضرات »[3] .

ولعل هذا ما أتاح لأهدافه القومية أن تثمر « بلا مشقة ولا عناء »[4] ، لذلك عندما أنهى مهمته ببغداد أصدرت جريدة « الهدف » البغدادية عددا خاصا تقديرا لجهوده وتكريما له كصديق للعراق ، وتحت عنوان « وإذا حييتم بتحية »[5] أشار « مبارك » إلى هذا التكريم وقال : « ليس فى مقدورى أن أرد تحية جريدة الهدف ، فذلك امتحان لا أتقدم إليه وأنا طائع لشعورى بالعجز عن وفاء هذا الدين النفيس ويبدو أن « مبارك » ارتبط بالعراق ارتباطا قويا على اعتبار أنه ظل رمزا لحضارة العرب فى أكثر عصوره ، ومن ثم فقد بالغ فى حجم الصلة بينهما بقوله : « سيسأل قوم عن زكى مبارك وجسمى مدفون بصحراء صماء ، فإن سألوا عنى ففى مصر مرقدى وفوق ثرى بغداد تمرح أهوائى »[6] .

ويرى « فهمى شلبى » أن من دلائل ولائه للعراق أنه سجل خواطره معها واستوحى أعماقها من عبق التاريخ ، وقد استدل على ذلك بمجلداته التى عاد بها ، وأصبح من خلالها رائدا على درب القومية العربية[7] .

ولعلى لا أبتعد عن الحقيقة إن ذهبت إلى أن كتابه « ليلى المريضة فى العراق » هو أقرب هذه المجلدات إلى روح القومية العربية ، إذ صورت مقالاته فيه بعض المعضلات التى تعانيها فلسطين وسورية ولبنان ومصر والعراق ، تصويرا كشف عن عمق إدراكه لسرائر هذه البلاد .

---

(١) محمد محمود رضوان : صفحات مجهولة - القاهرة - ص ١١٢ .

(٢) الرسالة : ٢٣ سبتمبر (١٩٤٠) ، الحديث ذو شجون - القاهرة - صفحات ١١٢ - ١١٣ .

(٣) الرسالة : ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ١١٢ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الرسالة : ١٨ مايو ١٩٤٢ .

(٧) مجلة الهلال : أول أغسطس ١٩٨١ - مقال « زكى مبارك مصارع الأدباء » .

وهكذا فإن موقفه القومى من فلسطين والعراق لا يقل عن موقفه من بقية الأقطار العربية ، وعندما اعتزم « الزيات » إصدار أعداد خاصة بالأقطار العربية للتنويه بشأنها والتعريف بأهلها »[1] ، كتب « مبارك » مقالته تحت عنوان « فى سبيل الوحدة العربية »[2] ، يعرب فيها عن تجنيده لتلك المهام القومية فى سبيل العروبة وآدابها ، فقال « أنا بمشيئة الله حاضر لمساعدته . . » فإن استطاعت « الرسالة » أن تصدر عددا خاصا بكل قطر من أقطار العروبة ، فستؤدى للأدب الحديث خدمة معدومة النظير والمثيل »[3] .

زكى مبارك والإعلام الصحفى:

وقد توسل « مبارك » بفن الإعلام الصحفى للتأثير فى أفكار الشعب وآرائه ومعتقداته وحمله على سلوك الإخاء والتضامن عن طريق تفسير الأحداث بطرق شتى تحفزهم على تحسين التفاهم ومقاومة الانقسام وفى سبيل تحقيق (وحدة العرب) فى خطته القومية الشاملة حاول أن يكون « التخطيط الإعلامى متشابكا ومتفاعلا مع الخطط الأخرى المكونة للخطة القومية العليا[4] ، ومن ثم فقد آلى على نفسه بمقاومة ما يؤثر فى إرادة الأمة وقدرتها على التآلف القومى ، ومقاومة ما يدمر روحها المعنوية ، ومن ثم فعندما تعالت صيحات مناهضة لفكرة القومية العربية بحجة أنها دعوة رجعية منافية للإنسانية ، وكانت القومية عندهم هى الوقوف عند حدود الوطن واللغة والدين ، فقد تبارى « مبارك » للرد عليهم وإخماد صيحتهم .

وتحت عنوان « بين القومية والإنسانية »[5] :

زكى مبارك والأخوة الإسلامية :

قال : « إن حجتنا هى الصحيحة وهى الأساس لكل إصلاح ، وهى أن تبدأ بنفسك ، والذى يعجز عن إقامة بيت فى القاهرة لا يستطيع إقامة عش فى فيافى اليابان ، وقد حدثناكم ألف مرة أن لمصر قومية عربية توجب عليها أن تنظر بعين الأخوة إلى من يفهم عنها وتفهم عنه ولو كان مسكنه فى الصين ، حدثناكم أيضاً أن مصر لن تصم آذانها عمن يدعوها باسم الأخوة الإسلامية ، ولو كان من سكان المريخ ، (فيافلان) الذى ينفر مصر من العواطف العربية والإسلامية باسم الغيرة على الإنسانية ، مكانك مكانك ، فلن يقبل الله لك عملاً » .

(يتبع)

(١) الدكتور زكى مبارك : الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ٢٤٠ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .
(٤) الدكتور إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال - مرجع سبق - ص ٣١١ - ٣١٦ .
(٥) الرسالة : ١٨ مايو ١٩٤٢ ، الحديث ذو شجون - مرجع سبق - ص ٢٤٠ .

دور العقاد

فى الحياة الأدبية والنقدية

للأستاذ الدكتور:
السيد مرسى أبو ذكرى

تقديم :

عباس محمود العقاد ١٨٨٩ - ١٩٦٤ ، من ألمع الكتاب المعاصرين ، خالط الأوروبيين فى آدابهم وفنونهم وعلومهم وفلسفاتهم ، فأخذ عنهم وأعطى ما استقر فى وجدانه من أصالة ، دون أن يذوب فى عالم التغريب . له العديد من الآثار ، فى مختلف فروع الأدب والعلم والفن ، والفلسفة والاجتماع والتاريخ والدين ، بخلاف الكثير من المقالات الأدبية بمجلات : الهلال والرسالة ، والكتاب والأزهر ومنبر الإسلام . وها هى أهم آثاره .

ابن الرومى : حياته من شعره :

احتل العقاد منزلة سامية فى مجال الدراسات الأدبية ، لما قدم فيها من آثار ، مثل كتابه « ابن الرومى حياته من شعره » الذى قال عنه فى أول سطوره : « هذه ترجمة وليست بترجمة ، لأن الترجمة يغلب أن تكون قصة حياة ، وأما هذه فأحرى بها أن تسمى صورة حياة »[(١)] والكتاب ترجمة وصورة حياة معا .

عنى العقاد فيه بإبراز طبيعة ابن الرومى الغنية المتميزة ، ورد عبقريته الفنية إلى حب الحياة والطبيعة ، وإلى إحساسه العميق ، وخلال حديثه عن فلسفته ، فسر إدراكه الدقيق للحياة منذ صغره ، موضحا أنه ظل ينشد اللذة ، ويهرب من الألم .

وختم دراسته بالحديث عن صناعة ابن الرومى ، وما يتميز به من خصائص فنية ، مؤكدا أن حياته وفنه شىء واحد ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وأنه لم يكن شاعر مواسم ومناسبات .

---

(١) راجع : العدد ٢١٤ من مجلة الهلال الخاص بالعقاد ، الصغدر فى يناير ١٩٦٩ .

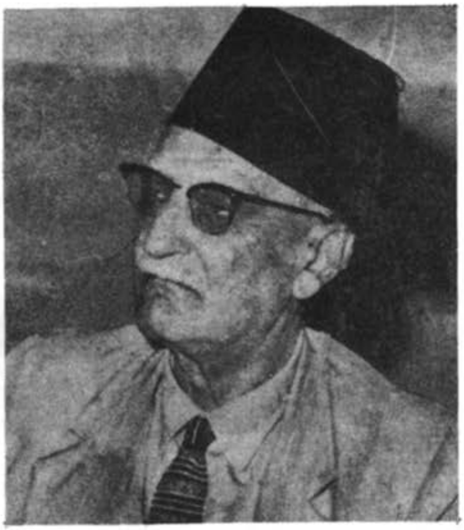

وأنهى الحديث عنه بذكر طائفة من أشعاره تمثل شاعريته فى مختلف جوانبها النفسية .

شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى :

نشره العقاد ١٩٣٧ ، اهتم فيه ببيئات الشعراء وصداها فى أشعارهم ، واعتمد فى ترجماته لهم على سرد الأخبار ، لا على ترتيب السنوات ، ليرسم صورا تبرز ملكاتهم الشعرية . لذا نراه يقدم شاعرا على آخر سبقه فى الزمن ، مثل حافظ إبراهيم الذى قدمه على البارودى ، وعبد الله النديم وغيرهما ، وكشف الدوافع النفسية التى قربت بين حافظ والبارودى ، مثل الجندية ، والصياغة الجزلة ، ورغبتهما فى الثورة ، بجانب اتخاذهما الشيخ المرصفى قدوة فى تذوق الكلام .

وبذا كشف النقاب عن مكانة حافظ فى الشعر المصرى الحديث ، ثم أتبعه بالحديث عن حفنى ناصف، فإسماعيل صبرى ، فمحمد عبد المطلب ، فتوفيق البكرى ، فعبد الله فكرى ، فعبد الله النديم ، فعلى الليثى ، فمحمد عثمان جلال ، فمحمود سامى البارودى ، فعائشة التيمورية ، فأحمد شوقى . وهم الشعراء الذين برزوا على مسرح الحياة الأدبية ، ولا صلة بينهم سوى اللغة العربية أداة القول فيما يجيدون من فنون .

شاعر الغزل :

فى ١٩٤٣ أفرد العقاد كتابا للشاعر المكى عمر ابن أبى ربيعة ، سماه « شاعر الغزل » ضمنه ملامحه من واقع أخباره وعصره وأشعاره ، موضحا أنه ظاهرة أدبية ونفسية فريدة فى أدبنا ، يتميز بهبة الفن وصدق التعبير .

لاحظ العقاد خلو شعره من بيت يدل على سطوة رجل روعه جمال أنثى ، وأبرز أنه إمام مدرسة فى صناعة القصيد ، أحدثتها بيئة الحجاز التى شاع فيها عقد المجالس وتبادل الهوى .

جميل بثينة :

فى ١٩٤٤ قدم العقاد دراسة عن جميل بثينة شاعر البادية العذرى ـ معاصر ابن أبى ربيعة ـ فرد لهذا العذرى إنسانيته المادية ، وكشف عن صدق عشقه لبثينة ، ونفذ منه إلى خلائقه ، حيث لا يخلو الهوى العذرى من نزعات جسدية . . ورأى أن الغزل الحسى هو « التعبير الصادق عن الحب الذى يتناول الغرائز النوعية والطبائع الكونية ، ويفضى للغبطة والمرح والانتشاء .

وخلال حديثه عن مكانة جميل فى صناعة الشعر ، اعترف بإجادته وأستاذيته فيه حتى بعد عصره ، وخلص إلى أن شعره أقوى من شعر ابن أبى ربيعة ، وأنه لا يدنو إليه أحد شعراء عصره .

وفى النهاية سرد بعض أخباره ، وسجل نماذج من شعره .

أبو نواس الحسن بن هانىء :

فى ١٩٥٣ نشر العقاد آخر دراسة أدبية له ، عنوانها « أبو نواس الحسن بن هانىء » دراسة فى التحليل النفسانى والنقد التاريخى . اهتم فيها بالتحليل النفسى لشذوذ أبى نواس وتعليله ، موضحا أن ديوانه يعبر عن دخائل نفسه ، وبواطن حياته .

اتخذ العقاد التحليل النفسى فى تفسير نرجسية أبى نواس ، وما تراكم على شخصيته طوال العصور ، وأرجع نرجسيته إلى مجاهرته بشرب الخمر ، وفجوره وفحشه ، وإباحيته وشذوذه[١] وانتهى إلى أنه لا يعد من الملحدين والمتزندقين ، رغم مافى شعره من إلحاد وزندقة . وليست أشعار الزهد لديه صادرة عن إيمان صحيح ، فى حين نجده فزع إلى الشعر فى لحظات سمت نفسه فيها ، فوقف واعظا وأعلن توبته .

حاول العقاد التخفيف من حدة التفسير النرجسى لشخصيته وطبيعته ، فقال : « ولئن كان حبه مشوبا بشهواته ، لقد كان لمحاسن الدنيا حب مطبوع فى وجدانه وذوقه ، وكان له فى تلك المحاسن وصف يكسو الحياة زينة ، ويصقل ما اخشوشن من شدائدها وأكدارها على نفوس الأحياء »[٢] .

العقاد والعبقريات :

اتجه العقاد لدراسة شخصيات الإسلام ، فترجم لطائفة منهم ، وابتغى منها أن يقتدى الشباب بهم فى دينهم وعروبتهم . والعظماء الذين تحدث عن عبقرياتهم هم : سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، والشيخ محمد عبده ، وترتيبهم حسب تواريخ ظهورها .

عبقرية محمد :

صدرت عبقرية محمد ١٩٤٢ ، وافتتح العقاد كتابه بقوله : « إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بالمقدار الذى يدين به كل إنسان ، ولايدين به المسلم وكفى . . . لأنه قدوة المقتدين فى المناقب التى يتمناها المخلصون لجميع الناس ، عظيم لأنه على خلق عظيم[٣] .

اعتمد العقاد على التاريخ فى تصوير شخصية سيدنا محمد - عليه الصلاة والسلام - الدينية والقدسية ، وتجنب الخوارق التى رافقت ميلاده ، وركز على واقع محمد النبى الداعى ، بكل مافيه من أخلاق وخلق فحقق تبليغ الدعوة بالعقل المدبر ، واللسان الفصيح ، فكانت عبقريته فى شجاعته وحروبه وملكاته ، وفى رحمته وبره ، وعطفه ونزاهته ، حيث حقق أسمى مبادىء

---

(١) النرجسية : نسبة إلى زهرة النرجس النحيل الذى يقضى الدهر مطلا على الماء ، كانما اعجب بجسمه وصورته .

(٢) راجع : خاتمة كتاب « ابو نواس الحسن بن هانىء » للعقاد ، طبعة الأنجلو المصرية بدون تاريخ .

(٣) راجع : عبقرية محمد ص ٨ ، عباس محمود العقاد ، طبعة المكتبة التجارية ببيروت بدون تاريخ .

الخلق الاجتماعى والإنسانى . وبهذه الملكات العظيمة رد العقاد على تخرصات خصوم الإسلام حول تعدد أزواجه ، وحمل السلاح دفاعا عن نفسه ودعوته .

عبقرية عمر :

فى ١٩٤٢ كذلك كانت « عبقرية عمر » اهتم خلالها بشخصية عمر وما تحلى به من مثل عليا ، مما حداه إلى القول فى مقدمة دراسته عنه : « كتابى هذا ليس بسيرة لعمر ، ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ التى تقصد بها الحوادث والأنباء ، ولكنه وصف له ودراسة لأطواره ، ودلالة على خصائص عظمته ، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة »[1] .

رأى العقاد أن عظمة عمر ، تجمع بين القوة والعدل ، والرحمة والحزم ، وتابع درس خصاله وأفعاله . حتى عثر على مفتاح شخصيته الممثلة فى الشجاعة والصراحة ، والغيرة والنخوة ، والنظام والطاعة ، وحب الإنجاز فى حدود التبعات والمسئوليات . وبذا كشف العقاد شخصية عمر بكل أعماله ، وبمختلف علاقاته ، ووجوه عظمته .

عبقرية خالد:

فى ١٩٤٤ كانت « عبقرية خالد » ، صور العقاد فيها ما يتميز خالد به ، من شجاعة وجلد ويقظة فى ميدان القتال ، بجانب حضور بديهته ، وسرعة ملاحظته ، وقوة تأثيره ، ووضع الخطة الدقيقة عند الحاجة . وجعل مفتاح شخصيته ـ طبيعة الجندى ـ هو نفس مفتاح شخصية عمر ، لأنهما جنديان مثاليان ، لكنهما يختلفان فى النفسية والأخلاق ، حيث كان ابن الخطاب جنديا فى أخلاقه الوازعة الحاكمة ، وكان ابن الوليد جنديا فى أخلاقه الدافعة المهاجمة .

عبقرية الإمام :

فى ١٩٤٩ نشر العقاد « عبقرية الإمام » بدأها بالحديث عن الشيم الرفيعة للإمام على بن أبى طالب ، ولم يلبث أن عثر على مفتاح شخصيته ، ممثلا فى آداب الفروسية التى تجمعها كلمة « النخوة » ، وما تحمله من معانى الأنفة والشرف ، لم ينسه أنه « على » قط ، حتى كأنه جزء من فطرته ، ويعيش وفق مبادىء يراعيها ، فى جميع أعماله وعلاقاته ، دون اهتمام بمصلحة شخصية أو إيثار مأرب دنيوى زائل .

عبقرية الصديق :

فى ١٩٥١ نشر العقاد كتابه « عبقرية الصديق » وقرر فيه أن هالة الجلال التى تحيط بأبى بكر ، نشأت من التوقير لا من التجميل الذى يؤول إلى التزييف ، فقال : « . . . فهذا هو التوقير الذى لا يخل بالصورة ، ولا يعاب على المصور ، وليس هو بالتجميل المصطنع الذى يضل الناظر عن الحقيقة . فكل فضيلة أثبتناها لأبى بكر فى هذه الصفحات فهى فضيلة لانزاع فيها ، وكل عمل استطاعه ووصفناه بقدرته ، فقد استطاعه بغير جلال ، وما من عمل لم يعمله قلنا إنه قد عمله ،

(١) راجع : عبقرية عمر ص ٦ ، عباس محمود العقاد ، دار المعارف ١٩٧٦ .

ولا من قدرة لم تظهر منه جعلناها من صنوف قدرته »[1] .

وجسم العقاد مثالية أبى بكر ، فى ألفه وحسن عشرته ، وتواضعه ولينه ومروءته ، وظل يتابع إبراز ملامح الصديق ، حتى اهتدى إلى مفتاحها الدقيق ، وهو الإعجاب بالبطولة ، مما جعله رائد المقتدين بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأول المهتدين به عن إيمان عميق ، ووعى صادق .

محمد عبده :

فى ١٩٦١ نشر العقاد كتابا عن « محمد عبده » ، رسم فيه عبقريته فى الإصلاح والتعليم ، وقدم صورة نفسية له ، استمدها من جهاده فى سبيل الوطن ، وإصلاح الأزهر ، وخدماته التعليمية والاجتماعية ، مع الاستفادة من مذهبه الفلسفى . وبذا نجح العقاد فى رسم عبقرية الأستاذ الإمام ، على غرار عبقرياته السابقة ، من إبراز القدوة تحت أعين الجيل ، حتى ينهجوا نهجه فى حمل أمانة العقيدة ، ويترسموا خطى الحق والخير والجمال ، فى مختلف أعمالهم .

العقاد والشخصيات النادرة :

كما اهتم العقاد بطائفة من الشخصيات النادرة فى تاريخنا ، من أمثال : عمرو بن العاص ، وعثمان بن عفان ، وبلال بن رباح ، ومعاوية بن أبى سفيان . واهتم خلال الحديث عنها بالتحليل النفسى ، الذى قاده إلى الوصول لأحكام صائبة .

إيمان العقاد بالعرب والعروبة ، جعله يكثر الحديث عن المتنبى وأبى العلاء فى مجاميع مقالاته الأولى . وألف كتابه « رجعة أبى العلاء » . واتجه إلى فلاسفة العرب ، فكتب عن ابن سينا باسم « الشيخ الرئيس » ١٩٤٦ ، وعن « ابن رشد » ووضح فى الحديث عنهما أصالة الفكر الفلسفى العربى . واختار من دعاة الإصلاح المحدثين عبد الرحمن الكواكبى ، وسماه « الرحالة : جاك » ونشره ١٩٥٩ ، وضمنه نضال العرب من أجل النزعة التحررية القومية .

والمعروف أن العقاد وقف منذ مطلع حياته الأدبية ، على الفلسفات والآداب والفنون الغربية ، وبعد أن تمثلها أخضعها لسلطان عقله ، مكونا صورا فيها لنفسه ، ظل ينشرها فى مقالاته تارة ، وفى مؤلفاته أخرى .

فكانت كتبه عن « فرنسيس بيكون » ١٩٤٤ مؤسس العلم التجريبى ، عرض فيه عصره وحياته ، وفلسفته ومكانته الأدبية . و « برنارد شو » ١٩٥٠ ، الذى تناول فيه عصره ونشأته ، ومؤلفاته ونظراته فى العلم والفن . وكتابه « بنجامين فرانكلين » ١٩٥٧ الذى ضمنه جوانبه العلمية والأدبية ، والفلسفية والإنسانية . و « التعريف بشكسبير » ١٩٥٨ الذى سجل فيه أحداث عصره بجانب حياته وشخصيته وفنه ومسرحياته وشعره ومنزلته العالمية . وتحدث فى كتابه « شاعر أندلسى وجائزة عالمية » ١٩٦٠ ، عن الأدب الأسبانى والشاعر المعاصر « خيمنيز » وكتابه عن حماره « بلاتيرو » وتأملاته معه فى مظاهر الحياة .

(١) راجع : عبقرية الصديق ص ٩ ـ ١٠ عباس محمود العقاد ، المطبعة العصرية ببيروت بدون تاريخ .

متفرقات من آثاره :

بجانب ما ذكرناه توجد للعقاد متفرقات من آثاره الخالدة ، مثل : « عالم السدود والقيود » الذى ضمنه مشاعره ومشاهداته فى عالم السجون والمعتقلات لمدة تسعة شهور ، مع وصف بارع لبعض منها ، حيث يقول :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر
فها أنا فى ساحة الخلد أولد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما
سيعهدنى كل كما كان يعهد

ومنها « جحا الضاحك المضحك » ١٩٥٦ الذى تحدث فيه عن فلسفة الضحك والفكاهة ، وجحا ونوادره . ومنها « رجال عرفتهم » ١٩٦٣ الذى حفل بتعليقات متفرقة على سيرة نفر من الأعلام الذين برزوا فى الثلث الأول من القرن الحالى . والكتاب حافل بالمعلومات التى توضح صلات العقاد بهم .

توجيه العقاد للحياة الأدبية والنقدية :

بهذا كان للعقاد دوره فى توجيه الحياة الأدبية والنقدية المعاصرة ، بما خلف من آثار أدبية ، توضح منهجه النقدى وآراءه فى الأدب والفنون ، حدد محمد خليفة التونسى ١٩١٥ ـ ١٩٨٨ منهج العقاد فى الدراسة الأدبية ، فقال : « إن هذا المنهج قائم على مايؤمن به العقاد من أدب الأديب . . . إنما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته الباطنية ، وأن عمل الناقد هو البحث عن الأديب فى أدبه ، واستخراج صورته النفسية من هذا الأدب ، إذ أن الشاعر الذى لا تعرفه بشعره لا يستحق أن يعرف ، وهذا هو المنهج الذى استخدمه العقاد فى دراسته عن ابن الرومى ، كما يشهد باسم كتابه نفسه وهو « ابن الرومى حياته من شعره » على حين نرى الدكتور طه حسين لا يهتم بالشاعر وحياته ، إلا بالقدر اللازم لفهم شعره ، وتذوقه على نحو ما فعل فى كتابه « مع المتنبى »[(1)] .

والعقاد فى دراسته الأدبية ، يعتمد على التعليل والتفسير ، ونراه يؤثر الشعراء الذين ينطبق عليهم منهجه الأدبى ، وفلسفته المتصلة بالحياة . ولذا اختار أبا نواس وابن الرومى ، والمتنبى وأبا العلاء ، حيث يتميزون بوضوح شخصياتهم فى شعرهم ، ولم يخرج واحد منهم عن إطار عمود الشعر وقوالبه الأصيلة .

والحمد لله أولا وآخرا

(١) راجع : فصول من النقد عند العقاد ص ٥٦ وما بعدها ، محمد خليفة التونسى ، الكويت بدون تاريخ .

الطريق إلى فهم الإسلام

للأستاذ: محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم الأستاذ:

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جاء الإسلام وخفقت أعلامه فى كل مكان، وانطلق هداته ودعاته فى كل قطر، يبشرون الإنسانية بهدى الله، ويحررون العقول من جمود التقليد والجهل والخرافات؛ ويبطلون ما تعارفت عليه الأجيال من آراء زائفه، وأفكار باطلة، وتقاليد ضالة.

فليس الحاكم ظل الله فى الأرض، وليست هناك وصاية على أمة، ولا حجر على جماعة؛ العدالة والإنصاف والمساواة والإخاء والحرية حق لكل إنسان فى الحياة، وحتى نستطيع أن نفهم الإسلام فهما صحيحا، لابد أولا وقبل كل شىء أن يكون هناك تجاوب قلبى وعقلى بيننا وبينه، وننتقل نحن بقلوبنا وعقولنا ونفوسنا إلى بيئته الأولى فنحبها ونعيش فيها، وهذا أمر ميسور ولا يحتاج إلا أن نريد ونعزم، وأن نجد المتعة والارتياح فى هذه الإرادة وهذا العزم.

وللمزيد من الطريق إلى فهم الإسلام فهما صحيحا يقول الكاتب ـ رحمه الله ـ

تلقت المجلة فى هذا الشهر رسالة من « شاب مسلم مثقف » يذكر فيها أنه يريد أن يفهم دينه فهما صحيحا ، غير أنه فى حيرة من أمره فى اختيار الكتب التى تعينه على هذا الفهم . ويقترح علينا أن نفتح بابا فى « مجلة الأزهر » بعنوان « مكتبة المسلم » نذكر فيه الكتب القيمة التى يجب أن يقتنيها المسلم ، مع توجيهات فى هذا الموضوع .

والمسألة ـ أيها الشاب المسلم المثقف ـ ليست مسألة الكتب التى تقتنى ، فالكتب أكثر من أن تحصى فى مجلة ، والذين يقتنون الكتب يتفاوتون فيما يحتاجون إليه منها . ولقد شرح الله صدرى للتحدث معك فى هذا الموضوع ، لأن هذا الدور مر على كثيرين من شباب الإسلام ، ولعلى كنت واحداً منهم ، وقد تبين لى أن فهم الإسلام كما يتوقف على جودة الكتب التى يرجع إليها المسلم فى فهم دينه ، يتوقف كذلك ـ بل قبل ذلك ـ على التجاوب القلبى والعقلى بين الإسلام والمسلم . فأول ما أنصح لك به أن تعد نفسك ـ أولا ـ لهذا التجاوب ، وأن تكون لك نظرة إجمالية صائبة إلى الإسلام فى جملته تدمجك فى بيئته الأولى ، وبدلا من أن تنقل (العلم) بالإسلام من الكتب إلى عقلك وقلبك ونفسك ، تنتقل أنت بعقلك وقلبك ونفسك إلى بيئة الإسلام الأولى : فتحبه وتحبها ، وتعيش فى جوه وجوها ، وتتحرى (العمل) بما تدفعك هذه المحبة إلى (العلم) به من رسالة الإسلام وسيرة أهله الأولين ، فالعلم بذلك ـ مهما قل ـ فهو كثير إذا كان الغرض منه العمل به ، والتخلق بما يهدى إليه من أخلاق ، والتطبع بما يرشد إليه من سجايا ، والاستنارة بما يدل عليه من سنن ، حتى تكون منه فى طريق أهله الأولين كأنك واحد منهم . ولم لا ؟ وهذا أمر ميسور لك ، ولا يتوقف إلا على أن تريد وتعزم وأن تجد المتعة والارتياح فى هذه الإرادة وهذا العزم .

إن القرآن ـ كتاب الله ـ هو المرجع الأول للمسلم فى فهم الإسلام ، وكانت طريقة الصحابة فى تعليمه لتلاميذهم من التابعين أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات أو نحوها لم يجاوزوها إلى غيرها حتى ينتهوا من حفظها ، ويقيموا ألسنتهم بعربيتها ، ويحسنوا تلاوتها ، ويعرفوا مافيها من أحكام ، وأخلاق ، وتوجيه اجتماعى . ثم أن (يعملوا) بذلك فى أنفسهم ، وفيما لهم عليه سلطان من بيئتهم .

وقد فهمنا ذلك مما رواه أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمى تلميذ أميرى المؤمنين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأضرابهما من علماء الصحابة كعبد الله ابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبى بن كعب .

فالعلم بالقرآن كان للعمل به ، ولولا ذلك لكان القرآن حجة على من يتلوه ، ورب تال يلعنه القرآن .

وإذا اخترت لنفسك عشر آيات من القرآن وأردت أن تدرسها على طريقة الصحابة والتابعين فاذهب إلى تفسيرها فى (جامع البيان) لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ،

فإنه سيستعرض لك مذاهب الصحابة والتابعين وأهل القرون الثلاثة الأولى فيما فهموه من هذه الآيات ، وقد تظن فى مذاهبهم الكثيرة معنى الاختلاف ، وما هو من الاختلاف فى شىء ، لأنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد . وإن مثل القرآن فى هدايته كمثل الشمس فى إنارتها ، فهى تنير بما

لا يحصى من أشعتها المرسلة إلى دنيانا من جميع أطرافها : فكلها نور ، كما أن مفهوم القرآن كله هداية ، ولذلك كان رسالة الله العامة إلى الإنسانية فى كل زمان ومكان ، وإذا أردت المزيد فاذهب إلى تفسير هذه الآيات العشر نفسها فى (الجامع لأحكام القرآن) لأبى عبد الله القرطبى الأنصارى . واقرأ مع ذلك تفسيرهن فى تفسير الحافظ ابن كثير واختم دراستك إن شئت بما ورد عن تفسير تلك الآيات فى تفسير المنار ، فهو تفسير عصرى جيد جامع لكثير من المزايا وستخرج بعد ذلك

بعلم نافع إن شاء الله . ولن يكون نافعا إلا إذا عملت بما علمت منه كما كان يصنع الصحابة والتابعون والتابعون لهم بإحسان ولا تستكثر على هذه الآيات العشر أن تقرأ لها كل هذه الكتب ، وأن تمضى فى تدبرها كل هذا الوقت ، فإن القرآن أنزله الله لذلك :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾
(ص : ٢٩)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾
(النساء : ٨٢)

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾
(المؤمنون : ٦٨)

قال أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكى : عرضت المصحف على ابن عباس ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها .

وروى مالك بن أنس أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب أقام على حفظ سورة البقرة عدة سنين ، قيل ثمانى سنين . فالرعيل الأول من المسلمين كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه .

وألذ طريقة لفهم الإسلام فى بيئته الأولى تتبع تراجم الصحابة من كتبها : كالإصابة للحافظ ابن حجر ، وأسد الغابة لابن الأثير ،

والاستيعاب لابن عبد البر ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الإسلام للذهبى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر . وقد نفعنى الله كثيرا بدراسة حياة الصحابى الواحد من أمثال هذه الكتب ، فأرتب أخباره بحسب تسلسلها التاريخى من بدء حياته إلى نهايتها . وإذا عرض لى فى هذه الأخبار اسم بلد ذهبت إلى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فتصورت منها موقع ذلك البلد وحالته كأنى ساكن فيه ، وإذا وقفت فى حياة ذلك الصحابى على ذكر واقعة من وقائع التاريخ رجعت فى تفاصيلها إلى تاريخ أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى وأمثاله ، وإذا وقعت للصحابى أحداث أو أحاديث مع شخصيات أخرى معاصرة له أبادر إلى معرفتها من مظانها حتى أكون كأنى معها فى أوطانها وميادين نشاطها . وهكذا كنت كأنى أرى ما يفعل هؤلاء البررة الأخيار ، وأسمع ما يقولون ،

وأراقب نشاطهم ، وأصغى إلى أمانيهم ، وأتألم لآلامهم ، وأتعلم ما تعلموه من معلم الناس الخير - ﷺ - وقد أتوسع فى ذلك فأذهب إلى مسند الإمام أحمد فأتدبر ما رواه التابعون عن هذا الصحابى من سنة رسول الله - ﷺ - وبذلك أعيش مع الإسلام فى بيئته الأولى كما كان يعيش فيها رجاله الأولون ، وما أسهل ذلك وألذه وأنفعه . ولولا التجاوب العقلى والقلبى بين المسلم والإسلام فى بيئته الأولى لكنا محرومين لذة العيش مع أهل الصدر الأول ، وكنا نكون تائهين فى بنيات الطريق ، منحرفين عن الطريق الأعظم الذى بعث الله به خاتم رسله بأكمل رسالاته .

كما أن الإنسان عدو ما جهل فإنه صديق ما يعلم ، وحرصنا على معرفة الصحابة كأننا معاصرون لهم وسائرون فى قافلتهم ، يغرس محبتهم فى قلوبنا ، ويجعلنا على طريقتهم فى الدين والمعرفة والأخلاق والأهداف ، ومتى تم لك ذلك أيها الشاب المسلم المثقف فإنك لن

تحتاج إلىّ ولا إلى « مجلة الأزهر » فى أن تدلك على الكتب التى يجب أن تقتنيها ، بل ستعرف ذلك من نفسك ، وستعرف أئمة الإسلام الذين يدلونك على الإسلام ، وستعرف قيمة مؤلفاتهم وعلومهم وتوجيهاتهم . واعلم أن كل

ما تستطيع أن تأخذه عن إمام قديم من الموثوق بعلمهم ودينهم ، فذلك خير لك من أن تأخذه عمن بعده ، لأن الماء كلما قرب من ينابيعه الأولى كان أصفى وأطهر وأروى . ومع ذلك فإن من الأمثال التى تتداولها ألسنة العلماء قولهم « لا يغنى كتاب عن كتاب » . فطالب العلم بعد أن يعرف معالم الطريق الذى هداه الله إليه ، وبعد أن تملأ محبة الإسلام وأهله الأولين شغاف قلبه ، فإنه لن يضره أن يقرأ كل

شيء ، وأن يطلع على كل كتاب ، وأن يعرف مذهب كل صاحب مذهب . ولولا أنى كنت أقتنى كتب البهائية ـ وهى أحدث ما وقع للبشر من كفر وضلال ـ ما استطعت أن أعرف قرائى بهذا الكفر والضلال ليتقوا شره ويجتنبوا مخادعة دعاته . غير أن ذلك لا يجوز إلا بعد أن يعرف الشاب المسلم المثقف معالم إسلامه ليستطيع الرجوع إليها ويلجأ فى دينه إلى قلاعها . ولذلك كان أول ما يجب أن يبدأ به الشاب المسلم المثقف أن يحب الإسلام وبيئته الأولى والصدر الأول من دعاته وهداته ومجاهديه حتى كأنه يعيش معهم ، وبذلك يتم له الأنس بما أكرمهم الله به من إقامة الحق وتعميم الخير والتعاون عليه ، فيكون ذلك خلقا من أخلاقه كما كان خلقا من أخلاقهم ،

ويعرف به دين الله الذى اختاره لخير أمة أخرجت للناس ، ويوشك أن يكرمه الله بأن يجعله منهم ، وأن يكثر فى هذا الجيل من

أمثاله فيكون ذلك بداية للبعث الإسلامى المرتجى ، وما ذلك على الله بعزيز .

المجلد السادس والعشرون رمضان ١٣٧٤ هـ
أبريل ١٩٥٥ م

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سأل رجل رسول ﷺ : أى المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده ! رواه مسلم

وعن جابر قال : « سمعت النبى ﷺ يقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » . رواه مسلم

وعن أبى موسى قال : قلت : « يارسول الله أى الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » . رواه مسلم

الجديد في العلم والتقنية

للدكتورة : نجوى السيد أحمد (*)

أصغر قمر صناعى عالمى :

يقوم أحد المراكز الفرنسية للدراسات الفضائية ببناء أصغر قمر صناعى عالمى ولن يخضع لأية دولة من دول العالم ، وسوف يتم إطلاقه مع بداية القرن الواحد والعشرين ، ويظل فى الفضاء فترة تمتد إلى عدة قرون قادمة ، وسيحمل صورا ومعلومات ورسائل عن كل ما يتعلق بالحضارة البشرية الماضية ، وذلك بهدف تعريف الحضارات البشرية المقبلة على تاريخ الأجيال التى سبقتها ، وسيكون هذا القمر الصناعى مستقلا ويدور بشكل ذاتى دون أى تدخل أو تحكم خارجى .

رصد تفاصيل تحرك مفاجىء للطاقة داخل الشمس :

ذكرت وكالة الفضاء الأمريكية أن مركبة الاستكشاف الأمريكية المخصصة لدراسة الطبقات العليا لفضاء الشمس نقلت صورها الأولى التى تكشف عن تفاصيل تحرك مفاجىء للطاقة داخل الشمس ناجم عن تصادم بين إعصارين مغناطيسيين حيث تنتج كميات هائلة من الطاقة تتسبب فى ثوران شمسى يمكن أن يؤثر فى الاتصالات عبر الأقمار الصناعية ويلحق أضرارا فى الأنظمة الكهربائية للمركبات الفضائية وفى بعض المنشآت الأرضية .

جهاز لفحص العدسات اللاصقة :

أنتجت شركة أوروبية فى مجال صناعة الأجهزة الطبية جهازا يختبر أسطح العدسات اللاصقة ومدى قوتها وصلاحيتها ، الجهاز يقوم بتكبير المنظر الذى يظهر من خلال العدسة ثم يعكسه على شاشة مما يؤدى إلى سهولة فحص العدسات بواسطة طبيب العيون ومعرفه سبب العطب بالعدسة سواء أكان مرجعه إلى سوء استخدام أو أن العدسة تحتاج إلى تنظيفها .

(*) استاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى .

سيارة إليكترونية حديثة :

وضعت شركة ألمانية لصناعة السيارات تصميما لسيارة القرن القادم ، حيث تم الاستغناء عن عجلة القيادة والدواسة ويتم تشغيلها ببطاقة ممغنطة ، وتنطلق السيارة إلى اليمين أو الشمال وإلى الخلف والأمام ويمكن تقليل سرعتها أو زيادتها بواسطة الضغط على مفاتيح جهاز إلكترونى صغير خاص بالسيارة .

ماكينة لعلاج تصدعات الطرق :

صممت شركة فرنسية ماكينة حديثة للقضاء على تصدعات الطرق ، حيث تقوم بحفر شقوق عرضية على مسافات متساوية ومدروسة بطول الطريق ، وأثناء الحفر تقوم الماكينة بحقن هذه الشقوق بتركيبة من القار لإغلاق الشقوق نتيجة تماسكها السريع وصلابتها مما يؤدى إلى تقوية وتدعيم الطريق .

مخلفات الرماد لإنتاج زجاج البازلت :

تجرى مجموعة من العلماء الفرنسيين تجاربها لاختبار عدد من الابتكارات الجديدة فى مجال تحويل الرماد المتطاير عند حرق مخلفات الاستهلاك والصناعة إلى زجاج البازلت للحفاظ على البيئة من التلوث ، ويعتمد هذا الأسلوب على تسخين الرماد المتطاير إلى درجات حرارة عالية فتنتج عنه صخور صلبة تشبه البازلت .

جهاز تصوير لإنزيمات المخ :

ابتكر العلماء اليابانيون جهاز تصوير حديثا نجح فى تصوير إنزيمات المخ للكشف عن مرض « الزهايمر » . والجهاز تمت تجربته على عدد من المرضى ونجح فى التقاط صورة لإنزيمات المخ يمكن تحليلها بالحاسب الآلى ، حيث ثبت أن انخفاض هذه الإنزيمات يعتبر مؤشرا للإصابة بمرض « الزهايمر » .

طريقة جديدة لعلاج السرطان :

تجرى مجموعة من العلماء البريطانيين أبحاثا عديدة لإيجاد طرق جديدة لوقف انتشار مرض السرطان عن طريق إعطاء المريض مادة كيميائية غير ضارة تجعل الخلية السرطانية تنتج إشارة كيميائية تساعد جهاز المناعة فى الجسم على ملاحظة وجودها ، فيعمل الجهاز المناعى عندئذ على رفضها والقضاء عليها فى الجسم .

الاستفادة من الفوارغ الزجاجية والبلاستيكية :

تم إنشاء عدد من المصانع فى اليابان للاستفادة من الفوارغ الزجاجية والبلاستيكية وإعادة تصنيعها واستخدامها فى منتجات جديدة مثل : إنتاج الملابس والخيام وبدل عرق يجرى تسويقها فى اليابان ، وتصنيع مادة عازلة للصوت ، أيضاً تم استخدام هذه الفوارغ فى صناعة الأحذية الخفيفة ، والورق المقوى وكأوعية لمواد التنظيف .

١ المناظر

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

إذا كان العلماء يكرمون عادة بنسبة آراء أو نظريات علمية إليهم ، فإن الحسن بن الهيثم ينسب إليه علم بأكمله هو علم « البصريات الهندسية » Geometrical Optics وهو أحد فروع علم الفيزياء الذى يعنى بدراسة نظرية الضوء وخواصه وظواهره وتطبيقاته بما فيها الأجهزة البصرية بمختلف أنواعها . ولقد استطاع ابن الهيثم أن يحيط بكل ماتفرق من أبحاث السابقين فى هذا المجال ويضيف إليها أبحاثا جديدة جمع معظمها فى كتابه « المناظر » الذى نهل منه علماء الغرب ، ولا يزال المتصفون يشيرون إليه بالبنان كلما تحدثوا عن علم البصريات أوصنفوا فيه الكتب والمراجع .

مؤلف المناظر

هو أبو علي الحسن بن الهيثم (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م - ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م) أحد عباقرة الحضارة الإسلامية الذين أسهموا فى دفع مسيرة العلم والتقنية وخلفوا مؤلفات كثيرة فى مختلف فروع المعرفة ، منها بعض الشروح على كتب المتقدمين أو تلخيصات لها ، ومنها ما يعتبر ابتكاراً أصيلا غير مسبوق .

ولد ابن الهيثم فى البصرة ، وعمل كاتبا لبعض ولاتها ، ولكن العمل فى الدولة لم يشاكل طبعه فآثر الانقطاع إلى الاستزادة من العلم وإلى

التأليف ، وكان كثير الأسفار : زار الأهواز تكسبا وزار بغداد مرارا . اشتهر بمعرفة العلوم والفلسفة وبرع فى الهندسة قبل أن يجاوز الشباب حتى لقب بالمهندس . يؤثر عنه قوله : لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته ، أى فى السيطرة على تصريف مياه الفيضان . وبلغ ذلك إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى تولى الحكم فى مصر سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦ م) فاستقدم ابن الهيثم وأكرمه ثم عهد إليه بتنفيذ ما كان يقوله . ودرس ابن الهيثم مجرى النيل حتى وصل إلى أسوان فوجد أن المصريين القدماء قد قاموا بكل ما كان هو يفكر به ، وعلى نمط أتم ، فاعتذر إلى الحاكم بخطئه فى التقدير ، فعذره الحاكم ثم استمر فى إكرامه . وكانت وفاة ابن الهيثم فى مصر سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٩ م) أو بعدها بقليل .

محتويات كتاب المناظر:

كتاب المناظر لابن الهيثم من أكثر الكتب التراثية استيفاء لبحوث الضوء ، بل إنه لا يقل مادة وتبويبا عن الكتب الحديثة ، إن لم يفق بعضها . وقد أوضح المؤلف منهجه وغايته من تأليف الكتاب بقوله :

« إن المتقدمين من أهل النظر قد أنعموا البحث عن كيفية إحساس البصر وأعملوا فيه أفكارهم وبذلوا فيه اجتهادهم ، ثم انتهوا منه إلى الحد الذى وصل النظر إليه ، ووقفوا منه على ما وقفهم البحث والتمييز عليه ، ومع هذه الحال فآراؤهم فى حقيقة الإبصار مختلفة ، ومذاهبهم فى هيئة الإحساس غير متفقة . فالحيرة غير متوجهة ، واليقين متعذر ، والمطلوب غير موثوق بالوصول إليه . وما أوسع العذر مع جميع ذلك فى التباس الحق ، وأوضح الحجة فى تعذر اليقين ، فالحقائق غامضة والغايات خفية والشبهات كثيرة والأفهام كدرة والمقاييس مختلفة ، والمقدمات ملتقطة من الحواس ، والحواس - التى هى العدة - غير مأمونة الغلط . فطريق النظر معفى الأثر ، والمجتهد غير معصوم من الزلل . ولذلك تكثر الحيرة عند المباحث اللطيفة وتتشتت الآراء وتتفرق الظنون وتختلف النتائج ويتعذر اليقين .

ثم يقول : « وقد بحث المحققون للعلوم الطبيعية بحسب صناعتهم فاستقرت آراء المحصلين منهم على أن الإبصار إنما يكون من صورة ترد من المبصر إلى البصر ومنها يدرك البصر صورة المبصر . أما أصحاب التعاليم فإنهم متفقون بالجملة على أن الإبصار إنما يكون بشعاع يخرج من البصر إلى المبصر . . . وهذان المعنيان - أعنى رأى أصحاب الطبيعة ورأى أصحاب التعاليم - متباعدان إذا أخذا على ظاهرهما . . . ولما كان ذلك كذلك . . رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى » ، يقصد تأليف كتاب المناظر .

ويواصل ابن الهيثم شرح منهجه فى بحث القضايا التى عرض لدراستها بقوله : « . . . رأينا أن نصرف الاهتمام إلى هذا المعنى بغاية الإمكان ، ونخلص العناية به ونوقع الجد فى البحث عن حقيقته ونستأنف النظر فى مبادئه ومقدماته ، ونبتدىء باستقراء الموجودات ، وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط

باستقراء مايخص البصر فى حال الإبصار، وما هو مطرد لا يتغير، وظاهر لا يشتبه من كيفية الإحساس .. ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننقده طلب الحق لا الميل مع الآراء .. فلعلنا ننتهى بهذه الطريق إلى الحق الذى به يثلج الصدر، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التى عندها يقع اليقين، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف وتنحسم بها مواد الشبهات .. وما نحن، من جميع ذلك، براء مما هو فى طبيعة الإنسان من كدر البشرية، ولكننا نجتهد بقدر مالنا من القوة الإنسانية، ومن الله نستمد العون فى جميع الأمور ..

ويوضح هذا النص بما لا يدع مجالا للشك أن القواعد العامة التى وضعها ابن الهيثم لمنهج الاستقراء تتميز عن قواعد المنهج الذى وضعه « فرنسيس بيكون » بعد ذلك بعدة قرون، بأنها ليست مجموعة من التعليمات والإرشادات التى تلتزم ترتيبا محددا لا ينبغى تجاوزه، مما يضفى عليها قدرا كافيا من المرونة يحول دون جمودها أمام حركة العلم وتطوره. كذلك تعكس عبارات ابن الهيثم كثيرا من خصائص العلم التجريبى ومقومات نجاح البحث العلمى التى افتقدها كل من « المنطق الأرسطى » و « المنهج البيكونى »، وتوضح المقارنة أن التجريبية كانت خطوة مقصودة فى أسلوب البحث العلمى عند علماء الحضارة الإسلامية.

ويقع كتاب المناظر فى سبع مقالات جعلها ابن الهيثم فصولا على النحو التالى :

المقالة الأولى : فى كيفية الإبصار بالجملة، وهى ثمانية فصول : الأول صدر الكتاب، والثانى فى البحث عن خواص البصر، والثالث فى البحث عن خواص الأضواء، وعن كيفية إشراق الأضواء، والرابع فيما يعرض بين البصر والضوء، والخامس فى هيئة البصر والسادس فى كيفية الإبصار، والسابع فى منافع آلات البصر، والثامن فى علل المعانى التى لا يتم الإبصار إلا بها وباجتماعها.

المقالة الثانية : فى تفصيل المعانى التى يدركها البصر وعللها وكيفية إدراكها، وهى أربعة فصول : الأول صدر المقالة، والثانى فى تمييز خطوط الشعاع، والثالث فى كيفية إدراك كل واحد من المعانى الجزئية التى تدرك بحاسة البصر، والرابع فى تمييز إدراك البصر للمبصرات.

المقالة الثالثة : فى أغلاط البصر فى ما يدركه على استقامة، وعللها، وهى سبعة فصول :

الأول صدر المقالة، والثانى فى تبين ما يجب تقديمه على الكلام فى أغلاط البصر، والثالث فى العلل التى من أجلها يعرض الغلط للبصر، والرابع فى تمييز أغلاط البصر، والخامس فى كيفية أغلاط البصر التى تكون بمجرد الحس، والسادس فى كيفية أغلاط البصر التى تكون فى المعرفة، والسابع فى كيفية أغلاط البصر التى تكون فى القياس.

المقالة الرابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الصقيلة ، وهى خمسة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى صور المبصرات التى تنعكس عن الأجسام الصقيلة ، والثالث فى كيفية انعكاس الصور عن الأجسام الصقيلة ، والرابع فى ما يدركه البصر فى الأجسام الصقيلة وهو إدراك بالانعكاس ، والخامس فى كيفية إدراك البصر للمبصرات بالانعكاس .

المقالة الخامسة : فى مواضع الخيالات ، وهى الصور التى ترى فى الأجسام الصقيلة ، وهى فصلان : الأول صدر المقالة ، والثانى فى القول فى الخيال .

المقالة السادسة : فى أغلاط البصر فى ما يدركه بالانعكاس ، وعللها ، وهى تسعة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى أغلاط البصر التى تعرض من أجل الانعكاس ، والثالث فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المسطحة ، والرابع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الكروية المحدبة ، والخامس فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الأسطوانية المحدبة ، والسادس فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المخروطية المحدبة ، والسابع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الكروية المقعرة ، والثامن فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا الأسطوانية والتاسع فى أغلاط البصر التى تعرض فى المرايا المخروطية المقعرة .

المقالة السابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء . وهى سبعة فصول : الأول صدر المقالة ، والثانى فى أن الضوء ينفذ فى الأجسام المشفة على سموت خطوط مستقيمة وينعطف إذا صادف جسماً مخالف الشفيف لشفيف الجسم الذى هو فيه ، والثالث فى كيفية انعطاف الأضواء فى الأجسام المشفة ، والرابع فى أن ما يدركها البصر من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الجسم الذين فيه البصر إذا كان مائلا عن الأعمدة القائمة على سطوحها هو إدراك بالانعطاف ، والخامس فى الخيال ، والسادس فى كيفية إدراك البصر للمبصرات بالانعطاف ، والسابع فى أغلاط البصر التى تعرض من أجل الانعطاف .

وكما هو واضح من عرض محتويات كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، فإنه يتعرض بالتفصيل لكل الموضوعات التى يعنى بها اليوم علم « البصريات الهندسية » . بل إنه تحدث لأول مرة فى تاريخ العلوم عن فلسفة علم المناظر (البصريات) وعلاقته بالعلوم الأخرى . ويمكن لأى باحث مدقق أن يتناول نصوص كتاب « المناظر » بالتحليل والاستقصاء ، فيخلص منها بنتائج هامة تؤكد سبق الحسن بن الهيثم إلى وضع القواعد المنهجية لعلم جديد مارسه بحثا وتأليفاً وتطبيقا . كذلك يمكن التعرف بسهولة على سمات العقلية العلمية الإسلامية ذات الحس النقدى السليم والقادرة على بلوغ الحكم الصائب بالاستقراء والاستنباط فى كنف عقيدة إسلامية راسخة تستمد من الله العون فى جميع الأمور ، وتتحرى طلب الحق فى سائر ما تميزه وتنتقده ، وتنشد استعمال العدل فى كل ما تستقرئه وتتصفحه . ■

كلام خفيف

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

مهما كان الكلام حول هذه المخلوقات رقيق العبارات ، جميل الأسلوب ، فستجد من الناس من يحس فيه غير ذلك ، فهذه الكائنات مدرجة - شئنا أم أبينا - على قائمة أعداء الإنسان ، بل إن بعض الحيوانات كالقردة حديثة الولادة ، سرعان ما تتقوقع على نفسها ، إن رأت صورة أى من تلك الكائنات .

ومع هذا كله فهل هناك أحد من الآدميين يحمل للثعابين قدرا من المحبة والود ؟ بالطبع يوجد ذلك الإنسان ، إنه (هارى جرين) أستاذ البيولوجيا بجامعة (كاليفورنيا) ، وهو فى العقد السادس من العمر ، ويؤمن إيمانا جازما بأن تلك الكائنات طالما أُسِيء إليها ، وظُنَّ بها السوء ، ومن ثم فقد كرس حياته لشن حرب لا هوادة فيها على ما أسماه (الأوفيديوفوبيا) أى الخوف من الثعابين ، وهو أمر لم يعتده بسهولة .

ويؤكد العالم الكبير أن الثعابين تستحق سمعة أفضل من ذلك ، فقد أولع باقتنائها ، وجمعها منذ كان فى السابعة من عمره ، وذلك فى المناطق الريفية بولاية (تكساس) ، وهو يرى أن هذه المخلوقات ليست مجرد حيوانات ذات أسنان متشعبة وأنياب فتاكة ، ولكنها حيوانات لولبية المشية ، لها أنياب إبرية تختفى تحت الجلد ، وتخرج من السم الزعاف ما تستطيع به فى لدغة واحدة أن تقتل مائتى ألف من الجرذان .

ويرى الأستاذ (هارى) أن لهذه المخلوقات ميزتين عظيمتين ، لم ينتبه لهما كثير من العلماء .

الأولى : ميزة تشريحية حيوية .

والثانية : وهى لا تقل أهمية ما تمتاز به من مناظر خلابة ، وتركيب جمالى ذى آيات معجزة باهرة .

وقد أوضحت دراساته العميقة السبب فيما يقول ، حيث يرى أن الثعابين تمثل ألغازا وأسرارا تحدى بها الخالق - عز وجل - وهى توحى للمرء بالتفكر والتدبر كما أوضح ذلك فى كتابه المعنون بـ (الثعابين . . تطور السر الغامض) الصادر عن جامعة (كاليفورنيا) .

والكتاب ينطوى على فائدة مؤداها الحفاظ على هذه المخلوقات النادرة ، يقول المؤلف : « إنه بدلا من الانخراط فى صيد الثعابين والإسراف فى ذلك إلى حد يؤدى بهذه المخلوقات إلى حافة الانقراض

ـ تقريبا ـ كما هو الحال فى كثير من أنواعها ، فإن علينا اعتبارها مخلوقات جديرة بالاحترام ، ومؤهلة لأن تعيش بيننا لما لها من فوائد جمة » ويتحقق ذلك بخطوات منها ما قدمه المؤلف بقوله : « إن علينا أن نحد ونقلل من ولعنا الطبيعى بالحيوانات ذات الفراء ، وشغفنا بالأخرى ذات الريش ، ومن ثم نعطى شيئا من الأهمية والتقدير للثعابين ، ولجمالها المتفرد ، وغموضها الذى لا يضاهى وما حظيت به دون سواها من قدرة فائقة تركزت فى حاسة الشم ، والجسم اللدن والمرن ذى الألوان الزاهية والأخاذة ، وما أُترعت به أجسام هذه المخلوقات من سم قاتل فتاك ، وترياق غريب يمكن أن يكون نموذجا لعقاقير مستقبلية عجيبة .

ويشرح (جرين) وجهة نظره وهو ينتزع بيده أحد الثعابين الذى بلغ طوله أكثر من ياردة ، وينتزعه من قفصه وهو يقول لأحد المشاهدين فى لهجة مهذبة : المس جلد هذا الثعبان ! أو مر بيدك على جسمه ! إنها مخلوقات تمثل مقطوعات من الفن الجميل المبدع » .

ويتولى العالم بنفسه إرشاد الزائرين الذين تملكهم الشك وسيطر عليهم الخوف ، وهم يرون هذه الكائنات خلف الأبواب ذات الأرتاج المزدوجة لحجرات الثعابين السامة بمتحف (بركلى) فى حديقة الحيوانات الفقارية التى يعمل فيها السيد (جرين) مشرفا على قسم الزواحف .

وأعظم إنجازات الثعابين فى رأى العالم الكبير قدرتها على التكيف مع شتى البيئات المختلفة التى استوطنتها .

والثعابين ـ كحيوانات القرش تماما بتمام ـ نالها من الذم والحيف ما نالها لكن كان لها القدرة على ولوج المكامن البيئية البكر ، إذا استثنينا من ذلك المناطق القطبية ، إذ لم تترك الثعابين مكانا لم يطأه الإنسان إلا وطئته ، بدءا بالغابات المطيرة ومرورا بالصحارى وانتهاء بالبحار ، وتنحدر الثعابين من جنس السحالى عديمة الأطراف والتى عاشت فى عصر الديناصورات منذ أكثر من ٩٠ مليون سنة ، وتربو أصناف الثعابين على ٢٧٠٠ نوع تتراوح فى أحجامها وأطوالها بين ثعابين الخيوط الأفريقية التى لا يزيد طول الواحد منها على طول القلم الرصاص ، حتى تصل إلى الثعابين العملاقة ، المعروفة بالأفاعى ، والتى يبلغ طول الواحد منها عشرين قدما ، وهى مهولة الضخامة لدرجة تمكنها من ابتلاع أى إنسان ، وهى تقوم بلفلفة جسمها بشكل اسطوانى مربع مكن العلماء من اكتشاف أحشائها ذات التركيب العبقرى المتغير ، والذى احتوى أعضاء تتقلص وتتمدد ، وقد رص بعضها فوق بعض .

وأما ذكور الثعابين فأعضاؤها الذكرية مزدوجة ، ويسمى كل عضو منها بشطر العضو أو نصفه ، وهو مختبىء فى أصل الذيل ، ومن ثم فهى تستغل هذه الميزة ـ ميزة العضو الذكرى المزدوج ـ فى مجامعة إناثها ، ومعاشرتهن أكثر من مرة ، خصوصا الثعابين المعروفة باسم : « ثعابين الملك » .

وعندما تتناسل ثعابين البحر المعروفة بـ(ثعابين بروناى) وهى ذات شفاه حمر أو

صفر ، فإن حوالى نصف دستة من الذكور تتكالب منكبة على أنثى واحدة فقط ، وموسم التزاوج قصير عادة ، ويمكن أن يستمر أكثر من يوم واحد للثعابين الغربية المعروفة باسم : (الثعابين ذات الظهور الماسية) ، وذلك لتقليل تعرض الأنثى الواحدة للمنافسين الآخرين من الذكور .

وأما إناث الثعابين فإن لها أساليبها الماكرة وطرقها المخادعة فى التناسل أيضا .

فعلى سبيل المثال : يقوم ثعبان أمريكا الشمالية بتخزين الحيوانات المنوية لفترة تتجاوز عدة أشهر حتى تخبره غريزته بأن درجتى الحرارة والدفء صارتا مناسبتين للإخصاب .

والثعابين وهى حيوانات ذوات دماء باردة تشبه الطيور ، ومعظم أجناسها من واضعات البيض ، كما أن بعضها الآخر يلد مخلوقات صغارا تامة التكوين ، كما أن بعض فقس هذه الأنواع يبدى ويظهر استراتيجيات وحيلا للبقاء ، تفوق فى أفانينها العقول الصغيرة التى حبى الله بها تلك الزواحف والثعابين الغريبة التى تشبه أنوفها أنوف الخنازير تتظاهر بالموت إذا أحست بالخطر والتهديد ، ولكن ترى هل هى على وعى بالخطر ودراية به ، أو كما يقول البروفيسور (جرين) : « هل للحية تأملات ومقاصد ؟ » .

ولمعرفة الكثير عن سلوكيات الثعابين فإن الأستاذ (جرين) وزملاءه قاموا بوضع مجسات داخل أجسام الثعابين حديثة الولادة ، ويبرر الأستاذ ذلك بقوله : « إن أجهزة البث تلك ستجعل من السهل اليسير علينا التجوال بحرية ودقة لمعرفة ما يدور داخل جسم الثعبان » .

وأما ما يلفت انتباه (جرين)ويثير دهشته فهو ما تتمتع به هذه المخلوقات من حواس حادة كقوة الشم واللمس ، والقدرة الفائقة للتنبؤ بالحرارة ، وهى تعوض بذلك مالم تعطه من آذان خارجية ، ورؤية بصرية محدودة .

ويشذ عن هذه القاعدة الثعابين الليلية التى وُهبت أعيناً حادة البصر تشبه أعين القطط .

أما ألسنة الثعابين فعريضة مدببة ، وهى توفر لها المعادل الكيماوى للرؤية الثاقبة ، ومن ثم فالثعبان يستجيب للأعداء النسبية من الروائح التى تمده بها ذوائب على جانبى اللسان ، تمكن الثعبان من الظفر بفريسته الحقيقية سواء كانت هذه الفريسة عشيرا يجامعه ، أو عدوا يفوز به .

والحيات بدورها مزودة بأجهزة حساسة وقرون استشعار ومجسات امتلأت بالأشعة تحت الحمراء وتميزت بالحدة ، وهى توجد بالقرب من خياشيمها لدرجة أنها لو أصيبت بالعمى فإن بمقدورها الإمساك بفأر حى ولو كان على بعد عدة أقدام منها ، والسبب ببساطة أنها تتتبع ما يصدر عن جسم ذلك الفأر من حرارة وإشعاع .

هذا وقد ألف الأستاذ (جرين) كتابه المذكور عن الثعابين ردا على تحدٍ من كاتب سابق هو (نورمان ماكلين) والذى لام (جرين) وأخذ عليه اهتمامه المفرط بهذه المخلوقات الجهنمية ، ومع ذلك الشغف ، فإن (جرين) لايلتمس الأعذار للثعابين ، ونجد ذلك واضحا فى قوله : « إنها تقتل أكثر من عشرين ألف آدمى سنويا كما يعترف أن معظمهم من المزارعين فى الغابات

البقية ص ١٦٣٢

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

لقد صعد الصيام ، وفى يديه كتاب فيه أعمال العباد
وعاد لربه يروى حديثاً ترتله الملائك بالوداد
وجاء العيد بالبشرى بهياً ورفرفت الطفولة فى البلاد

إن حاسة التذوق الفنى ، قد جعلها الله مركوزة فى النفس الإنسانية ، ولكنها تأخذ أنماطاً متباينة من إنسان لآخر ، وبذلك اختلفت الأذواق ، وتعددت فنون التعبير ؛ ويبرز العمل الفنى الأصيل ، إذا تلقته حاسة تذوق واعية ، تستطيع اكتشاف كنه الجمال الآسر فيه ، وتغوص إلى أبعد أعماقه ، باحثة عن أسراره الإبداعية ، حتى تصل فى النهاية إلى أدق مراميه .

من هنا نرى أن القصيدة ، ترفض الصياغة المباشرة والسطحية ، أو الجرس العالى والخطابية الرنانة ، ذلك لأنها تولد فى وجدان الشاعر ، فيمررها على واعيته وثقافته ، فينضجها ، ثم يهذبها بخبراته الفنية ، وتجاربه الشعورية ، لتخرج إلى النور ، كائنا حيا ينبض ويتنفس ويعبر .

والقصيدة بهذا المعنى هى خلق جديد ينتجه الشاعر المبدع بأسلوبه الفنى الخاص به ، مضيفا إلى إيقاعه الموسيقى خيالا محلقا ، وصولا إلى آفاق بكر ، لم يسبقه إليها أحد ، ومقدرة الشاعر تكمن فى مدى تمكنه من صياغة مشاعره وأفكاره فى إطار الأسس الأصيلة للشعر ، غير مبتعد عن اللغة الفصيحة شعرة واحدة .

وعلى دربنا لرفع مستوى ما نقدمه لقراء خميلتنا الأعزاء ، فإننا نهيب بالسادة الشعراء الذين يبعثون إلينا بنتاجهم أن يتوخوا اختيار ما يتوافق مع ماذكرناه آنفا من نتاجهم ليناسب ذلك أعلى منبر إسلامى فى العالم ، ونعنى به : مجلة الأزهر الغراء .

إشراقة العيد

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

إشراقة النور المطل أعيدى
للقلب بهجته .. بيوم العيد

فلأنت مصباح الطريق بدا لنا
متلألئا .. ملء القرى والبيد

كم بدد الظلمات بعد غشاوة
وأذاب - فى دأب - ركام جليد

بل أنت (جائزة) الصيام، عبيرها
قد فاق نفح زنابق وورود

★★★

يبدو كشلال الضياء .. نميره
يسقى العطاش بحوضه المورود

والعيد - حق العيد - نهضة أمة
قد أخرجت للناس .. بالتوحيد

لتعيد للدنيا شموخ .. مبادىء
كانت قلادة عقدنا المنضود

★★★

أرض الكنانة قدمت إشعاعها
بالخير .. فى أقصى المدى .. للجود

هى فى رباط للقيامة خصها
رب الوجود.. ببذل خير جهود

نحو السلام تعاقبت خطواتنا
ليعم صفو العيش كل صعيد

اولى حضارات الورى.. بربوعنا
آثارها ممهورة بخلود

وحضارة الإسلام كانت ذروة
نهفو لها.. لتسنم وصعود

★★★

علماؤنا الأعلام كانوا قدوة
ظفروا طوال الدهر بالتمجيد

وعلوم أوروبا استقت من فيضهم
بعصورها الوسطى.. أجل رصيد

(طب ابن سينا) كان أس طموحهم
لتقدم، بل كان بيت قصيد

و (ابن النفيس) بدورة دموية
كان اكتشافا باهرا.. لعهود

واليوم.. قمنا نسترد مكانة
ونعيد مجد أوائل وجدود

نبنى مآثرنا ببأس عزائم
نخطو بها.. بتلاحم منشود

★★★

ياعيد قد أنعمت قبل بالمنى
فنبذت عهد البث والتنهيد

الفجر آت، لامراء لأفقنا
لترف بسمته... بثغر وليد

استغفار

للأستاذ: محمد فتحى نصار

أتيت أسأل - ياغفار - غفرانا   لما تعبت ، وضج العمر عصيانا
أتيت مستغفرا - ربى - ومعترفا   فهل ترد عن الأبواب ظمآنا ؟!
ظمئت - ياخالقى - للعفو ، فانطلقت   يدى إليك ، وجاء الضعف إنسانا
غرقت فى لجج الآثام ، وامتلأت   جوانحى من سعير الذنب نيرانا
فقدت فى تيهها ماكان يعصمنى   ولم أجد لسفين الشوق شطآنا
وهمت فى ظلمتى الحيرى ، تقاذفنى   أيدى الغواية ، تسقى القلب أحزانا
وضاقت الأرض عن حزنى ، وعن ندمى   وضجت الروح من وهمى الذى كانا
فقمت أبحث عن مرسى يؤمننى   يستقبل الأمل المجروح حيرانا
أدق باب الهدى لهفان مرتعشا   أدعو بكل لسان فى فمى لانا
وأطلب العفو مضطرا ومحتسبا   وأقرأ التوبة الغراء إذعانا
وبالحواميم أدعو ، لا أمل دعا   والعصر ، مستصرخاً نفسى : أما آنا ؟!
قد آن - يارب - أن أرتاح من قلقى   وأطفىء النار عاثت فى خسرانا !!
وأخلع الثوب تدميني مخاوفه   وأرتدى الثوب يكسو الروح إيمانا
فاقبل - إلهى - عبدا جاء ذا ثقة   وتب عليه وأعظم - رب - غفرانا

أغنية للوحدة العربية

للأستاذ: إبراهيم صالح

يازهرة أريجها فاح وعطر المدى
يابسمة على ثرانا الحر طابت مولدا
يانغمة طار بها طير المنى وغردا
ياوحدة يخاف من وقع سهامها العدا
توحدت على مرابع الهدى غاياتنا
وأقبلت تختال فى ركب العلا رايتنا
وأشرقت بالنور والخير هنا جناتنا
وهللت وكبرت فوق الذرا صلاتنا

سيرى على كل الدروب سيرى
ياوحدتى فى صبحك المنير
لعرسنا الكبير
من الخليج العربى
وأذنى فى المغرب
لوحدة المسير والمصير
لوحدة المسير والمصير

وطني

للأستاذ: عبد الرحمن محمد أحمد

وطنى حماه الله من كيد العدا ... نفسى الفداء له متى رام الفدا
مثواى مصر ومصر قبلة مهجتى ... وعلى ثراها عشت عمرى سيدا
يامصر فيك صبابتى وتولهى ... ولقد أتيتك بالقصيدة منشدا
فى حضنها ولد الكليم ويوسف ... لما أتى وجد العزيز الوالدا
وبجندها أوصى النبى محمد ... والدهر يشدو بالفضائل شاهدا
إنا بنو مصر الكرامة والتقى ... عون لمن بالسلم مد لنا اليدا
من شاءنا حربا عليه فويله ... ولسوف ينصر فى المعارك ماردا
قسما بمن جعل الكنانة موطنى ... لاذيق ذلا من تجرأ واعتدى
فأنا ابن من لا تنكرون جهاده ... أسقى العدا كأس الندامة والردى
صغنا من الحجر الأصم قلائدا ... الكون يبهر ثم يرحل حامدا
الدهر يشهد لليهود بخسة ... فالشر كان طريقهم والمقصدا
سلبوا عزيزا من أراضينا التى ... كانت منار الناس ينبوع الهدى
ظنوا حصونهم سترهب جندنا ... والأسد لا تخشى ظلوما جاحدا
إنا جنود الحق أقوى عدة ... من كل ما جمع اليهود وشيدا
قامت ليوث الله تشدو باسمه ... الله أكبر فوق كل من اعتدى
فإذا هم أسرى وصرعى بيننا ... والعار يلبسهم ثيابا خالدا
ياثالث الحرمين وجهك فى دمى ... يهدى الخطى لتدك أسراب العدا
مهما يطول بك الزمان سنلتقى ... حتما فخيل الله تنتظر الندا
مصر الحضارة مصر سنبلة الورى ... وفم الزمان لها بسبق قد شدا
فهى التى تهب السلام ولم تهن ... وهى التى تعطى وما قبضت يدا
لا تسألون كم أحب وكم لها ... فأنا لها كلى متى طلبت فدا

دوحة الكتب

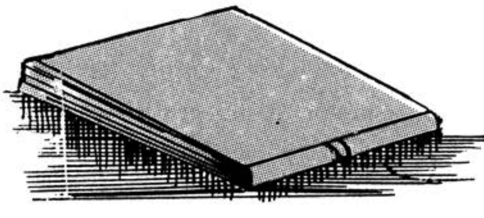

إعداد: محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

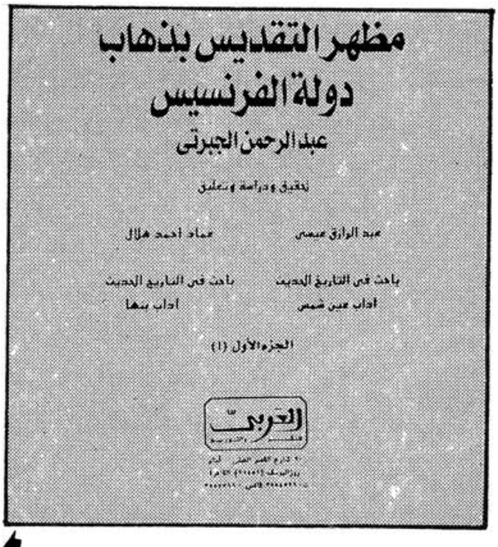

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

تأليف : عبد الرحمن الجبرتى

دراسة وتحقيق :
عبد الرازق عبد الرازق عيسى
عماد أحمد هلال

● عزيزى القارىء إن تاريخ الأمة قاموس يجب أن يدون فيه كل حرف بأمانة وصدق ؛ ليكون مرجعاً ، وعملا بطوليا يعتد به ، كل جيل من أجيال هذه الأمة ، لأن وطنا بلا تاريخ هو أمة بلا هوية .

● وتاريخ مصرنا الحبيبة ملىء بالمواقف البطولية والتواريخ المنسية لأجيال عصرنا الحديث ، إذ نحن نرفع هذه الأتربة عن هذه الصفحات التاريخية ، لنضىء المستقبل بحضارة الماضى ، ليرى أبناء الأجيال بأعينهم ويلمسوا بأيديهم ما فعله الأباء والأجداد ، دفاعاً عن هذا الوطن ، وكيف عانوا من قسوة المحتل ، وفداحة العقوبات ، التى أنزلها بهم من قتل وسجن وغرامات ومصادرات .

● ونقدم هذا الكتاب لهذه الأجيال ربما يسهم فى تشكيل جزء من وعيهم التاريخى ؛ ليكون لهم موقف وكلمة ودور تجاه وطنهم الحبيب .

● وفى الفترة الحالية ثار نزاع بين المؤرخين بسبب الحملة الفرنسية التى تمثل مرحلة فاصلة فى تاريخ مصر الحديث ، ومن حولها انقسم المؤرخون والمثقفون فمنهم المؤيدون لكل ما جاءت به الحملة ، ويعتبرونها بداية التحديث فى مصر الحديثة . أما الفريق الآخر فهم على النقيض تماماً حيث يرون أن الحملة الفرنسية لم تكن بداية الحداثة ، بل كان هناك داخل المجتمع المصرى بذور وجذور لنهضة داخلية ذاتية وثار هذا النزاع بين المؤرخين بمناسبة مرور مائتى عام على مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر ونحن إذ نبرز إلى الوجود كتابا يعد وثيقة تاريخية بارزة وليس الهدف من ذلك تأييد أحد الاتجاهين ، أو الاشتراك فى النزاع الفكرى ، وإنما الهدف هو الإسهام فى توضيح الصورة ، وإزالة الالتباس من خلال هذا الكتاب والجهد الذى بذله الباحثون فى التاريخ المصرى الحديث .

● بدأ الباحثان تحقيقهما بالمؤرخ عبد الرحمن الجبرتى وعصره الذى عاش فيه فتحدثا عن ضعف الدولة العثمانية وأثره على مصر ثم أزمة الفكر والحضارة ثم تدهور علم التاريخ .

● أما المؤرخ عبد الرحمن الجبرتى الذى يبدو وسط مدرسة التاريخ المصرى فى العصر العثمانى عملاقاً بين أقزام .

● ووالده الجبرتى هو من « إقليم جبرت » ببلاد الحبشة ، ثم استقرت عائلته فى مصر ، وتولى الشيخ حسن الجبرتى رئاسة رواق الجبرت فى الأزهر الشريف .

وكان عالما يشار إليه بالبنان ، وبخاصة فى العلوم الرياضية والفلكية ، وترك لنا العديد من المؤلفات .

● ولد عبد الرحمن الجبرتى فى هذه البيئة بالإضافة إلى الثراء المادى بجانب الثراء العلمى ، وكان لهذه البيئة أكبر الأثر فى تنشئة مؤرخنا ، فهى من ناحية غرست فيه حب العلم ، ومعاشرة ومصاحبة العلماء ، وطلاب العلم الذين كان يكتظ بهم بيت والده .

● فى هذه البيئة ولد عبد الرحمن الجبرتى عام ١١٦٧ هـ / ١٧٥٤ م وكان الشيوخ من أصدقاء وتلاميذ والده يعلمونه القراءة والكتابة ويحفظونه القرآن الكريم .

● ثم تناول المحققان بعد ذلك حياة الجبرتى العلمية والتاريخية .

أما الكتاب فالموجود من « مظهر التقديس » أربع نسخ ، منها ثلاث بدار الكتب المصرية ، والرابعة بسوهاج .

● أما عنوان الكتاب : فقد سجل فى فهارس دار الكتب تحت اسم مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، والنسخة (ب) عنوانها . مظهر

التقديس بخروج دولة الفرنسيس ، أما النسختان (جـ ، د) فلا عنوان لهما ، أما عنوان : « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » فلا شك هو العنوان الذى قصيدة المؤلف .

● ثم تحدثنا عن الأسلوب واللغة ، ومنهج الكتابة ، والإملاء والطبعات السابقة ، ودراسة مقارنة بين مظهر التقديس وعجائب الآثار .

● أما مقدمة المؤلف فتحدثت عن الشريعة المطهرة ثم الرسول الكريم - ﷺ - ثم تولى أبى بكر لخلافة المسلمين ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، حتى وصل فى مقدمته إلى المماليك والعثمانيين ثم تاريخ الدول .

● أما يوميات سنة ١٢١٣ فتحدث فيها فى فصول عن دخول الفرنسيين وسيطرتهم على الإقليم المصرى وسرد أحداثهم فى المدن والقرى والنجوع من خلال شهور المحرم وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى والثانية .

● ثم تحدث عن ثورة القاهرة الأولى ، ومجمل حوادث شهور جمادى الأخرة ، ورجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوال ، وذى القعدة ، ومجمل يومياته ، وذى الحجة ، ومجمل حوادثه ، ثم مجمل حوادث سنة ١٢١٣ هـ .

وكان من أعظم الحوادث امتناع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة وذلك من أشنع الحوادث التى لم يتفق نظيرها فى دولة آل عثمان أبداً .

أما الجزء الثانى من الكتاب : فكانت بدايته عن يوميات سنة ١٢١٤ هـ .

استهل المؤلف « المحرم » بيوم الأربعاء فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية فضربوا خمسة مدافع لقدومهم .

وذكر فى حصار عكا قصيدة الأديب السيد على الصيرفى الرشيدى ، المكونة من ٧٨ بيتا من الشعر ، ثم تعليق على القصيدة ؛ شارحاً فيها المعاناة والظلم ، الذى وقع عليهم من الجند ومقاومتهم له .

ثم ذكر المؤلف شهر صفر وماحدث فيه .

وشهر شعبان ، والشروط ، التى تمت فى عقد الصلح مع الفرنسيين بـ ٢٢ شرطا وما تم فى الأشهر حتى شهر ذى الحجة .

ثم مجمل أشهر سنة ١٢١٤ هـ ما حدث بأقاليم مصر والشام والروم والبيت الحرام فمنها وهو أعظمها تعطيل الثغور ومنع المسافرين براً وبحراً .

ووقوف الإنجليز بثغر الإسكندرية ودمياط . يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا بمراكبهم أيضاً إلى بحر القلزم ، ومنها انقطاع الحج فى هذا العام .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى مجمل يوميات سنة ١٢١٥ هـ منها توالى الهدم و الخراب وتغيير المعالم وتنويع المظالم ، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى فهدموا تلك الجهات والأخطاط والحارات والدروب والقصور المزخرفة وجامع الجنبلاطية العظيم بباب النصر وما به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان ومنها تخريب دار الأزبكية وردمها بالأتربة وتبديل أوضاعها .

● ثم يوميات سنة ١٢١٦ هـ والتى انتهت فى شهر شعبان سنة ١٢١٦ هـ .

● وانتهى بخاتمة ، ثم ملاحق منها ملحق (١) أسباب فشل نابليون فى فتح عكا وذكر فى ثلاثة عشر بنداً .

● ثم ملحق رقم (٢) وهو احتمالات شهرى : ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة ١٢١٤ هـ وفقاً لمظهر التقديس ، وعجائب الآثار ، والتوفيقات الإلهامية ، أما ملحق رقم (٣) ومعاهدات صلح بين كليبر ومراد بك ،

فهيا تتعلق بالاتفاق الذى تم بين مراد بك محمد ، وبين الجيش الفرنسى ذاكراً منه عشرة بنود .

● وملحق رقم (٤) وهو منشور نابليون إلى الجنود قبل رسو الأسطول الفرنسى فى الإسكندرية ثم ذكر كشاف الشخصيات والأماكن من حرف الألف إلى حرف الياء .

● هذا الكتاب هو وثيقة تاريخية نادرة ينبغى الحفاظ عليها بنصها وروحها ، كما أنه يحتوى على عدد من المنشورات والنصوص الرسمية التى نشرها الفرنسيون إبان فترة وجودهم فى مصر وهذه المنشورات ما كان لأحد أن يحصل عليها لولا الجبرتى ، ولاحتى فى محفوظات الحربية الفرنسية ، فالجبرتى احتفظ بتلك المنشورات بنسختها العربية وهى تختلف كثيراً عن النصوص الفرنسية لتلك المنشورات ، حيث إن النصوص العربية تحتوى على عبارات لم تدون فى الأصل الفرنسى .

● وأخيراً عزيزى القارىء هذا هو الكتاب الذى يتكون من جزءين كبيرين شرح فيهما الباحثان أسلوب المؤرخ الكبير الجبرتى ، بشكل يشبه الشكل القصصى ، ما قام به الفرنسيون داخل وطننا لتعلم الأجيال القادمة هذا التاريخ الوطنى ، دون حذف أو تضليل .

أدعوك إلى ضمه ضمن مكتبتك الثقافية ؛ ليكون لك مرجعا تاريخيا ، فى بيان هويتك الوطنية .

المرأة وولاية القضاء

تأليف /

أحمد بن حسين الموجان السعدى

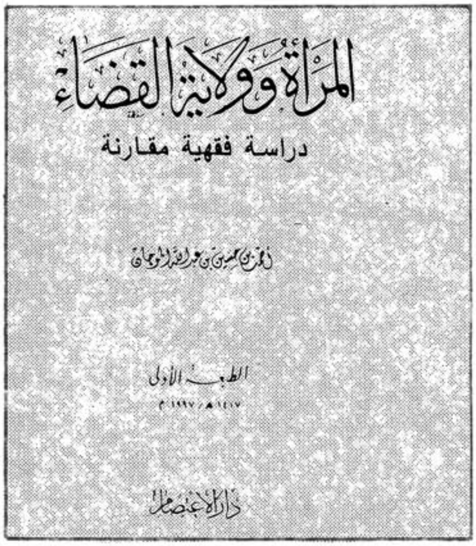

عزيزى القارىء . . المرأة هى نصف المجتمع وكرمها الإسلام وميزها عن المرأة فى الديانات الأخرى ، ومن الأمور الهامة التى حث عليها العلم ، والعمل وأبوابه وسبله ومناهجه لا يستطيع المرء أن يجمعها فى بوتقة واحدة أو فن واحد . هذه الأمور هى محل الاهتمام بالمرأة ومكانتها فى الإسلام ، حيث رفع قدرها وأعلى من شأنها ، وجعلها شقيقة للرجل لها ما لهم وعليها ما عليهم .

● والمؤلف عرض عدة مقاصد هامة وهى شروط القاضى ومكانة المرأة فى الإسلام وحكم تولى المرأة منصب القضاء ، وهناك تطبيقات عملية لمنع تولية

المرأة القضاء وعرضها بطريقة علمية صحيحة ، مؤيدة بالأدلة وموضحاً فيها وجهات النظر المختلفة مع الترجيح .

● وقدم للكتاب الدكتور جابر بن على مهدى الطيب ، وتحدث عن العلم ، وفوائده ، ومكانة المرأة فى الإسلام .

● ثم تقريظ لفضيلة الشيخ السيد سابق تحدث فيه عن العدل ، وأنه قيمة من القيم الإسلامية العليا ، وأول من تولى القضاء ومقاصد المؤلف ثم تقديم ـ أيضا ـ للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلى رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه بجامعة دمشق ، ووضح فى مقدمته موضوعات الكتاب حيث أشاد بأنها محققة للغاية المنشودة ، ومنسجمة مع أحكام الشريعة الإسلامية الثابتة فى ضوء الاجتهادات الصحيحة ، والاستنباط السديد .

● وأخيراً مقدمة المؤلف التى بين فيها أن الإسلام ليس ديناً يتعبد به المسلمون داخل مساجدهم فحسب ، كما يزعم بعض الجاهلين ، بل الحقيقة أنه دين ودولة ، وعقيدة وشريعة وعبادة وخلافة ، وبين أن القضاء ركن من أركان الدولة ، وعمودها الفقرى ، ولايمكن إقامة المجتمع الآمن ، وحماية الأعراض ، والأنفس ورعاية الحقوق إلا بالقضاء .

فالدولة التى لاتحمى هذه الأمور لاتعد دولة معتبرة ولايمكن للأمور أن تستقر فيها .

● والمؤلف قسم كتابه هذا إلى أربعة فصول ، وخاتمة .

● ففى المبحث الأول تحدث عن مكانة المرأة فى النظم السابقة على الإسلام ، شارحاً فيه المرأة فى المجتمع اليونانى ، ثم فى شريعة حمورابى ، والمرأة عند الهنود ـ والمرأة عند اليهود ، والمرأة عند النصارى ، ثم المرأة عند العرب .

● أما فى المبحث الثانى فكان عن مكانة المرأة فى الشريعة الإسلامية وإن الإسلام قرر المساواة ، والتكافؤ بين الجنسين بصورة كاملة ، مع ملاحظة الخصائص ، التى جبل وفطر عليها كل منهما .

● ويبين المؤلف فى هذا المبحث أن الإسلام حرم وأدها ، وقتلها ، خشية الفقر أو العار ، والرسول ـ ﷺ ـ حث على العطف على البنت ، وأرشد إلى تعليمها وتربيتها .

وأمر الله عز وجل باحترام الزوجات ، ومعاشرتهن بالمعروف ، ثم ذكر القرآن الكريم الإحسان إلى الوالدين .

● ثم شرح حق المرأة فى العمل ، والتفريق فى الأعباء المالية ، والقوامة على الأسرة ثم الطلاق بيد الرجل ، لابيد المرأة ، والتفرقة بين الرجل والمرأة فى الشهادة .

● أما فى المبحث الثالث فقد وضح المؤلف مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ، منها حرية المرأة وحرمتها واستقلالها ، وحق المرأة المسلمة فى الملكية الفردية واحترام حقوقها الإنسانية ، والتعامل معها بالمعروف وتبادل التعامل الودى ، وتقاسم الحقوق والواجبات بين الزوجين أما فى المبحث الرابع فى قضية امرأة فى مصر تطلب القضاء فتمنع منه ولكن بدون قاعدة توضح عدم صلاحيتها فقد وضح المؤلف هذه القضية .

● أما الفصل الثانى فبين فيه المؤلف تعريف القضاء ، ومشروعيته وأهميته وحكم توليه وقسمه إلى ستة مباحث هامة .

● وفى الفصل الثالث تناول المؤلف أهلية القضاء .

أما فى مسألة حكم تولى المرأة ، منصب القضاء والخلاف فيه وبيان الراجح من الأقوال ، فقد شرح اختلاف المذاهب الثلاثة فى حكم تولى المرأة القضاء وهذا هو الفصل الرابع والأخير وطرح أيضا أدلة القائلين بالمنع ثم بيان أدلة القائلين بالجواز فى حال دون حال وهم مذهب الحنفية .

● ثم بيان أدلة القائلين بجواز تولية المرأة القضاء مطلقاً .

● ثم بيان القول الراجح من هذه المذاهب .

● وأخيراً رأى مجلس الدولة وبيان صلاحية المرأة فى غير القضاء وطرح المؤلف تجارب فاشلة فى تولى المرأة لمنصب القضاء فى أوروبا .

● عزيزى القارىء : من هنا أثبت لنا المؤلف أن القضاء مشروع بالكتاب والسنة والإجماع وهو أفضل من الجهاد ، وله أهمية كبرى فى حياة الفرد والمجتمع ، ولم يثبت على مر السنين أن امرأة تولت هذا المنصب الخطير حتى يومنا هذا فى معظم البلاد الإسلامية ، جرت العادة على الاكتفاء بالراجح فقط أن المرأة لايجوز لها أن تتولى منصب القضاء .

● ومن هذا أعزائى القراء ، فقد ناقش المؤلف موضوعا هاما جداً ، احتارت فيه أقوال كثيرة واختلفت فيه جهات متعددة ، فقد بذل فيه جهداً كبيراً وتوصل إلى نتائج هامة ومسائل فقهية صادقة وراجحة .

● وبهذا نكون اخترنا لكم ما يحيركم فنزيل هذه الحيرة ونصل معكم إلى رأى صائب وعادل فى هذه المسألة .

الخلافة الإسلامية

حقيقتها وأصولها الاعتقادية

وحتمية عودتها

● **تأليف الدكتور/**

فاروق أحمد الدسوقى

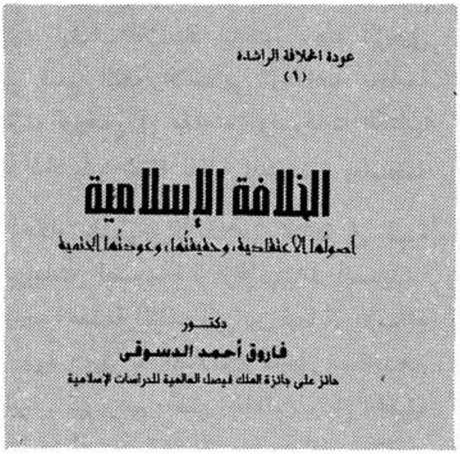

عزيزى القارىء فى الأعداد السابقة قمنا بعرض موضوعات وقضايا تهم جموع المسلمين فى كل مكان ، والآن نطرح قضية هامة تتعلق بالمجتمع الإسلامى من حيث تأسيس الدولة الإسلامية والبقاء عليها .

فقد استخلف الله تعالى الإنسان فى الأرض ليبتليه بما استخلفه فيه ، فيصبح بالخلافة الابتلائية فريقين : خلفاء الرحمن عز وجل ، وخلفاء الشيطان لعنه الله .

والصراع لايخمد بين الفريقين منذ الجيل الأول

إلى نهاية الدنيا ، والفريق الأول يعمر الأرض بالإيمان وبالخير والبر والإحسان ، والآخر يملأ الأرض بالفساد ظلما وشراً ، فخلافة الله هى صبغة الحضارة الإسلامية ومقوم الحياة الاجتماعية ، وأساس السعادة النفسية والسلام الاجتماعى والعالمى .

● وفى هذا الكتاب : يشرح المؤلف آيات الخلافة وموضعها فى السياق القرآنى ثم إنباء الله تعالى ملائكته باستخلاف الإنسان فى الأرض وتعجبهم من ذلك وذكر ابن الجوزى فى هذه المسألة قولين وهو اختلاف المفسرين حول المقصود بالملائكة ، هل هم جميع الملائكة أو هم جماعة منهم لهم شأن واختصاص بالأرض دون غيرهم ؟!

● ثم انتقل المؤلف إلى سجود الملائكة لآدم ومغزاه الوجودى من حيث علاقة السجود بالاستخلاف ورفض إبليس السجود لآدم وصلته بالخلافة .

● ثم الخلافة والجنة ، وعودة لمفهوم الأرض ، ثم الخلافة والتفسير الإسلامى للتاريخ .

● أما من هو الخليفة ومن هو المستخلف ؟ فهذا هو الفصل السادس الذى طرحه المؤلف .

● ثم الفروق اللغوية بين الخلافة وبين ألفاظ العناصر الداخلة فيها ، والخلافة فى اللغة العربية وعناصرها ومشتقاتها فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● وطرح المؤلف أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية فى الاستخلاف ، ومذهبه فيه ، ثم أدلته على تحريم تفسير الاستخلاف بالنيابة لله تعالى ونقضها ويشرح فيه خمسة أدلة .

● ثم مفهوم الخلافة فى العقائد الشركية ، ثم خصائص الربوبية ومنها الخلق والحفظ .

● انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الخلافة ، والجانب الإلهى من التوحيد الإسلامى .

● أما فى الفصل الرابع عشر : فتعرض المؤلف للخلافة والذات الإنسانية ، وتناول الخلافة يكون رئيسيا فى الذات الإنسانية ، الخلافة والفطرة والخلافة وتقلب الذات الإنسانية والخلافة والابتلاء ،جدلية الخلافة الابتلائية بين القدر الإلهى والفاعلية الإنسانية .

● ثم أشار إلى حقيقة الخلافة كخلافة الإنسان والأدلة الشرعية على صحة نسبة السيادة للإنسان .

● وأخيرا تحدث المؤلف عن الإنسان بين خلافة الرحمن وخلافة الشيطان .

● وهكذا عزيزى القارىء تناول المؤلف كل موضوعات الخلافة والمسائل التى قيلت فيها بالأدلة العقلية والنقلية حتى يعلم القارىء ما يلتبس عليه من أصحاب الأفكار المتطرفة عن حتمية هذه الخلافة والخوض فيها .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ - : « أنا أول الناس يشفع فى الجنة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعا » . رواه مسلم .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل خفاجة

بين فرحة العيد وفراق رمضان

لقد رحل شهر كريم ، أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، شهر اختصه الله بليلة خير من ألف شهر .

وعن فضله قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبى قبلى :

أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبداً ، وأما الثانية : فإن خُلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله تعالى يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى ، وأما الخامسة : فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا فقال رجل من القوم : أهى ليلة القدر ؟ قال : لا ، ألم تر إلى العمال يعملون فإذا فرغوا وفوا أجورهم » [(1)] .

نعم .. لقد رحل شهر كريم فضيل ، وإنا لفراقه لآسفون .

ولكن رحمة الله واسعة يبسطها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ على المؤمنين ليمحو عنهم لوعة الفراق ويعوضهم بفرحة العيد ، ويمنحهم الجائزة .

فعن سعيد بن أوس الأنصارى عن أبيه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إذا كان يوم عيد الفطر

(١) اورده الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ ٣ / ١٤٠ وقال رواه احمد والبزار .

وقفت الملائكة على أبواب الطريق ، فنادوا اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى منادٍ ، ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة (٢) .

فاللهم كما وفقتنا لطاعتك فى ذلك الشهر الكريم ، أعنا ووفقنا إلى ما يرضيك ما أحييتنا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا .

« الدعاء »

القارىء : محمود الطاهر الصافى / عضو رابطة الأدب الإسلامى وعضو اتحاد الكتاب المصرى .
فيكتوريا - المنتزه - الإسكندرية

أرسل هذه الكلمة الطيبة عن الدعاء يقول :

يقول الله - سبحانه وتعالى - :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
(الذاريات : ٥٦)

ويقول النبى - ﷺ - : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى فالجن والإنس مخلوقون ليعبدوا الله سبحانه وأصل عبادتهم لله - سبحانه - هو الدعاء الذى هو تجميع قوة العاطفة الطاهرة النقية المملوءة بالحب وتوجيهها إلى الله - سبحانه - وفى هذا الاتجاه توحيد لوجهة التأثرات العصبية وهذا هو معنى : « من وحَّد همَّه كفاه الله سائر همومه » وفى هذا من الفوائد الروحية والجسمية ما يعرفه أطباء النفس لأن المخ هو الذى يصدر التأثر العاطفى ويتأثر به ، فإذا تواردت عليه معانى الدعاء وزَّع على الأعصاب تيارات من الثقة والاطمئنان تعصمها من الإضطرابات والصدمات ؛ لهذا نرى الدعاء هو كوّة النجاة لأنبياء الله - عليهم السلام - وأيضاً لرجال من المؤمنين إذا تكاثفت عليهم ظُلم الكروب ، وإنك لتجد الذين يدعون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم هم أكثر الناس ثباتاً وصبراً وتسليماً لله - عز وجل - فلا يجزعون .

وأدب الدعاء الإسلامى هو أعلى عبقريات الأدب جميعها وأقرب طريق إلى معونة الحق سبحانه ومدده ، ولو أن أمة تخلقت بأدب الدعاء لكانت أرقى الأمم عقولاً وقلوباً وعلوماً وأنقاها من أمراض الحياة النفسية والجسمية .

وختاماً فلنتأمل هذا الدعاء لأحد أولياء الله الصالحين : (٣)

« اللهم ياقدوس قدسنى من العيوب والآفات وطهرنى من الذنوب والسيئات ، واكشف عن قلبى حجب الغفلة والظلمات ونوره بنورك الذى نورت به قلوب عبادك أهل القلوب الطاهرات ولا تجعلنى يا الله ممن يُغشَّى قلوبهم بظلام الغفلات اللهم اجعلنى من المتقين واجعلنى من عبادك المحبين المحبوبين وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد أول العابدين وعلى آله وذريته أجمعين » .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٣) المنحة الإلهية ، للإمام محمد بن الهاشمى من علماء المغرب

الإفطار على التمر

القارىء : أحمد عبد الغفار عمر / شبراخيت
أرسل هذه الكلمة التى نذكر منها قوله :

التمر هو ثمرة النخيل ، وحتى يتم نضج هذه الثمرة تمر بعدة أطوار يكون أولها الطلع ثم الخلال ثم البلح ثم البسر ثم الرطب ثم التمر واكتمال الشىء عند نهايته ، فالتمر هو أجلها جميعاً .

ذكر القرآن لفظة النخل والنخيل عشرين مرة .

أثره على صحة الجسد : ـ

البلح يحتوى على البروتينات التى تقوم بعملية البناء ، فهى التى تبنى خلايا الجسم وتجدد ما يبلى منها ، كما يحوى نسبة عالية من السكريات .

ويحتوى التمر على معادن كثيرة مهمة . ويحتوى البلح على فيتامين « أ » وهو موجود بنسبة عالية . وللبلح أهمية خاصة لتكوين أجسام الأطفال وخصوصا العظام ـ لما يحتويه من نسبة عالية من الفسفور .

أثره على الصحة النفسية : ـ

أثبتت الدراسات أن البلح يضفى السكينة والهدوء على النفوس القلقة والمضطربة ، وكذلك المزاج العصبى الناجم عن نشاط الغدة الدرقية .

الحجاج وسكرات الموت

أما القارىء : إبراهيم خلف عبد اللطيف السمان العسيرات ـ جزيرة أولاد حمزة ـ نجع القلعاية .

فيرسل كلمة عن الحجاج حين وافته المنية ، يقول :

لما حضرت الوفاة الحجاج بن يوسف الثقفى وأيقن بالموت قال : اسندونى ، وأذن للناس بالدخول عليه فدخلوا ، فتذكر الموت وكربه ، واللحد ووحشته ، والدنيا وزوالها ، والآخرة وأهوالها ، وكثرة ذنوبه ، وكان ممن دخلوا عليه أبو المنذر (يَعْلَى بن مَخْلَد) فقال : كيف ترى ما بك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته ؟ قال : ياعلى غما شديداً ، وجهداً جهيداً وألما مضيضاً ، ونزعاً جريضاً ، وزاداً قليلا ، فويلى ، ويلى إن لم يرحمنى الجبار فقال له : يا حجاج .. إنما يرحم الله من عباده الرحماء الكرماء ، أولى الرحمة والرأفة والعطف على عباده . □

لا إله إلا أنت سبحانك

أما القارىء : حازم محمد أحمد عرابى معهد أسامة بن زيد الأزهرى / بالعريش فيرسل هذا الإسهام من قراءاته فى كتب السنة « عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال :

جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فقال :

يارسول الله أحدنا يذنب ؟

قال : « يكتب عليه »

قال : ثم يستغفر منه ويتوب .

قال : يغفر له ويُتاب عليه .

قال : فيعود يذنب ؟

قال : يكتب عليه

فقال : ثم يستغفر منه ويتوب ؟

قال : يغفر الله له ، ويتوب عليه ، ولا يمل حتى تملوا » .

رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بإسناد حسن

جائزة الشعراء

أما القارىء : محمد أحمد عبد الرحمن - قليوب .

فيرسل هذه الطرفة تحت عنوان : جائزة الشعراء .

نظر طفيل إلى قوم ذاهبين فلم يشك أنهم ذاهبون فى دعوة إلى وليمة ، تقام وتبعهم ، فإذا هم شعراء قد قصدوا السلطان بمدائح لهم ، فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته ، لم يبق إلا الطفيل وهو جالس ساكت . فقال له السلطان : أنشد شعرك . فقال : لست بشاعر فقال فمن أنت ؟ قال : من الغاوين الذين قال الله - تعالى فى حقهم .

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ (الشعراء : ٢٢٤)

فضحك السلطان وأمر له بجائزة الشعراء .

من إبداعات القراء

يا الله

ما فى الوجود سواك ربٌ يُعبدُ
كلا .. ولا مولى سواك فنقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها
ذلا .. وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الفرد الذى
كل القلوب له تقر وتشهد
يا من تفرد بالبهاء والثنا
مِنْ غيره .. وله البقاء السرمد
يا من له وجب الكمال بذاته
فلذاك يُشْقَى من يشاء ويُسْعد
إنى بجاه المصطفى متوكل
فاغفر ذنوبى أنت أنت المقصد
فعليه صلى الله ما سرت الصَّبا
وسرى الهزاز على الغصون يغرد

شعر : محمد حسن عونى

ردود سريعـــــة

● القارىء : بركات إبراهيم إبراهيم بركات - أبوحماد شرقية رسالتك عن الإسراء والمعراج وصلت متأخرة ، عليك ملاحظة ذلك مستقبلاً ، ومراعاة قواعد النشر .

● القارىء : جمال محمد محمود - الأردن - الزرقاء نأمل أن تسمح الظروف مستقبلاً بتلبية طلبك ولك منا خالص الدعاء أن يوفقكم الله - تعالى - .

● القارىء : أيمن محمد أبو السعود - دسوق نشكر لكم مشاعركم الطيبة ، ويسعدنا تلقى إسهاماتكم التى تعضد وتقوى أركان ذلك الباب .

● القارئة : س - أ - ع
قلين / مركز قلين / كفر الشيخ

نرجو لك التوفيق - وعليك الاهتمام بدروسك أما عن هذه الفترة من العمر ، والتى يطلق عليها مرحلة المراهقة ، فإن أحاسيس الشباب فيها غالبا ما تتغير بعد الوصول إلى مرحلة النضوج الفكرى وكثيرا ما يتراجع الشخص عن الكثير من آرائه ، حيث يتبين له أن الأفضل تركها .

كلام خفيف - بقية

الاستوائية والذين يتعرضون بالصدفة للدغ من الحيات رغم ما يلبسون من أحذية ذات رقبة طويلة ، ورغم ما يتناولونه من مضادات سم الثعابين ، وهى عقاقير قللت من الخطر المحدق بهم فى السنوات الأخيرة .

وفى أمريكا حيث تلدغ الثعابين من ألف إلى ألفى شخص فى كل عام ، كما بينت ذلك الإحصائيات المدونة .

فإن أقل من ١٠٪ من حالات اللدغ هذه ينتهى بالوفاة ، ويقول (جرين) : « إن معظم الضحايا من الصغار تحت سن العشرين والذين يتعاملون مع الثعابين السامة بإهمال وعدم عناية » .

وينهى (هارى جرين) بحثه القيم بقوله : « إن خوف الثعابين منا نحن بنى البشر يفوق خوفنا منها ، فهى لاتعض أحدا أو تلدغه إلا إذا أدركت وتحققت من التهديد بالخطر .

وطبيعى أن تتوقع سماع ذلك الكلام من عالم لايخاف الثعابين ، وازداد حبه لها لدرجة اتخذ معها من اسم جنس الثعابين علامة ورمزا لعنوان البريد الإلكترونى الخاص به .

«تنبيه»

يرجى من السادة الآتية أسماؤهم الاتصال بإدارة حسابات مجمع البحوث الإسلامية « بمدينة نصر » ـ لصرف مستحقاتهم عما نشر لهم « بمجلة الأزهر » .
حيث إن المدة القانونية لهذه المستحقات أوشكت على النفاد والله الموفق .

مسلسل	الاســـم	ملحوظــة
١	د . رقية محمود جبر	
٢	الأستاذ/ محمد عبد الوهاب عبد اللطيف	
٣	الأستاذ/ محمد عبد الرحمن دياب	
٤	الأستاذ/ إسلام عبد الرءوف محمد	
٥	الأستاذ/ إبراهيم محمد عيسى	أكثر من مكافأة
٦	الأستاذ/ لطفى محمد متولى	
٧	الأستاذ/ نبيل صلاح محمود	أكثر من مكافأة
٨	الأستاذة/ نجاة شاور ربيع	أكثر من مكافأة
٩	الأستاذ/ محمد فتحى عبد الصادق	
١٠	الأستاذة/ مها يسرى التاجورى	أكثر من مكافأة
١١	الأستاذ/ حمودة محمد شرف الدين	
١٢	الأستاذ/ أحمد السيد عطية	
١٣	د/ رمضان حافظ الأسيوطى	
١٤	د/ جعفر عبد السلام على	
١٥	الأستاذ/ عبد الفتاح إبراهيم سلامة	أكثر من مكافأة
١٦	الأستاذ/ محسن فخر الدين	
١٧	الأستاذ/ محمد سعيد محمد الأنصارى	
١٨	الأستاذ/ عمر عبد التواب عليان	
١٩	ورثة الشاعر/ أحمد محرم	
٢٠	فضيلة الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز	
٢١	الأستاذ/ محسن فريد عبد الخالق	
٢٢	الأستاذ/ خالد محمود إبراهيم سالم	

مسلسل	الاســـم	ملحوظـــة
٢٣	الأستاذ/ محمد عبد المحسن النقادى	
٢٤	الأستاذ/ عبد الفتاح أبو سنة	
٢٥	الأستاذ/ محمد الخضرى حسين	
٢٦	الأستاذ/ عصام الغزالى محمد	
٢٧	الأستاذ/ ربيع محمد حماد على	
٢٨	الأستاذ/ محمد رياض السيد كريم	
٢٩	الأستاذ/ أبو يحيى زكريا سعيد	أكثر من مكافأة
٣٠	الأستاذ/ عبد الرحيم سعد عبد الرحيم	
٣١	الأستاذ/ سيد محمد خضر	
٣٢	الأستاذ/ عبد الملك على الكليب	
٣٣	الأستاذ/ عبد الغنى سيد أحمد	
٣٤	ورثة/ عزت شندى	
٣٥	الأستاذ/ إسماعيل قراجام	
٣٦	الأستاذ/ يحيى عبد الله المعلمى	أكثر من مكافأة
٣٧	الأستاذ/ محمد نعمان جلال	
٣٨	الأستاذة/ نور محمد نافع	
٣٩	ورثة الدكتور توفيق محمد شاهين	أكثر من مكافأة
٤٠	الأستاذ/ محمد أحمد بكر	
٤١	الأستاذ/ سليم عبد القادر	
٤٢	الأستاذ/ السيد صديق حافظ	أكثر من مكافأة
٤٣	الأستاذ/ شريف السيد محمد	
٤٤	الأستاذة/ رانيا نبيل محمود	
٤٥	د ./ مسلم أحمد مسلم	أكثر من مكافأة
٤٦	الأستاذ/ البيومى محمد البيومى	
٤٧	د ./ عبد الوهاب عبد الوهاب فايد	
٤٨	الأستاذ/ محمود محمد عبد العال	
٤٩	د ./ حسن على محمد	
٥٠	الأستاذ/ محمود محمد سالم	
٥١	الأستاذ/ السيد محمد سليمان	

مسلسل	الاســـــم	ملحوظـــة
٥٢	الأستاذ/ مناع خليل القطان	
٥٣	الأستاذ/ عبد العزيز محمد نعمانى	
٥٤	د ./ يوسف الكتانى	
٥٥	الأستاذ/ محمد محمد جاد	
٥٦	د ./ على جمعة محمد	
٥٧	الأستاذ/ محمد مصطفى بسيونى	
٥٨	الأستاذ/ أشرف ناجى	
٥٩	الأستاذ/ عبد الحق شحاتة كريم	
٦٠	الأستاذ/ محمد يوسف خليل	
٦١	د ./ زيد محمد الرومانى	
٦٢	الأستاذ/ التيجانى يوسف بشر	
٦٣	الأستاذ/ أحمد منصور على	
٦٤	الأستاذ/ إبراهيم عبد الحميد عيسى	
٦٥	الأستاذة/ مها عبد الفتاح فهمى	أكثر من مكافأة
٦٦	الأستاذ/ أحمد شحاتة الألفى	
٦٧	الأستاذ/ محمد عبد الحليم القاضى	
٦٨	د ./ عبد الفتاح محمد أحمد خضر	
٦٩	الأستاذ/ محمد حسن داود	
٧٠	الأستاذ/ ثروت السيد العراقى	
٧١	الأستاذ/ محمود حسين عونى	
٧٢	الأستاذ/ أسامة كامل الخريبى	
٧٣	الأستاذ/ مصطفى محمد	
٧٤	الأستاذ/ أحمد إبراهيم هلال	أكثر من مكافأة
٧٥	الأستاذ/ محمد إبراهيم العشماوى	
٧٦	الأستاذ/ عبد الحكيم السيد عثمان	
٧٧	الأستاذ/ محمد التهامى	
٧٨	الأستاذ/ محمد فتحى نصار	
٧٩	د ./ السيد مرسى أبو ذكرى	
٨٠	الأستاذ/ حامد إبراهيم	

أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى

الرئيس مبارك يستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر:

استقبل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - يوم ١٩ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/١/٧ بمكتبه .

وصرح فضيلته عقب اللقاء بأنه تركز حول عدة موضوعات منها : مشروع تطوير الأزهر من حيث الأبنية ونظام الدراسة به ، وحول مبنى مشيخة الأزهر الجديد والذى أقيم بحديقة الخالدين بالدراسة وتكلف حتى الآن أكثر من أربعين مليونا من الجنيهات ولم يتم الانتهاء منه ، وقال فضيلته إن السيد الرئيس وافق على افتتاح المبنى الجديد لمشيخة الأزهر بعد الانتهاء منه كما أوضح أن المبنى القديم لمشيخة الأزهر سيترك أمره للخبراء والمختصين الذين سيقررون فى ضوء المصلحة العامة الإبقاء على المبنى أو إزالته .

وأشار إلى أن فضيلته طلب من السيد الرئيس منحة أخرى جديدة للأزهر من أجل ترميم المعاهد الأزهرية التى أضيرت بالزلزال وقد وافق السيد الرئيس على ذلك وأصدر توجيهاته للمسئولين بتلبية ذلك الطلب موضحا أن المنحة التى حصل عليها الأزهر فى العام الماضى كانت ٤٠ مليونا من الجنيهات بالإضافة إلى الميزانية المخصصة للأزهر .

وأعرب فضيلته عن أمله ألا تقل منحة هذا العام عن العام الماضى،وأشار إلى أن هناك أكثر من مليون طالب وطالبة يدرسون بهذه المعاهد ، كما صرح فضيلته بأن السيد الرئيس سيشهد الاحتفال بليلة القدر ويكرم حفظة القرآن الكريم من مصر والدول الإسلامية والعربية ورجال الدعوة الإسلامية من القيادات .

واجب المسلمين الوقوف مع الشعب العراقى

صرح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأننا ضد أى عدوان على الشعب العراقى لأنه شعب عربى مسلم ونحن معه نفديه بأرواحنا ومشاعرنا وأموالنا وكل ما نملك ، وكل عدوان على الشعب العراقى نحن ضده ونستنكره أيا كان مصدر هذا العدوان ، ومن قتل من إخواننا من الشعب العراقى فهو شهيد . وواجب المسلمين أن يقفوا صفا واحدا مع الشعب العراقى الشقيق ومصر رئيسا وحكومة وشعبا وأزهرا ورجالا ونساء تقف بجانب الشعب العراقى تدافع عنه بكل ما تملك من وسائل الدفاع ، ولا يمكن أن نتخلى عنه بأى حال من الأحوال .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم بدولة النيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه يوم ١٩٩٨/١٢/١٣ السيدة كوستا مؤمن نائب رئيس الوزراء ووزيرة التعليم بدولة النيجر والوفد المرافق لسيادتها ، وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بسيادتها والوفد المرافق فى الأزهر الشريف وألقى الضوء على دور الأزهر ونوعية الدراسة به ودوره فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية واستعداده للتعاون مع دولة النيجر الشقيقة .

قدمت الوزيرة شكرها لفضيلته على دعوتها لزيارة الأزهر الشريف قلعة الإسلام فى العالم وأبلغت فضيلته شكر وتحية وتقدير رئيس دولة النيجر وحكومة وشعب النيجر على ما يقدمه الأزهر لأبناء النيجر من منح تعليمية وكتب دراسية

وأعربت عن حرص دولة النيجر على توثيق التعاون بين دولة النيجر ودولة مصر للأزهر الشريف لأن مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وسياسته الحكيمة تقدم كل تعاون فى كل المجالات لدولة النيجر ، كما أشادت بدور البعثة الأزهرية التى تنشر الإسلام فى دولة النيجر وتقوم بتعليم أبنائها القرآن والدين بل فى أفريقيا عموما .

وقد طلبت إنشاء معهد أزهرى للفتيات فى النيجر على غرار المعهد الأزهرى للبنين الذى أقيم فى النيجر حيث إنه يوجد أكثر من أربعة آلاف كتاب لتحفيظ القرآن الكريم لذلك فالرغبة ملحة فى إنشاء معهد أزهرى آخر ، وقد وعدها فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلبها . كما وافق شيخ الأزهر على زيادة المنح لطلاب النيجر .

وتم عقد جلسات مباحثات مع فضيلة وكيل الأزهر بعدها .

تم توقيع اتفاقية تعاون مشترك فى المجالات العلمية والثقافية بين الأزهر الشريف ودولة النيجر ، وتم التوقيع على الترخيص بإنشاء معهد أزهرى جديد بدولة النيجر وكما أعربت الوزيرة عن شكرها وشكر بلادها لتوقيع هاتين الاتفاقيتين فى يوم ١٩٩٨/١٢/١٦ حضر اللقاء والجلسات وتوقيع الاتفاقيات سعادة سفير النيجر بالقاهرة وأعضاء السفارة وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل الأمين العام السابق للأمم المتحدة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمبنى المشيخة الجديد بحديقة الخالدين الأستاذ الدكتور بطرس غالى الأمين العام السابق للأمم المتحدة ، والأمين العام الحالى للفرانكفونية الدولية وذلك فى إطار زيارته لجمهورية مصر العربية وللسيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وقد رحب فضيلة الإمام بسيادته ، وقد أعلن سيادته أنه حريص كل الحرص على مقابلة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء زيارته لمصر للسلام والتحية والتهنئة بشهر رمضان المبارك ، والتهنئة بهذا المبنى الفخم الجديد للمشيخة ، وقد تناولت المقابلة بحث عدد من القضايا الدولية الموجودة على الساحتين العربية والدولية .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد المجلس البابوى بالفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد المجلس البابوى بالفاتيكان برئاسة الكاردينال الفونسو لوبوس يتروجيلو فى ٩٨/١٢/٢٨ وقد رحب فضيلته بالوفد مؤكدا على أن الأديان السماوية تدعو إلى التراحم بين الناس وإلى مساعدة المحتاج ونصرة المظلوم وإعطاء كل ذى حق حقه ،كما أنها تنبذ العنف والتطرف والعصبية المقيتة ، كما أكد على تقارب الأفكار بين الأزهر والكنيسة الكاثوليكية فيما يتعلق بحماية الأسرة التى تقوم على الطهارة والعفاف والقيم الدينية الصحيحة ، وأضاف فضيلته أنه توجد لجنة رسمية من الأزهر الشريف ودولة الفاتيكان برئاسة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وعضوية المتخصصين تجتمع دوريا ، ووظيفتها مناقشة الموضوعات المتنوعة التى تعمل على نشر الفضائل ومحاربة الرذائل وحماية الأسرة ورعاية الطفولة .

وقد أعرب رئيس الوفد عن سعادته بوجوده فى الأزهر الشريف القلعة التى يعرفها الناس جميعا فى كل دول العالم مشيرا إلى أن بابا الفاتيكان يعمل من أجل السلام ومن أجل الأسرة وأيضا يشكر موقف الدول الإسلامية والمسلمين والأزهر لمساندتهم للقيم الروحية وإعلاء قيم الأسرة فى التراحم والحب وتربية الأبناء والأطفال .

وقال رئيس الوفد إن الهدف من زيارة الوفد للأزهر هو التعاون والالتقاء فى كل مايخص الأسرة من حيث الإنجاب والسكان وتنظيم النسل وسياسة الأسرة من الناحية الطبية والعلوم الحديثة وخاطب فضيلة شيخ الأزهر أعضاء الوفد مشيدا بمواقفهم وأفكارهم المستنيرة الخاصة بنصرة المظلوم والعطف على المساكين ومساعدة المحتاجين وهو ما يتحد مع مواقف الكنيسة الكاثوليكية ، كما أكد فضيلته على رفضه البناء على الأرض المغتصبة والوقوف إلى جانب إخواننا الفلسطينيين الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق ، وناشد المجتمع الدولى الوقوف بحزم مع الفلسطينيين وضد المغتصبين حتى يحصل الفلسطينيون على حقوقهم المشروعة .

وطلب رئيس الوفد أن يعقد مؤتمر على مستوى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن الأسرة سنة ٢٠٠٠ حيث إن هذه الفكرة طرحها بابا الفاتيكان فى خطابه السنوى ، ويكون هذا المؤتمر عن الطفل بصفة خاصة ورغب فى مشاركة الأزهر الشريف فى

هذا المؤتمر لتعتبر فرصة لدعوة أساتذة كبار عالميين متخصصين من الأزهر يشرحون ويتكلمون عن حقوق الطفل فى الأسرة وفى المجتمع .

وتدخل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الذى حضر اللقاء فقال : لقد تمت مناقشة موضوع حقوق الطفل فى الأسرة والمجتمع فى وجود الكاردينال أرينز وهو أحد المسئولين فى الفاتيكان .

وقال شيخ الأزهر نحن نؤيد عقد هذا المؤتمر لصالح الطفل والأسرة وعندما يتم التجهيز لهذا المؤتمر ويوضع البرنامج الخاص به ويصل للأزهر تتم دراسته تمهيدا للموافقة عليه بإذن الله تعالى .

نقل بعض إدارات إدارة الأزهر إلى المقر الجديد لمبنى مشيخة الأزهر بحديقة الخالدين

تم نقل بعض إدارات إدارة الأزهر الشريف بالحسين إلى المقر الجديد لمبنى مشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة بجوار دار الإفتاء المصرية وباقى الإدارات مازال بالمبنى القديم حتى يتم الانتهاء من بعض التجهيزات فى المبنى الجديد ، ويتكون المبنى الجديد من سبعة طوابق بالإضافة إلى طابقين تحت الأرض إلى جانب طابقين يعدان لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى واجهة المبنى ، والمبنى يؤثث تأثيثا كاملا وقد بلغت تكاليف المبنى الجديد مايقرب من أربعين مليونا من الجنيهات حتى الآن ولم يستكمل بعد .

افتتاح المجمع الشامل للتعليم الأزهرى فى مدينة العاشر من رمضان

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم الثلاثاء ٩٩/١/٥ المجمع الشامل للتعليم الأزهرى فى مدينة العاشر من رمضان وقد أنشأ المجمع السيد المهندس محمد فريد خميس رجل الأعمال ورجل الخير والبر ، ويضم معاهد للتعليم الابتدائى والإعدادى للبنين والبنات وأطلق عليه فضيلة الإمام الأكبر اسم والد المتبرع تكريما له ، وقال فضيلته فى كلمة الافتتاح : إن هذا عمل يرضى الله عنه وعن صاحبه ويكتب له به جزاء صدقة جارية كما فى حديث سيدنا رسول الله - ﷺ - ولو أن كل رجال الأعمال أقاموا مثل هذه المنشآت النافعة المفيدة لأبناء الوطن لكانوا أقرب إلى السلف الصالح من المسلمين الأوائل وكانت لهم فى ميزان حسناتهم يوم القيامة :

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

الشعراء ٨٨

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾

الانفطار ١٩

وقدم الطلاب عرضا مسرحيا دينيا ، وإنشادا دينيا أثر فى قلوب الحاضرين .

افتتاح عدة منشآت هامة بمدينة البعوث الإسلامية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى يوم الاثنين ٩٨/١٢/١٤ بزيارة لمدينة البعوث

الإسلامية بالدراسة ، بافتتاح عدة منشآت هامة تخدم العملية التعليمية لطلاب أكبر مدينة تعليمية تضم خيرة أبناء العالم الإسلامى حيث لم تحدث مثل هذه الإنشاءات منذ إنشاء مدينة البعوث وكان فى استقبال فضيلته الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية والمشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية والسادة العاملين بالمدينة والطلاب .

كما قد افتتح المطبخ الآلى الذى أقيم على أحدث النظم العالمية ، والمطعم الخاص بالمدينة والذى صمم ليستوعب جميع الطلاب فى المدينة دفعة واحدة وقد بلغت تكاليف إنشاء المطبخ الآلى والمطعم بمعداتهما سبعة ملايين من الجنيهات ، كما قام فضيلته بوضع حجر أساس عمارتين سكنيتين كبيرتين لإقامة الطلاب ، تسع العمارة الواحدة ثلاثمائة طالب ، وكذا عمارتين أخريين تحت الإنشاء على نفقة رجال الأعمال من أهل الخير والبر تصل تكاليفهما ثمانية ملايين من الجنيهات كما تم ترميم المبنى الإدارى العام للمدينة ملحقا به مبنى آخر يخص وحدة استخراج الجوازات ونقطة الشرطة وأيضا تم ترميم قاعة المحاضرات الكبرى بالمدينة وهناك قاعة أخرى تحت الإنشاء الآن لخدمة الطلاب كما تم تجديد وتحديث خزان المياه الرئيسى الذى يسع حوالى ٤٠٠٠ أربعة آلاف متر مكعب من المياه الصالحة للشرب ، وأنشأ بوابتين جديدتين للمدينة بتكاليف بلغت ٢٥٠٠٠٠ مائتين وخمسين ألفا من الجنيهات ويجرى الآن الانتهاء من أعمال المبانى لقاعة اجتماعات كبرى وجراج ودورات مياه وحمامات مزودة بالسخانات الشمسية خدمة لأبناء طلاب العالم الإسلامى الدارسين بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، وأيضا يتم ترميم وتجديد وتحديث سور المدينة من الخارج وتم هذا العمل تحت رعاية صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وبإشراف وتوجيه الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على المدينة .

حضر حفل الافتتاح فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيدة نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم بدولة النيجر والسادة سفراء الدول الإسلامية والسادة علماء الأزهر وقياداته ورجال الأعمال والطلاب .

افتتاح المسابقة العالمية السادسة لحفظ القرآن الكريم

فى افتتاح أعمال المسابقة العالمية السادسة لحفظ القرآن الكريم التى تشارك فيها سبعون دولة من دول العالم وذلك بقاعة الإمام الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر الشريف فى ١٧ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٥ من يناير سنة ١٩٩٩ والتى تنظمها وزارة الأوقاف كل عام تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ، ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف كلمة أكد فيها على أن مصر الأزهر تعد الاهتمام بحفظ وتلاوة القرآن الكريم منهج حياة يجب أن نسير عليه جميعا وأن نعمل على تحفيظه لكل أبنائنا وبناتنا وأن نحفظه نحن قبلهم ونعمل بما فيه وإذا قصرنا فى ذلك سيحاسبنا الله سبحانه وتعالى ـ ودور الأزهر

الشريف يعمل على تحفيظ القرآن الكريم ليس للمصريين فقط وإنما للمسلمين كافة ، وإن من يحفظ القرآن الكريم ويستوعبه ويعمل بما فيه يعد أزهريا ومن لم يحفظه ولا يعمل به لا يعد منتسبا للأزهر الشريف كما أكد فضيلته على أن الأزهر الشريف يعاهد الله على أن يبقى حفظاً للقرآن حفظا وتفسيرا .

وألقى فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف كلمة نيابة عن الأستاذ الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء قال فيها إن مصر كالعهد بها دائما ترعى العلم الإسلامى والقرآن الكريم الذى يعد أساسا لكل علم إسلامى ، وتتحمل مسئوليتها الإسلامية من منطلق ريادتها العلمية فى العالم الإسلامى بوصفها بلد الأزهر الشريف الذى يعد قبلة المسلمين فى العلوم الإسلامية منذ أكثر من ألف عام وسيظل كذلك بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، والمسابقات التى تتم فى حفظ القرآن الكريم بين جميع فئات الشعب المعروف بتدينه لها أثرها العظيم فى حفز الكثيرين على التنافس فى هذا المجال بشكل ملحوظ ، ودفع العديد من كافة الأعمار إلى الإقبال على حفظ كتاب الله الذى هو منهج حياة المسلمين ، وإذا كانت بعض الجهات المغرضة فى عالمنا المعاصر قد حاولت فى الفترة الأخيرة أن تدس على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) سورا مزعومة لتزييف حقائق الدين فإن هذه المحاولات الصبيانية لن يكون لها أى تأثير على القرآن العظيم الذى تكفل - الله سبحانه وتعالى - بحفظه ، فهى محاولات مفضوحة يسير أصحابها على نهج مسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى صدر الإسلام ، واخترع لنفسه سورا مزيفة ركيكة الأسلوب ممجوجة المعنى ، ومحاولات اليوم ما هى إلا امتداد لمحاولات الأمس ، وإذا كانت المحاولات القديمة قد باءت بالفشل فإن المحاولات الجديدة محكوم عليها بالفشل أيضا .

وقال إن الرد الصحيح على هذه المحاولات لا يكون بالشجب والإدانة والاستنكار إنما يكون بتقرير الحقائق الإسلامية والتعريف بها بأسلوب علمى سليم ، وبث سور القرآن الكريم جميعها على شبكة المعلومات الدولية ، ليطلع عليها كل من لديه الرغبة فى التعرف على القرآن العظيم وعلى ما تشتمل عليه من تعاليم ، وإن مصر تقيم اليوم المسابقة العالمية السادسة للقرآن الكريم تأكيدا لدورها الإسلامى وتشجيعا للمسلمين فى كل مكان للإقبال على حفظ كتاب الله ليكون المنارة التى تهديه فى طريق حياتهم وتوجيههم إلى الصراط المستقيم ، وقال الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف . إن التعاون بين المؤسسات الإسلامية فى مصر لخدمة الإسلام والقرآن الكريم ليس عربيا فحسب بل عالميا أيضا ، وأن مهمتنا هى الرد على الافتراءات والدفاع عن الإسلام والمسلمين بفكر واحد وعقل واحد ، وقال إن المسابقات الإسلامية لحفظ القرآن الكريم هى دعوة للتنافس وتدبر ما جاء بكتاب الله تعالى حتى تتخرج الأجيال التى ترعى الله فى عملها ودينها وأمنها .

حضر الاحتفال فضيلة مفتى الجمهورية الدكتور نصر فريد واصل وعلماء الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف وسفراء الدول المشاركة فى الاحتفال وأساتذة الجامعات والطلاب .

مد خدمة فضيلة وكيل الأزهر الشريف

● أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية قرارا بمد خدمة فضيلة الشيخ فوزى فاضل إبراهيم الزفزاف وكيلا للأزهر الشريف لمدة سنة وذلك بناء على طلب السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف صدر فى ٤ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٩٨ .

● صدر قرار السيد الدكتور كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء بمد خدمة السيد / رمضان التيجانى رمضان الجندى الموجه بإدارة المعاهد الأزهرية حتى نهاية ١٩٩٩/٦/٣٠ بناء على طلب السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ـ صدر فى غرة رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف القرار التالى : ـ

يسند إلى السادة الآتية أسماؤهم بعد القيام بأعمال الوظائف المبينة قرين اسم كل منهم بقطاع المعاهد الأزهرية اعتبارا من ١٩٩٩/١/١ وذلك لحين شغل هذه الوظائف ممن تتوافر فيهم شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية وهم :

١ ـ الشيخ عبد العزيز أحمد إبراهيم ندا قائم بعمل وكيل القطاع للخدمات للقيام بعمل وكيل القطاع لشئون المناطق .

٢ ـ الشيخ أحمد حمدى محمد موسى طنطاوى مدير عام التعليم الثانوى للقيام بعمل وكيل القطاع لشئون الخدمات .

٣ ـ الشيخ محمد حسنى إبراهيم حجازى وكيل منطقة البحيرة الأزهرية للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية لمنطقة البحيرة .

٤ ـ الشيخ عبد المطلب عبده محمد أحمد شريف مدير عام منطقة أسوان الأزهرية للقيام بعمل رئيس الإدارة المركزية لمنطقة قنا .

٥ ـ الشيخ شوقى حسن نويجى مدير التوجيه الفنى بالثانوى للقيام بعمل مدير عام التعليم الثانوى .

٦ ـ الشيخ محمد إبراهيم الغرباوى مدير التعليم الثانوى بمنطقة مطروح للقيام بعمل وكيل أول منطقة البحيرة الأزهرية .

٧ ـ الشيخ عبد الفتاح إبراهيم مجاهد الطوانسى وكيل أول منطقة الشرقية الأزهرية القيام بعمل مدير عام منطقة الشرقية الأزهرية .

٨ ـ الشيخ على الدين عبد الحميد سليمان محمد وكيل أول منطقة أسوان القيام بعمل مدير عام منطقة أسوان الأزهرية .

٩ ـ الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن حمودة مستشار بقطاع المعاهد الأزهرية القيام بعمل مدير عام منطقة الجيزة الأزهرية .

صدر فى ١٦ رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٤ من يناير سنة ١٩٩٩ م .

كما صدر قرار شيخ الأزهر بناء على ما عرضه فضيلة الشيخ وكيل الأزهر بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية الرابعة والأربعين لتدريب الدعاة والوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف ولمدة ثلاثة شهور اعتبارا من ٩٩/٢/١ وذلك للسادة الواردة أسماؤهم وعددهم ٢٧ سبعة وعشرون إماما وواعظا وتتحمل موازنة الأزهر

الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية وهم : -

وفد بورما :

١ - مولانا محمد يوسف مؤنل
٢ - الحافظ المولوى محمد يونس أبو شامة
٣ - الحافظ مولانا محمد يحيى مؤنل بن شمس الضحى
٤ - محبوب شريف بن جعفر على
٥ - مولانا مصطفى كمال بن الحافظ زين العابدين
٦ - نين موو ظافر أحمد .

وفد اليمن :

١ - محمد الخضرى على العبادى
٢ - صالح حسين جار الله
٣ - زيد أحمد سعيد بن زيد
٤ - نصر محمد عبد الله سميح
٥ - محمد صالح باعيون

وفد باكستان :

١ - محمد حسين ازاد بن الحاج حكيم
٢ - محمد نعيم بن آن بن حافظ
٣ - غلام محمد قمر بن محمد نزير
٤ - محمد مختار الحسن بن محمد

وفد سيرلانكا :

١ - محمد ناصر بن أبى صالح
٢ - محمد معاذ بن محمد صديق
٣ - محمد فائز بن محمود سليم
٤ - محمد فيروز بن عبد الشافى
٥ - رافع الدين بن شمس الدين
٦ - سيد علوى صالح مولانا

وفد ساحل العاج :

١ - عبد الله سانوغو
٢ - دثار سوبا إبراهيم
٣ - عثمان كارابون
٤ - سيسى ماما دو

وفد النيجر :

١ - غربا سليمان أبو بكر
٢ - عبد الله أبو بكر

صدر القرار فى ٧ من رمضان ١٤١٩ هـ الموافق ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

كما صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر الشريف بالموافقة على سفر السادة علماء الأزهر الآتية أسماؤهم بعد إلى دولة تشاد لإقامة أول دورة تدريبية للدعاة والخطباء فى دولة تشاد لمدة ثلاثة شهور وهم :

١ - فضيلة الشيخ / على نور الدين محمد على الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر
٢ - فضيلة الشيخ / السيد محمد محمد عبد العاطى عضو المكتب الفنى للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر
٣ - فضيلة الشيخ / محرز عبد العزيز جاب الله مدير تفتيش الوعظ بمنطقة القاهرة وتتحمل موازنة الأزهر نفقات السفر وبدل السفر المقرر قانونا .

صدر فى ٢٣ من شعبان ١٤١٩ الموافق ١٢ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م

كما صدر قرار فضيلة شيخ الأزهر بايفاد السيد / منصور بدر على بدر الموظف بالإدارة العامة للبعوث الإسلامية سكرتيرا لبعثة الأزهر بجنوب أفريقيا لمدة عامين ٩٩/٢٠٠٠ على نفقة الأزهر

صدر فى ٣ رمضان سنة ١٤١٩ هـ الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٩٨ م .

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

اجتمع المجلس الأعلى للأزهر الشريف برئاسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف وتمت الموافقة على الآتى :

١ ـ الموافقة على اعتماد مشروع اللائحة الداخلية لوحدة أبحاث الراغبين فى الزواج بمستشفى الزهراء الجامعى جامعة الأزهر الشريف .

٢ ـ الموافقة على اعتماد مشروع اللائحة الداخلية لكلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا ، والإبقاء على هذا الاسم للكلية ، أن تكون الدراسات العليا ـ ماجستير ودكتوراه قاصرة على القراءات وعلومها على اعتبار أن الكلية متخصصة .

٣ ـ الموافقة على تعديل خطة الدراسة لشعبة الخدمة الاجتماعية وتنمية المجتمع بكليات التربية ، وشعبة الخدمة الاجتماعية بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط ـ نظام الفصلين الدراسيين بمرحلة الإجازة العالية على أن يطبق هذا التعديل على جميع الفرق الدراسية اعتبارا من العام الجامعى ٩٨/٩٩م .

٤ ـ الموافقة على اعتماد خطة الدراسة لشعبة الجيولوجيا نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الإجازة العالية بكلية العلوم بنين بأسيوط على أن تطبق اعتبارا من العام الجامعى ٩٨/٩٩ وكذا اعتماد خطة الدراسة لشعبة العلوم البيولوجية نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الأجازة العالية بكلية العلوم بنين بالقاهرة على أن تطبق اعتبارا من العام الجامعى ٩٩/٢٠٠٠ م .

٥ ـ الموافقة على تطبيق اللائحة الداخلية لكلية طب الأسنان للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة على شعبة طب الأسنان بكلية طب البنات .

٦ ـ الموافقة على الدرجات العلمية التى تمنحها كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة فى إحدى الشعب الآتية اللغة العربية ـ الشريعة الإسلامية ـ أصول الدين .

٧ ـ الموافقة على إضافة درجة المستوى الرفيع فى مادة اللغة الإنجليزية إلى درجة المستوى العادى مع احتسابها فى المجموع الكلى عند إعداد كشوف الترشيح للكليات التى تطلب هذا التخصص بالنسبة لطلبة وطالبات المعاهد الثانوية الأزهرية .

٨ ـ الموافقة على استمرار بقاء امتحان الدور الثانى فى مادة استظهار القرآن الكريم بجميع كليات الجامعة كما كان مطبقا من قبل .

٩ ـ الموافقة على تعديل خطة الدراسة نظام الفصلين الدراسيين لمرحلة الإجازة العالية بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .

١٠ ـ الموافقة على إعادة تعيين عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر الشريف الذى سبق إنهاء خدمته للاستقالة أو الانقطاع ـ عضوا غير متفرغ بكليات جامعة الأزهر الشريف .

١١ ـ الموافقة على امتحان القرآن الكريم على أن يكون الشفوى درجة النجاح فيه ٢٥٪ ودرجة النجاح فى الامتحان التحريرى ٧٥٪ .

حضر الاجتماع معالى وزير الأوقاف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ونواب رئيس الجامعة والسادة الأعضاء .

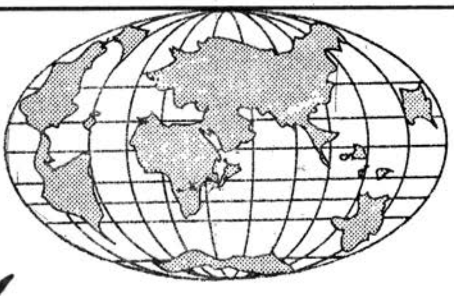

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور:
حسن على محمد

من المحرر

متى يصحو العرب ؟!

أثبتت الضربات الأمريكية للشعب العراقى أن الأمة العربية لا تزال نائمة أو غائبة أو مغيبة لا تدرى بما يدور حولها ويبدو ذلك واضحا فى رد الفعل العربى تجاه ضرب العراق بأحدث ما فى ترسانة أمريكا وبريطانيا.

إن الدليل الأكبر على أن العرب لازالوا فى نوم عميق هو عجزهم عن عقد قمة طارئة تحدد ماذا هم فاعلون، إن الله سوف يحاسبنا جميعا نحن العرب.. أعطانا كل شىء يلزم القوة ولم نستثمر أى شىء إننا جميعا نحاسب على التقصير فى الأخذ بأسباب القوة قال - تعالى -

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ (الأنفال : ٦٠)

بغداد

فى سابقة دولية خطيرة ، انتهكت الولايات المتحدة سيادة شعب العراق ، وتابعتها على نفس النحو انجلترا ، فيما يعد « بلطجة » دولية ، وقد تم قصف العراق من البحر من خلال حاملات الطائرات ومن الجو من خلال الطائرات القاذفة الثقيلة بعيدة المدى — (B - 25)

وتعتبر الولايات المتحدة ضرب العراق أشبه بمناورة عسكرية لعدم التكافؤ بين الدولتين ، ولهذا تم القصف المركز على مدار أربعة أيام دون خسائر تذكر فى الجانب المعتدى . .

وعلى الجانب الآخر ، تسبب القصف العدوانى الغاشم فى تدمير البنية الأساسية للدولة ومراكز الاتصالات .

وتعد الضربة الأمريكية هى الأعنف منذ العدوان الأول فى حرب تحرير الكويت .

ويقدر الخبراء القوة التدميرية للمتفجرات الملقاة على العراق فى الأيام الأربعة الماضية بحوالى ٥٠ قنبلة نووية صغيرة .

القاهرة

ردود أفعال عالمية وعربية تدين العدوان على الشعب العراقى

□ أدان الشعب المصرى بجميع فئاته العدوان الأمريكى الغاشم على الشعب العراقى ..

□ شيخ الأزهر : ندين العدوان ونقف مع الحق والعدل

□ مفتى الديار المصرية : الهجوم الأمريكى إفساد فى الأرض وتخريب

فى اجتماع حاشد بالجامع الأزهر ، أمَّ الإمام الأكبر شيخ الأزهر المصلين وخطب فيهم منددا بالظلم الواقع على الشعب العراقى وقال : إننا مع شعب العراق فى أزمته وندين العدوان ونقف مع الحق والعدل وندافع عن مقدساتنا بالمال والنفس وكل عزيز لحماية مقدساتنا .

وفى ملتقى الفكر الإسلامى بالحسين الذى تقيمه وزارة الأوقاف قال المفتى : إن العدوان الأمريكى على شعب العراق إفساد فى الأرض وتخريب للنفوس ويشابه الحرب التترية .

المجلس الاسلامى العالمى يشيد بدور مصر فى وقف العدوان على شعب العراق

أشادت الأمانة العامة للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالقاهرة بالدور الذى قامت به مصر لوقف العدوان الأمريكى ، ودعا المجلس فى بيانه إلى قيام جهد إسلامى مشترك لاحتواء الأزمات .

وطالب البيان العرب والمسلمين بضرورة التعاون والتضامن ، وأن يقوم كل بدوره من أجل التضامن الإسلامى والعربى لمواجهة الأخطار والتحديات الدولية .

اجتياز الامتحان شرط لشغل وظيفة مدرس تحفيظ القرآن

● القاهرة : عن جريدة « الأهرام »

تلقى مجلس الشعب من الحكومة مشروع قانون بتعديل القانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٦٥ فى شأن تعيين مدرس تحفيظ القرآن الكريم ،

ويقضى التعديل بأن يعين جميع العاملين بالمعاهد ومدارس تحفيظ القرآن الكريم التى ضمت أو تضم إلى الأزهر فى الوظائف التى تتوافر فيهم شروط شغلها المدرجة بميزانية الأزهر ، وذلك بشرط اجتيازهم بنجاح الامتحان المقرر لشغل هذه الوظائف وفقا للقواعد والإجراءات التى يصدر بتحديدها قرار من شيخ الأزهر .

● وحدة للحوار بين الأديان بوزارة الخارجية

القاهرة ـ أ . ش . أ

قرر السيد عمرو موسى وزير الخارجية إنشاء وحدة جديدة للحوار بين الثقافات والأديان بوزارة الخارجية .

يأتى ذلك فى إطار الإعداد لمشاركة مصر فى الحوار المشترك بين العالم الإسلامى والغرب الذى اقترحه الرئيس الألمانى تحت رعاية ملوك ورؤساء مصر وألمانيا والنرويج وأسبانيا وفنلندا وإيطاليا والمغرب والأردن وماليزيا .

موقع على الانترنت للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية

● أكد الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن موازنة المجلس الأعلى قد زادت من ٣,١١٢ مليون جنيه عام ١٩٨١ إلى ٩,٢١ مليون جنيه عام ١٩٩٨ ، وأن المجلس قد حجز موقعا على شبكة الإنترنت العالمية بتكلفة نصف مليون جنيه لرصد ما يبث على الشبكة عن الإسلام والرد على مايثار من شبهات .

سفير مصر فى واشنطن يرد على مزاعم الكونجرس الأمريكى : خطابكم عن الأقباط فى مصر لا أساس له من الصحة

بعث السفير المصرى أحمد ماهر برسالة إلى الكونجرس الأمريكى ناقش فيها الاتهامات الموجهة إلى مصر باضطهاد الأقباط ، وقد رفض السفير المصرى هذه الاتهامات ، وطالب بمناقشة القضية بشكل موضوعى حفاظا على العلاقات الثنائية بين البلدين .

واستنكر السفير المعلومات الخاطئة المنشورة فى هذا الصدد ، وأنها مغرضة تهدف إلى إثارة القلاقل . . !!

واشنطن

تطلب تشديد العقوبات على ليبيا فى حالة عدم تسليم المشتبه فيهما .

أكدت الخارجية الأمريكية أنه آن الأوان لقيام ليبيا بتسليم المشتبه فيهما ، وأن الولايات المتحدة تحذر ليبيا من المماطلة وأنها تعطى الجماهيرية مهلة حتى فبراير القادم . . !!

وليبيا تطالب بتسليمها تاتشر وريجان مقابل محاكمة المتهمين الليبيين .

لندن

ذكر تقرير بريطانى أن ليبيا طلبت تسليم رئيسة الوزراء البريطانية السابقة والرئيس الأمريكى ريجان لمحاكمتهما كمجرمى حرب فى مقابل تسليم المشتبه فيهما .

وأوضح التقرير أن الهجوم البريطانى الأمريكى على شعب العراق قد يؤخر عملية التسليم .

باريس

من أجل عيون إسرائيل ٦ شهور حبس لجارودى

أصدرت محكمة استئناف باريس حكما بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ على المفكر المسلم « روجيه جارودى » لاتهامه بالحض على التفرقة العنصرية ، ونفى اضطهاد اليهود ، كما أيدت المحكمة حكماً سابقا بالتعويض قدره عشرة آلاف فرنك تعويضا بالحق المدنى .

باكستان

مخاوف من اندلاع حرب نووية بين الهند وباكستان

حذر تقرير أمريكى من احتمالات وقوع حرب نووية بين الهند وباكستان فى حالة عدم التوصل إلى حل بشأن قضية كشمير ، ناشد التقرير الذى أعده معهد أمريكى للدراسات الاستراتيجية كلا من نيودلهى وإسلام أباد بوضع قيود فورية على البرامج النووية لكل منهما لضمان تحقيق الاستقرار والأمن فى المنطقة .

الصومال

١٠ آلاف صومالى يلجئون لأثيوبيا بسبب الجفاف

أديس أبابا ـ أ ش أ : أعلن المكتب الإقليمى لمنع الكوارث فى إقليم أوجادين الأثيوبى الذى تسكنه أغلبية صومالية أن أكثر من عشرة آلاف صومالى نزحوا إلى أثيوبيا هربا من القحط والجفاف الذى أصاب الصومال .

المعروف أن أثيوبيا تؤوى أكثر من ٢٠٧٥ لاجئا صوماليا منذ اندلاع الحرب الأهلية فى الصومال عام ١٩٩١ .

أيرلندا

افتتاح مسجد جديد ومركز للثقافة الاسلامية

فى شهر رمضان الماضى تم افتتاح واحد من أكبر المساجد فى أوروبا بالعاصمة الأيرلندية

(دبلن) حيث تمت إقامته على مساحة خمسة آلاف متر مربع ، ملحقا به مركز للثقافة الإسلامية وقاعة للاحتفالات ومكتبة إسلامية .

بلغت التكلفة الإجمالية للمسجد والمنشآت الأخرى ٥ ملايين جنيه استرليني وهى كلها تبرعات من أهل الخير فى بعض دول الخليج والدول الإسلامية .

الجدير بالذكر أنه يوجد فى (أيرلندا) حوالى ٥ آلاف مسلم ، معظمهم من باكستان وماليزيا وتضم أيرلندا حتى الآن حوالى ٥ مساجد .

الشيشان

قدامى الحرب يعودون لمكافحة الجريمة

ذكرت السلطات الشيشانية أنه توجد استجابة قوية للمرسوم الذى أصدره الرئيس أصلان الذى يأمر الجنود القدماء من أيام حرب الاستقلال ضد روسيا بالالتحاق مرة أخرى بالجيش لمكافحة الجرائم المدنية .

لبنان

● **المقاومة اللبنانية تطلق ٣٢ صاروخا على إسرائيل**
● **إصابة ١٣ يهوديا وشكوى عاجلة من لبنان إلى مجلس الأمن.**

بيروت ـ وكالات الأنباء :

ذكرت وكالات الأنباء أن المقاومة الوطنية اللبنانية أطلقت على شمال إسرائيل ٣٢ صاروخا من طراز كاتيوشا انتقاما لمقتل سيدة لبنانية وأطفالها الستة .

وقد أعلن حزب الله مسئوليته عن القصف الصاروخى وذلك فى بيان هدد بشن المزيد من الهجمات لردع إسرائيل عن ضرب الأبرياء .

وذكر راديو إسرائيل أنه تم إعلان حالة التأهب فى سلاح الجو اليهودى تمهيدا لاحتمال شن غارات جوية على مواقع حزب الله .

وأعلن سليم الحص رئيس وزراء لبنان أن حكومته تقدمت بشكوى عاجلة إلى مجلس الأمن حول الاعتداءات الوحشية اليهودية ضد المدنيين اللبنانيين .

السودان

يسعى لتحسين العلاقات مع مصر

أكد وزير رئاسة مجلس الوزراء السودانى رغبة بلاده فى تحسين العلاقات مع مصر ، مشيراً إلى وجود مؤشرات تدل على عودة العلاقات بين البلدين .

١٣ ألف محطة إذاعية تهاجم الاسلام

جدة ـ نقلا عن جريدة « أخبار المسلمين » : توفرت لدى منظمة المؤتمر الإسلامى مجموعة

من التقارير التى تؤكد وجود أكثر من ١٣ ألف محطة إذاعية تهاجم الإسلام والمسلمين ، منها ٢٤ محطة إذاعية توجه إرسالها باللغة العربية ويستمر إرسالها ٢٠ ساعة يوميا .

وأوضحت منظمة المؤتمر الإسلامى أن هناك ١٢ ألفا و ٥٠٠ محطة إذاعية تبث برامجها باللغات الأجنبية واللغات المحلية السائدة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وأن هناك ٦٠٠ مؤسسة إذاعية أخرى تهاجم المسلمين والإسلام .

مظاهرات غاضبة فى تركيا احتجاجا على منع ارتداء الحجاب

اسطنبول ـ أ . ف . ب .

اندلعت المظاهرات الغاضبة فى العاصمة التركية احتجاجا على منع ارتداء الحجاب فى الجامعات التركية ، وقد وقعت اشتباكات بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، وسط مدينة اسطنبول .

أسفرت المظاهرات عن إصابة عدد من رجال الشرطة والمتظاهرين ، المعروف أن ٥٠ جامعة تركية كانوا قد أصدروا قرارات بمنع ارتداء الحجاب داخل الجامعات التركية .

كلينتون . مراوغا . : أمريكا ليست فى حرب ضد الاسلام

نيويورك ـ مراسل « الأهرام » .

أكد الرئيس الأمريكى بيل كلينتون أنه لا يوجد صراع بين الإسلام والغرب ، وأن الولايات المتحدة ليست فى حرب ضد المسلمين ، والدليل على ذلك أن الإسلام من أكثر الديانات انتشاراً فى الولايات المتحدة ، وأشار كلينتون إلى وجود أكثر من ١٢٠٠ مسجد فى الولايات المتحدة ، كما دعا كلينتون إلى عدم الربط بين الإسلام والإرهاب .

احراق مركزين للشرطة واشتباكات مع قوات الأمن فى إندونيسيا

جاكرتا ـ وكالات الأنباء

تجددت أعمال العنف فى بلدة (ليوا) بجزيرة سومطرة ، وذكر شهود العيان أن نحو ألفى شخص هاجموا مراكز الشرطة الأندونيسية واشتبكوا مع قوات الأمن عقب وفاة شاب فى الحجز بأحد أقسام الشرطة وقد تعهد وزير الدفاع بأن يلتزم الجيش الحياد فى الانتخابات العامة .

عمان

وكالات الأنباء

الاتحاد البرلمانى العربى

د . سرور رئيس الاتحاد :

نطالب باتخاذ موقف عربى موحد لرفع الحصار عن العراق

دعا الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس الاتحاد البرلمانى العربى إلى اتخاذ موقف عربى موحد من أجل رفع الحصار الظالم المخالف للمواثيق الدولية ضد العراق ، وقال إن مصر تدين الاعتداءات العسكرية ، وأن الاتحاد البرلمانى العربى يدين الاعتداءات البربرية لبريطانيا وأمريكا .

وقال د . سرور : إن للعراق المطالبة بالتعويض الكامل عن الخسائر التى لحقت به من جراء عدوان يفتقد إلى الشرعية .

lui, si nous avions usé de sa jeunesse, (en lui imposant de payer le tribut) pour le négliger dans sa vieillesse."

Voici un autre exemple:

Un homme écrit à Omar Ibn El-Aziz lui disant: *"Comment permets-tu que les gouverneurs laissent les gens du Livre consommer de l'alcool, manger le porc et faire du porc leur sujet de commerce?"* Omar lui répondit: *"Le Prophète -b.s- nous a ordonné de laisser aux gens du Livre leurs croyances, nous sommes toi et moi des disciples qui suivent et non pas des innovateurs."*

Un gouverneur lui écrivit un jour: *"Le revenu du trésor public s'amoindrit de jour en jour et cela est dû à la quantité de gens du Livre qui se convertissent. Il me semble bon de ne pas les dispenser du tribut même après leur conversion à l'Islam."* Sur ce, Omar lui répondit:*"Quel mauvais conseil tu me proposes! Mohammed-b.s- a été envoyé comme "Prédicateur" et non pas comme percepteur".*

2- Les sujets non musulmans qui vivent dans un Etat musulman ont tous les droits des musulmans par ordre d'Allah et Son Messager. Ils sont appelés"Ahl-El-Zemmah" parce que ce sont des gens à qui Allah a offert asile à l'intérieur de la communauté musulmane.

Les "Ahl-El-Zemmah" jouissent de tous les droits huumains comme celui de la résidence permanente; ils profitent de tous les services publiques, peuvent exercer le commerce, l'agriculture, l'industrie etc... Ils se marient et jouissent d'une sécurité sociale: chacun d'eux est assuré sur son bien, sa famille, ses enfants, son honneur, tout en étant libre de professer n'importe quelle religion, de célébrer ses rites, de consommer le porc, de boire le vin et tout ce que sa religion lui permet sans toutefois l'afficher[2] publiquement ni semer la corruption sur terre. De plus, il n'est pas contraint à porter les armes pour défendre l'Etat islamique et, en revanche, il est tenu de payer un tribut ou "Djiziah".[3]

Le tribut est calculé proportionnellement au revenu de sa fortune, à son gain et à ses moyens matériels.

S'il advient que le non-musulman vieillit ou s'appauvrit ou que le gain de son travail s'arrête, sa subsistance et celle de ses enfants incombent au trésor public des musulmans.

3-En vertu des traités qui visent à conclure avec les musulmans un pacte de bon voisinage, ou de non-agression, ou d'échange d'intérêt, ou de voyage réciproque des gens pour favoriser le tourisme ou le commerce, leurs biens, leur honneur sont sauvegardés tant qu'ils respectent leurs engagements, comme l'Islam l'a ordonné et comme le Prophète-b.s-l'a signalé en disant: ***"Celui qui lèse un protégé, ou lui rabaisse son dû, ou le surcharge de ce qu'il ne peut supporter, ou encore le prive d'une chose sans son consentement, je serai moi-même son adversaire le Jour du Jugement Dernier."*** **Hadith rapporté par Abu-Dawud.**

Les compagnons et les intendants suivirent cette ligne de conduite; nous citons à titre d'exemple:

Un jour, Omar passa devant des gens et vit un vieil homme juif frappé de cécité qui mendiait. Omar s'approcha de lui, lui tapa sur l'épaule et lui demanda: *"Qu'est ce qui t'a poussé à la mendicité?".* Le vieil homme répondit: *"Je cherche à me procurer de quoi payer le tribut "Al- Djiziah", car je suis vieux et dans le besoin."* Alors, Omar ordonna de le dispenser du tribut; ainsi que tous ceux qui pouvaient se trouver dans une situation analogue parmi les gens du Livre. Ensuite, il ordonna de lui verser une pension du Trésor public (Baït El Mal) afin de lui assurer sa subsistance et celle de sa famille. Puis, Omar dit: *" Nous serions injustes envers*

La jurisprudence islamique vis à vis des musulmans étrangers et des gens du Livre.

Hoda Hussein Chaâraoui.

Les étrangers dans toutes les nations, durant les siècles antérieurs et jusqu'au début du moyen âge, n'avaient aucun droit; ce qui fit naître l'esclavage, favorisa le commerce des humains et l'asservissement de l'homme par son frère. Ceci dura jusqu'à l'arrivée de l'Islam lorsque le Coran appe.la ainsi avec les paroles d'Allah-Gloire à Lui- les hommes: **[Ô vous, les gens! Nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle et Nous vous avons constitués en nations et en tribus pour que vous vous connaissiez. Le plus digne d'entre vous auprès d'Allah est le plus pieux.]** [1] **Surate 49 "Al-Hujurates" (Les Appartements) V.13.**

L'Islam invite les hommes à se réunir en nations et en tribus et leur interdit de se haïr ou de guerroyer.

Le Prophète-b.s-nous exhorte en ces termes: ***"Les gens sont égaux devant leur Créateur-comme les dents du peigne, aucun arabe n'est supérieur à un non arabe, pas de discrimination raciale entre blanc et noir entre rouge et jaune, sinon par la piété. Vous êtes tous issus d'Adam... Et Adam est créé d'argile."***

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

Ce principe a été mis en pratique durant le siècle du Prophète-b.s-de sorte qu'on voyait parmi ses compagnons celui qui était arabe, Korachite, éthiopien, byzantin, persan, libre ou esclave. Ils jouissaient tous d'une même justice dans les droits et les devoirs.L'Islam a institué les droits des musulmans étrangers et des gens du Livre de la manière suivante:

1- Les citoyens musulmans des pays et ceux des différents états étrangers sont égaux devant la loi et ont tous les droits humains, civils et politiques car, en adhérant l'Islam, ils sont devenus membres de la société musulmane, ont obtenu les mêmes droits et sont redevables des mêmes obligations.

---

[1] L'Islam rompt avec la nationalité basée sur la communauté de race et abolit complètement l'apartheid.

parole et ses actes car il est pour le commun un fruit de la religion. Si le fruit est mûr, il est désiré. Si le missionaire dévie, sa parole et ses actes seront douteux. Le plus important est l'éducation de la conscience religieuse chez les jeunes aussi bien dans leur cadre propre que dans celui de la famille, des collèges et des universités. L'homme de religion doit être patient et doit voir loin dans le dialogue avec les jeunes. S'il est rebuté par des déviances, qu'il considère cela comme une chose naturelle et essaye de mener le discours dans la voie juste. Qu'il sache qu'il influence davantage par son comportement que par les preuves qu'il avance. II doit s'éloigner au début des textes et ne doit les présenter qu'après avoir convaincu son auditeur d'une manière rationnelle de la justesse de sa direction. Le texte religieux doit être un moyen de confirmation.

Le dialogue avec les jeunes ne peut s'établir qu'après une étude de leurs conditions psychologiques, sociales et culturelles. Ces dernières sont aujourd'hui dans une situation de décadence et d'incertitude qui appelle à un sursaut religieux urgent. II faut que les jeunes aient un regard critique sur tout ce qu'ils voient dans la société. Qu'ils aient leur propre opinion sur les films et les pièces de théâtre décadents, sur la presse pornographique et sur les appels à la débauche qui sont si nombreux dans les pays dominants tellement que la plupart des tendances médiatiques charrient aujourd'hui un mal rampant.

C'est dans cette direction que s'élèvera un dialogue avec les jeunes. Je suis obligé d'être bref car l'espace qui m'est dévolu ne me permet pas d'élargir l'analyse.

Ces brèves remarques pourraient, peut-être, devenir bientôt des points précis qui demanderaient d'être étayés.

et par l'hérédité et qu'il agit en fonction de ces deux facteurs. II ne ferait que mener un combat au-dessus de ses forces s'il cherchait à s'en détacher. L'influence de la société et de l'hérédité est indéniable dans son cadre naturel lorsqu'une bonne éducation est un facteur d'élévation pour l'homme et lorsque la déchéance n'est pas un destin fatal auquel on ne peut échapper. Que fait le jeune dissolu lorsqu'il trouve une justification à sa dissolution dans ce que prétendent ses professeurs de ces déterminismes ? II commettra un crime et dira qu'il n'était pas responsable et se détournera des gens de religion lorsqu'ils appelleront au bien et interdiront l'acte repréhensible.

En économie, les opinions sont partagées entre le communisme et le capitalisme. Que la religion soit la balance pour déterminer la vérité et qu'elle appelle à la solidarité et à l'entr'aide, cela ne peut se perpétuer, selon eux, à l'époque des luttes et des rivalité où le puissants écrase le faible même si de telles valeurs avaient existé jadis.

En politique, ils estiment que les théories qui justifient des moyens ignobles pour atteindre des objectifs qui ne sont que des convoitises ne sont pas blâmables. Les livres de Machiavel et de ses semblables sont devenus la référence et on concrétise leurs théories. L'affaire est devenue plus grave car cette politique a trouvé un écho chez les grandes puissances qui pillent et convoitent les richesses d'autrui. Tout ceci est combattu par la religion.

II faut donc instaurer un dialogue avec les jeunes. Que les résultats précités des sciences soient exposés d'une manière critique et avec des arguments clairs qui dévoilent l'erreur d'opinions qui ont conduit le comportement humain au ruisseau.

Beaucoup de jeunes pensent aujourd'hui que la religion s'oppose à la raison et qu'elle est remplie de fables et de légendes. IIs n'ont pas étudié de la religion ce qui leur aurait permis d'avoir un jugement juste. Tous ceux qui ont lu les livres sacrés connaissent leur invitation à la sagesse, à la réflexion et à la circonspection. II faut aussi que ceux qui ont pour tâche d'appeler à la religion facilitent la voie et en exposent les principes d'une façon claire et sans obscurité. Qu'ils avancent l'argument rationnel, clair dans le prologue et juste dans le résultat avant d'exposer le texte afin que leur discours soit convaincant et attrayant pour l'esprit et l'âme. De même, il faut que l'homme de religion soit un exemple dans sa

vertus humaines prônées par les religions monothéistes et qui ne suscitent aucun désaccord d'une religion à l'autre. Aucune religion digne de ce nom ne permet le vice que ce soit la chose illicite, le sang répandu, les biens pillés, l'incitation à l'hostilité et à la haine ou tout ce qui repréhensible. le respect au culte particulier à chaque religion n'empêche pas le travail commun pour l'établissement des vertus et pour combattre le vice. II est répugnant de croire naïvement que le triomphe de sa propre religion passe par l'attaque des croyances des autres. Ce fut une calamité qui a fait endurer à l'humanité des affres incommensurables. Combien de sang versé, inspiré par un fanatisme abominable et que Dieu ne voulait pas. Peut-être que la marche de l'humanité vers un avenir radieux fera que ces crimes seront perçus comme des maux honteux qu'on fera tout pour qu'ils ne se répètent jamais.

Après ce mot bref au sujet de l'utilité du dialogue interreligieux entre des penseurs à l'esprit éclairé, nous passons à la nécessité d'un dialogue semblable avec la jeunesse plongée dans des illusions trompeuses et qui a été induite en erreur par des moyens tentateurs et puissants qui l'ont poussée à aimer les instincts. II est nécessaire d'instaurer un dialogue avec la jeunesse lors de conférences et d'écouter ses revendications et ses doutes afin qu'elle rejoigne le monde de la foi lorsqu'elle en verra le bénéfice et saura distinguer la voie droite de l'erreur. Elle est le pilier de l'avenir et l'espoir de demain.

Nous voyons aujourd'hui beaucoup de jeunes diplômés des universités et des écoles supérieurs qui proclament ouvertement leur athéisme et disent en se vantant que le temps des religions est révolu à l'heure de l'époque des sciences. La raison en est que leurs maîtres en psychologie, en sociologie, en économie et en politique construisent des théories qui détruisent les fondements de la religion à partir d'illusions qui ne reposent sur aucune vérité. En psychologie, un groupe de professeurs décident que les bas instincts ont nécessairement un rôle de par la constitution du corps. La déviance et la perversion seraient les résultats inéluctables de l'oeuvre de ces instincts et vouloir s'en débarasser serait une douleur qu'endurerait l nomme. Bien plus, ils décident que les vertus humaines telles la générosité et le martyre n'ont d'autre motif que l'amour de l'apparat et la vanité. Ainsi, le vice devient une nécessité qu'on ne peut éviter et la vertu un vice. Tout cela n'est que pour détruire l'enseignement religieux qui appelle aux valeurs nobles, voire pour l'attaquer en son essence.

En sociologie, on nous dit que l'homme est déterminé par son environnement

La jeunesse et le dialogue interreligieux

par le Dr. Mohamed Ragab Al-Bayoumi,
membre de l'Institut d'études islamiques, ex-doyen
de la Faculté de langue arabe d'Al Azhar.

C'est une bénédiction de Dieu qu'un dialogue serein, honnête et sérieux s'instaure dans un respect mutuel entre les religions. Ainsi disparaît la discorde entre des croyants qui doivent faire face ensemble aux courants opposés Il n'est pas étonnant que ceux qui appellent à Dieu se rassemblent dans une voie droite; ce le serait,au contraire, qu'ils soient éparpillés en factions et groupes. Et ce serait encore plus étonnant qu'ils se combattent au lieu de s'entraider tous pour le bien, l'oeuvre morale et pour la concrétisation des nobles valeurs humaines.

Un dialogue sérieux et honnête s'est instauré entre les têtes pensantes. Chaque groupe a écouté les propos des autres et tous sont d'accord sur le respect de l'opinion contraire car cela n'empêche pas le droit de s'accorder sur les principes essentiels en religion :la reconnaissance de l'existence d'un dieu créateur que dirige le monde et garde les hommes; la croyance en la rétribution dans l'au-delà, le jour où l'homme de bien trouvera sa récompense et celui qui a fait le mal goûtera son châtiment. Le sens et les raisons de cette foi qui ne peut souffrir le secret sont établis et authentiques. C'est cette foi qui appelle à une société morale car elle ne peut être réelle dans le coeur du croyant et tendre par la suite vers le vice en rejetant la vertu. La conscience est le censeur du croyant : elle le pousse vers le bien et l'éloigne du mal. Si les crimes sont nombreux parmi les gens de foi, c'est que ceux-ci ont fait taire dans les plis du coeur cette voix criante et qu'ils se sont bouché les oreilles. L'éveil de la conscience éradique le mal, induit à l'entente et supprime la division corruptrice.

Le dialogue entre les penseurs des religions a conduit à l'existence d'un terrain solide commun à tous les croyants. Le but en était le rassemblement autour des

soit accomplie en assemblée ou individuellement, dans la mosquée, en plein air ou dans la maison. D'autre part, celui qui a raté la prière en commun le jour de la Fête, doit accomplir seul une prière de deux rak'as.

Quant à la participation des femmes à cette prière, on rapporte à ce sujet le Hadith suivant de Ibn 'Abbas: "***Je suis sorti avec le Prophète - à lui bénédiction et salut- le jour de la rupture du jeûne; il fit la Khutba puis se rendit auprès des femmes, les admonesta, leur rappela (les enseignements de l'Islam) et leur recommanda de faire l'aumône***". Hadith rapporté par Al Bokhari.

Selon Ibn 'Abbas, le Messager d'Allah - à lui bénédiction er salut - emmenait ses femmes et ses filles avec lui les jours des deux Fêtes" (Hadith rapporté par Ibn Maguih).

Les trois Imams, Abu Hanifa, Al Chafi'i et Ibn Hanbal, sont unanimes à reconnaître que la condition essentielle pour la validité de la prière de la femme c'est qu'elle soit vêtue décemment et que ses vêtements ne laissent voir que son visage et ses mains.

Toutefois, les ulémas hanéfites jugent préférable pour la femme d'accomplir la prière dans son foyer car la prière en commun dans la mosquée n'a pas été prescrite pour les femmes.

Rappelons enfin que, dans les pays islamiques, la prière en assemblée durant les deux Fêtes est un des aspects de l'union des musulmans autour d'une foi en un Dieu unique et en Son Messager, Mohamad - à lui bénédiction et salut.

"Salat Al'Id " ou la Prière de la Fête

par Dr. Rokeya Gabr

La prière est la clé du Paradis et c'est l'un des fondements de l'Islam tels que les a pescrits Allah - Gloiré à Lui- pour tout musulman et toute musulmane.

La prière est un entretien intime entre le croyant et son créateur à qui il s'adresse en aspirant à obtenir Sa grâce, Son pardon et Sa miséricorde. Au cours de cet entretien accordé par le Seigneur à Son servireur, Allah pardonne au musulman ses péchés présents et passés. C'est ce que certifie le Hadith du Prophète - à lui bénédiction et salut-; "***Lorsque le serviteur d'Allah se lève pour prier, il se rend à la prière en portant sur la tête et sur les épaules tous ses péchés; chaque fois qu'il s'agenouille ou se prosterne, ses péchés tombent.***" (Hadith rapporté par Al Tabarani).

La Prière d'Al 'Id (de la Fête) fait partie des prière accomplies par les musulmans suivant la Tradition certifiée ou Sunna. Le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut- avait coutume d'accomplir la prière des deux fêtes (celle du Sacrifice et celle de la Rupture du Jeûne) et recommandait aux musulmans de suivre son exemple. Ainsi, dès l'an I de l'Hégire les musulmans prirent l'habitude de se rendre à la mosquée pour accomplir la Prière de la Fête.

Selon certains jurisconsultes il est préférable d'accomplir cette prière dans la mosquée alors que d'autres ulémas optent pour l'avis qui recommande de l'accomplir en plein air, en dehors de la mosquée.

Selon Al Bokhari la Prière de la Fête est exigée aussi bien des hommes que ds femmes et des jeunes garçons, qu'ils soient résidents ou en voyage, que cette prière

REVUE
AL AZHAR

Shaw'wal 1419 H. Feb. 1999 Vol. 71 Part X.

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Consume not the orphan's property with oppressiveness,
Pass your hand on his head with tenderness,
Be generouds and rid yourself of niggardliness.
Clothe the nude and feed the hungry to attain Allah's nearness,
Overe come your atrocity and harshness,
Anomg the true believer's traits are leniency and soft-heartedness,
Weep over your sins and repent with rsoultion and firmness,
Adam sinned, repented and Allah granted him His forgiveness,
The doctorine of the Original Sin has no correctness,
Adam's progeny will not bear their father's sinfulness,
Carry out Allah's commands with complete submissiveness.
Allah seals the hearts of those who insist on wrong-doing and aggressiveness,
In the Hereafter, your organs will bear witness against your wickedness,
Avoide pride and haughtiness,
Modesty is a sign of greatness,
Live and let others live in peacefulness,
This life is not for rest; it is for struggle and strenuousness,
The faithful face afflictions with patience and stubbornness,
Read to widen the scope of your religious consciousness,
Good helps your spiritual brightness, while evil retards that brightness,
Do good and shun evil to live in permanent happiness.

Do Good and Shun Evil

By Inspector /

Kamal Abdul Rahman Hammam M.A

The bones have become weak and you are at the door of death,

Your book of deeds is a fact not a myth,

On the Day of judgment, you'll be questioned about your health and wealth,

Purify your heart of envy, animosity and filth,

Suppress evil tendencies and sow good seeds in your tilth,

Keep in touch with the Divine Spirit till your last breath,

Be obedient to the creator of life and death.

You were created with pure nature and sinlessness,
Of all creatures, you are endowed with free will and uniqueness,
Allah's fore-knowledge causes you harmlessness,
Committing sins is the reason for your wretchedness,
Such sins are the product of obeying the satan's seductiveness,
Resist his temptations with might and steadfastness,
Following the devil's footsteps is foolishness,
On the faithful, Satan has no effectiveness,
Fortify yourself with piety and righteousness,
Keeping up prayer is a fort against devilishness,
Be chaste and approach not lewdness,
Earn your food through Lawfulness,
Your business dealings and profits should be based on justice and truthfulness,
Cheaters, exploiters and monopolizers are deprived of humaneness,
Adorn yourself with trustworthiness and clean-handedness,
Vie with others but with honourable competitiveness,
Co-operate with others on the basis of goodness and devoutness,
Be dutiful to your parents and treat them with kindness,

Inspite of the difference from one person to another, it is exciting to know that the effect of noise is reduced if it became a part of the person's dream. It is a mercy from Allah (Glory be to Him) that a mother who cannot be awakened by the striking of thunder and lightening, can wake up alarmed by the voice of her baby as he starts to cry even if his sobbing was low. So, (Glory be to Allah) who creates, then makes complete and who measures, then guides.

To conclude we mention a belief which might have its origin in religious legislation. It is that sleep comes if the head is turned towards the north to cope with the magnetic field. There is also a belief that one can get good sleep if the head is turned towards the east to keep up with the rotation of the earth. It was explained before that a person should face the kibla but science did not prove the importance of the place where the body lies, how the spine bends or even the location of the bed. It has not been proved that any of these things have any significance concerning the amount or the quality of sleep.

It was related that the french writer Alexander Demmis, the well known novelist had been advised by his doctor to eat an apple under the Arch de triumph in pa'ris every morning at seven o'clock. No one realized that his actual problem of insomnia is due to pricking of the conscience (compunction) or a little punisiment from Allah who delays punishment but does not forget it. This shameless person had five hundred illigitemate chilaren so, how patient Allah is with mankind.

There is no need to practise too many physical exercises as they do not have an important effect in bringing sleep.

Commenting on lack of sleep, the mother of British nurses florence Nightingale said: Insomnia is caused by excitement and too much happiness. There for, we should avoid all sorts of excitement whether emotional or mental before sleep.

If reading is prefered by you before sleep, you should not read what increases the impulse and the pumping of blood as well as Adreoalin.

You should not for example revise accounts concerning your income taxes. You should not think too much about problems and cares. If you feel bored or depressed say the following duaa Allahuma rabu Al Shaiatin wama dalat, wal aradin wama akalat wal samawat wama athalat, kon li garan min sharu khalkak If means that you are asking protection of Allah from all evil things. But to be involved in endless activities is a great disastor. and you won't be able to get away from alarming dreams.

Thers is only one way for a happy life and a deep comfortable sleep which is to fear Allah, to have a clear and an alert conscience and to submit to Allah in all matters. A poet said:

let fate be as it might be And spend the night care free Allah changes a situation to another Between the wink of an eye And before the other.

In a poem by sayeda nafisa (May Allah Be Pleased with ner) she said:

There are eyes that went to Sleep and eyes that remained awake for worthy and worthless matters.

So as much as you can put cares aside As to carry them is madness Allah who kept you from what happened yesterday will surely save you from what will happen tomorrow.

The relation between sleep and food :

Foods has long been related to bad dreams and disturbed sleep. So, those who have their dinner at a late hour or eat too much before going to sleep suffer from alarming dreams nightmares and perhaps they would die. But though this is partially correct, the idea here is nonsense. Allah decreed the end of everyone's life. We have only to avoid what harms us. But as to believe that a certain kind of food causes death, this is to be trifling with the minds. At any rate, modern researchers agreed upon the preferance of having a light meal before sleep than to sleep in hunger. (The worst sleep when one is hungry).

It was proved that mice used for experiments in labs had very little sleep when they were deprived of food. In the meantime, a strict diet goes side be side with having very little sleep.

Among wonders as regards bringing about sleep and overcoming insomnia is that eating cooked onions is considered helpful. Then , where is this compared to the call for the use of (Swak) which purifies the mouth and pleases Allah.

The Messenger of Allah (P & P B U H) did not **Like** people who eat garlic or onions to be with the group or pray in the same mosque.

A lot of people call for avoiding caffeine and other stimulants. Caffeine is a substance that is found in coffee, tea and chocolate and helps to make on allurt.

A lot of the commonly used pain killers should also be avoided because it has been proved that they have an alarming effect on those who pretend not to be affected by them. What has been mentioned regarding caffeine is to be repeated as regards nicotine. One should avoid all such harms. Allah says :

"....and cost not yourselves to perdition...."

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (Al Baqara 195)

Then come to the worst **falsehood**and the greatest wickedness which is drinking wine and alcohol. Then the false assumption of any one who says that he drinks to forget about himself, or to sleep, is to be refuted. Drinking wine is prohibited whether one drinks little or much. Its dangers can not be counted. It cancels the existence of dreams in the sleep of a human being and when he stops drinking, dreams come back as frightening nightmare.

Sleep and Temperature :

Saying that nightmares increase **according** to the decrease in the temperature of the room, needs a proof. A very hot room might be more dangerous. A cat can sleep in a 72° (Fahrenheit) room while a human being would become dizzy and turn around himself feeling tired and would not have a refreshing sleep if the temperature of the room reached 75° (Fahrenheit).

Noise :

Scientists devoted many studies to find out the effects of noise as regards disturbing somebody sleeping. In general, it was revealed that women and aged people wake up easily.

The Story of "Melatonin"

Another method of treatment from insomnia which became well known and widely spread is drinking a glass of milk directly before sleep. Scientists lately discovered that milk contains a substance (called Tritovan) connected chemically with another substance in the brain called (melatonin). It was revealed that this substance increases in the brains of those animals which are fast asleep. After injecting the brains of some wakeful animals with this substance, they went in a deep sleep like the others. Some people differ with this opinion and say that one glass of milk does not provide enough amount of the mentioned substance.

Those people who go on raising doubts about this experiment add that one needs to drink six glasses of milk at least to get the sufficient amount. This might have an opposite effect as the person might wake up six hours later than the set time for an unclear reason. So, there is obviously a defect in following this materialistic method of treating matters. We all know that the stomach is the home of diseases and to go on a diet is the best medicine. So, should we treat the symptoms with more murderous and destructive symptoms ?

Treatment by Herbs :

Herbs are used as drinks for bringing about sleep. The most important kind of Herbs used is Dyer's Camomile (Anthemis tinctonial) which has yellow flowers. It is used like some other sorts of herbs to bring about sleep and prevent nightmares. But, is it reasonable or scientifically correct to believe that there is any connection between tying up dried roots of a certain plant ? (called Faonia) round the neck to drive away nightmares (which are called the devils of dreams) ? Of course this is no more than a stupid superstition of those English experts of herbs in the seventeenth century.

In those dark ages, some illusious filled the minds including the belief that nightmares are caused by (jin and afreets or the ghoul) or something similar to those. People believed that those were wicked creatures which crouch on the chest of a sleeping person and threaten to kill by strangling him. What is even worse was that they used to tell a person to smell his socks after taking them off and before going to bed. I swear that a human being would prefer to die than to follow that terrible and mean habit.

Where do those superstitions stand if compared with Islam's urge for cleanliness and its direction to the Muslim to be nice looking, smelling nicely and as clear as a mole (beauty spot) among people, following the example of the Messanger of Allah Muhammad (Prayers and Peace Be Upon Him). His servant Anas described him by saying "I have never touched any silk that is softer than the palm of the Messenger of Allah (P & P B U H). And I have never smelled a scent sweater than his smell. Why not be clean? The prespiration of the Muslims in paradise is perfume and musk. The plants there are stems of musk.

Methods to Treat Insomnia Between the Nonsense of Materialists and the Guidance of Islam

By : Mr. Abdul Hamid Beshir
Translated by : Hanan Abdou El Tahtawy

If someone could not sleep after going to bed and spending ten minutes there, he has to leave the bed and go to another room until he feels the desire to sleep. He should repeat this until he sleeps. He also has to get up at the usual time for him if he was to sleep early without taking any naps in the afternoons. No attention should be given to the side effects like being tired or suffering from unbalanced performance.

Islam finds ass these methods misleading They are made to efface reality and punish oneself for some things out of its will power. Why should intentions be opposing each other ?Our forefathers taught us that they were used to learning to have some intention before doing something exactly as we are now learning how to do things. Islam also shows that by performing the obligatory prayers together with a bit of (night prayer) during the night as well as taking some rest or having a nap in the afternoon, all of which is a kind of treatment that copes with the natural instinct and disposition of the human being.

A human being has to satisfy all his needs. He is not an animal that eats, drinks and works without weariness. He is not an angel who never stops praying. He is a mixture of body and soul. He is a mixture of talents, characteristics, skills, and all that which makes life.

The proof to show that materialistic thinking is nonsense (if it is right to considered it a kind of thinking at all) is that the results of that experiment of leaving the bed for several times were awe some and alarming. An ill person who suffered from sleeplessness used to leave his bed more than ten times every night. After a few weeks, his tendency to leave his bed went away gradually. It was also said that those who were deprived of rest and sleep for many years could sleep after six weeks.

Speaking about Eid Al-Fitr which is the beginning of the month of Shawal I must mention the blessing of fasting any six days of that honorable month followed the celebration of the Eid. Abi Ayoub (may Allah be pleased with him) narrated the Prophetic Hadith in which the Prophet (p.b.u.h) said that whoever fasts the month of Ramadan followed by six days of Shawal he is considered as if he fasted all his lifetime.

Finally I pray to Allah to accept all our efforts and support our faith. I pray to Allah to support Islam and Muslims in these holy days. I supplicate to Him to help the oppressed Muslims in all the world and to guide us to help them and to remember them in our prayers. I ask Allah to give us the victory over the non believers. Ameen.

Prophetic Hadith encourages the Muslims to finish their month with the spiritual farewell. As authorized by Ibn Magah he said that the Prophet (p.b.u.h) said what meant that whoever elevates the Eid nights with worshipping Allah, he will elevate his heart on the day when all the hearts are to be dead.

There are many Prophetic traditions (Sunan) which have to be followed in celebrating the Eid :

1 - It is obligatory to pray Eid prayer for it is narrated that the Prophet and his companions never ceased doing it. They even gathered the people for it including the women who were having their menses, the children, and the elderly.

2 - Dress in the best clothes we have as it was narrated that Ibn Omar used to do that along with other companions of the Prophet (p.b.u.h) .

3 - Eat dates before leaving for Eid prayed in Eid Al-fitr and eat after prayer in Eid Al-Adha.

4 - Say Takbeer (Allah's Glorification) Loudly for it was natrrated that the Prophet (p.b.u.h) used to say Takbeer until he finished the prayer.

5 - Pray in uncovered places rather than in the mosque.

6 - There is neither Athan nor Iquama for Eid prayer.

7 - No prayer is to be performed before or after Eid prayer for it was narrated by Ibn Abbas that the Prophet did not pray before nor after the Eid prayer.

8 - Take a path when going to prayer and a different path when returning from it following the Prophetic tradition.

9 - It is permitted to sing songs (Without music) o Eid day especially for the children.

10 - It is obligatory to pay Zakat Al-Fitr (paying charity) before going to Eid prayer for it was narrate that the Prophet (p.b.u.h) made it incumbent on every Muslim to pay Zakat Al-Fitr at the end of Ramadan. It has to be handed out in food (commodity), the type which is common to the area.

represents our unity even in the festivities as Allah mentioned in His Honorable Book at Sura Al-Anbiyaa :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢ ﴾

Verily, this brotherhood of yours is a single Brotherhood, and I'm your Lord and Cherisher : therefore serve Me (and no other).

The Eid celebration brings the hearts of the Muslims together . It is an occasion of forgiveness and conciliation. We are asked to desert our differences and start with fresh hearts and souls after washing all the previous disagreements. Unifying the hearts is essential in bringing together the thoughts, resources and strengths of the Muslims. Allah Mentioned in His Book in Sura Al Anfal Aya 63 :

﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾

And (moreover) He hath put affection between their hearts : not if thou hadst spent all that is in the earth, couldst thou have produced that affection, but Allah hath done it : for He is Exalted in might, Wise.

The Muslim unity is always the aim and target of our Creator. It is resembled in a smaller scale in the Friday prayers. When the Muslims are obliged to pray together in the mosque of the community to meet with each other and discuss the different issues and concerns . On Eid the Muslim unity is also targeted but on a larger scale. The Muslims meet in an open place to perform the early morning congregational prayers followed by the speech. Then the celebration begins as an expression of happiness for finishing a month long observance of spiritual and physical purification and selfdiscipline. The Eid celebration includes new clothes and enjoying different kinds of special foods. It also includes visiting family members and friends. The Prophet (p.b.u.h) encouraged the Muslims to spend the nights before the two Eids in prayers and Allah's remembrance for most probably people would be busy on those two nights with many other things. The

Eid Al-Fitr

'The Feast of the Fast - Breaking'

By : Hadeer Refat Abo Al-Nagah

First of all I like to congratulate the Muslim world for the occasion of Eid Al Fitr. May Allah Almighty accepts our prayers and fasting in Ramadan and allows us to join the Prophet (p.b.u.h) and His companions in Al-Janah through His mercy and forgiveness .

Our honorable visitor has just left leaving us with a storage of piety and spiritual power to push the wheels of our lives . The celebration of Eid is the prize given by Allah to the Muslims who completed the task of fasting the obligatory month. Our happiness in receiving the Eid is relative to our hard work during the month. The harder we tried to gain Allah's acceptance to our works during Ramadan the happier we will be in receiving the Eid.

Eid Al Fitr (or the Break - Fasting) is the first of the only two Eids authorized by the Prophet (p.b.u.h) after he established the Muslim nation at Al Madinah. The other Muslim feast is Eid Al Adha (or the feast of Sacrifice). Both of them are celebrating the victory of the Muslim well and strength over the desires of soul and the power of the Shaytan.

When the Prophet (p.b.u.h) came to Al Madinah the companions used to celebrate two feasts before Islam then he told them that Allah had replaced these feasts with the two Muslim fests Al Fitr and Al Adha as narrated by Ibn Hazm in his **Al Mohala.** Celebrating the Eid is a symbol of the Muslim unity, because all the Muslims in the world are celebrating the same occasion at the same time. It

AL-AZHAR MAGAZINE

Shaw'wal 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part X.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA. M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

- الافتتاحية
  بقلم عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٤٩٧
- كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بليلة القدر ١٥٠٢
- كلمة فضيلة شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوى... ١٥٠٨
- كلمة السيد وزير الأوقاف د . حمدى زقزوق ١٥١٠
- تفسير سورة البقرة
  بقلم الدكتور محمد سيد طنطاوى ١٥١٣
- قبس من أنوار النبوة
  بقلم الشيخ على حامد عبد الرحيم ١٥٢٢
- متى يأتى العيد
  بقلم فضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٤
- الإسلام فى معترك التحدى
  للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ١٥٢٨
- من مكارم السلوك والأدب فى الإسلام السخاء
  للمستشار : محمد عزت الطهطاوى ١٥٣١
- الإسراء والمعراج منعطف فى تاريخ الدعوة
  للأستاذ الدكتور : سعد ظلام ١٥٣٨
- الزهد فى الإسلام
  للأستاذ الدكتور : عامر النجار ١٥٤٤
- الاستغفار فى القرآن الكريم
  للأستاذ محمد عبد العظيم الجوهرى ١٥٥١
- المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف فى المصحف الشريف
  للدكتور : جمال عبد العزيز احمد ١٥٥٤
- من قادة الخلفاء الراشدين [ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه]
  للأستاذ احمد السيد تقى الدين ١٥٦٤
- استفتاءات القراء
  يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين ١٥٦٩
- من أعلام الأزهر : على العمارى فى بحوثه العلمية
  للدكتور : محمد رجب البيومى ١٥٧٢
- طرائف ومواقف
  للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٥٧٨
- علماء من مصر [شرف الدين الدمياطى]
  لفضيلة الشيخ : عبد الحفيظ فرغلى القرنى ١٥٨٠
- الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء
  للأستاذ : نبيل محمد رشاد ١٥٨٤
- زكى مبارك بين الوطنية والعروبة والإسلام
  للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد ١٥٨٨
- دور العقاد فى الحياة الأدبية والنقدية
  للأستاذ الدكتور : السيد مرسى أبو ذكرى ١٥٩٥
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر [الطريق إلى فهم الإسلام]
  للأستاذ : محب الدين الخطيب
  إعداد وتقديم : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠١
- الجديد فى العلم والتقنية
  للدكتورة : نجوى السيد احمد ١٦٠٦
- أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامي [المناظر]
  للأستاذ الدكتور : احمد فؤاد باشا ١٦٠٨
- كلام خفيف
  للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٢
- خميلة الشعر
  للأستاذ : محمد عبد الوهاب ١٦١٥
- إشراقة العيد
  للأستاذ : احمد مصطفى حافظ ١٦١٦
- استغفـــــار
  للأستاذ : محمد فتحى نصار ١٦١٨
- أغنية للوحدة العربية
  للأستاذ / إبراهيم صالح ١٦١٩
- دوحة الكتب
  إعداد : محمود الفشنى ١٦٢١
- بين المجلة والقارىء
  إعداد : عادل رفاعى خفاجة ١٦٢٨
- تنبيـــه
  - أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف
    إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى ١٦٣٦
- اخبار العالم الإسلامى
  يحررها الدكتور : حسن على محمد ١٦٤٥

القسم الفرنسى

- المقالة الثالثة
  هدى حسين شرقاوى ١٦٥٣
- المقالة الثانية
  د . محمد رجب البيومى ١٦٥٧
- المقالة الأولى
  د . رقية جبر ١٦٥٩

القسم الإنجليزى

- المقالة الثالثة
  للأستاذ كمال عبد الرحمن همام ١٦٦٢
- المقالة الثانية
  للأستاذ عبد الحميد بشير
  ترجمة حنان عبده الطهطاوى ١٦٦٦
- المقالة الأولى
  هدير رفعت ابو النجاة ١٦٧٠

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحج حكم وأسرار

أحمد المولى - تبارك وتعالى - وأصلى وأسلم على أسعد خلق الله ، سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الكرام البررة ، وعلينا معهم برحمتك وكرمك ومنّك وفضلك ، يارب العالمين .

« أما بعد » . .

فإن رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ؛ لأداء المناسك إنما هى رحلة طيبة مباركة ، مبعثها الإيمان العميق ، واليقين الصادق ، والحب والشوق والحنين إلى الرحاب الطاهرة ، التى تهفو إليها قلوب المؤمنين الصادقين ، حيث الكعبة المشرفة ، والطواف بالبيت العتيق ليشهدوا منافع لهم ، ثم إلى زيارة مسجد الحبيب الغالى سيدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليتمتعوا بالقرب منه والمجاورة له فى الروضة المطهرة .

◄

ذو القعدة ١٤١٩هـ - مارس ١٩٩٩م - الجزء الحادى عشر - السنة الحادية والسبعون

هذه الرحلة الروحية المباركة ، وهذه الضيافة الربانية الميمونة تتطلب من المسلم الذى يريد الحج والعمرة أن يكون على أحسن حال من الصفاء والطهارة والإخلاص ، والحب والشوق والحنين ، حتى تؤتى هذه الرحلة ثمرتها المرجوة . وليعلم المسلم أنه ليس كل مسافر حاجاً ولا كل زاد يوصل ولا كل جبل عرفات ، بل علينا أن نخلص النية وأن نتأدب بالآداب الشرعية ، وأن نتوب إلى الله من جميع المعاصى والمكروهات بشروطها المعروفة التى هى الندم والإقلاع عنها حالا ، وأن نعزم على عدم العود إليها مرة أخرى ، وأن نخرج من مظالم خلق الله ونرد الودائع إلى أهلها ، وأن نستحل كل من كان بيننا وبينه معاملة فى شىء ، وأن نعد النفقة لكل من تلزمنا نفقته إلى وقت الرجوع ، ثم نكتب الوصية ؛ اقتداء بسلفنا الصالح حيث كانوا يكتبون وصاياهم ويضعونها تحت الوسادة(١) .

وإذا كان الأبوان أحياء فليجتهد فى إرضائهما ، وكذا من يتوجب بره وطاعته ، وليحرص أن يكون ماله حلالا خالصا ، لا شبهة فيه . وأن يستكثر من الزاد والنفقة لمواساة المحتاجين ، عن طيب خاطر ، ليكون أقرب إلى القبول . وأن يترك المشاحة فيما يعامل فيه ، مما يتعلق بعباده ، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - « إن الله - تعالى - يحب سمح البيع ، سمح الشراء ، سمح القضاء »(٢) .

ويجب على من يريد الحج أو العمرة أن يتعلم الكيفية الشرعية لأدائها ، وهذا فرض عين ، حيث لا تصح العبادة ممن لا يعرفها . وأن يستصحب معه كتابا جامعا للمناسك ويداوم على مطالعته ، وأن يطلب له رفيقا صالحا ، راغبا فى الخير ، معينا عليه ، كارها للشر ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره ، وليحرص على رضا رفيقه فى جميع طريقه ، وليحتمل كل واحد منهما الآخر ، ويرى لصاحبه عليه فضلا وحرمة لقوله - صلى الله عليه وسلم - لخفاف بن ندبة : « ياخفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق ، فإن عرض لك أمر نصرك ، وإن احتجت إليه رفدك »(٣) .

وينبغى عليه تصحيح الإخلاص فى حجه ، وأن يريد به وجه الله - تبارك وتعالى - لا ينتظر من وراء هذا لقبا ولا سمعة ولا شهرة ، وأن يودع أهله وجيرانه وأصدقاءه ، وأن يطلب منهم العفو إن كان قد بدر منه شىء فى حقهم ، وأن يودعوه قائلين : استودع الله دينك وأمانتك ، وخواتيم عملك ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيث كنت(٤) .

وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول لمن أراد السفر : « فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ، ووجهك للخير أينما كنت »(٥) .

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (١/٢٤٧) وحاشية ابن حجر الهيتمى (٢٣)
(٢) انظر : الفتح الكبير (١/٣٥٦) ورواه الترمذى والحاكم فى المستدرك .
(٣) رواه ابن عبد البر وغيره وإحياء علوم الدين للغزالى (١/٢٤٨) .
(٤) حاشية ابن حجر الهيتمى (٤٥) .
(٥) الإحياء للغزالى (١/٢٤٨) .

وليتأدب بآداب السفر وأذكاره ، ويتجنب فى حله وترحاله المخاصمة والمشاحنة ، ومزاحمة الناس فى الطريق ، وموارد الماء ما أمكن ، ويصون لسانه من الشتم والغيبة والنميمة وكافة الألفاظ القبيحة ، وليتذكر قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(١) .

وأن يرفق بالسائل والضعيف ولا ينهرهما ، ولا يوبخهما على خروجهما بلا زاد ولا راحلة ، بل يواسيهما ، وإلا ردهما ردا جميلا ، ودعا لهما بالمعونة مصداقا للحديث الشريف : « إن الله ـ تعالى ـ يبغض الفاحش المتفحش »(٢) وقوله : « من قضى نسكهُ وسلم المسلمون من لسانه ويده غفر له ما تقدم من ذنبه »(٣) .

وأن يكثر من الدعاء فى جميع السفر لنفسه ، ولوالديه ، ولأحبائه وللمسلمين والمسلمات لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة الوالد على ولده ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم »(٤) .

وليتذكر أخى الحاج والمعتمر أنه بالتزامه لهذه الآداب الإسلامية وغيرها يكون حجه مبروراً وذنبه مغفوراً . قيل للحسن : ما الحج المبرور ؟ قال : أن ترجع زاهدا فى الدنيا ، راغباً فى الآخرة . وليعلم الحاج أنه من حين خروجه من بيته أنه فى ضيافة الرحمن ، وأن الحج من أعظم القربات والطاعات لرب العالمين ، إذ هو شعار أنبياء الله ، وسائر عباده الصالحين ، وأن من حج البيت أو اعتمره لا يزال يزداد هيبة وتعظيماً وبرا .

وروى : « إن الله يبعث من هذا الحرم كله سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، يشفع كل واحد منهم فى سبعين ألفا ، وجوههم كالقمر ليلة البدر » قال أبو بكر : ومن هم يارسول الله ؟ قال : « هم الغرباء »(٥) .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج »(٦) .

ثم إن الله قد أكرم المسلمين بالحج ، حيث جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً ، والطواف حوله حجابا بينهم وبين العذاب ، كما جعل الوقوف بعرفة تكفيرا للذنوب ؛ لكثرة نزول الرحمة فى هذا اليوم العظيم(٧) .

أخى ضيف الرحمن : إذا خرجت من بيتك كنت فى حرز الله ، وإن مت قبل أن تقضى نسكك

---

(١) رواه أحمد ، والبخارى والنسائى وابن ماجه .
(٢) رواه أحمد فى المسند .
(٣) الفتح الكبير (٣/٢٢٨) .
(٤) الفتح الكبير (٢/٤٤) وإحياء علوم الدين (١/٢٤٨) .
(٥) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى (٢٠٢)
(٦) الفتاوى الكبرى للهيتمى (٢/١٢٢) .
(٧) إعلام الساجد (١١٠) .

غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وأنه يكتب لك أجر الحاج إلى يوم القيامة . وأن الله يدخل بالحجة الواحدة ثلاثة نفر الجنة : الميت والحاج عنه والمنفذ لها[1] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن ، فقالوا : فداك الأمهات والآباء : أخبرنا بفضائل الحج ، قال : « بلى . أى رجل خرج من منزله حاجا أو معتمرا ، فكلما رفع قدما ، ووضع قدما ، تناثرت الذنوب من بدنه ، كما يتناثر الورق من الشجر ، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام ، صافحته الملائكة بالسلام ، فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل ، طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدين ، جدد الله له من الحسنات ، وإذا قال : لبيك اللهم لبيك ، أجابه الرب ـ عز وجل ـ لبيك وسعديك ، أسمع كلامك وأنظر إليك ، فإذا حل مكة وطاف ، وسعى بين الصفا والمروة ، وصل الله له الخيرات ، فإذا وقفوا بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات بَاهَى الله بهم ملائكة سبع سموات ، ويقول : ملائكتى ، وسكان سماواتى ، أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق ، شُعثا غُبرا قد أنفقوا الأموال ، وأتعبوا الأبدان ، فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم بمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمار وحلقوا الرءوس ، وزاروا البيت ، نادى مناد من بطنان العرش : ارجعوا مغفورا لكم ، واستأنفوا العمل .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا أو أمة من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء ؟ فيقولون : ياربنا يريدون العفو والمغفرة فيقول الله ـ تعالى ـ ياملائكتى أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، وعفوت عنهم »[2] .

أخى ضيف الرحمن : الحج المبرور يغفر الذنوب صغائرها وكبائرها حتى التبعات . وفى الحديث : وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله ـ تعالى ـ يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة فيقول : عبادى جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل ، أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر لغفرتها ، أفيضوا مغفورا لكم » . ولا غرابة فالحجاج والعمار وفد الله إن سألوه أعطاهم ، وإن استغفروه غفر لهم ، وإن دعوه استجاب لهم »[3] .

أخى الحاج : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يختم على عملك بطابع من نور ، فإياك أن تفك ذلك الختم بمعصية الله ـ عز وجل ـ وفى الحديث : « إذا مات المحرم فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا »[4] .

وقال حجة الإسلام الغزالى : أنعم الله ـ عز وجل ـ على هذه الأمة بالحج وشرف بيته العتيق بالإضافة إلى نفسه ـ تعالى : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ (الحج : ٢٦)

ونصبه مقصد العبادة ، وجعل ما حواليه حرما لبيته ؛ تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على

---

(١) الفتح الكبير (٣٥٧/١) .

(٢) الفتح الكبير (١٢٤/٣) رواه مسلم والنسائى .

(٣) ابن ماجه (٩٦٦/٢) وفتاوى الرملى (٨١/٢)

(٤) ابن ماجه (١٠٣٠/٢) .

فناء حوضه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده ووضعه على مثال حضرة الملوك ، ويقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كل أوب سحيق ، شعثا غبرا ، متواضعين لرب البيت ، مستكنين له خضوعا لجلاله ، واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك فرض عليهم فيها أعمالا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار ، والسعى بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية .

أخى الحاج : تذكر أنه فى أثناء وجودك بالمسجد أن الله - تبارك وتعالى - ينزل على أهل هذا المسجد - مسجد مكة - فى كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة : ستين للطائفين ، وأربعين للمصلين ، وعشرين للناظرين[1] وفى الحديث : « النظر إلى الكعبة عبادة » رواه أبو الشيخ عن عائشة وروى البيهقى فى « شعب الإيمان » عن عائشة : « أن الملائكة تصافح ركاب الحجاج ، وتعتنق المشاة[2] وأن الناس ليحجون ويعتمرون ويغرسون النحل بعد خروج يأجوج ومأجوج[3] .

وفى الحديث : وأما طوافك بالبيت فأن تطوف ولا ذنب عليك ، يأتى ملك فيضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك فيما مضى . وإن الكعبة تشفع للحجاج فتقول : يارب عبادك المذنبون الذين وفدوا إلىّ من كل فج عميق ، شعثا غبرا ، تركوا الأهل والأولاد والأحباب ، وخرجوا شوقا إلىّ ، زائرين مسلمين طائعين ، حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم ، فأسألك أن تشفعنى فيهم ، وتؤمنهم من الفزع الأكبر وتجمعهم حولى

يارب أسألك الشفاعة فى المذنبين الذين ارتكبوا الذنوب العظام والأوزار حتى وجبت لهم النار فيقول الله - تعالى - قد شفعتك فيهم ، وأعطيتك سؤلك ، فينادى ملك من جو السماء : ألا من زار كعبة الله فليعتزل عن الناس فيعتزلون فيجعلهم الله - تعالى- حول البيت الحرام ، بيض الوجوه آمنين من النار ، يطوفون ويلبون ، ثم ينادى ملك من جو السماء : ألا ياكعبة الله سيرى فتقول الكعبة لبيك اللهم لبيك ، والخير كله بيديك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك[5] .

وروى أن الكعبة تحشر كالعروس المزففة ومن حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة[6] .

اللهم اجعل حجنا مبروراً وذنبنا مغفوراً وعودنا حميداً ووفقنا لكل خير .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١) حاشية ابن حجر الهيتمى على مناسك النووى (٤١٤ - ٤١٥)
(٢) الفتح الكبير (٣٦٨/١)
(٣) الفتح الكبير (٣٧٢/١)
(٤) فتاوى الرملى (٨٢/٢)
(٥) الروض الفائق فى المواعظ والرقائق .
(٦) إعلام الساجد (٢٠٠)

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهـــر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿١٢١﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ
إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الآيات ١١٩/١٢٤)

قوله : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ معناه : إنا أرسلناك يامحمد بالدين الصحيح المشتمل على الأحكام الصادقة ، لتبشر بالثواب من آمن وعمل صالحاً ، وتنذر بالعقاب من كفر وعصى .

وصدرت الآية الكريمة بحرف التأكيد ، لمزيد الاهتمام بهذا الخبر ، وللتنويه بشأن الرسول ﷺ .

وجىء بالمسند إليه ضمير الجلالة ، تشريفاً للنبى ﷺ فكأن الله ـ تعالى ـ يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة ، ولذا لم يقل له إن الله أرسلك .

وقوله : ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأرسلناك . والحق : مأخوذ من حق الشيء ، أى : وجب وثبت ، ويطلق الحق على الحكم الصادق المطابق للواقع ، ويسمى الدين الصحيح حقاً لاشتماله على الأحكام الصادقة .

وقوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ ﴾ حالان ، والبشير : المبشر ، وهو المخبر بالأمر السار للمخبر به الذى لم يسبق له علم به . والنذير : المنذر ، وهو المخبر بالأمر المخوف ليحذر منه .

وجملة ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ معطوف على جملة ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ .

والجحيم : المتأجج من النار . وأصحابها : الملازمون لها . والسؤال : كناية عن المؤاخذة واللوم .

والمعنى : لا تذهب نفسك عليهم حسرات يامحمد ، فإن وظيفتك أن تبشر وتنذر ولست بعد ذلك مؤاخذا ببقاء الكافرين على كفرهم ، ولست مسئولا عن عدم اهتدائهم ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ (الرعد : ٤٠) .

وفى وصفهم بأنهم أصحاب الجحيم ، إشعار بأنهم قد طبع على قلوبهم ، فصاروا لا يرجى منها الرجوع عن الكفر .

وفى هذه الجملة مع قوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ ﴾ تسلية للرسول ﷺ حيث لم يؤمن به أولئك الجاحدون المتعنتون .

ثم بين القرآن موقف أهل الكتاب من الدعوة الإسلامية فقال : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ .

الملة : الطريقة المسلوكة ، ثم جعلت اسما لما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا إلى السعادة الدائمة ، وقد تطلق على ما ليس حقا من الأديان المنحرفة أو الباطلة ، كما حكى القرآن عن يوسف عليه السلام ـ أنه قال :

﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف : ٣٧) .

وأفرد القرآن الملة فقال ـ تعالى ﴿ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ مع أن لكل من اليهود والنصارى ملة خاصة ، لأن الملتين بالنظر إلى مخالفتهما لدين الإسلام وما طرأ عليهما من التحريف بمنزلة واحدة ، فاتباع إحداهما كاتباع الأخرى فى قلة الانتفاع به .

ومعنى الغاية فى قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾ الكناية عن اليأس من اتباع أهل الكتاب لشريعة الإسلام ، لأنهم لما كانوا لا يرضون إلا باتباعه ﷺ ملتهم وكان اتباع النبى ﷺ لملتهم مستحيلا ، فقد صار

رضاهم عنه كذلك مستحيلا ، فالجملة الكريمة مبالغة فى الإقناط من إسلامهم ، وتنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منه .

ثم لقن الله - تعالى - نبيه - ﷺ الجواب فقال : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ .

وهدى الله : دينه ، والهدى ، بمعنى الهادى إلى طريق الفلاح فى الدنيا والآخرة . أى : ما أنت عليه يامحمد من هدى الله الحق الذى يضعه فى قلب من يشاء هو الهدى الحقيقى لا ما يدعيه هؤلاء من الأهواء .

وإيراد الهدى معرفاً بأل مع اقترانه بضمير الفصل « هو » يفيد قصر الهداية على دين الله ، وينفى أن يكون فى دين غير دين الله هدى . وإذا كانت الهداية مقصورة على الدين الذى جاء به محمد ﷺ فكيف يطمع أهل الكتاب فى أن يتبع ملتهم ؟

ثم حذر القرآن من اتباع أهل الكتاب فقال : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

اللام فى قوله ﴿ وَلَئِنِ ﴾ تشعر بأن فى الجملة قسما مقدرا روعى فى صدرها ليفيد تأكيد ما تضمنته من أن متبع أهواء أهل الكتاب لا يجد من الله ولياً ولا نصيراً .

والأهواء : جمع هوى ، والمراد بها آراؤهم المنحرفة عن الحق الصادرة من شهوات فى أنفسهم . والعلم : الدين : سمى علمًا لأنه يعلم بالأدلة القاطعة .

والولى : القريب والحليف . والنصير : كل من يعين غيره على من يناوئه ويبسط إليه يده بسوء .

والمعنى : ولئن اتبعت - يامحمد - آراءهم الزائفة ، بعد الذى جاءك من العلم بأن دين الله هو الإسلام ، أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة ، مالك من الله من ولى يلى أمرك ولا نصير يدفع عنك عقابه .

وإنما أوثر خطابه ﷺ بذلك ليدخل دخولا أوليا من اتبع أهواءهم بعد الإسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم ، وطمعا فى نصرتهم .

وبعد أن ذكر القرآن فى الآيات السابقة أحوال الكافرين من أهل الكتاب أخذ فى بيان حال المؤمنين ، فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ .

أى : يقرءونه قراءة حقة ، مصحوبة بضبط لفظه ، وتدبر معانيه ، ولاشك أن ضبط لفظه يقتضى عدم تحريف ما لا يوافق أهواء أهل الكتاب ، كالجمل الواردة فى نعت رسول الله ﷺ وأن تدبره يستدعى اتباعه والعمل به .

وجملة : ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ حال من الضمير (هم) أو من الكتاب وهذه الحال من قبيل الأحوال

التى تلابس صاحبها بعد وقوع عاملها ، فإنهم إنما يتلون الكتاب بعد أن يؤتوه . وهى التى تسمى بالحال المقدرة أى : مقدرا وقوعها بعد وقوع عاملها .

والمراد بالذين أوتوا الكتاب ، مؤمنو أهل الكتاب . والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل . أو هم أصحاب النبى ﷺ والكتاب : القرآن .

وأجاز بعضهم أن تكون الآية سيقت مدحا لمن آمن من أهل الكتاب بالقرآن ، فيكون الضمير فى يتلونه القرآن .

وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ خبر عن قوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

وفى ذكر الإشارة ووضعه فى صدر الجملة المخبر بها ، زيادة تأكيد لإثبات إيمانهم .

وفى هذه الجملة تعريض بأولئك المعاندين الذين كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، فكأن الآية التى معنا تقول : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وكان من حالهم أن قرءوه حق قراءته ، يؤمنون به إيماناً لا ريبة فيه ، بخلاف المعاندين المحرفين للكلم عن مواضعه .

ثم بين ـ سبحانه ـ عاقبة الكافرين بكتبه فقال : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

والكفر بالكتاب يتحقق بتحريفه ، وإنكار بعض ما جاء فيه ، أى : ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون فى الدنيا حيث لا يعيشون فيها عيش المؤمنين وهم الخاسرون فى الآخرة ، إذ سيفوتهم ما أعده الله لعباده من نعيم دائم ، ومقام كريم .

وكما بدأ القرآن حديثه مع اليهود بندائهم بأحب أسمائهم إليهم ، فقد اختتمه ـ أيضاً ـ بهذا النداء فقال :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢٢ ـ ١٢٣) .

ففى هاتين الآيتين تكرير لتذكير بنى إسرائيل بما سبق أن ذكروا به فى صدر الحديث معهم فى هذه السورة ، وذلك لأهمية ما ناداهم من أجله وأهمية الشىء تقتضى تكرار الأمر به إبلاغا فى الحجة وتأكيداً للتذكرة .

قال القاضى : ولما صدر القرآن قصة بنى إسرائيل بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من إضاعتها ، والخوف من الساعة وأهوالها ، كرر ذلك وختم به الكلام معهم ، مبالغا فى النصح وإيذاناً بأنه فذلكة القضية ، والمقصود من القصة .

هذا وبعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ فى الآيات السابقة نعمه على بنى إسرائيل ، وبين كيف كانوا يقابلون النعم بكفر وعناد ، ويأتون منكرات فى الأقوال والأعمال ، وختم الحديث معهم بإنذار بالغ ، وتذكير بيوم

لا يغنى فيه أحد عن أحد شيئا ، بعد كل ذلك واصل القرآن حديثه عن قصة إبراهيم - عليه السلام - لأنهم هم والمشركون ينتمون إليه ويقرون بفضله ، فقال - تعالى - :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٢٤) .

والابتلاء : الاختبار . أى . اختبره ربه - تعالى - بما كلفه به من الأوامر والنواهى ، ومعنى اختبار الله - تعالى - لعبده ، أن يعامله معاملة المختبر مجازاً ، إذ حقيقة الاختبار محالة عليه - تعالى - لعلمه المحيط بالأشياء والله - تعالى - تارة يختبر عباده بالضراء ليصبروا . وتارة بالسراء ليشكروا ، وفى كلتا الحالتين تبدو النفس البشرية على حقيقتها .

وفى إسناد الابتلاء إلى الرب إشعار للتالى أو للسامع بأنه ابتلاء بما ابتلاه به تربية له ، وتقوية لعزمه ، حتى يستطيع النهوض بعظائم الأمور .

وقد اختلف المفسرون فى تعيين المراد بالكلمات التى اختبر الله بها نبيه إبراهيم - عليه السلام - على أقوال كثيرة .

قال ابن جرير : « ولا يجوز الجزم بشىء مما ذكروه ، منها : أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع . قال : ولم يصح فى ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذى يجب التسليم له ، ولعل أرجح الآراء فى المراد بهذه الكلمات ، أنها الأوامر التى كلفه الله بها ، فأتى بها على أتم وجه » .

وقوله : ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ أى : أتى بهن على الوجه الأكمل ، وأداهن أداء تاما يليق به - عليه السلام - ولذا مدحه الله بقوله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾ (النجم : ٣٧) .

وجىء بالفاء فى ﴿ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ للدلالة على الفور والامتثال . وذلك من شدة العزم ، وقوة اليقين . وفى إجمال القرآن لتلك الكلمات التى امتحن الله بها إبراهيم ، وفى وصفه له بأنه أتمهن ، إشعار بأنها من الأعمال التى لا ينهض بها إلا ذو عزم قوى يتلقى أوامر ربه بحسن الطاعة وسرعة الامتثال .

وقدم المفعول وهو لفظ إبراهيم ، لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم الرب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز ، فلذلك لم يقل وإذ ابتلى الله إبراهيم ، وجملة ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ مستأنفة لبيان ما من الله به على إبراهيم من الكرامة ورفعة المقام ، بعد أن ذكر - سبحانه - أنه عامله معاملة المختبر له ، إذ كلفه بأمور شاقة فأحسن القيام بها .

جاعلك : من جعل ، بمعنى صير . والإمام : القدوة الذى يؤتم به فى أقواله وأفعاله . والمراد بالإمامة هنا : الرسالة والنبوة ، فإنها أكمل أنواع الإمامة ، والرسول أكمل أفراد هذا النوع ، وقد كان إبراهيم - عليه السلام - رسولا يقتدى به الناس فى أصول الدين ومكارم الأخلاق .

وقال : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ولم يقل : « إنى جاعلك للناس رسولا » ليكون ذلك دالا على أن

رسالته تنفع الأمة المرسل إليها بطريق التبليغ ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء ، فإن إبراهيم - عليه السلام - قد رحل إلى آفاق كثيرة ، فانتقل من بلاد الكلدان إلى العراق ، وإلى الشام ، وإلى الحجاز ، وإلى مصر وكان فى جميع منازله أسوة حسنة لغيره .

وقد مدح القرآن إبراهيم فى كثير من آياته ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (النحل : ١٢٣) .

وجملة ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ واقعة موقع الجواب عما من شأنه أن يخطر فى نفس السامع ، فكأنه قال : وماذا كان من إبراهيم عندما تلقى من ربه تلك البشارة العظمى ؟ فكان الجواب أن إبراهيم قد التمس الإمامة لبعض ذريته أيضا .

أى : قال إبراهيم : واجعل يارب من ذريتى أئمة يقتدى بهم .

وقد رد الله - تعالى - على قول إبراهيم بقوله : ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وإنما قال إبراهيم ومن ذريتى ولم يقل وذريتى ، لأنه يعلم أن حكمة الله من هذا العالم لم تجر بأن يكون جميع نسل أحد ممن يصلحون لأن يقتدى بهم،فلم يسأل ما هو غير مألوف عادة ، لأن سؤال ذلك ليس من آداب الدعاء .

أى : قال الله لإبراهيم : قد أجبتك وعاهدتك بأن أحسن إلى ذريتك لكن لا يصيب عهدى الذى عهدته إليك بالإمامة الذين ظلموا منهم ، فالعهد هنا بمعنى الإمامة المشار إليها فى قوله : ﴿ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ .

وفى هذه الجملة الكريمة إيجاز بديع : إذ المراد منها إجابة طلب إبراهيم من الإنعام على بعض ذريته بالإمامة كما قال - تعالى - :

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ (العنكبوت : ٢٧) ولكنها تدل صراحة على أن الظالمين من ذريته ليسوا أهلاً لأن يكونوا أئمة يقتدى بهم ، وتشير إلى أن غير الظالمين منهم قد تنالهم النبوة ، وقد نالت من ذريته إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وغيرهم من الأنبياء .

قال - تعالى - : ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ (الصافات : ١١٣) .

(يتبـع)

قبس من أنوار النبوة

وأحسنوا إن الله يحب المحسنين

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

١ ـ سأل جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ـ ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإحسان ؟ فقال له : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

« رواه البخارى » .

٢ ـ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

رواه مسلم وأحمد وغيرهما ـ عن شداد بن أوس ـ رضى الله عنه ـ .

الإحسان له معان مختلفة : فقد يراد به الإجادة : فى الأعمال ، وقد يطلق على : بسط اليد بالبر والمعروف ، وقد يطلق على التصدق .

والإحسان ينقسم إلى قسمين : أولهما : الإحسان بمعنى التفضل والإنعام فإذا فعل الإنسان الواجب عليه نحو ربه وبنى جنسه وزاد عليه كان ذا فضل عظيم على نفسه حيث أنصفها وأحسن إليها بالإخلاص والقيام بالعمل ، قال الله تعالى :

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وثانيهما : إحسان الشىء بمعنى : إتقانه ، وذلك بأن يقوم الإنسان بأداء ما فرض الله عليه من حقوق وواجبات بإتقان،مع مراقبة الله وخشيته فى السر والعلن .

قال بعض العلماء ـ يزيد بن الحارث ـ : إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف ، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور .

والإحسان فى قول الله فى سورة النحل :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل : ٩٠) .

فوق العدل ، وذلك أن العدل هو أن يعطى ما عليه ويأخذ ماله ، والإحسان : أن يعطى أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له ، فالإحسان زائد عليه ، وتحرى العدل واجب، وتحرى الإحسان ندب

وتطوع ، ولذلك عظم الله ثواب أهل الإحسان حين قال ـ سبحانه ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٥) .

فالإحسان فى الإسلام من أعظم منازل العبودية،لأنه لب الإيمان وروحه وكماله ، ولهذا جاء ذكره فى القرآن تارة مقرونا بالإيمان كما فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ٩٣) .

وتارة يأتى مقرونا بالإسلام فى قوله : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (لقمان : ٢٢) .

وتارة يقرن بالتقوى ، كما فى قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ ﴾ (يونس : ٢٦) .

جاء فى صحيح مسلم عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى فى الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان ، لأن الإحسان هو : أن يعبد المؤمن ربه فى الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنه يراه بقلبه وينظر إليه فى حالة عبادته،فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عيانا فى الآخرة .

والإحسان هو : استحضار عظمة الله وقربه ، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم ، كما جاء فى رواية أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « أن تخشى الله كأنك تراه » ، وذلك يوجب النصح فى العبادة وبذل الجهد فى تحسينها وإتمامها وإكمالها ، كما جاء فى حديث حارثة : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له : ياحارثة كيف أصبحت ؟ قال ؛ أصبحت مؤمنا حقا ، قال : انظر ما تقول ، فإن لكل قول حقيقة ، قال : يارسول الله عزفت ـ أى زهدت ـ نفسى عن الدنيا فأسهرت ليل ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة يتزاورون ، وكأنى أنظر إلى أهل النار فى النار كيف يتعاوون فيها ، قال : أبصرت فالزم » .

قال القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى حديث الإحسان : « إنه اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح وإخلاص السرائر ، والتحفظ من آفات الأعمال حتى إن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه » .

وقال القسطلانى : « الإحسان : عبادتك الله حال كونك فى عبادتك مثل كونك رائيا له » .

وهذا ما يعرف بمقام المراقبة ، قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ (ق : ١٦) .

وقال عز من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة : ٧) .

قال أهل الحكمة :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علىّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

والإحسان كما يكون فى العبادات يكون أيضا

البقية ص ١٧١٥

الحج ومكانته العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ :
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أبي هريرة - رضى الله عنه قال - : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « أيها الناس : قد فرض الله عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال : ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم ، بكثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشىء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء : فدعوه »[1] .

الحج : قصد البيت العتيق للزيارة والنسك ، على وجه التعظيم ، بأفعال مخصوصة فى أشهر معلومة ، هى شوال وذو القعدة وثلاثة عشر يوما من ذى الحجة ، استجابة لأمر الله تعالى ، وابتغاء مرضاته ، وطمعا فى مغفرته وحسن مثوبته ، قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران : ٩٧)

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ..

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : « سئل النبى صلى الله عليه وسلم : « أى الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : جهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال حج مبرور »(٢) .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »(٣) .

وعنه ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من حج لله فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه »(٤) .

وسببه : البيت الحرام ، لأنه يضاف إليه ، ولهذا لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة ، لعدم تكرار السبب ، إلا أن ينذره المرء ، فيجب عليه الوفاء بالنذر ، ومازاد فهو تطوع ؛ لما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « يأيها الناس كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع ابن حابس فقال : أفى كل عام يارسول الله ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا ، ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع »(٥) .

حكمه : الحج فرض عين على كل مكلف حر مسلم بالغ مستطيع ، وهو أحد أركان الإسلام الخمسة التى بنى عليها ديننا الحنيف . . وفريضة محكمة ، يكفر جاحدها ، وهو عبادة تنتظم من الإنسان قلبه وبدنه وماله ، وتعود عليه بخيرى الدنيا والآخرة ، وفرضه الله ـ عز وجل ـ ليصل بالإنسان إلى ذروة الكمال الروحى ، والصفاء النفسى ، فهو رياضة الوجدان على طاعة الرحمن ، إلى خير البلدان ، يؤديها القادر المستطيع بإيمان وخشوع ، وهيبة وخضوع ، كيف لا ، وللحج أسرار عظيمة ، وفضائل روحية شريفة ، وآثار اجتماعية قدسية ، فمن ذلك تعظيم البيت العتيق وعمارته ، وزيارة الأرض المقدسة التى احتضنت الحنيفية السمحة إلى أن ترعرعت وقويت وقضت على الشرك والوثنية ، فهو عبادة يتقرب بها المسلمون إلى خالقهم ، فتصفو نفوسهم ، وتشف قلوبهم فى مشارق الفيوضات ، وترفرف أرواحهم مع نسمات الرضا والنفحات .

قال الله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

(الحج : ٢٧ ـ ٢٩)

١ـ المنافع التى تعود على حجاج بيت الله الحرام :

فقوله تعالى : ﴿ ليشهدوا منافع لهم ﴾ : أى

(٢) اخرجه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى .

(٣) رواه الترمذى فى سننه .

(٤) رواه البخارى ..

(٥) رواه ابو داود والنسائى واحمد .

ليحضروا منافع لهم مختصة بهذه العبادة من أمور الدنيا والدين ، وإن من أهم المنافع التى قصدها الشارع الحكيم بالحج إلى بيت الله الحرام أن اجتماع الحجيج بمكة حول البيت ، ووقوفهم جميعا بعرفة يعتبر اجتماعا عالميا ، ومؤتمراً دوليا لوضع أسس السعادة والرقى والحضارة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فيلتقون على المودة ، وتربط بين قلوبهم أواصر المحبة على اختلاف الديار ، وتباعد الأقطار ، وإن اجتماعا على هذا المستوى تغمره روح الصفاء والمودة كفيل بأن يجمع الكلمة على وحدة الهدف فى مؤتمر سنوى عام يتدارس فيه المسلمون شئونهم ، ويتداولون فيما بينهم من شئون الحياة ، ومشاكل الاقتصاد والسياسة ، فكم من عالم يلتقى بعالم ، وكم من زعيم يلتقى بزعيم ، وكم من مصلح يلتقى بمصلح ، شعارهم أخوة الإسلام ، وكلمتهم كلمة الإخلاص والإيمان ، فهل يصعب على أمثال هؤلاء المتحابين فى الله وهم ضيوف الرحمن فى رحاب بيته أن يتعاونوا على البر والتقوى ، وأن يبذلوا قصارى جهودهم ، بوضع الخطط الملائمة لحل مشاكلهم ، وأن يعملوا تحت راية القرآن ، لتأييد السلام ، ونشر العدالة بين الأنام ، كما كان آباؤهم السالفون يعملون ، أعزاء بـدينهم وعقيدتهم ، متحابين متشاورين ، وأمرهم شورى بينهم ، فمكن الله لهم فى الأرض ، وجعلهم سادة قادة وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين .

نعم إن الحج هو المؤتمر الأكبر الذى يضم شتات المسلمين ، من كل فج عميق ، يجتمعون فى أيام معلومات يطلبون الهداية من الله ، ويطهرون أنفسهم من أدران المادة ، ومتع الحياة ، ويستلهمون معانى العزة والقوة ، يشهدون منافع لهم دون غيرهم ، منافع عامة ليست خاصة ، منافع كثيرة تعود عليهم بخيرى الدنيا والآخرة ، حقا والله إنها منافع ، لا يقدرها حق قدرها ، ولا يعرف كنهها إلا الله تعالى والراسخون فى العلم .. ومن المنافع الشخصية : التواضع ، ونكران الذات ، وعدم الاغترار بالمظاهر ، وفيه إلى جانب ذلك : ثقافة واطلاع وفكر واعتبار ، فضلا عن المنافع التجارية .

قال تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(البقرة : ١٩٨)

وذكر الله على البهائم يكون عند ذبحها قربانا لله تعالى .

قال جل شأنه :

﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(الحج : ٣٦) .

وقت فرضيته :

اختلف فى وقت فرضية الحج فقيل : سنة ست من الهجرة ، لأنه نزل فيها قول الله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

وقيل : سنة تسع .

وهل هو واجب بالنسبة للقادر المستطيع على الفور أو على التراخى ؟ قال أبو حنيفة وأحمد وأبو يوسف وبعض أصحاب الشافعى والمزنى هو على الفور لما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من أراد الحج فليتعجل ، فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة وتكون الحاجة »[1] .

وقال الشافعى والثورى والأوزاعى وبعض المالكية ومحمد بن الحسن : أنه على التراخى ، فيؤدى فى أى وقت من العمر ، ولا يأثم من وجب عليه بتأخيره ، متى أداه قبل مماته ، وإن كان يستحب تعجيله والمبادرة إليه ، متى استطاع الإنسان أداءه عملا بقول الله تعالى :

﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾

(البقرة : ١٤٨) .

فقد ثبت أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لم يحج سوى حجة واحدة هى حجة الوداع ، وذلك فى السنة العاشرة من الهجرة ، وكان معه أزواجه أمهات المؤمنين وكثير من أصحابه ، مع أن إيجابه كان سنة ست أو تسع من الهجرة ، ولإجماع العلماء على ترك تفسيق القادر على الحج إذا أخره عاما أو أكثر ، وأنه إذا حج بعد مضى عدة أعوام من حين استطاعته فقد أدى الحج الواجب عليه فى وقته ، اللهم إلا أن ينتهى إلى حال يظن فواته لو أخره عنها ، فحينئذ يجب عليه التعجيل بأدائه .

الإحرام وأنواعه :

من أراد الإحرام يكون مخيرا بين أحد الأنواع الثلاثة وهى :

(١) الإفراد (٢) القران (٣) التمتع :

الإفراد : هو أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج ويقول فى التلبية : لبيك اللهم بحج ، اللهم يسره لى وتقبله منى ، ويبقى على إحرامه حتى تنتهى أعمال الحج .. ثم يعتمر بعد ذلك إن شاء ، ولا يجب عليه هدى .

والقران : هو أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معا ، ويقول عند التلبية : لبيك اللهم بحج وعمرة ، اللهم تقبلهما منى ويسرهما لى ، وهذا يقتضى بقاءه على صفة الإحرام إلى أن يفرغ من أعمال الحج والعمرة .

والتمتع : هو أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ، ويقول عند التلبية : لبيك اللهم بعمرة ، وهذا يقتضى البقاء على صفة الإحرام ، حتى يصل مكة ، فيطوف حول الكعبة ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يحلق شعره أو يقصر ويتحلل ، فيخلع ثياب الإحرام ؛ ويلبس ثيابه المعتادة إلى أن يجىء يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة ، فيحرم من مكة بالحج ، ويمضى فى أداء مناسكه ، وعلى القارن والمتمتع هدى وأقله شاة ..

(١) اخرجه احمد والبيهقى والاصبهانى ..

الطواف حول الكعبة وأنواعه وشروطه :

أنواع الطواف أربعة :
الأول : طواف القدوم .
الثانى : طواف التطوع .
الثالث : طواف الإفاضة .. وهو ركن من أركان الحج ، وأن الحاج إن لم يفعله بطل حجه .

قال الله تعالى :

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾

(الحج : ٢٩) .

والرابع : طواف الوداع ، وسمى بهذا الاسم ، لأنه لتوديع البيت ، ويطلق عليه طواف الصدر ، لأنه يكون عند صدور الناس من مكة .

عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : « آخر النسك الطواف بالبيت »[١] . وهو غير مطلوب من المكى والحائض ، ولا يلزم بتركه شىء .

عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « رُخِّص للحائض أن تنفر إذا حاضت » .. واختلف الفقهاء فى حكمه فقال مالك : إنه سنة ، ولا يجب بتركه شىء .. وهو قول الشافعى .. وقالت الأحناف والحنابلة ، ورواية عن الشافعى : إنه واجب ، ويلزم بتركه شاة .

ويشترط للطواف عدة شروط :

الأول : الطهارة من الحدثين الأصغر والأكبر ، والنظافة من النجاسة ، لما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « الطواف صلاة ، إلا أن الله تعالى : أحل فيه الكلام ، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير[٢] » ..

الثانى : ستر العورة . عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان »[٣] .

الثالث : أن يكون سبعة أشواط ..
الرابع : أن يبدأ الطواف من الحجر الأسود وينتهى إليه .

الخامس : أن يكون البيت عن يسار الطائف .
السادس : أن يكون الطواف خارج البيت ، فلو طاف فى الحجر لا يصح طوافه ، فإن الحجر والشاذروان من البيت (الشاذروان : البناء الملاصق لأساس الكعبة الذى توضع به حلق الكسوة) .
السابع : موالاة السعى عند مالك وأحمد ، وذهب الحنفية والشافعية إلى أن الموالاة سنة .

الحكمة من تقبيل الحجر الأسود :

أن الحجر الأسود شعيرة من شعائر الحج ، حيث يَبْتَدِئُ الطواف من محاذاته ، وهو أشبه ما يكون بسجل الزيارات الذى يكون فى قصور الملوك والعظماء ؛ لكى يدون فيه الزوار أسماءهم ، وبالتالى فإن تقبيله أو استلامه يعتبر من

(١) رواه الإمام مالك فى الموطأ ..
(٢) رواه الترمذى والدارقطنى والحاكم وابن خزيمة .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

العوامل النفسية التى تقوى ربطه بربه كعهد مع الله ـ عز وجل ـ أن يطيعه ولا يعصيه .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « إن الحجر الأسود يمين الله يصافح بها خلقه »[1] .

وهذا بطبيعة الحال على سبيل المجاز ، وإذا كان فى بعض شعائر الحج ما تخفى حكمته ، وإن العبودية الخالصة لله تعالى تقتضى الثقة بحكمته .

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال وهو يلبى : « لبيك بحجة حقا ، تعبداً ورقاً »[2] .. ويوضحه ما روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « وهو يقبل الحجر : والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك ماقبلتك[3] .

محظورات الإحرام :

يحرم على المحرم بالحج أو بالعمرة أو بهما معا عدة أمور :

١ ـ الجماع ودواعيه : كالتقبيل واللمس بشهوة ..

٢ ـ اقتراف المعاصى وارتكاب المنهيات التى تخرج الإنسان عن طاعة الله .

٣ ـ المخاصمة والشحناء والجدال مع الزملاء .

٤ ـ لبس المخيط كالقميص والقفطان .

٥ ـ لبس المحيط : كالعمامة والطربوش .

٦ ـ عقد النكاح لنفسه أو لغيره .

٧ ـ تقليم الأظافر .

٨ ـ إزالة الشعر بالحلق أو التقصير .

٩ ـ التطيب فى الثوب أو فى البدن .

١٠ ـ التعرض لصيد البر ..

١١ ـ لبس ثوب مصبوغ له رائحة طيبة .. إلا أن يغسل بحيث لا تظهر له رائحة .. ومن كان له عذر واحتاج إلى ارتكاب محظور من محظورات الإحرام غير الجماع كحلق الشعر ، أو لبس المخيط ، اتقاء لحرٍّ أو بردٍ شديدين أو نحو ذلك لزمه أن يذبح شاة ، أو يطعم ستة مساكين كل مسكين أكلتين مشبعتين من الأكل الوسط .

ولا يبطل الحج أو العمرة بارتكاب شىء من المحظورات سوى الجماع ويمضى فى فاسده ، وعليه القضاء من قابل .

المباحات بالنسبة للمحرم :

يباح للمحرم أن يباشر عدة أشياء دون أن يكون لها تأثير على إحرامه :

(١) الاغتسال ..

(٢) استعمال الصابون ونحوه من كل مايزيل الأوساخ .

(١) رواه احمد وابن خزيمة .
(٢) رواه البزار والدارقطنى
(٣) رواه البخارى ومسلم ..

(٣) نقض الشعر وامتشاطه بحيث لا ينتف شعرا ، ولكن يكره الامتشاط إلا لعذر .

(٤) حمل متاعه على رأسه ، إذا كانت هناك ضرورة تستدعى ذلك .

(٥) لبس الخفين للمرأة دون الرجل .

(٦) نزع الضرس وفقء الدمامل .

(٧) حكُّ الرأس والجلد .

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها سئلت عن المحرم يحك جسده ؟ قالت : نعم ، فليحكه وليشدُد »[1] .

(٨) النظر فى المرآة وشم الريحان .

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : « المحرم يشم الريحان ، وينظر فى المرآة ، ويتداوى بأكل الزيت والسمن »[2] .

(٩) الســـواك .

(١٠) الاكتحال ، قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « يكتحل المحرم بأى كحل إذا رمد ما لم يكتحل بطيب ومن غير رمد » .

(١١) شدُّ الهميان فى وسط المحرم ليحفظ فيه نقوده ، ونقود غيره .

(١٢) تظلل المحرم بمظلة أو خيمة أو سقف ونحو ذلك .

(١٣) قتل الذباب والقراد والنمل ، فعن عطاء ـ رضى الله عنه ـ : « أن رجلا سأله عن القرادة والنملة تدب عليه وهو محرم ؟ فقال : ألق عنك ما ليس منك » .

(١٤) قتل الفواسق الخمس وكل ما يؤذى ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « خمس من الدواب كلهن فواسق يُقْتَلْن فى الحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور »[3] ، وفى رواية بزيادة « والحية » ويستثنى غراب الزرع ، وهو الغراب الصغير الذى يأكل الحب . .

(١٥) أن يدفع عن نفسه مايؤذيه من الآدميين والبهائم وغيرها جهد استطاعته .

العمرة : شروطها ، وأركانها ، وحكمها ..

العمرة : هى زيارة البيت الحرام للنسك .

شروطها : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والاستطاعة .

أركانها : الإحرام ، والطواف ، والسعى بين الصفا والمروة ، والحلق أو التقصير ، زاد الشافعية : والترتيب بين هذه الأركان .

حكمها : اختلف الفقهاء فى حكمها ، فذهب أحمد والشافعى فى أحد قوليه : إلى أنها فرض عين على القادر المستطيع ، لقول الله تعالى :

---

(١) رواه البخارى ..
(٢) رواه البخارى ..
(٣) رواه مسلم والبخارى ..

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

وقد عطفت على الحج وهو فرض ، فهى فرض كذلك ، وبما روى عن معمر عن قتادة أنه كان يحدث أنه لما نزلت :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

(آل عمران : ٩٧)

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : باثنتين حجة وعمرة ، فمن قضاهما فقد قضى الفريضة »[١] .

وعن زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « الحج والعمرة فريضتان : لا يضرك بأيهما بدأت » .

وذهب الحنفية والمالكية إلى أنها سنة مؤكدة فى العمر مرة واحدة لما روى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : « سأل رجل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن العمرة أواجبة هى ؟ قال : لا ، ولأن تعتمر خير لك » .

وماروى عن أبى صالح الحنفى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحج واجب ، والعمرة تطوع »[٢] . .

وأما قول الله تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

(البقرة : ١٩٦)

فهو أمر للإتمام بعد الشروع ، والعبادة متى شرع فيها ينبغى إتمامها ولو كانت نفلا ، فلا يدل على الفريضة وهو الراجح . .

وفى فضل كل من الحج والعمرة ماروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « هذا البيت دعامة الإسلام فمن خرج يؤم هذا البيت (أى يقصده) من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رَدَّه : ردَّهُ بأجر وغنيمة »[٣] .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[٤] . . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق . .
(٢) رواه ابن ماجه فى سننه
(٣) رواه ابن جريج بإسناد حسن
(٤) رواه الإمام مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه .

الحج قبل الإسلام

وبعد ظهور الدعوة إليه

للمستشار: محمد عزت الطهطاوى

تعارف الناس فى عصورهم الأولى على ما يشير إلى الحج ، ولم يكن يعنى فى نظرهم سوى زيارة أمكنة مخصوصة تقربا إلى إلههم المعبود ، وقد اتخذتها الشعوب والقبائل رمزا لإجلال معبوداتها وتقديسها .

كما كانت تتخذ فى حجها من الصور والأعمال ما تصور به تخيلها لعظمة معبودها ، وقد استمر الحال على ذلك دون أن ينزل وحى من السماء بهذا النوع من العبادة لا فى أصله ولا فى تنظيمه فترة من الزمان على هذه الأرض .

إبراهيم ـ عليه السلام ـ أول نبى أمره الله بدعوة الناس للحج

لما هيأ الله الأمر لنبيه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتقرير فريضة الحج كلفه ببناء الكعبة ورفع القواعد من بيته الحرام بمكة المكرمة فقام بما كلف به واستعان فى ذلك بمساعدة ولده إسماعيل ـ عليه السلام ـ ثم أمره الله بدعوة الناس إلى القيام بحج هذا البيت فأذن هناك بالحج ، ومن هذا الوقت وجد الحج فى رسالات السماء وبذلك كانت الكعبة المشرفة هى أول بيت وضع للناس فى الأرض لعبادة الله وحده .

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج ٢٦ ، ٢٧)

وقال ـ جل وعلا ـ :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

(آل عمران ٩٦ ، ٩٧)

كيف كان الحج فى الجاهلية ؟

ومنذ عهد إبراهيم - عليه السلام نشأ العرب على تعظيم البيت الحرام وحجه وعبادة الله فيه وخصوصا أنه ترك فيهم ولده إسماعيل - عليه السلام - فكانت من ذريته قبيلة قريش يقومون بخدمة البيت العتيق ، فهم سدنة البيت وحماته والقائمون على أمره وخدمة زواره من الحجيج .

لكن بامتداد الزمان وتطاول القرون ضعفت فى العرب روح المحافظة على العهد الربانى ونسوا تعاليم التوحيد الخالص فأشركوا بالله الأصنام ورفعوا تلك الأوثان على ظهر البيت الحرام وضربوا حوله نطاقا منها وتوجهوا إليها واستعانوا بها واتخذوها شفعاء عند الله وذبحوا لها وبذلك بعدوا عن الإبراهيمية الحنيفية السمحة .

كما أحدثوا فى كيفية الحج ومظاهره تقاليد غريبة لا تتفق مع استقامة العقيدة ولا تنسجم مع الفطر السليمة ، فطاف بعض الناس بالبيت الحرام عرايا ، وترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بجبل عرفة والإفاضة منه ولو كانوا فى موقف العبادة لله الذى يستوى أمام سلطانه وقهره جميع الناس اعتقادا منهم أنهم فوق الناس فلا ينبغى أن ينزلوا إلى مستواهم[(١)] .

محاولة خبيثة لصرف الناس عن بيت الله الحرام

يروى أن أبرهة الأشرم وكان حاكما على اليمن من قبل نجاشى الحبشة التى كانت تحتل تلك البلاد . بنى كنيسة هائلة بصنعاء عالية البناء مزخرفة الأرجاء سمتها العرب (القليس) لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم أبرهة على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته لكن العرب لم يستجيبوا له وقصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى سدنة الكنيسة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له : إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به !

فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا فسار إليها فى جيش كثيف ، واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة ، فلما انتهى إلى المغمس وهو مكان قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وكان

(١) كتاب من توجيهات الإسلام تاليف الاستاذ الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر الاسبق

فيها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم سيد قريش وقتئذ ، ثم بعث أبرهة رجلا يقال له حناطة الحميدى إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف رجل من قريش بعد أن يخبره بأن الملك لم يجىء لقتالهم إلا إذا صدوه عن البيت الحرام .

فلما وصل حناطة دلوه على عبد المطلب بن هاشم ، فبلغه ما قاله له أبرهة فرد عليه عبد المطلب بقوله والله ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه ، ثم ذهب به حناطة إلى أبرهة فلما رآه أجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ثم سأله أبرهة عن طريق ترجمانه ما حاجته فرد عليه عبد المطلب بقوله : (إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى) . فقال أبرهة : (لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى عن مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه ؟) . فقال له عبد المطلب : (إنى أنا رب الإبل ، وإن للبيت ربا سيمنعه) قال أبرهة : ما كان ليمتنع منى . فرد عليه عبد المطلب بقوله أنت وذاك)[٢] .

ولما رجع عبد المطلب إلى قريش أمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه ويقول فيما يروى من الشعر عنه :

لاهم[٣] إن المرء يمنع ... رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومِحالهم أبدا مَحالك
إن كنت تاركهم وقبلتنا ... فأمر ما بدا لك

فلما أصبح أبرهة وهيأ جيشه لدخول مكة وجهوا الفيل إليها لكنه برك وضربوه ليقوم فأبى ، ولما وجهوه راجعا إلى اليمن قام يهرول وكذلك الحال عندما وجهوه إلى الشام ، ولما أعادوا فى توجيهه إلى مكة مرة أخرى برك ، وعندئذ أرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب أحداً منهم إلا هلك فخرج أفراد الجيش هاربين يبتدرون الطريق والطيور بأحجارها فى أثرهم حتى أهلكتهم ، وأصيب أبرهة منها فى جسده وخرج فارا مع الفارين تسّاقط أنامله حتى وصل صنعاء فمات فيها[٤] .

هذا الحادث سجله القرآن الكريم فى قول الله تعالى :

---

(٢) المجلد الثالث من مختصر « تفسير ابن كثير » للقرآن الكريم ، تفسير سورة الفيل اختصار وتحقيق الأستاذ محمد على الصابونى أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز .

(٣) الأصل : اللهم وحذفت الألف واللام تخفيفا لضرورة الشعر . جاء ذلك فى كتاب السيرة النبوية فى القرآن الكريم للدكتور عبد الصبور مرزوق .

(٤) المجلد الثالث من مختصر تفسير ابن كثير المرجع السابق .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

(الفيل)

اليهود كانوا يوقرون الكعبة قبل ظهور الإسلام

جاء فى كتاب محمد واليهود والذى تنشره الهيئة المصرية العامة للكتاب أن اليهود قبل الإسلام كانوا يوقرون الكعبة ، وأنهم كانوا يخلعون نعالهم حين يصلون إلى حدود الحرم[5] .

الرسالة المحمدية تجدد دعوة إبراهيم - عليه السلام -

لما نادى رسول الله محمد - ﷺ - بعقيدة التوحيد كان فى الحقيقة مجدداً لملة إبراهيم - عليه السلام - وموقظا لدعوة الحق فى الألوهية وهى دعوة التوحيد النقية الصافية والمساواة بين الناس قال الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

(الأنعام ١٦١ ، ١٦٣)

وقال - جل وعلا - :

﴿ وَجَٰهِدُوا فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾

(آخر سورة الحج)

كيف طهر الإسلام مناسك الحج مما علق بها من تقاليد الجاهلية ؟

لما قضى الله للمسلمين بالرجوع إلى مكة المكرمة واستخلاصها من حوزة المشركين هيأ لهم وسائل فتحها وكان ذلك فى السنة الثامنة للهجرة ، فدخلوا المسجد الحرام وأعلنوا فيه كلمة التوحيد وطهروه من الأصنام والأزلام حتى يكون معداً لتغطية فريضة الحج وهى الركن الخامس من أركان الإسلام بعد ركن التوحيد وركن الصلاة وركن الزكاة وركن صيام شهر رمضان . وفى

(٥) كتاب « محمد واليهود » نظرة جديدة تأليف دكتور بركان احمد ترجمة محمود على مراد .

السنة التاسعة للهجرة أمَّر النبى - ﷺ - أبا بكر الصديق على جماعة المسلمين لأول مرة يخرجون فيها بصفة جماعية لأداء فريضة الحج ، فخرج بهم الصديق قاصدا مكة ولم يمض على ذلك سوى قليل من الزمن إذ نزل الوحى الأعلى بسورة التوبة وقد تضمنت فى أوائلها أربعة أحكام :

أولا : لا يدخل الجنة كافر .
ثانيا : لا يحج بعد هذا العام مشرك .
ثالثا : لا يطوف أحد بالبيت عريانا .
رابعا : من كان له عند رسول الله - ﷺ - عهد فهو إلى مدته ، فأرسل النبى - ﷺ - ابن عمه على بن أبى طالب لتبليغ هذه الأحكام وإعلانها على الناس يوم الحج الأكبر[٦] .

خروج النبى - ﷺ - إلى الحج فى السنة العاشرة من الهجرة

لما حل موسم الحج من العام العاشر للهجرة كان المسجد الحرام قد تخلص نهائيا من شوائب الشرك وأرجاسه فتجهز رسول الله - ﷺ - لأداء فريضة الحج ، وهى حجة الإسلام الأولى فى حياته ، وقد شاء الله أن تكون الأخيرة أيضا ، ومن أجل ذلك سميت حجة الوداع ، وقد سرت الأنباء بعزمه - ﷺ - على الحج فى أنحاء الجزيرة العربية ، فتجمعت فى تلك الحجة القبائل العربية من كل حدب وصوب حتى لقد بلغت عدة المسلمين فيها مائة ألف أو يزيدون جاءوا يتسابقون ركضا لينالوا شرف الحج معه وليروا عن كثب مناسك الحج كما يؤديها الرائد الأكبر صلوات الله وسلامه عليه .

وهناك على جبل عرفات وقف وألقى على المسلمين خطبته الجامعة التى بين فيها أصول الدين وفروعه ومبادئه وآدابه[٧] .

بعض ما جاء فى تلك الخطبة النبوية الجامعة

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله - ﷺ - على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أولا : (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها) .

ثانيا : (كل ربا موضوع ، لكن لكم رءوس أموالكم لا تُظلَمون ولا تَظلِمون ، قضى الله أنه لا ربا وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله) .

---

(٦) كتاب « من توجيهات الإسلام » المرجع السابق .
(٧) كتاب « سيرة الرسول » للدكتور محمد الطيب النجار .

ثالثا : (كل دم فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعا فى بنى ليث فقتله هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية) .

رابعا : (إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم) .

خامسا : (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

سادسا : (إن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة) .

سابعا : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان[٨] ، لا يملكون لأنفسهن شيئا وإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله) .

ثامنا : (تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بيِّناً ، كتاب الله وسنة نبيه) .

تاسعا : (كل مسلم أخ للمسلم ، وإن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم) .

عاشرا : (إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث) .

حادى عشر : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) .

ثانى عشر : (من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) .

ثالث عشر : (إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟) (اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

ثم قضى رسول الله - ﷺ - الحج وقد أرى الناس مناسكهم وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل الله لهم من حجهم وما حرم عليهم .

ولذلك كانت حجة الوداع حجة البلاغ أيضا[٩] .

---

(٨) عوان تعنى اسيرات .

(٩) كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام ابى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هـ الجزء الرابع . وكتاب سيرة الرسول للأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر الأسبق .

الحج
تدريب على القيم العليا

للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى

ما يكاد رمضان تودع آيامه ولياليه المسلمين ، ويقبل العيد تعبيرا عن الفرحة بتوفيق الله لعباده المؤمنين أن قاموا بواجباتهم خلال أيام الشهر الكريم ولياليه ، حتى يستبد الشوق والحنين بقلوب الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تطلعا إلى زيارة البيت الحرام ، وتلهفا إلى لقائه ، وحط عصا الترحال فى رحابه ، يروون غلة الشوق إلى البيت المعظم ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، ويستشعرون الطمأنينة والأمان فى تلك الرحاب التى شرفها الله . بخطوات أبى الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ وبنشأة خاتمهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكفاحه وتضحياته فى تلك البقاع المقدسة ، وجوار الكعبة المشرفة ، التى رفع أبو الأنبياء وابنه إسماعيل قواعدها ، ودعوا الله أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة ، وأن يبعث فيها رسولا ، وأن يجعل قلوب الناس تهفو إلى تلك البقاع الكريمة على الله سبحانه كما سجل كل ذلك القرآن الكريم فى سورتى البقرة وإبراهيم حيث يقول فى سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ
ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١)

(١) سورة البقرة : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .

وفى سورة إبراهيم حيث يقول أبو الأنبياء داعيا ربه أن يجعل البلد آمنا ويرزق أهله من الثمرات ، ويجعل الأفئدة تهفو إلى تلك البقاع المطهرة :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٢)

وليس عجيبا أن يشتد الشوق إلى البيت الحرام فى قلوب المؤمنين كلما بدأت أشهر الحج ، لأن فى ذلك استجابة لدعاء أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، فهذا الشوق ، وذلك الحنين الذى يعتلج فى قلوب الملايين كلما أقبلت أشهر الحج رجاء أن يكتب الله لهم زيارة بيته المحرم ، وحط الرحال فى جنباته ، الذين نرى آثارهم فى الحركة الدائبة ، التى تسوق أصحاب هذه القلوب إلى أم القرى ، إنما هو ترجمة واقعية عن تحقيق الله سبحانه لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم ـ عليه السلام ـ .

ومعلوم أن القلوب تتطلع إلى الأماكن ذات الحدائق والمروج والأشجار والثمار والنسمات العليلة المنعشة . تنشد الراحة وتهفو إلى جمال الطبيعة ، وترى فيها آثار قدرة الله فى الزرع والضرع والماء والنعمة والرخاء ؛ ولكن أن تهفو القلوب إلى مكان لا زرع فيه ولا ماء ولا حدائق ولا أفياء فهذه هى المعجزة الإلهية الكبرى والدليل العملى على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء .

ولا شك أن المسلم حينما يسعد بالتواجد فى هذا الجو المعبق بروائح النبوات ، وإرث الأنبياء يجد من معانى السمو الروحى ، والصفاء النفسى ما يجعله يشعر أنه قد انطلق إلى عالم آخر غير الذى كان ينقلب فيه ، فى ذلك العالم الجديد يحس بأن آفاق السماء تفتح له أبوابها ، وأن رحمة الله منه قريب ، وأنه قد ألقى بأثقال الحياة جانبا ، فيشرق النور فى قلبه ، ويسبح بمشاعره وأحاسيسه فى جو من الصفاء والنقاء والضياء والشفافية لا يدرك آثارها الطيبة إلا من عاش تلك التجربة ، ومنحه الله القبول .

وتشرف الأمور بمقاصدها ، وسمو أهدافها ، وكل عمل أو سعى أو قول يعود على الأفراد والجماعات بالنفع والرخاء ، والسمو الخلقى ، والصفاء النفسى يكتسب عند الأمم والشعوب احتراما وتقديرا ومكانة عليا ، وتزداد قيمة هذه النتائج الطيبة حينما ترتبط بمعنى دينى وتكون استجابة لأمر إلهى ، يرقى بالإنسانية ومشاعرها وأحاسيسها ، إلى درجة تجعل الفرد يستشعر حقوق الآخرين عليه فرضا لازما لايمكن الفكاك منه ، وواجباته نحو الجماعة أمرا يجرى فى ضمائر الأفراد مجرى الدم فى العروق ، ويمتزج بها امتزاج الأجسام بالأرواح ، عند ذلك تهون التضحية ، وتعلو قيمة الإيثار ، ومصلحة الجماعة ، وتتوارى نزعات النفس وأهواؤها ، ليحل محلها الحق والواجب ، ومسئولية كل فرد نحو من يخالطهم ويعيش معهم ، فلا ترى فى الحياة إلا المعنى الجميل ، والمسعى النبيل ، ومكارم الأخلاق والحج وسيلة لتعويد اللسان على العفة والتزام

(٢) سورة إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

الاستقامة فى السلوك ، وأخذ النفس بمعالى الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والتمرين على الصبر على الشدائد ، وتحمل المشاق ، وتطهير القلب من شهوات الدنيا ومغرياتها ، رغبة فى القرب من الله والتعرض لرضوانه ، لأنه - جل وعلا يقول - :

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٣)

والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » (٤) .

وقد أتاح الله هذه الفريضة كل عام لتهيىء للمسلم تلك الفرصة التى يعود فيها لسانه على العفة ، وخلقه على السمو ، وقلبه على الصفاء والنقاء حتى يصير ذلك له سجية وطبيعة ، فتعتاد النفس الإنسانية على هذا النمط العالى من السلوك الإنسانى ، الذى ترقى به الأمم ، وتأخذ المجتمعات بأسباب التقدم ومعالى الأمور حتى تنال رضى الله ومحبته ؛ لأن الله سبحانه يحب معالى الأمور ويكره سفسافها .

والحاج الذى يعد نفسه لهذه الرحلة المقدسة مضحيا بالجهد والوقت والراحة والأنس بالأهل والأولاد ، مستهينا بالمتاعب والمصاعب والمشقات ، التى لم يألفها من قبل إنما يفعل ذلك راجيا ماعند الله من ثواب جزيل ، وعيش رخى فى الدنيا والآخرة ، وحينما يقدم الإنسان على التضحية بالمال والراحة والوقت فى سبيل استجلاب رضى الله - عز وجل - ، إنما يعود نفسه على خصال الخير ، ويروضها على استعمال المال فيما يعود نفعه عليه وعلى إخوانه المسلمين ؛ لأن هذه الرحلة التى يقصد بها وجه الله تقوى فى نفسه الإحساس بالأخوة ، والشعور بالوحدة ، والانتماء إلى الجماعة ، وارتباط مصيره بمصيرهم ، فإن تعرض لموقف يحتاج إلى البذل قدم ما فى يديه راضيا مطمئنا ، وإن شارك مجموعة فى سفر أو إقامة نما فى وجدانه الإحساس بالمصير المشترك ، والانتماء إلى الجماعة ، فيقدم العون لمن يحتاجه ، ويسارع بالمساعدة لمن يقع فى شدة ، ويعلم أن ما بيده غير دائم . وإنما يدوم أثره الطيب وذكره الحسن حينما ينفقه فى مرضاة الله ، ومصالح عباده ، فإن ما عند الله لا ينفد :

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

وخير الناس أنفعهم للناس .

وإذا ما عاد الحاج من رحلة الحج ، وقد اكتسب طهارة القلب ، وعفة اللسان ، وصيانة الجوارح عن الوقوع فيما يغضب الله سبحانه ، واستقامة السلوك ، وسمو الأخلاق والتزود بالتقوى ، والقرب من الله سبحانه ، إذا ما عاد بهذه الحصيلة الوفيرة من القيم والأخلاق ، ومراقبة الله فى السر والعلن فقد عاد بالخير الكثير ، والنعمة السابغة ويكون ممن ظفروا بالحج المبرور الذى ثوابه الجنة .

والحج المبرور هو الذى لم يخالطه إثم ، ولم تشب نفقاته شائبة .

---

(٣) سورة البقرة : ١٩٧ .

(٤) رواه احمد والبخارى والنسائى وابن ماجه .

(٥) النحل : ٩٦ .

آدم أبو البشر

للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

-١-

الجن والإنس عباد الله :

الأولون خلق لا نراهم ، والإيمان بوجودهم من أمور الغيب التى أمرنا بالإيمان بها .

والآخرون : نحن منهم وهم منا ، وهم جميعا آدم - عليه السلام - وذريته إلى يوم القيامة .

الأولون : أول من خلقه الله تعالى منهم إبليس .

والآخرون : هم من خلقهم الله تعالى ، ومنهم آدم - عليه السلام - .

والفريقان الجن والإنس عاشا معا فى جنات الأرض .

ويذكر القرآن الكريم قصة خلق ادم وأمر الله - عز وجل - للملائكة والجن بالسجود لآدم فسجدوا جميعا إلا إبليس أبى واستكبر وعاند وعصى أمر الله ، وصار يهذى بقياس فاسد

﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ١٢ ﴾

(الأعراف : ١٢) .

فطرده الله من الجنة والنعيم الذى كان فيه ، وبقى آدم فى جنة الله فى أرضه ، ومعه زوجته حواء التى خلقها الله بعد أن خلق آدم ، ليسكن آدم إليها وتسكن إليه ، وتعمر بهما الأرض والحياة ، وجاء أمر الله لآدم وحواء بألا يأكلا من شجرة حرمها الله عليهما ، فجاءهما الشيطان وهو إبليس

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾

(البقرة : ٣٤) .

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ۝١٢٠ ﴾ (طه : ١٢٠) .

يوسوس لهما بالأكل منها ، ويحتج لهما بقياس فاسد أيضاً

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ ﴾

(الأعراف : ٢٠)

فأكلا منها ، فعاقبهما الله - عز وجل - على ما اقترفا من ذنب ، بدت لهما سوآتهما - أى عوراتهما - وطفقا يخصفان - أى يضعان عليهما من ورق الجنة ، ورأى آدم عاقبة ذنبه فتاب إلى الله ، وقبل الله توبته ، وأخرجه وحواء من الجنة والنعيم الذى كانا فيه ، حيث يشقيان ويعملان ويكدحان فى الأرض من أجل الحياة .

هذه القصة ذكرت فى كتاب الله - عز وجل - ست مرات :

- فى البقرة من آية ٣٠ حتى آية ٣٩ .
- وفى الأعراف من آية ١١ حتى آية ٢٥ .
- وفى الحجر من آية ٢٦ حتى آية ٤٤ .
- وفى الإسراء من آية ٦١ حتى آية ٦٥ .
- وفى طه من آية ١١٥ حتى آية ١٢٦ .
- وفى ص من آية ٧٧ حتى آية ٨٨ .

كما ذكر الله - عز وجل - فى كتابه الحكيم آدم ٢٥ مرة وذكر إبليس إحدى عشرة مرة ، وذكر الشيطان سبعين مرة ، والشياطين ثمانى عشرة مرة ، وذكر الجن اثنتين وعشرين مرة .

يقول الحسن البصرى : إن إبليس لم يكن من الملائكة .

ويقول شهر بن حوشب : كان من الجن .

وحين خلق الله - عز وجل - آدم ونفخ فيه الروح .

قال تعالى للملائكته[1] اسجدوا لآدم تكريما لخلق الله - تبارك وتعالى - :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣١ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٣٢ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٣٣ ﴾

(الحجر: ٢٨ - ٣٣) .

وقال - عز وجل - :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢ ﴾

(الأعراف : ١٢) .

وقد خلق الله حواء ، وعرف آدم أن الله - عز وجل - خلقها من أجله ، لعمارة الكون .

وحول تحديد تاريخ ظهور آدم وحواء يرى الدكتور عبدالهادى مصباح فى كتابه : [آدم وحواء فى الجنة إلى أفريقيا] إن آدم بعد أن أخرجه الله من الجنة قد مضى إلى أفريقيا ، وأن الأبحاث أثبتت أن البشر جميعا من امرأة واحدة هى حواء ، نشأت فى أفريقيا منذ ما يقرب من ١٥٠ إلى ٢٠٠

(١) اى للملائكة الذين شهدوا معجزة خلق الله ادم من تراب . لا جميع ملائكة الله وإن كان البعض يذهب إلى انهم جميع الملائكة .

ألف عام ، ومنها ظهرت شجرة العائلة البشرية إلى يومنا هذا .

وفى بعض المصادر أن إبراهيم الخليل توفى عام ١٨٢٠ ق م ، وأن إسماعيل توفى عام ١٧٧٣ ق م ، وأن كعب بن لؤى الجد السابع لرسول الله - ﷺ - توفى عام ٥٠ م ، حيث ذكر أبو هلال العسكرى فى كتابه « الأوائل » - ص ١٢٢ - أن بين عام الفيل وموت كعب بن لؤى ٥٢٠ عاما .

ويضرب الله - عز وجل - بخلق آدم من تراب المثل ، فيقول - عز وجل - :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ﴾

(آل عمران : ٥٩) .

وإبليس بمعصيته لله - عز وجل - ومخالفته لأمر الخالق الأعلى له ، وامتناعه عن السجود لآدم ، وإصراره على المخالفة ، وتقديمه العقل على الوحى بهذا القياس الفاسد الذى لجأ إليه ، ثم بعدم ندمه على مخالفته للأمر الإلهى ، وتركه إعلان التوبة ، استحق بذلك غضب الله عليه ، فأخرجه من جنته ، وجعله نموذجا للشر وداعية له هو وذريته إلى يوم القيامة .

ولكن آدم أبا البشر حين عصى الله ، واستمع إلى إبليس الذى حبذ إليه تقديم العقل على الوحى ، بادر بالندم وبإعلان التوبة ، فأخرجه الله من جنته لمعصيته التى وقع فيها ، وجعله فى الحياة موضعا للابتلاء والامتحان ، وأنزل إلى ذريته الرسل ، وكتب السماء هادية ومرشدة ، فللمطيع الثواب وللعاصى العقاب ، يوم الحساب الأكبر فى يوم الآخرة العظيم .

ولعظمة معجزة خلق آدم أبى البشر من تراب هو وذريته اختاره الله خليفة ، وقال لملائكته :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾

(البقرة : ٣٠) .

هذا والجنة التى كان فيها آدم قبل المعصية هى جنة فى الأرض ، ويؤيد هذا قول الله - عز وجل - فى كتابه الحكيم

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ ﴾

(القلم : ١٧) .

أى البستان أو الحديقة .

وفى رأى ابن كثير فى كتابه « قصص الأنبياء » [ص ١٩ - دار نهر النيل عام ١٩٨١] : إن الجنة التى أسكنها الله - عز وجل - آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض من حولها .

والهبوط فى قصة آدم معناه الخروج من النعيم إلى الشقاء والكدح فى الأرض ، وهو كقول الله تعالى لنوح عليه السلام :

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤٨ ﴾

(هود : ٤٨) .

- ٢ -

وفى حياة آدم على الأرض وكدحه فيها ، علمه الله - عز وجل - الأسماء كلها ، وبدأت اللغة

الأولى للبشرية بإلهام ووحى من الله تعالى ، للتفاهم بها فى حياة البشر . وكانت هذه معجزة ثانية جعلها الله لملائكته فضلا لآدم ، وسرا من أسرار اختياره خليفة له فى الأرض . يقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾

(البقرة : ٣١ ـ ٣٣) .

وكان لابد للبشرية ـ من آدم وذريته ـ من هدى من السماء ، من الله ـ عز وجل ـ فبعث الله تعالى إليهم رسلا مبشرين ومنذرين ، يأمرونهم بالإيمان ، وينهونهم عن الكفر والفسوق والعصيان ، ويحذرونهم من حساب الله وجزائه فى الآخرة ، كما بعث إلى الجن من ذرية إبليس كذلك بالرسل مبشرين ومنذرين .

فالجن والإنس يحاسبان يوم القيامة على أعمالها ، ويلقيان الجزاء العادل إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، الجنة لمن قدم الخير وصالح العمل ، والنار لمن قدم الشر وكان من العاصين ، وآثره الحياة الدنيا على الآخرة .

معصية إبليس بتركه السجود لآدم ، وامتناعه عن الامتثال لأمر السماء ، وأمر الله ـ عز وجل ـ ، ثم عدم توبته مما اقترف من معصية ، وبتقديمه العقل على الوحى . . وآدم وإن كان قد عصى الله ـ عز وجل ـ ، واستمع إلى إغراء الشيطان ووسوسته بأكله من الشجرة التى نهاه الله ـ عز وجل ـ عن الأكل منها وحواء امرأته ، إلا أنه بادر بإعلان الندم وبالتوبة مما اقترف من إثم ومعصية ، وبإعلانه الطاعة والامتثال لأمر الخالق الأعظم .

وهذه الشجرة التى نهاه الله ـ عز وجل ـ عن الأكل منها ، هل هى ثمرة من ثمار الدنيا ، أو هى كما أرى كناية عن التمتع بزوجته وقطف ثمار عاطفته نحوها إلا بعد أن يأذن الله له بذلك ويشرعه له .

وهكذا فكما أن من ذرية آدم من امتثل لأمر الله وأطاع وآمن ، ومنهم من عصى ولج فى العصيان ، فكذلك من ذرية الشيطان إبليس ، منهم من امتثل وأطاع ، وعمل بما أمر الله ، ومنهم من عصى وكفر بما أنزل الله من كتاب وهدى ونور .

من آمن من الجن والإنس فله فى الآخرة النعيم ، ومن كفر فله عذاب جهنم وبئس المصير .

إن الله ـ عز وجل ـ قد بعث إلى الإنس رسلا منهم ، كما بعث إلى الجن رسلا منهم ، وهداة يدعونهم إلى الإيمان .

قال تعالى : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ (١٣٠) ﴾ (الأنعام : ١٣٠) .

وقال تعالى :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٣٦) ﴾

(الأعراف : ٣٥ : ٣٦)

وقال تعالى على لسان الجن ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ (١)

(الجن : ١٣ : ١٥) .

وقال تعالى : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ (طه ١١١ : ١١٢) .

إن الله - عز وجل - يحاسب فى الآخرة يوم الحساب الأكبر الجن كما يحاسب الإنس ، على ما صنعوا وعملوا فى الدنيا من خير أو شر ، يقول الله - عز وجل - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا (٢) لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

(الأعراف : ١٧٩) .

ويقول تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأنعام : ١٣٠) .

- ٣ -

وهكذا بدأت الحياة ، وهكذا تسير الدنيا ويسير البشر ، ويعيش الجن والإنس فى ملك الله العظيم : الجن لا يراهم بعينه بشر ، والإنس ظاهرون فى الأرض بأمر الله - عز وجل - .

والجن لهم رسلهم ، والإنس لهم رسلهم وكل من الجن والإنس منهم مؤمنون ومنهم الكافرون والجميع يحاسبون يوم القيامة ، ويلقون جزاء أعمالهم فى الحياة ، فللمؤمنين الجنة ، وللكافرين النار

وهذه من سنة الله فى الأرض ، وخلقه فيها ، وعدله بين الإنس والجن فى الآخرة فى يوم الحساب الأكبر ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، وعلت كلمته ، وعزت قدرته فى الحياة والكون ، وفى الخلق والناس والجن أجمعين .

ويؤخذ من ذلك كله :

١ - ضرورة الإيمان والطاعة والامتثال لأمر الله والتصديق بكتبه ورسالاته ، وجزاء ذلك الجنة .

٢ - العصيان والتمرد جزاؤهما النار وبئس القرار .

٣ - الوحى قبل العقل فلا عمل للعقل فيما جاء به الوحى .

٤ - جزاء الله العادل سوف يلقاه كل إنسان أو جان يوم الحساب .

٥ - الرسالات والكتب السماوية توجيه إلهى للإنسان والإيمان بها فرض ، وكما جاءت الرسالات لبنى البشر ، جاءت رسالات أخرى لبنى الجن ، وعلم ذلك عند الله .

٦ - لا فرق بين الإنس والجن فى التكليف الإلهى ، ووجوب الامتثال التام والإذعان الكامل .

٧ - عندما خلق الله الخلق خلق الفريقين : الإنس والجن ، وألزمهما جميعا بالإيمان والامتثال والطاعة ، وأرسل إليهما الرسل ، وأنزل الكتب السماوية توجيها وتحذيرا وإنذارا وإرشادا من الله رب العالمين ، وخالق الخلق أجمعين .

وبالله التوفيق ، وهو أعلم العالمين .

(١) المراد الكافرون .

(٢) أى خلقنا .

عالمية الإسلام

وعالمية الحرب ضده

لفضيلة الشيخ:
السيد عبد المقصود عسكر

عالمية دين الإسلام الذى بعث به محمد - ﷺ - معلومة من الدين بالضرورة ، يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والواقع التاريخى الذى يعد تطبيقا لتعاليم الإسلام .

أما الدليل من كتاب الله - عز وجل - فيتمثل فيما يأتى :

١ - يقول الله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

(الأعراف : ١٥٨)

٢ - ويقول الله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(سبأ : ٢٨)

٣ - ويقول الله - تعالى - :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

(الأنبياء : ١٠٧)

وأما الدليل من السنة فيتمثل فيما يأتى .

١ - عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

(أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد

قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة)[1] .

٢ - وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

(أعطيت خمسا لم يعطهن نبى قبلى بعثت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى وأعطيت الشفاعة وإنه ليس نبى قبلى إلا قد سأل شفاعته وإنى ادخرت شفاعتى ثم جعلتها لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا)[2] .

٣ - وعن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - :

(والذى نفسى بيده لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى أو نصرانى لا يؤمن بى إلا دخل النار[3] .

ومن المعلوم أن الذين دعاهم رسول الله إلى الإيمان به واستجابوا لدعوته منذ البداية كانوا خليطا من العرب والروم والفرس والحبش ، ثم إنه - ﷺ - بعث بالكتب والرسل إلى الأمراء والملوك فى زمنه يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام ويحذرهم من البقاء على الكفر ، وكان يضمن كتبه هذه العبارة (أسلم تسلم) كما كان يضمن بعض كتبه هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾

(آل عمران : ٦٤)

والواقع التاريخى يشهد بأن أمما وأجناسا شتى دخلوا فى الإسلام واستجابوا لدعوته وجاهدوا فى سبيله وتحت رايته ، وإن كثيرين من الفرس الذين كانوا مجوسا دخلوا فى الإسلام وتمسكوا به وعملوا من أجل نصرته ، وكثيرون من الروم الذين كانوا نصارى دخلوا فى الإسلام كذلك ، وكثيرون من الهنود البوذيين دخلوا فى الإسلام وكثيرون من الصينيين والروس وغيرهم دخلوا فى الإسلام بل إن التتار الذين حاربوا الإسلام بشراسة منقطعة النظير انتهى الأمر بهم إلى الدخول فى الإسلام وعملوا لنصرته ، ومازال الناس من كل الملل والأجناس يدخلون فى الإسلام حتى هذه الساعة رغم ما عليه حال المسلمين أنفسهم من ضعف وتفرق ، ذلك لأنه سبحانه يريد أن يثبت عمليا - وبلا تدخل من البشر - عالمية دينه وأنه ينتصر بقوته الذاتية وأنه ينتشر بمبادئه السامية ، وأن وعد الله بإظهار دينه على الدين كله لن يتخلف حيث يقول الله - سبحانه - :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾

(الفتح : ٢٨)

ومن آمارات ذلك أن كثيرين من الذين جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا تحت راية الإسلام

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الإمام احمد والطبرانى .
(٣) رواه مسلم .

وحموا دولته ونشروا دعوته كانوا من غير العرب .

وهذا الدين وحده هوالصالح لأن يكون عالميا وذلك لما يتضمنه من المبادىء والأحكام التى لا وجود لها فى غيره ، وتتمثل هذه المبادىء فيما يأتى :

١ - الأخوة الإنسانية الشاملة ، بمعنى أن الناس جميعا ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة فهم جميعا إخوة لأن الله تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء : ١)

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - خطبهم وهو على راحلته فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : ياأيها الناس إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى . إن الله - عز وجل - يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

(الحجرات : ١٣)

ثم قال : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم[٤] .

وعلى هذا فإن الإسلام يرفض رفضا باتا تقسيم الناس على أساس طبقى أو عنصرى أو وطنى أو فئوى ، وبالتالى فإن الإسلام لا يسمح بأن تسود طبقة على طبقة أو يتحكم جنس فى جنس أو تعلو فئة على فئة أخرى ، كما يرفض الإسلام تقسيم الناس إلى أولاد حرة وأولاد جارية ، فالناس سواسية كأسنان المشط .

٢ - إقرار العدل بين الناس بلا تفرقة ولا تمييز تنفيذا لقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

(المائدة : ٨)

٣ - ضمان حرية الاعتقاد لكل الناس على اختلاف مللهم وأديانهم والدفاع عن هذه الحرية ، يقول الله - تعالى - :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج : ٤٠)

وعلى هذا الأساس فإنه لا يجوز إكراه أحد على الدخول فى الدين لأن الله خلق الناس أحرارا يختارون مايشاءون من عقيدة ويتحملون نتيجة اختيارهم . يقول الله - تعالى - :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

(البقرة : ٢٥٦)

---

(٤) رواه ابن ابى حاتم وعبد بن حميد .

ويقول ـ عز وجل ـ :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف : ٢٩)

ويقول الله لرسوله ـ ﷺ ـ :

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

(الغاشية : ٢١ ـ ٢٦)

مهمة رسول الله نشر النور فى الأرض

والمتأمل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ يجد أن الله قد وصف الكتاب المنزل على محمد ـ ﷺ ـ بأنه نور . وذلك فى كثير من الآيات .

١ ـ منها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف : ١٥٧)

٢ ـ ومنها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾

(التغابن : ٨)

٣ ـ ومنها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الشورى : ٥٢)

وقد اكتسب محمد النورانية هبة من الله مصدر النور كله واكتسبها من القرآن الذى حمله ليبلغه إلى الناس ، ومن الرسالة التى كلفه الله بأدائها ، ولذلك وصفه الله سبحانه فى كتابه الكريم بأنه سراج منير فقال ـ عز من قائل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾

(الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦)

وبما أن القرآن نور وبما أن حامله ـ ﷺ ـ سراج منير فقد وضحت المهمة وبان الهدف ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

(إبراهيم : ١)

فمهمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما توضحها هذه الآية ـ هى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الآية تدل أيضا على عالمية الإسلام لأن المطلوب من محمد ـ ﷺ ـ أن ينشر النور الذى جاء به فى ربوع الأرض ليشمل الناس كل الناس ، فليس هذا النور خاصا بأهل مكة ولا بالعرب وإنما هونور عام بعث الله به محمدا ـ ﷺ ـ ليستضىء به الناس جميعا وليهتدى به كل خلق الله . يقول الله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٥)

نور ونور :

ومع أن الأنبياء السابقين كانوا أئمة هداية وحملة نور فإن هدايتهم كانت خاصة بأقوامهم والنور الذى كانوا يحملونه كان كذلك خاصا ومحصوراً فى أقوامهم ، ودليل ذلك قول الله - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (إبراهيم : ٥)

أى أن مهمة موسى - عليه السلام - هى إخراج قومه من الظلمات إلى النور . وهكذا كان كل نبى من السابقين ، أما محمد - ﷺ - فإن مهمته هى إخراج الناس جميعا من الظلمات إلى النور .

فغاية الأنبياء جميعا واحدة وهى نشر النور والقضاء على الظلام ، سواء أكان ذلك محدوداً كما هو الحال مع الأنبياء السابقين أم كان عاما يشمل الأرض كلها والخلق جميعا كما هو الحال مع محمد - ﷺ - .

وقد تصرف كل نبى فى حدود ما كلفه الله به حيث قام كل نبى من السابقين بنشر النور فى بقعة مخصوصة فى زمن معين وبين قوم مخصوصين ، أما محمد - ﷺ - فهو مكلف بنشر النور العام فى كل بقاع الأرض وبين كل سكان الأرض فى زمنه وبعد زمنه إلى يوم القيامة ومكلف بمطاردة الظلام ومحاربته والقضاء عليه أينما وجد .

سبب الصراع :

ولأن مهمة الأنبياء تتلخص فى نشر النور والقضاء على الظلام سواء أكان ذلك فى نطاق محدود ، أو على وجه العموم فإن الذين آمنوا بالأنبياء واتبعوهم واهتدوا بهداهم اختاروا أن يعيشوا فى نور الإيمان وأن يهتدوا بهدى الرحمن ، وأما الذين كفروا بالأنبياء وكذبوا برسالتهم فقد آثروا حياة الظلام واشتروا الضلالة بالهدى وسبب كراهيتهم للنور وحبهم للظلام أن فى بقاء الظلام استمراراً للظلم والاستبداد والطغيان ، وفى ذلك تحقيق لمصالحهم الذاتية .

ولهذا دار الصراع بين الذين آمنوا واتبعوا النور وبين الذين كفروا وآثروا الظلام لما بين الفريقين من تناقض فى الغايات والوسائل .

وعلى هذا فإن التنويريين حقا هم المؤمنون ، والظلاميين حقا هم الكافرون يقول الله - تعالى - :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

(النساء : ٧٦)

صراع محلى وصراع عالمى :

وعلى قدر اتساع الدعوة إلى الهدى والنور يكون اتساع دائرة الصراع وبالمنطق والاستقراء والأدلة التاريخية والواقعية نؤكد أنه لم يحارب أى دين سابق على نطاق عالمى ، ولم يحدث أن تجمعت جماعات شتى من كل أنحاء العالم لمحاربة دين سابق ، وإنما حدث ذلك فقط مع الدين الذى بعث به محمد - ﷺ - .

ذلك لأن محدودية رسالة التنوير التى حملها الأنبياء السابقون أثارت جماعة الظلاميين التى تحارب هذا النور المحدود ، فكان الصراع محدوداً والحرب محصورة بين القوم الذين بعث فيهم النبى ، أى بين الذين آمنوا من قومه وبين الذين كفروا من قومه وليس للآخرين نصيب فى هذا الصراع ولا شأن لهم به .

وها هو القرآن الكريم يشهد بذلك حين يحكى لنا قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم .

فهذا نوح ـ عليه السلام ـ ارسله الله إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله وحده والدخول فى دائرة الإيمان والعيش فى نور الهداية فآمن به نفر قليل وكفر به الملأ من قومه ، وكان الصراع بين هؤلاء وأولئك فقط حتى انتهى الأمر بهلاك الكافرين عشاق الظلام الكارهين للنور وطهر الله الأرض منهم ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴾ (الأعراف : ٦٤)

ولم يخرج الصراع عن هذا الإطار ولم يتجاوز حدود قوم نوح ـ عليه السلام ـ وها هو هود ـ عليه السلام ـ أرسله الله إلى قومه عاد فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده فآمن به بعضهم وكذب به عشاق الظلام من قومه وقالوا له ما حكاه القرآن الكريم فى قول الله ـ تعالى ـ

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٧ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (الأعراف : ٦٦ ـ ٦٨)

وانتهى ذلك الصراع كما انتهى مع من سبقوهم من قوم نوح . يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٢)

ولم يخرج الصراع عن هذا الإطار حيث بقى محصورا فى حدود القوم الذين بعث فيهم هود ـ عليه السلام ـ .

وهذا صالح ـ عليه السلام ـ أرسله الله إلى قومه ثمود فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده ، فأحب النور وآمن به المستضعفون من قومه ، وكره النور عشاق الظلام من قومه وكفروا به ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧٧ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٧٥ ـ ٧٨)

وهكذا بدأ الصراع وانتهى فى حدود قومه فقط ولم يتجاوزه إلى غيرهم ، ومثل ذلك حدث مع شعيب ـ عليه السلام ـ وقومه ، ومضت المسيرة

على هذا النحو صراع محدود بين دعاة النور ومحبيه من المؤمنين وبين عشاق الظلام ومريديه من الكافرين فى حدود كل قوم بعث فيهم رسول ، ولم تتحول أى من هذه المعارك إلى صراع عالمى . حتى وصلت مسيرة التاريخ إلى عيسى ـ عليه السلام ـ آخر أنبياء بنى إسرائيل وهو النبى السابق لبعثة محمد مباشرة ، فإذا بنا نرى أيضا أنه ـ عليه السلام ـ يحمل نور الهداية إلى قومه خاصة فدعاهم إلى النور المتمثل فى عبادة الله وحده :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾

(آل عمران : ٥١)

عالمية الحرب ضد الإسلام :

هكذا كان الحال مع جميع الأنبياء السابقين،ظل الصراع بين فريقى النور والظلام محتدما فى حدود القوم الذين بعث فيهم النبى . لكن الأمر اختلف مع محمد ـ ﷺ ـ فقد صار الصراع بين المؤمنين بدعوته وبين المكذبين صراعا عالميا . وذلك لأن مهمته هى العمل على نشر النور فى كل الأرض ليعيش فيه كل الناس ويسعد به كل الخلق وتلك المهمة لا ترضى الظلاميين الكارهين للنور المستفيدين من بقاء الظلام ، وهؤلاء موجودون فى كل بقاع الأرض ولهم أتباع وأنصار وقد زين لهم الشيطان أعمالهم وحرضهم على الشر وجمعهم ليقاتلوا تحت لوائه محاولين محو النور وإزالته من الوجود كى يعم الظلام والظلم والفساد والطغيان ربوع الأرض ، وقد كشف الله سبحانه حقيقة أهدافهم التى يسعون لتحقيقها فقال ـ عز وجل ـ :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾

(التوبة : ٣٢)

ونور الله الذى يحاولون إطفاءه هو دين الإسلام الذى بعث الله به محمداً ـ ﷺ ـ وهو دين عالمى ، ولذا كانت الحرب الموجهة ضده عالمية أيضا يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾

(البقرة : ٢١٧)

ويقول ـ عز وجل ـ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩)

وكما بدأت دعوة الإسلام عالمية منذ الأيام الأولى فإن الحرب ضد هذه الدعوة والمؤمنين بها كانت أيضا عالمية منذ البداية واستمرت كذلك إلى يومنا هذا .

وإلا فما هو السر وراء تحالف اليهود ـ وهم أهل كتاب ـ مع المشركين من أهل مكة ـ وهم عبدة أصنام ـ حتى كونوا فيما بينهم جبهة واحدة لمحاربة الإسلام فى الصدر الأول ؟

وما هو السر وراء إشعال الفتن والحروب فى أفريقيا وبخاصة فى الدول الإسلامية أو على حدودها ؟

وما هو السر وراء فرض الحصار الظالم على كثير من الدول الإسلامية دون سواها تنفيذا لما يسمى بالشرعية الدولية التى تتحدى المسلمين دون غيرهم ؟

ألا إنها الحرب العالمية ضد الإسلام وهى حرب مشتعلة منذ ظهور الإسلام ومستمرة إلى يومنا هذا وستبقى كذلك بسبب تناقض الأهداف وتعارض الغايات ، إن المعركة فى حقيقتها صراع بين النور العالمى وبين الظلام العالمى ، والتاريخ القديم والحديث يشهد أن أتباع النور لا يعتدون على أحد ويكرهون العدوان ولكن أتباع الظلام هم الطغاة المستبدون ، والبادئون دائما بالعدوان . وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾

(النساء : ٧٦)

قبس من أنوار النبوة - بقية -

فى الأمور الدنيوية من زراعة وصناعة وتجارة فيكسبها بالإتقان حسنا ونضارة . ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (المجادلة ـ ٧)

فالصانع إذا أتقن صناعته وأجاد عمله فإنه ينفع نفسه وينفع الناس ، والتاجر الذى يتقن العمل فى تجارته ويراقب الله تعالى فلا يكذب ولا يغش فإنه بذلك يخدم نفسه ويخدم المجتمع .

ومن معانى الإحسان : الجود والسخاء ، قال الشاعر صالح بن عبد القدوس :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

وأكمل الناس أخلاقا هم الذين يحسنون ، ويحسنون حتى إلى من أساء إليهم ، ويأتى الإحسان بمعنى عام شامل لكل بر وخير ، سواء أكان ذلك عائدا على الفاعل نفسه أم على غيره ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ (الإسراء ـ ٢٣) .

وإن تحسنوا إلى أنفسكم وأولادكم وأزواجكم وأقاربكم وأبناء وطنكم وإلى الناس أجمعين ، إن تحسنوا إلى كل أولئك وتتقوا يرضى عنكم خالقكم ويبارك لكم فى أعماركم وأرزاقكم ويمددكم بأموال وبنين ويجعلكم من الأبرار الذين يسعدون فى الدنيا والآخرة .

والإحسان مطلوب فى كل شىء حتى فى حالة ماإذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحة فإنه لا ينبغى له أن يتخلى عن فضيلة الإحسان ، وعليه أن يسوقها إلى الموت سوقا رفيقا ، ويحد السكين ليجهز عليها فى سرعة فيريحها ويخفف آلامها .

جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم وأولئك هم أولو الألباب .

الاجتهاد وأهميته فى العصر الحديث

لسماحة السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشم (*)

الاجتهـاد :

هو كما عرفه القاضى البيضاوى) (استفراغ الجهد فى درك الأحكام الشرعية) . . وهذا معناه أن الاجتهاد هو بذل الجهد والطاقة لإدراك الأحكام على سبيل القطع أو الظن ، سواء أكان أمرا واقعيا أم فرضيا ، ولا يكون الاجتهاد معتبراً ما لم يعتمد على أدلة شرعية وإلا أصبح قولا بالهوى أو رأياً ذاتياً لا يعتد به ، ولا ينسحب عليه مفهوم الاجتهاد بالمعنى الاصطلاحى . وبعبارة مختصرة : الاجتهاد هو بذل أقصى غاية الجهد ؛ لاستنباط الحكم من الدليل الشرعى على سبيل القطع أو الظن .

وقد نقل المزنى فى مختصره عن الإمام الشافعى - رضى الله عنه : (إنه نهى عن تقليده وتقليد غيره) ، ولا يمكن نهى الخلق كلهم عن التقليد ، لأن العوام يجوز لهم التقليد بالإجماع ، وإنما نهى الشافعى عن ذلك حتى لا يجمع أهل العصر كلهم على التقليد ؛ لأن فيه تعطيل فرض من فروض الكفايات ، وهو الاجتهاد ، فحث على الاجتهاد ؛ ليكون فى كل عصر من يقوم بهذا الفرض .

وقال الإمام الماوردى فى الجزء السابع من كتابه (الحاوى الكبير) : فإن قيل : لم نهى الشافعى عن تقليده وتقليد غيره ؟ وتقليده جائز لمن استفتاه من العامة ؟ . . . قيل : التقليد مختلف باختلاف أحوال الناس بما فيهم من آلة اجتهاد المؤدى إليه أو

(*) مستشار الشئون القضائية والدينية لرئيس دولة الإمارات العربية المتحدة .

عدمه ؛ لأن طلب العلم من فروض الكفاية ولو منع جميع الناس من التقليد ، وكلفوا الاجتهاد ، لتعين فرض العلم على الكافة ، وفى هذا اختلال نظام وفساد[1] . . فلو كان يجمعهم التقليد لبطل الاجتهاد وسقط فرض العلم ، وفى هذا تعطيل الشريعة وذهاب العلم ، فلذلك وجب الاجتهاد على من تقع به كفاية ، ليكون الباقون تبعا ومقلدين ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

(التوبة : ١٢٢)

فلم يسقط الاجتهاد عن جميعهم . ولا أمر به كافتهم .

وقد ذكرت مادة (فقه) فى عشرين موضعا من القرآن الكريم تسعة عشر منها تدل على أن المراد به نوع خاص من دقة الفهم والتعمق فى معرفة الغايات البعيدة .

قال الرويانى فى كتابه البحر : إنما نهى الإمام الشافعى عن التقليد ليقتصر طالب العلم فى تعرف وجوه الأحكام ودلائلها ، ثم ينظر فيها لدينه ويحتاط لنفسه .

وقال الإمام البغوى فى كتابه التهذيب : (العلم فرض عين وفرض كفاية) . . وبعد أن تكلم على فرض العين قال : وفرض الكفاية : هو أن يتعلم ما يبلغ رتبة الاجتهاد ، ومحل الفتوى والقضاء ، ويخرج من عداد المقلدين ، فعلى كافة الناس القيام بتعلمه ، غير أنه إذا أقام من كل

السيد على بن السيد عبدالرحمن الهاشم

ناحية واحد أو اثنان سقط الفرض عن الباقين ، فإذا قعد الكل عن تعلمه عصوا جميعا لما فيه من تعطيل أحكام الشرع .

وقال الإمام ابن سراقة فى كتابه إعجاز القرآن : لو كان القرآن جميعه جليا محكما لعدم الثواب على الاستنباط ، وسقط حكم الاجتهاد المؤدى إلى شرف المنزلة ، وعظم المروءة ؛ ولهذا المعنى لم يتضمن الكتاب المبين على حكم جميع الحوادث مفصلا ، بل أبان بعضها ، وذكر أشياء فى الجملة ووكل بيانها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فأبان النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ منها ، ووكل ما يطرأ منها على العلماء بعده ، وجعلهم ورثته ، فى إرشاد أمته إلى حكم التأويل ، ولو كان جميع العلم جليا لا يحتاج إلى

(١) لعله يقصد به فساد الاستدلال .

بحث واجتهاد ، ولا إلى نظر واستنباط لكان فى ذلك إبطال الشريعة .

وقال ابن سراقة - أيضاً - فى أحكام الموطأ : إن طريق أقسام الفقه وحدوده ودلائله وتفريعه طريق استنباط ، وذلك يختلف فى الناس على حسب ما أراده الله من تفضيل بعضهم على بعض بقوة الاستنباط وصحة الاجتهاد .

وقال الإمام الغزالى فى كتابه البسيط : أما سفر الولد للحج بعد الوجوب فإنه لا يتوقف على إذن الوالدين ؛ لأنه واجب متعين ، وأما سفر طلب العلم فإن كان متعينا لما يحتاج إليه فلا يحتاج إلى إذن ، بل أولى من الحج ؛ لأنه على الفور ، وكذلك إذا كان يطلب رتبة المجتهدين حيث شغر البلد عن المجتهدين ، فلا يشترط الإذن كالحج بل أولى ؛ لأنه على الفور ، وإن كان يطلب رتبة الفتوى وفى البلد مفتون ففيه وجهان ، والظاهر أنه يجوز بغير إذن .

وقال جلال السيوطى تعليقا على هذا : انظر كيف جعل رتبة الاجتهاد فرضا وجعله على الفور مقدما على الحج حيث شغر البلد عن المجتهد .

وقال ابن القصار فى كتابه المقدمة . وهو من أئمة المالكية : أفتى أصحابنا بأن العلم على قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية وتكلم على فرض العين ثم قال : أما فرض الكفاية فهو العلم الذى لا يتعلق بحالة الإنسان ، فيجب على الأمة أن تكون منهم طائفة يتفقهون فى الدين ليكونوا قدوة المسلمين ، حفظا للشرع من الضياع ، والذى يتعين لهذا من الناس من جاد حفظه ، وحسن إدراكه ، وطابت سجيته .

أما أئمة الحنفية ، والحنابلة فقد نقل ابن الحاجب فى مختصره ، وابن الساعاتى فى كتابه البديع أنهم قالوا : لا يجوز خلو العصر من مجتهد ؛ لأن الاجتهاد فرض كفاية ، والخلو منه يستلزم اتفاق الأمة على الباطل .

وقال الإمام الجلال السيوطى : نص العلماء على أن الدهر لا يخلو من مجتهد ، وأنه لا يجوز خلو العصر منه .

وذهبت الحنابلة إلى أنه لا يجوز خلو الزمان من مجتهد لقوله - صلى الله عليه وآله وسلم - (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله)[1] . . قالوا : لأن الاجتهاد فرض كفاية فيستلزم انتفاؤه اتفاق المسلمين على الباطل ، وذلك محال لعصمة الأمة من اجتماع على الباطل .

وقال الإمام الزركشى فى البحر : لم ينفرد بذلك الحنابلة بل جزم به - أيضاً - جماعة من الشافعية منهم الأستاذ أبو إسحق فقد قال : وتحت قول الفقهاء لا يخلى الله زمانا من قائم الله بالحجة ، سر عظيم . وكأن الله - تعالى - ألهمهم ذلك . ومعناه : أن الله - تعالى - لو أخلى زمانا من قائم بالحجة لزال التكليف ، إذ التكليف لا يثبت إلا بالحجة الظاهرة ، وإذا زال التكليف بطلت أحكام الشريعة . ومنهم الزبيدى فقد قال فى المسكت : (لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة فى كل وقت وعهد وزمان) : لأنه لو فقد المجتهدون لم تقم الفرائض كلها ، ولو بطلت الفرائض لحلت النقمة بذلك فى الخلق ، كما جاء فى الخبر (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما .

وقد نقل هذه العبارة الزركشى فى المحيط وقال : إن وجه ذلك أن الخلو من مجتهد يلزم منه اجتماع الأمة على الخطأ ، وهو ترك الاجتهاد الذى هو فرض كفاية .

وعلق الجلال السيوطى على عبارة الأستاذ أبى إسحق السابقة فقال : قول الأستاذ أبى إسحق : كأن الله ألهمهم ذلك ، يشعر بأنه لم يقف له على مستند من الحديث مع أن له مستندا : أخرج أبو نعيم فى الحلية عن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال : (إن الله أجل على خلقه من أن يخلى الأرض من قائم له بحجة ، إما ظاهرا مشهورا وإما باطنا مستورا ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، أولئك هم الأقلون عددا ، الأعظمون عند الله قدرا) . وهذا موقوف ، له حكم الرفع ؛ لأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى .

وقال إمام الحرمين فى البرهان : إذا خلا الزمان من مجتهد صار كزمان الفترة ، أى فتتعطل أحكام الشريعة ويبطل التكليف .

ونقل ابن عرفة عن ابن عبدالسلام وهما من أئمة المالكية : لا يخلو الزمان من مجتهد إلى زمن انقطاع العلم ، كما أخبر به - صلى الله عليه وآله وسلم - وإلا كانت الأمة مجمعة على الخطأ .

وقال الجلال السيوطى : أقام الله فى الأعصار ، قائما لله بالحجة من العلماء الأحبار ، وضمن حفظ شريعة نبيه المختار ، بطائفة من أمته موعودين بالنصر والإظهار ، وخص شريعة رسول محمد بالاستمرار ، كما خص أمته ببقاء المجتهدين فيها على مرور الأعصار ، ولقد غلب على الناس الجهل ، فاستعظموا دعوى الاجتهاد ، وعدوه منكرا بين العباد ، ولم يشعر هؤلاء الجهلة أن الاجتهاد فرض من فروض الكفايات فى كل عصر ، وواجب على أهل كل زمان أن تقوم به طائفة فى كل قطر .

وقد نقل ابن عرفة عن الفخر الرازى أنه قال فى المحصول : لو بقى من المجتهدين واحد - والعياذ بالله تعالى - كان قوله حجة .

قال الجلال السيوطى : فاستعاذتهم تدل على بقاء المجتهدين فى عصرهم . والفخر الرازى توفى سنة ٦٠٦ هـ .

وقال التبريزى فى تنقيح المحصول : لا يعتبر فى المجمعين عدد التواتر ، فلو انتهوا - والعياذ بالله تعالى - إلى ثلاثة ، كان إجماعهم حجة ، ولو لم يبق إلا واحد كان قوله حجة ؛ لأنه كل الأمة ، وإن كان ينبو عنه لفظ الإجماع .

وقال الزركشى فى البحر :

قال الأستاذ أبو إسحق : يجوز أن لا يبقى فى الدهر إلا مجتهد واحد ، ولو اتفق ذلك فقوله حجة كالإجماع ، ويجوز أن يقال للواحد أمة كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

(النحل : ١٢٠)

ونقله الهندى عن الأكثرين ، وبه جزم ابن شريح فى كتاب الودائع فقال : (وحقيقة الإجماع هو القول بالحق ، فإذا حصل القول بالحق من واحد فهو إجماع) .

وأثبت إمام الحرمين فى النهاية فقال : (يقوم الشرع بالمجتهدين ، ويجب أن يكون فى كل قطر من يراجع أحكام الله تعالى) .... وقد قال

الفقهاء : يجب أن يعتبر فى هذا مسافة القصر ، فإذا سكن مجتهد بقعة استقل به من هو على مسافة القصر منه فى الجوانب .

وقال الزركشى فى القواعد والبحر : لابد أن يكون وجود المجتهد من فروض الكفاية ، ولابد أن يكون فى كل قطر من تقوم به الكفاية ، ولهذا قالوا : إن الاجتهاد من فروض الكفاية .

وقال العلامة محمد بن الحسن الحجوى : أصول الفقه كملت فى العهد النبوى ، والفروع لا تنتهى أبدا ؛ لذلك شرع الاجتهاد .

وقال ابن برهان : قد جعل الله المذاهب دولا ، والآراء نوبا ، ولذلك المعنى يحدث فى كل زمان مذهب تصغى إليه الأفئدة ، وتميل نحوه الأنفس .

والاجتهاد هو بذل الجهد فى الوصول إلى الحقيقة أمر سنه الإسلام ، لأن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثا عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع . وبذلك قضى الإسلام على القواعد التى كان يسير عليها التدين فى كثير من الأمم من قبله ، وهى قواعد التقليد والاتباع وإهمال النظر والتفكير الحر ، وأهاب بالناس أن يجعلوا عمادهم فى عقائدهم ، ونشر دينهم ، الدليل العقلى والمنطق السليم ، ودعا إلى النظر والتفكير ، وحث على رفض ما لا يؤيده علم ، ولا يعززه دليل - ومن ثم ذهب بعض علماء التوحيد إلى أن إيمان المقلد غير صحيح ، وقد نعى المولى - جل جلاله - على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم ، وإغفالهم جانب النظر والتفكير ، قال تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

(المائدة : ١٠٤)

ويقول الإمام الشيخ محمد عبده : (إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . وإن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به . فمن رُبِّى على التسليم بغير عقل وعلى العمل - ولو صالحا - بغير فقه ، فهو غير مؤمن[1] . . فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير ؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ، ويترك الشر ؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته) . .

ومن هذا فقد اتفق جمهور علماء الإسلام على الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه ، وهو المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط . فيباح لكل مسلم توافرت فيه هذه الشروط أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها ، ويعمل بما يراه ، ويجهر بما انتهى إليه رأيه . والإسلام يكفل له حرية الرأى ، ويحمى حريته ، ويحترم رأيه حتى لو كان خاطئا فى نظر

(١) يعنى به غير كامل الإيمان .

غيره ، أو كان مجانبا للصواب . فمن المقرر فى الشريعة الإسلامية أن المجتهد مشكور ومأجور فى حالتى صوابه وخطئه : فإن الخطأ فله أجر ، وأن أصاب فله أجران .

ويرى كثير من العلماء أنه يجب على من توافرت فيه شروط الاجتهاد أن يجتهد ولا يجوز له التقليد ، فالإسلام فى نظر هؤلاء لا يقتصر فى هذا الصدد على إباحة حرية الرأى ، بل يوجب العمل بها إيجابا على كل قادر ، ولا يجيز له أن يتخلى عن حقه فيها .

وإلى ذلك ذهب كثير من أئمة المذاهب الأربعة وفقهائها ، وغيرهم : فذهب إليه كثير من فقهاء الحنفية على رأسهم العلامة أبو زيد الدبوسى (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) وقد أبان عن وجهة نظره هذه فى كتابه (تقويم الأدلة) إذ يقول : (أصل التقليد باطل لأن الله - تعالى - رد على الكفرة احتجاجهم باتباع الآباء . . من غير نظر واستدلال . . والمقلد فى حاصل أمره ملحق نفسه بالبهائم فى اتباع الأولاد الأمهات على منهجها بدون تمييز . فإن ألحق نفسه بها لفقد آلة التمييز فمعذور . . وإن ألحق نفسه بها ومعه آلة التمييز فالسيف أولى به ، حتى يقبل على الآلة فيستخدمها ، ويجيب خطاب الله المفترض طاعته ، وقد تم الله تعالى الكفرة على قولهم :

﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ (الأحزاب : ٦٧)

ويقول فى موضع آخر من هذا الكتاب : (وكان الناس فى الصدر الأول أعنى : الصحابة والتابعين والصالحين - رضوان الله عليهم - يبنون أمرهم على الحجة ، فكانوا يأخذون بالكتاب ، ثم بالسنة ، ثم بأقوال من بعد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ما يصح بالحجة . فكان الرجل يأخذ بقول عمر - رضى الله عنه - فى مسألة ثم يخالفه بقول على - رضى الله عنه - فى مسألة أخرى . وقد ظهر من أصحاب أبى حنيفة - رحمهم الله - أنهم وافقوه مرة وخالفوه أخرى على حسب ما تتضح لهم الحجة . ولم يكن المذهب فى الشريعة عمريا ولا علويا ، بل النسبة كانت إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم) .

وذهب إلى ذلك كثير من فقهاء المالكية ومنهم الإمام القرافى نفسه ، فقد نقل عنه صاحب ، إرشاد الفحول ، أنه قال : (إن مذهب مالك وجمهور العلماء : وجوب الاجتهاد وإبطال التقليد) ، ويعنى بذلك من يقدر على الاجتهاد وتتوافر له وسائله .

وذهب إلى ذلك - أيضاً - كثير من فقهاء الشافعية وعلى رأسهم الإمام الغزالى فى كتابه (المستصفى) فبعد أن أورد فى كتابه هذا بعض الآراء فى موضوع التقليد ، أبان عما يرتضيه هو فقال : (إن القادر على تحصيل العلم والظن ، ينبغى أن يطلب الحق بنفسه . . فكيف يبنى الأمر على عماية كالعميان وهو بصير؟!) . . ثم استدل على ما ذهب إليه من وجوب الاجتهاد على القادر بآيات من كتاب الله كقوله - عز شأنه - :

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (الحشر : ٢)

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾

(النساء : ٨٢)

وقوله ـ عز وجل ـ :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

(النساء : ٥٩)

وقوله ـ جل شأنه ـ :

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(الشورى : ١٠) .

وذهب إلى ذلك معظم أئمة الحنابلة وعلى رأسهم العلامة ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) . . وذهب إلى ذلك كثير من الظاهرية وعلى رأسهم العلامة ابن حزم ، بل لقد ذهب ابن حزم إلى أن الإجماع قد انعقد على هذا المذهب .

وذهب إلى ذلك الشيعة الإمامية ، فهم يوجبون الاجتهاد على كل قادر عليه . ولا يزال لديهم إلى الوقت الحاضر أئمة مجتهدون فى النجف الأشرف وطهران وغيرهما .

وعلى هذا المبدأ سار الصحابة والتابعون ـ رضوان الله عليهم ـ . فكان كل منهم يعتمد على اجتهاده الخاص متى كان قادرا على ذلك ، ويبيح لغيره الاجتهاد ، ويحترم رأى غيره متى كان قائما على دليل من الكتاب أو السنة ، بل يرجع عن رأيه ويأخذ برأى غيره إذا تبين له رجحان هذا عن ذلك . ومواقفهم هذه ـ رضوان الله عليهم ـ كثيرة مشهورة قد زخرت بها كتب التاريخ الإسلامى ، مسجلة لهم أسمى مبدأ فى حرية الرأى والحث على الاجتهاد .

وبهذا فقد ثبت إجماع الأمة على مشروعيته ، وممارسته بالفعل ، وكان من ثمراته هذه الثروة الفقهية العريضة .

فلابد من الاجتهاد ، لبيان الحكم الشرعى بوجه من وجوه الاستدلال ، إذ أن الشريعة حاكمة على جميع أفعال العباد ، وذلك لا يكون إلا بطريق الاجتهاد ، وقد جعل الله الإسلام خاتم الأديان ، وجعل شريعته صالحة لكل زمان وكل مكان . (ونصوص الشريعة من الكتاب والسنة محدودة ، وحوادث الناس ووسائلهم إلى مقاصدهم متجددة وغير محدودة ، ولا يمكن أن تفى النصوص المحدودة بأحكام الحوادث المتجددة والجزئيات التى لا حصر لها ، إلا إذا كان هناك مجال لتعرف أحكام الحوادث الطارئة بالاجتهاد فى قياسها على نظائرها ، أو توجيهها إلى تحقيق المصالح التى ترمى إليها الشريعة) . « يتبع »

مدرسة النقل فى التفسير

للأستاذ الدكتور :
محمد إبراهيم الفيومى

لم يأت القرآن ليسقط الناس على تفسيره كل ما بدا لهم من خرافات وأساطير محفوفة بالأسرار وتصورات الخيال ، ذلك ما فزع منه الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ؛ فيروى أن رجلا يقال له : ابن صبيغ[1] قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه الخليفة - المعروف بأنه صاحب الدرة[2] وضربه بوجهين من النخل حتى ترك ظهر دبره ، ثم تركه حتى برىء .

ثم عاد ، وبعد أن كرر ذلك للمرة الثالثة دعا به ليعود ، فقال ابن صبيغ ضارعا : إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا ، أو ردنى إلى أرضى بالبصرة فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبى موسى الأشعرى ألا يجالسه أحد من المسلمين[3] .

ورفض عبيدة بن قيس الكوفى المتوفى ٧٢ هـ من أصحاب عبد الله بن مسعود أن يذكر شيئا عن أسباب النزول إذ يقول : « عليك باتقاء الله ، والسداد ، فقد ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن »[4] .

رسمت تلك الإنذارات ، علامات التحذير والخوف من الانزلاق فى التفسير . وكأن الوعى الجاد لن يتراجع دون مزاولة فى مهادنة ونفور .

روى أن الإمام اللغوى الكبير : الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ ابتعد عن تفسير القرآن بسبب التقوى والورع .

(١) الإتقان - النوع الثالث والاربعون والخبر مسند الدارمى .
(٢) استعملها مع كعب الاحبار من اجل نقل التوراة . الإحياء للغزالى جـ ٤ ص ٣٨٢ واستعملها فى تاديب من يضربون الحيوان ابن سعد جـ ٧ ص ٩٢ .
(٣) لوائح الانوار البهية (شرح عقيدة السفاريتى الحنبلى) .
(٤) ابن سعد جـ ٦ ص ٦٤ .

وكان الإمام ابن حنبل يرى أن ثلاثة لا أصل لها : « التفسير ، والملاحم ، والمغازى[1] . »

وظل هذا الحذر حتى عهد متقدم من القرن الثانى للهجرة على أن الاشتغال بالتفسير كان منظورا إليه بعين الارتياب .

ما معنى التحذير من الاشتغال بالتفسير :

إن التفسير المراد اجتنابه والباعث على اجتنابه ؛ هو التفسير الذى يقترن بالأساطير والتصورات الخيالية والملىء بالأسرار والرمزيات والمرفوض من التوراة ، ذلك حين بدأ هذا النزوع إلى القصص والأساطير فى دائرة خاصة . فقد وجدت طائفة من علماء الكتاب الذين كانوا على صلة بالكتب القديمة من اليهود والنصارى ، وأتموا ما تلقوه عنهم من القصص التى كثيرا ما رددوها عن سوء فهم لها ، بنتاج خيالهم الخاص وأرسلوا كل ذلك على أنه تفسير للقرآن . رجال من طابع مقاتل بن سليمان المتوفى ١٥٠ هـ الذى قال عنه ابن خلكان[2] أنه استمد علمه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعله موافقا لما فى كتبهم .

روى عن مقاتل هذا أنه وجد فى الآية ٥٨ من سورة الإسراء :

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ﴾

« إشارة إلى فتح القسطنطينية ذات يوم وإلى تدمير الأندلس »[3] .

ولقد أسرفت طبقة مقاتل بن سليمان التى لم تتقيد بنظام معين ووسعوا أيضا نطاق المغازى حتى صارت تشمل مستقبل الآمال الإسلامية فى الفتوح وأقحموا تأويل تحققها فى القرآن على أثر من قبيل التنبؤ بالغيب وازداد الناس إسرافا شديدا فى تصوير أحوال اليوم الآخر وما استمدوه عن ذلك من مصادر الأخبار الأجنبية ، أو ما أضافوه من ابتداع خيالهم وأصدروا ذلك على أنه تفسير موثوق به للقرآن . وإلى هذا الاتجاه المغرق فى النقل بما لا يتحمله المعنى التفسيرى للآية أشار الرسول - ﷺ - :

أنه يخشى على مستقبل أمته من ثلاث ؛ منها : ظهور رجال يفسرون القرآن بما لا يقتضيه التفسير الصحيح : « رجال يتأولون القرآن على غير تأويل »[4] .

أدى عدم الترابط بين التفسير المعتمد على الأساطير والإغراق فى النقل من المصادر الإخبارية الأجنبية ، وبين معانى التفسير المستندة إلى أصولها الصحيحة من روايات صحيحة ونصوص الشعر القديمة . . الخ ، إلى معارضة بعض الصحابة .

روى عبد الله بن مسعود أنه أعلن معارضة ، إذ هو يحارب المفسرين الصادرين عن الرأى ، والذين لا يريدون أن يتواضعوا فيجيبوا على أشياء لا يدرى أحد عنها شيئا بأن يقولوا : الله أعلم[5] .

والرأى هنا الذى يقصده ابن مسعود أى التفسير الذى يصدر عن الرأى الذاتى والميل إلى الهوى . ويماثل هؤلاء الذين يجنحون إلى الأساطير لينتقوا منها ما يؤيد أهواءهم وميولهم وتزين لهم ثقافتهم ما يحملوا تفسيرهم للقرآن

(١) ياقوت جـ ٣ ص ٢٢ .
(٢) « التهذيب » ص ٥٧٤ النووى .
(٣) البدء والتاريخ جـ ٤ ص ١٠٢ المقدسى .
(٤) « مراسيل ابى داود » ص ٥٥ .
(٥) « الطبرى » جـ ١٧ ص ٧٣ .

عليه ، ولكى لا يلحق مدرسة النقل أذى من تلك المعارضة الشديدة من أهل الورع رأت أن تحدد نفسها باسم « التفسير المأثور » : بعدما ظهر علماء الحديث ومنهجهم النقدى لتحقيق الحديث وتمحيصهم للروايات المتعددة متنا وسندا ورجالا ؛ تجريحا وتعديلا وتدليسا .. أصبح قالب الحديث منهجيا يعتد به فى نطاق العلوم الدينية ، وفى إقامة وزن أيضا للتفسير على وجه الخصوص . فالتفسير النقلى المشهود بصوابه ، أى المؤسس على قواعد علم الحديث هو الذى يمكن إثبات أن النبى نفسه أو صحابته الذين ينتمون إلى دائرة تعليمه قد صرحوا به فى بيان معنى القرآن ودلالته هو « التفسير بالمأثور » . فالتفسير بالمأثور غير التفسير بالنقل وأضيق دائرة منه ، وهو ما أثر عن الرسول - ﷺ - وما نقل عن الصحابة من وجوه التفسير وجاء على قواعد المحدثين . لأن الرسول لم يفسر تلك الآيات من عنده ، بل تلقى تفسيرها ، وكان ابن عباس هو الإمام فى التفسير وصفه تلميذه مجاهد : كان إذا فسر آية من القرآن رأيت على وجهه النور[1] .

وصفه ابن قيس الرقيات : حبر الله الذى يستضاء بعلمه إذا عىّ العلماء بالبيان الصحيح[2] .

والثقة بابن عباس مرجعها :

● اتصاله الوثيق بالرسول - ﷺ - وكان فى سن تسمح له بالتخزين ١٠ - ١٣ .

● كان يراجع من هم أهل الثقة من العلماء مثل أبو الجلد - غيلان بن غروة الأزدى الذى كان يثنى عليه بأنه قرأ « الكتب »[3] .

● وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام .

● اعتماده على الشعر القديم للتعبيرات شديدة الندرة إذا تعاجم شىء من القرآن فكان يقول :

انظروا فى الشعر فإن الشعر عربى ، وهذا ما دفع الزعيم الخارجى نافع بن الأزرق إلى أن يسأل ابن عباس عن عدد كبير من مفردات القرآن ، طالبا إليه أن يستشهد على معانيها من الشعر القديم .

● معارفه الكثيرة الدينية والفقهية وكان حجة فيها ، روى أنه عقب الجلسة يقوم المستمعون من عنده وقد غمرتهم نشوة الفرح والسرور فيقبلون رأس الإمام الحكيم[4] .

ومن تفسيره لبعض مشكلات القرآن قوله فى تفسير الآيات ٢٢ - ٢٩ موسى فى مدين ، عند البئر ، فى بيت شعيب ، زواجه فلما سئل عن المراد من ذلك الأجل ؟ هل قضى موسى ثمانى سنين ؟ أو قضى الأجل الأوفى ؟

أجاب : قضى أكثرهما وأطيبهما ، إن النبى إذا وعد لم يخلف . نلاحظ أنه صرف التفسير على نحو يحفظ للأنبياء آدابهم وعلى ما يناسب الأخلاق الكريمة التى تليق بهم .

على هذا النحو كانت الرغبة فى تقديم ابن عباس إذا أريد ذكر تفسير جدير أن يوثق به لكلمة أو جملة من القرآن مشكوك فى معناها أوكثيرة الاحتمالات .

ومما ذكر يتضح مدى صحبة ابن عباس فى التفسير المأثور .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، اعلام الموقعين ص ٢٢ ، .

(٢) ديوانه : وابو الفضل وابنه الحبر عبد الله .. إن عىّ بالرى الفقهاء .

(٣) الصحيف والتحريف .

(٤) الطبرى جـ١٨ ص ٧٤ .

قضـــايا قـــرآنيـــة

قضية الرسم العثمانى

ما يراه البعض تناقضا ورد العلماء عليه

٤

للأستاذ : صديق بكر على عيطة

تحت عنوان « التناقض الموجود فى رسم المصحف » قال الأستاذ صاحب كتاب « الفرقان » : « كيف يقرأ المتلقى للقرآن قوله تعالى : ﴿ لأذبحنه ﴾ وقد وردت بأداتى توكيد : لام القسم ، ونون التوكيد الثقيلة » .

« كيف يقرؤها القارىء ، وهى مرسومة أمامه هكذا ﴿ لأ اذبحنه ﴾ ؟ بصورة نفى الذبح لا تأكيده » .

« هذا مع أن قوله تعالى : ﴿ لأعذبنه ﴾ فى نفس السورة ، وفى نفس الصفحة ، بل وفى السطر عينه ؛ مرسومة حسب النطق تماما ؛ بأداتى توكيدها » .

« فما السبب فى اختلاف هذين الرسمين ، وتناقض هاتين الكلمتين ؟ وما حجة القراء ، والمتمسكين بالرسم القديم فى هذا ؟ » .

ومما ذكره أيضا ما جاء فى سورة فاطر : ﴿ يدعوا حزبه ﴾ بإثبات ألف أمام الواو ، مع أنها ليست بواو جماعة ، ولا داعى لزيادتها ، مهما انتحلنا ها من أعذار ، و تمحلنا لها من علل » .

« هذا فى حين أنها قد وردت كثيرا بصيغة الجمع بدون ألف ، كقوله تعالى : ﴿ وباءوا بغضب من الله ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿ وجاءوا بسحر عظيم ﴾ .

« فقد رسمتا فى المصحف - رغم أنف علماء الرسم ، والتهجئة ، وذوى العقول - بدون ألف ، هكذا : ﴿ جاءو) و ﴿ باءو ﴾ .

وغير ذلك الكثير ، مما أورده المؤلف ، لكنه لا يخرج عن هذا الإطار . . ولا داعى هنا للإطالة بسرده، فقليله يغنى عن كثيره .

غير أنه فى صفحة ٨٢ ، وبعد ذكر أحد الأمثلة ، يقول : « وهنا فقط نكون فى حل من أن

نقول لهم [أى القراء] : رحماكم معشر القراء فى كلام مولاكم . رحماكم ، ونعيد على مسامعكم قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء : ٨٢) .

ثم يقول : « وأنا أول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله ، وأنه تعالى برىء مما تنسبونه له من التناقض والاختلاف » ، ا . هـ كلام الأستاذ ، وفى مناقشتنا له نرد عليه قائلين :

أولا : إن ما تدعيه من أن الاختلاف فى الرسم العثمانى ، عن الرسم الإملائى الحديث ، لا داعى له ولا سند ، وإن دل فإنما يدل على عدم صبر فى البحث والتنقيب فى أمهات كتب التراث ، فقد كتب الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى ، فى كتابه القيم « البرهان فى علوم القرآن » ، فصلا كاملا تحت عنوان « النوع الخامس والعشرون ، علم مرسوم الخط » ، وقد استغرق هذا الفصل من صفحة ٣٧٦ إلى صفحة ٤٣١ بالجزء الأول .

فمما جاء فى هذا النوع ، قول الزركشى : « القسم الأول : زيادة الألف .. وهى إما أن تزاد من أول الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها » .

« فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله فى الوجود مثل : ﴿ لاأذبحنه ﴾ ، و﴿ ولا أوضعواخلالكم ﴾ زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد فى الوجود من المقدم عليه لفظا ؛ فالذبح أشد من العذاب ، والإيضاع أشد إفسادا من زيادة الخبال ، واختلفت المصاحف فى حرفين : ﴿ لا إلى الجحيم ﴾ ، و﴿ لا إلى الله تحشرون ﴾ ، فمن رأى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الحميم ، وأن حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم فى الدنيا ، أثبت الألف ، ومن لم ير ذلك لأنه غيب عنا ، فلم يستو القسمان فى العلم بهما لم يثبته وهو أولى » .

« وكذلك : ﴿ لاتأيئسوا من روح الله إنه لا يأيئس ﴾ ، ﴿ أفلم يأيئس ﴾ لأن الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس ، والإياس لا يكون فى الوجود إلا بعد الصبر والانتظار » .

« والثانى : يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل فى الوجود لزيادتها بعد الواو فى الأفعال ، نحو « يرجوا » ، و« يدعوا » وذلك لأن الفعل أثقل من الاسم ، لأنه يستلزم فاعلا ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيره ، فالفعل أزيد من الاسم فى الوجود ، والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمة أثقل الحركات ، والمتحرك أثقل من الساكن ، فزيدت الألف تنبيها على ثقل الجملة .. » .

« والثالث : تكون لمعنى فى نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وجاىء يومئذ بجهنم ﴾ زيدت الألف دليلا على أن هذا المجىء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجىء ، وقد عبر عنه بالماضى ، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله ، فيستوى فى علمنا ملكها وملكوتها فى ذلك المجىء ، ويدل عليه قوله - تعالى - فى موضع آخر : ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ ، وقوله : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا ﴾ ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وجىء بالنبيين والشهداء ﴾ ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف فى الدنيا وفى تأوله بمعنى البروز فى المحشر لتعظيم جناب الحق أثبت الألف فيه أيضا » .

ويستمر الإمام الزركشي في تفسير ما أطلق عليه المؤلف « تناقضا » في رسم المصحف سواء بالحذف أو بالزيادة ، أو بإبدال حرف بحرف ؛ مما يبرز تماما جهل أولئك الذين يصمون الرسم العثماني بالخطأ ، ويدعون إلى تغييره وكتابة المصحف بالرسم الإملائي الحديث .

وللسيوطي في « الإتقان » فصل جيد في « مرسوم الخط وآداب كتابته » نحيل القارىء عليه إن هو أراد المزيد .

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - في كتابه « إعجاز القرآن » ص ٥٦ : « إن الصحابة - رضي الله عنهم - اجتهدوا في الرسم على حسب ما عرفوا من لغات القراءة ، فكتبوا : ﴿ الصراط ﴾ مثلا في قوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بالصاد المبدلة من السين ، وعدلوا عن السين التي هي الأصل ، لتكون قراءة السين (السراط) إن خالفت الرسم من وجه ، فقد أتت على الأصل اللغوي المعروف فيعتدلان ، وتكون قراءة الإشمام محتملة لذلك » ، ثم يعلق - رحمه الله ورضي عنه - على ذلك في ذيل الصفحة ذاتها من الكتاب قائلا : « في رسم المصحف كلام طويل ، فقد أحصى علماء القراءة كل مافيه من نحو ما مثلنا به ، واعتلوا له بوجوه حسنة ، في القراءات ، وإنما حملهم على النظر في ذلك والاستقصاء له أن الرسم من وضع زيد بن ثابت ، وهو كان أمين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكأنما كتب بتوفيق كالتوقيف » .

ثانيا : ماذا يعني اختيار المؤلف لقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

(النساء : ٨٢) .

والاستشهاد به في هذا الموضع بالذات ؟ لقد ذكر المؤلف عدة أمثلة ، زعم أن فيها اختلافا وتناقضا . . إذن في رأى الأستاذ هناك تناقض ، واختلاف ، فماذا يعني تعقيبه بهذه الآية ؟ ألا يعد ذلك تلميحا بأن هذا القرآن ليس من عند الله ؟ وحاشا لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله !!

والمؤلف نفسه يستشعر - كعادته عقب كل قول - خطورة موقفه ، ولذا نراه هنا يقول عقب ذلك : « وأنا أول المؤمنين بأن هذا القرآن من عند الله » ، وحتى لا يتهمه أحد بالكفر أو بالزندقة على الأقل ، غير أننا ندعوه لأن يطمئن بالا ؛ لأنا لن نتهمه بشيء من ذلك ، حيث إن موقفنا هنا هو موقف القاضي ، الذي يفضل أن يحكم بالبراءة لعشرة من المذنبين ، خيرا من أن يحكم بمعاقبة بريء واحد على ذنب لم يرتكبه ؛ فالموقف هنا يستلزم الحيطة التامة التي لا ينبغي أن ترسل فيها الأحكام إرسالا ، ودون تثبت . . ولن يقدم حكمنا عليه شيئا أو يؤخره ، وأمره متروك لحكم الله تعالى فيه يحكم بما يشاء سبحانه !!

ثالثا : إن قضية الرسم الإملائي هذه ، لا تستحق هذه الضجة الكبرى ، والحملة الشنعاء على الرسم العثماني ، إذ لا مشكلة إطلاقا ناتجة عن هذا الاختلاف ، ويتضح ذلك في عدة أمور .

١ - إننا نحن - العرب - لا نأخذ خطنا ، ورسمنا الإملائي عن المصحف ، لأننا نعرف جيدا منذ أن كنا أطفالا ، أنه مختلف لا يقاس عليه ؛ غير أن قدسية الخط مستمدة من قدسية محتواه ، ومكانة كتابه الأوائل ، الذين يقتعدون من نفوسنا مكانة الإجلال والإكبار ، هذا قبل أن نعرف تلك اللطائف التي تشير إليها هذه الاختلافات في الرسم ، فإذا ما أضفنا هذه إلى

تلك أدركنا أن هؤلاء الصحابة الأبرار إنما كانوا يكتبون آيات الله البينات ، وقد أحاطهم الله تبارك وتعالى بتوفيق هو كالتوقيف .

٢ - إن ما يقول عنه المؤلف إنه خطأ ، لنا عليه ردود :

(أ) خطأ بمنطق عصرنا ؟ هب أننا أصلحناه ، كما يدعو الأستاذ إلى ذلك ، ثم تغير الرسم بعد مائة سنة أو أكثر ، أليس من حق من يجيئون بعدنا يومئذ أن يغيروا ، ولم يكن من حق أحد آن ينكر عليهم ذلك ؟ وهكذا . . من يضمن إذن عدم تحريف المصحف ؟

(ب) طوال ما مر من الزمن ، والقرآن يتلى ، ويتم حفظه ، وفى جميع الأعمار ، من الطفولة ، حتى الصبا ، ثم الشباب والشيب ، لم نجد ولم نسمع أن الرسم وقف حجر عثرة فى طريق التلاوة الصحيحة ، وهذه معجزة ينفرد بها القرآن الكريم .

(جـ) الاختلاف البادى فى رسم بعض الكلمات ، ليس هو الاختلاف القاتل ؛ وإنما هو معروف ومستوعب ، وفى عصرنا ما يماثله ، من قطر عربى إلى آخر ، ودون سبب معروف . . حتى فى طبع الكتاب الواحد أحيانا ، فمثلا : كثيرا ما نرى الكلمة تأتى وقد رسمت على صورتين مختلفتين : مثل (لجأوا) وجدناها (لجئوا) ، و (شئون) جاءت (شؤون) ، و (رؤوس) ، وردت (رءوس) . . وهكذا ، هذا كله فى عصرنا نحن الذى يراه المؤلف خير العصور .

٣ - يدعو المؤلف لكتابة المصحف بالرسم الإملائى الحديث . ألم يكن يذكر - رحمه الله - أنه قد قامت فى البدايات المبكرة لعصر النهضة ، وقد كان على مرمى حجر من عصر المؤلف - دعوة لإحلال الأحرف اللاتينية محل الأحرف العربية ؟ ولما لم تفلح هذه جاء من ينادى بإحلال اللهجات المحلية مكان اللهجة العربية الفصحى ، وكان أصحاب هذه الدعوات يحتلون مراكز حساسة فى ساحة النهضة الاجتماعية والأدبية والسياسية ، ولقد تأكد لطف الله تعالى بهذه الأمة ؛ فلم تقم لأى من هذه الدعوات قائمة . . أقول للمؤلف ، ومن هم على شاكلته ، ومن قد يغترون بحجته ، ومنطقه : لو قدر ، وكانت إحدى هذه الدعوات قد نجحت ، ولو نجاحا جزئيا ، سواء فى تتريك اللغة ، أو جعلها محلية ، أو جعلها بحروف لاتينية ، وكان من الممكن أن تجد أكثر من دعوة طريقها إلى حيز التنفيذ ؟ فماذا يكون الموقف عندئذ ؟ وما اللغة التى يختارها المؤلف ؟ وما الحروف التى تكتب بها ؟ التركية ؟ أم العربية ؟ أم اللاتينية ؟ ومن حق الفارسية أيضا أن ترفع راية الاحتجاج ، وكذلك الأردية . وهلم جرا !!

أرى أن نطبق القاعدة الشرعية هنا وبكل قوة وحزم : درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ، هذا إن كانت هناك مصلحة ترجى !!

يسر الإسلام وسماحته

للأستاذ الدكتور :
أحمد عبد الرحيم السايح

الإسلام هو الدين الوحيد الذى احتوى بين دفتيه منهجا متكاملا ، لديه القدرة الكاملة ، والشاملة على إتيان النفوس ، من أبوابها الطبيعية ، والتغلغل فيها من طريق مؤثراتها الفطرية ، التى لا تجد النفس السوية معها مناصا إذا مستها إشراقات الحق والخير ، من التسليم إليها ، والاستجابة لها .

لقد كان الإسلام ـ ولايزال ـ دين الفطرة النقية ، والتشريع السمح الذى يتسم بالسهولة واليسر ، والبعد عن التشدد والتعقيد ، فى كل مناحيه ، ومقاصده ومراميه .

راعى الله فى الإسلام ما تقتضيه النفوس ، وما جبل عليه الخلق ، فجعل تكاليفه غير زائدة على قدرتهم ، بل إنه من أجل ما يحمله من عناصر البقاء والعموم ، لجميع البشرية ترك الآصار والأغلال ، التى ضربها على بنى إسرائيل ، جزاء ظلمهم وعدوانهم ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى ذلك . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(الأعراف : ١٥٧)

وذلك اليسر والسهولة فى أحكامه واضح ، لكل من تتبع الشريعة فى أصولها وفروعها ، وقد زخر كتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ بالنصوص

التى تدل على ذلك وتؤيده قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

(الحج الآية : ٧٨)

وقال تعالى :

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(المائدة الآية : ٦)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾

(البقرة الآية : ١٨٥)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾

(النساء الآية : ٢٨)

فهذه الآيات ـ وغيرها كثير ـ تنطق بنفى الحرج فى مسائل الدين كلها ، وتدل بوضوح على أن الله أراد أن تكون مبنية على أساس من السعة والتيسير والسماحة .[1]

وإذا تصفحنا كتب السنة وجدناها تحمل وقائع كثيرة من أفعال النبى ـ ﷺ ـ : « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » .[2]

وأخرج الإمام أحمد : أنه ـ ﷺ قال : « إن خير دينكم أيسره »[3] وأن الصحابة رضى الله عنهم سألوه عن أشياء تحرجوا منها ، فقال لهم : « إن دين الله ـ عز وجل ـ فى يسر ثلاثا »[4] .

وكان فى ذروة وصاياه ـ ﷺ ـ لقواد الجند ، وأمراء الولايات : أن يعملوا على أساس من اليسر ودفع الحرج ، وتجنب التشديد ، وكل ما كان من شأنه إعنات الناس ، والتشديد عليهم[5] .

وروى أن النبى ـ ﷺ ـ قال لمعاذ وأبى موسى الأشعرى ـ حينما بعثهما إلى اليمن ـ : « يسروا ولاتعسروا ، وبشروا ولاتنفروا »[6] .

ولقد فهم المسلمون الأولون هذا ، فدرجوا فى مسالك الكمال ، وصعدوا فى مراقى العلا ، يشمل الصفاء كل نواحيهم ، ويعمهم الحب

(١) د . عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة ، صور من سماحة الإسلام ص ١٠ ـ ١١ ط : دار المطبوعات الحديثة بجدة سنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .

(٢)رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ج ١ ص ٩٣ .

(٣) رواه احمد فى مسنده ، ج ٥ ص ٣٢ ، ج ٤ ص ٣٣٨ ورواه الطبرانى ، فى المعجم الصغير ج ٢ ص ١٠٧ ، ط : الثانية ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٨٦ م .

(٤) رواه احمد فى مسنده ج ٥ ص ٦٩ ، من حديث عروة الفقيمى .

(٥) د / عبد العزيز الربيعة صور من سماحة الإسلام ص ١١ .

(٦) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب العلم ، باب ما كان النبى يتخولهم بالموعظة كى لاينفروا ج ١ ص ١٦٣ وفى كتاب الادب ، باب قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » ج ٢٠ ص ٥٢٤ . ورواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى ، باب تامير الإمام الامراء على البعوث ج ١٢ ص٤٢ .

والتفاهم فى تلاقيهم ، فقد وجدوا فى كنف دينهم السمح حياة هادئة مستقرة ، فسعدوا بظلالها الوارفة ، ونعموا بأنوارها الهادية .

لقد وجدوا فى هذا الدين ضالتهم المنشودة ، وجدوا فيه منهاجا بارا ، حانيا ، عطوفا ، يقدم لهم كل ما يطمئنهم ويثلج صدورهم ، ويبعد عنهم كل ما يسوءهم ويحزنهم .

لقد شرع الله هذا الدين لعباده ، فجعله سهلا سمحا واسعا ، ولم يجعله ضيقا حرجا ، لتتفتح النفس البشرية من خلال مناهجه ، وتنمو وتزدهر ، وقد أشربت حب عقيدته ، وتعاليمه ، واحترام مبادئه وآدابه ، والإلتزام بأخلاقه وسلوكياته ، بعد أن رأت فيه الوجه الأصيل ، للفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها ، من السهولة ووضوح القصد ، والبعد عن كل ما من شأنه تكليف الإنسان من أمره عسرا ، ووضعه فى دائرة الضيق والحرج ، إذ يريد الله ـ تعالى ـ بنا اليسر ، ولايريد بنا العسر ، الأمر الذى يبعث النفوس على الأمل ، ويحفز الهمم للنشاط والعمل .

قال الله تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة الآية : ٢٨٦)

إنه على قدر الجهد يكون العمل ، وعلى قدر الوسع والطاقة يكون التكليف ، وعلى قدر العمل والإنتاج يكون الجزاء ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لطيف بعباده ، ورحيم بمخلوقاته ، لم يكلف البشر فوق طاقتهم ، أو يفرض عليهم ماليس فى استطاعتهم ، شفقة عليهم ، ورأفة بهم ، ورفقا وإحسانا ، وتفضلا منه عليهم ، كما أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يحاسب العبد إلا بناء على الواقع الفعلى ، لما اقترفت يداه أو تلفظ به لسانه ، أو ما اكتسبته جوارحه عن حرية واختيار .

أما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس الأمارة بالسوء وهمساتها بالشرور والآثام ، وما قد يعزم العبد عليه ، دون أن ينفذ ما عزم عليه ، فإن الله لايحاسب الإنسان على مثل هذه الأشياء تكرما منه ، وشفقة على عباده ، من حيث إنه لم يكلفهم مالا يطيقون ولم يؤاخذهم بما لايعلمون ، قال تعالى :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(البقرة الآية : ٢٨٦) .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ لايكلف عباده إلا ما يستطيعون تأديته ، والقيام به ، ولذلك كان كل مكلف مجزيا بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

ويقول ابن كثير : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لايكلف أحدا فوق طاقته ، وهذا من لطفه ـ تعالى ـ بخلقه ، ورأفته ، وإحسانه

إليهم [٧] . . . فالله لايكلف نفسا إلا وسعها ولايحملها إلا ماتسعه وتطيقه ولاتعجز عنه [٨] .

فالإسلام - كما ترى - دين السماحة واليسر ، جاء بالحنيفية السمحة ، التى كانت منهجا لإبراهيم - عليه السلام - وسائر الأنبياء .

﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (الأنعام الآية : ١٦١)

لقد خلق الله الإنسان وعلم ضعفه ، ومدى طاقته واحتماله ، فشرع له بالقدر الميسر الذى يستطيعه ، ولايشق عليه : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك الآية : ١٤)

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء الآية : ٢٨) .

يقول الفخر الرازى : « هذا عام فى كل أحكام الشرع ، وفى جميع ما يسره لنا وسهله علينا ، إحسانا منه إلينا ، ولم يثقل التكليف ، كما ثقل على بنى إسرائيل » [٩] .

وإرادة التخفيف عن المسلمين - فيما أخذهم الله به من أحكام : هى من حكمة الله ورحمته ، ليس لأحد أن ينازع الله فى حكمته ، أو يمسك عن عباده رحمته ، لأنه لا متعلق لأحد بهذه الإرادة ولا مطلوب فيها لأحد ، إنها خالصة من الله بعباده [١٠] .

ولايفوت الباحث : أن يعرف أن الله - سبحانه وتعالى - قد هيأ نبيه محمدا - ﷺ - وأعده على نحو خاص ، يتواكب دائما مع روح الإسلام ومنهاجه ، فى اليسر ، والسماحة ، والتخفيف ، ورفع الحرج ، فكان خير نبى بعث بخير رسالة ، لخير أمة أخرجت للناس ، قال تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الأعلى الآيات : ٦ - ٨)

التى يسهل على النفوس قبولها ، ولايصعب على العقول فهمها ، وقد جعلت الآية الإنسان هو الميسر للفعل ، وليس الفعل هو الميسر للإنسان ، من قبل أن الفعل لايحصل إلا إذا وجدت العزيمة الصادقة والإرادة النافذة لإيجاده ، مع التوفيق لسلوك أقوم الطرق ، التى توصل إليه [١١] .

فالله - سبحانه وتعالى - جعل الشريعة التى دعا إليها الرسول - ﷺ - إلا ليكون مصدر إشعاع ومنار هداية ، وموئل رحمة منه - سبحانه وتعالى - إلى عباده ، تشع من جوانبه السماحة واليسر ، قال تعالى : ﴿ طه ۝١ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ (طه الآيات : ١ - ٣)

فالإسلام دين لاتكلف فيه ولا إعنات ، ولاتنطع ، ولاتشدد ، ولقد نعى النبى - ﷺ - على المتنطعين ، والمتزمتين ، ووضح أن عبادة الله - سبحانه وتعالى - تقوم على الالتزام بأوامره ، واجتناب نواهيه ، وطاعته بالقدر الميسور الملائم لطبيعة البشر ، فلا تجاوز أو تقصير فى حق الفرد ، وحقوق الآخرين عليه .

---

(٧) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج ١ ص ٥٠٨ .
(٨) القاسمى ، محاسن التاويل ج ٣ ص ٧٣٤ .
(٩) الفخر الرازى ، التفسير الكبير ، ج ٥ ص ٧٠ .
(١٠) عبد الكريم الخطيب ، التفسير القرانى للقران ج ٥ ص ٧٦٥ ، ط : دار الفكر العربى ، بمصر .
(١١) القرطبى ، الجامع لأحكام القران ج ٧ ص ١٠٩ .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - قال : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، واستعينوا بالغدوة والروحة ، وشىء من الدلجة » [١٢] .

وعن أبي مسعود رضى الله عنه عن النبى - ﷺ - قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا [١٣] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى - ﷺ - يسألون عن عبادة النبى - ﷺ - فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبى - ﷺ - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

قال أحدهم : وأما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله - ﷺ - إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى ، وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » [١٤] .

لقد نهى الإسلام عن الغلو فى الدين ، من غير مراعاة لحق النفس ، وحقوق الآخرين قال رسول الله - ﷺ - : « لاتغلوا فى دينكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بغلوهم فى دينهم » [١٥] .

وقال ﷺ - : « الإسلام متين ، فأوغل فيه برفق ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه » .

ومن سماحة الإسلام ويسره : إباحة طعام أهل الكتاب [١٦] ومشروعية الرفق بأهل الذمة [١٧] والرحمة العامة بالناس كلهم ، قال رسول الله - ﷺ - : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، وارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » [١٨] . . . وقال : « من لايرحم لايرحم » [١٩] .

لقد جاء الإسلام حكيما فى توجيهاته ، شريفا فى وسائله ومقاصده ، نبيلا فى أهدافه وغاياته ، كريما عندما قدر ضعف الإنسان ، وراعى ظروفه ، لأنه أدرى بالمصلح له من المفسد ، فتعامل معه برفق وحنان ، كما يتعامل الطبيب الماهر مع مريضه على النحو الذى يكفل له السلامة ، ويضمن له الصحة والعافية .

والباحث فى صفحات يسر الإسلام وسمحاته ، يجد جوانب متعددة ، وريا متجددا وزادا لاينفد .

فالإسلام على يسر فى كافة أحوال المسلمين وسائر شئونهم ، ليظفروا بمرضاة الله ، ولتزدهر بهم شجرة الحياة ، لأن كل ما فوق الوسع والطاقة ، لايكلف الله به عباده ، حتى لايتطرق إليهم الملل ، ولايشيع فيهم السأم ، مصداقا

(١٢) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ج ٣٠ ص ١٢٤ .
(١٣) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الإيمان ، باب الدين يسر ج ١ ص ٩٣ .
(١٤) رواه مسلم فى صحيحه بشرح النووى ، كتاب العلم ، باب النهى عن اتباع متشابه القرآن ج ١٦ ص ٢٢٠ .
(١٥) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ج ٩ ص ١٠٤ .
(١٦) رواه احمد فى مسنده ج ١ ص ٢١٥ ، ص ٣٤٧ .
(١٧) ابن قدامة ، المغنى ج ٩ ص ٣٩٠ تحقيق محمود عبد الوهاب فايد ، وعبد القادر احمد عطا ، طـ : مكتبة القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
(١٨) د / يوسف القرضاوى ، غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ص ٩ - ص ٣٠ ، طـ : مكتبة وهبة بالقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
(١٩) رواه احمد فى مسنده ، ج ٢ ص ١٦٠ .

لقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٢٠] (البقرة الآية : ٢٨٦) .

لقد راعى الله ظروف الإنسان العارضة ، وقدر أحواله الطارئة التى تخرج عن إرادته ، فنظر إلى ذلك نظرة اليسر والتسامح والتخفيف ، رفعا للإثم ، ودفعا للحرج ، فأباح التيمم لعباده عند المرض ، أو السفر الذى يمنع من استعمال الماء ، أو عند فقدانه توسعة منه على عباده ، ورحمة بهم ، وذلك بالصعيد الطيب ، فالله ـ تعالى ـ غنى عن عباده ولايشرع لهم إلا ما فيه الخير والنفع لهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة الآية : ٦).

فالإسلام دين السماحة ، يريد للمنتسبين إليه اليسر ، ولا يريد بهم العسر فلقد رخص الشارع للمريض الذى يضره استعمال الماء ، أو المسافر الذى ليس لديه من الماء ما يكفيه لطهارته ، أو المنقطع فى مكان ليس به ماء : أن يتيمم صعيدا طيبا ، تيسيرا من الله ورحمة بعباده . فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ما يريد ليجعل على المسلمين فيما شرعه حرجا ما ، ولا أدنى ضيق ، وأقل مشقة [٢١] .

فلهذا سهل الله على المسلمين ، ويسر ولم يعسر ، بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء ، توسعة عليهم ، ورحمة بهم [٢٢] .

لقد أراد الله لعباده اليسر والتخفيف ، فأمرهم بالصلاة بالقدر الذى يتيسر لهم ، وتتحمله قواهم البدنية ، حتى لايسأم الناس ، فيملوا الطاعة ، والناس منهم المريض ، والمسافر والمجاهد ، الذى لايستطيع ذلك ، فخفف الله عن الجميع تفضلا منه وتيسيرا على عباده .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾

(المزمل الآية : ٢٠)

فالله يعلم أنكم لن تحصوا ساعات الليل إحصاء تاما ، فإذا زدتم على المفروض ثقل ذلك عليكم ، وكلفتم ماليس بفرض ، وإن نقصتم شق هذا عليكم ، فتاب عليكم ، ورجع بكم من تثقيل إلى تخفيف ومن عسر إلى يسر ، وطلب منكم أن تصلوا ماتيسر بالليل [٢٣] .

فلاتتجاوزوا ما قدره لكم رحمة بأنفسكم [٢٤]

---

(٢٠) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب الأدب ، باب رحمة الولى وتقبيله ومعانقته ج ١٠ ص ٤٣٦ .

(٢١) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ج ٦ ص ٦٤ .

(٢٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٥ .

(٢٣) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن ، ج ٢٩، ص ١٢٠ .

(٢٤) القاسمى ، محاسن التأويل ج ١٦ ص ٥٩٦٣ .

ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (النساء آية : ١٠١)

فالسفر يفرض على صاحبه أن يسير فى برنامج غير برنامجه الذى استمرأ سلوكه فى حال الإقامة ، كما أنه يفرض عليه تجشم المصاعب من الإدلاج ، والسهر ، والتعرض للبرد ، أو الحر ، أو إعواز الماء ، وخوف الانقطاع ، فهو حينئذ ليس بمطمئن البال ، ولابمستريح الجسم ، ومن أجل ذلك كان السفر مظنة للمشقة والعناء ، فكان جديرا بأن يحظى بنوع من اليسر والسهولة فى التكاليف ، كى يستطيع المسافر القيام بها ، دون إدخال له فى الحرج (٢٥) ولهذا ليس على المسلمين جناح أن يخففوا من كمية الصلاة ، بأن تجعل الرباعية ثنائية (٢٦) .

ومن يسر الإسلام وسماحته فى الصلاة أنه قد يطرأ على الإنسان ما يجعله لايستطيع أداء الصلاة المكتوبة قائما ، كما هو الحال فى الظروف العادية المألوفة ، كأن يكون فى حالة خوف من عدو متربص ، أو وحش مترقب ، إنه فى هذه الحالة يصلى كيفما تيسر له ، راجلا أو راكبا ، حيثما توجه ولاتسقط بحال . هذا إذا كان منفردا ، أما إذا كانت جماعة : فلها أحكام مبسوطة فى كتب الفقه . قال تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة الآية : ٢٣٩) .

يقول القرطبى : فكما أمر الله تعالى بالقيام له فى الصلاة بحال القنوت ، وهو : الوقار ، والسكينة ، وهدوء الجوارح ، وهذا على الحالة الغالبة من الأمن والطمأنينة ، ذكر حالة الخوف الطارئة أحيانا ، ويبين أن هذه العبادة لاتسقط عن العبد بحال ، ورخص لعباده فى الصلاة رجالا على الأقدام ، وركبانا على الخيل والإبل ونحوهما ، إيماء وإشارة بالرأس حيثما توجه . هذا قول العلماء وهذه هى صلاة الفذ ، الذى قد ضايقه الخوف على نفسه ، من سبع يطلبه أو من عدو يتبعه أو سبيل يحمله وبالجملة فكل أمر يخاف منه على روحه فهو مبيح ماتضمنته هذه الآية (٢٧).

فإن خاف المسلمون أى ضرر من القيام قانتين لله ، صلوا كيفما تيسر لهم راجلين أو راكبين ، وفى هذا تأكيد للمحافظة على الصلاة ، وبيان أنها لاتسقط بحال ، إلا حال الخوف على النفس أو المال أو العرض مظنة العذر فى تركها ، كما يكون السفر عذرا فى ترك الصيام ، والسبب فى عدم سقوطها على المكلف فى كل حال ، أنها عمل مذكر بسلطان الله ـ سبحانه وتعالى ـ المستولى علينا ، وعلى العالم كله ، وما الأعمال الظاهرة إلا مساعدة على العمل القلبى المقصود بالذات ، إذ من شأن الإنسان أنه إذا أراد عملا قلبيا ، يحتاج إلى جمع الفكر ، وحضور القلب ، أن يستعين على ذلك ببعض ما يناسبه من قول وعمل .

فإذا تعذر بعض الأعمال البدنية فلا تسقط العبادة القلبية ، وهى : الإقبال على الله ، مع الإشارة إلى تلك الأعمال بقدر المستطاع ، ويكون

---

(٢٥) د/ عبد العزيز الربيعة ، صور من سماحة الإسلام ص ٥٠ .

(٢٦) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٤٧ .

(٢٧) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠٣١ .

ذلك حين قتال العدو ، أو الفرار من أسد ، فيصلى المكلف راجلا أو راكبا إن حانت الصلاة ، لايمنعه من ذلك الكر والفر ، والطعن والضرب ، ويأتى من أقوال الصلاة وأفعالها بما يستطاع من ركوع وسجود ، ولايلتزم التوجه للقبلة [٢٨] .

فالصلاة لما كانت خير ذكر ، قصر أمر الله بها المؤمن ، وكلفه بأدائها على أى وجه استطاعه ، والمؤمن من يجب عليه أن يذكر الله فى كل أحيانه ، كما كان يفعل النبى - ﷺ - لأنه بذكر الله تطمئن القلوب ، وبالتفكير فى ملكوته وآلائه يرسخ الإيمان ، والصلاة من الذكر ، فإن صلى الإنسان وكان مريضا يشق عليه القيام ، صلى قاعدا ، فإن لم يستطع فعلى جنبه ، يومىء إيماء ، فما جعل الله على المسلمين فى الدين من حرج .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران الآية : ١٩١)

وإذا كانت الآية فى الصلاة ففقهها : أن الإنسان يصلى قائما ، فإذا لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنبه [٢٩]

ما أعظم رحمة الله بعباده ، وما أجلها من رحمة ، وما أيسر تشريعاته التى شملت الدين كله ، فقد جمع الله فى تشريعاته السمحة بين خيرى الدنيا والآخرة ، فأمر عباده بالضرب فى الأرض ، إما سعيا على العيش ، وإما جهادا لنشر دينه وإعلاء كلمته ، مع تيسير العبادة لهم فى السفر صلاة وصوما حسب حالهم وطاقتهم .

والنبى - ﷺ - كان مثالا يحتذى لأمته فى عدم التضييق والتشديد ، فلقد كانت صلاته وخطبه ومواعظه ، لا بالقصيرة المخلة ، ولا بالطويلة المملة ، وكذلك تعلم منه ، واقتدى به أتباعه - ﷺ - عن عمران بن الحصين - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : « صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب » [٣٠] .

وعن المغيرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله - ﷺ - : « صل بصلاة أضعف القوم » [٣١] .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن النبى - ﷺ - دخل عليها وعندها امرأة ، قال : « من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها قال : « مه عليكم بما تطيقون . . . فوالله لايمل حتى تملوا » [٣٢] .

فالإسلام - كما ترى - : هو المنبع الصافى ، الذى يستقى منه المسلم ما يصلح حاله فى الدنيا والآخرة ، مع التيسير عليه ، حتى يتمكن من أداء ما كلف به على خير وجه .

« يتبع »

---

(٢٨) مصطفى المراغى ، تفسير القرآن :ج ٢ ص ٢١٣ .
(٢٩) القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٥٥٣ .
(٣٠) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى ، كتاب تقصير الصلاة ، باب إذا لم تطق قاعدا فعلى جنب ج ٢ ص ٥٨٧ .
(٣١) رواه البخارى فى صحيحه مع فتح البارى - كتاب الأذان . باب من شكى إمامه إذا طول ج ٢ ص ٢٠٠ .
(٣٢) (لايمل) اى يعطى الثواب ، ولايعجز ، ولايعرض عن العبد ، ولايقطع عنه الإقبال عليه بالرحمة والإحسان . (حتى تملوا) اى تقصروا فى طاعة الله ، وتعرضوا عن عبادته بعد الدخول فيها ، لملالة النفس ، ابن حجر ، فتح البارى كتاب الإيمان ، باب احب الدين إلى الله ادومه ج ١ ص ١٠٢ .

الداعية الإسلامي

وأهمية القدرة على الفهم والإفهام

للأستاذ الدكتور: محمد محمد البادى (*)

تجمع الدعوة الإسلامية بين الدين والدنيا فى تكامل وثيق، وتتطلب أن يكون هذا التكامل الوثيق متمثلا فى دعاتها، وأن يكون كل داعية قادرا على نقل هذا التكامل الوثيق إلى الآخرين، بالكيفية التى يستطيعون بها ترجمته إلى سلوكيات معبرة، سواء فى مواجهة أنفسهم، أو فى مواجهة أقرانهم، أو فى مواجهة مجتمعهم وعالمهم.

وقد تمثلت هذه الحقيقة واضحة جلية فى أولئك الرسل الذين أرسلهم النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى القبائل والأمصار. كما تمثلت بوضوح وجلاء فى أولئك المسلمين الأوائل الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى بقاع الأرض المترامية، فكانت إطارا لحركتهم فى مواجهة الشعوب الأخرى، وكانت أساسا لفكرهم وعلاقاتهم ووحدتهم.

ولئن كان لهذه الحقيقة أهميتها عند قيام الدعوة الإسلامية وانتشارها، فإنها تكون أكثر أهمية وإلحاحا فى مواجهة المحافظة عليها ودعمها فى هذا العصر الذى تراكمت فيه التحديات الحضارية والعلمية والثقافية، فأثقلت خطى الدعوة الإسلامية، بل وفجرت فى مواجهتها هستيريا الخوف منها وصرخات الدعوة إلى مقاومتها من مجتمعات تربعت على قمة التقدم وملكت عناصر القوة بكل مفاهيم هذا العصر.

وفى تقديرنا، أن المدخل إلى إحداث هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا، كأساس مستمر للدعوة الإسلامية فى هذا العصر، يكمن فى توفير خاصية القدرة على الفهم والإفهام عند الداعية الإسلامى. فالدعوة الإسلامية فى ذاتها

(*) استاذ ورئيس قسم الصحافة بكلية الآداب - جامعة المنصورة.

قوية ، ويجتمع لها بالفعل هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا ، لكن بعض دعاتها ، كصفة عامة ينقصهم هذا التكامل الوثيق بين الدين والدنيا ، لأنهم لا تتوفر فيهم القدرة على الفهم والإفهام بالمعنى المقصود هنا ، وبدرجة واضحة وملموسة .

فما هو المقصود بهذه القدرة على الفهم والإفهام على ضوء ظروف هذا العصر وتحدياته ، وعلى ضوء ظروف المجتمعات الإسلامية ومشكلاتها ، وداخل إطار المفاهيم والنتائج التى انتهت إليها علوم الإقناع الحديثة ، والتى جاءت وليدة لتطورات هذا العصر ولمواجهة تحدياته ؟ وكيف نستطيع توفيرها للداعية الإسلامى بالدرجة التى نطمئن عندها على أنه قادر على حمل الرسالة وحفظ الأمانة ونشر الدعوة ، وبالكيفية التى تحدث تكاملا فى نفوس وعقول من يستمع إليه أو يقرأ له ، وتنعكس بالتالى على سلوكياتهم وعلاقاتهم ؟ ذلك لأنه إذا لم تكن للدعوة آثار واقعية على حياة الناس ، فإننا لا نستطيع القول أنها حققت أهدافها .

وبادىء ذى بدء نقول : إن العصر الذى نعيشه يعج بالتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتقنية والإعلامية ، عصر تتفاعل داخله متغيرات ومشكلات وتحديات لكل المجتمعات المعاصرة بصفة عامة ، ولكل مجتمع منها بصفة خاصة .

لقد تهاوت نظم سياسية بأكملها ، واهتزت نظم سياسية ، وبرزت إلى الوجود نظم سياسية ، وعلت نظم سياسية ، وهوت نظم سياسية أخرى . وتحول الصراع السياسى بين فلسفات متعارضة ومتصادمة إلى صراع على البقاء والمكانة .

وأصبح الاقتصاد عصبا للحياة السياسية ، وقاعدة للبقاء والمكانة ، ووقودا للصراع السياسى بين الدول المعاصرة ، حتى إن الخبراء الدوليين يؤكدون على أن الصراع السياسى القديم خلال القرن العشرين الميلادى ، سوف يتحول إلى صراع اقتصادى خلال القرن الواحد والعشرين الميلادى . ولعل مانشأ خلال هذه السنوات العشر الأخيرة يؤكد هذا الاستنتاج ويدعمه .

ويقود هذا الصراع الاقتصادى إلى تطور علمى وتقنى هائل ومذهل . ولسوف تستمر قوة هذا التطور فى تعاظمها خلال السنوات القادمة . ولسوف يؤدى هذا التطور المتعاظم إلى توسيع الفجوة بين الدول المتقدمة والنامية . وهذا يعنى ، فى رأى الخبراء الغربيين أن القوى سوف يزداد قوة ، وأن الضعيف سوف يزداد ضعفا .

ولئن كانت الشواهد الحالية تؤكد صحة استنتاجات هؤلاء الخبراء الغربيين ، إلا أن المستقبل فى علم الله - تعالى - ويخلق الله مالا نعلم . ومن ثم ، فإن هذه التنبؤات إن دلت على شىء ، فإنما تدل على مدى حدة هذا الصراع الاقتصادى القائم على التفوق العلمى والتقنى ، سواء فى الحاضر أو فى المستقبل . وإن كنا لا نستطيع أن نجزم بنتيجة هذا الصراع .

ولقد اقترنت بهذه التغيرات العلمية والتقنية

والاقتصادية والسياسية الهائلة ، تغيرات اجتماعية متعددة وسريعة أيضا ، ونتجت عن هذه التغيرات مشكلات اجتماعية حادة وخطيرة فى المجتمعات المتقدمة ، أدت إلى مواقف ضاغطة على حياة الفرد العقلية والعصبية والنفسية ، لعدم قدرته على التوافق والتكيف مع ما يحدث حوله من تغيرات تقنية واجتماعية ، بكل سرعتها ومشكلاتها وتعقيداتها .

ومع تزايد هذه التطورات والتغيرات والمشكلات والضغوط فى المجتمعات المتقدمة ، أسرعت عوامل الهدم للعلاقات الاجتماعية والشخصية ، بدون أن تحل محلها علاقات أخرى منظمة وأكثر ملاءمة ، وبدون أن يفهم الفرد أو يستوعب ما يجرى حوله ، وبدون أن تتقدم الدراسات الاجتماعية والدينية لتجعل هذا التحول أو التغير السريع أكثر أمانا واتزانا ولعل ما يحدث للروابط الأسرية والاجتماعية فى هذه المجتمعات يعطى أدلة وشواهد واقعية مؤكدة . وهذه كلها مشكلات اجتماعية معقدة .

وتؤكد إحدى الدراسات العلمية الأمريكية أن الفرد فى هذه المجتمعات المتقدمة أصبح يشعر بعدم القدرة على التكيف مع بيئته ومجتمعه بصفة عامة . فهو يحس بعدم الرضا عن النفس ، ويعيش فريسة لعوامل القلق والاضطراب والتمزق ، وتنتشر مظاهر الملل والسأم بدرجة أصبح معها كثير من الأفراد على استعداد للتخلى عن حرياتهم فهم يشعرون أن الحياة أصبحت أكثر تعقيدا ، ومن الصعب أن يكونوا أمناء عليها وعلى أنفسهم . وتضيف دراسة علمية أمريكية أخرى ، أن هذه الحياة الاجتماعية المعقدة والمضطربة تواجه الناس بأمراض نفسية وعصبية ، يمكن أن تفقدهم القدرة على التعامل المتزن مع البيئة التى يعيشون فيها ، ويمكن أيضا أن تفقدهم وجهتهم فى الحياة .

أما المجتمعات النامية ، ونحن نعرف أن كل المجتمعات الإسلامية محسوبة من بينها ، فإنها خضعت لسنوات طويلة للاستعمار الغربى الذى حاول أن يفقدها هويتها وأصالتها ، وأن يقضى على ثقافتها وعناصر قوتها ، والذى زرع فيها قبل رحيله بذور تقاليده وعاداته وثقافته ولغته . وجاءت ظروفها المتخلفة التى ورثتها بعد استقلالها لتزيد كل هذه العوامل عمقا وتأثيرا .

وعلى الرغم من أن هناك دراسات علمية دولية انتهت إلى أنسب الوسائل والأساليب لتنمية هذه المجتمعات ، إلا أن صراع المصالح الدولية أضعف حجم المساعدات المادية والتقنية المتاحة لها . كما أن هذه المجتمعات اختلفت فيما بينها فى وضع أولويات لمشكلاتها ، وفشلت فى وضع خطط متكاملة للتنمية ، واختلفت كذلك فى المنهج الذى اختارته لمواجهة مشكلاتها . وحدثت كل هذه الاختلافات وأوجه القصور داخل إطار من الإمكانيات المادية والفنية الضعيفة والمحدودة ، وفى مواجهة ظروف ومشكلات محلية ودولية بالغة التعقيد ، فكان لابد أن تحدث فجوة بين حجم الآمال والتوقعات وما أمكن تحقيقه بالفعل ، وأصبحت هذه الفجوة تزداد اتساعا بمرور الوقت تحت ضغط المشكلات والتحديات التى تتولد وتتكاثر وتتنوع .

ولعل أخطر هذه المشكلات والتحديات وأكثرها تأثيرا على حاضرها ومستقبلها ، هو أن هذه المجتمعات لم تأخذ بالتنمية المتوازنة بين الفرد والبيئة . لقد ركزت على عناصر التقدم المادى للبيئة على حساب التوازن النفسى والعقلى للفرد ، مما أفقده قدرته على التوافق بين متطلبات التقدم والإسهام فى صنعه . فكانت النتيجة بعض التقدم المادى للبيئة ، وكثيرا من التمزق النفسى والعقلى للفرد داخل هذه البيئة .

ولقد حدثت كل هذه التطورات والتغيرات والمشكلات فى المجتمعات المتقدمة والنامية ، فى الوقت الذى حدثت فيه ثورة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات ، فزادت وسائل الاتصال الجماهيرى اتساعا وتنوعا ، وزادت وسائلها المساعدة كفاءة وتقدما ، وظهرت وسائل لم تكن معروفة من قبل كأقمار الاتصال والفيديو ، وتأكدت وتعاظمت الوسائل التقليدية المعروفة كالصحف والمجلات والراديو والتليفزيون والسينما ، وتعاظم حجم الإنتاج الفنى لهذه الوسائل على حساب نوعيتها . وانتهت هذه الثورة إلى ربط العالم بكل مجتمعاته المتقدمة والنامية بشبكة من الاتصالات التى فتحت الحدود وقربت المسافات وغزت البيوت والنفوس والعقول ، حتى إنهم ليقولون إن العالم أصبح قرية اتصالية صغيرة . فما يحدث فى مكان ما ، تنتقل أخباره إلى كل الأماكن فى نفس لحظة حدوثه .

ولئن كان لكل هذه التطورات العلمية والتقنية فى مجال الاتصال الجماهيرى والدولى مغزاها وإيجابياتها ، فإن لها أيضا سلبياتها . فلقد حدثت فى الوقت الذى كان فيه إخلال بالتوازن الدولى فى مجال المعلومات لصالح الدول المتقدمة وعلى حساب الدول النامية ، كما حدثت فى الوقت الذى لم تتخل فيه الدول المتقدمة عن أحلام الهيمنة والسيطرة ، سواء منها المادية أو الثقافية ، والتى مارستها على أرض الواقع أيام الاستعمار العسكرى ، وتمارسها الآن على أرض الواقع من خلال غزوها الثقافى للمجتمعات النامية .

المجتمع الإسلامى

بين الواقع والآمال

ولقد انقشع ضباب كل هذه التطورات والتغيرات والمشكلات التى تحدث فى العالم قليلا ، ليكشف عن حقائق تسطع بوضوح بين الأكمة المترامية والكثيفة . فالدين الإسلامى لا يزال صحيحا معافى ومحفوظا فى النفوس والعقول والصدور وداخل مصادره الأساسية ، هذا من ناحية ، لكن المجتمعات الإسلامية ، كجزء من المجتمعات النامية بصفة خاصة ، ومن العالم الذى تعيش فيه بصفة عامة ، تعانى من مشكلات التخلف وتحديات العصر إلى جانب الادعاءات الكاذبة والأباطيل المفتراة ، وهذا من ناحية ثانية . ولعل ما يحدث فى البوسنة وكوسوفو والشيشان وأفغانستان وغيرها يمثل قمة الصدام وذروة التحدى للإسلام والمسلمين ، كما أن مايحدث داخل هذه الدول الإسلامية من جرى وراء التقليد لقيم وتقاليد وسلوكيات شائعة فى هذه المجتمعات

المتقدمة ، داخل إطار ما يسمونه بفنون السينما والمسرح والتليفزيون والصحافة ، يبين بوضوح إلى أى مدى حقق الغزو الثقافى أغراضه فى هذه المجتمعات الإسلامية ، خاصة أن هذه الممارسات الفنية انعكست بوضوح على سلوكيات كثير من الأسر .

ويأتى التساؤل الذى أثرناه فى بداية هذا المقال حول ما يقصد بالقدرة على الفهم والإفهام كأساس لإحداث التكامل الوثيق بين الدين والدنيا عند الداعية الإسلامى ، وسط كل هذه الظروف العصرية ومشكلاتها الاجتماعية وتحدياتها الثقافية ، ولنحاول هنا أن نجد له إجابة واضحة .

فماذا يفهم الداعية الإسلامى ؟ إن الإجابة لا تحتاج إلى عناء كبير فالدعوة الإسلامية التى تجمع بين الدين والدنيا فى تكامل وثيق ، لا تستطيع أن تتجاهل ما يحدث فى العالم من حولها وداخل المجتمعات التى تحتضنها . ومن ثم ، يكون على من يحمل مسئوليتها ، أن يفهموا كل ما يحدث فى العصر من تقدم علمى وتقنى ومن تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وانعكاساتها على مجتمعاتهم النامية وسكانها إن هذا الفهم يعنى فهما للمناخ العصرى المحيط بالدعوة الإسلامية داخل المجتمعات الإسلامية وحولها ، ويعنى أيضا فهما لمغزى مايحدث داخله من تغيرات ومشكلات وتحديات وانعكاساته على أساليب التفسير فى مواجهة الأفراد والجماعات ، سواء داخل المجتمعات الإسلامية أو خارجها على مستوى العالم كله .

وفى تقديرى ، أنه إذا كانت المعاهد والكليات الأزهرية فى مصر أدخلت علوم العصر إلى مناهجها ، فإن الهدف هنا هو مساعدة الطلبة الدارسين للدين الإسلامى على أن يتطوروا مع العصر . لكن هذا لا يكفى ، لأن الاستمرار فى المتابعة والتحصيل يصبح أكثر أهمية ، لأن ما يحدث اليوم يتغير غدا ويتعقد بعد غد . وما لم يواصل الداعية الإسلامية قراءاته ومطالعاته لاستيعاب كل جديد يحدث فى الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، فسوف يقف فكره ويتجمد عند حدود ضعيفة ومتخلفة .

ونتنقل إلى النقطة الثانية ، وهى : كيف يفهم ؟ ليكن واضحا أن الداعية الإسلامى لا يقرأ ويطالع لكى تزداد معارفه فقط ، وإنما ليفهم الكيفية التى تصبح بها دعوته مستجابة ومؤثرة . ومن ثم ، فإن قراءاته توفر له فهما واضحا للظروف المحيطة بدعوته وتأثيرها على مستمعيه وقرائه وعلى الكيفية التى يتحدث بها أو يكتب بها . ويكون الربط بين مفهوم الدعوة ومضمونها وظروفها مدخلا أساسيا للوصول إلى التأثير المطلوب على إنسان يتمزق بين ما يسمع ويرى فى حياته الدينية والدنيوية .

وإذا نجح الداعية الإسلامى فى تحقيق ذلك ، نستطيع القول أنه ملك القدرة على الفهم **أما القدرة على الإفهام** ، فإنها لا تتحقق إلا إذا ملك هذا الداعية الإسلامى صفات شخصية تمكنه من تبسيط ما فهم واستوعب واستنتج ، بالدرجة التى يتمكن بها الفرد العادى بكل مستوياته العقلية وتعقيداته النفسية وظروفه المادية ومشكلات مجتمعه وظروف عصره ، أن يفهم الكيفية التى

يتكامل بها دينيا ودنيويا ، وأن يترجم هذا الفهم إلى سلوكيات لفظية وفعلية معبرة فى حياته اليومية .

وهذه الحقائق جميعها تعنى أنه على الداعية الإسلامى أن يكون ذا عقل ناضج وفكر ثاقب وخيال خصب وفصاحة واسعة ، وأن يملك القدرة على التأثير ، وأن تدعمه القدوة الحسنة فى المجتمع ، وأن يسانده إطار اجتماعى له فلسفته التربوية الإسلامية .

وتعنى أنه إذا كانت هذه الصفات الشخصية متوافرة فى بعض الناس ، وليست متوافرة فى بعضهم الآخر ، فإن على المعاهد والكليات التى تعد الدعاة الإسلاميين أن تحسن اختيارهم وأن تعد لهم المناهج الدراسية التى تمكنهم من اكتشاف الطريق السليم نحو تمثل التكامل بين الدين والدنيا داخل إطار هذا العصر وظروف المجتمعات التى يعملون فيها والبشر الذين يتعاملون معهم .

وتعنى أيضا ، أن الداعية الإسلامى يحتاج إلى مكتبات إسلامية متطورة فى كل مدينة يعمل بها ، تجمع ما بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا معا على ضوء تغيرات العصر وتحدياته وظروف المجتمع ومشكلاته . وإذا كانت العواصم تحتكر الفكر والثقافة فى المجتمعات الإسلامية النامية ، فقد حان الوقت لكسر هذا الاحتكار . فليس معقولا أن نطلب من كل داعية أن يسافر عشرات أو مئات الكيلو مترات لكى يتثقف ويستوعب . وإنما المعقول أن تنتقل المكتبة العصرية إليه حيثما يوجد وأينما يمارس رسالته .

وتعنى هذه الحقائق كذلك ، أن الداعية الإسلامى يحتاج إلى تدريب عملى مستمر ومتجدد ، حتى تتأكد قدراته على الإفهام ، وحتى تتأكد الجهات المسئولة عن الدعوة الإسلامية أن الأمور تسير فى الطريق الصحيح ، وأن الدعوة تحقق غاياتها على أرض الواقع . وهنا تكون الدراسات الميدانية واجبا آخر تتأكد به هذه الجهات المسئولة من حدوث النتائج بالكيفية المستهدفة ، وتستطيع من خلاله أن تغير وتجدد فى برامج التدريب العملى .

وأخيرا ، إذا أردنا داعية إسلاميا يتفرغ بعقله وقلبه لعلمه ورسالته بالكيفية التى تفرضها ظروف عصره وتحدياتها وتغيرات مجتمعه ومشكلاتها ، فلا بد أن نوفر له ظروفا معيشية مريحة . إننا لا نستطيع أن نطلب منه عمق الفهم والإصرار فى المتابعة والاستنتاج ، وجزء من عقله ونفسه مشغول بمشكلات مادية ومعيشية شخصية وعائلية .

وخلاصة القول هنا أن الدعوة الإسلامية لا تعمل فى فراغ ، وإنما تعمل فى وسط اجتماعى وعالمى ، وهى تتفاعل مع ظروف مجتمعها وعصرها . وهذا الوضع يفرض وجود داعية إسلامى له مواصفات طبيعية وثقافية ومادية معينة ومحددة ، إذا أردنا دعوة قوية وداعية فاعلاً ومؤثراً .

من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

قوم عاد

للأستاذ الدكتور :
مسلم شلتوت

قوم عاد هم نسل عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ، وكانوا يقطنون فى أرض الأحقاف ، فى شمال حضرموت وعُمان ، وكان مُلكهم يمتد من « رمل عالج » باليمن إلى « صحار » بسلطنة عُمان (الأحقاف ـ جمع حقف ـ وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء ـ وهو الكثبان الرملية)

والأحقاف الآن ـ رمال هشة ـ شديدة النعومة ـ يقال إنها تبتلع كل من يقع فوقها ، ويسمونها منطقة الرمال المتحركة بالرّبع الخالى من المملكة العربية السعودية ، وكان لقوم عاد حضارة كبيرة وزرع وبساتين .

ولقد ثبت من دراسات الاستشعار عن بعد وخاصة باستخدام الرادار أن هذه الكثبان الرملية تتميز بوجود أودية جافة قديمة أسفلها ، تكونت فى العصور المطيرة عندما كانت الأمطار تهطل بكثرة ، وكان البشر يعيشون فى جنة وارفة الظلال فى أودية تعج بالماء والحياة ، ثم حدث تغير فى المناخ فانقطع المطر ، وجف الزرع ، وماتت الحياة . . هذه الأودية الجافة القديمة تحت الكثبان الرملية لا يمكن رؤيتها إلا عن طريق الاستشعار عن بعد بالرادار ، لذلك تسمى مجازياً « أنهار الرادار » *Radar Rivers* وتحت هذه الأودية القديمة توجد خزانات مياه جوفية .

وقد أعلن فى المؤتمر الذى نظمته هيئة اليونسكو فى القاهرة فى مايو ١٩٩٦ حول (التراكمات الرملية والمياه الجوفية فى الصحارى) « *Sand accu-*

mulation and under ground water in the Sahara » بأن منطقة صحار بسلطنة عُمان توجد بها مياه جوفية تحت الكثبان الرملية .

وقد ذكر الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه (قصص الأنبياء) أن السيد عبد الله بن أحمد بن عم بن يحيى العلوى من أهل حضرموت قال إنه ذهب لمنطقة الأحقاف شمال حضرموت ونقب وعثر على بعض الآنية الجميلة المصنوعة من المرمر الجيد عليها كتابة بالخط المسمارى ثم ترك التنقيب لمضايقة البدو له ـ وعدم قدرته المالية .

وكما هو معلوم فإن جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام بكثير كانت بلاد حضارات ، وبرع أهلها فى بناء وتشييد العمائر العالية ، وكان لى الحظ أن أرى هذه الأبراج العالية كالأعمدة الشاهقة لعنان السماء فى جنوب سلطنة عُمان فى أبريل ١٩٩٦ بعد انتهاء مؤتمر كبار الخبراء العرب فى الطاقة الشمسية والذى عقدته جامعة السلطان قابوس بالتعاون مع اليونسكو ، وكان هذا النظام من العمائر منتشرًا فى جنوب الجزيرة العربية فى بلاد الحضارات القديمة والتى عاشت فى رغد من العيش ، وكان منها :

﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾

(الفجر : ٧ ، ٨) .

وكانت هذه المدن تقع دائماً على دروب السفر للتجارة والتى تصل ما بين جنوب الجزيرة وشمالها .

لقد انقطع المطر ثلاث سنوات متتالية على إرم ذات العماد ، وفى يوم ما أصبح قوم عاد فى ديارهم وقد ساق الله عليهم السحابة السوداء التى اختارها ودخلت عليهم من واد يقال له : المغيث ، فلما رأوها ـ فرحوا واستبشروا وظنوها سحابة ممطرة ، تروى زرعهم ، وتسقى أنعامهم ، وتنقذهم من الهلاك الذى هم فيه إلا أن الله أرسل إليهم هذه الريح المهلكة ، لشركهم به وعصيانهم لنبيهم هود .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ ﴾

(الحاقة : ٦ ، ٧) .

والريح الصرصر العاتية كما ورد فى كتب التراث هى تلك الريح الحلزونية العاصفة ، والتى تسمى علمياً *Tropical Cyclones* (الأعاصير المدارية) لأنها تقع داخل المنطقة المحصورة ما بين مدارى الجدى والسرطان على الأرض (أى ما بين خطى عرض ٢٣,٥ شمالاً وجنوباً على الكرة الأرضية) ، وهذه الأعاصير المدارية تأخذ أسماء مختلفة فى العالم ، فالبعض يسميها : هرقل كما فى الولايات المتحدة الأمريكية إذا كانت غاية فى العنف أو ترنادو إذا كانت أقل عنفاً .

وفى حالة الأعاصير المدارية العنيفة قد تزيد سرعة دورانها عن مائتى كيلومتر فى الساعة فى بعض الأحيان ، كما يبلغ قطر الدائرة التى تدور فيها خمسين كيلو مترا أحياناً وهى قادرة على حمل الإنسان والحيوان لارتفاعات عالية ثم إسقاطهم على الأرض ويسميها العرب ريح حسومات وهذا ما حدث تماماً لقوم عاد ، ولكن بريح حسومات ، غاية فى العنف والقوة . وهذه الأعاصير المدارية لا تتكون إلا فوق المحيطات عند خطوط عرض ١٥° تقريباً ، ثم تتحرك فى اتجاه الشواطىء المطلة

على المحيطات ، وجنوب جزيرة العرب يطل على المحيط الهندى والأحقاف تقع على خط عرض ٢٠° شمالاً تقريبا وهذه الأعاصير لا يمكن أن تصل لشمال الجزيرة العربية أو مصر .

هذه الريح هى التى أهلكت قوم عاد . وهذه رغم حركتها الدورانية الحلزونية فإنها تتحرك حركة أفقية أيضاً ، وقد تقطع فيها آلاف الكيلو مترات فى أكثر من أسبوع كتلك التى تقطع جنوب الولايات المتحدة الأمريكية .

من هنا يتبين أن قوم عاد الساميين بجنوب الجزيرة العربية (الربع الخالى) لم يكن لهم أدنى علاقة بالمصريين القدماء الحاميين سكان وادى النيل بشمال أفريقية وهذا يدحض ادعاء أن قوم عاد هم الذين بنوا أهرامات الجيزة ، حيث إن الأهرامات مشيدة عند خط عرض ٣٠° شمالا وخط طول ٣٠° شرقا .

ونود أن نذكر أن القرآن الكريم لم يذكر صراحة أن طول قوم عاد كان بين الخمسة عشر مترا والعشرين ، ولكن هذا الطول كان تفسيرا

فقط لقوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ﴾ (الأعراف : ٦٩) .

ولم يثبت علمياً وجود مخلوقات عملاقة على اليابسة بهذا الشكل .. اللهم إلا بعض أنواع الديناصورات .. وحسب علم الأنثروبولجى فإن الإنسان الحالى لم يتغير فى هيئته ، أو أبعاده كثيراً عن إنسان ما قبل التاريخ .

ولقد زرت متاحف التاريخ الطبيعى فى كل من برلين وبون بألمانيا ، لندن ، باريس ، مدينة دنفر عاصمة ولاية كولورادو الأمريكية . ومتحف الأنثروبولوجيا بلوس أنجلوس بكاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وڤيينا بالنمسا ، وملبورن بولاية ڤيكتوريا بجنوب شرق أستراليا ، وبودابست بالمجر وتتفق جميعا فى أن أجداد الإنسان الحالى *Homo Sapiens* والذين عاشوا منذ حوالى مائتى ألف عام لم يطرأ عليهم تغيير كبير لا فى الهيكل العظمى أو أبعاد الجمجمة عن إنسان العصر الحالى .

أليس ذلك إعجازا علميا كبيرا أن يقص علينا القرآن الكريم بأن هذه الكثبان الرملية الخالية من الزرع ، وتلك الصحراء القاحلة الممتدة ، والتى تدوى فيها الرياح يوجد تحتها آثار حضارة لقوم من العرب البائدة .. الذين أعطاهم الله كل شىء ، ولكنهم عصوه ولم يطيعوا نبيه فيهم هود .

ثم يأتى الاستشعار عن بعد والتصوير الرادارى فى نهاية القرن العشرين ليؤكد وجود وديان قديمة تحت هذه الرمال كانت تعج بالمياه وبالزرع والبساتين بعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على نزول الوحى على سيدنا محمد - ﷺ - .

وصدق الله العظيم فى قوله الكريم :

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ٥)

وأيضاً فى قوله الكريم :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ② خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ③ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾

(الرحمن : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) .

من قادة الخلفاء الراشدين

ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

مجاشع بن مسعود السلمى (١)

وجهه عبد الله بن عامر ، والى البصرة إلى (كرمان) ، فحاصر مدنها وفتحها واحدة تلو الأخرى حتى هرب كثير من أهلها إلى (مكران) فأقطعت العرب أرضهم .

الربيع بن زياد الحارثى (٢) :

سيره والى البصرة عبد الله بن عامر بتوجيه من الخليفة لفتح (سجستان) فاستولى على حصن (زالق) بعد أن أسر (دهقانة) فاقتدى منه وصالحه على صلح أهل فارس ثم فتح (كركويه) و (روشت) و (زرنج) ووادى (سناروز) ثم عاد الربيع إلى البصرة بعد أن استخلف عليها عاملا من قبله .

عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب (٣) :

ثم عادت بعض مدن (سجستان) للتمرد من جديد ، وطرد أهل (زرنج عامل الربيع بن زياد ، فولى عبد الله بن عامر ، عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب على سجستان فخرج إليها وحاصر (زرنج) فصالحه مرزبانها على ألفى ألف

(١) البلاذرى ، « فتوح البلدان » ص ٣٩٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .

درهم وسار بعد ذلك من (زرنج) إلى (الكش) ناحية بلاد الهند حتى انتهى إلى جبل (الزوز) وهو جبل يضم معبداً به صنم ، عيناه ياقوتتان وجسمه من الذهب المرصع بالجوهر ويقال لهذا الصنم (زوز) ، فقطع عبد الرحمن يدى الصنم وأخذ الياقوتتين وقال للمرزبان : « دونك الذهب والجوهر ، وإنما أردت أن أعلمك أنه لايضر ولا ينفع .

وواصل عبد الرحمن المسير ، وفتح (كابل) و(غزنة) ، ثم عاد إلى (زرنج) فأقام بها حتى مقتل عثمان ـ رضى الله عنه ـ فاستخلف عليها (أمين بن أحمد) وانصرف .

ولما تم لعبد الله بن عامر هذا الفتح العظيم ، قيل له : « لم يفتح لأحد ما فتح عليك » فقال : « لأجعلن شكرى لله أن أخرج محرما من موقفى هذا » فأحرم بعمرة من نيسابور ، واستخلف على (خراسان) قيس بن الهيثم .

عمرو بن العاص :

وفى سنة ٢٥ هـ نقض أهل الإسكندرية عهدهم مع المسلمين ، بعد أن كتبوا إلى امبراطور الروم يغرونه بغزو مصر من الإسكندرية ، فبعث إليهم (معويل الخصى) فى قطع من الأسطول البيزنطى ، تحمل جيش الروم ، الذى نزل شواطىء الإسكندرية ، وأغار على ماجاورها من البلاد ، وسار الروم فى أرجاء مصر السفلى تنهب الغلال والأموال .

وعندما أشار خارجة بن حذافة قائد جند حصن بابليون على عمرو بن العاص والى مصر بأن يخرج لمناجزة الروم قبل أن ييأس أهل مصر منهم ، فينضموا إلى الروم فتسوء العاقبة ، ولكن ابن العاص أجابه قائلا : « دعهم يسيروا إلىّ فإنهم يصيبون من مروا به فيخزى بعضهم ببعض » .

وعندما اقترب الروم من (نقيوس) خرج لهم عمرو بن العاص من حصن (بابليون) على رأس خمسة عشر ألفا ، والتقى الجيشان تحت أسوار حصن نقيوس على شاطىء نهر النيل ، وأبلى قائد جيش المسلمين بلاء عظيما فى القتال ولم يرهبه سقوط فرسه من تحته صريعا ، وتضعضعت جموع المسلمين ، وولى بعضهم الفرار ، فازداد عمرو عزما وإقداما على النصر أو الشهادة ، وعجز أى من الطرفين على حسم الأمر لصالحه ، حتى خرج من بين صفوف الروم من يطلب المبارزة ، فأجابه رجل يقال له (حومل) فاقتتلا طويلا برمحين فلم يغلب أحدهما الآخر ، فألقى كل منهما بالرمح وجردا سيفيهما ، ووقف الجيشان يشهدان النزال الذى انتهى بمقتل الفارس الرومى وإصابة (حومل) بجراحات توفى متأثرا بها بعد ذلك .

وتأثرت الجموع بالمبارزة ، وأراد كل رجل من المسلمين أن يصنع صنيع حومل ، واندفعوا يطلبون الشهادة فتراجع الروم وولوا الأدبار إزاء إقدام المسلمين وانسحبوا تجاه الإسكندرية للاحتماء بحصونها يحطمون ويدمرون كل ما صادفهم من ممتلكات المصريين .

وواصل عمرو مطاردة فلول المنهزمين ، فضرب الحصار حول أسوار الإسكندرية ، ومالبث أن اقتحمها ، وتتبع جنود الروم بالقتل أينما وجدوا ،

وكان (معويل الخصى) قائد الجيوش البيزنطية الغازية ضمن القتلى .

وهكذا أعاد عمرو بن العاص فتح الإسكندرية ، وفى هذه المرة لم يدع عمرو أسوار الإسكندرية كما فعل فى المرة الأولى ، وإنما سواها بالتراب ، حيث كانت تلك الأسوار هى النقطة الحصينة ، التى تجمع خلفها الروم يعبئون قواتهم بعد نزولهم الإسكندرية ، وهو نفس الموقع ، الذى حاولوا الامتناع به بعد هزيمتهم فى نقيوس(١) .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح :

وأراد الخليفة عثمان بن عفان - رضى الله عنه - أن يقتصر عمل عمرو بن العاص فى مصر على قيادة الجند بها ، فأسند إلى عبد الله بن سعد بن أبى سرح الولاية على خراج مصر ، ورفض عمرو قرار الخليفة قائلا : « أنا إذاً كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها »(٢) ويبدو أن الخليفة رأى أن الحالة التى أوجدها الغزو البيزنطى لمصر وتحالف بعض العناصر المصرية مع هذا الغزو يستوجب تفرغ عمرو تماما لمجابهة هذا الخطر ، لكن الأخير رفض لإحساسه بأن هذا القرار ينطوى على تعريض بأمانته ، فجمع عثمان ولاية مصر لعبد الله بن سعد بن أبى سرح .

وبدأ عبد الله بن سعد ولايته على مصر بأن بعث المسلمين فى جرائد الخيل ، فيصيبون من أطراف إفريقية ويغنمون (٣) ، وكان يكتب إلى الخليفة عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، وقربهم من حوز المسلمين(٤) ويستأذنه فى غزو إفريقية ، وعرض الخليفة الأمر على الصحابة .

المسور بن مخرمة :

يورد المالكى فى رياض النفوس رواية للزهرى ، عن المسور بن مخرمة ، قال : « خرجت من منزلى بليل طويل ، أريد المسجد ، فإذا عثمان - رضى الله عنه - عند مصلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يصلى ، فصليت خلفه ، ثم جلس فدعا ليلاً طويلاً حتى أذن المؤذنون ، ثم قام منصرفا إلى بيته ، فقمت فى وجهه ، فسلمت عليه ، فقال : ياابن مخرمة ، واتكأ على يدى ، إنى استخرت الله فى ليلتى هذه فى بعث الجيوش إلى إفريقية ، وقد كتب إلى عبد الله بن سعد يخبر بخبره مع المشركين ، وغلبهم وقرب حوزهم من المسلمين ، فقلت : خار الله لأمير المسلمين ، قال : فما رأيك يا ابن مخرمة ؟ قلت : اغزوهم . قال : اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستشرهم ، فما أجمعوا

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٣ .
(٢) المالكى ، كتاب ، رياض النفوس ، ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس جـ ١ ص ٨ القاهرة ١٩٥١ ، البلاذرى ، ، فتوح البلدان ، ص ٢٦٧ .
(٣) المالكى ، كتاب رياض النفوس جـ١ ص ٨ .
(٤) ابن عبد الحكم ، ، فتوح افريقية والاندلس ، ص ٤٢ .

عليه فعلته ، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته ، ولتكن أنت رسولى إليهم ، واحضر معهم »[1] .

سعيد بن زيد :

وفى مجلس الشورى رفض سعيد بن زيد غزو إفريقية متمسكا برأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ الذى كان قد نهى عمرو بن العاص عن غزو إفريقية بقوله : « لا إنها ليست بإفريقية ، ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها ، لايغزوها أحد ما بقيت »[2] .

الصحابة يلبون النداء :

على أن الصحابة فى النهاية استقروا على غزو إفريقية ، فاستنفر الخليفة المسلمين وندبهم للخروج للجهاد ، فتوافدت عليه الجموع ، وكان الصحابة فى المقدمة ، منهم : معبد بن العباس ابن عبد المطلب ، ومروان بن الحكم بن أبى العاص ، والحارث بن الحكم ، وعبد الله بن الزبير ، والمسور بن مخرمة بن نوفل ، وعبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وعاصم بن عمر ، وعبيد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وبسر بن أرطأة بن عويمر العامرى ، وأبو ذؤيب : خويلد بن خالد الهذلى[3] ، وجعل عثمان قيادة الجموع التى توافدت عليه للحارث بن الحكم حتى يصلوا إلى مصر ؛ لتتجمع قيادة الجيوش كلها لعبد الله بن سعد بن أبى سرح .

ووقف عثمان بن عفان خطيبا فى جموع المتطوعين للجهاد : « قد استعملت عليكم الحارث بن الحكم حتى تصلوا إلى عبد الله بن سعد ، وقد قدمت عليكم عبد الله بن سعد لما علمت من ثقته ودينه ، وحسن رأيه وشجاعته ، وأخذت عليه العهد والميثاق أن يحسن لمحسنكم ، ويتجاوز عن مسيئكم ، ولا يحمله غرض الدنيا على هلاك رجل واحد منكم ، وأرجو لعبد الله أن يقف عند عهدى وأمرى ، وأوصيكم وإياه ألا تهولنكم كثرة العدو ، وقد علمتم ما أنزل الله عليكم ، حيث يقول

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

(البقرة آية : ٢٤٩) .

أما علمتم أن أول هذه الأمة مانصروا إلا بكثرة الصبر ، وقوة اليقين ؟! ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أستودعكم الله وهو خير الحافظين ، سيروا على بركة الله ، وعليه فتوكلوا ، وبه ثقوا »[1] .

---

(١) المالكى « رياض النفوس » ص ٨ ، ٩ .
(٢) ابن عذارى المراكشى ، « البيان المغرب فى اخبار المغرب » ، تحقيق ليفى بروفنسال جـ ١ ص ٢ / طـ / بيروت .
(٣) البلاذرى ، « فتوح البلدان » ص ٢٦٧ .
(٤) ابن عذارى ، « البيان المغرب فى اخبار المغرب » ، ١/٩ .

وسار جيش المدد بقيادة الحارث بن الحكم حتى وصل إلى مصر ؛ لينضوى تحت لواء عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وبلغ عدد الجيش عشرين ألفا [1] .

وخرج ابن سعد على رأس الجيش بعد أن استخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى حتى بلغ برقة حيث كان عقبة بن نافع الفهرى ؛ مرابطا فيها فيمن معه من المسلمين [2] ومن برقة واصل الجيش زحفه تجاه إفريقية ، وبلغ طرابلس حيث كان أهلها قد تحصنوا داخل أسوارهم ، فلما استعصى على المسلمين اقتحامها عدلوا عن محاولة فتحها ؛ ليواصلوا المسير نحو هدفهم الأساسى .

وبلغ الجيش فى زحفه (قابس) فوجدوا الروم قد تحصنوا داخل أسوارها ، فآثر عبد الله بن سعد أن يبث السرايا فى آفاق إفريقية ؛ لمهاجمة تجمعات الروم حيثما وجدوا ، فاضطر (جرجير) ملك إفريقية إلى الخروج من (سبيطلة) حاضرة ملكه لملاقاة جيوش المسلمين على رأس جيش قوامه مائة وعشرون ألف مقاتل[3]

والتقى الجيشان بمكان بينه وبين مدينة سبيطلة يوم وليلة ، فأقاموا هناك يقتتلون كل يوم ، وراسل عبد الله بن سعد (جرجير) يدعوه إلى الإسلام ، أو الجزية فامتنع منهما ، وتكبر عن قبول أحدهما ، بل ووعد من يقتل عبد الله بن سعد بن أبى سرح بمكافأة مائة ألف دينار ، وأن يزوجه ابنته (ابنة جرجير) فأمر عبد الله بن سعد مناديا ، فنادى بأن من يقتل جرجير له مائة ألف دينار ، وابنة جرجير ، وأن يكون واليا على أفريقية .

عبد الله بن الزبير :

ورأى عبد الله بن الزبير أن المعركة قد طالت بلا نتيجة حاسمة ، فأشار على عبد الله بن سعد بقوله : « إن أمرنا يطول مع هؤلاء ، وهم فى أمداد متصلة ، وبلاد هى لهم ، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت أن تترك غدا جماعة صالحة من أبطال المسلمين فى خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم فى باقى العسكر ، إلى أن يضجروا ويملوا ، فإذا رجعوا إلى خيامهم ، ورجع المسلمون ، ركب من كان فى الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال ، وهم مستريحون ، ونقصدهم على غرة ، فلعل الله ينصرنا عليهم » .

فأحضر عبد الله بن سعد جماعة من أعيان الصحابة ، واستشارهم ، فوافقوه على ذلك ، فلما كان الغد فعل عبد الله ما اتفقوا عليه ، وأقام جميع شجعان المسلمين فى خيامهم ، وخيولهم ، عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم إلى الظهر قتالا شديدا ، فلما أذن بالظهر هم الروم بالانصراف على العادة ، فلم يمكنهم ابن الزبير ، وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم .

« يتبع »

---

(1) المالكى ، « رياض النفوس » ص ١٠ .

(2) ابن الأثير ، « الكامل فى التاريخ » ٤٣/٣ .

(3) المصدر السابق

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:

السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ سامى فهمى أبو عجور :

ماهو الميقات الزمنى الذى يمكن للإنسان فيه أن يحرم بالحج ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد ، فنفيد بأن الله تعالى قال فى كتابه الكريم :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٩) .

وقال تعالى :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

(البقرة : ١٩٧) .

الحج عبادة كالصلاة والصوم ، فهو ركن من أركان الإسلام الخمسة له ميقات يؤدى فيه ، ولا يصلح قبله ولا بعده ، وقد أجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج : شوال - وذو القعدة - واختلفوا فى ذى الحجة هل هو بكماله من أشهر الحج ، أو عشرة منه فقط ، والصحيح أن الشهر كله من أشهر الحج ، لأن رمى الجمرات فى منى يكون بعد العشر ، وكذلك طواف الإفاضة يمكن أن يؤدى فى الشهر كله بلا خلاف . ولو أحرم الإنسان بالحج قبل دخول شهر شوال ، لا يصح حجه . قال بذلك ابن عباس رضى الله عنهما وكذا قال به ابن عمر وجابر . هذا فى الحج أما فى العمرة فليس لها ميقات زمنى معين فكل أشهر السنة ميقات لها . هذا والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ ن . ع :

رجل حج فى العام الماضى وكانت عليه ديون كثيرة ولم يسددها فقيل له : إن حجك باطل ، فهل بطل هذا الحج فعلا ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ، فنفيد بأن الله - تبارك وتعالى - قد فرض الحج على المسلمين لمن استطاع إليه سبيلا ، والاستطاعة تشمل الصحة والمال وأمن الطريق ، فإذا توافرت هذه الشروط فقد وجب الحج ، والرجل الذى عليه ديون مالية فإن عليه سدادها قبل تأدية الحج إن كان الدين حالا ، فإذا كان مؤجلا لابد من استئذان صاحب الدين إن كان المدين عنده رصيد يكفى لسداد الدين ، وإن لم يتبق معه شىء فلا حج عليه ، لأنه أصبح غير مستطيع ، لأن سداد الديون مقدم على تأدية فريضة الحج ، لأن الدين يجب سداده ، ومادام قد أدى هذا الرجل الفريضة فإنها سقطت عنه ، ولا يبطل الحج ، ويجب على هذا الرجل المسارعة بسداد دينه حتى يتقبل الله منه ، والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ محمد إسماعيل :

من الله علىّ بالحج فى العام الماضى ، وأرغب فى الحج عن والدى الذى توفاه الله قبل أن يؤدى الفريضة ، فهل يجوز ذلك شرعا وهل يصل ثواب الحج إلى والدى ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد ، فنفيد بأنه لا مانع شرعا من أن تؤدى فريضة الحج إنابة عن والدك الذى توفى قبل أن يؤديها ، وخاصة أنك قد أديت الفريضة أولا عن نفسك حيث ذهب رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له : يارسول الله والدى توفى ولم يحج أفأحج عنه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أرأيت إن كان عليه دين أكنت مسدده ؟ قال : نعم : قال : فحج عنه فإن دين الله احق بالقضاء . هذا وإن ثواب تأدية هذه الفريضة التى هى من أركان الإسلام تصل إلى روح والدك إن شاء الله ، والله أعلم .

السؤال مقدم من السيد/ الحاج منير خويصات :

بعد ثلاثة أشواط فى الطواف تعبت فجلست للراحة ثم أكملت الطواف ، فهل يصح ذلك ؟ أم لابد من استئنافه من الأول ؟ وما الحكم إذا انتقض الوضوء أثناء الطواف .. هل يبطل مافات .. أم يجوز أن يبنى عليه لو تطهر ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبعد .

فنفيد بأن موالاة السعى بين الأشواط فى الطواف شرط لصحته عند مالك وأحمد ، فإذا كان هناك فاصل يسير لغير عذر فلا يضر ، وإن كان كبيرا فإن كان بعذر فلا يضر ، أما إن كان بغير عذر بطل الطواف ، أما الموالاة عند الحنفية والشافعية فهى سنة ، فلو كان هناك فاصل طويل بغير عذر لا يبطل الطواف ، ويبنى على ما فات ويدل عليه ما رواه سعيد بن منصور عن حميد بن زيد قال : رأيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، طاف بالبيت ثلاثة أشواط أو أربعة ثم جلس يستريح ، فقام فبنى على ما مضى من طوافه ، ومما يؤكد أن الفصل بين أشواط الطواف لا يضر أن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أيضا ـ كان يطوف بالبيت فأقيمت الصلاة فصلى مع القوم ، ثم قام فبنى على ما مضى من طوافه ، ولم يعارضه أحد من الصحابة .

ومن المعلوم أن من شروط صحة الطواف الطهارة ، فلو أحدث فى أثناء الطواف خرج وتوضأ ثم يدخل إلى دائرة المطاف ويبنى على ما فات ليكمل الطواف ـ والله أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ حيدر الأصفهانى :

رجل له رأس مال يتجر فيه يكفى حاجته وحاجة من تلزمه نفقته ولا يفضل منه شىء إذا حج به فهل يجب عليه الحج ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وبعد .

فنفيد بأن رأس المال الذى يفى حاجتك وحاجة من تلزمك نفقتهم لا يجوز إنفاقه كله فى أداء فريضة الحج ، فإن ذلك سيترتب عليه ضرر كبير لك ولمن تلزمك نفقتهم ، فمثل هذه الحالة تدخل فى عدم الاستطاعة ، فأنت مسئول عن نفسك وعن أهلك ، والتقصير فى ذلك منهى عنه ، واشترط الإمام أحمد بن حنبل أن يكون الفاضل من هذا المال بعد نفقة الحج ما يكفيك وأهلك على الدوام ، وعليه فلا يجوز لك أن تنفق رأس مالك فى تأدية فريضة الحج وتعود معدما فإن هذا لا يتفق مع روح الشريعة الإسلامية التى لا تحب لأهلها أن يعيشوا فقراء ضعافا ، فأين هذا من قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن لربك عليك حقا ، ولبدنك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه » ، وقوله : « إن

الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ، وقوله : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » ، والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال مقدم من السيد/ إبراهيم موسى النمر :

هل الزوج ملزم بأن يدفع تكاليف أداء زوجته لفريضة الحج ؟ وهل للزوج أن يأخذ من مال زوجته ليؤدى فريضة الحج ؟

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد ، فنفيد بأنه لا يلزم الزوج لزوجته إلا بنفقتها من مأكل وكسوة ومسكن ، أما أن يدفع تكاليف حجها فليس بواجب عليه ، فالحج فرض على القادر المستطيع ، فإن كانت الزوجة تملك مالا يكفى للحج وجب عليها الحج من مالها هى ، ولا يلزم الزوج بدفع أى شىء لها ، ولا يعاقب على التقصير ، أما إن تبرع بذلك فهو خير له ، وله ثواب على هذا إن شاء الله ، كما أنه لا يجوز للزوج أن يحج من مال زوجته إذا كان لها مال خاص بها ورثته عن أهلها ، أو ملكته من أى جهة كانت ، فهو حق خالص لها ، ويجب عليها الحج منه ، ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا منه ليحج إلا بإذنها ورضاها ، قال تعالى :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾

(النساء : ٤) .

ولو استعان الزوج بمال زوجته على سبيل الهبة أو القرض ليحج فلا مانع منه ، ولها ثواب مساعدتها لزوجها على الحج والله تعالى أعلم .

●●●

السؤال من السيد/ م . ع . ح :

ما الذى يضحى به من الأنعام وهل يشترط السن فيما يضحى به ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه يجوز أن تضحى من الأنعام والإبل والبقر والغنم فإذا ضحى من الإبل والبقر تجزىء الأضحية عن سبعة أفراد والشاة عن فرد واحد .

أما من حيث السن للبقر والإبل لا يقل عمرها عن سنتين بشروطها .

وبالنسبة للأغنام لا يقل عمرها عن سنة بشروطها والله تعالى أعلم .

من أعـلام الأزهـر

الشيخ محمد زكي إبراهيم

رائد العشيرة المحمّدية (١)

للأستاذ الدكتور :
محمد رجب البيومي

طلب منى أخى الأستاذ عبد المعز الجزار رئيس تحرير مجلة الأزهر ألا أخلى هذا الباب من حديث عن الراحل الكريم الشيخ الجليل العلامة محمد زكى إبراهيم « رائد العشيرة المحمدية »[1] .

فقد انتقل إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالعلم والفضل ، والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، وقد صادف أقتراح أخى الأستاذ عبد المعز الجزار هوى فى نفسى لأننى تتبعت ما قيل عنه فى الصحف الدينية واليومية فلم أجد من أشار إلى نشأته الأدبية بحديث ما ، وهى مما يجدر تدوينه فى السيرة الكريمة لذاته ، وقد ظهر أثرها فى نتاجه العلمى بحيث شفت عن رقة أسلوبية وسلاسة تعبيرية لا نجدهما عند كثير من الدعاة الفضلاء .

التحق الأستاذ بالأزهر حتى نال أعلى درجات التخصص القديم فى التاريخ والأخلاق ، قبل أن ينشأ تخصص المادة ، وقد امتاز عن زملائه بدراسة لغتين أوروبيتين دراسة أهلته إلى الترجمة عنهما ترجمة دقيقة حازت ثناء المتخصصين ! كما كان مترجما بمصلحة المساحة قبل أن يزاول التعليم فى المدارس مدرساً ومفتشاً ! هذه الثقافة الممتدة دفعته إلى قراءة ما كتب عن الإسلام فى الغرب ، فعلم مقدار ما ارتطم فيه غلاتهم من تأويل سيىء يحتاج إلى تصحيح ، وأكاد أجزم أن ما اطلع عليه من هذه الانحرافات كان دافعه الصريح إلى التعمق فى البحوث الإسلامية ، واستكناه مضامينها منها ، وإذا كان هؤلاء قد أسرفوا إسرافا

(١) انتقل إلى رحمة الله - تعالى - يوم الأربعاء ١٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٩ الموافق ١٩٩٨/١٠/٧م .

لاغيا فى الحديث عن التصوف الإسلامى بما لا يتفق مع الحقيقة ، حين جعلوه أمشاجا متضاربة لفقت من الديانات الهندية والفارسية وبعض الفلسفات الأوروبية ، فإن ولوع الأستاذ بكشف هذه الأباطيل ، قد دفعه إلى قراءة تاريخ التصوف فى سير رجاله ، ثم فى مؤلفاتهم الخالدة ، راجعا إلى الأصول الإسلامية الأولى من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، حتى اقتنع عن يقين بأن التصرف الصحيح هو سبيل الخلاص من وضر الحياة ولغوها الباطل ، وانقلب الدارس الفاحص داعية غيورا للتصوف بعد أن ملىء علما به ، وأصبح حجة فى موضوعه ، وإذا كان ميراثه الروحى من أبيه ووالدته قد عمل فى نفسه عمله الكريم ، فإن ذلك التأثير الوجدانى الخالص قد صحبه تأثير عقلى مكين ، فاندفع إلى التصوف بسلاحين ، سلاح الوجدان المؤمن ، وسلاح الفكرة العاقلة الواعية وهذا مالا يتهيأ لغير القليلين .

ولا أسوق الكلام هنا جزافا دون تدليل ، ولكنى أقدم أول عمل علمى قام به الشيخ الكريم فى هذا المضمار ليكون البرهان الناطق لهذه الدراسة الأدبية الفاحصة ، فقد أتيح له أن يقرأ كتاب (السيادة العربية ، والشيعة والإسرائيليات ، فى عهد بنى أمية) للعلامة المستشرق (فان فلوتن) ، فرأى فى النص الفرنسى الخطأ ممزوجا بالصواب ، وعلم أن الكتاب قد ترجم إلى عدة لغات ، وأصبح له ذكر بعيد المدى فى الدوائر الاستشراقية غربا ، والعربية شرقا ، فأصر على ترجمته مشفوعة بتعليقات كثيرة بين ما تورط فيه المؤلف من

الشيخ/ محمد زكى إبراهيم

أخطاء ، وكان الدكتور حسن إبراهيم حسن المؤرخ المصرى الشهير أستاذا له بقسم التخصص بالأزهر فعرض عليه ما ترجم ليراجعه ، ولكن الدكتور الفاضل كعهده مع تلاميذه فى غير هذا الكتاب رأى أن يكون مشاركا فى الترجمة بإضافات يسيرة ، فقبل الأستاذ عن سماحة نفس ، وخرج الكتاب سنة ١٩٣٤ فشغل الدارسين وقتا طويلا ، وأذكر أن أستاذنا الدكتور محمد مهدى علام كتب عنه تنويها جيدا بالعدد الثانى من صحيفة دار العلوم (أكتوبر سنة ١٩٣٤) قال فيه[٢] .

« ألف هذا الكتاب العلامة « فان فلوتن » وترجمه عن الفرنسية صديقنا وزميلنا الدكتور حسن إبراهيم حسن الأستاذ المساعد بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، وصديقنا وتلميذنا النابه الأستاذ محمد زكى إبراهيم الحائز لإجازة

(٢) مجلة دار العلوم (اكتوبر سنة ١٩٣٤) ص ١٤٤ .

التاريخ والأخلاق من كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية والمترجم بمصلحة المساحة ، وليست قيمة الكتاب الذى بأيدينا راجعة إلى عظمة مؤلفه « فان فلوتن » فحسب ، بل هى راجعة كذلك إلى المترجمين الفاضلين ، ومالهما من خبرة ودراية بالموضوع المترجم ، فالدكتور حسن إبراهيم حسن يعد من كبار المؤرخين الإسلاميين فى مصر بما له من الدرجات الرفيعة فى تلك الدراسة ، وبحكم عمله بالجامعة المصرية ، وزميله وتلميذه الأستاذ محمد زكى إبراهيم شيخ من شيوخ الأزهر الذين تذوقوا الثقافة الأوروبية ، وتخصصوا فى دراسة التاريخ الإسلامى ، لذلك كان للتعليقات التى كتباها على الترجمة ، من نقد وتصويب وترجيح لآراء المؤلف قيمة عظيمة فى كشف كثير من الحقائق التى يكتب عنها بعض المستشرقين كتابة غامضة أو مغرضة ، وقد أحسن المؤلفان بوضع الفهرس الأبجدى الألمانى كما وضعه المؤلف كما أضاف إليه فهرسا أبجديا عربيا » .

هذه الثقافة المتشعبة الواعية كانت ذات عطاء أدبى مماثل فى النقد الأدبى فى أوائل الثلاثينيات ، فقد كان للشيخ زكى إبراهيم مقالات هادفة تنشرها المجلات الأدبية حينئذ ، تارة تكون صريحة باسمه ، وتارة تكون بتوقيع « زكى ـ قايتباى » وقد خص مجلة الرسالة ، وكانت فى سنتها الأولى حينئذ بنقدات هامة ، منها أنها تهتم بكبار الكتاب ولا تلتفت إلى من دونهم من الناشئة ، وأنها تجامل أبناء الأقطار العربية كسوريا والعراق فتفسح لهم من صدرها ماتضيق به أمام النتاج المصرى للشبان ! وإنا أخالف الأستاذ الناقد فيما اتجه إليه لأن الرسالة قد حفلت بنتاج الشباب جوار نتاج الشيوخ ، وإذا كانت قد اهتمت بنتاج شعراء الأقطار العربية فهذا بعض رسالتها فى تأكيد الصلة بين أبناء اللغة الواحدة مشرقا ومغربا ، وأذكر أنه خص الشاعر السورى (أنور العطار) ببعض الملاحظات وليس هنا مجال التعقيب ، ولكنى أقرر بهذا أن الشيخ العالم الشاب كان فى عنفوانه الأدبى جذوة ملتهبة ، تشتعل حمية وصدقا ، ولو أتيح له أن يقتصر الأدب شعرا ونقدا لكان اليوم من كبار أعلامه !

ذكرت الشعر فيما ذكرت ، لأن الأستاذ الشاب كان ينظم الشعر الوجدانى والاجتماعى بإفاضة ، وقد حفلت مجلة (أبوللو) التى كان يصدرها الدكتور أحمد زكى أبو شادى بنماذج ممتازة من شعره ، وهى تحتاج إلى دراسة متأنية يقوم بها باحث متخصص ، وإذا كان شعراء « أبوللو » قد اتجهوا إلى الغزل الحسى فى كثير مما أبدعوه ، فإن الشاعر محمد زكى إبراهيم قد حمل على صفحات المجلة نفسها حملات صادقة على من يترجمون عن أوروبا هذه الأحاسيس البعيدة عن مرامى الفضيلة ، كما حمل على أدعياء الشعر ومن يلوذون بهم من زعماء الأدب كى يصفقوا فيطيلوا التصفيق ، فقد نشر قصيدة فى ستة وتسعين بيتا تحت عنوان (ظلال الضنى) حمل فيها على المتشاعرين دون سليقة ، وعلى المصفقين فى ندوات النفاق ، وعلى من يتخذون شعراء أوروبا مثالهم الأدبى الأعلى ، فكان مما قال(١) :

---

(٣) مجلة ابوللو (يونية سنة ١٩٣٤) ص ١٠٢٧ .

إيه ياشعر كم يلذ بك الوحى ... فصور لنا من الإمعات
كل فسل يعود أفتك بالشرق ... ومصر من الشجى فى اللهاة
رجع الغرب بين جنبيه صوتا ... أبيض الوقع أسود المشتهاة
إن من يحقر الوراثة فيه ... مات بالذل قبل يوم الممات
أنت يامن حملت مصحف (هينى) ... مقبلا مدبرا بغير أناة
يلتوى بالكلام فوك فما تد ... رى الذى لكته من الكلمات

ولعمرى إن الذى يرسل القصيدة تناهز أبياتها المائة فى ضحى عمره الأدبى لجدير أن يكون علما فى ميدان القصيد ! لو جعله شغله الأوحد ، ولكن الرجل قد اتجه إلى الدعوة المحمدية ، والإرشاد الصوفى ، فكان الشعر إحدى وسائله ، إذ كان يرد حوضه حينا بعد حين .

لقد كان الأديب الناقد الشاعر محمد زكى إبراهيم فى الثلاثينيات متفتح النظر إلى ما حوله ، فكان إنتاجه فى هذه الفترة أدبيا خالصا ، ثم راعه أن بحوثا تقدمت للجامعة خاصة بالتصوف الإسلامى ، لأن كتبا استشراقية عن التصوف قد ترجمت للعربية ، وأخرى ألفت تأليفا فى هذا المنحى ، وكلها تصف التصوف الإسلامى بما ليس فيه ، فالاتحاد والحلول ووحدة الوجود أصبحت لدى هؤلاء الباحثين من صميم التصوف الإسلامى ، وضاعت معانى الألوهية والوحدانية وكل صفات الله التى نزل بها القرآن وشرحها الرسول ، ولهؤلاء الدارسين مباهاة واستطالة بأسماء المستشرقين ، وكأنهم كل شىء فى الدراسات الإسلامية ، وفيهم من غلا غلوا فاحشا جعل الصوفى فوق النبى ! ونسب ذلك إلى أصول القرآن عن طريق التأويل المتعسف فشرع الباحث اليقظ يرد على هؤلاء فى الصحف فكانت تنشر ردوده مقتضبة ، وأحيانا لا تنشر أصلا ، فقام فى ذهنه أن ينشىء مجلة خاصة بالتصوف ، وأخذ يعد العدة لذلك ، ثم نظر فى الجهة المقابلة فرأى قوما ينتسبون إلى الطرق الصوفية يأتون من البدع ما ينكره الإسلام ، حين يقومون بمظاهر شاذة هى إلى الشعوذة أقرب منها إلى شىء آخر ، وقد توالت مواكبهم الراقصة المزمرة الضاربة بالدفوف ، وحفلاتهم التى تختلط فيها الرجال ببعض المجذوبات من النساء ، وكلهم فى نظر السذج من بسطاء الريف من أولياء الله الصالحين ، فصاغ لهم الكرامات المزيفة ، وتختلق لهم الخوارق ، وهؤلاء لا تفلح المجلة فى إنقاذهم ، لأن أكثرهم لا يقرأ ، وهنا نذكر صوفية والده السيد التقى إبراهيم الخليل ، وصوفية والدته الشريفة فاطمة النبوية بنت العارف بالله إلى عليان الشاذلى ! إن دماءه لتصرخ فى أعماقه هاتفة به أن يعيد للتصوف كرامته المغتصبة من فريقين ، فريق ينتسب إلى الثقافة فينزع بالتصوف إلى ما لا يعرفه الإسلام من ألفاظ الحلول والشهود والاتحاد ووحدة الوجود ، وفريق جاهل لا يكاد يقرأ ويكتب ، يتخذ الشعوذة والرقص والطبل بابا من أبواب التصوف . . وإذن فلابد من التأليف العلمى لأدعياء الثقافة ، كما لابد من إنشاء طريقة صوفية نقية تكون مثالا عمليا للتصوف الصحيح ، تقدم

النموذج لأصحاب البيارق والدفوف والصاجات ! ثم لابد من إعداد نفر من الدعاة يطوفون المدن والأقاليم ليفهم الناس عن طريقهم معنى التصوف الصحيح ، فوفقه الله لإنشاء معهد الدعاة ، فكان تاليا لما أنشىء من قبل على يد السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمود خطاب السبكى ، وقد قرأت من أرخ لهذا المعهد فجعله سابقا غير لاحق ، والحق أولى أن يدون ، لأن الفضل مشترك بين الفضلاء ، ولن يضيق فاضل بكفاح أخيه ، ولعل اقتصار معهد الشيخ زكى مبدئيا على الدعوة إلى إصلاح الطرق الصوفية كان مرجع هذه الأولية لمن تحدثوا عنها ، وقد كان لهذا المعهد صداه ، فعملت وزارة الأوقاف على ضمه إليها ، ليكون نواة لمثل هذا العمل المبرور ، ثم أنشئت العشيرة المحمدية بكفاح الشيخ وجهاده فكانت عملا رائدا حقا لأنها لم تقتصر على الدعوة الكلامية فى القاهرة ، بل امتدت فروعها إلى الأقاليم ، واتجهت إلى العمل الاجتماعى فأوجدت المستشفيات والأندية الثقافية ودور الحضانة ومدارس تحفيظ القرآن فى ساحة المساجد ، وكلها كانت مثالا يحتذى ، حيث انتشر هذا المنهج الاجتماعى لدى جمعيات تتدافع إلى الخير وتشترك فيه تحت راية الإسلام .

أما مفهوم التصوف لدى العشيرة فهو المفهوم المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله ، وهو أيضا المفهوم المتعارف فى الأمة المصرية ، لأن من يقرأ تاريخ الصوفية فى مصر يجدهم جميعا من المدرسة الغزالية التى تلتزم بالشريعة وترى الفقه الإسلامى أول درجات الحقيقة الخالصة ، وقد تأصل هذا الاتجاه فى مصر على يد الطريقة الشاذلية وأبطالها من أمثال أبى العباس المرسى ، وابن عطاء الله السكندرى ، وعبد الرحيم القنائى ، وأبى الحسن الصباغ ، والسيد البدوى والسيد إبراهيم الدسوقى ! هذا التصوف المصرى منذ وجد يبرأ كل البراءة من معانى التصوف النظرى إذ لا نعلم صوفيا مصريا هتف به ، وما وجد من أقوال ابن الفارض العارف بالله المصرى الكثير منتميا إلى مذاهب الفلسفة العقدية مدسوس عليه ، كما أوضحت ذلك فى مقال كاشف نشرته فى مجلة التصوف الإسلامى منذ حين ، وكذلك ما نسب إلى عبد الوهاب الشعرانى من هذا الاتجاه مدسوس عليه ، وقد نقلت عنه أقوال صريحة تثبت أنه برىء مما زيد فى كتبه من أقوال لا يعلم عنها شيئا ، فإذا كانت هذه الأباطيل قد نسبت إلى العشرانى فى حياته ، وعلى مسمع ومرأى منه ، فكيف بما نسب إلى ابن الفارض وذى النون المصرى بعد رحيلهما إلى عالم الخلود !

لقد آن لنا أن نعلم أن البيئة المصرية بيئة شريعة وسنة ، وأن كتاب الله يسيطر على اتجاه من ينتسبون إلى العلم بها من صوفية وفقهاء ! ولا ننكر أن أدعياء التصوف بمصر قد ألصقوا به ماليس فيه ، ولكن هذا شىء معهود فى كل مناحى الحياة ! ومهمة الباحث أن يميز الطيب من الخبيث ، وأن ينفى الزبد ليذهب جفاء ، ويبقى بعده ما ينفع الناس !

وإذا كان الأستاذ محمد زكى إبراهيم قد انتخب رائدا للعشيرة المحمدية ، فإن شيخنا الصوفى الكبير الدكتور عبد الحليم محمود كان شريكه الوفى فى العشيرة إذ كان وكيلا لها ، وقد هم الأستاذ زكى بالتنازل له عن الريادة ، وكان من المكاشفات الروحية العجيبة أن الشيخ

عبد الحليم قد فطن إلى ذلك قبل أن يهم الأستاذ بالتنفيذ ، فصافحه فى حب ، وقال له لن أبرح مكانى ، ودع ما جال بخاطرك ، ومن صفاء الشيخ عبد الحليم وبركة إيمانه أنه قرأ كلمات للأستاذ محمد زكى إبراهيم عن الطبعة الخامسة من كتاب « المنقذ من الضلال » الذى نشره محققا ومقدما بتمهيد صوفى رائع ، فأصر على أن تكون افتتاحيته للطبعة السادسة من الكتاب وفرح بها كثيرا ، وأنت تقرأ ما كتبه الشيخ محمد زكى إبراهيم عن الدكتور عبد الحليم فتشعر أنه يتحدث عن المثل الرائع للصوفى المخلص كما يتصوره ، يقول الأستاذ الرائد فى المقدمة[1] .

قارىء الدكتور عبد الحليم أو سامعة لا يحس الصنعة فيما يقرأ له أو يسمع منه ، ولكنه يحس القلب والعاطفة والعقل والإيمان ويبصر الأدب والفضل والتواضع والثقة بلا حدود ، كل ذلك ينقدح فى ومضات ولمحات ولفتات . . أما أنا فأقرأ له أو أسمعه ، كأنما أقرأ ما كتبته أو أسمع ما أتحدث به .

إن إخائى بالدكتور عبد الحليم من نوع فريد فقد نلتقى بعد غياب جسدى طويل ، فلا يحدث أحدنا الآخر بأكثر مما يتحدث به زميله الذى لا يفارق ظله ظله ، وفى إيجاز قد يصل إلى الاقتضاب ثم يقنعنا هذا ويكفينا ، ونحصل منه على معانٍ شتى ، وأغراض أكثر يضيق عنها النطق وتعيا بها العبارة وتظل قلوبنا تتناجى فى حرارة ، وتتواصى فى لهفة ، كما كانت قبل هذا اللقاء الجسمانى ، ثم بما تحصله هذه القلوب نكتفى ونشتفى إلى أن تجمعنا الصدفة ، أو القصد مرة أخرى وعندها أعود فأحس كأننا لم نفترق » .

هذه السطور تدفع إلى تأمل مستفيض لأنها تصور حلاوة التناجى على البعد لدى أبناء الطريق ، وتلغى حدود الزمان والمكان بحيث يصير القاصى دانيا ، كما تبطل معانى الثرثرة اللفظية حين يكون النظر بالعين فاتحة لكتاب من المعانى تتلاحق عباراته ، وينهل فيضه غامرا جائشا ، وقد كنا نقرأ مثل ذلك عن أمثال الجنيد والشبلى ، فها نحن أولاء نقرؤه عن عبد الحليم وزكى إبراهيم » .

« يتبع »

---

(١) مقدمة (المنقذ من الضلال) الطبعة السادسة .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ما أجد مزيدًا

قال الحجاج بن يوسف لخريم الناعم : ما النعمة ؟ قال : الأمن ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : فالصحة فإنى رأيت المريض لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : الغنى ، فإنى رأيت الفقير لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى قال : فالشباب فإنى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش ، قال له : زدنى ، قال : ما أجد مزيدا .

حجة بالغة

طلب صديق من الأصمعى قرضا ، فقال له : حباً وكرامة ، ولكن سكن قلبى برهن . . !! فقال له الرجل : ألا تثق فىّ ؟ فأجاب الأصمعى : بلى . . وإن خليل الله إبراهيم - عليه السلام - كان واثقاً بربه وهو يقول له : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

(البقرة : ٢٦٠)

لا تخبر أحدًا

كان الحجاج بن يوسف الثقفى يستحم فى الخليج الفارسى ، فأشرف على الغرق ، فأنقذه أحد المسلمين وعندما حمله إلى البر ؛ قال له : اطلب ما تشاء فطلبك مجاب .

قال له : ومن أنت حتى تجيب لى أى طلب ؟

قال : أنا الحجاج بن يوسف الثقفى .

قال له : طلبى ألا تخبر أحدا أننى أنقذتك !!

بادروا بتأديب الأطفال

قال الشاعر :

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت
ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث فى صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب

حقا

من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ؛ فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته .

عبد الرحمن بن عوف

قال أبو عمر :

لما حضرته الوفاة بكى بكاءً شديدا ، فسئل عن بكائه ، فقال : إن مصعب بن عمير كان خيرا منى توفى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن له ما يكفن فيه ، وإن حمزة بن عبدالمطلب كان خيرا منى توفى على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يجد له كفنا ، وإنى أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته فى حياته الدنيا ، وأخاف أن أحبس عن أصحابى لكثرة مالى .

بين الفضيل والرشيد

كان الخليفة العباسى الرشيد ؛ يحب أن يستمع إلى عظات الفضيل بن عياض - العابد الزاهد - فقال له الفضيل يوما :

ياأمير المؤمنين ، انظر إلى رعيتك فإن الله - تعالى - لم يجعل أحدا منهم فوقك فى الدنيا فأجهد لنفسك ألا يكون أحد منهم فوقك فى الآخرة .

فبكى الرشيد حتى اخضلت لحيته من دموعه .

أنا

طرق رجل الباب على الجاحظ ، فقال الجاحظ : من الطارق ؟ فقال الرجل : أنا ، فقال الجاحظ : أنت والباب سواء .

حلم .. وغدر

قال رجل للمبرد : أسمعنى فلان فى نفسى فأهملته ، وأسمعنى فيك فاحتملته ، فقال المبرد : احتمالك فى نفسك حلم ، واحتمالك فى صديقك غدر .

دعاء

اللهم أعطنى من الحلم أجمعه ، ومن العلم أنفعه ، ومن الرزق أوسعه . واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .

الثقافة والأدب

فى خواطر الإمام الشعراوى

لفضيلة الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

تحدث العلماء عن الأدب ومفهومه فقالوا : هو ذلك الفن الرفيع الذى يصدر جماله عن طبع الكاتب والشاعر فى الكلمة التى يرسلها ، والقصيدة التى ينظمها ، فتقع على مواضع الحس من النفس فتثيرها حماسة ونجدة ، وتذيبها حنانا ورقة ، وتهزها أريحية وكرما .

وتحدثوا عن اشتقاق هذه الكلمة فقالوا : هو من الأدب بسكون الدال بمعنى الدعاء ، ومن المأدبة للصنيع يدعى إليه الناس ، يقال :

أدب القوم يأدبهم أدبا إذا دعاهم إلى تناول الطعام ، والفاعل منه آداب ، قال طرفة بن العبد :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى   لا نرى الأدب فينا ينتقر

والأدب ـ بفتح الدال ـ جاء فى حديث « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[1] .

وشاعت هذه الكلمة فى عهد بنى أمية واستعملت فى المعنى الخلقى الذى هو طهارة النفس واتصافها بالكمال ، ويرى بعض الباحثين أن هذا المعنى بدأ استعماله منذ بدأ العهد الإسلامى وقد وردت فى شعر بعض الشعراء كقول الشاعر :

لم يمنع الناس منى ما أردت ولا   أعطيهمو ما أرادوا حسن ذا أدبا

(وحسن) بسكون السين أصلها حسن بضم السين ثم نقلت ضمة السين إلى الحاء ثم سكنت السين لمراعاة الوزن والتخفيف .. ذكر ذلك البغدادى فى خزانة الأدب .

---

(١) اخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٤ عن ابن مسعود .

ورأى بعض النقاد أن الأدب يعنى الثقافة العامة وهى الأخذ من كل فن بطرف .

وقال الجواليقى فى شرح أدب الكاتب : واصطلح الناس بعد الإسلام بمدة طويلة على أن يسمو العالم بالنحو والشعر وعلوم الأدب أديبا ، ويسمو هذه العلوم الأدب ، وذلك كله مولد لأن هذه العلوم ظهرت فى الإسلام .

وجاءت هذه الكلمة بالمعنى الخلقى مثل قول الشاعر :

وإنى على ما كان من عنجهيتى ولوثة أعرابيتى لأديب

وقال بعضهم :

كذاك أدبت حتى صار من خلقى

أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

وعرف ابن خلدون معنى كلمة الأدب فقال : هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل فن بطرف . وقال ابن قتيبة : من أراد أن يكون عالما فليلزم فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع فى العلوم .

وأراد أبان بن عبد الحميد اللاحقى أن يبرهن على شخصيته الأدبية فكتب للبرامكة يقول :

أنا من بغية الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح

كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على الفصاح

شاعر مفلق أخف من الريشة مما يكون تحت الجناح

لى فى النحو فطنة واتقاد أنا منه قلادة بوشاح

ثم أروى من ابن سيرين للعلم بقول منور الإفصاح

وظريف الحديث فى كل فن وبصير بترهات الملاح

واللاحقى وهو أديب عباسى يعرض نفسه على البرامكة يستميح عطفهم ويطلب رفدهم ويزكى نفسه أمامهم .. ولم يكن كاذبا فيما قال ، فقد اختبر ونجح فى الاختبار .

وقد سقنا أبياته على سبيل الاستدلال على أن الأدب هو الإحاطة بمختلف الجوانب العلمية والأدبية والفنية مع الاستعداد الطيع للتعبير عن مكنون النفس ومستودع العقل نثرا وشعرا .. وقد كان الشعراوى ـ رحمه الله ـ كذلك .

فقد كان ـ رحمه الله ـ موسوعة علمية فائقة ، اتسع ذهنه لكل علم ، واستجاب طبعه لكثير من الفنون والآداب ، ووهبه الله ذوقا رفيعا وقدرة فائقة على الاستنباط وسرعة الاستشهاد .. وتمكن من أن يستولى على ألباب سامعيه بما يقدمه لهم فى أحاديثه وخواطره من عرض سخى حافل بالمعانى والمعارف فى أسلوب أدبى رائع خال من التكلف والتزويق مطرز بألوان من الحكمة والاستشهادات غير المتكلفة التى تدل على مذخور وافر من الأدب ورصيد كثيف من المعرفة .

أمثلة من حسن عرضه :

ولنستعرض بعض ما جاء فى خواطره لندرك كيف استطاع بأسلوبه الأدبى الرائع أن يقنع السامع مهما كان مستواه بما يريد أن يقدمه من أفكار .

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

(الأنعام آية : ١٥٤) .

قال : نحن إذا سمعنا كلمة « ثم » نعلم أنها من حروف العطف ، وحروف العطف كثيرة ، وكل حرف له معنى يؤديه .

وهنا ﴿ ثم آتينا موسى الكتاب ﴾ وإيتاء موسى الكتاب قبل أن يأتى قوله :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

(الأنعام آية : ١٥١) .

فالتوراة جاءت ثم الإنجيل ثم القرآن ككتاب خاتم ، فكيف جاءت العبارة هنا بـ (ثم) مع أن إتيان موسى الكتاب جاء قبل مجىء ، قوله الحق :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾

(الأنعام : ١٥١) .

ونقول لأصحاب هذا الفهم : أنت أخذت « ثم » لترتيب أفعال وأحداث ، ونسيت أن « ثم » قد تأتى لترتيب أخبار ، فقد يأتى من يقول لك :

لماذا لا تسأل عن فلان ولا تؤدى الحق الواجب عليك له ، كحق القرابة مثلا ؟

فتقول : كيف لقد فعلت معه كذا ، ثم أنا فعلت مع أبيه كذا ، ثم أنا فعلت مع جده كذا .

إذن فأنت تقوم بترتيب أخبار وتتصاعد فيها ، وتترقى ، ولذلك قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

فالسيادة جاءت أولا للجد ، ثم جاءت للأب ثم انتقلت للابن ، ثم فى هذه الحالة ليست لترتيب الأحداث وإنما جاءت للترتيب الإخبارى ، أى يكون وقوع المعطوف بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما ، لابحسب زمان وقوع الحدث على أحدهما ، فالمراد الترقى فى الإخبار بالأحداث .

فانظر كيف تم الإقناع بهذا العرض الأدبى السهل الخالى من التعقيد ، المشيد بالشاهد الشعرى الذى جاء ليؤكد مضمون ما يريد دون تكلف .

والاستشهاد يشير إلى اطلاعه الواسع على الآثار الأدبية القديمة . والتى لايقبل عليها إلا كل مهتم بالأدب مقبل على التزود من التراث الذى تركه لنا الأقدمون من شعراء وأدباء .

ومن أمثلة استشهاداته :

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

(آل عمران : ١٤٥)

استشهد بقول شوقى :

كل امرىء رهن بطى كتابه فى الموت ما أعيا وفى أسبابه
عند اللقاء كمن يموت بنابه أسد لعمرك من يموت بظفره
أو لم ينم فالطب من أذنابه إن نام منك فكل طب نافع

وهو يريد أن يدلل على أن الأجل هو حارس الإنسان من الموت ، فما دام هناك أجل باق فلا شىء يميت الإنسان مهما كثرت أسباب الموت وإن انتهى الأجل فأى شىء يميت الإنسان مهما كان تافها .

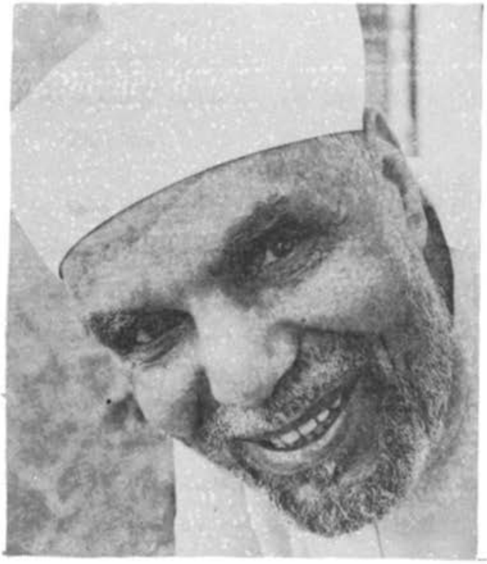

ويذكرنا ذلك بعبد الله بن الزبير الذى كان يلقى أعداءه حاسرا غير دارع ، فقيل له فى ذلك فقال : حارسى أجلى . . ويلقى الشيخ الشعراوى الضوء على أبيات شوقى فيقول :

إن الكتاب إذا انطوى فقد انتهى الأمر ، حتى عندما يلتقى الإنسان بأسد فيستوى الموت بالناب كالموت بظفر الأسد ، فإن نام الموت عن الإنسان فقد يشفيه من أمراضه قرص دواء أو جرعة ماء . أما إن استيقظ الموت فالطب والعلاج قد يكون ذنباً أو أداة للموت .

حاسة نقدية سليمة :

والشيخ الشعراوى حين يقبل على قراءة التراث الأدبى يقبل عليه بعقلية ناقد حصيف ، لايحفظ لمجرد الحفظ ، ولكنه يقرأ ويلحظ فيما يقرأ مقدار الجودة وعدمها ، وكثيرا ما كان يقول لو أن هذا الشعر كان كذا بدلا من كذا لكان أوفق وأجود .

وهو يعرض علينا فى خواطره لونا من ذلك قال عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

(المائدة : ٣٨)

كلمة (حكيم) لها فى حياتنا قصة ، كنا ونحن فى مقتبل حياتنا التعليمية نحب الأدب والشعر والشعراء ، وبعد أن قرأنا للمعرى وجدنا عنده بعضا من الشعر يؤول إلى الإلحاد ، فزهدنا فيه وخصوصا عندما قرأنا قوله فى قصيدته :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لايعاد له سبك

وأخذنا من ذلك القول أنه ينكر البعث ، فقلنا يغنينا الله عنه .

ولكن صديقنا الشيخ فهمى عبد اللطيف ـ رحمه الله ـ رأى المعرى فى الرؤيا ، وكان مولعا بالمعرى ، فجاء إلى ذات صباح ونحن فى الزقازيق وقال لى : يا شيخ لقد رأيت المعرى الليلة فى الرؤيا وهو غاضب منك أنت لأنك جفوته .

فقلت : أنا جفوته لكذا وكذا ، وأنت تعلم السبب فى ذلك .

وقال الشيخ فهمى عبد اللطيف : هذا ما حصل .

وقلت لنفسى : يجب أن أعيد حسابى مع المعرى ، وجئنا بدواوين : « سقط الزند ولزوم ما

لايلزم » ووجدنا أن للرجل عذرا فى أن يعتب علينا ، لأن آفة الناس الذين يسجلون خواطرهم عن أصحاب الفكر أنهم لاينظرون إلى تاريخ مقولاتهم .

وقد قال المعرى قوله الذى أنكره عليه وقت أن كان شابا مفتونا بفكره ، وعندما نضج قال عكسه ، وكثير من المفكرين يمرون بذلك مثل : طه حسين والعقاد ، بدأ كل منهما الحياة بكلام قد يؤول إلى الإلحاد ، ولكنهما كتبا بعد النضج ما يحمل عطر الإيمان الصحيح ، لذلك لايصح لمن يحكم عليهم أن يأخذ بأوليات خواطرهم التى بدءوا بها بالشك حتى يصلوا إلى اليقين .

وجلست أبحث فى المعرى الذى قال :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لايعاد له سبك

فوجدته نفسه الذى قال بعد أن ذهبت عنه المراهقة الفكرية :

زعم المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الأجساد قلت : إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر أو صح قولى فالخسار عليكما

كأنه عاد إلى حظيرة الإيمان . كذلك قال المعرى :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار ؟

وقال بعد ذلك :

تناقض مالنا إلا السكوت له
وأن نعوذ بمولانا من النار

وقلت للشيخ فهمى عبد اللطيف : للمعرى حق فى العتاب وسأحاول أن أعاود قراءة شعره والأبيات التى أرى فيها خروجا سأعدلها قليلا ، وعندما جئت إلى ذلك البيت قلت لو أنه قال : وأنا أستأذنه :

لحكمة مالنا إلا الرضاء بها وأن نعوذ بمولانا من النار

كان أفضل .

فهذه القصة التى ذكرها لنا فى خواطره والتى جاءت فى الجزء الخامس من تفسيره تشير إلى ملكته النقدية ، وأنه كان يقرأ الأدب بروح ناقد . فإذا اجتمعت ملكة النقد مع ملكة الشعر كان صاحبهما أديبا متقنا .

براعة الاستشهاد :

وبراعة الاستشهاد ملكة أخرى لا يجيدها كل الناس ويزيدها قوة حين تأتى بداهة دون تلبث ، وهذه من خصائص الشيخ الشعراوى ، كان يتحدث عن تملك حب النفس من الإنسان فإذا به يستشهد بقول المتنبى فورا :

أرى كلنا يهوى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبأ
فحب الجبان النفس أورثه التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

ومعنى التقى فى البيت :الخوف من الموت والبعد عن طريقه ، وورود الشجاع الحرب مع ما فيها من إتلاف النفس الذى ينافى حبها ، أن الحرب طريقه إلى إثبات وجوده وانتزاع الثناء عليه ، وفى هذا حب لنفسه .

فانظر إلى الشاهد كيف أسعفه بسرعة فى أن يشيد كلامه بالدليل القاطع من أقوال حكيم الشعراء المتنبى ، ويدل ذلك على حفظه لديوان هذا الشاعر المبدع الذى كان يفخر بنفسه ويتحدى بشعره فحول الشعراء .

براعة الاستطراد :

والاستطراد سمة من سمات الشيخ فى عرض خواطره ، ولم يكن فى استطراده يخرج عن الموضوع الذى يتحدث فيه ، ولكنه كان يمت بأقوى صلة له .

نستشهد لذلك بمثل مما جاء فى تفسيره .

كان يشرح قوله - تعالى -

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾

(المائدة : ١١)

وتحدث عن معنى « هم » والهم فى الآية حديث النفس فإذا ما خرج إلى أول خطا النزوع فذلك هو القصد ، فاستطرد الشيخ فى خواطره إلى معانى الهم الأخرى .

قال الهم هو : الأمر الذى لايبارح النفس حديثا ويسبب الغم ، فالهم هو العدو الذى لايقدر أن يقهره أحد ، لأنه يتسرب إلى القلب ، أما أى عدو آخر فالإنسان قد يدفعه .

ثم استطرد إلى قصة عن سيدنا الإمام على تؤكد شراسة الهم وأنه عدو غير مقهور فقال : ونعرف عن سيدنا الإمام على - كرم الله وجهه - أنه كان مشهورا بأنه المفتى ، فهو يستفتى فى الشىء فيجيب عليه لدرجة أن سيدنا عمر نفسه يقول : « قضية ولا أبا حسن لها » أى أنها تكون قضية معضلة إذ لم يوجد أبو حسن لها فيحلها .

وكان سيدنا عمر يستعيذ من أن يوجد بمكان لايوجد به سيدنا على ، وعندما عرف الناس عنه ذلك تساءلوا : من أين يأتى بهذا الكلام ؟

فجاءوا بلغز وانتظروا كيف يخرج منه ، فقالوا : إن الكون متسع وفيه أشياء أقوى من كل الأشياء ، وقوى تتسلط على قوى ، وحاولوا الاتفاق على شىء أقوى من كل الأشياء ، فقال واحد : الجبل هو أقوى الأشياء ، وقال الآخر :

لكننا نقطع منه الأحجار بالحديد ، وبينما هم يسلسلون هذه السلسلة جاء سيدنا على فقالوا له :

يا أبا الحسن ما أشد جنود الله ؟

فأجاب سيدنا على - كرم الله وجهه - كأنه يقرأ من كتاب بدليل أنه عرف جنود الله وعرف الأقوى وحصر عددهم ، وقال سيدنا على : أشد جنود الله عشرة ، وكأنه انشغل بهذه المسألة من قبل ودرسها :

قال الجبال الرواسى ، والحديد يقطع الجبال ، والنار تذيب الحديد ، والماء يطفىء النار ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء ، والريح يقطع السحاب ، وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشىء ويمضى لحاجته ، والسكر يغلب ابن آدم والنوم يغلب السكر والهم يغلب النوم ، فأشد جنود الله الهم .

هذا استطراد ولكنه لم يجىء عبثا بل قصد منه استقصاء معانى الهم ، وقد علل لهذا الاستطراد ، وكأنه أمر مقصود منه فقال :

« ولا يمكننا أن نمر على كلمة « الهم » فى القرآن دون أن نستعرض مواقعها فى كتاب الله ، وأهم موقع من مواقعها نتعرض له من أسئلة الكثيرين فى رسائلهم وفى لقاءاتنا معهم هو مسألة يوسف - عليه السلام - حينما قال الحق - سبحانه وتعالى - بخصوص مراودة امرأة العزيز له :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

(يوسف : ٢٤)

ثم تحدث عن معنى ذلك . . .

براعة الاستشهاد والاستطراد تدلان على اتساع الثقافة :

لاتسعف المتحدث ذاكرته بشاهد إلا إذا كان واسع الثقافة قارئا مجيدا للقراءة فاهما لما يقرأ ، وهذا استعداد نفسى موهوب ، وليس كل قارىء قادرا على استيعاب ما يقرأ ، وليس كل قارىء قادرا على الاحتفاظ بما يقرأ ، فهناك ذاكرة كالغربال لاتمسك شيئا على الرغم من كثرة ما يصب فيها من معلومات . وقد وهب الله شيخنا الشعراوى - رحمه الله - حافظة قوية وذاكرة أقوى، تمده بما يريد حين يريد ، وتقدم له الشاهد تلو الشاهد دون تكلف أو تعقيد ، فما سمعناه مرة يتردد فى شاهد أو يتعثر فى الإدلاء به حين يلقيه . وإنما هو ذهن حاضر وأداء قوى وهذه هبة من الله تعالى يؤيد بها من يشاء ممن وضعهم الله للناس هداة ، ومرشدين وحكماء ومعلمين .

والاستطراد كذلك دليل على الثقافة من حيث إنه يستطرد إلى ما يفيد وإلى ما يعين على تقوية المعنى المقصود ، فليس الاستطراد بغرض الاستطراد ولكنه بغرض الإفادة والتقوية .

ومفهوم الثقافة كما سبقت الإشارة وكما جاء فى مفردات « الراغب الأصفهانى » : الثقف : الحاذق فى إدراك الشىء وفعله ، يقال رمح مثقف أى مقوم ، ثقفته بالتشديد أى أقمت المعوج منه .

والثقافة فى اللغة مأخوذة من مادة ثقف ككرم وفرح ، ويقال : ثقف ثقافة أى صار حاذقا فطنا ويقال : رجل لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، ولها معان غير ذلك منها أن المثقف هو ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، وجاء فى « الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية » للدكتورة فاطمة المحجوب : ثقافة الإسلام هى أفضل ثقافة فى العالم : كما أن الدين الإسلامى هو أفضل الأديان بين العالم ، وقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »[1] .

وقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[2] .

والثقافة تطلق الآن ويراد بها التراث الحضارى والفكرى فى جميع جوانبه النظرية والعملية التى

(١) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ١ ص ١٤ عن ابن مسعود .

(٢) الجامع الأزهر فى حديث النبى الأنور ج١ ص ١٥٥

تمتاز بها الأمة . وقد كان الإمام الشعراوى - رحمه الله - خير ممثل للثقافة الإسلامية بخصائصها المتميزة العميقة . . المؤثرة التى تشهد لصاحبها بالتفرد والإبداع .

جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

(النساء : ١٧٥) .

قال : ما معنى الاعتصام ؟

قديما كان الرجل عندما يقع فى هوة يصرخ ليجذبه إنسان خارج الهوة بيده ، وهذا هو الأصل فى الاعتصام ، أى يستمسك الإنسان بمن ينقذه من هاوية أو كارثة ، والحق يعطى الأسباب فإذا جاءت الشمس وسار فيها إنسان فقد أعطاه الله الشجرة ليستظل بها ، وإذا ما نزل المطر فيمكن أن يستظل بمظلة ، وإذا عطش فالله يعطيه سببا ليأخذ كوب ماء ، والعاقل هو الذى يذكر عند كل سبب من أوجد السبب .

ثم يقول : إياك أيها المؤمن أن تغتر بالأسباب ، لأن عدم الاغترار بالأسباب يحمى الإنسان فعندما تأتيه أمور فى ظاهرها شر فما دام مجريها عليك هو الله فهى خير بالتأكيد لكنك لا تعلم ، وما أضل علم الإنسان فى كثير من المسائل !

إننا نجد من يقول : إنى أدعو الله بكذا ولايستجيب لى ، ويقول : أنك تدعو بأشياء تظنها الخير لك لكن الله يعلم أن هذه الأشياء ليست هى الخير لك لذلك لايعطيها لك ؛ فإن كنت مؤمناً ومعتصماً بالله فأنت تهمس لنفسك : ألى فى هذا الأمر مدخل أم لا مدخل لى فيه ؟

فإن كان فيه مدخل فاللوم على نفسك ، وإن كان أجراه الله عليك فهو خير لك ، ولله حكمته فى ذلك . ثم يستشهد بقول الشاعر وما أروعه من استشهاد :

رضيت بحكم الله فى العسر واليسر وحظى فى الدنيا سواء لأننى
فإن أقبلت كان الجزاء على النجا وإن أدبرت كان الجزاء على الصبر

إلمامه بمختلف النظريات العلمية :

ولم يكن الشعراوى - رحمه الله - بمعزل عن أحدث النظريات العلمية التى ظهرت . . وهو يناقشها مناقشة العالم المستنير البصير بها . . ولتقرأ ما قاله حول نظرية دارون ، وجاء ذلك منشورا فى « صحيفة الأهرام » بتاريخ ١٩٩٨/١٢/٢٠ وقالت الصحيفة : نظرية دارون فى التطور يأخذ بها ويطمئن إليها كثير من العلماء والباحثين ، لكن الشيخ الشعراوى له رأى آخر ، وهذا الرأى مشفوع بتبريرات ومسوغات منطقية تكاد تهدم هذه النظرية من أصلها : فما رأى الشيخ فى ذلك ؟

يقول الشيخ : إنها نظرية استقبلها الناس كحقيقة وهذا خطأ ، وإذا كان التابعون لدارون أولاً : هم الذين فندوا نظريته . ثانياً : فلماذا نتعب نحن أنفسنا فى هذا الموضوع تعبا أقل ما يوصف به أننا نجعل دارون فى كفة وما قاله الله تعالى وآمنا به فى كفة أخرى ؟

وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال .

إن الرد البسيط أن تقول لمن يفتن بهذه النظرية : أين العوامل التى أثرت فى القرد الأول ليصبح إنسانا ؟ لماذا تركت بقية إخوته على حالهم وعلى قرديتهم ؟ ولماذا لم نلحظ قردا آخر يصيبه هذا الدور من الارتقاء حتى يصير إنسانا ؟

وهب أننا سلسلنا الإنسان إلى قرد فالقرد عن ماذا ؟ وماذا عن ماذا ؟

إذن لابد أن يوجد شىء عن شىء وستصل إلى شىء والشىء الأول عن أى شىء ؟ ثم إن الأجناس الأخرى من الحيوان ألها أصل تعود إليه بحيث تجمعها سلسلة واحدة ؟

والنباتات وهى الكائن الحى الأدنى ألها سلسلة أيضا بحيث نستطيع أن ننظمها فى سلك بحيث تنتهى إلى أوليتها وارتقت إلى حلقات ؟

فإن كان ذلك فلماذا لانرى حلقة من حلقات الحيوان أو حلقة من حلقات النبات ترتقى أمام أعيننا إلى النوع الآخر ؟

وقديماً قيل مثل هذا الكلام ولكن بغير هذا الفهم ، على أن آخر شىء فى النبات أول شىء فى الحيوان وهو الإحساس ولكن يظل النبات نباتاً والحيوان حيوانا .

فكذلك الحيوانات قد ترتقى فى بعض خصائصها فتأخذ شيئا من خواص الإنسان وهى القدرة على التقليد ، ولكن تظل حيوانات فلا ترتقى إلى إنسان ، والدليل على ذلك أننا حين نعلم القرد أى عمل فقد يفعله فعلا بدائيا ولكن لايستطيع أن يعلمه لغيره .

إنه لم يكتف بمعرفة هذه النظرية ، بل ناقشها مناقشة العالم الخبير ، وهذه هى الثقافة الإسلامية الواسعة التى لاتقف أمام المستجدات الحديثة موقف الذى لا يأبه ، أو موقف الغافل العاجز ، أو موقف السلبى الذى يقف مكتوف الأيدى كأن الأمر لا يهمه أو يعنيه .

إن واجبه الدينى والعلمى والأدبى والثقافى كان يفرض عليه أن يكون له دور إيجابى من كل هذه المستجدات والقضايا العلمية والفكرية التى تظهر فى مختلف الساعات .

ويطول بنا المقام لو أخذنا نستعرض فى خواطره أمثلة هذا الحضور العلمى والثقافى الذى كان يزود به السامعين والمشاهدين والذى يشهد له بأنه كان على دراية كاملة فى مختلف العلوم الحديثة لا نستثنى من ذلك علوم الفضاء أو غيرها .

لمحات أدبية :

وقد أشرنا إلى أنه كان يستشهد بالشعر وله تعليقات على ما يستشهد به .

تعرض فى خواطره إلى قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

(النساء : ١٢٥) .

إلى مقام الخلة التى تفرد بها إبراهيم - عليه السلام - ، وفرق الشيخ بين الخليل والحبيب فقال : اتخذ الله إبراهيم خليلا . أى اصطفاه الحق اصطفاءً خاصاً . والحب قد يشارك فيه فهو سبحانه يحب واحدا وآخر وثالثا ورابعا وكل

المؤمنين ، لكنه اصطفى إبراهيم خليلا أى لا مشاركة لأحد فى مكانته . . الحب يعم ولكن الخلة لا مشاركة فيها .

وإسماعيل صبرى الشاعر المصرى الذى كان أسبق من أحمد شوقى ، وكان شيخاً للقضاة التقط هذا المعنى من القرآن ومن الألفاظ التى دارت عليه فى القرآن ويقول :

ولما التقينا قرب الشوق جهده خليلين ذابا لوعة وعتابا
كأن خليلا فى خلال خليله تسرب أثناء العناق وذابا

وشاعر آخر يقول :

فضمنا ضمة نبقى بها واحدا

ولكن إسماعيل صبرى قال فى هذا المعنى : لقد تخللنا لأن بعضنا قد ذاب فى البعض الآخر .

وتعرض عند قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾

(النساء : ١١٩) .

لظاهرة استرجال المرأة وتخنث الرجل ، واختلاط الأمر بين الذكر والأنثى حتى أدى ذلك إلى الفساد . . واستشهد الشيخ فى ذلك بقول المرحوم الشاعر الدكتور حسن جاد :

من حيرتى من الذين اللاتى حرت بين الفتى وبين الفتاة

وعلق قائلا :

الشاعر يعلن حيرته لأنه لايتعرف على الفارق بين الفتى والفتاة ، ففى بعض الأحيان صارا من الذين واللاتى معا لأن الفتى يتشبه بالفتاة والفتاة تتشبه بالفتى على الرغم من احتفاظ كل منهما بخصائص نوعه وبما يميزه عن النوع الآخر .

براعة الأسلوب الأدبى

ثم يستطرد شارحا هذه القضية معلقا عليها بأسلوبه الأدبى الرائع ويقول :

لقد سمعنا أن أنف كليوباترا لو كان قصيرا بعض الشىء لتغير وجه التاريخ ، والحق سبحانه كما وزع الأمزجة على العباد وزع أيضا أسلوب الخلق بما يغطى هذه الأمزجة ، ألا ترى فى الحياة اليومية شابا يتقدم لخطبة فتاة فلا تعجبه أو لا يعجبها ، ويأتى آخر فيعجب بالفتاة نفسها وتعجب الفتاة به . هو سبحانه الذى أنشأ السيال العاطفى ليتواءم الخلق بهذا السيال وقد تحاول فتاة أن تغير من خلق الله فتسبب بذلك فسادا للسيال العاطفى .

كلمات مضيئة له :

وللشيخ الشعراوى كلمات مضيئة تشير إلى مكانته الأدبية وعبقريته الفكرية منها ما جاء فى مجلة « اللواء الإسلامى » والتى كما يقول جامعها الأستاذ عبد المعطى عمران : تصلح أن تكون منهجاً ودستوراً للحياة قال :

إذا أردنا أن تكون كلمتنا من رأسنا فلابد أن تكون لقمتنا من فأسنا » .

وإلى جانب روعة المعنى الذى تحمله . فانظر إلى حسن الأسلوب الأدبى الذى عرضت به وإلى الموسيقى اللفظية التى طرزته .

وقال : كل صانع يصنع لصنعته برنامج عملها وقانون صيانتها ، والإنسان صنعة الله فلا يصلحه إلا منهج خالقه .

وقال : إذا هزم المسلمون فى معركة فاعلم أنهم فقدوا شرطا من شروط الخيرية لله تعالى .

انهزم المسلمون فى أحد لأنهم خالفوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فكيف ينصرنا الله ونحن نخالف أوامره كل ساعة ؟

وقال : افتقاد الإنسانية لصفة الإيثار جعل رجالا يعيشون بلا أرض وأرضاً واسعة بلا رجال .

وقال : الله وزع المواهب على خلقه ليكون كل فرد فى المجتمع بحاجة إلى الآخر .

وقال : منهج الإسلام يقيم مجتمع الأمانة والعدالة ، لأن كل فرد فيه يحترم أوامر الله .

وقال : الإنسان لايعرف قيمة النعمة إلا إذا فقدها ، لأن رتابة النعمة قد تلهى عن المنعم .

من شعره :

وللشعراوى - رحمه الله - موهبة شعرية ، لكنه لم يستثمرها ، لأن انشغاله بالقرآن الكريم والعلم شغله عن ذلك ، وقد عرضنا لهذه القضية فى مقال نشرته « مجلة الأزهر » بعنوان : العلماء والشعر .

ويكفى للاستشهاد على شاعريته قوله فى مدح النبى فى قصيدة الإسراء والمعراج :

الله فضله على كل الورى ... أهداه خير العقل والآراء
هو سيد الثقلين طه المصطفى ... يس أكمل من على البطحاء
هو شبل عبد الله فى أقوامه ... هو سبط مطلب حيا الصحراء
هو زهرة من آل هاشم نفحها ... نور الهدى هو دعوة استجداء
مضر نضارة خلقه ثم اصطفى ... منها كنانته بلا إرجاء
ثم اصطفى منها قريشا واصطفى ... الهادى فأشرق صفوة الآباء
فهو الخيار من الخيار من الملا ... قاصى المفاخر أيما إقصاء

رحم الله شيخنا الشعراوى رحمة واسعة ، وجزاه عما قدم للإسلام والمسلمين خير جزاء .

زكي مبارك

وتأصيل الثقافة الإسلامية

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد

يظهر مما سبق أن الدكاترة « زكى مبارك » كان من أوائل الداعين إلى تمجيد الثقافة العربية ، كما كان من العاملين على النهوض بها والذود عنها إيمانا بقدرتها على تعبئة المشاعر والأفكار والوجدان الجماعى ، تماما كما دعا إلى تكوين شخصية للأدب العربى تأخذ بالأصالة والتجديد[1] بلا محاكاة أوتقليد ، وتجمع حولها عقول العرب وقلوبهم بحيث تستقل بطابعها استقلالا تاما عما تدفع به إلينا كل يوم ثقافة الغرب .

وليس من شك أن وحدة الثقافة فى الأمة العربية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإسلام ، فهو الذى وسع نطاقها وفجر ينابيع القوة والحيوية ، وأصبحت به مفخرة لكل عربى يعتز بعروبته وتراثا مجيدا للمسلمين والنصارى على السواء .

• الكاتب : مدرس الصحافة بكلية الآداب ـ جامعة المنصورة .

(١) جريدة البلاغ : ٢٦ أكتوبر (١٩٣٠) ، والبدائع جـ ٢ ص ٥٥ .

ويبدو أن « زكى مبارك » كان مدركا لتلك الحقيقة لأنه كان يعانى من سوء تقليد الشرق للغرب بلا تمييز ، فقد اتضح ذلك من قوله : « فليست الثقافة أن تعرف أوهام الغرب ، إنما الثقافة أن تعرف ما يجب أن يعرف ، وقد آن أن يفهم الغافلون أن الأمة التى يحفظ أطفالها القرآن الكريم هى أهدى من أمثال الأمة التى يحفظ أطفالها أقاصيص لافونتين [1] .

وزكى مبارك لا يسوق هذا الرأى عن تعصب لثقافة العرب الإسلامية ـ وهو تعصب شريف ـ إنما يسوقه إقرارا لحقيقة لا يجهر بها كثيرون غيره خوفا من أن يتهموا بالرجعية ، وهو اتهام لا يقيم له « مبارك » وزنا وخاصة أنه آمن « أن القرآن ليس ملكا للمسلمين فقط ، إنما هو ملك للإنسانية جمعاء [2] ، وهو بهذا يستدل على أن الإسلام جسر متين يربط بين الثقافة العربية من جهة وبعناصر القومية العربية من جهة أخرى ، وتلك ظاهرة هامة تقتضى التعرف على موقف « مبارك » من قومية الإسلام .

القومية الإسلامية :

نظر « مبارك » إلى القومية الإسلامية على أنها من أهم دعائم القومية العربية ، وذلك لوثيق العلاقة بينهما ، فالعروبة وعاء الإسلام والإسلام روح القومية ، ومن ثم فإن دين الإسلام « ثروة قومية روحية إنسانية يجب أن يحرص على قيمتها ساسة الشعوب » [3] .

والواقع أن حياة « مبارك » فى مجموعها تمثل عدة جهود مبذولة فى خدمة دين الإسلام ، فهو يرى أن الدين عامل مهم فى التقريب بين الجموع وبناء الإخاء ، حتى أن « الناس لا يستطيعون التعاون على بناء الوطن إلا إن استطاعوا التعاون على بناء الإخاء الدينى [4] والإخاء الدينى الذى يصبو إليه « مبارك » هو الذى صوره الرسول الكريم بقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » [5] والذى صوره « شوقى » بقوله :

مقدونيا والمسلمون عشيرة
كيف الخؤولة فيك والأعمام [6]

كما يرى أنه إذا اجتمعت الوطنية الصادقة مع الدين كان الإخاء بين الجموع أقوى وأبقى [7] ويرجع أهمية العنصر الدينى عنده كما يؤكد « محمد على عبد العال » إلى أن الدين

(١) انظر كتابة : المدائح النبوية ـ ص ١٣ .
(٢) المدائح النبوية ـ مرجع سبق ـ ص ١٣ .
(٣) الهلال : اول اغسطس (١٩٨١) مرجع سبق ـ ص ٨٥ .
(٤) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٥) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٦) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .
(٧) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٤ ـ ٦٠ .

« فكر يغوص فى جوهر الأشياء ، وإذا تغلغل فى القلوب فسوف يمنع كثيرا من المجازر البشرية [١] ، وعلى حد قوله : ولو كان للدين سلطان على أرواح الناس لما رأينا شهود الزور يضللون القضاء بلا حياء[٢] ، فهو يدرك أهمية دين الإسلام فى بناء القومية ، وفى نفس الوقت يستبعد أن ينفرد الدين بهذا البناء ، يتضح ذلك من قوله: « الدين ثروة قومية ، وهو عماد من عمد الاستقلال ، لأنه يصحح ضمير الفرد ، والفرد الصحيح الخلق ليس إلا حجرا سليما فى بناء القومية[٣] ، وهو على جانب كبير من الصواب فى هذا الاستبعاد لأن القومية لا تستطيع أن تنهض على أساس من الدين وحده ، كما لا تنهض باستبعاد الدين نهائيا ، ولم يستطع « رمزى موير » وهو من كبار الباحثين فى الوطنية والقومية أن ينكر أثر الدين فى بناء القومية ، وفى ذلك يقول : « لقد عدت وحدة الدين أحيانا عاملا من عوامل القومية ، ورأينا أحوالا لا شك أن الدين كان فيها أحد العوامل القومية القوية »[٤] .

ولا يرى « مبارك » تعارضا ولا تصادما بين العروبة والقومية الإسلامية ، بل هو فوق ذلك يؤمن بأن « القرآن رسالة الإنسانية جمعاء »[٥] ، لذلك فهو يؤكد لقرائه من غير المسلمين « ألا يسيئهم هذا القول ، فليس القرآن ملكا للمسلمين وحدهم ، وفى هذا الضوء يبدو أن « مبارك » لم يبتعد عن الحقيقة عندما رأى أن المسلم والمسيحى فى الوطن العربى أخوان متساندان يتبادلان المحبة والمودة والتعاطف ، بهذا التراث الروحى المشترك ، ويشتركان فى مقومات العروبة كلها ، ويستهدف « مبارك » من هذا المنطلق إثارة غيرة الشرقى وبث حماسه وتكتيل الجهود لمواجهة الغرب الذى صنع ما صنع من أجل تفتيت وحدة العرب والمسلمين ، من خلال « وأد اللغة العربية والعقيدة الإسلامية »[٦] ، ولن ينهض الشرق عند « مبارك » إلا بتماسك قوة الشرق الروحية ، ممثلة فى دين الإسلام ، « وسيعلم المعتدون على الشرق كيف تنهزم قواتهم المادية أمام قوته الروحية فى أمد أقرب مما يظنون »[٧] ، وهو يدرك ـ بلا شك ـ أن وطنه

---

(١) الهلال : المرجع السابق .
(٢) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ ص ٤٠ .
(٣) المرجع السابق ـ ص ٥٥ .
(٤) الدكتور احمد محمد الحوفى : القومية العربية ـ مرجع سبق ـ ٣١٥ .
(٥) الدكتور زكى مبارك : المدائح النبوية ـ مرجع سبق ـ ص ١٤ .
(٦) الرسالة : اكتوبر (١٩٤٣) .
(٧) الرسالة : ٩ سبتمبر (١٩٤٠) .

العربى الكبير يضم مسلمين ومسيحيين ، وأن الجميع كما يتشاركون فى خيرات بلادهم عليهم أن ينهضوا بتبعاتها وحقوقها ، لذلك عندما حث الهمم على النهوض فى مواجهة الغرب دعا الجميع بقوله : « واجبنا . . . ذلك الواجب لا يحتاج إلى تعريف جديد ، فهو مسطور الملامح فى كل قلب ، وله جذور فى كل نفس ، وله سلطان على كل ضمير ، ولا خوف من غياهب المستقبل إذا صحت العقائد والقلوب »[1] ، مما يدل على إيمانه بأن الدين الإسلامى دعامة من دعائم القومية ، وأنه وشيجة قوية من الوشائج التى تربط العرب ـ مسلمين ونصارى ـ وتقوى صلات بعضهم ببعض ، هذا بعكس ما ذهب إليه بعض الأفاضل المخلصين من الدارسين للقومية العربية ، مثل « الدكتور عبد الرحمن البزاز »[2] « ساطع الحصى »[3] ، فليس الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية ولا الرقعة الجغرافية تدخل فى رأيهما بين مقومات القومية الأساسية ، فكلاهما رأى أن التراث الروحى ليس من دعائم القومية العربية ، وهكذا يظهر لنا أن القومية الإسلامية عند « مبارك » كانت تسير جنبا إلى جنب من الدعائم الأخرى فى استراتيجية القومية ، بل أقرب إلى الحق أن يقال أن « مبارك » كان يقدم القومية الإسلامية على الدعائم الأخرى سعيا فى تأكيد أواصر القومية العربية .

زكى مبارك وزعماء الإصلاح :

والواقع أن « مبارك » قد احتذى ـ فيما ذهب إليه ـ حذو المفكرين العظام فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، مثل « جمال الدين الأفغانى » و « الإمام محمد عبد » ، « شكيب أرسلان » وغيرهم ممن استخدموا الصحافة استخداما قويا فى محاربة الفساد وتنبيه الوعى القومى والدعوة إلى التضامن الإسلامى ، وربما كان أقرب إلى « محمد عبده » فى مجال الإصلاح الدينى والعمل على تقوية الجبهة الداخلية ، فقد عكست آراؤه ريادته فى هذا المجال ، فكما أيقظ « الإمام » الشعور الدينى « وأشعر المسلمين[4] بأنهم يجب أن يهبوا من رقدتهم

---

(١) الرسالة : ٩ سبتمبر (١٩٤٠) .
(٢) الدكتور احمد محمد الحوفى : القومية العربية ـ مرجع سبق ـ ص ٣١١ .
(٣) ساطع الحصرى : ما هى القومية ـ مرجع سبق ـ صفحات ٢٥١ ـ ٢٥٢ .
(٤) مجلة الهلال : اول اغسطس (١٩٨١) ـ مقال ، دور الإمام فى التضامن الإسلامى ، ص ١٩ .

لإصلاح نفوسهم وبناء حاضرهم وإعلاء مستقبلهم » ، كذلك فعل « مبارك » فى سبيل إصلاح النفوس ، كما أنه أولى اهتماما خاصا بمكارم الأخلاق مثل : الصدق والإخاء والسماحة ، وبيان أهميتها فى تماسك الأمة وسلامة وحدتها ، ولم يكن ليغفل عن اجتناب المسالب ، مثل « الرياء والضغائن والنمائم والوشايات وشهادات الزور ، إلى غير ذلك مما سماه « مبارك » « بالأخلاق الدينية »[1] ، وجعلها من أقوى أسلحة الدفاع عن النفس فى جسم الأمة ، « فإن الأمة[2] حين تصح فى دينها تظل قوية متينة ، لا يفد عليها واغل إلا دفعته عنها بقوة وجبروت » ، كما تذهب أهمية « الأخلاق الدينية » عند « مبارك » إلى أن من شأنها تأليف القلوب ومحاربة الفرقة وصون الوحدة القومية ، يتضح ذلك من قوله : « لن يكون[3] الدين من مقومات الاستقلال إلا حين يصون الوحدة القومية من التفكك والانحلال .

زكى مبارك والإمام محمد عبده :

ويبدو أنه من أبرز المزايا التى اشترك فيها « زكى مبارك » مع « محمد عبده » ، أنه كان فى قلب بلاد الشرق ، بلاد الخوف والرهبة ـ إن صح هذا التعبير ـ جرىء الفؤاد حر الضمير يجاهر برأيه ويثبت عليه ، وقد جرَّ عليه ذلك كثيرا من الأهوال والمحن ، كما أن كليهما كان مجروح القلب من زعزعة الإيمان فى عصره .

تعليق للباحث :

الواقع أن الاتجاه القومى لزكى مبارك ، قد تناول القومية العربية مدعمة بقومية إسلامية ، ولكن أى القوميتين أجدر بأن تدعم بالأخرى ؟ يظهر مما سبق ذكره أن « مبارك » جاهد جهادا عظيما فى تدعيم الوحدة العربية بأخوة إسلامية ، فجعل بذلك القومية الإسلامية من دعائم الأمة العربية ، ونحن نخالفه فيما ذهب إليه ونرى أنه لو عكس أصاب ، وذلك لشمول القومية الإسلامية وعمومها ، وفضلا عن أن القومية الإسلامية أسبق فى التكوين من القومية العربية ، إذ أن المكون الحقيقى للقومية العربية بجميع أنواعها وفروعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية هو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وباستقراء التاريخ نعلم

(١) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٨ ـ ٦٤ .

(٢) الدكتور زكى مبارك : اللغة والدين والتقاليد ـ مرجع سبق ـ صفحات ٥٨ ـ ٦٥ .

(٣) الرسالة : اغسطس (١٩٣٩) ـ مقال : « الحمد لله على نعمة الإسلام » ، الدوحة : اكتوبر (١٩٨٢) ـ ص ١٤٣ .

أنه الذى جاء بالقرآن ، ودعا إلى الحق ، حتى كانت الهجرة ، فأسست أول مدينة إسلامية تكونت فيها النواة الإسلامية للقومية العربية ، وهى مدينة « يثرب » ، ولم ينتقل النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى جوار ربه إلا وقد تمت وحدة الجزيرة العربية ، ووجدت قومية عربية منظمة لها قانونها وهو القرآن ، ولها نظامها السياسى القائم على تعاليمه ، من عدل ومساواة ، بعد ذلك نهض خلفاؤه (رضى الله عنهم) من بعده بها ، فتجاوزت القومية العربية الجزيرة العربية إلى الفرس وإلى مصر وإلى شمال أفريقيا وإلى أسبانيا وغيرها .

يتضح من ذلك أن القومية الإسلامية هى التى كوّنت تلك الأمة العربية وقوميتها ، وأنها انطلقت من الجزيـرة إلى بلاد فتحتهـا بالإسلام ، وامتزج فيها العرب بغيرهم من سكان البلاد الأصلية .

والمادة المعروضة عن هذا الموضوع تبرز أسبقية وشمول القومية الإسلامية ، عن القومية العربية ، وذلك لائتلاف القومية الإسلامية من أجناس عربية وغير عربية ، ويمكن الاعتذار عن « مبارك » بأنه اعتمد على رأى الجمهور الذى ينادى « بقومية عربية مدعمة بأخوة إسلامية »[1] .

وعلى كل فإن الآراء التى خلفها « زكى مبارك » فى مجال القومية العربية ودعائمها تشكل مدرسة قوية الأثر واضحة المعالم ، ندين له فيها بالفضل ، خاصة أنه ليس موصوفاً بهوى ، ولا متهما بغرض ، ولا منسوبا إلى بدعة محظورة ، ولم يحص عليه رأى يحمل أمانته للغرب ، فجزاه الله - تعالى - خير ما جازى به عالما أمينا عن علمه ودينه وأمانته وبصيرته .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبى - ﷺ - فقال لهم : « بلغنى أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يارسول الله قد أردنا ذلك فقال بنى سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم . فقالوا مايسرنا إنا كنا تحولنا » . رواه مسلم وروى البخارى معناه من رواية أنس .

---

(١) محمد امين هلال : مع القوميتين - الإسلامية والعربية - سلسلة البحوث الإسلامية - العدد ٧١ (١٩٧٤) ص ٨٨ .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

الحج رحلة مقدسة ، يهاجر فيها المسلم إلى ربه جل شأنه ، تاركا وطنه وأهله وماله ، فى زمان بعينه إلى مكان بعينه ، فالزمان هو شهر الله الحرام ذو الحجة ، والمكان هو بيت الله العتيق بمكة ، فاجتمع للمسلم حرمان فى آن واحد ، حرم زمنى هو شهر ذى الحجة ، وحرم مكانى هو البيت الحرام ، مما يضفى على روحه ونفسه وجسمه تجليات وأنوارا ربانية تطهره من أدرانه وأوصابه .

فالإحرام ، والطواف ، بالكعبة المشرفة ، والسعى بين الصفا والمروة ، ثم الوقوف بعرفة ، ورمى الجمرات . . إلى غير ذلك من شروط وواجبات وسنن الحج ، كل هذه المناسك العظيمة ترفع من درجات العبد المسلم عند ربه ، حتى إذا أتمها وأداها حق أدائها ، عاد إلى وطنه وقد فاز بالغفران ، وكتب له ربه حجا مبرورا .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من حجاج بيته الحرام وزوار رسوله الكريم فى قابل أعوامنا . . بإذن الله . . آمين .

هذا وخميلة الشعر تتوجه بالتهنئة إلى كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بهذه المناسبة العظيمة ،راجية لمن عقدوا النية للحج هذا العام حجا مبرورا وذنبا مغفورا وذهابا ميمونا وعودا محمودا بإذن الله ، وقد تم اختيار عدة قصائد ، تتغنى بذكريات الحج الجميلة ومنافعه الجليلة ، وكيف أن قلوب كل المسلمين تحن إليه أعظم الحنين ، ونستهل عددنا اليوم بقصيدة بعنوان (من أجل يمناك الطهور) وفيها يتغنى الشاعر بالمنجزات العظيمة لقائد الأمة الرئيس محمد حسنى مبارك ، بأسلوب عذب ورصين ، وبعد ذلك نقدم قصيدة : (إلى البيت الحرام) للشاعر الكبير/ أحمد عبد الهادى التى يتوجه من خلالها إلى الحجيج بالتهنئة بأبياته المعبرة والموحية بأعظم المعانى .

والقصيدة الثالثة بعنوان : (خواطر ومشاعر) للشاعر الكبير/مصطفى محمود مصطفى ، الذى يقص علينا ذكرياته عن الحج والزيارة بأبياته الوجدانية الصادقة ، وأسلوبه الرصين ، وقصيدتنا التالية هى : (مناسك وأشواق) ويقدم لنا فيها الشاعر الرقيق محمد حسن داود ، ومضات نورانية صافية تنبع من قلب يفيض بالإيمان .

أما الشاعر المهندس عبد العاطى موسى عبد العاطى ، فيعبر عن أشواقه إلى بيت الله ، وعن أمله فى أن يعفو الله عنه ، بعد أن قدم بين يديه سبحانه توبته الصادقة ، من خلال أبياته الموحية الجميلة ، وكل عام وأنتم بخير .

من أجل يمناك الطهور

للأستاذ
حامد الجوجرى

من أجل قبرةٍ تغرد فى الرياض الناضرة
من أجل لحن سابح فوق الشفاه الشاعرة
من أجل بسمة ظامىء للأمنيات العاطرة
من أجل زنبقة ترف على الغصون الزاهرة
من أجل كل الحب كل النبل من أجل الرخاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل يوم كنت فيه لمصر فجر ظلامها
نسرا يمد جناحه نورا على أيامها
من بعد أن غشى الدجى من خلفها وأمامها
وسرى حريق اليأس بين جلودها وعظامها
فوثبت تطلع بالغد المأمول من أحلامها
من أجل كل العز يوم النصر من أجل الوفاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل ما جمعت حولى من حشاشات العرب
وأعدت خفقات الصدور تدق فى ود وحب
وأزلت من أفق العروبة ما تلبد من سحب
ومضيت تدعو للوئام بلا أناة أو نصب
من أجل مد الشرق نبض الحب بين الأوفياء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

●●●

من أجل تلك المنجزات المعجزات بكل وادى
دنيا من الرغد العزيز تطوف صبحا فى بلادى
صبحا ندى الخطو حلو اللمح منضور الأيادى
فيه رؤى غدى الطموح وراء أحلامى الصوادى
من أجل كف لا تكف عن البناء أو العطاء
أختار يمناك الطهور سقاء أيامى الظماء

إلى البيت الحرام

شعر: أحمد عبد الهادى

يازائر البيت الحرام سلام   واهنأ فإنك لست بعد تضام
ناداك ربك فاتجهت لبيته   ولديك للبيت العتيق هيام
لبيت ربك فاستضأت بنوره   وعلاك بين الزائرين وسام
أعلى من الرتب التى يزهى بها   أهل العلا والجاه، والحكام

—

لبيك يارباه قلت مرددا   بين الجموع فزالت الآلام
وتلوت آيات الثناء مسبحا   لله لما حقت الأحلام
كم قد تمنيت الزيارة والطوا   ف فهاك تسعى والصلاة تقام
فى حجر إسماعيل جد المصطفى   من ظهر إبراهيم وهو إمام
بل أمة هو قانت ومهاجر   فى الله لم يحجبه عنه ظلام
وقد استلمت الركن بعد تشوق   وأخذت تبكى والدموع سجام
وتلوت آيات الكتاب تزلفا   لله منها قاف والأنعام

—

ثم اتجهت إلى الصفا فى زمرة   ترجو الإله وحبها الإسلام
وسعيت منه لمروة وكما سعى   خير الأنام ونصت الأحكام
تسعى وتذكر هاجر أم   الذبيح تضم إسماعيل وهو غلام
ومضت تهرول كى ترى ماء له   لكن بلا جدوى فكل الهام
فتفجر الماء الطهور بقدرة   من تحته فابتلت الأقدام
فأتت تزم الماء فى لهف لكى   يروى ابنها من فوره فينام

وسعيت أنت مع الحجيج إلى منى سعى المشوق ومن لديه غرام
وأقمت فيها الخمس فانتعشت بها عيناك حتى زال عنك سقام
وترقب الصبح الحجيج فجاءهم ليسير للجبل الأشم أنام
الله أكبر قلتها وأعدتها فتناقلتها البيد والأعلام
وذهبت تلتقط الجمار لترجم الـ ـشيطان وهو المفسد الهدام
ولتذكر الشيخ الجليل يجر فلـ ـذته الذبيح كما قضى العلام
فيسد إبليس اللعين طريقه فيزجه فيفر وهو ملام
ويظل يرجمه الخليل فيختفى بتلاحق الجمرات وهى سهام

يازائر البيت الحرام تحية ما طوف الحجاج فيه وحاموا
بيت أقيم بمكة لعبادة الـ ـمولى الكريم، وتبت الأصنام
لا رب إلا الله خير عقيدة فيها نجاة للورى وسلام
لا رب إلا الله قد رددتها عند الطواف وزيُّك الإحرام
طوفت بالبيت المطهر قادما وكذا الإفاضة للحجيج ختام

أما زيارة قبر طه المصطفى فرغيبة ومحبة وذمام
من حج ثم سعى لرؤية قبره أضحى له عند الشفيع مقام
صلى عليه الله ربى كلما هب النسيم ودارت الأجرام
أسدى لأمته أجل فضيلة تشأو بها أمما لها إقدام
أما الفضيلة تلك فهى جهاده فى الله لا خوف ولا إحجام
حتى استقام الدين وارتفعت به هاماتنا واختالت الأعلام
صلى عليه الله دوما كلما غنى على أيك الرياض حمام

خواطر ومشاعر

للشاعر :

مصطفى محمود مصطفى

شددت الرحل للبيت الحرام إليه أطير مشبوب الغرام
وتعلون ثيابى البيض رمزا على صفو، ونبذ للخصام
وسرت لروضة المختار شوقا تأجج فى الجوانح كالضرام
أناجيه حبيبا، هام قلبى به حبا، وأمعن فى الهيام
وأسأله الشفاعة يوم حشر بها أنجو من الكرب الجسام
وبالبيت العتيق أطوف إنى لتواق إليه لدى الزحام
وألثم صفحة الحجر التماسا وأشرف بالسجود لدى المقام
وأسعى بين (مروة والصفا) فى نشاط فائق، مثل الهمام

★★★

إلى عرفات أصعد فى سرور وددت بها البقاء على الدوام
وقد وقف الحجيج بها خشوعا وقد حسروا الرءوس بلا لثام
وكم ضج الحجيج بها دعاء وكم لجوا حشودا فى انتظام
وقد أوجعت إبليسا برجم تساقط فوقه، مثل السهام
وزمزم قد رشفت الماء فيها ألذ إلىّ من رشف المدام
وودعت (العتيق) بفيض دمع كماء قد تفجر من غمام
أشرت إليه تعظيما وحبا له أرجو الزيارة كل عام
وأبت مؤملا غفران ذنبى من المولى، فأظفر بالمرام

مناسك وأشواق

للشاعر:
محمد حسن داود

لمس الصفاء مشاعرى وكيانى ... وأفقت بعد تردد وتوان
قد كنت أرتاد الحياة مجاهدا ... متخوفا من سطوة الشيطان
سلمت للأيام دفة زورقى ... فانساب نحو شواطىء الإيمان
أهفو إلى داعى التقى فى رهبة ... ويلين من آلائها وجدانى
وأحن للبيت العتيق وقدسه ... فيفيض دمعى فى دجى أشجانى

●●●

وأضىء شمعة خافقى من نوره ... فظلام نفسى للهلاك رمانى
وأتوق أن أسعى بأطهر بقعة ... موصولة بجلالها النورانى
وأشم مسك الخالدين وزحفهم ... بعقيدة تدعو لخير معان
لبيك ربى .. قد غدت أنشودتى ... وترنمت شفتى بها وجنانى
تهتز كل عواطفى بجلالها ... وكأنها تيار سحر حان
وأقبل الأركان إن أبصرتها ... بتلهفى ومشاعر الظمآن

●●●

المحرمون إذا تجمع حشدهم ... فى الكعبة الغراء كم أشجانى
خلعوا الحياة وطلقوها ساعة ... وتفرغوا للواحد الديان
متبتلين وخاشعين وركعا ... ونسائم الرحمات فى فيضان
وتقر عينى بالتدبر فى منى ... وأذود شر عواصف العصيان
وأعيش مغتبطاً فقد نلت الرضى ... متدثرا بمشاعر الإنسان
عرف السلام طريقه لعواطفى ... فنذرتها لمحبة الرحمن

رجاء ورحمة

للشاعر:
عبد العاطى موسى عبد العاطى

رباه هذه جعبتى وصحائفى ... وذنوب عمرى جمة ومواقفى
صرح من الزلات يثقل كاهلى ... والدمع ليس لما أحس بمسعفى
رباه إنى قد تركت عشيرتى ... وبريق معسول الحياة الزائف
وأتيت بابك ياإلهى تائبا ... فلنور وجهك مقصدى وتلهفى
جئنا نكفر بالصحاف ذنوبنا ... جئنا نطهر كل فعل مسرف
جئنا لنشهد للجميع منافعا ... جئنا نفوز بوحدة وتعارف
وصنيع إسماعيل والصبر الذى ... بين الخليل ونجله لايختفى
وسنا المدينة والسكينة حولنا ... والروضة الغراء والفيض الوفى
سيل من الرحمات ينزل بالهدى ... كرما وآلاف الملائك تحتفى
ياكعبة الرحمن ضمى خافقى ... أغرقت عينى بالدموع فكفكفى
فمتى نعود إلى رحاب أحبتى ... لرسولنا المختار والجمع الصفى

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

التقوى فى القرآن الكريم

لفضيلة الإمام الشيخ : محمود شلتوت

إعـداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

اشتدت عناية القرآن الكريم بالتقوى ، وأكثر من الأمر بها ، وتوجيه النفوس إليها ؛ وكانت له فى ذلك أساليب مختلفة ، ووجوه متعددة ؛ كما كان للسلف فى التعبير عن التقوى عبارات كثيرة ، غير أنه مهما اختلفت الأجوبة ، وتعددت المشارب فإنه لو عرضت جميع العبارات المأثورة عنهم عليهم جميعا لكانت محل اتفاق بينهم ، ولما أنكر أحدهم ما نزع إليه صاحبه من بيان ، وتصوير ، أو إرشاد وتوجيه ولتلاقت جميع العبارات وجميع الجزئيات عند حدها المشترك ، وهو حصانة النفس عما يضر ويؤذى ، وعما يحول بينها وبين الكمال .

قال الكاتب ـ رحمه الله :

ذكر القرآن التقوى فى معرض اتباع الهداية الإلهية ، وأنها تجعل الإنسان فى أمن من الخوف والحزن ، وبذلك يطمئن إلى الحياة ، ويسكن قلبه ، فيفكر ويعمل ويؤمل :

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٣٥) .

وفى معرض الانتفاع بالقرآن الكريم ، والحصول به على الهدى والفلاح :

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة البقرة : ٥) .

وفى معرض البر العام ، والصدق فى الإيمان :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

(سورة البقرة : ١٧٧) .

وفى معرض النصر والتأييد :

﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾

(سورة آل عمران : ١٢٥)

وفى معرض ولاية الله وأنها للمتقين من عباده خاصة ، وليس شيء منها لمن فسدت فطرهم وانحرفوا عن طريق الحق والصواب ، فأشركوا بالله ، وتجبروا على عباد الله ، وأسرفوا بنعم الله :

﴿ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾

(سورة الأنفال : ٣٤) .

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

(سورة يونس : ٦٢ ، ٦٣)

وذكرها فى معرض تحصين النفس من نزغات الشيطان والهوى .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٢٠١) .

وفى معرض تفريج الأزمات وحل المشكلات :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

(سورة الطلاق : ٢ ، ٣) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

(سورة الطلاق : ٤) .

وفى معرض الرحمة الخاصة :

﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ١٥٦) .

ويذكرها فى معرض السلامة من الفتن التى يعم الأمة ضررها ، ويؤخذ فيها المجرم وغير المجرم ، يؤخذ فيها المجرم بإجرامه وغير المجرم بسكوته ، وهى فتن التفرق فى الحكم والسلطان ، والتفرق بالمذاهب والآراء ، والتفرق بإهمال واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ورد الأمة إلى وحدتها ، والاعتصام بما يجمعها من رباط مقدس :

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

(سورة الأنفال : ٢٥) .

ويذكرها فى معرض التيسير للخير :

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (سورة الليل : ٤ ، ٧) .

وفى معرض التمتع ببركات السماء والأرض عن طريق الإلهام بوسائل استخراج الكنوز والإحاطة بالأسرار والانتفاع بها فى الحياة .

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

(سورة الأعراف : ٩٦) .

وفى معرض الثواب العظيم ، والنعيم المقيم .

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ ﴾

(سورة الرعد : ٣٥) .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾

(سورة مريم : ٧١ ، ٧٢) .

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾

(سورة مريم : ٦٣) .

ويذكرها بعد ذلك كله فى معرض المعيَّة الإلهية بالنصر والتأييد ، والعطف والرحمة :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة البقرة : ١٩٤) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾

(سورة النحل : ١٢٨) .

وهكذا ذكر القرآن التقوى فى معرض الطهر من كل نقص ، والصلاح من كل خلل ، والسلامة من كل شر . ذكرها فى معرض الأمن والسكينة ، والاطمئنان والاستقرار ، فى معرض الحصول على خيرى الدنيا والآخرة .

ومن هنا اشتدت عناية القرآن بالتقوى وأكثر من الأمر بها ، وتوجيه النفوس إليها ، وكانت له فى ذلك أساليب مختلفة ، ووجوه متعددة : أمر بتقوى الله ، هكذا بصفة الألوهية التى تقضى بالتوجه إليه وحده فى العبادة والتقديس ، وبصفة الربوبية التى توحى بنعمة الخلق والإيجاد ، والهيمنة والتنمية ، ونعمة التربية المادية والروحية ، وبصفة أنه مصدر الإمداد بما يتمتعون به من مال وبنين وخيل وحرث . وأمر بتقوى عذابه ، وبتقوى يوم الحساب والجزاء :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (سورة البقرة : ١٩٤)

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ (سورة النساء : ١)

﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة الشعراء : ١٣٢)

﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة البقرة : ٤١) .

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (سورة النحل : ٢) .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾

(سورة البقرة : ٢٨١) .

وتقوى الله تنتظم تقوى مايأباه جلاله وجماله من الشرك والنبوة ، والاتحاد والحلول ، وتقوى ماتأباه حكمته من مجاوزة حدوده ، والخروج عن شرائعه وأحكامه . وتقوى إهمال سننه الكونية التى أحكم بها نظام العالم ، وربط المسببات فيه بالأسباب . وفى تقوى ذلك كله ، تقوى عذاب الله وعقابه ، والعقاب منه أخروى ، ينزل بالأفراد نتيجة تقصيرهم وعدم تقواهم فى التكاليف الإلهية الخاصة ، ومنه دنيوى ، ينزل بالأمم كما ينزل بالأفراد نتيجة الإعراض عن الأخذ بالأسباب الكونية ، والإعراض عمَّا توجبه روابط الرحم الإنسانى ، والإيمان بمبدع الكون ومنظمه .

وقد كان للسلف فى التعبير عن التقوى عبارات ؛ فمن قائل : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاغترار بالطاعة . ومن قائل : التقوى ألا تختار على الله سوى الله ، وأن تعلم أن الأمور كلها بيد الله . ومن قائل : ألا يجد الخلق فى لسانك عيباً ، ولا الملائكة فى أفعالك عيبا ، ولا ملك العرش فى سرك عيبا . ومن قائل : التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين ظاهرك للخلق . ومن قائل : التقوى ألا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . ومن قائل : المتقى من سلك سبيل المصطفى ، ونبذ الدنيا وراء القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا .

كان لهم فى التعبير عن التقوى هذه العبارات وأمثالها ، وللتقوى منازل ، وللقلوب أحوال ، ولخلق الله نزعات ، وقد كان من سنة القوم فى الإرشاد إلى معانى الخير وأسس الفضيلة والتنبيه إلى الجوانب التى يتسرب منها النقص الخلقى أو الروحى إلى الإنسان ، كان من سنتهم فى ذلك أن يقصدوا إلى إبراز الجزئيات ، والنواحى التى تأثرت بها ، وغلبت على أحوالهم ، وشعروا منها بالكمال الذى تطمئن إليه نفوسهم ، والروح الذى تسكن به قلوبهم ، أو الجزئيات التى يرونها توقظ وعيا فى سائل ، أو تحيى عاطفة فى مريد ؛ فيقدمون له العلاج الخاص بذلك الوعى فيتيقظ ، أو بتلك العاطفة فتحيا . ويرون أن التخصيص هكذا فى مقام العلاج أنجع فائدة ، وأعظم أثرا ، وأقرب فى الحصول على الهدف المقصود ، وسد ناحية التقصير أو القصور ، مما إذا قدم العلاج بالعنوان العام ، والمعنى الشامل ، الذى لا تظهر فيه العناية بجانب دون جانب ، وبذلك يقف المريد أو السائل حائرا أمام الجوانب المتعددة التى يمليها عليه العموم ، ولا يجد فيه ما يدفعه على وجه خاص إلى أن ينشط فى أخذ أهبة التكميل النفسى أو العملى فى الناحية التى هو فى حاجة إلى تكميلها والارتقاء فى سبيلها . وهذا شأن لابد من مراعاته فى أساليب التربية والتقويم حتى يكون للتربية أثرها وللتقويم فائدته .

إلى هذا المبدأ تعددت عبارات القوم واختلفت إجاباتهم عن التقوى وما إليها من المنجيات كالشكر ، والصبر . وكانت دائرة بين الإعراب عن أحوالهم القلبية واتجاهاتهم الخاصة ، والإعراب عما يرون الناس فى غفلة عنه ، وفى حاجة إليه ، غير أنه مهما اختلفت أجوبتهم وتعددت مشاربهم ، وتراءى للناظر بين العبارات والمعانى نوع من الاختلاف ، دعا إليه أحد الموقفين المذكورين ، فإنه لو عرضت فى الوقت نفسه جميع العبارات المأثورة عنهم ، عليهم جميعا ، لكانت محل اتفاق بينهم ، لما أنكر أحدهم ما نزع إليه صاحبه ، من بيان وتصوير ، أو توجيه وإرشاد ، ولتلاقت جميع العبارات ، وجميع الجزئيات عند حدها المشترك وهو حصانة النفس عما يضر ويؤذى ، وعما يحول بينها وبين الكمال . ولعل الذى حمل القوم على سلوك هذا السبيل فى التعبير عن التقوى أنهم كانوا عمليين قبل كل شىء ، ينبهون على المعدوم ليوجد ، وعلى الضعيف ليقوى ، وعلى المنحرف ليستقيم . وأن من يتتبع صحف الإرشاد النبوى ليجد كثيرا من هذا المنهج ؛ فمرة كان يوصى - ﷺ - بالحلم وترك الغضب ، وأخرى بالحياء ، وثالثة ببر الوالدين ، ويجعل ما يوصى به كل الإيمان أو كل الخير والبر .

(يتبــع)

العلــــوم الكونيــــة

أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى

المنـــاظر

الجـــزء الثـــانى

للأستاذ الدكتور :
أحـــمد فـــؤاد بـاشـــا

آراء ونظريات علمية :

سنعرض فيما يلى لعدد من الآراء والنظريات العلمية التى ضمنها الحسن بن الهيثم كتابه « المناظر » ولا تزال تحتفظ بقيمتها المعرفية حتى اليوم فى علم البصريات الحديث .

١ـ نظرية الضوء :

وضع ابن الهيثم حدا للخلافات القديمة التى لم تتوصل إلى اتفاق حول تفسير عملية الإبصار ، وانطلق من مبدأ عام هو القول بوجود العالم الخارجى وجودا مستقلا فى ذاته خارج الذهن وخارج النفس ، وأن العقل والحواس أدوات إدراكه ، ومن ثم فقد أعزى إحساس البصر إلى عامل أو مؤثر خارجى له فى ذاته وجود عينى وأسماه « الضوء » ، ولقد قاده هذا المنطلق بشكل طبيعى إلى استبعاد فكرة خروج شىء من البصر يمتد إلى الجسم المرئى ليتم الإبصار به .

وأورد ابن الهيثم تعريفين مختلفين للضوء : يقضى أحدهما بأن الضوء عبارة عن حرارة نارية

تنبعث من الأجسام المضيئة بذاتها كالشمس والنار والجسم المتوهج ، وأنه إذا أشرق على جسم كثيف أسخنه ، وإذا انعكس من مرآة مقعرة واجتمع عند نقطة واحدة ، وكان عندها جسم يقبل الاحتراق أحرقه . وهذا التعريف يتفق مع ما يقوله اليوم علم الضوء المعاصر .

أما التعريف الثانى فهو مطابق لما قال به الفلاسفة الطبيعيون ويقضى بأن الضوء عبارة عن « صورة جوهرية » فى الجسم المضىء بذاته ، و« صورة عرضية » تزول بزوال المؤثر ، ولم يرجح ابن الهيثم أيا من التعريفين إلا أن آراءه التى بنى عليها أبحاثه فى الضوء تبين أن الأضواء تنفذ فى بعض الأجسام ، وهى الشفيفة ، ولا تنفذ فى البعض الآخر ، وسماها الأجسام الكثيفة .

وقد أوضح ابن الهيثم الطبيعة الجسيمية للضوء وانتشاره فى خطوط مستقيمة قَبل نظرية نيوتن بعدة قرون ، فذكر أنه (أى الضوء) جسم مادى لطيف يتألف من أشعة لها أطوال وعروض ، وماهذه الأشعة إلا حبال النور المنبعثة من الأجسام ذوات الأضواء الذاتية فحسب . . وجاء فى المقصد الأول من الفصل الثانى من كتاب المناظر ما نصه :

« نجد البصر لا يدرك شيئا إلا إذا كان بينهما بعد ، فلا يدرك ما التصق بسطح البصر ، ولا يدرك أيضا بالاستقامة شيئا إلا إذا كان مقابلا له ، وكان بين كل نقطة منه وبين سطح البصر خط مستقيم متوهم غير منقطع بجسم كثيف ، لأن تلك الخطوط إذا انقطعت جميعها بكثيف استتر المبصر (أى الجسم المرئى) كله ، وإن انقطعت بعضها استتر بعضه ، ونجد هذا المعنى معلوما فى جميع المبصرات بالاستقراء ، فيدل ذلك على أن كل مبصر يدركه البصر بالاستقامة ، فإن بين كل نقطة من سطحه وبين نقطة من سطح البصر ـ أو أكثر ـ خطا مستقيما أو خطوطا مستقيمة لا يقطع شىء منها كثيف » .

ويدلل ابن الهيثم على صحة هذا « المقصد » باعتبار . « والاعتبار » اصطلاح ورد ذكره كثيرا فى كتاب المناظر يعنى به ابن الهيثم « التجربة » أو « البرهنة العملية » لإثبات ما يذهب إليه من رأى أو ما يريد أن يقرره من حقائق العلم ، كما يسمى القائم بالتجربة « المعتبر » .

وفى المقصد العشرين من كتاب المناظر (المقالة الأولى) ينبه ابن الهيثم إلى حقيقة انتشار الضوء فى خطوط مستقيمة ، ويبرهن عليها باعتبار (أى تجربة) يدرسها الطلاب فى عصرنا ويعرفونها باسم « تجربة الغرفة المظلمة » ، أو « الخزانة ذات الثقب » ، فيقول :

« إذا كان فى بيت عدة سرج فى أمكنة متفرقة ، وجميعها مقابلة لثقب واحد ، نافذ إلى مكان مظلم ، يقابله جدار ، فإن أضواء تلك السرج تظهر على الجدران متفرقة بعدة السرج ، كل منها مقابل لواحد من السرج على سمت مستقيم مار بالثقب ، وإذا ستر واحد من السرج بطل الضوء الذى كان مقابلا له فقط ، وإذا رفع الساترُ عاد الضوء مكانه ، وهذا المعنى يمكن اعتباره (أى البرهنة العملية على صحته) بسهولة » .

٢ـ انعكاس الضوء وانعطافه :

قدم ابن الهيثم فى كتابه « المناظر » شرحا لقانونى الانعكاس المعروفين فى علم البصريات الحديث ، وينص القانون الأول على أن زاوية

السقوط تساوى زاوية الانعكاس ، بينما ينص القانون الثانى على أن زاويتى السقوط والانعكاس تقعان فى مستوى واحد عمودى على السطح العاكس ، وكان القانون الأول قد توصل إليه علماء اليونان على أساس نظرى ، واستخدم ابن الهيثم المفهوم الميكانيكى لارتداد الجسم المتحرك عند اصطدامه بجسم صلب ثقيل ، موضحا الفرق بين حركة الضوء وحركة كرة صغيرة صلبة بقوله : « أما الضوء فليس فيه قوة تحركه إلى جهة مخصوصة ، بل إنما خاصته أن يتحرك على الاستقامة فى جميع الجهات التى يجد السبيل إليها ، إذا كانت تلك الجهات ممتدة فى جسم مشف ، فإذا انعكس الضوء بما حصل فيه من القوة المكتسبة وصار على سمت الاستقامة التى أوجبها الانعكاس ، امتد على ذلك السمت وليس فيه قوة تحركه إلى غير ذلك السمت لأن ليس من خاصته أن يطلب جهة مخصوصة ، ولذلك لا يحيد عن سمت هذه الاستقامة بعد الانعكاس » .

كذلك قدم ابن الهيثم فى كتابه « المناظر » شرحا تفصيليا لقانونى انعطاف الضوء عند نفوذه من وسط شفاف إلى وسط شفاف آخر يختلف عنه فى الشفيف ، وأثبت أن سرعة الضوء فى المشف الألطف أعظم من سرعته فى المشف الأغلظ ، وأوضح كيف يترتب على ذلك أن ينعطف الضوء عند نفوذه من الألطف (الأقل كثافة ضوئية) إلى الأغلظ (الأكبر فى كثافته الضوئية) إلى جهة العمود المقام على السطح الفاصل بين الوسطين ، والعكس بالعكس ، أى ينحرف بعيدا عن العمود عند نفوذه من الأغلظ إلى الألطف ، ويعبر ابن الهيثم عن ذلك بأسلوبه العلمى المتميز فيقول :

« والأضواء تمتد فى الأجسام المشفة بحركة سريعة تخفى عن الحس لسرعتها ، . ومع ذلك فإن حركتها فى الأجسام اللطيفة ، أعنى الشديدة الشفيف ، أسرع من حركتها فى الأجسام الغليظة ، أعنى الأضعف شفيفا ، وذلك أن كل جسم مشف إذا نفذ فيه الضوء فإن الجسم المشف يمانع الضوء ممانعة بحسب مافيه من الغلظ ، لأن كل جسم طبيعى لابد أن يكون فيه غلظ ما لأن الصفاء والشفيف ليس له غاية فى التخيل . . والأجسام المشفة الطبيعية ليست تخلو من غلظ ما ، فالأضواء إذا نفذت فى الأجسام المشفة فهى تنفيذ فيها بحسب الشفيف الذى فيها ، وتمانع الأجسام المشفة الأضواء بحسب الغلظ الذى فيها » .

٣ـ نظرية الإبصار :

يعزى الفضل الأول فى وضع نظرية الإبصار السليمة التى تطور على أساسها علم البصريات الحديث إلى الحسن بن الهيثم ، وذلك بعد أن تناول النظريات القديمة بالنقد والتحليل وأبطل ما توارثته الأجيال من أفكار خاطئة عن الإبصار منذ عصر اليونان إلى عصره ، وصاغ ابن الهيثم نظريته الجديدة فى الإبصار على أساس الشروط أو « المعانى » التى لا يتم الإبصار إلا بها وهى أن يكون الجسم المرئى مضيئا بذاته أو بإشراق ضوء من غيره عليه ، وأن يكون بين الجسم المرئى والعين بعد ما ، وأن يكون الوسط الفاصل بينهما مشفا ، وأن تكون المرئيات ذات حجم وكثافة يسمحان للعين بإبصارها ، وأن تكون العين خالية من عيوب الإبصار ، ويقرر خلاصة هذه الشروط بقوله : « حاصل الجميع (أى خلاصة ما سبق) : فالأبعاد التى منها يصح أن تدرك المبصرات إنما تكون بحسب قوة البصر وبحسب

أعظامها (أى حجومها) وأضوائها وألوانها ، وهذه معان لا يتم الإبصار إلا باجتماعها فى البصر ، والمبصر ، وفيما بينهما : فأما فى البصر فأن يكون قويا ، وأما فى المبصر فألا يكون فى غاية الصغر ، ولا مظلما ، ولامشفا ، ولا كدر اللون فى الغاية ، وأما فيما بينهما فأن يكونا متقابلين ، لا يقطع الخطوط المستقيمة بينهما كثيف ، وأن يكون البعد على ما ذكر ، فهذه المعانى هى خواص البصر التى بها وباجتماعها يتم الإبصار » .

ويناقش ابن الهيثم فى كتابه المناظر عملية الإبصار بأسلوب منطقى وعملى ، فيقول : « إن البصر إذا أحس بالمبصر (الجسم المرئى) بعد أن كان لا يحس به ، فقد حدث فيه شىء ما بعد أن لم يكن ، وليس يحدث شىء بعد أن لم يكن إلا لعلة ، ونجد المبصر إذا قابل البصر أحس به البصر ، وإذا زال عن مقابلة البصر لم يحس به البصر ، وإذا عاد المبصر لمقابلة البصر عاد الإحساس ، وكذلك نجد البصر إذا أحس بالمبصر ثم أطبق أجفانه ، بطل ذلك الإحساس ، وإذا فتح أجفانه والمبصر فى مقابلته عاد ذلك الإحساس ، والعلة هى التى إذا بطلت بطل المعلول وإذا عادت عاد المعلول ، فالعلة إذن التى تحدث ذلك الشىء فى البصر هو المبصر » .

وبذلك توصل ابن الهيثم إلى أن الإبصار لا يتم إلا بتأثير الضوء الوارد إلى العين من المرئيات ، وأكمل على ذلك شرحا تفصيليا لكيفية حدوث الإبصار بواسطة العين بعد أن وصف تركيبها من الناحية التشريحية ، وبين وظيفة أعضائها ، وأفصح عن طرق إدراك العقل لها ، وفرق بين الإدراك بالمعرفة والإدراك بالقياس والتميز .

٤ـ آراء علمية أخرى :

تضمن كتاب المناظر لابن الهيثم آراء علمية أخرى لا يزال معظمها متفقا مع ما توصل إليه العلم الحديث ، مثال ذلك آراؤه فى التقازيح وامتزاج الألوان وتكون الظلال وإدراك الظلمة وقد اشتهرت عند الأوروبيين مسألة فى البصريات باسم « مسألة الحسن » وهى تنص على أنه « إذا فرضت نقطتان حيثما اتفق أمام سطح عاكس ، فكيف تعين على هذا السطح نقطة بحيث يكون الواصل منها إلى إحدى النقطتين المفروضتين بمثابة شعاع ساقط والواصل منها إلى الأخرى بمثابة شعاع منعكس » . وحلول هذه المسألة كثيرة ومتنوعة وهى تتراوح بين اليسر والسهولة فى الأحوال العامة ، وحينما يكون السطح العاكس مستويا ، وبين الصعوبة والتعقيد إذا كان السطح العاكس كريا أو أسطوانيا أو مخروطيا ، أو حينما تعتبر حالات خاصة .

وهكذا نجد أن ابن الهيثم قد بحث فى علم البصريات بأسلوب العالم الواثق والرياضى البارع والتجريبى المدقق والموسوعى المثقف ، وصاغ أبحاثه فى كتابه « المناظر » بأسلوب علمى دقيق ، فاستحق أن يخلد الكتاب ومؤلفه ليدل كل منهما على الآخر عند التأصيل لعلم البصريات الحديث .

الساعة البيولوجية

وهم أم حقيقة ؟

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

فى سعيه الدائب لاستكناه سر الحياة ، يحاول الإنسان جاهدا فك كثير من الرموز المحيطة به ، وحل معظم الألغاز ، التى تأخذ بتلابيبه . وأحدث هذه المحاولات ، وأحراها بالتنويه ما يطلق عليه العلماء : (الساعة البيولوجية) التى أماط الباحثون اللثام عن كثير من خباياها . . وللتعريف أولاً بمصطلح (الساعة البيولوجية) ، ومن أجل تقريب معناها للأذهان ، يسوق مقال شائق بمجلة (ديسكفر DISCOVER) أو : (الكشف) الأمريكية فى عدد أكتوبر ١٩٩٨ أمثلة يؤكد فيها : أن هناك إيقاعات غامضة تحكم مسيرة الإنسان .

فقد ثبت لدى العلماء أن معظم الولادات غالبا ما تحدث إما فى وقت متأخر من الليل ، أو فى ساعات الصباح الباكر ، ويخصون بالذكر الأطفال الرضع ، أى : أولئك الذين سيعتمدون فى غذائهم على الرضاعة الطبيعية ، وليس الرضاعة الصناعية ، كما تأكد لديهم أن النوبات القلبية يزداد حدوثها عند العاشرة صباحاً .

والمثالان السابقان قد ينظر إليهما الناس العاديون بكثير من الدهشة إن لم يكن بعدم التصديق أو الاقتناع . لكن المثل الذى لا يستطيع أحد أن يمارى فيه ، هو شدة إحساسنا بالألم عند الصباح ، واعتيادنا عليه كلما أخذت ساعات النهار فى المرور . بل إن حقيقة وجود ساعة بيولوجية حيوية فى الإنسان تسطع شمسها عند مجىء العمل بالتوقيت الصيفى ، حيث يكون من الصعب على الإنسان قبول هذه العادة بسهولة داخليا وإن كانت ظروف الحياة تجبره على الانقياد لها والإذعان لمتطلباتها ، لكنه يستوعبها فقط كعادة ، وليس كحقيقة .

ومن هنا فإن (جاى دن لاب) أستاذ علم الكيمياء الحيوية يقول : « إن كل جانب من جوانب الحياة تقريباً محدد وموقت بزمن معين ، وهى حقيقة سبق إلى تأكيدها القرآن الكريم بقوله :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾

(القمر : ٤٩) .

فكل الحيوانات والنباتات تقريبا ؛ مزودة ، ومجهزة بساعات بيولوجية رُكبت فى داخلها ، تعمل تبعا لها وبإرشاد منها وتوجيه ، وهى حقيقة كان معظم أساتذة علوم الحياة حتى ربع قرن مضى لا يؤمنون بها ، ولا بوجود ساعة حيوية قائمة بذاتها داخل الكائن الحى ، وكانوا يعتبرون هذا ضربا من المبالغة ، بل كانوا يعتقدون أن الدورات البيولوجية المنتظمة ما هى إلا مفاهيم سلبية ، وأن الإنسان مدفوع للتفكير فيها بسبب أمور بيئية محيطة به كالتغير فى الضوء ، ودرجة الحرارة . لكن فريقا آخر من العلماء المؤمنين بوجود ساعة حيوية تصدوا للدفاع عن هذه الحقيقة مع علمهم بصعوبة خوض ذلك المعترك ، وما فيه من براهين معقدة كانتظام أو اختلال عمل بعض الهرمونات ، وكذا الجهاز العصبى ، وقام المدافعون عن نظرية وجود ساعة حيوية داخلية فى الإنسان بتقديم أدلة موحية مقنعة . فهم يقولون على سبيل المثال أن خلايا الجسم تقوم بتنظيم وقتها بنفسها واضعة لسلوكياتها جدولا صارما لا تحيد عنه ، ويتضح ذلك فى نشاطاتها الدورية المنتظمة التى لا تتخلف حتى ولو تم عزل تلك الخلايا فى بيئات معملية وحيل بينها وبين كل المؤثرات ، والحوافز الخارجية كضوء الشمس ودرجة الحرارة ، وإن تنوعت . وبرغم حجب الخلية عن تلك المؤثرات المذكورة فإن أحدا لا يعلم الكيفية التى تمكنت بها الخلايا من الاحتفاظ بانتظام سير العمل فيها على الوجه الأكمل .

وأخيراً تمكن العلماء من كشف سر جعلهم يجمعون على حقيقة الساعة البيولوجية ، وعلى خلاف كل التكهنات والتوقعات كانت الآلية التى يعمل بها ذلك السر مفاجئة فى بساطتها واضحة جلية فى تركيبتها . فقد أبرز العلماء فى جامعات ومعاهد علمية ومختبرات ومعامل تجريبية ـ لا مجال لذكر أسمائها ـ كثيرا من أسرار وأحاجى الساعة البيولوجية . وخرجوا على الدنيا بصورة شديدة العقلانية ، كاملة الجوانب لنظام حيوى دقيق ، يرتكز على أرض صلبة ، ويشمل بين جنباته تنويعة ثرة من المخلوقات والكائنات ، تبتدىء من الفطر الصغير الحجم ، الضئيل الجرم حتى تصل إلى حشرات ذباب الفاكهة ، وتنتهى بالثدييات من عجائب المخلوقات .

واللافت للنظر أنه رغم عبقرية ذلك النظام ، فإن التجارب العلمية ، التى أظهرته إلى حيز الوجود ، كانت تجارب عادية . فقد استطاع الباحثون ببساطة تحديد المورثات المسئولة عن كل جزء من أجزاء نظام الخلية الدورى ، وذلك بتقصى ما يحدث بداخلها من طفرات ، والسبب أن الخلية سريعة التغير ، شديدة التقلب ، سيترتب على عدم ثبوت حركتها عدم انتظام عمل جزء أو آخر من المركبات ، والمكونات ، التى تتحكم فى تسيير الساعة الحيوية . والـ D.N.A أو (الدنا) كما سماها الدكتور (أحمد مستجير) العالم المصرى ، الحائز على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم مؤخراً ، والمؤلف والمترجم المشهور لكثير من الكتب العلمية ـ أقول : إن (الدنا) ، أو الحمض النووى بالخلية هو الأساس الركين ، الذى ترتكز عليه هذه الساعات البيولوجية تحت المجهرية فى عملها ، وربما كانت كلمة مسار هنا

تصوير غير دقيق لعمل الساعة البيولوجية ؛ لأن الساعة الخلوية ، أو البيولوجية تشبه فى عملها ـ تقريبا ـ الساعة المائية من الطراز العتيق ، والتى تأخذ قطرات الماء فى التنقيط منها تدريجيا ، فى إناء يمتلىء شيئا فشيئا ، حتى يصل الماء إلى نقطة حساسة يفيض الماء عندها من الإناء ، حتى يفرغ كل ما بداخله من الماء مهيئا الجو لدورة عمل أخرى .

وتفصل مجلة الكشف القضية ، فتقول : « إن كل نبضة زمنية فى الخلية تبدأ أولاً فى النواة ، حيث تبادر مورثات خاصة ، موكلة بذلك بجعل نفسها فى وضع التشغيل دائما ، ثم تقوم بصنع بروتينات ، مهمتها الرئيسية تشغيل المورثات المسئولة عن الساعة البيولوجية فى منطقة أخرى من الحمض النووى بالخلية ، ومن ثم فإن المورثات المنوط بها تشغيل الساعة الحيوية تقوم بتفعيل وتنشيط عملية ينتج عنها بناء وإنشاء بروتينات مميزة فى داخل ما يُعرف بـ (مادة الحياة) داخل الخلية ، وهى المادة المعروفة بـ (السيتوبلازم) .

وبمرور الوقت فإن البروتينات المسئولة عن الساعة الحيوية تأخذ فى التراكم ، داخل السيتوبلازم تماما ، كما يملأ الماء غاطس الساعة المائية ؟ لكن ما يحدث بعد ذلك يختلف نوعا ما معتمدا على الكائن الحى .

والتصور العام لهذه القضية يمكن أن يكون كما يلى :

عندما يصل البروتين إلى تركيز وكثافة معينة فى السيتوبلازم ـ أى مادة الحياة تبدأ هذه البروتينات فى الارتباط على شكل أزواج أو ما يسميه العلماء بالتزاوج . ولهذه البروتينات المتزاوجة شكل يسمح لها بدخول النواة ، وهو ما يضعنا وجها لوجه مع أكثر جوانب العملية جلاء ووضوحا ، فما أن تدخل هذه البروتينات إلى داخل النواة حتى تقوم باعتراض المورثات المسئولة عن الساعة الحيوية ، والتى كانت هى بذاتها المولد لهذه الجينات فى المقام الأول .

وهنا تتوقف مورثات الساعة من العمل وتنتهى العملية بكاملها ، وكما ينسكب الماء من غاطس الساعة المائية فإن البروتينات المتراكمة تأخذ فى التسرب خارج النواة ، يدفعها إلى ذلك دفعا (إنزيم) بعينه ، وبمجرد اختفاء هذه البروتينات ، فإنها تفقد القدرة على عرقلة المورثات ، التى تقوم عندئذ بإعادة تشغيل مورثات الساعة البيولوجية ، مما يجعل سريان الدورة من جديد أمرا ميسورا . وتستغرق دورة الساعة البيولوجية وقتا يتراوح بين ٢٢ إلى ٢٦ ساعة ، وهو أمر لا مجال فيه للخطأ ، حتى وإن عُزلت الخلايا عن كل مؤثرات الليل والنهار ، وكما يتوقع الواحد منا فإن عمل هذه الساعة الخلوية يتفوق على كل العوامل الأخرى ، كنظام الحاسوب المعقد مثلا ، حتى ، وإن هيئت له نفس الظروف المشابهة لظروف الخلايا ، من تغير فى الضوء والحرارة ، لكن العلماء رغم كل هذا التقدم الهائل ، لا يزالون منهمكين فى استجلاء التفاصيل الدقيقة لهذه العملية ، وكلهم ثقة أنهم على الأقل قد أمسكوا بالخطوط الرئيسية للآلية ، التى تنظم حياة معظم الكائنات الحية .

وختاماً : فإنه يشهد لوجود ساعة بيولوجية ، ما اعتاده البعض من الاستيقاظ فى وقت معين من اليوم دون استخدام ساعات منبهة .

دوحة الكتب

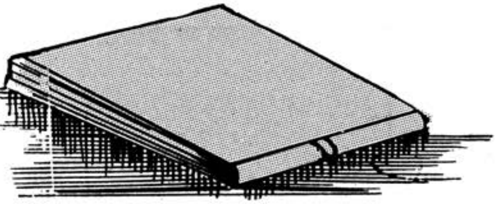

إعداد :
محمود الفقشى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ؛ ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

قضايا الأدب والثقافة والفن

تأليف / أنور الجندى

الناشر / دار الفضيلة

● عزيزى القارىء : أصبحت الثقافة قضية هامة لا تختلف عن القضايا الحياتية الهامة ؛ لأنها غذاء للروح يسير فى العقل ، ويتطبع على هذه الثقافات شبابنا وأولادنا وأحفادنا ، خاصة بعد أن أصبحت محاولة التغريب ، والغزو الثقافى قد انطلقت أساسا من محاولة تحطيم الوحدة الجامعة ، وإقامة ثقافات منفصلة إقليمية ، مع حجم المنهج الإسلامى جملة وبناء هذه النظم على أساس القومية الاشتراكية حتى لا يمكنها بعد مرور السنوات من أن تعود مرة أخرى إلى الوحدة الإسلامية الجامعة التى صنعها الإسلام وشكلها القرآن الكريم .

● فقد أعاد التغريب إحياء كتب قد صدرت قديما مرة أخرى هذه الأيام بعد أن واجه المفكرون المسلمون هذه الدعوات المسمومة فى أيامها وكشفوا عن زيفها ، وتحول كتابها عنها .

● فى هذا الكتاب : يطرح المؤلف الأخطار التى تزحف إلينا من ثقافات التغريب من استشراق

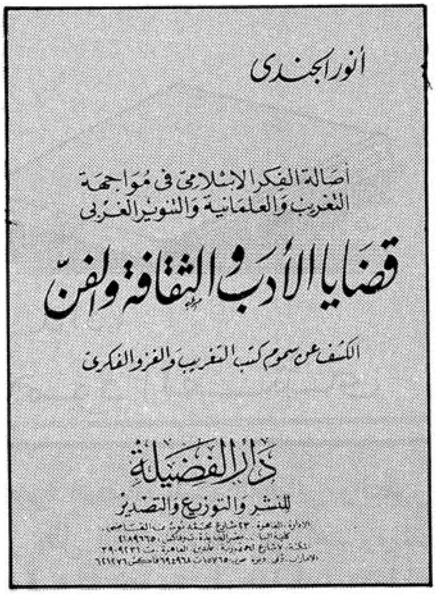

وتبشير ، وامتداد هذا الخطر إلى الشعر الجاهلى ومستقبل الثقافة والأقلام الماركسية والعلمانية التى أعطيت الفرصة الواسعة لضرب كل القيم تحت اسم القديم والرجعية والسلفية وعزل المجتمعات الإسلامية عن عقيدة التوحيد .

● وقسم المؤلف هذه الموسوعة الثقافية إلى عدة أبواب بدءًا من مرحلة التبعية والولاء الغربى تحدث فيها عن العقبات التى تعترض تطبيق الشريعة الإسلامية ، والشبهات المثارة وقضية الحدود ، ثم زد المؤلف على التشكيك فى قدرة الشريعة على العطاء والادعاء بأنها لم تطبق بعد عصر الراشدين .

● ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن الحرب على اللغة العربية ، والمؤامرات ، التى تحاول أن تمحو اللغة الفصحى ، وهى من أبرز خطوات الغزو الاستعمارى .

● وأشار المؤلف إلى الاستشراق والتبشير وتطورهما ضد الصحوة الإسلامية ، وتحرير الثقافة الإسلامية من دخائل الفكر الوثنى والمادى والإباحى .

● ثم عرض المؤلف حملات الغزو الفكرى ، والتغريب على القرآن الكريم ، ثم مؤامرة الماركسية والعلمانية للتحرر من سلطة النص الدينى .

● أما فى الباب الخامس فقد شرح المؤلف أخطاء المصطلحات الأربعة : العلمانية - التنوير - الحداثة - الإبداع ، وتحدث إليهم فى فصول أربعة بعرض وافٍ ، ثم أشار إلى الفن بشكل عام واللغة الفرانكفونية وغزوها للغة العربية وأبواب أخرى كثيرة ومتعلقة بثقافات وحياة المجتمع المسلم .

● أخيراً خاتمة شرح فيها حماية العقل المسلم من احتواء المناهج والثقافات الوافدة .

● ثم تناول مراجعة لكتاب : الإسلام الحل البديل للدكتور مراد هوفمان الألمانى ، ثم تحدث عن الشيخين ومرآة الإسلام والوعد الحق ، وعن كتاب آخرين ثم نظرية ديكارت ، والفارابى ، وابن سينا ، وأشعار عمر الخيام وغيرها .

● وأخيراً جمع المؤلف مسائل كثيرة جداً قام بتوضيحها والرد عليها فى كتاب كبير لا يجب الاستغناء عنه .

الاجتهاد والتجديد

فى الشريعة الاسلامية

تأليف / الخواض الشيخ العقاد

الناشر / دار الجيل

● عزيزى القارىء : الاجتهاد هو عنصر أساسى منذ فجر الإسلام ، سواءً أكان اجتهادا خاصا ، أو اجتهادًا عاما ؛ لأنه المحك ، والقسطاس ، والميزان ، الذى به يعرف الطيب من الخبيث ، والزبد الذى يذهب جفاءً من الذى ينتفع به الناس ، فيمكث فى الأرض .

● وقد ألفت آلاف من الكتب التى تتحدث عن الاجتهاد ، سواء ما كتبه المتقدمون ، من سلف هذه الأمة فى العصور الماضية عن الفقه ، وأصوله ومعانى التجديد أو ما يكتبه المحدثون ، وهذه الكتب لهى مرجع إسلامى يهرع إليه عند الخصومة ، ويفزع إليها عند المشاحة ويحتج بما ورد فيه حال المناظرة ، ويستشهد به عند المحاضرة فأضحت هذه المؤلفات المذكورة فى موضوعاتها ، التى تعالجها أعمدة متينة ، وركائز عظيمة ، ومراجع موثوق بها .

● وهذا الكتاب : قد رأى مؤلفه أن هناك من الجديد ما يقتضى البيان والتوضيح ، وما يقال .

● وما يكتب عن التجديد والتطوير ، مما جعل كثيراً من الناس فى حيرة من أمرهم حيال الفهم لمعانى التجديد ، والفهم للموازين والقواعد ، والأسس ، التى على ضوئها يحصل الفهم فى الدين .

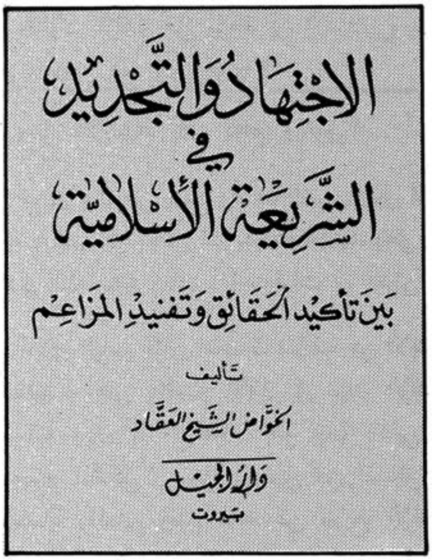

● والكتاب قسمه المؤلف إلى ثلاثة أبواب يحتوى كل باب على مجموعة فصول .

● فى الباب الأول : فى بيان معنى الاجتهاد وأنواعه ، ثم أنواع القياس ، ثم الأوجه التى تسوغ قياس حكم على حكم ، ثم تحدث فى بعض مشكلات القياس الفنية كالفرق بين السكوت عنه ، وبين البدعة المذمومة . هل كل مجتهد مصيب ؟ وكيف ؟ أم لكل مجتهد نصيب ؟ وكيف ؟

● أما الفصل الرابع : فكان فى شروط المجتهد ومراتب المجتهدين ثم تحدث المؤلف عن المقارنة بين الدرجات العلمية المعاصرة ، وشروط مؤهلات العلماء الأقدمين .

● وتناول المؤلف هل يوجد فى الإسلام رجال دين ، ومن هم إن وجدوا ؟

● وهل للاجتهاد باب يفتح ويغلق ؟

● ثم فى بيان هل يصح وصف النبى - صلى الله عليه وسلم - فى بعض تشريعاته بالمجتهد وهل له - صلى الله عليه وسلم - اجتهادات فى الدين ؟

● أما فى الباب الثانى فتحدث المؤلف عن الافتاء والتقليد ، ففى القسم الأول فى بيان الإفتاء وأقسامه وبين أن الإفتاء : هو بيان الخفى ، وتوضيح المشكل ، وحل المعضل من المسائل ، والقضايا والمعانى وقدم لمحة عن تاريخ الإفتاء وتطور أساليبه عبر القرون ، ثم مقارنة بين الافتاء الفردى ، والإفتاء المجلسى ، أما القسم الثانى فهو فى بيان معنى التقليد وحقيقته وحجية العمل به وما يقع فيه المقلد من إشكالات .

● ثم باب فى هل يجوز تتبع رخص المذاهب والعمل بالتلفيق ؟ ثم متى يكون الاحتجاج بتقليد الأعلم أو الأورع غير المقلد .

● ثم شرح المؤلف معانى التجديد ومفاهيمه ، واتخذ اللغة العربية كمثال للتجديد اللغوى والتطوير البيانى والمفهوم الشرعى للتجديد .

● ثم تحدث عن الذين وصفوا بالتجديد ، وسموا بالمجددين ، ثم قضايا الفكر الإسلامى المعاصر ، وظواهر التجديد .

● وفى الفصل السابع من هذا الباب أشار المؤلف إلى الشخصيات ذوات الأثر الظاهر فى عالم الفكر الإسلامى المعاصر .

● وفى الختام خلص المؤلف إلى أن التجديد فى معناه الشرعى القويم ، لا يعنى الإتيان بالغريب المستهجن من الأفكار ، أو الأفعال ، وإنما هو إيقاظ الهمم الغافية ، وبعث الروح فى الأجساد الخاوية من المعانى السامية ، والعمل على إحياء السنة ، وإماتة البدعة .

وأخيراً : فقد حرص المؤلف بأن يضع النقط على الحروف فى المسائل الاجتهادية ، والخوض فى الدين ، ونوعية الاجتهاد ، وصفة المجتهدين ، وتناول مسائل فقهية ذات طابع قديم استطاع أن ينفض عنها غبار الزمن ، ويزيل عنها شوائب المغرضين فيقدمها ناصعة البياض ، بل واستطاع أن يضفى عليها طابع الجدة والتطور والمسايرة لقضايا العصر .

● وبهذا نستطيع أن نقدم كتابا جديداً ، وأن ننصح كل قارىء مسلم أن يضمه إلى مكتبته .

■

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل خفاجة

إطلالة جديدة لمجلة

«صوت المعهد»

تلقينا بفيضٍ من السعادة ، العدد الثالث من مجلة « صوت المعهد » التى يصدرها معهد على بن أبى طالب ، بنزلة ترجم ـ أطفيح ـ التابع لمنطقة الجيزة الأزهرية .

وكان مبعث سعادتنا مابلغته المجلة من مستوى طيب ، بفضل الله ـ تعالى ـ ثم الهمم العالية لمن يتولون أمر إصدارها إلى جانب أعمالهم بالمعهد .

ونأمل أن نرى فى كل معهد من معاهدنا العريقة مجلة على هذا المستوى الراقى ؛ لنرى إبداعاً طيباً ، وتنافساً محموداً فى سبيل إظهار كلمة الحق ، فى أسلوب شائق ، ونسق ممتع ، وثوب قشيب . .

وتبدأ موضوعات المجلة بكلمـة لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح جمعان مدير عام شئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف ، تحدث فيها عن فضل العلم ، يحث فيها الطلاب على طلب العلم ، والاجتهاد ، والمثابرة ، ومما ورد فيها قوله : « ألم يخبرنا ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن موسى كليم الله ـ عليه السلام ـ قال لفتاه :

﴿ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ ﴾

(الكهف ـ ٦٠)

اى أنه قد عزم على أن يظل سائراً أحقاباً متطاولة ، حتى يظفر بضالته ، ويلتقى بالرجل الصالح ، الذى أراد الله أن يتعلم منه ، وماذلك إلا لأن العلم أفضل من المال ، فالعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والعلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد ، والمال ينقص . . »

إضافة إلى الكثير من النصائح ، التى يهتدى الطلاب بها فى مقتبل أعمارهم .

ثم تنقلنا صفحات المجلة إلى كلمة فضيلة الشيخ / محمد توفيق الأشمنتى ـ شيخ المعهد ، ورئيس التحرير ـ يركز فيها على أهمية تعلم العلم ، والعمل به ، ثم تعليمه للآخرين ، وفيه يبرز ضرورة جعل القدوة أحد أسس التعليم الرئيسية ، وليس مجرد التلقين والمدارسة .

كما يطوف بنا (فى رحاب السنة) الأستاذ / شعبان أحمد رفاعى ، وتتوالى الموضوعات الصحفية الشائقة : من حوار ، وطرف ، وشعر ، وموضوعات علمية فى أسلوب شائق بديع .

أما الطالب / محمد رجب قرنى ، فعلى الرغم من البداية الفصيحة التى انتهجها فى مقطوعته الهزلية : « فلسفة رجل فقير » الواردة ص ٣٨ ، وعلى الرغم مما لاحظناه من حرصه على الكتابة بالفصحى هذه المرة ، إلا أننا وجدناه ينفلت إلى العامية فى بعض الأحايين ، ولو أنه تأنى ، لنال من الفصحى مايرجو ويتمنى . .

ومازلت أقول : إنه يتمتع بحس شعرى جميل ، لاينقصه سوى استكمال الأداة السليمة .

مرة أخرى : استخدامك للفصحى سيجعل منك شاعراً فذاً ، ونتمنى لك التوفيق .

أما قصيدة ياقدس ، فكان من اللازم التنويه إلى أنها للشاعر الفلسطينى الكبير هارون هاشم رشيد ، وأنها بلغت من الجمال حداً جعل وزارة التربية والتعليم تقررها على طلابها .

وبعـــد . .

فإننا أمام قولكم :

فهذى مجلـــــــة الأزهـــــــر
تصبحـــــــنا وتمســـــــينا
فشمس الصبـــــــح تدفينـــــا
وبدر الليـــــل يسجينـــــا
نظرتم فـــــــى مجلتنـــــا
فعـــــم النفـــــع وادينـــــا
فكنتـــــم خيـــــر مصبـــــاحٍ
لصـــــوب الحـــــق يهـــــدينا
فهـــــذا شـــــوك بـــــاديةٍ
بكـــــم صـــــارت رياحينـــــا

وأمام هذه المشاعر الطيبة ، والإطراء الجميل ، فإننا نقول : إن ماقدمتم لم يكن أبداً شوك باديةٍ بل أجمل الرياحين .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يهدينا سواء السبيل ، ويلهمنا صالح العمل ، إنه سميع قريب مجيب . .

المولود الجديد

ومن القارىء د . نجاح عبد القادر سرور - كوم حمادة :

وردت هذه الرسالة عن التوبة ، وكيف تنقى التائب من ذنوبه وتجعله مولوداً جديداً . . يقول :

« التائب مولود جديد . . صحيفته نقية بيضاء ، وقلبه طاهر سليم . . قد محيت ذنوبه ، وغُفِرت خطاياه ، ألا تسمع إلى قول رسول الله - ﷺ - (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)(1)

وقد عاتب الله تعالى الكفرة أنفسهم ، وندبهم إلى التوبة من شركهم ، فقال سبحانه فى أسلوب معجز يقطر رقة :

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(المائدة - ٧٤) .

ألا تحب ، وأنت الأخ المسلم الموحد، الراضى بالله - تعالى - رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ - ﷺ - نبياً ورسولاً . . ألا تحب ياأخى أن يحبك الله سبحانه ؟ ، وهل هناك أسعد من إنسان نال حب الله ورضاه ؟ . . يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

(البقرة - ٢٢٢) .

لقد غرقنا فى الذنوب جميعاً ، فكل ابن آدم خطاء ، ولكن الذين نالوا خيرية رسول الله - ﷺ - هم التوابون . . فخير الخطائين التوابون . . أمامك فرصة هائلة للتوبة الصادقة . . هذا داعى الله - تعالى - يناديك :

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

(النور - ٣١) .

وهذا داعى الله - تعالى - يناديك على لسان نبيه المصطفى - ﷺ - : (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىءُ النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىءُ الليل وذلك حتى تطلع الشمس من مغربها)(2) وقد كان - ﷺ - يستغفر الله - تعالى - ويتوب إليه فى كل يوم أكثر من مائة مرة ، وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتأخر . . أفلا نقتدى به ؟ ، فإن فعلت ، وعزمت على التوبة النصوح بالندم والعزم على الإقلاع عن سائر الذنوب ، وعدم العودة إليها أبداً ، وقمت برد المظالم إلى أهلها من مال أو عرض أو غيره فإن لك الجوائز الأربع : « حب الله تعالى ، وخيرية على لسان المصطفى - ﷺ - وولادة جديدة طاهرة نقية . . وأما الجائزة الرابعة فهى : وعد الله حين قال :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان - ٧٠)

ألا فقم الآن ، فتوضأ . . وصلِّ ركعتين توبة إلى الله . . ونسأل الله القبول وحسن الخاتمة . . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

(1) رواه ابن أبى الدنيا .

(2) رواه مسلم .

الأزهر قلعة العلم ..

وبما أرسله القارىء : شبل رجب إسماعيل عن الأزهر قوله :

« حقيق عليّ أن أقول : إن من الإنصاف والعدل ، أن نُشيد بالقلعة الشامخة ، والأرض الراسخة ، قلعة الدين والدنيا ، صرح العلم والعلماء ، إنه الأزهر ، صرح الإسلام الذى سعى جاهداً لنشر دين الله وحفظ تراثه المكنون ، ومن ثم فلقد أمد علماءه من الدواء مايشفى ، ومن العلاج مايعافى ، ومن القدر مايكفى ، فصانوه كما صانهم ، وعظموه كما عظمهم ، فمن العلماء من فى حبه أفرطوا ، ومنهم من فى حبه فرطوا ، فلم تجد من ادعاء من فرط ، إلا وهم فى سماء أو خيال فى ماء ، أو سراب فى صحراء .

ومن ثم فلقد كانت مجلته الغراء التى تجمع ألواناً شتى من صُنوف العلم والدين والأدب ، والفتاوى ، والأثر ، وبها آراء تطرح ، وكذا مسائل تناقش ، حتى أصبحت رياضاً خصباً للعلماء والقراء ، وكذا ملتقى فكريا لكل من أفاء الله على قلبه وعقله ولسانه بنعمة البيان ، كل يدلى بدلوه ، فإذا العلماء يقولون ويبينون ، والقراء يقرءون ويسمعون ويفهمون ، القراء يسألون والعلماء اقتداءً بكتاب الله وسنة رسوله يفتون .

من هنا كان عليّ كقارىء أن أقول كلمة إنصاف للأزهر ، ورجالاته الأبرار ، وإن الحديث عن الأزهر لذو شجون ، لا يتأتى لأحد أن يحيط به ، ولكن نلقى نظرة لعل فيها مايفيد .

قرأت لك ..

القارىء : السيد سليمان السيد - محرم بك - الإسكندرية ، وهو صديق جديد ، نأمل أن تستمر مراسلته بأفكار جديدة يقول :

قال الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه متدبراً للقرآن ومستنتجاً منه : عجبت لأربع ، فكيف يغفلون عن أربع ؟ :

١ - عجبت لمن ابتلى بالخوف كيف يغفل عن :

﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (آل عمران : ١٧٣)

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾

(آل عمران : ١٧٤) ..

ذكاء الإمام أبى حنيفة - رضى الله عنه

ويرسل القارىء : رمضان إبراهيم الأقرع هذه اللمحة التى تبين ماكان يتمتع به الإمام أبى حنيفة من ذكاء ، فيقول : جاءت امرأة إلى الإمام أبى حنيفة النعمان - رحمه الله تعالى - وهو جالس فى مجلس العلم ، يلقى درساً لتلاميذه ، فألقت عليه تفاحة حمراء ، فأخذها منها ، وطلب إحضار السكين ، وشق التفاحة نصفين ، ثم أعطاها للمرأة ، وقال : هكذا وتعجب التلاميذ وسألوه عن سر ذلك ، فقال : سألتنى عن الحيض ، ومتى تطهر ؟ فكان جوابى لها : بالتفاحة ، حين ظهر بياضها فإذا رأت البياض وانقطع الدم طهرت !

٢ - عجبت لمن ابتلى بمكر الناس به كيف يغفل عـن :

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (غافر : ٤٤)

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ (غافر : ٤٥) .

٣ - عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يغفل عن :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٣) .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾ (الأنبياء : ٨٤) .

٤ - عجبت لمن ابتلى بالغم كيف يغفل عن :

﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٧) . .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ (الأنبياء : ٨٨) .

دعاء يونس عليه السلام

وعن الدعاء - أيضاً - وردت رسالة القارىء / حازم محمد عرابى - العريش ، يقول :

قال - ﷺ - « لقد كان دعاء أخى يونس عجباً ! ، لا إله إلا أنت - سبحانك - إنى كنت من الظالمين » ، أوله تهليل (لا إله إلا أنت) . . وأوسطه تسبيح (سبحانك) ، وآخره إقرار بالذنب (إنى كنت من الظالمين) ، ما دعا به مهموم ، ولا مغموم ، ولا مكروب ولا مديون فى يوم ثلاث مرات إلا استُجيب له . .

صلة الرحم .. عبادة سريعة الثواب

القارىء : سِلمى أحمد عبد الباسط - منشأة الأمراء - بنى سويف - يرسل إسهامه عن صلة الرحم ، يقول :

صلة الرحم خُلقٌ شريف ، يدل على نفس سمحة وطبيعة رحبة ، وقد أمر الله - تعالى - الناس أن يحترموا صلة الرحم ، وأن يؤدوا حقوقها ، فقال جل شأنه : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء : ١)

وقد بين لنا الرسول - ﷺ - أن صلة الرحم عبادة سريعة الثواب ، عاجلة البركة ، يرى أثرها فى الدنيا إلى جانب مايدخره الله لها فى الآخرة ، عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « قال الله عز وجل أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت له اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته . . والله - سبحانه وتعالى - يضاعف أجر المعطى عندما يكون عطاؤه لذوى الرحم ؛ لأنه جمع بين صلة الرحم ، وبذل المال ، وبذلك أرضى ربه وأكرم أهله .

أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعـداد الأسـتاذ : عمـر البسطويسى

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل محافظ محافظة لاناد الجنوبية بالفلبين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - بمكتب بمبنى إدارة الأزهر الجديد بحديقة الخالدين بالدراسة فى العاشر من شهر شوال ١٤١٩هـ الموافق ٩٩/١/٢٧ الدكتور مهيد مراتو مونيلان محافظ محافظة لاناد الجنوبية بالفلبين ، وقد دار الحديث خلال هذا اللقاء حول الدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف فى العالم أجمع من خلال بعثاته ، وعلمائه - خاصة - فى دولة الفلبين حيث توجد بعثة أزهرية ، وتقوم بدور هام فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، وتعليم أبناء الفلبين المسلمين قواعد الإسلام الصحيحة وتعاليمه السمحة .

قدم الضيف شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر الشريف لأبناء المسلمين عامة ولأبناء الفلبين بصفة خاصة ، وطلب زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر الشريف علاوة على الطلاب الذين يدرسون بالمعاهد الأزهرية وجامعته العريقة كما طلب زيادة عدد الأئمة والدعاة من الفلبين الذين يحضرون الدورات التدريبية العالمية للدعاة بالأزهر الشريف .

وطلب الضيف من فضيلة الإمام الأكبر زيارة الفلبين حيث يزداد عدد المسلمين يوما بعد يوم وقد وعده فضيلته بدراسة طلباته تمهيدا لتلبيتها وحمله إبلاغ تحياته ودعواته وتقديره لمسلمى الفلبين .

والجدير بالذكر أن الضيف قد تلقى تعليمه ودراسته بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وحصل على الدكتوراة من جامعة الأزهر الشريف .

حضر اللقاء الشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد الفريسيسكان الكاثوليك
وفد رؤساء الأقاليم بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد الفريسيسكان الكاثوليك برئاسة الأب بيتر وليمز والوفد المرافق لسيادته من رؤساء الأقاليم بمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ٢٠ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٦ . وقد رحب فضيلته بزيارة الوفد للأزهر الشريف ودار الحديث خلال هذا اللقاء حول العلاقة بين الأديان وأوجه التعاون المثمر لنشر مكارم الأخلاق والفضائل ، وبث روح الإخاء والحب ، ونشر الإسلام والرخاء والأمان ، وكل هذه الصفات الطيبة من أجل خير البشر ورفاهيتهم لأن كل بنى البشر خلقوا من أب واحد وأم واحدة لقول الله ـ تعالى ـ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات : ١٣) .

وكما تدعو الأديان إلى نشر الفضائل والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، ونصرة المظلوم والوقوف معه حتى يأخذ حقه فإنها تدعو إلى نبذ الحقد ومنع الاعتداء على حقوق الغير واغتصاب أراضى الغير بالقوة والاعتداء على حقوق الغير بغير حق بل عدوانا وتسلطا وقهرا ، ومحاربة كل ألوان الشرور والآثام وكل ذلك لخير البشرية جمعاء ، وأوضح فضيلته أن الحوار بين الأديان لهذه المعانى السامية أمر مطلوب ونشجعه ، وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره وتقديره وامتنانه لشيخ الأزهر على هذه المعلومات القيمة التى تنبع من روح الأديان السماوية جميعا .

وأكد فضيلته على أن كل فضيلة حث عليها الإسلام وجميع الأديان وكل رذيلة نبذها الإسلام وجميع الأديان . حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف ورئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان ، والأب صموائيل فايز الرئيس الإقليمى للفريسيسكان بجمهورية مصر العربية والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر كما قام الوفد بزيارة الآثار الإسلامية بالقاهرة الفاطمية وأبدى إعجابه بها .

مؤتمر المملكة العربية السعودية فى مائة عام

حضر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر افتتاح « مؤتمر المملكة العربية السعودية فى مائة عام » حيث استقبل فضيلته الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس اللجنة العليا لاحتفالات السعودية ، وذلك بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض حيث تم افتتاح المؤتمر الذى حضره عدد كبير من العلماء الأفاضل والباحثين ، والسياسيين ورجال الفكر والإعلام ، من مختلف أنحاء العالم فى المدة من ٩٩/١/٢١ وحتى ١٩٩٩/١/٢٤ وأعلن الأمير سلمان بن عبد العزيز الذى افتتح المؤتمر نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل السعودية ـ أن المؤتمر سيكون له الأثر الكبير فى إثراء الحاضر العربى ونبراسا يستفاد منه فى مسيرة السعودية .

تخريج الدورة ٤٣ لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر ـ الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ـ حفل تخريج الدورة ٤٣ لأئمة ودعاة العالم الإسلامى الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية ـ وعددهم ٢٨ إماما وداعية من دول : أوغندا ، ومدغشقر ، وتايلاند ، وسنغافورة ، والبوسنة والهرسك وأذربيجان ، وألبانيا ، يوم ١٠ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/١/٢٧ .

وقد ألقى فضيلته كلمة حث الخريجين فيها على أن يكونوا قدوة طيبة حسنة ، كما حثهم على التوسط والاعتدال فى فتاواهم ، وأن يبتعدوا عن مواطن الاختلاف والتشدد. لأن الدين الإسلامى دين يسر لاعسر ، ودين يبشر ولا ينفر ، ويتميز بالاعتدال والوسطية والوضوح ، يبغض العنف والتطرف .

كما وجههم أن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو منهاج القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل : ١٢٥)

وأن يكونوا على صلة بالأزهر الشريف وبأساتذتهم الذين انتفعوا بعلمهم وبتوجيهاتهم ، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف وعلماءه فى خدمة أبناء المسلمين فى كل أنحاء العالم لأن هذه هى رسالة الأزهر أن يبلغ ما جاء فى كتاب الله وما صدر عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليكم أنتم أن تبلغوا العلم النافع الذى تعلمتموه فإن العلم أمانة ونحن جميعا مسئولون أمام الله تعالى إن قصرنا فى ذلك لأننا بذلك نكون قد قصرنا فى حق ديننا وأوطاننا وتحدث الشيخ السيد أبو الوفا الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الذى قال أن هذا اللقاء الختامى أصبح مناسبة حضارية ليوم العلم والوفاء لأن فضل العلم على الأمم غير منكور وما تمسكت به أمة إلا رقت وما أقبل عليه فرد إلا عز وبلغ المدارج العليا لقول الله تعالى .

﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ ﴾
(المجادلة : ١١) .

ويوم الوفاء : وفاء الأزهر بدوره فى دعم أسباب التواصل والتعارف والمحبة والتآلف والتعاون فى نشر الدعوة الإسلامية وحين يستقبل الأزهر الأئمة والوعاظ من العالم يقصدونه طلبا للعلم ليعودوا إلى بلادهم أئمة هداة فإنهم يسيرون على منهج الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى قوله :

﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾

(التوبة : ١٢٢) .

وتحدث عن الدعاة الشيخ / محمد شعيب كيازى من دولة أوغندة فقال : نيابة عن زملائى أقدم جزيل الشكر ووافر التقدير إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لجميع التسهيلات التى قدمت لنا فى خلال هذه الدورة كما نشكره على قيامه بالتدريس لنا منذ بدأت الدورة وحتى نهايتها رغم انشغاله بمسئوليات لاحدود لها فجزاه الله خير الجزاء ، كما أشكر فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وكل الأساتذة والمشايخ

الذين قاموا بالتدريس لنا وقد استفدنا كثيرا منهم ، وأصبحنا قادرين على العمل على تحسين الحالة الروحية للإنسان المسلم ، والقدرة على التأثير على مجريات الأمور الدينية والدنيوية بما يخدم مصلحة الأمة الإسلامية فى الدنيا والآخرة وهذا بفضل ما تلقيناه من تعليمات ومعلومات أزهرية دقيقة ، وقد طلب من فضيلة الإمام الأكبر طبع المحاضرات التى تلقوها فى هذه الدورة الناجحة وعددها ٣٠٦ محاضرات لأهمية وقيمة هذه المحاضرات التى لاتقدر بثمن وذلك للاستفادة بها فى المستقبل القريب والبعيد وقدم الشكر للدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح للاقتصاد الإسلامى بالأزهر الشريف ، حيث قام بالتدريس لهم وزودهم بمحاضرات مطبوعة فى كتيبات عن المعاملات المالية والمصرفية والتى كان أساسها القرآن الكريم وسنة النبى - صلى الله عليه وسلم - كما أشار إلى أن الدعاة يواجهون التحديات الكثيرة من نظرائهم فى الأديان الأخرى ، وذلك نظرا لتدنى مستوياتهم العلمية والفكرية مما يحول دون القدرة على الدفاع عن معتقداتهم الدينية والفكرية ، ولذلك يرجو التكرم بالعمل على ما فيه الكفاية ، لتحسين مستواهم وتزويدهم بما يؤهلهم للدفاع عن أنفسهم فى جميع المجالات ، وتمنى أن يكون الأزهر هو الرائد فى هذا الأمر . وفى نهاية الحفل قام فضيلة شيخ الأزهر بتوزيع شهادات التخرج والجوائز على الخريجين كما أهدى مكتبة إسلامية لكل خريج لتكون مرجعا هاما له .

افتتاح الدورة الرابعة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى

كما قام فضيلته بافتتاح الدورة الرابعة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامى لعدد ٢٧ إماما وواعظا من دول بورما ، واليمن ، وباكستان ، وسيرلانكا ، وساحل العاج ، والنيجر ، والدورة تستمر ثلاثة أشهر .

حضر الحفل فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية رئيس الإدارة المركزية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الحفل والسيدة السفيرة نائب مساعد وزير الخارجية للعلاقات الثقافية والشئون الدينية والأستاذ الدكتور / محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح للاقتصاد الإسلامى بالأزهر الشريف والسادة علماء الأزهر ، ورجال الصحافة والإعلام والشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر والشيخ عبد الفتاح الزيات مدير اللجنة العليا للدعوة .

افتتاح مجمع المعاهد النموذجية بمدينة العاشر من رمضان

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر الشريف - بافتتاح مجمع المعاهد النموذجية بمدينة العاشر من رمضان والذى تكفل ببنائه السيد / محمد فريد خميس رجل الأعمال ، رجل البر والخير ، وقد أشاد فضيلة شيخ الأزهر فى كلمته بأصحاب المشروعات الخيرية قائلا : نعم المال الصالح للرجل

الصالح ، فهنا فى العاشر من رمضان قلوب كثيرة متفتحة للخير ولعمل الخير ، كثير من الرجال الذين يبنون ولايهدمون ويعمرون ولايخربون ويصلحون ولايفسدون ويجمعون ولايفرقون ، إنهم رجال الأعمال بمدينة العاشر من رمضان الذين نشعر معهم بالخير والسعادة وكل الامتنان لهم ، وهم بدأوا مسيرة التعمير والنماء والعطاء وقال : إن هذه المدينة باسمها تذكرنا بيوم العاشر من رمضان منذ ٢٦ سنة عندما نجح أبناء القوات المسلحة المصرية فى الدفاع عن وطنهم وكرامتهم بقيادة رجل نذكره بكل الخير والشموخ وهو الرئيس الراحل محمد أنور السادات الذى يجب أن نعطيه

حقه من الوفاء لأن ديننا الإسلام يحتم علينا أن نعطى لكل ذى حق حقه حيث كان هذا الرجل قائدا مخضرما فى حرب يوم العاشر من رمضان ندعو الله سبحانه وتعالى أن يحشره مع الصديقين والشهداء لأنه من الرجال الأوفياء وعلينا أن نذكر كل من ضحوا من أجلنا ، كما نذكر قائد الضربة الجوية الأولى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى قام بالضربة الجوية الأولى التى فتحت لقواتنا أبواب النصر المبين الذى رد كيد الأعداء وندعو الله أن يمتعه بالصحة والعافية وطول العمر ، وأشار فضيلته أن ما تقوم به وزارة التعمير من جهد كبير بقيادة الدكتور محمد إبراهيم سليمان نقدره

ونشعر به فالتوسعات التى تشهدها المدينة يوما بعد يوم تجلب الخير لوطننا ولكل الناس حيث إننا ومنذ أعوام قليلة لم تكن هناك كل هذه المساكن والمصانع التى تعمل ليل نهار لتزيد الخير وتفتح أبواب الرزق للناس وهذا عمل طيب ندعو الله أن يزيده ويوسعه . ودعا فضيلته أن يكون هذا العمل فى ميزان حسنات صاحبه لأن من يبنى صرحا يعود بالخير على الناس كالمعهد الأزهرى أو المستشفى أو المسجد يستحق منا الشكر والتقدير ومن الله سبحانه حسن المثوبة .

نداء إلى المجتمع الدولى

ناشد فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ المجتمع الدولى أن يتخذ فورا الخطوات التى تردع الصرب المعتدين والتى تعيد إلى أبناء كوسوڤو حريتهم وأمنهم ، وقال نحن مع شعب كوسوڤو المسلم المظلوم الذى تنتهك حرماته وحريته من جانب الصرب المعتدين ، وأكد فضيلته على ضرورة مناصرة هذا الشعب المسلم وتقديم العون والمساعدة له حتى يعيش آمنا مطمئنا حرا كريما على أرضه ، ويجب على الدول العربية والإسلامية بصفة خاصة مناصرة أبناء كوسوڤو والوقوف إلى جانبهم ، ويجب على المجتمع الدولى والإنسانى بصفة عامة أن يتخذ فورا الخطوات التى تردع المعتدين ، وتعيد إلى أبناء كوسوڤو حريتهم وأمنهم ، وقال :

إننا أيضا مع الجماهيرية الليبية الشقيقة وضد محاصرتها بأى لون من ألوان المحاصرة ، وإننا ندعو العلى القدير ـ سبحانه وتعالى ـ أن يديم على الجماهيرية الليبية نعمة السلام والرفاء والاطمئنان ، كما نسأله ـ سبحانه ـ أن يوفق

المسئولين فيها لحل مشكلة لوكيربى بالطريقة التى تحفظ للجماهيرية الليبية الشقيقة حريتها وأمنها وكرامتها وعزتها .

الوقوف إلى جانب الشعب العراقى

أعلن فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ أننا نقف جميعا إلى جانب الشعب العراقى ، لكننا ضد نظامه ، وأن المصائب التى أصابت الأمة الإسلامية كانت بسبب هذا النظام الذى يقوم على الغدر ، والغدر ضد مبادىء الإسلام ، مشيرا إلى أن نظام الحكم فى العراق كان سببا فى انقسام الأمة الإسلامية ودعوة الدول العربية والإسلامية إلى مقاطعة مصر بعد معاهدة السلام مع إسرائيل .

المسلمون والمسيحيون يعيشون جنبا إلى جنب

وأكد الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر أن المسلمين والمسيحيين يعيشون جنبا إلى جنب منذ ١٤ قرنا ، والجميع تظله سماء واحدة وتجمعنا مصالح مشتركة وأن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات ، أما العقائد فبين العبد وربه .

● وأضاف أن الذى يستحل التعامل بالربا يكون مرتدا عن الإسلام ، ويحق لزوجته طلب الطلاق ، وأشار إلى أن دفع الضرائب لايغنى عن دفع الزكاة لأن الضريبة أمر يفرضه ولى الأمر لصالح المجتمع ، أما الزكاة فهى حق الله وتعطى للمساكين والمحتاجين دون تدخل من الدولة فى ذلك .

● كما أشار إلى أن الأزهر الشريف له الرقابة الكاملة على كل ما ينشر من مطبوعات دينية وعلى رأسها القرآن الكريم ، ولكن ليس من حقه أن يصادر هذه المؤلفات ، لكن المصادرة تتم من خلال الأحكام القضائية ، مؤكدا على أن الأزهر قام بالرد على الشبهات التى ذكرت حول القرآن الكريم . جاء ذلك فى المحاضرة التى ألقاها فضيلته على طلاب الجامعات والمعاهد بمعهد إعداد القادة بحلوان فى ١٣ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/١/٣١ .

قرارات لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ قرارا بسفر فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف إلى إيطاليا لمدة أربعة أيام ، تبدأ من تاريخ السفر لحضور مؤتمر حول بيت لحم (٢٠٠٠) المقرر انعقاده فى الفترة من ١٨ ـ ١٩ فبراير ١٩٩٩ بمدينة روما ممثلا للأزهر الشريف . صدر فى ١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٨ يناير سنة ١٩٩٩ .

● كما أصدر فضيلته قرارا بتشكيل لجنة عليا للإشراف على أعمال لجان امتحان حفظ القرآن الكريم للمتقدمين لمسابقة الابتعاث ولجان امتحان المتقدمين للإعارة إلى الخارج فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وفى القرآن الكريم للعام الدراسى ٢٠٠٠/٩٩ برئاسة شيخ الأزهر وعضوية كل من : ـ

١ ـ فضيلة الشيخ وكيل الأزهر نائبا للرئيس .

٢ ـ فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عضوا .

٣ ـ فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية عضوا .

٤ ـ فضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر عضوا .

٥ ـ فضيلة الأمين المساعد للدعوة عضوا .
٦ ـ فضيلة الأمين المساعد للبعوث الإسلامية .
٧ ـ فضيلة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم عضوا .
٨ ـ فضيلة وكيل المعاهد الأزهرية لشئون الخدمات عضوا .

ويناط بفضيلة وكيل الأزهر متابعة أعمال لجان الامتحان المنصوص عليها بالمادة التالية : ـ

المادة الثانية : يصدر بتشكيل لجان امتحان حفظ القرآن الكريم للمتقدمين لمسابقة الابتعاث ولجان امتحان المتقدمين للإعارة إلى الخارج فى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وفى القرآن الكريم للعام الدراسى ٩٩/٢٠٠٠ قرار من فضيلة الشيخ وكيل الأزهر .

المادة الثالثة : يكون مقر جميع لجان الامتحان المنصوص عليها بالمادة الثانية من هذا القرار بمبنى المعهد الابتدائى النموذجى بمجمع المعاهد النموذجية بمدينة نصر .

صدر فى ١ من شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٦ يناير سنة ١٩٩٩ .

● كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشيخ الأزهر بتشكيل لجنة من السادة الآتية أسماؤهم بعد مراجعة الكشوف الواردة من المناطق الأزهرية بأسماء المرشحين للتعيين من المتقدمين لمسابقة التعيين المعلن عنها خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر سنة ٩٨ بمراعاة الأسبقية فى الترتيب النهائى للمرشحين ، طبقا لحكم الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ٧٨ وهم : ـ

١ ـ السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر رئيسا.
٢ ـ السيد الأستاذ وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق عضوا .
٣ ـ السيد الأستاذ / مدير عام شئون العاملين عضوا .
٤ ـ السيد الأستاذ / أحمد جمعة المحامى بالإدارة المركزية للشئون القانونية عضوا .
٥ ـ السيد الأستاذ / مدير إدارة التعيينات بشئون العاملين بالأزهر عضوا .

وتكون مهمة هذه اللجنة :

١ ـ تحديد موعد حضور مندوب لكل منطقة ومعه كشوف المرشحين للتعيين .
٢ ـ مراجعة الكشوف الواردة بأسماء المرشحين طبقا للقواعد المقررة وذلك فى حضور مندوب المنطقة .

المادة الثانية : يكون المختصون بكل منطقة تعليمية أزهرية مسئولين كل بحسب اختصاصه عن تحديد وتسجيل وترتيب أسماء المرشحين المتقدمين لشغل الوظائف الشاغرة المعلن عنها فى الكشوف المعدة لذلك طبقا لشروط الإعلان وحكم الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة . صدر فى ١٥ شوال ١٤١٩ هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٩٩ م .

● كما أصدر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر قرارا بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ / محمد عبد العظيم إبراهيم جمعة المدير العام لمنطقة جنوب سيناء الأزهرية إلى المملكة العربية السعودية لحجز الأماكن الخاصة لإقامة الحجاج التابعين لجمعيات محافظة جنوب سيناء للعام الهجرى ١٤١٩ هـ لمدة سبعة أيام اعتبارا من تاريخ السفر على ألا يتحمل الأزهر أية نفقات مالية .

صدر فى ٢٠ من شوال ١٤١٩ الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٩٩ .

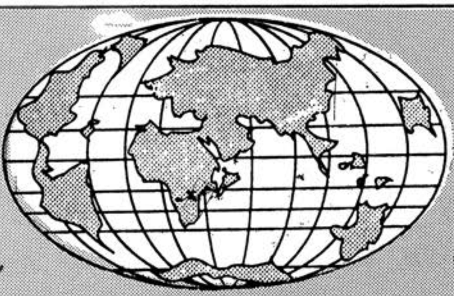

أخبار العالم الإسلامي

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

من المحرر

٢ مليار سنوياً أموال الزكاة ... أين تنهب ؟

قدرت بعض المصادر الاقتصادية العلمية أن حجم مايخرجه المسلمون فى مصر من الزكاة حوالى ٢ مليار جنيه مصرى سنوياً .. والسؤال :

أما آن الأوان ـ بعد ـ لتنظيم الزكاة فى مصر ؟

ألا يتفق أغنياء المسلمين فى مصر كل عام على تنفيذ مشروع قومى يخدم فقراء المسلمين ؟

ثم أين دور الأزهر المعمور ؟ وأين فكر جامعة الأزهر ؟ وأين دور كليات الدعوة وأصول الدين والشريعة والتجارة ؟ لماذا لايجلس علماء وأساتذة الأزهر معاً يفكرون فى طريقة مثلى يتم بها توظيف أموال الزكاة ، وكيفية استثمارها لخدمة فقراء المسلمين ؟

إن أموال الزكاة لم تجد بعد طريقها إلى مستحقيها ، ولم تجد بعد الفكرة الجريئة التى يلتف حولها المسلمون ؛ ليقدموا طائعين مختارين زكاة أموالهم .

فهل يدعو فضيلة الإمام الأكبر إلى ندوة أو لجنة .. فالأمر هام وعاجل .

●●●●

مصـــر

٢٩٠ منحة دراسية لأبناء المسلمين فى العالم للدراسة بكليات الأزهر

خصص الأزهر الشريف (٢٩٠) منحة دراسية لأبناء المسلمين فى العالم ؛ للدراسة بجميع كليات جامعة الأزهر .

ومن الدول التى حظى طلبتها بالمنح الدراسية : -

تركيا - الفلبين - أوكرانيا - الشيشان - الصومال - نيجيريا - أوغندا - غانا - بوركينا فاسو - جيبوتى وإندونيسيا .

وقد أكد فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر ، ورئيس لجنة شئون الطلاب الوافدين بأن الأزهر قد خصص خمسين منحة دراسية لأبناء أندونيسيا ، نظراً لظروفهم الاقتصادية .

●●●●

٥٠٠ ألف جنيه من أهل الخير مساعدات لطلبة ماليزيا وكفالة ١٤٠٠ طالب أندونيسى

يواجه طلاب دول جنوب شرق آسيا - الدارسون بالأزهر مشكلات صعبة لانهيار اقتصاد بلادهم . . ، وقد تشكلت لجنة لمساعدة طلاب الأزهر ، جمعت حتى الآن نصف مليون جنيه مصرى كمرحلة أولى وكمساعدة عاجلة لطلاب ماليزيا ، وسوف يتم تخصيص مبالغ أخرى لطلاب تايلاند والفلبين كما تبرع تجار مصريون بكفالة ١٤٠٠ طالب أندونيسى .

●●●●

قطــر

الدوحة : وكالة الأنباء الإسلامية :

١٤٥٠٠ يتيم فى ٣٢ دولة ترعاهم جمعية قطر الخيرية

تكفل جمعية قطر الخيرية أكثر من (١٤٥٠٠) يتيم فى حوالى ٣٢ دولة فى أنحاء العالم بقارات آسيا وأفريقيا وأوربا ، وتقدم الجمعية للأيتام من سن الخامسة وحتى السادسة عشرة الرعاية الكاملة والتأهيل المهنى .

الجدير بالذكر أن كفالة اليتيم حوالى ١٠٠ - ٢٠٠ ريال قطرى شهريا .

أما بالنسبة لكفالة الأسرة الواحدة فتبلغ ٢٠٠ ريال قطرى ، والجمعية تدعو أغنياء المسلمين فى العالم للتبرع وإرسال مساهماته عن طريق مكاتب الجمعية .

●●●●

ســوريــا

دمشق - وكالات الأنباء

حذرت سوريا من توجيه ضربات عسكرية جديدة للعراق

حذرت سوريا من شن هجمات عسكرية أمريكية ضد الشعب العراقى ، وطالبت دمشق بضرورة رفع الحظر المفروض على العراق ، وحل الأزمة القائمة بين بغداد ، والأمم المتحدة بالطرق السلمية .

وقد وجه رئيس الوزراء التركى انتقادات حادة إلى سياسات الولايات المتحدة بشأن معالجة الأزمة القائمة بين بغداد والأمم المتحدة ، وانتقد القصف الأمريكى الأخير للأحياء السكنية .

●●●●

السعودية

مكة المكرمة - إينا :

٣٠٠ ألف ريال سعودى ثمن المتر فى منطقة الحرم

تعتبر المنطقة المحيطة بالحرم المكى الشريف أغلى منطقة عقارية فى العالم ، حيث بلغ سعر المتر

المربع فيها (٣٠٠) ألف ريال سعودى ، ومع ذلك فهى تتميز بكونها من أكثر المناطق التى تحقق أعلى عائد استثمارى .

ويتوقع خبراء العقار فى مكة المكرمة أن يتجاوز سعر المتر المربع حدود ٣٧٠ ألف ريال فى هذه المنطقة .

●●●●

ليبيا

طرابلس ـ أ . ف . ب :

وفد نيجيرى يخترق الحظر الجوى على ليبيا

اخترق وفد نيجيرى الحظر الجوى الذى تفرضه الأمم المتحدة على ليبيا منذ عام ١٩٩٢ م ، وصل الوفد المكون من كبار المسئولين النيجيريين إلى مطار طرابلس لتسليم رسالة من الرئيس عبد السلام أبو بكر إلى الزعيم الليبى معمر القذافى .

الجدير بالذكر أن الجماهيرية الليبية فى حالة استياء من الموقف العربى الذى لم يقف إلى جوار ليبيا فى صراعها مما حول السياسات الليبية باتجاه أفريقيا فى محاولة للإعلان عن استياء ليبيا من موقف الدول العربية من الحصار .

●●●●

أثيوبيا

نيويورك ـ وكالات الأنباء

مجلس الأمن يطالب أثيوبيا واريتريا بإنهاء النزاع الحدودى

حث مجلس الأمن الدولى كلًا من أثيوبيا واريتريا على إنهاء النزاع الحدودى بينهما ، وأكد مجدداً دعمه لجهود الوساطة الأفريقية لحل النزاع وترحيبه بخطة السلام التى أعدتها منظمة الوحدة الأفريقية .

وقد وافق مجلس الأمن بالإجماع على قرار يدعم خطة السلام التى أعدتها المنظمة ، وأعرب المجلس عن قلقه العميق إزاء خطر اندلاع حرب بين البلدين .

●●●●

الولايات المتحدة الأمريكية

بلتيمور ـ نقلاً عن جريدة بلتيمورصن :

رئيس الجامعة العبرية اليهودى يتعمد الاساءة للنبى. صلى الله عليه وسلم.

نشرت جريدة بلتيمور صن مقالة افتتاحية تحتوى على إساءة للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتبها (روبرت فريدمان) وهو يهودى ورئيس جامعة بلتيمور العبرية بالولايات المتحدة .

وقد زعم هذا اليهودى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقض عهده مع اليهود بعد أن أصبح قوياً ، وأن عرفات يقول بأن اتفاقية أوسلو تكتيكية ؛ ويرى الأستاذ اليهودى أن عرفات سيفعل كما فعل محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ

والجدير بالذكر أن مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية قد علق على هذا المقال ببيان مشيراً فيه إلى اعتبار مقال فريدمان صورة من صور الإساءة للإسلام ، وتدل على جهل الكاتب بالتاريخ الإسلامى .

chamelier conduisit la bête par la bride et nous rejoignîmes l'armée à midi, alors qu'elle faisait la sieste.[2]

Tous ceux qui ont pris part à la calomnie ont couru à leur perte. Le chef de la bande fut Abdollah Ibn Obey Ibn Saloul.

Rentrée à Médine, je tombai malade. Je suis restée ainsi pendant un mois. Les gens ne faisaient que colporter les calomnies à mon sujet .

Ce qui m'intriguait, c'était le comportement du Prophète-b.s-qui n'affichait plus la prévénance dont il m'entourait auparavant quand je me trouvais malade. Il ne faisait qu'entrer saluer et dire:"Comment va celle-la". Moi, je ne me souciais de rien jusqu'au jour où je commençai à me rétablir.

Je sortis avec Om-Mistah (la tante maternelle d'Abou Bakr) pour mes besoins, hors de la ville. Nous n'y allions que de nuit, n'ayant pas de waters près de nos habitations. C'étais l'habitude des anciens arabes, ils faisaient leurs besoins à la campagne.

En marchant Om-Mistah s'empêtra dans son habit et trébucha. "Malheur à Mistah!"dit elle."Quelle abominable parole que celle que tu dis là!Tu médis un homme qui a participé à la bataille de Badr ?" lui dis-je."Petite, dit-elle, n'as-tu pas entendu ce qu'il a dit de toi?" Elle me raconta l'histoire.

Je fus encore plus malade. Je rentrai chez moi. Le Prophète-b.s-comme d'habitude vint et dit:"Comment va celle-la ". Je lui dis:"Permets-moi d'aller chez mes parents." Il me le permit. Je voulais en rendant chez eux apprendre de leurs bouches ce qu'on propageait à mon sujet. Arrivée chez eux, je demandais à ma mère ce que m'attribuaient les gens. "Ne t'affliges pas ma petite, dit elle. Par Allah! toute femme qui jouit d'une certaine beauté et qui est aimée de son mari est enviée et chicanée de ses co-épouses!" "Quoi, les gens disent cela de moi?"lui répondis-je.J'ai passé la nuit en pleurs, sans fermer les yeux et le lendemain aussi.

La révélation ayant tardé, le Prophète-b.s-demanda avis à Oussama ibn Zaïd et Ali Ibn Aboutaleb, s'il devait me répudier.

Oussama dit ce qu'il pensait de mon innocence et montra l'affection qu'il portait à la famille du Prophète-b.s-"C'est ton épouse, dit-il et je n'en pense que tu bien."

Quant à Ali, il répondit:"Allah ne t'a pas imposé de restriction en matière de mariage et les femmes sont nombreuses.D'ailleurs tu peux interroger l'esclave Barira, elle te dira la vérité".

Le Prophète-b.s-appela Barira et lui dit:"As-tu des soupçons sur Aïcha?." "Je jure,dit-elle, par Celui qui certes t'a chargé de la mission de Prophète, que je n'ai rien reprocher, sauf qu'elle est jeune et s'endort, laissant la pâte à la portée de la brebis qui vient en manger."

Le jour même, le Prophète-b.s.-monta en chaire et se plaignit d'Abdallah Ibn Saloul et dit:"Serais-je incorrect si je demande justice d'un homme dont la calomnie a nui à ma famille? Je jure par Allah! que je ne soupçonne aucune infédilité de ma femme. Les gens incriminent un homme dont je ne pense aucun mal. D'ailleurs, il ne s'introduisait chez moi qu'en ma présence."

à suivre

La calomnie sur Aïsha a.s.e.–.
Kissat-oul-Ifki.

Par: Mme Hoda Hussein Chaarawy

Voici la mésaventure rapporté par Al-Boukhary et racontée par Aïcha-a.s.e-elle même:

Elle dit:

Chaque fois que le Prophète-b-s-partait en voyage, il tirait au sort parmi ses femmes pour désigner celle qui avait la faveur de l'accompagner. Ce fut mon tour de partir avec lui, lors d'une campagne dans la contrée de la tribu des Beni Mostalak.

A ce moment, le port du voile était déja institué. Je voyageai donc en palanquin à dos de chameau.

La mission du Prophète -b.s- terminée, nous prîmes le chemin du retour. A l'approche de Médine, après un bivouac pendant le jour, le Prophète-b.s-ordonna la nuit de lever le camp.Pendant que les hommes faisaient leurs préparatifs de départ, je me suis éloignée pour faire mes petits besoins. Retournée à ma place, je me suis aperçu en tâtant ma poitrine, de la disparition de mon collier en onyx odoriférant. Je suis retournée sur mes pas, ce qui m'a retardée.

Les personnes chargées de mon palanquin le replacèrent sur le dos du chameau croyant que j'y étais. Les femmes d'alors étaient légères, elles mangeaient sobrement. Les hommes soulevèrent donc le palanquin-qui était vide-en pensant que j'y étais. J'étais alors jeune (elle n'avait pas encore 15ans). J'ai trouvé mon collier après leur départ. Je revins à ma place. Le camp était vide. Je me suis dit qu'ils ne manqueront pas de remarquer mon absence et de revenir pour me chercher. Je m'assis à ma place et le sommeil me gagna.

Safouane Ibn Al-Mouatal Al-Solami[1] assurait l'arrière-garde de l'armée. Il passa près de moi et remarqua une silhouette d'une persponne endormie. Il se dirigea vers moi. Il poussa une exclamation et dit:"Nous sommes à Allah et nous retounerons à Lui."Je me suis reveillée, il me reconnut car il m'avait vu avant le port de voile. J'ai caché mon visage, je jure par Allah il ne me parla pas et je n'ai pas prononcé un mot. Il agenouilla son chameau et je pris place sur la monture. Le

[1] Le Prophète-b.s-recommandait à Safouane de rester à l'arrière-garde pour ramasser les objets oubliés après le départ de l'armée et rejoignait l'armée à la prochaine halte.

[2] A sa vue, les calomniateurs l'accusèrent d'avoir commis l'adultère avec Safouane.

un honneur et une responsabilité. Toutefois, au sein de la famille, l'épouse conserve son indépendance financière et son identité propre.

Si Allah a assigné à chacun des charges différentes et qui conviennent à sa nature, cela ne réduit en rien la dignité de la femme.

D'autre part l'Islam a institué, en règle générale, le droit de l'homme à hériter le double de la femme. Rappelons tout d'abord que la famille en Islam est un concept beaucoup plus large que dans les autres civilisations: elle s'étend aux parents, aux frères et soeurs, aux oncles et tantes, neveux etc. Ceci apparaît clairement dans les lois de l'héritage qui réservent à l'homme une part double de celle de la femme.

En effet, en Islam l'homme est légalement responsable de sa mère (veuve), de sa soeur, de sa nièce. D'autre part, c'est lui qui verse une dot quand il veut se marier. Par contre, la femme recoit une dot à son mariage et elle est libre de disposer ses biens sur lequels son époux n'a aucune autorité.

Ajoutons que l'on ne peut pas généraliser ce droit de l'homme à une part double de celle de la femme. Voici quelques cas où l'Islam a prévu une part égale de l'héritage pour l'homme et la femme : la mère hérite autant que le père, quand le légataire est leur fils, de même le frère maternel hérite du sixième comme la soeur, etc.

Si l'Islam a honoré la femme, le prophète b.s. a également recommandé d'en prendre soin tout particulièrement de la mère mais aussi de l'épouse, de la soeur, et de la fille. Il a dit: «Je vous recommande d'être bienfaisants envers les femmes» (Al Bokhari et Muslim).

Rokeya Gabr.

LA SITUATION DE LA FEMME EN ISLAM

par : Docteur Rokeya Gabr

Ce que l'islam a institué pour la femme en Islam il y a plus de quatorze siècles reste encore valable de nos jours après le développement culturel que connaît l'humanité.

En rappelant la situation d'infériorité où se trouvait la femme avant l'islam, nous pouvons nous rendre compte des grands pas faits par la femme grâce aux enseignements de l'islam. En effet, l'islam a détruit les chaînes qui l'emprisonnaient, il l'a sauvée des agressions auxquelles elle était sujette. En lui restituant ses droits injustement usurpés, il lui a rendu sa dignité et en reconnaissant son égalité avec l'homme. Hommes et femmes ont les mêmes devoirs et les mêmes responsabilités envers Allah. On trouve dans le Saint Coran: (O vous les humains, craignez votre Seigneur qui vous a créé d'une même nature) Sourate An-Nisa, v.1

La législation islamique régit aussi bien la vie de l'homme que celle de la femme; toutefois elle fait une distinction dans le domaine du mariage où les responsabilités sont réparties à l'intérieur du couple: l'homme est chargé de l'autorité comme le montre le Hadith suivant: Selon « Omar, le prophète b.s.a dit: L'homme est un berger pour les siens et il en est responsable» (Al Bukhari et Muslim).

II est également chargé de la dépense. Selon Djabi' le Messager d'allah b.s. a dit : « Vous devez à celles-ci les moyens de subsistance et les vêtements, selon la coutume» Muslim.

Quant à la femme, elle est chargée de veiller à ses enfants à les éduquer et à prendre soin de ses charges ménagères. Selon Ibn Omar, le Messager d'Allah b.s. a dit : «La femme prend soin de la maison de son époux».

Cette répartition des tâches n'est pas pas une preuve de l'infériorité de la femme par rapport à l'homme. Dans toute communauté il est nécesssaire d'élire un de ses membres pour veiller à ses besoins et en être le représentant. De même la famille a besoin d'un chef et le Coran a désigné l'homme pour cette fonction ce qui est à la fois

REVUE
AL AZHAR

Zu-L- Qieda 1419 H. Mar. 1999 Vol. 71 Part XI

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Muslims are also asked to guard against injuring the muslims by deed or tongue. They are also asked to abstain from : cutting nails, pulling out hair, using scent (whether on the clothes or on the body), killing or assisting in hunting any land game, cutting trees, plucking vegetables, or collecting a lost property. Proposing to a woman or contract a marriage and sexual intercourse are also prohibited. As for men only puttting any cover on the head or wearing any sewn garment is also prohibited during Ihram.

What should be done on Arafat day :

As Arafat is a basic pillar of Hajj. One should not miss the opportunity of spending the day in Talbiyah and Dua until sunset. Muslims should arrive at Arafat from Mena after sunrise and pray Thuhr (noon prayer) and Asr (afternoon prayer) there.

The Tawaf :

Tawaf is one of the pillars of Hajj; it should be done in certain manner to be accepted. It should be done seven times starting each round at the stone and end it at the stone (counter clockwise), besides the other conditions of Tawaf which includes: Intention, cleanness, concealment of private parts and keeping the round beyond Ismael's Hejr) since it is part of Ka'aba.

The Sa'ye :

Sa'ye between the two mountains of As-safa and Al-Marwa is an other pillar of Hajj, Seven trips are required to complete the Sa'ye, one way from As-afa to Al-Marwa is counted one trip. Descending back from Al-Marwa to As a fa is counted another trip.

Finally this was just a brief explanation of Hajj and its performance which might arouse your curiosity for further reading; may Allah bless us all with Hajj and make us amongst those He is called to perform it. Ameen.

Since then the hearts of all the believers are tied to that House out of love, sincerity and the great desire for the spiritual purity and strength Hence Hajj was obligated for its spiritual and physical importance to the faith and believe of the muslim.

The Performance of Hajj :

Hajj has certain pillars and duties for it is an obligated worship that has to be performed at certain specific time and in stated fixed manner.

The Pillars of Hajj :

Hajj has certain pillars which can not be left out for leaving out one of them renders one's Hajj incomplete. These pillars are :

1 - Ihram
2 - Standing on Arafat
3 - Tawaf (7 rounds)
4 - S'aye (between As-afa-and Al-Marwa seven times).

Duties of Hajj :

The duties of Hajj are different from it's pillars for leaving out one of it's duties must be compensated by slaughtering of an animal in Mekkah. These duties are:

1 - Ihram at its appointed points.
2 - Standing on Arafat until sunset.
3 - Spending the night in Muzdalefah.
4 - Spending the three nights succeeding Eid day in Mena.
5 - Throwing the pebbles at the jamras.
6 - Shaving or trimming the hair.
7 - Farewell Tawaf.

The Ihram:

After reaching the prescribed station (Miqat), one is asked to take a shower, use perfume and wear the special two piece garment. Women may wear any clothes as long as they do not display their adornments; they should completely cover the body except for the face and hands. Make all the intentions of performing the Hajj saying the (Talbiyah).

"Labbayk, Allahumma Labbayk. Labbayk La shareek laka labbayk. Innal-hamda wan-nimata laka walmulk. La shareeka lak"

During Ihram muslims are asked to repeat this Talbiah loudly and frequently.

Obligations during Ihram :

During Ihram mulims are asked to avoid wrong doing, quarreling, shameful speech and committing sins.

"For Hajj are the months well known. If any one undertakes that duties therein, let there be no obscenity, nor wickedness, nor wrangling in the Hajj"

﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ **(S.2 A.179)** .

THE IMPORTANCE OF HAJJ

By : Hadeer Abo El-nagah

All praise due to Allah who created His holly House as a direction and security to mankind. He Almighty established Hajj as a fifth pillar of Islam for those who can afford it. It is the completion of the faith and the journey of a lifetime. Also it is the forgiveness of all the sins and the purification of the soul.

"Remember We made the House a place of assembly for men and a place of safety."

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا
وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (S.2 A : 125)

· Hajj is a spiritual and a financial worship, it is a "jihad" for Allah's sake which He created for our benefit as a gift and a blessing. Hajj is a symbolic worship, for Allah Almighty is bigger and greater to be thought of as an inhabitant of certain place or house but when He asked Ibrahim (Peace and Prayers be upon Him) to build the House it was meant to be as a symbol of unity and directness to all muslims form the time it was built till the end of creation.

"Behold ! We pointed the site, to Abraham, of the (Sacred) House, (saying): "Associate not anything (in worship) with Me; and sanctify My House for those who compass it round, or stand up, or bow, or postrate themselves (therein in prayer). And proclaim the Pilgrimage among men : they will come to thee an foot and (mounted) on every camel, lean (on account of journeys) through deep and distant mauntain highways;"

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ
أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ
٢٦ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (S.22, A.26-27)

« And serve Allah and associate naught with Him, and be good to the parents ».

(The Women – 36)

In the noble Sunnah, the great position that parents should occupy in our lives is made quite clear. Doing good to the parents is the most loved action by Allah after worshipping Him.

Narrated Ibn Masud (may Allah be pleased with him) . A man asked the Prophet (may the peace and blessings of Allah be upon him) :

« What deeds are the best ? The Prophet (Peace and Blessings be upon Him) said To perform the Salat (prayers) at their early stated fixed times, to be good and dutiful to one's own parents, and to participate in Jihad in Allah's cause ».

The Prophet (peace and Blessings Be Upon Him) also stated that being good to the parents can further be extended after their death. He explained to one of the Ansar that this can be done by praying for them, asking Allah to forgive them, keeping their covenants, and by being generous to their friends as well as being good to their kins. So may Allah grant us the reward for doing good to our parents.

(To be continued)

A – The commandments Concerning
● Parents ●

When Allah mentioned the treatment of the parents as already shown in the verses of the Qur'an (Surat Al An'am), He did not say do not abuse your parents but instead He said » Do good to your parents » In fact this is an exaggeration to stress the obligation as regards taking care of the parents and observing their rights. If Allah had said do not abuse your parents, it would not have been enough because to avoid doing wrong to our parents is not sufficient to give them their dues. When Allah mentions the parents immediately after the worship of the Creator Himself, this reveals how crucial that point is. Allah also says in Surat Al Isra :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ
عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا
وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ
وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء - ٢٣ ، ٢٤)

« And the Lord has decreed that you serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not « Fie » to them, and speak to them a generous word.

And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord have mercy on them as they brought me up (when I was) little » .

(Al Isra 23, 24)

Allah Almighty says : ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان - ١٤)

« Give thanks to Me and to thy parents. To Me is the eventual coming ».

(Loqman – 14)

Allah also says : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء - ٣٦)

In Al Fatiha Allah says :

« Thee do we serve and thee do we beseech for help ».

Thus to worship Allah and to ask help from Him only are brought together.

The Qur'an warns against (Sherk) and against its terrible consequences. So, whoever ascribes a partner to the Creator, Allah will leave him to that partner who would be incapable of doing him neither good nor harm because Allah is the only Master of everything. Therefore the one who commits that sin of (Sherk) will be only blamed and abandoned as Allah is not going to give him and aid .

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ (الإسراء - ٢٢)

« Associate not any other god with Allah, lest thou sit down despised, forsaken »

(Al Israa – 22)

The relation among human beings themselves involves two main aspects : words and Deeds. **Deeds** include the treatment of children to their parents « and do good to parents » . They also involve the treatment of parents to children : « and slay not your children for (fear of) poverty— We provide for you and for them » . They further focus on money and property « And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity » . Deeds are also concerned with the sacredness of the soul « and kill not the soul which Allah has made sacred except in the course of justice « They moreover include weight and measurment : « And give full measure and weight with equity – We impose not on any soul a duty except to the extent of its ability ».

Concerning **Words** , Allah says : « And when you speak be just though it be (against a relative). And fulfil Allah's covenant . This He enjoins on you that you may be mindful » .

Thus the commandments of the Qur'an are concluded with a call to bring hearts together around Allah's religion, by asking Muslims to hold on to the Qur'an and to be united by the covenant of Allah.

In Surat Al Ana' am Allah says :

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام - ١٥٣)

« And (know) that this is My path, the right one, so follow it, and follow not (other) ways, for they will lead you away from His way. This He enjoins on you that you may keep your duty » .

(Al An'am 153)

legislation, words and deeds. When the disbelievers interfered in religious matters, the verses were revealed to refute what they fabricated concerning commands and prohibitions. This provided a clear evidence against their falsehood and untruthfulness as well as aginst all the doubts raised by those misled people .

These verses came to liberate the minds of polytheism (Sherk) and to free them of the fetteps of idolatory worship in order to reach faith in Allah. In that way people could behave according to a sound creed and religion remains dedicated to Allah only.

The commandments of the Qur'an are divided into two sections : The first is concerned with the relation between the Creator and the human beings, while the second focusses on the relation among people themselves. The first section is based on the main foundation for the religion of Islam which is monotheism as Allah says : « Say : Come ! I will recite what your Lord has forbidden to you. Associate naught with Him » Here we find that the use of the word « your » « Lord » with the plural pronoun is to inform and remind people that Allah Almighty is their Lord and the master of all their affairs. He is the one who takes care of them and fully controls their lives so they have to obey Him and avoid all prohibitions.

When human beings are forbidden to associate any partner with Allah, then they are directed towards worshipping Him only » .

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

(الكهف - ١١٠)

« So whoever hopes to meet his Lord, he should do good deeds and join no one in the service of his Lord ».

(Al Kahf – 110)

Allah does not accept a deed in which a worshipper associates a partner along with Him. In a Hadith Qudosy Allah said : « I am so self – sufficient that I am in no need of having an associate « Accordingly human beings have to worship and ask help from Him only. One should not ask anybody but : Allah.

On the authority of Ibn Abbas (may Allah be pleased with them both) he said : « One day I was behind the Prophet (may the blessings and peace of Allah be upon him) and he said to me : young man I shall teach you some words of advice) Be mindful of Allah, and Allah will protect you. Be mindful of Allah and you will find Him in front of you. If you ask ask of Allah, if you seek help seek help of Allah. Know that if the Nations were to gather together to benefit you with anything, it would benefit you only with something that Allah had already prescribed for you, and that if they gather together to harm you with anything, they would harm you only with something Allah had prescribed for you. The pens have been lifted and the pages have dried. » (It was related by at –Tirmidhi who said it was a good and sound Hadith).

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

(الفاتحة - ٤)

Commandments of the Holy Qur'an Concerning the Greatest Virtues

By : Hanan Abdou El Tahtawy

Allah says : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا
أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام - ١٥١ - ١٥٢)

« Say : Come ! I will recite what your Lord has forbidden to you : Associate naught with Him and do good to parents and slay not your children for (fear of) poverty – We provide for you and for them – and draw not nigh to indecencies, open or secret, and kill not the souls which Allah has made sacred except in the course of justice. This He enjoins upon you that you may understand.

And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity. And give full measure and weight with equity – We impose not on any soul a duty except to the extent of its abillity. And when you speak be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. This He enjoins on you that you may be mindful.»

(Al Ana'am 151,152)

● Allah revealed the verses above to show what is lawful and what is Forbidden in creed,

AL-AZHAR MAGAZINE

Zu-L- Qieda 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part XI

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـرس

● الحج حكم وأسرار
لفضيلة الشيخ : عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٦٧٣
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر........١٦٧٨
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ : علي حامد عبد الرحيم ١٦٨٤
● الحج ومكانته العظيمة في الإسلام
للشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح ١٦٨٦
● الحج قبل الإسلام وبعد ظهور الدعوة إليه
للمستشار : محمد عزت الطهطاوي........١٦٩٤
● الحج تدريب على القيم العليا
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشي ١٧٠٠
● آدم أبو البشر
للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجي ١٧٠٣
● علنية الإسلام وعلنية الحرب ضده
للشيخ : السيد عبد المقصود عسكر ١٧٠٨
● الاجتهاد وأهميته في العصر الحديث
لسماحة السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم........١٧١٦
● مدرسة النقل في التفسير
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومي ١٧٢٣
● قضايا قرآنية « قضية الرسم العثماني »
للأستاذ : صديق بكر علي عيطة ١٧٢٦
● يسر الإسلام وسماحته
للدكتور : أحمد عبد الرحيم السايح ١٧٣٠
● الداعية الإسلامي وأهمية القدرة على الفهم والإفهام
للأستاذ الدكتور : محمد محمد البادي ١٧٣٨
● من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم (قوم عاد)
للأستاذ الدكتور : مسلم شلتوت ١٧٤٤
● من قادة الخلفاء الراشدين
ذو النورين [عثمان بن عفان رضي الله عنه]
للأستاذ : أحمد السيد تقي الدين........١٧٤٧
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ : السيد العراقي شمس الدين ١٧٥٢
● من أعلام الأزهر
الشيخ محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومي........١٧٥٦
● طرائف ومواقف
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم........١٧٦٢
● الثقافة والأدب في خواطر الإمام الشعراوي
لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ فرغلي علي القرني ١٧٦٤
● زكي مبارك وتأصيل الثقافة الإسلامية
للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد ١٧٧٥
● خميلة الشعر
للأستاذ : محمد عبد الوهاب ١٧٨١
● من أجل يمنك الطهور
للأستاذ : حامد الجوجري........١٧٨٢
● من روائع الماضي لمجلة الأزهر
التقوى في القرآن الكريم
لفضيلة الإمام الشيخ : محمود شلتوت
إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧٨٨
● العلوم الكونية
أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي [المناظر]
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا ١٧٩٢
● الساعة البيولوجية ، وهم أم حقيقة ؟
للأستاذ : مجدي عبد الحميد بشير........١٧٩٦
● دوحة الكتب
إعداد : محمود الفشني........١٧٩٩
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ : عادل رفاعي خفاجة ١٨٠٣
● أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف
إعداد الأستاذ : عمر البسطويسي ١٨٠٨
● أخبار العالم الإسلامي
يحررها الدكتور : حسن علي حامد........١٨١٥

القسـم الفرنسـي

● المقالة الثانية
هدى حسين شرقاوي........١٨١٩
● المقالة الأولى
د . رقية جبر ١٨٢١

القسـم الانجـليزي

● المقالة الثانية
هدير أبو النجاة ١٨٢٥
● المقالة الأولى
حنان عبده طهطاوي ١٨٣٠

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الأيام

كثر خير الله وطاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على أسعد خلق الله، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن والاه.

وبعد

فإن لله - سبحانه وتعالى - لنفحات، وهبات وعطايا خصها بأيام مباركات، وساعات معلومات، من هذه المكرمات أن أطلق على زوار بيته الحرام للحج والعمرة بأنهم وفد الله؛ مصداقاً لحديث: «وفد الله ثلاثة: الحاج والمعتمر والغازي»[1].

والوفد: هم القوم يجتمعون، ويردون البلاد، واحدهم وافد، وكذلك الذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك[2].

(١) حديث صحيح إسناده على شرط مسلم، وأخرجه الحاكم (٤٤١/١) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٩/٥).

وفى الحديث الشريف ، عن ابن عمر : « الغازى فى سبيل الله والحاج والمعتمر وفد الله ، دعاهم فأجابوه ، وسألوه فأعطاهم »[٣] .

وذكر نفى الحج والعمرة ـ الذنوب ـ والفقر عن المسلم بهما لحديث : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة »[٤] .

والمتابعة : أى اجعلوا أحدهما تابعا للآخر ، فإذا حججتم فاعتمروا ، وإذا اعتمرتم فحجوا ، بحيث يأتى بكل واحد من النسكين عقيب الآخر بحيث لا يتخلل بينهما زمان يصح إيقاع الثانى فيه ، وهو الظاهر من لفظ المتابعة[٥] .

كما أن الله ـ تعالى ـ يغفر ذنوب العبد بالحج ، الذى لا رفث فيه ولا فسوق ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كما ولدته أمه »[٦] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[٧] .

وليس هذا فقط بل ترفع الدرجات وتكتب الحسنات وتحط السيئات بخطا الطائف حول البيت العتيق لحديث : « من طاف بالبيت سبعا لا يضع قدما ، ولا يرفع أخرى ، إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة ، ورفع له بها درجة »[٨] .

وعن ابن عمر ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « مسح الحجر ، والركن اليمانى يحط الخطايا حطا »[٩] .

وأن العمرة فى رمضان تقوم مقام حجة لمعتمرها لحديث : « عمرة فى رمضان تعدل حجة »[١٠] .

---

٣ ـ ابن ملجه (٢٨٩٣) وسنده حسن فى الشواهد

(٤) إسناده حسن . وانظر : المسند (١/٣٨٧) والطبرانى الكبير (١٠٤٠٦) والحلية (٤/١١٠) .

(٥) المحب الطبرى فى « القرى » ص (٤٠) .

(٦) إسناده صحيح على شرط الشيخين . وأخرجه مسلم (١٣٥٠) فى الحج . وابن ملجه (٢٨٨٩) .

(٧) الموطا (١/٣٤٦) والبخارى (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩) والبغوى (١٨٤٣) .

(٨) أخرجه الترمذى (٩٥٩) فى الحج . والحاكم (١/٤٨٩) وقال : هذا حديث صحيح . ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٩) إسناده قوى . وعبد الرزاق فى « مصنفه » (٨٨٧٧) والمسند (٢/١١ ، ٩٥) والطيالسى (١٨٩٩) .

(١٠) إسناده صحيح . رجاله رجال الشيخين . غير عبد الحميد بن محمد بن المستلم . فقد روى له النسائى وهو ثقة . وأخرجه أحمد (١/٢٢٩) والبخارى (١٧٨٢) فى العمرة ومسلم (١٢٥٦) فى الحج .

وأن الحج للنساء يقوم مقام الجهاد ، عن عائشة بنت طلحة ، قالت : أخبرتنى عائشة أم المؤمنين أنها قالت : يارسول الله ، ألا نخرج ونجاهد معك ، فإنى لا أرى عملاً فى القرآن أفضل من الجهاد ؟ قال : « لا ، إن لَكُنَّ أحسن الجهاد ، حج البيت حج مبرور »(١١) . وليعلم المسلم أن للحجر الأسود لسانا وشفتين ليشهد يوم القيامة لمن استلمه لحديث : « إن هذا الحجر لسانا وشفتين ، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »(١٢) . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ليبعثن الله هذا الركن يوم القيامة ، له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق »(١٣) . وأن الله ـ عز وجل ـ يباهى ملائكته بالحاج عند وقوفهم بعرفات ؛ لحديث عن أبى هريرة ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الله يباهى بأهل عرفات ملائكة أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادى هؤلاء جاءونى شعثا غُبْرًا »(١٤) .

كما أن هناك ذكر رجاء العتق من النار لمن شهد عرفات يوم عرفة ، فعن جابر ، قال رسول الله ﷺ : « ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة » . قال : فقال رجل : يارسول الله هن أفضل أم عدتهن جهادا فى سبيل الله ؟ قال : « هن أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله ، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء ، فيقول : انظروا إلى عبادى شعثا غبرا ، ضاحين(١٥) ، جاءوا من كل فج عميق ، يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى ، فلم يُرَ يومٌ أكثر عتقا من النار من يوم عرفة »(١٦) .

وأخرج المنذرى فى « الترغيب والترهيب (٢٠٣/٢) عن ابن المبارك ، عن سفيان الثورى ، عن الزبير بن عدى ، عن أنس بن مالك ، قال : وقف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعرفات ، وكادت الشمس أن تؤوب ، فقال : « يابلال ، أَنْصِتْ لى الناس » فقام بلال ، فقال : « أنصتوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنصت الناس ، فقال : « معاشر الناس ، أتانى جبريل آنفا ، فأقرأنى من ربى السلام ، وقال : إن الله غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات » فقام عمر بن الخطاب ، فقال يارسول الله ، هذا لنا خاصة ؟ قال : « هذا لكم ولمن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة » فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب .

---

(١١) اخرجه البخارى (١٥٢٠) فى الحج (١٨٦١) فى جزاء الصيد و (٢٧٨٤) والجهاد وابن ماجه (٢٩٠١) .
(١٢) مسند ابى يعلى (٢٧١٩) والحاكم (٤٥٧/١) وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .
(١٣) حديث صحيح اخرجه ابن خزيمة (٢٧٣٥) والترمذى (٩٦١) فى الحج وقال : حديث حسن .
(١٤) الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان (١٦٣/٩) برقم (٣٨٥٢) إسناده صحيح على شرط مسلم . واخرجه احمد (٣٠٥/٢) وابن خزيمة (٢٨٣٩) والحلية (٣٠٥/٣ ـ ٣٠٦) والحاكم (٤٦٥/١) .
(١٥) ضاحين : بارزين للشمس غير مستترين منها .
(١٦) الإحسان (١٦٤/٩) برقم (٣٨٥٣) حديث صحيح ، وشرح السنة (١٩٣١) .

ثم إن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد دعا بالمغفرة للمحلقين أكثر مما دعا للمقصرين ، حيث قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « اللهم ارحم المحلقين » قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : « والمقصرين »[١٧] .

أخى المسلم : هذه الأيام المباركة عليك أن تكثر من الطاعات والعبادات فيها ، وفى الحديث الشريف : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله ـ تعالى ـ من هذه الأيام العشر »[١٨] .

وقيل : من أكرم هذه الأيام العشرة أكرمه الله ـ تعالى ـ بعشر كرامات : البركة فى عمره ، والزيادة فى ماله ، والحفظ لعياله ، والتكفير لسيئاته ، والتضعيف لحسناته ، والتسهيل لسكراته ، والضياء لظلماته ، والتثقيل لميزانه ، والنجاة من دركاته ، والصعود على درجاته ، ومن تصدق فى هذه الأيام العشرة بصدقة على مسكين ، فكأنما تصدق على أنبيائه ورسله ، ومن عاد فيها مريضا فكأنما عاد أولياء الله وبدلاءه ، ومن شيع جنازة فكأنما شيع جنازة شهدائه ، ومن كسا مؤمناً كساه الله ـ تعالى ـ من حلله ، ومن لطف فيها بيتيم لطف الله ـ تعالى ـ به فى القيامة تحت ظل عرشه ، ومن حضر مجلسا من مجالس العلم ، فكأنما حضر مجالس أنبياء الله ورسله[١٩] .

وأخيراً أسأل الله العلى القدير أن يوفقنا إلى فعل كل خير ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل ، وأن ينور بصائرنا ، ويشرح صدورنا بنور الإيمان به ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عبد المعز عبد الحميد الجزار

---

(١٧) إسناده صحيح على شرط الشيخين . وهو فى « الموطا » (١/٣٩٥) فى الحج/ باب الحلاق والبخارى (١٧٢٧) فى الحج . باب الحلق والتقصير عند الإحلال . ومسلم (١٣٠١) (٣١٧) فى الحج .

(١٨) الأذكار للنووى (٢٢٦) برقم (٥٢٣) .

(١٩) الغنية لطالبى طريق الحق للجيلانى (٢٧/٢) .

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ
يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

فى هذه الآيات يتحدث القرآن الكريم عن مكانة البيت الحرام ، وعن قصة بنائه ، وعن الدعوات الخاشعات التى كان إبراهيم يتضرع بها إلى الله عند رفعه البيت .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ معطوف على قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ .

٩

وجعلنا : بمعنى صيرنا . والبيت : المقصود به الكعبة ، إذ غلب استعمال البيت فيها حتى صار اسما لها .

ومثابة للناس : مرجعاً للناس يرجعون إليه من كل جانب ، وهو مصدر ميمى من ثاب القوم إلى المكان رجعوا إليه ، فهم يثوبون إليه ثوبا وثوبانا ، أو معاذا لهم يلجأون إليه أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره .

والأمن : السلامة من الخوف ، وأمن المكان : اطمئنان أهله به ، وعدم خوفهم من أن ينالهم فيه مكروه ، فالبيت مأمن ، أى موضع أمن . وأخبر ـ سبحانه ـ بأنه جعله أمنا ليدل على كثرة ما يقع به من الأمن حتى صار كأنه نفس الأمن .

وكذلك صار البيت الحرام محفوظا بالأمن من كل ناحية ، فقد كان الناس فى الجاهلية يقتتلون ويعتدى بعضهم على بعض من حوله ، أما أهله فكانوا فى أمان واطمئنان . قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ وقال ـ تعالى ـ : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ .

وقد أقرت تعاليم الإسلام هذه الحرمة للبيت الحرام على وجه لا يضيع حقاً ولا يعطل حدا ، وزادت فى تكريمه وتشريفه بأن جعلت الحج إليه فريضة على كل قادر عليها .

قال الإمام ابن كثير : « ومضمون ما فسر به العلماء هذه الآية أن الله تعالى يذكر شرف البيت وما جعله موصوفا به شرعاً وقدرا من كونه مثابة للناس . أى : جعله محلا تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ولا تقضى منه وطرا ولو ترددت إليه فى كل عام استجابة من الله ـ تعالى ـ لدعاء خليله إبراهيم فى قوله تعالى :

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ ويصفه ـ تعالى ـ بأنه جعله أمناً من دخله أمن ، ولو كان قد فعل ما فعل ثم دخله كان آمنا ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يعرض له :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ الاتخاذ : الجعل ، تقول اتخذت فلاناً صديقاً أى : جعلته صديقا . والمقام فى اللغة : موضع القدمين من قام يقوم ، ومقام إبراهيم : هو الحجر الذى كان إبراهيم يقوم عليه عند بناء الكعبة لما ارتفع الجدار ، وهو ـ على المشهور ـ تحت المصلى المعروف الآن بهذا الاسم .

ومعنى اتخاذ مصلى منه : القصد إلى الصلاة عنده . فقد ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين » .

ومن العلماء من فسر مقام إبراهيم بالمسجد الحرام ، ومنهم من أطلقه على الكعبة لأن إبراهيم كان يقوم عندها لعبادة الله تعالى .

قال الإمام ابن كثير : « وقد كان هذا المقام - أى الحجر الذى يسمى مقام إبراهيم - ملصقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلى الحجر على يمين الداخل من الباب فى البقعة المستقلة هناك ، وكان الخليل - عليه السلام - لما فرغ من بناء البيت وضعه إلى جدار الكعبة . . ثم قال : وإنما أخره عن جدار الكعبة إلى موضعه الآن عمر - رضى الله عنه - ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة(١) :

ثم قال - تعالى - : ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

عهدنا : أمرنا وأوحينا ، و﴿أَن﴾ مفسرة المأمور به أو الموصى به المشار إليه بقوله : ﴿ عَهِدْنَآ ﴾ أى : أوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى .

وأضاف - سبحانه - البيت إليه للتشريف والتكريم ومعنى تطهيره : صيانته من كل ما لا يليق ببيوت الله من الأقذار والأرجاس والأوثان وكل ما كان مظنة للشرك ، فالمقصود تطهيره من كل رجس حسى ومعنوى .

والطائفين : جمع طائف من طاف يطوف طوفا وطوافا إذا دار حول الشىء والمراد بهم : المتقربون إلى الله بالطواف حول الكعبة .

والعاكفين : جمع عاكف ، من عكف على الشىء عكوفا إذا أقام عليه ملازما له ، والمراد بهم : المقيمون فى الحرم بقصد العبادة ، ويدخل فى العبادة مدارسة العلوم الدينية وما يساعد على فهمها .
والركع السجود : الركع جمع راكع ، والسجود : جمع ساجد .

والركوع والسجود من هيئات الصلاة وأركانها ، فمعنى « والركع السجود » المصلون .
فالآية الكريمة جمعت أصناف العابدين فى البيت الحرام : وهم الطائفون وإن لم يكونوا مقيمين ، كمن يأتون لحج أو عمرة ثم ينصرفون .

والعاكفون الذين يقيمون فى الحرم بقصد الإكثار من العبادة فى المسجد الحرام . والمصلون يتقربون إلى الله بالصلوات سواء أكانت فرائض أم نوافل .
ولم يعطف السجود على الركع ، لأن الوصفين متلازمان ولو عطف لتوهم أنهما وصفان مفترقان .

ثم ساق القرآن بعد ذلك نماذج من الدعوات التى تضرع بها إبراهيم إلى ربه فقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ أى : أضرع إليك ياإلهى أن تجعل الموضع الذى فيه بيتك مكانا يأنس إليه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٧٠ .

الناس ، ويأمنون فيه من الخوف ، ويجدون فيه كل ما يرجون من أمان واطمئنان .

والمشار إليه بقوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ مكة المكرمة . والبلد كل قطعة من الأرض عامرة أو غامرة . والمقصود بالدعاء إنما هو أمن أهله لأن الأمن والخوف لايلحقان البلد ، وإنما يلحقان أهل البلد .

قال الإمام الرازى : وإنما قال هنا ﴿ بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ على التنكير ، وقال فى سورة إبراهيم ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ على التعريف لوجهين :

الأول : إن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً ، كأنه قال : اجعل هذا الوادى بلداً آمناً . والدعوة الثانية وقعت وقد جعل بلدا ، فكأنه قال : اجعل هذا المكان الذى صيرته بلدا ذا أمن وسلامة .

الثانى : أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلدا ، فقوله : ﴿ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ تقديره : اجعل هذا البلد بلدا آمنا كقولك : كان اليوم يوما حارا ، وهذا إنما تذكره للمبالغة فى وصفه بالحرارة ، لأن التنكير يدل على المبالغة فقوله : رب اجعل هذا البلد بلدا آمنا معناه : اجعله من البلدان الكاملة فى الأمن . وأما قوله : ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ فليس فيه إلا طلب الأمن لا طلب المبالغة(٢) .

أما الدعوة الثانية التى توجه بها إبراهيم إلى ربه من أجل أهل مكة فقد حكاها القرآن فى قوله :

﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ .

أى : كما أسألك ياإلهى أن تجعل هذا البلد بلداً آمناً . أسألك كذلك أن ترزق المؤمنين من أهله من الثمرات ما يسد حاجاتهم ، ويغنيهم من الاحتياج إلى غيرك .

وقوله : « ارزق » مأخوذ من رزقه يرزقه إذا أعطاه ما ينتفع به من مأكول وغيره .

والثمرات : جمع ثمرة ، وهى ما يحمله شجر أو زرع أو غيره من النبات . وإنما طلب إبراهيم ـ عليه السلام ـ من الله أن يجعل مكة بلدا آمنا ، وأن يرزق أهلها من الثمرات بما يغنيهم لأن البلد إذا امتدت إليه ظلال الأمن ، وكانت مطالب الحياة فيه ميسرة ، أقبل أهله على طاعة الله بقلوب مطمئنة وتفرغوا لذلك بنفوس مستقرة .

وقال فى دعائه : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ لأن أهل مكة قد يكون من بينهم كافرون ، فأراد تخصيص المؤمنين منهم بدعائه ، لذا اتبع قوله : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ ﴾ بقوله : ﴿ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم ﴾ على وجه

---

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ١ ص ٤٧٦ .

البدل فصار المعنى وارزق المؤمنين من أهله على ما تقتضيه القاعدة العربية من أن البدل وهو هنا ﴿ مَنْ ءَامَنَ ﴾ هو المقصود بطلب الرزق .

وخص إبراهيم المؤمنين بطلب الرزق لهم حرصاً على شيوع الإيمان بين سكان مكة ، لأنهم إذا علموا أن دعوة إبراهيم إنما هى خاصة بالمؤمنين تجنبوا ما يبعدهم عن الإيمان ، أو أنه خص المؤمنين بذلك تأدباً مع الله ـ تعالى ـ إذ سأله سؤالا أقرب إلى الإجابة ، ولعله استشعر من رد الله عليه عموم دعائه السابق إذ قال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ فقال : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أن غير المؤمنين ليسوا أهلاً لإجراء رزق الله عليهم .

واقتصر على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فى التعبير عن المؤمنين لأن الإيمان بالله واليوم الآخر لا يقع على الوجه الحق إلا إذا صاحبه الإيمان بكتب الله ورسله وملائكته .

ثم بين ـ سبحانه ـ مصير الكافرين فقال : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

الضمير فى ﴿ قَالَ ﴾ يعود إلى الله ـ تعالى ـ ومن فى قوله ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ منصوب بفعل مقدر دل عليه « فَأُمَتِّعُهُ » . والمعنى : قال الله وأرزق من كفر وإيراد المتكلم قولا من عنده معطوفا على قول متكلم آخر مألوف فى اللغة العربية ، ويحسن موقعه عندما يقتضى المقام إيجازا فى القول ، ولولا هذا العطف لكان المعنى متطلبا لأن يقال : قال الله أرزق من آمن ومن كفر .

و﴿ أمتعه ﴾ : من التمتع وهو إعطاء ما ينتفع به . و﴿ قَلِيلًا ﴾ : وصف لمصدر محذوف فى النظم ، والمعنى : أمتعه تمتيعا قليلا . ووصف التمتع فى الدنيا بالقلة ، لأنه صائر إلى نفاد وانقطاع .

و﴿ أَضْطَرُّهُ ﴾ أى ألجئه وأسوقه بعد متاعه فى الدنيا إلى عذاب لا يمكنه الانفكاك عنه وجملة ﴿ ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ﴾ احتراس من أن يغتر الكافر بأن تخويله النعم فى الدنيا يؤذن برضا الله فلذلك ذكر العذاب هنا .

﴿ وَبِئْسَ ﴾ فعل يستعمل لذم المرفوع بعده ، وهو ما يسميه النحاة بالمخصوص بالذم ، ووردت هنا لذم النار المقدرة فى الجملة ، والمعنى : بئس المصير النار . أى أنها مصير سيىء كما قال تعالى فى آية أخرى .

﴿ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾(٣)

---

(٣) سورة الفرقان : ٦٦ .

وقد أفادت الآية الكريمة أن الله يرزق الكافر فى الدنيا كما يرزق المؤمن ، وإذا كان إمتاع المؤمن بالرزق لأنه أهل لأن ينعم عليه بكل خير ، فإمتاع الكافر بالرزق له حكم منها استدراجه المشار إليه بقوله تعالى :

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ولو خص الله المؤمنين بالتوسعة فى الرزق وحرم منها الكافرين لكان هذا التخصيص سائقا للكافرين إلى الإيمان على وجه يشبه الإلجاء : وقد قضت حكمته - تعالى - أن يكون الإيمان اختيارياً حتى ينساق الإنسان من طريق النظر فى أدلة عقلية يبصر بها أقوام ولا يبصر بها آخرون .

ثم حكى القرآن دعوة ثالثة تضرع بها إبراهيم إلى ربه فقال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

القواعد : جمع قاعدة ، وهى أساس البناء الموالى للأرض ، وبها يكون ثبات البناء . ورفعها : إبرازها عن الأرض بالبناء عليها . والمراد بالبيت الكعبة .

والتقبل : القبول ، وقبول الله للعمل أن يرضاه أو يثيب عليه .

والمعنى : واذكر يامحمد ما صدر من الرسولين الكريمين إبراهيم وإسماعيل فقد كانا وهما يقومان برفع قواعد الكعبة يتضرعان إلى ويقولان : ياربنا تقبل منا أقوالنا وأعمالنا ، إنك أنت السميع العليم .

وتصدير الدعاء بندائه - سبحانه - باسم الرب المضاف إلى ضميرهما مظهر من مظاهر خضوعهما ، وإجلالهما لمقامه ، والخضوع له - سبحانه - وإجلال مقامه من أسنى الآداب التى تجعل الدعاء بمقربة من الاستجابة .

وعبر بالمضارع فقال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ ﴾ مع أن رفع القواعد كان قبل نزول الآية ، وذلك ليخرجه فى صورة الحاضر فى الواقع لأهميته .

وختما دعاءهما بذكر اسمين من أسمائه الحسنى ، ليؤكدا أن رجاءهما فى استجابة دعائهما وثيق ، وأن ما عملاه ابتغاء مرضاته جدير بالقبول . لأن من كان سميعا عليما بنيات الداعين وصدق ضمائرهم ، كان تفضله باستجابة دعاء المخلصين فى طاعته غير بعيد .

ثم حكى القرآن جملة من الدعوات الخاشعات ، التى توجه بها إبراهيم وإسماعيل إلى الله - تعالى - فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ .

مسلمين من الإسلام وهو الخضوع والإذعان ، وقد كانا خاضعين لله مذعنين فى كل حال ، وإنما طلبا الثبات والدوام على ذلك ، والإسلام الذى هو الخضوع لله بحق إنما يتحقق بعقيدة التوحيد ، وتحرى مارسمه الشارع فى العبادات والمعاملات ، والإخلاص فى أداء ما أمر به ، واجتناب مانهى عنه .

وقوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ معناه : واجعل ياربنا من ذريتنا أمة مخلصة وجهها إليك ، مذعنة لأوامرك ونواهيك .

ومن (من) للتبعيض ، أو للتعيين كقوله : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ﴾ . وإنما خص الذرية

بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ، ولأنهم إذا صلحوا صلح بهم الأتباع ، ولأن صلاح الذرية مرغوب فيه طبعا ، والدعاء لهم بالصلاح مرغب فيه شرعا ، وقد حكى القرآن من دعاء الصالحين قوله - تعالى - :

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾(٤)

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أى : علمنا شرائع ديننا وأعمال حجنا ، كالطواف والسعى والوقوف . أو متعبداتنا التى تقام فيها شرائعنا ، كمنى ، وعرفات ، ونحوهما .

والمناسك : جمع منسك - بفتح السين وكسرها - بمعنى الفعل وبمعنى الموضع من النسك - مثلثة النون وبضمها وضم السين - وهو غاية العبادة والطاعة ، وشاعت تسمية أعمال الحج بالمناسك كالطواف والسعى وغيرهما .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ تسند التوبة إلى العبد فيقال : تاب فلان إلى الله ومعناها الندم على ما لابس من الذنب ، والإقلاع عنه ، والعزم على عدم العودة إليه ، ورد المظالم إن استطاع ، أو نية ردها إن لم يستطع وتسند إلى الله فيقال : تاب الله على فلان ، ومعناها حينئذ توفيقه إلى التوبة ، أو قبولها منه . فمعنى ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ وفقنا للتوبة أو تقبلها منا .

والتوبة تكون من الكبائر والصغائر ، وتكون من ترك ما هو أولى أو من تقصير يؤدى إلى خطأ فى الاجتهاد ، وعلى أحد هذين الوجهين ، تحمل التوبة التى يسأل الأنبياء والمرسلون ربهم قبولها أو التوفيق لها .

﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ التواب : كثير القبول لتوبة المنيبين إليه ، وقبول توبتهم يقتضى عدم مؤاخذتهم بما يأتونه من سيئات ، ثم بعد تخلصهم من عقوبة الخطيئة أو المعاتبة عليها ينتظرون من رحمة الله أن تحفهم بإحسان .

وإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - قد طلبا قبول توبتهما صراحة فى قولهما ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ ولوحا إلى طلب الرحمة بذكر اسمه الرحيم ، إذ الرحمة صفة من أثرها الإحسان ، فكأنهما قالا : تب علينا وارحمنا ، وهذا من أكمل آداب الدعاء وأرجاها للقبول عند الله تعالى .

ثم ختم إبراهيم وإسماعيل دعواتهما بتلك الدعوة التى فيها خيرهم فى الدنيا والآخرة ، فقالا - كما حكى القرآن عنهما :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

الضمير فى قوله : ﴿ مِّنْهُمْ ﴾ يعود إلى الذرية أو الأمة المسلمة فى قوله : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ ،

والرسول : من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . وتلاوة الشىء : قراءته والمراد بقوله تعالى : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ يقرؤها عليهم قراءة تذكير وفى هذا إيماء إلى أنه يأتيهم بكتاب فيه شرع .

(٤) سورة الفرقان: ٧٤.

والآيات : جمع آية ، والمراد بها ما يشهد بوحدانية الله ، ويصدق رسوله - ﷺ - فيما يبلغه عنه ، أو المراد بها آيات القرآن الكريم فهو يتلوها عليهم ليحفظوها بألفاظها كما نزلت ، ويتعبدوا بتلاوتها ، وليعرفوا من فضل بلاغتها وروعة أساليبها وجها مشرقا من وجوه إعجازها .

والكتاب : القرآن ، وتعلمه يكون ببيان معانيه وحقائقه ، ليعرفوا ما أقامه لهم من دلائل التوحيد وماااشتمل عليه من أحكام وحكم ومواعظ وآداب .

والحكمة : العلم النافع المصحوب بالعمل الواقع موقعه اللائق به . ووضعها بجانب الكتاب يرجح أن المراد بها السنة النبوية المطهرة التى تنتظم أقوال النبى - ﷺ - وأفعاله ، إذ بالكتاب وبالسنة يعرف الناس أصلح الأعمال ، وأعدل الأحكام وأسنى الآداب ، وتنفتح لهم طرق التفقه فى أسرار الدين ومقاصده .

ويزكيهم : أى يطهرهم من أرجاس الشرك ومن كل ما لا يليق التلبس به ظاهرا أو باطنا ، يقال : زكاه الله ، أى طهره وأصلحه ، ومنه زكاة المال لتطهره بها ، وأصل الزكاة - بالمد - النماء والزيادة ، يقال . زكا الزرع زكاء وزكوا ، أى نما .

والمعنى : ونسألك ياربنا أن تبعث فى الأمة المسلمة ، أو فى ذريتنا رسولا منهم يقرأ عليهم آياتك الدالة على وحدانيتك ، ويعلمهم كتابك بأن يبين لهم معانيه ، ويرشدهم إلى مافيه من حكم ومواعظ وآداب ، كما يهديهم إلى الحكمة التى تتمثل فى اتباع سنة نبيك - والتى بها يتم التفقه فى الدين ومعرفة أسراره وحكمه ومقاصده ، والتى يكمل بها العلم بالكتاب إنك يامولانا أنت العزيز الحكيم .

أى القادر الذى لا يغلب على أمره ، العالم الذى يدبر الأمور على وفق المصلحة ، ومن كان قادرا على كل ما يريد ، عليما بوجوه المصالح ، كانت استجابته قريبة من دعاء الخير الصادر عن إخلاص وابتهال .

وقد جاء ترتيب هذه الجمل فى أسمى درجات البلاغة والحكمة ؛ لأن أول تبليغ الرسالة يكون بتلاوة القرآن ثم بتعليم معانيه ، ثم بتعليم العلم النافع الذى تحصل به التزكية والتطهير من كل ما لا يليق التلبس به فى الظاهر ، أو الباطن .

وقد سأل إبراهيم وإسماعيل ربهما أن تكون بعثة الرسول فى ذريتهما فيكون أمر الإيمان قريبا منهم ، فإن نشأته بينهم ، ومعرفة سيرته قبل الرسالة وشهادتهم له بالصدق والأمانة ، وكل ذلك يحمل العقلاء على المبادرة إلى تصديقه فيما يبلغه عن ربه .

ولقد حقق الله تعالى دعوة هذين النبيين الكريمين ، فأرسل فى ذريتهما رسولا منهم ، وهو محمد - ﷺ - أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا .

وقد أخبر - ﷺ - أنه دعوة إبراهيم ، فقال : (أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى بى ، ورؤيا أمى التى رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرين) .

(يتبع)

قبس من أنوار النبوة

عمل الصالحات

لفضيلة الشيخ :
علي حامد عبد الرحيم

١ ـ عن عمرو بن عبسة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رجل يارسول الله : ما الإسلام ؟ قال : أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . قال : فأى الإسلام أفضل ؟ قال : الإيمان . قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت . قال : فأى الإيمان أفضل ؟ قال : الهجرة : قال : وما الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء . قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : الجهاد . قال : وما الجهاد ؟ قال : أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم . قال : فأى الجهاد أفضل ؟ قال : من عُقر جواده وأهريق دمه . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما : حجة مبرورة ، أو عمرة مبرورة »[1] . رواه أحمد والطبرانى وغيرهما .

٢ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ـ عز وجل ـ من هذه الأيام . يعنى أيام العشر قالوا يارسول الله : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء »[2] . رواه البخارى والترمذى وأبو داود .

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : منار

(١) اخرجه احمد ١١٤/٤ فى حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه . واخرجه عبدالرزاق برقم ٢٠١٠٧ .

(٢) اخرجه احمد فى مسنده (مسند عبدالله بن عباس رضى الله عنهما ، ٢٢٤/١ وابن ماجه فى سننه برقم ١٧٢٧ والترمذى فى جامعه برقم ٧٥٤ ط دار الفكر ـ بيروت .

الهداية إلى كل خير وبر ، وداعية الهدى والرشاد والإرشاد إلى سعادة الإنسان فى دنياه وأخراه . وحامل مشعل السماء يرسل منه الضياء وإلى آفاق الدنيا ، فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرص كل الحرص على أن يكثر فى الناس أصحاب القلوب النقية الطاهرة ، والنفوس الزكية ، والإرادة التى تغلب على نوازع الهوى ، ودوافع الشهوة حتى يرتفع أهل الإيمان إلى مستوى الأبرار الذين يصبح وجودهم مادة الحياة ، وغذاء الإنسانية الحقة ، يحبون الخير ويبادرون إليه ، ويكرهون الشر ويبتعدون عنه . يعملون الصالحات بصدق وإخلاص لله رب العالمين ، وتجرد للحق ، وإنكار للذات . يوقنون أن الصدقة لايقبلها الله إلا إذا ظهرت نفس المتصدق من شوائب الهوى والغرض ، وكانت خالصة لوجه الله .

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (٣)

لقد نودى احد المتصدقين المخلصين ـ مع أن صدقته وقعت فى يد سارق وزانية وغنى ـ بأن الله قد قبل صدقتك . .

جاء فى الحديث القدسى الذى يرويه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ربه :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل بها على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى ، وأجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »(٤) البزار عن ابن عباس .

إن الدين بالنسبة للإنسان كالروح بالنسبة للجسد ، إنه الحارس الأمين لمسيرة النفس فى طريق الحياة . إن الدين كله سمو وعلو وصلاح ورحمة وهداية وعمل ، إنه عقيدة راسخة ، تحمل صاحبها على قول الحق وعمل البر . وهذه العقيدة النقية أساس لما بعدها من العبادات والمعاملات والسلوك .

والدين إذا صح فى صاحبه ولّد لَدَيْهِ الحراسة الذاتية فيصبح رقيبا ومحاسبا لنفسه ، لا ينتظر حكم قانون ، ولكنه بضميره الخائف من الله المستشعر لعظمته يفعل الخير ويترك الشر أملا فيما عند الله من حسن الثواب .

وليس الدين عبادات أو طقوسا معزولة عن الحياة ، ولكنه متغلغل فى كل مرافق الحياة ، ويلازم صاحبه أينما حل أو سار ، وتوجيهاته تشمل العقيدة والعبادة والمعاملة والعلاقات الخاصة والعامة والحرب والسلم ، والحب والبغض ، والعمل والعلم والمصاحبة والمفارقة .

ولنستمع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله الذى لا يفطر نهاره ، ولا ينام ليله »(٥) .

حيث يعتبر القائم فى خدمة المواطنين لاسيما الضعفاء منهم لا يقل أجراً عن المجاهدين

(٣) سورة الإنسان اية : ٩ .

(٤) مجمع الزوائد للهيثمى ، ١٤٧/٢ وقال : رواه البزار ، وفيه عبدالله بن واقد الحرانى ، ضعفه النسائى والبخارى وإبراهيم الجوزجانى وابن معين فى رواية ، ووثقه فى رواية . ووثقه احمد وقال : كان يتحرى الصدق ، وانكر على من تكلم به ، وأثنى عليه خيرا . وبقية رجاله ثقات .

(٥) اخرجه البخارى ٨٠/٧ كتاب النفقات ، عن ابى هريرة . ومسلم فى صحيحه (كتاب الزهد والرقائق) ، باب الإحسان إلى الارملة والمسكين واليتيم ٢٢٨٦/٤ برقم ٢٩٨٢/٤١ .

العابدين . ولنسمع هدى الرسول الكريم حيث يقول :

« من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة ، وسعيا على عياله ، وتعطفا على جاره ، لقى الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر »(٦) .

فانظر أيها المؤمن لتقدير الإسلام لمن يعمر الحياة ، وطلب المعيشة وإكرام الجار ، والاستغناء عن مد اليد بمذلة .

إن فى القرآن الكريم سورة اسمها (الماعون) يقرر الله فيها أن إهانة اليتيم ، وإهمال المسكين ، من علامات التكذيب بيوم الدين ، وأن المصلى ينبغى له أن يصون صلاته بمداومة العمل الصالح وترك كل معصية . أما إذا صلى الفرض ثم أفسد فى الأرض وهتك العرض فما صلى ولاعبد ، ولاثمرة لطاعته لأن الصلاة الصحيحة قال عنها ربنا :

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ (٧)

لقد حكم الله فى سورة « الماعون » بالويل كل الويل لمن يرائى الناس يعمله ولا يؤديه ابتغاء وجه الله ، ثم الويل كل الويل لمن يمنع الماعون الذى هو كل مجالات التعاون بين الناس ، فمانعه مع القدرة عليه وعدم المضرة ممن يكذب بيوم القيامة ـ وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم .

وإن الإسلام يحث ـ فى القرآن والسنة ـ على البيع والشراء والتزوج والزراعة والصناعة والتجارة والعمل المتقن الجيد ، ويحث على جهاد الأعداء المحتلين لديار المسلمين ، ثم هو بر بالوالدين وصلة للأرحام وإكرام للجار ورحمه بالمعوزين ، وتعاون على البر والتقوى ، وإصلاح بين المتهاجرين وصبر واحتمال فى الأزمات ، وشكر وعرفان عند النعمة .

إن الإسلام فرض فرائض وأمر بأدائها ، وحد حدودا ونهى عن انتهاكها ، وبين لنا أن لله فى أيام دهرنا نفحات ودعانا أن نتعرض لها فلعل نفحة منه تصيبنا فلا نشقى بعدها أبداً .

وإذا كان حجاج بيت الله يرفلون فى نعيم العبادة والطاعة حيث يباهى ربهم ملائكته ويغفر لهم الذنوب .

فإنه يدعونا أن نشاركهم الخير بأن نعمل الصالحات فى شتى صورها حتى نحظى بعظيم الثواب .

إن يوم عرفة يقول فيه الرسول الكريم : « وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ويباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة »(٨) .

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن لم يسعد برفقة الحجيج .

« صيام يوم عرفة احتسب على الله أنه يكفر ذنوب سنتين : ماضية وباقية »(٩) .

---

(٦) الحديث اخرجه ابو نعيم فى حلية الاولياء ٣/ ١١٠ عن ابى هريرة وفى نفس المصدر ٨/٢١٥ وقال : غريب من حديث مكحول ، لا اعلم له راويا عنه إلا الحجاج بن فرافصة . واخرجه ابن ابى شيبة فى مصنفه ٧/١٦ ، ١٧ رقم ٢٢٢٨ .

(٧) سورة العنكبوت اية : ٤٥ .

(٨) رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/٢٥٣ عن جابر . وقال : رواه ابو يعلى ، وفيه محمد بن مروان العقيلى ، وثقه ابن معين وابن حبان . وفيه بعض كلام ، وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه البزار إلا انه قال : « افضل ايام الدنيا ايام العشر .... » .

(٩) اخرجه مسلم فى (كتاب الصيام) ضمن حديث طويل عن ابى قتادة ٢/٨١٨ ، ٨١٩ برقم ١١٦٢/١٩٦ وابن ماجه برقم ١٧٣٠ ، ١٧٣١ مع اختلاف يسير فى اللفظ .

الحج

امتثال لأمر الله تعالى

لفضيلة الشيخ:
محمد حافظ سليمان

الحج ركن من أركان الإسلام : وهو عبادة بدنية ومالية : وهو تلبية للدعوة الإلهية يلبيها من كتب الله له أداء هذا الفرض المقدس ليزداد به إيمانا بربه وتوفيقا ، وفى الحج إشراقات نورانية يحس بها أصحاب الإيمان السليم ، والخلق القويم ، والسلوك المستقيم : وهم الذين أسلموا وجوههم لله فأمدهم ربهم بنفحات وتجليات وخير ورحمات ، تمنح للأبرار المتقين الأخيار الذين سلم دينهم وقوى يقينهم ، فامتلأت قلوبهم حبا لله ورسوله ، فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل فراقبوه سرا وعلانية :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾(١).

ولقد علم المتقون أن الحج المبرور جزاؤه الجنة فاستعانوا بالله وتجردوا من كل ماسواه ، وأقبلوا عليه وذهبوا إليه تائبين عابدين مطيعين خاشعين لله رب العالمين ، تهتف ألسنتهم بصوت قوى جهورى يصعد إلى السماء ، ملبين قائلين مقبلين إلى ربهم جئناك يارب نسعى إليك ، ووقفنا ضارعين بين يديك وهتفنا :

(١) سورة البينة آية : ٥ .

[لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك] ، وهذه التلبية التى يهتف بها الملايين من المسلمين ترد الناس إلى فطرتهم السليمة النظيفة ، والتلبية شعار المؤمنين فى عبادتهم : لأن العبادات كلها ذات هدف واحد ، وإن اختلفت صورها وأوقاتها ومقاديرها ، فهى تلتقى عند غاية واحدة هى تحقيق معنى العبودية بالإخلاص لله وحده ، والتخلص من سلطان الحظوظ البشرية المعتمة :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ ﴾(٢) .

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٣) .

وستظل التلبية استجابة لله فى كل ما جاء به الإسلام ، وللإسلام حقوق على المسلمين هى الواجبات عليهم لدينهم ، فإذا أداها المسلمون كانوا خير أمة أخرجت للناس ، ولقد كانت التلبية شعارا مشروعا فى الحج لأهميته فى تطهير النفوس من عالم الظلم والبغى والطغيان ، والنزوع بها إلى عالم الخير والبر والإحسان ، وكأن الملبى يقول : يارب . أنا عبدك الواقف ببابك ، الخاضع لأوامرك ، المقيم على عهدك ما استطعت فأعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ، وتب على ياالله يا أرحم الراحمين .

البيت العتيق العريق

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٤) .

بيت الله العتيق هو البيت الذى تهوى إليه أفئدة الناس من كل فج عميق للحج والعمرة ، وهو أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين . فهو أشرف بقعة فى أرض الله ، وهو الحرم الآمن الذى تولى الله حمايته ورعايته من قديم الزمن (ومن دخله كان آمنا) . وفى ظل بيت الله المحرم ومن حوله شاء الله أن تكون مكة البلد الأمين التى أسبغ الله عليها نعمه ظاهرة وباطنة فتجبى إليها وحول هذا الحرم الآمن ثمرات كل شىء والطيبات من الرزق ، فى واد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ، وهذا ببركة دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - (وارزق أهله من

---

(٢) سورة الانعام اية : ١٦٢ .
(٣) سورة الانعام اية : ٧٩ .

(٤) سورة البقرة ايات : ١٢٥ - ١٢٩ .

الثمرات) ، فأصبحت مكة بلدا آمنا ، وصارت ملتقى الوافدين إليها من بلاد العالم تهوى بهم القلوب إلى الله علام الغيوب ، وغفار الذنوب ليكونوا فى ضيافة الرحمن فى أيام الحج الأكبر تلبية لدعوته إلى ساحته المباركة المكرمة ليعبدوا الله مخلصين له الدين : ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق تائبين خاشعين لله رب العالمين ، ملتمسين منه العفو والغفران والرحمة والرضوان ، وفى يوم عرفات ترى الأمة الإسلامية أمة واحدة فى يوم واحد فى مكان واحد يتضرعون إلى إلههم الواحد الرحمن الرحيم ، فى يوم الصفاء والنقاء والتبتل والدعاء ، وقلوبهم يملؤها الإيمان الصادق واليقين الثابت والعبودية المخلصة لله وحده لا شريك له .

الصفا والمروة من شعائر الله

كان للعرب فى جاهليتهم صنم على الصفا يسمى « إسافا » وعلى المروة صنم يسمى « نائلة » وكانوا يستلمونهما ويتمسحون بهما فى أيام الجاهلية فلما جاء الإسلام وجاء معه نصر الله والفتح تحطمت الأصنام وزالت ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وأفرادا لكن بعض المسلمين كان يرى حرجا أن يسعى عند مكان الصنمين ، فنزل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٥) .

فلا جناح ولا حرج فى السعى ، بل هو نسك من مناسك الحج ، ومن شعائره الدينية فى الحج وفى العمرة والشعائر معالم لطاعة الله وعبادته وفى أدائها امتثال لأمر الله ، وجاء فى الصحيحين أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : « أفضل الأعمال إيمان بالله ورسوله ، ثم جهاد فى سبيل الله ، ثم حج مبرور » .

والحج من الأركان الإسلامية التى يقوم عليها الإسلام ومن قواعده الخمس ، وللحج فى كتب الفقه تفصيل لشروط وجوبه وصحته ومحظوراته وآدابه وواجباته وسننه وترتيبات أعماله فى أوقاتها وأماكنها إلى غير ذلك لمن شاء الاستزادة العلمية .

لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٦) .

بهذه الآية الكريمة فرض الله على المحرم أن يكون وديعا مهذبا مسالما لا يخاصم أحدا ، لأن الحاج ينتقل بجسده وروحه وقلبه وحسه ونفسه فارا إلى الله مهاجرا إلى ربه من أجل دينه ، وفى رمى الجمار مطاردة للشيطان ، يقول الله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٧) .

---

(٥) سورة البقرة آية : ١٥٨ .
(٦) سورة البقرة آية : ١٩٧ .
(٧) سورة البقرة آية : ٢٠٣ .

والله يقول : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾(8) .

الحج فريضة وطاعة وروح وطاقة

إذا كانت أعمال الحج ومناسكه التى يعرفها المسلمون هى التجرد من لبس المخيط لارتداء ملابس الإحرام من المواقيت ، والطواف حول الكعبة ، والسعى بين الصفا والمروة . والوقوف بعرفات والمشعر الحرام ورمى الجمار وذبح الهدايا والحلق أو التقصير إذا كانت أعمال الحج كذلك ، كما يعرفها الناس لكنها فى حقيقتها صور حية لمعان سامية تكمن فى صورها ، وهى معنى الحج ومقاصده وأهدافه وغايته .

الإحــرام

هو أول مناسك الحج ومعناه : التجرد من شهوات النفس وأهوائها وأنانيتها ونزواتها لتتجه إلى ربها الذى يعلم ما تكسب كل نفس فلا تفعل إلا ما يرضى الله لتسير فى سلوكها بخطوات مسددة موفقة لا تزل ولا تضل ليكون المسلم إنساناً بجسده ملكا بروحه وعمله يحترم حقوق الآخرين بأمانة ، فلا يطغى امرؤ على آخر ، ولا جماعة تبغى على جماعة ، فالناس إخوة فى الإنسانية وكلهم أبناء آدم ، ولكن الإنسان إنسان بخلقه وأدبه وسلوكه ، وإنك لتجد مظهر المحرمين مظهر المساواة فى أكمل صورها وأجمل معانيها التى جاء بها الإسلام القيم فى شرائعه الخالدة ، وفى التنسيق بينها من أجل سعادة البشر ؛ والمسلمون يتجمعون على الطاعة ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، فلا مكر ولا غدر ، ولا طمع ولا جشع ، لكنه الأمن والعدل ومراقبة الله فكم فى الحج من لقاءات ومؤتمرات طاهرة وظاهرة لا أنانية فيها ولا غرور ، ولكنها تجديد لروح التسامح والتناصح والتعاطف ، فى ظل الأخوة الإسلامية بينهم ، وبإدراكنا لمقاصد الحج يبدو لنا أن الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ، دينهم واحد وأمتهم واحدة ، وقبلتهم واحدة ، وربهم واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، وهو يأبى لعباده المؤمنين أن يكونوا ضحية للغادرين المعتدين من أجل هذا قال الله للمسلمين :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾(9) .

وحسب من اتبع هداه أن الله معه .

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(10) .

وأما الطواف حول الكعبة فيعنى التفاف القلوب حول أوامر الله ذى الجلال والإكرام :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾(11) .

﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾(12) .

فلا إله غيره ولا رب سواه : ولا يقال لغيره ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

---

(8) سورة البقرة آية : ٢١٥ .
(9) سورة الأنفال آية : ٤٦ .
(10) سورة البقرة آية : ١٩٤ .
(11) سورة الحديد آية : ٤ .
(12) سورة طه آية : ٧ .

من هبات الفريضة الخاتمة

لفضيلة الشيخ:
معوض عوض إبراهيم

لقد أوتى رسول الله - ﷺ - جوامع الكلم ، ونوابغ الحكم ، علمه الله ما علمه وألهمه ما امتن به - سبحانه - عليه فقال :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(1)

وقال :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(2)

والناظر فى قول الرسول - ﷺ - : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا(3) يجد أن الرسول - ﷺ - بدأ هذه الجوامع الخمسة بكلمة التوحيد وشهادة الإخلاص ، باعتبارها وما استتبعت من الشهادة لسيدنا محمد - ﷺ - بالرسالة أساس الدين ، وأصل الملة ، والمنطلق إلى ما أوجب الله على عباده ، وبما ألزمهم من أوامره أخذا وتركا ، وإلا كانت كل عبادة لا تنبثق عنها ، ولا تنطلق منها ردا على ذويها .

إن « لا إله إلا الله » نفى لما سوى الله ، وإثبات لألوهيته وحده :

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(4)

---

(1) سورة النساء : ١١٣ .
(2) سورة النجم : ٣ ، ٤ .
(3) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .
(4) سورة الأعراف : ٥٤ .

ورضى الله ـ عن أبى حفص عمر أمير المؤمنين ، فطالما قرأ هذا الخبر الإلهى ثم نادى : « أيها الناس ، من كان له شىء وراء هذا فليطلبه » .

وأى شىء وراء الخلق والأمر إلا الوهم ، وسوء الفهم ، والتمنى الذى لا يغنى من الحق شيئا ، وقد فطن إلى مفهوم هذا الخبر من قال :

ويقول مالى من يقول واعبدى
مه ، فالعبيد لربنا والدار

وفيها أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهما : أن نوحا ـ عليه السلام ـ وصى أولاده فى آخر عمره بوصايا كان منها : أن « لا إله إلا الله » لو وضعت فى كفة ميزان ، ووضع مقابلها الأرضون السبع وما أقلت ، والسموات السبع وما أظلت لرجحت « لا إله إلا الله » .

ومرة أخرى فكم نجل ونعظم ونحن نشهد معها أن « محمدا رسول الله » ﷺ ـ ما ترك شيئا يقربنا من الله إلا أمرنا به ، ولا شيئا يبعدنا عن الجنة إلا حذرنا منه ونهانا عنه ؛ وانظر فى هذه الأركان الخمسة كيف فرضها الله ، وكشف عن غاية ما أراد من طاعته ، والقيام بحق عبادته كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[٥]

إنه الغنى الحق فى معرفة الله .. والإمام الجليل عبد الله بن المبارك يقول :

ما يفعل المرء بعز الغنى
والعز كل العز للمتقى
من عرف الله ولم تغنه
معرفة الله فذاك الشقى

وتكاليف الصلاة « ثانية الإسلام » و « معراج المؤمن » التى يكون المرء فيها « أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد » والتى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ودورها العامل فى شد عراك ، وإحكام وثاقك بالذين يقومون منك عن يمين وشمال ، ومن بين يديك ومن خلفك ، والتى تجد منها راحة القلب ، وسكينة النفس كلما فزعت إليها ، إذا حزبك أمر ، أو حزنك شأن ، تأسيا برسول الله ـ ﷺ ـ فى ذلك ، والتماسا لما كان يرجوه منها وهو ينادى بلالا ـ رضى الله عنه ـ « أرحنا بها يابلال »[٦] .

والذين يجدون حلاوة المناجاة فى الصلاة ، ويمضون بها صفوفا إلى ميادين العمل ، ومقتضيات الاستخلاف فى إبلاغ الحياة كمالها الممكن ، يؤدون فريضة الصوم على النحو الذى ينشط قلوبنا ومشاعرنا وخواطرنا وجوارحنا جميعا ، آخذين من كل ذلك ملكات الصبر ، والمراقبة ، والهيمنة على ألسنتنا ، فلا نقول زورا ، وعلى أيدينا وطاقاتنا الأخرى فلا نأتى فجورا ، ثقة منا بأن الصوم سر بين العبد وربه ، ولهذا استخلصه لنفسه ، ووعد بالجزاء عليه ، وكل خير منه ـ جل شأنه . .

وصوم على هذا الغرار تنبسط به الأيدى بإخراج الزكاة وإعطاء الحق المعلوم ، والإنفاق فى سبيل الله ما واتت فرصة ، وأنت تستحضر أن هؤلاء الذين تكفكف مدامعهم ، وتخفف

(٥) سورة الذاريات : ٥٦ ، ٥٨ .
(٦) مجمع الزوائد : ١ ، ٤٥ .

مواجعهم هم بريدنا وحملة أزوادنا إلى الآخرة ، وحسبك أنك تصطنع بإحسانك إليهم جسور مودة ، وتعقد أواصر إخاء ، هما أبقى من مال ينفد ، وعطاء يتبدد « وطالما استعبد الإنسان إحسان » .

ويرى المؤمن الركن الخاتم من أركان الإسلام خليقا بأن نقول معه :

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾(٧)

فعلى قدر جلالة الصلاة ، وعظمة الصيام ، وفضل الزكاة ـ وهى طهرة للأنفس من الشح والأثرة وقبض الأيدى عن إغاثة الملهوف ، وإسداء ما تلح من ظروف الآخرين إليه من بر ومعروف ـ على قدر هذه الجلائل وتلكم التكاليف التى قد يكون السفر عذرا فى أدائها قصرا وجمعا فى الصلاة ، أو رخصة فى الترك كالإفطار فى أيام الظعن والارتحال فى بلاد الله لخير خاص أو عام يقره الإسلام ، ويشرع له بديلا من الإفطار الضرورى قضاء أيام السفر والمرض ، أو فداء من طعام مسكين عن كل يوم للرجل المسن والمرأة كذلك ، ولأصحاب الأعمال الشاقة ، قال الله فيهم :

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾(٨)

ويكون الحج سفراً ، وتخليا عن الأولاد والأعمال والأموال ومألوف العادات المشروعة ، من فراش وثير ، واستحمام ، من أداء واجبات أدناها ، ويأخذ الحاج من الميقات المكانى والزمانى اللباس الخاص من إزار ورداء قد يعذر عنهما عذر ، ويلزم عندئذ دم ، وياله من دين يقبل الأعذار ، ويراعى ظروف المكلفين !!

إنه الحج الذى أوجبه الله على أقوام يجدون الاستطاعة المادية والبدنية والاجتماعية ، ويكون أمن الأسرة ، وأمن الطريق ، وأداء المناسك فى الاعتبار والتقدير ، وأن يرتفع الحجيج إلى الوعى لما ابتغوا من حجهم ، والارتفاع إلى مستوى :

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾(٩)

وفى القمة من ذلك نعمة التقاء المسلمين من كل جنس ولون ولسان ، ومن كل فج عميق ، يسأل كل واحد منهم نفسه جذلان فرحا :

أبطحاء مكة هذا الذى :: أراه عيانا وهذا أنا ؟

وترجع الجبال أصواتهم وهم يقولون : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وهم يحملون الحياة بما وسعت دبر الأذان ، وخلف الظهور ، غنى بالحظوة الكبرى فى خير البقاع وأشرف المنازل ، وأبر الدور فى البيت العتيق ، والكعبة المشرفة والبلد الأمن فى ذاته وفيما حوله ، وفيمن وفدوا إليه وأقبلوا عليه :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٠)

وأكرم بالأمن حين يكون مناخا للمؤتمر الأكبر

---

(٧) سورة المطففين : ٢٦ .
(٨) سورة البقرة: ١٨٤ .
(٩) سورة الحج : ٢٨ .
(١٠) سورة آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ .

الذى لا تعرف الحياة ولن تعرف دنيا الحضارة مثله فى طهره وبره ودواعيه وغاياته حين يعود ضيوف الرحمن منه ، وقد غفر الله الذنوب ، وطهر القلوب ، وألف الأرواح على الأرواح ، واستبان طريق المسلمين إلى التعاون على البر والتقوى وتبادل المنافع المادية والثقافية فى نور الإسلام ، وصادق هداياته التى تأبى السلبية ، وتنكر الفردية ، وتتوارى فيها إلى الأبد عبادة الذات والصوالح الخاصة ولغة : « أنا وبعدى الطوفان » فلا كان من عاش لنفسه فقط ، وإن هلك الناس ، ولا حج لمن لم يطهر الحج نفسه من الكبرياء والاستعلاء على الآخرين ونسيان أنه وإن علا فى مدارج الحياة مكانه وعظم سلطانه مخلوق مثلهم من ماء وطين ، وأن نسبه وإن كان من هاشم لن يغنى عنه شيئا إذا كانت النفس من باهله فإنما أصل الفتى ما قد حصل بما عملت يداه وصنعت جوارحه ، ورضى الله عن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب ، فقد قال :

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

ألا ما أكثر ما نفيده من الفريضة الخاتمة من دروس ونحن نلقى السمع لمناسك الحج ابتداء من الميقات المكانى ، ومرورا بهذه المواقع التى عرفت - فى أقل القليل - سيدنا رسول الله - ﷺ - وليدا ورضيعا فى مكة وفى بنى سعد ، وحق تعاهده مولاه - عز وجل - مذ شب عن الطوق ، وبلغ الحلم ، ورعى الغنم لقومه ، وكان يتمه وحرمانه من أبويه من أنعم الله التى ترادفت عليه ، وهو - سبحانه - يمن على مصطفاه فيقول :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾(١١)

ليكون - صلوات الله عليه - أهلا لرعاية ذلك للآخرين وللدعوة إليه فيما أمره الله به من فضائل فقال :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾(١٢)

وفى خطبة الوداع فى اللحمة الواحدة التى لم تتكرر فى أعمال رسول الله - ﷺ - مبادىء الهدى وقيم الصلاح والإصلاح ، وركائز الخير جميعا ، على نحو تكمل به عقيدة التوحيد ، وتصح عبادة الله ، ويصلح السلوك الأهدى الذى لا تزكو بدونه الحياة ، فخذوا ذلك ومثله معه أيها الحجيج من هواتف منى وعرفات ، وأقيموا قواعد حياتكم على ذلك ، لتكونوا مرة أخرى :

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١٣)

﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾(١٤)

---

(١١) سورة الضحى : ٦ - ٨ .
(١٢) سورة الضحى : ٩ - ١١ .
(١٣) سورة آل عمران : ١١٠ .
(١٤) سورة محمد : ٣٥ .

بيت الله الأول في الأرض

لفضيلة الشيخ:
عبد الفتاح سيد جمعان

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾(١)

أما أول بيت لله فى السماء فهو البيت المعمور الذى أقسم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ به على أن عذابه واقع لا محالة بالمكذبين فقال ـ عز من قائل ـ

﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۞ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۞ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۞ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۞ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴾(٢)

وبين البيتين السماوى والأرضى أوجه تشابه عدة فكل واحد منهما وضع لعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكل منهما تكون العبادة فيه بالطواف حوله إلا أن الطائفين بالأول من ملائكة الله المكرمين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والطائفين بالثانى من البشر الذين يتشبهون بالملائكة فى تجردهم وسموهم وصفائهم .

ومن أوجه التشابه بين البيتين أن الأرضى بإزاء السماوى لو خر خر عليه كما جاء فى الأثر وكل واحد منهما يوصف بالمعمور ، فبيت السماء تعمره الملائكة ، وبين الأرض يعمره عباد الله الطائفون فلا يرى خاليا من الطائفين فى لحظة من لحظات الزمان ، حتى قيل : أنه لما غمر السيل المسجد الحرام طاف الناس حول البيت سابحين وراكبين فلكا صغيرة .

(*) الكاتب : مدير عام شئون القرآن الكريم بالأزهر الشريف .

(١) سورة آل عمران آية : ٦ .

(٢) سورة الطور الآيات من : ١ ـ ٨ .

والبيت الذى وضعه الله للناس فى الأرض هو الذى أمر المسلمون فى كل زمان ومكان أن يحجوه وأن يتوجهوا فى صلاتهم إليه ضمانا لتوثيق الصلة به ورمزا للتوجه إلى الله .

إنه أحب بقاع الأرض إلى الله ورسوله ، ولذلك جعله مثابة للناس وأمنا وجعل ما حوله حرما آمنا

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾(٣)

ومن مظاهر حرمته وعظمته أن جعل الله الأفئدة تهوى إليه والقلوب تشتاق لزيارته والأرواح تهفو إلى ساحته الشريفة تحقيقا لدعوة أبى الأنبياء عليه السلام .

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(٤)

لقد جاء فى بعض الآثار أن الملائكة أول من بنى هذا البيت ثم جدد بناءه أبو البشر آدم ـ عليه السلام ـ ثم انطمست معالمه بعد الطوفان فبين الحق ـ سبحانه ـ لسيدنا إبراهيم مكانه فقام بتجديده يعاونه فى ذلك ولده إسماعيل عليهما السلام

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾(٥)

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(٦)

ولما فرغ إبراهيم من البناء أمره الحق ـ سبحانه وتعالى ـ أن يؤذن فى الناس بالحج فقال ـ صلوات الله عليه ـ وكان قد جاوز المائة من عمره : « يارب وما يبلغ صوتى ؟ » فقال له ربه : « إنما عليك الآذان وعلىّ البلاغ » . فنادى فى صوت ضعيف لا يكاد يسمعه القريب منه « أيها الناس قد بنيت لله بيتا فحجوا إليه » فأمد الله فى هذا الصوت وقواه حتى بلغ مستقر الأرواح من أصلاب الرجال وأرحام النساء فإذا بعض الأرواح تجيب من وراء الغيب « لبيك اللهم لبيك »

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾(٧)

ولقد أراد الخليل ـ صلوات الله عليه ـ أن يجعل للناس معلما يبدأون الطواف منه ، فطلب من ولده إسماعيل أن يأتيه بحجر متميز يختلف عن بقية الأحجار ، ليكون مبدأ للطواف فمضى يبحث عن هذا الحجر وأبعد فى طلبه ، فلما وجد أباه وضع الحجر الأسود مكانه فسأله من جاءك بهذا الحجر فأجابه « من لم يكلنى إليك » .

روى أن جبريل ـ عليه السلام ـ أتاه به من السماء فهو الحجر السماوى الوحيد فى الأرض وهو الأثر الباقى من بناية إبراهيم إلى الآن وهو الحجر الأوحد الذى تضامت له شفتا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومال ليقبله وتبعه فى ذلك الصحب الكرام وسائر المسلمين حتى اليوم وإلى قيام الساعة مع اعتقادهم أنه حجر لا يضر ولا ينفع بذاته ولقد أحسن بعض الشعراء تصوير هذا المعنى فقال :

(٣) سورة العنكبوت اية : ٦٧ .
(٤) سورة إبراهيم اية : ٣٧ .
(٥) سورة الحج اية : ٢٦ .
(٦) سورة البقرة اية : ١٢٧ .
(٧) سورة الحج اية : ٢٧ .

الحـجـر الأسـود قـبـلـتـه
بشفـق قـلبى وكـله ولـه
لا لاعتقـادى أنـه نـافـع
بـل لهيامى بـالـذى قبله
محـمـد أطـهـر أنـفـاسـه
كـانت على صفحتـه مرسله
قـبله والـنـور مـن ثـغـره
يشرق آيـات هـوى منـزلـه
قبلت مـا قبل ثغـره الناطق
بـالـوحى ابتـغـاء الصـلـه

ومنذ أن أتم إبراهيم - عليه السلام - هذا البناء المقدس ظل العرب وكثير غيرهم فى بعض الأحيان يعظمون هذا البيت ويحجون إليه حتى بعد أن حادوا عن ملة إبراهيم إلى الوثنية المقيتة وظل مقصد الناس ومثابتهم من كل جنس ولون يتوجهون إليه فى عبادتهم ويقطعون الفيافى والقفار ويجتازون الأنهار والبحار لأداء النسك ومحو الذنوب والآثام وعظمت مكانة البيت فى نفوس العرب ، لأنه حرمهم الأمن ومناط عزهم وآية فخرهم .

وظلت عناية الله تكلأ هذا البيت وتحرسه على مر الدهور من كل سوء يراد به أو كيد يدبر له فعندما أراد أبرهة الأشرم أن يهدمه ليصرف الناس عن حجه ليحجوا إلى بيت بناه فى اليمن وجمع لذلك جموعه وساق الفيلة لهدمه انتقم الله منه ومزق جيشه شر ممزق بأن

﴿ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[8]

فرد الله كيد أبرهة وجيشه إلى نحوره حيث جعله الله - سبحانه وتعالى - فى تضليل .

وهكذا كان مصير أبرهة وجيشه بعد أن ساقه الغرور والصلف إلى هذا العمل الكريه وظن أن الأمر لن يكلفه سوى رحلة إلى مكة يعود بعدها وقد شفى سخيمة نفسه وأفرغ حقد قلبه بهدم الكعبة المشرفة ولم لا والعزيمة مؤكدة والقوة متوافرة وما درى أن للبيت ربا يحميه .

لقد حمى رب البيت بيته ، ليظل حرماً آمنا ، وليبقى مثابة للعالمين إلى يوم يبعثون وليدوم لقريش إيلافها لرحلات الصيف والشتاء فيتسنى لهم أن يقوموا على عبادة رب البيت :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾[9]

وبعد هذا الحادث الذى كان إرهاصا لميلاد محمد - صلى الله عليه وسلم - زاد تعلق العرب ومن جاورهم بالبيت الحرام وعظمت مكانته فى نفوسهم فعزموا على تجديد بناء الكعبة بعد أن صدعها السيل وبذلوا فى ذلك حر مالهم وخالص جهدهم متنافسين فى هذا العمل الشريف ، ووصل البناء إلى مكان الحجر الأسود فتنازعوا أيهم يكون له شرف وضع الحجر مكانه فكل بطن من بطون قريش يزعمون أنهم أفضل وأولى من غيرهم بهذا الشرف وكادت الحرب تنشب بينهم لولا أن رحمة الله - تعالى - أدركتهم فحكموا محمدا - صلى الله عليه وسلم - لحسم هذا النزاع فبسط رداءه ووضع الحجر بيديه الشريفتين عليه ثم جعل كل

(٨) سورة الفيل الآيات من : ٣ - ٥ .

(٩) سورة قريش الآيات من : ١ - ٤ .

زعيم منهم يمسك بطرف من أطراف الرداء ورفعوا الحجر وساروا به حتى وصلوا إلى مكانه من البناء فتناوله بيديه الكريمتين ووضعه مكانه .

لقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ حج هذا البيت الحرام تتويجا لعبادات الإسلام كلها فهو وإن كان أحد أركان الإسلام الخمسة إلا أنه يأتى فى ذروتها دليلا على كمال الدين وتمام النعمة ولهذا فرضه الله مرة واحدة فى العمر إذا تحققت الاستطاعة .

فالمسلم الذى حافظ على الصلاة وانتفع بأدائها وصام رمضان واكتسب منه صفة التقوى وأدى زكاة ماله إن كان ذا مال فطهر نفسه وزكاها بجد نفسه تواقة إلى زيارة الله فى بيته الأول ليؤدى واجب الذكر والشكر على هذه النعم المترادفة ليعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه لأن الحج هو العبادة الجامعة التى تشتمل على كل عبادات الإسلام وتحوى فى مناسكها كل ما فى هذه العبادات من بر وتقوى وفضل وسمو وصفاء وخير ففى الحج من الصلاة لذة المناجاة والصلة والقرب وروعة الضراعة والخشوع والدعاء وفيه من الصوم التسامى بالنفس فوق مطالب الجسد .

وفيه من الزكاة بذل المال الذى يبقى من شح النفس وفيه من الجهاد تحمل المشقات والاغتراب من الأهل والولد والوطن .

وعلى الجملة ، فإن فى الحج تشبها بالملائكة حيث يترك الإنسان المألوف من العادات واللباس والزينة والتطيب ، ولهذا كله جعله الله قرين الهجرة وترك الكفر إلى الإسلام وجعله جهاد الكبير والضعيف والجبان والمرأة وجعل ثوابه الجنة قال عليه الصلاة والسلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : لكل نبى دعوة دعا بها فى أمته ، فاستجيب له ، وإنى أريد ـ إن شاء الله ـ أن أؤخر دعوتى ، شفاعة لأمتى يوم القيامة رواه مسلم .

الأضحية

للشيخ : مصطفى سيد عارف *

إن من أنواع العبادات التى نتقرب بها إلى الله عز وجل « الذبح ».

والذبح أنواع كثيرة منها : ذبح الهدى، والعقيقة، والنذر، والفدو، والأضحية.

والحديث هنا عن الأضحية ويشتمل على عدة مسائل.

أولا : تعريفها : هى ما يذبح من النعم يوم النحر وأيام التشريق تقربا إلى الله تعالى.

وقد أجمع العلماء على مشروعيتها لقوله تعالى :

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾(1)

ومن حديث أنس قال : ضحى رسول الله ـ ﷺ ـ بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وكبر ووضع رجله على صفائحهما(2) ».

ثانيا : وقتها : اتفق العلماء على أنه لا يجوز الذبح قبل طلوع الشمس والظاهر من أحاديث البراء بن عازب، وأنس بن مالك، وجندب بن سفيان تدل على أن من ذبح قبل الصلاة فليست أضحية إنما هى لحم قدمه لأهله، ويمتد وقت الأضحية إلى غروب الشمس من آخر أيام التشريق، وهو قول الشافعى وجماعة، وذهب غيرهم إلى أن وقت الأضحية يوم النحر ويومان بعده.

من حديث جندب قال : صلى النبى-ﷺ-يوم النحر ثم خطب ثم ذبح، فقال : من ذبح قبل أن يصلى فليذبح أخرى مكانها، ومن لم يذبح فليذبح باسم الله(3) ».

ثالثا : الأشياء التى يضحى بها :

والأضحية لا تكون إلا من البقر والغنم والإبل

• الكاتب : إمام وخطيب ومدرس بإدارة أوقاف السادات ـ منوفية.

(1) الكوثر آية 2.

(2) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(3) أخرجه البخارى فى (13) كتاب العيدين (23) باب كلام الإمام والناس فى خطبة العيد.

لقوله تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾(٤)

وأفضل هذه الأشياء الإبل ثم البقر ثم الكباش عند الشافعى ، وأما مالك فوافق الشافعى فى الهدى ، وقال بعكس ذلك فى الأضحية ففضل الكباش ثم البقر ثم الإبل .

رابعا : الأكل من لحوم الأضاحى :

يستحب للمضحى أن يأكل ثلثا ويتصدق بثلث ويهدى بالثلث الآخر ، وقد أصاب الناس مشقة فأراد - ﷺ - أن يطعم الأغنياء المحتاجين من لحوم الأضاحى ، فنهى أصحابه أن يأكلوا من لحومها فوق ثلاث ليال من وقت التضحية ، وكان ذلك فى أول الإسلام ، ثم نسخ النهى بإباحة الأكل والادخار منها ، والنهى ليس للتحريم ولا ترك الأكل بعد الثلاث واجبا من حديث جابر ابن عبد الله - رضى الله عنهما - قال كنا لا نأكل من لحوم بدننا فوق ثلاث منى ، فرخص لنا النبى - ﷺ - فقال : « كلوا وتزودوا » فأكلنا وتزودنا(٥) .

ومن حديث سلمة بن الأكوع قال ، قال النبى - ﷺ - : من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثالثة وفى بيته منه شىء ، فلما كان العام المقبل قالوا : يارسول الله نفعل كما فعلنا العام الماضى ، قال : « كلوا وأطعموا وادخروا فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها(٦) » .

خامسا : ما لا يجوز أن يضحى به :

من حديث عبيد بن فيروز قال : قلت للبراء ابن عازب حدثنى بما كره أو نهى عنه رسول الله - ﷺ - من الأضاحى ، فقال قال رسول الله - ﷺ - هكذا بيده - ويدى أقصر من يده - : « أربع لا تجزىء فى الأضاحى العوراء البين عورها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ظلعها ، والكسيرة التى لا تنقى ، قال فإنى أكره أن يكون نقص فى الأذن قال فما كرهت منه فدعه ولا تحرمه على أحد(٧) » .

ومن حديث البراء بن عازب فى « الموطأ » ، و« السنن » مرفوعا لا يضحى بالعرجاء بين ظلعها ، ولا العوراء بين عورها ، ولا بالمريضة بين مرضها ، ولا بالعجفاء التى لا تنقى .

قال ابن عبد البر : أما العيوب الأربعة المذكورة فى هذا الحديث فمجمع عليها لا أعلم خلافا بين العلماء فيها ، ومعلوم أن ما كان فى معناها داخل فيها ، فإذا كانت العلة فى ذلك قائمة ألا ترى أن العوراء إذا لم تجز فى الضحايا فالعمياء أحرى ألا تجوز ، وإذا لم تجز العرجاء فالمقطوعة الرجل أحرى ألا تجوز ، وكذلك ما كان مثل ذلك كله ، وكذلك لا يجزىء فى الأضحية الجذع من المعز لحديث البراء بن عازب - رضى الله عنهما - قال : « ضحى خال لى يقال له أبو بردة قبل الصلاة فقال رسول الله - ﷺ - شاتك شاة لحم » فقال يارسول الله إن عندى داجنا جذعة من الماعز(٨) ،

---

(٤) الحج اية ٣٤ .

(٥) اخرجه البخارى فى (٢٥) كتاب الحج (١٢٤) باب ما ياكل من البدن وما يتصدق .

(٦) اخرجه البخارى فى (٧٣) كتاب الاضاحى (١٦) باب ما يؤكل من لحوم الاضاحى وما يتزود منها .

(٧) صحيح (ص . جه) ، (٢٥٤٥) ، جه (٣١٤٤/ ٢/١٠٥٠) ، د (٢٧٨٥/٥٠٥/٧) نس (٢١٤/٧) ، ت (١٥٣٠/ ٢٧/٣) مختصرا .

(٨) داجنا : اى الذى يالف البيوت ، ولاسن لها معينة ، والجذعة من الماعز هو الذى لم يطعن فى الثالثة .

قال : « اذبحها ولا تصلح لغيرك » ثم قال : « من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين[٩] » .

سادسا : آداب ينبغى للمضحى أن يفعلها :

ينبغى للمضحى ألا يأخذ من شعره ولا أظفاره شيئا حتى يضحى .

من حديث أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل هلال ذى الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحى[١٠] » .

قال النووى قال سعيد بن المسيب وربيعة وأحمد وإسحاق وداود وبعض أصحاب الشافعى إنه يحرم عليه أخذ شىء من شعره وأظفاره حتى يضحى فى وقت الأضحية .

وقال الشافعى وأصحابه هو مكروه كراهة تنزيه وقال أبو حنيفة يكره واختلف فى الرواية عن مالك .

سابعا : عن كم تجزىء البدنة (الناقة) والبقرة والشاة :

من حديث ابن عباس قال كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى سفر فحضر الأضحى فاشتركنا فى الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة[١١] » .

والشاة تجزىء عن الرجل وأهل بيته من حديث عطاء بن يسار قال : سألت أبا أيوب الأنصارى كيف كانت الضحايا فيكم على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ قال : كان الرجل فى عهد رسول الله ـ ﷺ ـ يضحى بالشاة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون ثم تباهى الناس فصار كما ترى[١٢] » .

ثامنا : حكمها : اختلف أهل العلم بين الوجوب والندب :

أولا : ذهب الإمام أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والأوزاعى إلى أنها واجبة على الموسر غير الحاج بمنى ، والمشهور عن أبى حنيفة إيجابها على المقيم المالك للنصاب ودليل القائلين بالوجوب .

أولا : قال رسول الله ـ ﷺ ـ من كان له سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا[١٣] .

ووجه الاستدلال به أنه لما نهى من كان ذا سعة عن قربان المصلى إذا لم يضح دل على أنه ترك واجبا فكأنه لا فائدة فى التقرب بالصلاة للعبد مع ترك الواجب أ . هـ[١٤] .

ثانيا : من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من وجد سعة فلم يضح فلا يقرب مصلانا » قال ابن حجر العسقلانى فى بلوغ المرام صححه الحاكم ورجح غيره من الأئمة وقفه وقال فى الفتح رجاله ثقات لكن اختلف فى وقفه ورفعه والموقوف أشبه بالصواب . أ . هـ[١٥] .

---

(٩) متفق عليه . خ (٥٥٥٦/ ١٢/ ١٠) م (١٩٦١/ ١٥٥٢/ ٣) وبمعناه رواه ت (١٥٤٤/ ٣٢/ ٣) د (٢٧٨٣/ ٥٠٤/ ٧) نس (٢٢٢/ ٧) .

(١٠) رواه مسلم .

(١١) صحيح (ص . جه) (٢٥٣٦) جه (٣١٣١/ ١٠٤٧/ ٢) ت (٩٠٧/ ١٩٤/ ٢) نس (٢٢٢/ ٧) .

(١٢) صحيح (ص . جه) (٢٥٤٦) وجه (٣١٤٧/ ١٠٥١/ ٢) ت (١٥٤١/ ٣١/ ٣) .

(١٣) حسن (ص . جه) (٢٥٣٢) جه (٣١٢٣/ ١٠٤٤/ ٢) .

(١٤) (الوجيز فى فقه السنة والكتاب العزيز للشيخ عبد العظيم بدوى ص ٤٠٢ .

(١٥) إرشاد المسترشد فق مقارن للشيخ محمد دلى ابن المنذر الانصارى ص ٤٤٣ .

ثالثا : من حديث مخفف بن سليم قال كنا وقوفا عند النبى - ﷺ - بعرفة فقال : « يا أيها الناس إن على كل أهل بيت فى كل عام أضحية وعتيرة ، أتدرون ما العتيرة ؟ هى التى يسميها الناس الرجبية[١٦] » .

وقد نسخت العتيرة بقوله - ﷺ - : « لا فرع ولا عتيرة[١٧] » .

ونسخ العتيرة لا يستلزم نسخ الأضحية[١٨] .

قلت : حديث مخفف بن سليم قال عنه النووى فى شرح المهذب قال الخطاب هذا الحديث ضعيف المخرج لأن أبا رملة مجهول ، وقال فيه ابن حجر فى التقريب عامر أبو رملة شيخ لابن عون لا يعرف ، وقال فيه الذهبى فى الميزان عامر أبو رملة شيخ لابن عوان فيه جهالة . أ . هـ[١٩] .

رابعا : من حديث جندب بن سفيان البجلى قال شهدت النبى - ﷺ - يوم النحر قال من ذبح قبل أن يصلى فليعد مكانها أخرى ، ومن لم يذبح فليذبح[٢٠] .

وهو ظاهر فى الوجوب لا سيما مع الأمر بالإعادة[٢١] .

ثانيا : ذهب أبو بكر وعمر وأبو مسعود البدرى وبلال وسعيد بن المسيب وعطاء وعلقمة والأسود ومالك والشافعى وأحمد وأبويوسف وإسحاق وأبو ثور والمزنى وداود وابن المنذر إلى أنها سنة مؤكدة فى حق الموسر وليس عليه شىء إن تركها .

دليل القائلين بأنها سنة مؤكدة :

أولا : من حديث أم سلمة أن النبى ﷺ قال : « إذا رأيتم هلال ذى الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظفاره[٢٢] » .

فجمهور العلماء يرى بأنها سنة لأن التعليق بالإرادة ينافى الوجوب . أ . هـ[٢٣] .

وقال ابن حزم : لم يصح عن أحد من الصحابة أنها واجبة أ . هـ[٢٤] .

قلت والظاهر أنها سنة مؤكدة ويكره تركها مع القدرة عليها . لحديث أنس - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفائحهما[٢٥] .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد - ﷺ - .

---

(١٦) (حسن . ص . جه) (٢٥٣٣) ت (١٥٥٥/ ٣٧/ ٣) د (٢٧٧١/ ٤٨١/ ٧) جه (٣١٢٥/ ١٠٤٥/ ٢) نس (١٦٧/ ٧) .

(١٧) متفق عليه . خ (٥٤٧٣/ ٥٩٦/ ٩) م (١٩٧٦/ ٣/١٥٦٤) د (٣٢/٢٨١٤/ ٨) ت (١٥٤٨/ ٣/٣٤) نس (٧/١٦٧) .

(١٨) الوجيز .

(١٩) رشاد المسترشد .

(٢٠) متفق عليه . خ (٥٥٦٢/ ٢٠/ ١٠)م (١٩٦٠/ ١٥٥١/ ٣) جه (٣١٥٢/ ١٠٥٣/ ٢) نس (٢٢٤/ ٧) .

(٢١) (السيل الجرار) (٧٤/ ٧٥/) انظر (الوجيز) .

(٢٢) رواه مسلم .

(٢٣) اللؤلؤ والمرجان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ص ٥ جـ ٣ .

(٢٤) (فقه السنة) للشيخ سيد سابق ص ٢٧٦ /جـ ٣ .

(٢٥) اخرجه البخارى فى (٨٣) كتاب الأضاحى .

خ : صحيح البخارى .
م : صحيح مسلم .
ت : سنن الترمذى .
د : سنن ابو داود .
جه : سنن ابن ماجه .
ص جه : صحيح سنن ابن ماجه .
نس : سنن النسائى .

الأعياد الإسلامية

وما لها من آثار طيبة في نفوس المسلمين عامة

لفضيلة الشيخ:
عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أنس - رضى الله عنه - قال : « قدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال : ماهذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال - صلى الله عليه وسلم - : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى »[1] .

وعن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، وأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس ، والناس جلوس فى صفوفهم ، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم ، وإن كان يريد أن يقطع بعثا[2] أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف »[3] .

الأعياد ظاهرة اجتماعية بشرية ، وهى فرصة متاحة تعبر فيها الجماعات عن سرورها بحادث من الأحداث السعيدة ، كالتوفيق لإتمام شعيرة دينية أو انتصار على عدو . . والأعياد فى كثير من الأمم والشعوب مجال خصب للهو المشين ، والعبث المريب ، فمظاهر الفرح فيها تداع إلى الشراب ،

(١) رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح .
(٢) اى يخرج من الجيش سرية إلى جهة من الجهات
(٣) رواه البخارى ومسلم واحمد .

وإلى الندوات الماجنة التى تستنزف العقول والأموال ، لذا كانت الأعياد فى كل أمة مظهرا من المظاهر التى تعبر عن شخصيتها .

والإسلام وهو دين الإنسانية بأسرها ، والحريص على خيرها وخلاصها أقر فكرة الأعياد كظاهرة اجتماعية ، فجعل للمسلمين عيدين اثنين ، ابتهاجا بالنعمة ، وإظهارا للفرحة ، فهما أشبه بواحتين جميلتين فى صحراء الحياة يجد فيهما المسلم من الظل والنعيم ، والمتعة الحلال مايملؤه بهجة ونشاطا .

إن النبى - صلى الله عليه وسلم - لم يرض أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها فى الجاهلية قبل الإسلام ، بل جعل لهم عيدين ، شاءت المقادير الإلهية أن يرتبطا فيما بعد بعبادتين عظيمتين من أهم العبادات فى الإسلام وهما :

(١) عيد الفطر : بعد أن ينتهى المسلمون من عبادة الصوم فى شهر رمضان المعظم ، حيث يفرحون بفطرهم وعبادتهم لله - تبارك وتعالى - .

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى ربه فرح بصومه[٤] .

(٢) وعيد الأضحى : بعد أن يؤدى الحجاج أهم ركن فى عبادة الحج : وهو الوقوف بعرفة ، حيث يفرحون ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة فى أطهر بقعة وأقدسها .

وبهذين العيدين توحدت أعياد العرب ، وأعياد المسلمين عامة ، وقضى الإسلام على تلك الأعياد المتكاثرة المتفرقة فى البلدان والقبائل والتى كانت مجالا للعبث والفجور ! !

وفى هذين العيدين يلتقى فى الإسلام الدين بالدنيا فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، يتجلى ذلك فى المسرات التى تفيض بشرا فى الوجوه وبهجة فى القلوب وبشاشة فى النفوس وسماحة فى الأخلاق ، وإظهارا لآثار نعمة الله تعالى : من ثياب جديدة ، ومآكل شهية مفيدة ، وسلاما ووئاما ، وألفة وإخاء ، وودا وصفاء ، وتناسيا للضغائن ، وبرا شاملا بالأقارب والجيران وسعادة ونعيما فى كل بيت من بيوت المسلمين .

حقا إن العيد ربيع الحياة الإنسانية ، كما أن للأرض ربيعا تذخر فيه بأنواع النبات ، صنوان وغير صنوان .

وفى ربيع الأرض تظهر ألوان الزروع على بساطها ، وقد أخذت الأرض زخرفها وازينت واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج .

وربيع الحياة الإنسانية هو هذه الفسحة الإلهية ، وتناسى الآلام البشرية ، والابتسام لنعم العزيز الوهاب ، وإشعال النشاط لإقحام الصعاب ، والانتصار على الشدائد والأهوال ، وتحقيق ما تتطلبه الأمة من أسباب الكمال .

إن عيد الفطر حفل ربانى يقام بين السماء والأرض تشترك فيه الملائكة الكرام من الملأ الأعلى ، والطائعون من عباد الرحمن . . وفى هذا الحفل المبارك الذى يقام يوم العيد ، يقدم الصائمون محصول عبادتهم خلال شهر رمضان ،

---

(٤) رواه البخارى .

ويقدم الله - تبارك وتعالى - لهم أثناءه جائزة التوفيق فى عملهم ، فالأفراح فى الأرض ، والأفراح فى السماء .

عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم ، يمن بالخير ، ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم ، فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم ، فهو يوم الجائزة ، ويسمى ذلك اليوم فى السماء « يوم الجائزة »[٥] .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما : عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ينادى الحق تبارك وتعالى ملائكته فى يوم العيد ماجزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره ، فيقول سبحانه : أشهدكم أنى جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى ، ثم يقول - سبحانه - وقد نظر إلى جميع المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان : سلونى ياعبادى ، فوعزتى لا تسألون اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم ، قد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم »[٦] .

وفى عيد الأضحى يلتقى المسلمون على مائدة الرحمن - عز وجل - فهو لذلك يوم أكل وشرب وتمتع بالطيبات التى أحلها الله ، وفيه يحتفل المسلمون ابتهاجا لتوفيقهم إلى أداء فريضة الحج ، وتحقيق آمالهم فى زيارة البيت المعظم ، وتقبيل الحجر الأسود ، والحظوة بالشرب من ماء زمزم .

ويشترك سائر المسلمين مع الحجاج فى الاحتفال بهذه المناسبة ، ويقوم القادرون منهم بذبح أضاحيهم تقربا إلى الله - تعالى - .

عن عائشة - رضى الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ماعمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا »[٧] .

إحياء ليلة العيد :

ويندب إحياء ليلة العيدين بالذكر والتكبير ، والدعاء والاستغفار ، كما يستحب كثرة البذل والعطاء للمحتاجين والبؤساء والفقراء .

عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « من أحيا ليلة الفطر ، وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » .

أما وقت التكبير فيبتدىء من رؤية هلال شوال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، ويصعد الإمام على المنبر لقول الله - تعالى - :[٨]

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

---

(٥) رواه الطبرانى .

(٦) رواه ابن حبان والبيهقى .

(٧) رواه ابن ملجه والترمذى والحاكم .

(٨) البقرة : ١٨٥ .

أما فى الأضحى فوقته من فجر عرفة ويمتد إلى العصر من آخر أيام التشريق الثلاثة التى تلى يوم العيد ، لقوله ـ تعالى ـ :[٩]

﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾

ويستحب التكبير فى كل وقت من هذه الأيام ، سواء أكان قبل الصلاة أم بعدها ، أو فى الطريق العام ، أو فى المجالس الخاصة . . وقد كان عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يكبر فى قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ، ويكبر أهل السوق ، حتى ترتج منى بالتكبير . . وكان عبد الله ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ يكبر بمنى فى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفى فسطاطه ومجلسه وممشاه ، لأن التكبير هو شعار هذه الأيام ، ورمز بهجتها وجمالها ، وما أروع أن نملأ الكون كله بتكبير الله .

وصيغته يعرفها المسلمون جميعا ، وهى كما وردت عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وعبد الله بن مسعود : « الله أكبر . . الله أكبر . . لا إله إلا الله والله أكبر . . الله أكبر ولله الحمد » . . ولا بأس بالزيادة على هذه الصيغة بما يردده المسلمون اليوم فتهتز بها رحبات المساجد ، وجنبات الحياة ، ويخفق لها قلب الوجود ويخشع الكون كله ، إجلالا لله ـ عز وجل ـ .

ويستحب الغسل والطيب ولبس أجمل الثياب .

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلبس برد حبرة فى كل عيد » . حبرة نوع من برود اليمن . . ويسن الأكل يوم الفطر قبل الخروج إلى الصلاة ، بأن يأكل تمرات وترا ، وتأخير ذلك فى عيد الأضحى ، حتى يرجع من المصلى ، فيأكل من أضحيته ، عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لايغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا »[١٠] .

وعن سعيد ابن المسيب : « أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل قبل الغدو يوم الفطر[١١] ، وعن بريدة ـ رضى الله عنه ـ قال : « كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ، ولا يأكل يوم الأضحى حتى يرجع »[١٢] . . وفى رواية أخرى بزيادة : « فيأكل من أضحيته »[١٣] .

صلاة العيدين وكيف تؤدى ؟

ويسن أداء صلاة العيدين فى الصحراء ، أو فى مكان فضاء ، مالم يكن هناك عذر كمطر ونحوه ، وعندئذ تؤدى فى المسجد ، روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « أنهم أصابهم مطر فى يوم عيد ، فصلى بهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلاة العيد فى المسجد »[١٤] .

(٩) البقرة : ٢٠٣ .
(١٠) اخرجه احمد والبخارى .
(١١) اخرجه مالك فى الموطا .
(١٢) اخرجه الترمذى وابن ملجه .
(١٣) اخرجه احمد .
(١٤) اخرجه ابو داود وابن ملجه .

فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلى العيدين فى المصلى[١٥] ، وذلك خلافا للشافعية فإنهم قالوا : إن أداءها فى المسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر كضيقه ، فيكره الزحام فيه ، وحينئذ تسن فى الصحراء .

وصلاة العيدين سنة مؤكدة ، وهى ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلى قبل القراءة فى الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإمام يرفع اليدين إلى حذو المنكبين فى كل تكبيرة ، ويسن أن يفصل بين كل تكبيرتين منها بقدر آية متوسطة ، ويستحب أن يقول فى هذا الفصل سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ويسن أن يضع يمناه على يسراه تحت صدره بين كل تكبيرتين ، ويزيد فى الركعة الثانية بعد تكبيرة القيام خمس تكبيرات ، يفصل بين كل اثنين منها ، ويضع يمناه على يسراه كما تقدم فى الركعة الأولى ، فقد روى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « التكبير فى الفطر سبع فى الأولى ، وخمس فى الآخرة ، والقراءة بعدهما كلتيهما[١٦] .

وفى حديث عائشة - رضى الله عنها - أنه - صلى الله عليه وسلم - كبر فى العيدين سبعا فى الأولى ، وخمسا فى الثانية ، وهذه التكبيرات سنة وتسمى هيئة ، فلو ترك شيئا منها لا يسجد للسهو ، وإن كره تركها . . وتقديمها على القراءة شرط فى الاعتداد بها فلو شرع فى القراءة ولو ناسيا ، لا يأتى بالتكبيرات لفوات محلها ، ولو دخل المأموم مع الإمام فى الركعة الثانية ، فإنه يكبر خمس تكبيرات غير تكبيرة الإحرام ، ثم يكبر فى الركعة الثانية التى يقضيها بعد سلام الإمام خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام .

والقراءة فى صلاة العيدين تكون جهرا لغير المأموم ، وأما التكبير خارج الصلاة فيسن فيه الجهر للجميع ويسن أن يقرأ بعد الفاتحة فى الركعة الأولى سورة الأعلى أو سورة الكافرون ، وفى الركعة الثانية سورة الغاشية أو سورة الإخلاص .

الخطبة بعد صلاة العيد :

إن من السنة أن تكون الخطبة بعد صلاة العيد لما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « شهدت العيد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبى بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - فكلهم كانوا يصلون قبل الخطبة[١٦] . . وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - يصلون العيدين قبل الخطبة[١٧] .

وصلاة العيدين لا أذان لها ولا إقامة ، لما روى عن جابر بن سمرة - رضى الله عنه - قال : « صليت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - العيد غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة »[١٨] .

---

(١٥) موضع بباب المدينة الشرقى .

(١٦) اخرجه ابو داود والدارقطنى .

(١٧) رواه البخارى .

(١٨) اخرجه البخارى .

خروج النساء للعيدين :

يباح خروج النساء فى العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب ، والشابة والعجوز ، والحائض ، غير متبرجات بزينة ، عن أم عطية - رضى الله عنها - قالت : « كنا نؤمر أن لا نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها ، وحتى تخرج الحيّض فيكن خلف الناس ، فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته »(١٩) ، وفى رواية أخرى عن أم عطية - رضى الله عنها - قالت : « أمرنا أن نخرج العواتق(٢٠) والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعـوة المسـلمـين ، ويعـتزل الحـيض المصلى »(٢١) .. وعن ابن عباس - رضى الله عنها - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين »(٢٢) .. وفى رواية أخرى لابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال : « خرجت مع النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة » .

مخالفة الطريق :

ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب الذهاب إلى صلاة العيد فى طريق والرجوع فى طريق آخر ، سواء أكان إماما أم مأموما ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا كان يوم عيد خالف الطريق »(٢٣) .. وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : « كان النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج إلى العيد يرجع فى غير الطريق الذى خرج فيه »(٢٤) .. كما يجوز الرجوع فى الطريق الذى ذهب فيه ، فقد روى عن بكر بن بشر - رضى الله عنه - قال : « كنت أغدو على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المصلى يوم الفطر ويوم الأضحى فنسلك بطن بطحان حتى نأتى المصلى فنصلى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم نرجع من بطن بطحان إلى بيوتنا »(٢٥) .. (بطن بطحان:وادٍ بالمدينة) .

إباحة الغناء واللهو فى العيد

اللعب المباح ، واللهو البرىء ، والغناء الحسن فى يومى العيدين ، رياضة للبدن ، وترويحا للنفس لا حرج فيه . عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « إن الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى يوم عيد ، فاطلعت من فوق عاتقه ، فطأطأ لى منكبيه ، فجعلت أنظر إليهم من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت(٢٦) » . وجاء فى رواية أخرى لعائشة : « وكان يوم عيد يلعب السودان بالورق (أى

---

(١٩) رواه احمد ومسلم وابو داود والترمذى
(٢٠) اخرجه البخارى .
(٢١) البنات الابكار .
(٢٢) متفق عليه .
(٢٣) رواه ابن ملجه والبيهقى .
(٢٤) اخرجه البخارى .
(٢٥) رواه احمد ومسلم والترمذى .
(٢٦) رواه احمد والشيخان .

التروس) والحراب ، فإما سألت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإما قال : « أتشتهين تنظرين ؟ قلت : نعم ، فأقامنى وراءه ، خدى على خده ، وهو يقول : دونكم يابنى أرفدة (لقب الحبشة) حتى إذا مللت قال : حسبك (أى يكفيك) هذا القدر من مشاهدة اللعب ؟ قلت : نعم ، قال : فاذهبى[٢٧] . . وفى رواية أخرى قالت ـ رضى الله عنها ـ : « دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث ، وليستا بمغنيتين (أى ليس الغناء عادة لهما ، ولا هما معروفتان به) فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (المزمور صوت فيه صفير) ، وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ياأبا بكر إن لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا[٢٨] ، وعن أبى الزناد عن عروة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال يومئذ : « لتعلم يهود أن فى ديننا فسحة ، إنى بعثت بحنيفية سمحة » .

البر المادى وخلق الإيثار :

وإذا كان الإسلام قد رخص فى شىء من اللهو البرىء فى الأعياد استمتاعا بما فيه من لذة لا تخدش دين المسلم ولاحياءه فقد ندب إلى البر المادى لتكامل مظاهر التكافل الاجتماعى فيها ماديا وخلقيا فسن زكاة الفطر ، يوم عيد الفطر وهى قدر مخصوص من المال عينه للفقراء فى ذلك اليوم سدا لعوزهم ودعوة للمشاركة فى السرور به .

كما ندب إلى مشاركة الفقراء فى الأضحية فى عيد الأضحى ليستمتع بفضل الله ونعمه المسلمون جميعا ، حتى لا يكون من جماعتهم من يعضه ألم الجوع ، ولوعة الحرمان ، وبهذا تصبح الأعياد أعيادا اجتماعية يشترك فى الابتهاج بها الأغنياء والفقراء فى جو محتشم يسوده الحب والإيثار وتتحقق فيه رغبات الأفراد ومصلحة الجماعات .

يقول الواقدى أحد العلماء البارزين فى القرن الثانى الهجرى كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، وكنا كنفس واحدة ، فنالتنى ضائقة شديدة وحضر العيد فقالت لى امرأتى : أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فماذا نصنع لهم وثيابهم مهلهلة ؟ فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله المعونة والتوسعة ، فوجه إلى كيسا مختوما فيه ألف درهم : فما استقر فى يدى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقى الهاشمى فوجهت إليه الكيس بختمه ، ثم أخبرت امرأتى بما كان منى فأقرته راضية شاكرة ، ولم ألبث قليلا حتى وافانى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، ثم قال لى : ماذا فعلت بالكيس الذى وجهته إليك أصدقنى ولا تكتم على ، فأخبرته الخبر ، فقال لى الهاشمى إنك حين طلبت منى ما أعونك به من مال لم أكن أملك إلا ما بعثت به إليك ثم أرسلت إلى صديقنا الثالث أسأله المواساة فوجه إلى الكيس الذى بعثت به إليك ، قال الواقدى فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا ، وأخذ كل من ثلاثتنا ثلاثمائة درهم ، وأعطينا المرأة مائة درهم ، وتسرب الخبر إلى

(٢٧) اخرجه البخارى .
(٢٨) اخرجه مسلم .

الخليفة المأمون ، فدعانى واستفسرنى فقصصت عليه الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفان وأخذت المرأة ألف دينار .

إن هذه القصة تحتوى على التعبير الصادق عن التعاون الإنسانى الذى رسمت طريقه لهؤلاء الأصدقاء الثلاثة : الرحمة والتعاطف والمحبة والإيثار .

عادات وتقاليد :

إن مما صحب أعيادنا من عادات وتقاليد إعداد أطعمة خاصة بها والتوسع فى الإنفاق عليها ، ففى رمضان تتبارى الأسر فى إعداد الكعك وفطائره وتبذل فى الإنفاق عليه ما يرهق بعضها ، ويسبب أزمات عائلية خطيرة قد تنتهى بانهيار الأسر ، وتقويض دعائمها ، ويأبى كثير من النسوة قبول الأعذار فى إعداده ، والاستدانة وبيع المتاع إحدى وسائل تغطية نفقات الكعك !!

وفى عيد الأضحى تتبارى الأسر فى عمل الفطائر والحلوى لتستكمل مظاهر العيد وتحافظ على ما ورثناه من تلك التقاليد !!

ولا شك أن تعاليم الإسلام لا تقر فى أى وقت ولا فى أى مناسبة ، والتوسط والاعتدال من أهم أصوله .

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(٢٩)

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾(٣٠)

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧ ﴾(٣١)

وقال تعالى فى وصف عباد الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾(٣٢)

دخل رجل على أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يوم عيد فوجد بين يديه خبزا خشنا ، فقال : ياأمير المؤمنين يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال له الإمام على : اليوم عيد من قُبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد .

وبعد فمن الواجب أن تتحد أعياد المسلمين ليكون العيد تعبيرا عن فرحة شاملة تعم العالم الإسلامى كله ، وليكون سبيل هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس إلى الوحدة واجتماع الكلمة حسبما قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣٣)

وقال - جل شأنه - :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣٤)

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الإسلام وعزة المسلمين .

---

(٢٩) البقرة : ٢٨٦ .
(٣٠) الإسراء : ٢٩ .
(٣١) الإسراء : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣٢) الفرقان : ٦٧ .
(٣٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٣٤) الأنبياء : ٩٢ .

التفسير بالمأثور :
الطبرى

للأستاذ الدكتور: محمد إبراهيم الفيومى

منذ القرن الثانى للهجرة ، قام العلماء المسلمون لسد الحاجة إلى وضع التفسير المأثور فى مصنفات متسلسلة من كتب التفسير . بيد أن هذه المحاولات الأولى لم تبق محفوظة لنا بعد إلى أن قام الإمام الطبرى : محمد بن جرير الطبرى من أعظم رجال العلم الإسلامى فى جميع العصور (٢٥١ هـ - ٣١٠ هـ) بوضع كتابه الضخم . هذا الكتاب دائرة معارف غزيرة الثروة من التفسير المأثور وهو لم يكن فى تفسيره حاطب ليل أو ميالا إلى الحشو من السواقط واللواقط ، إنما كان له ميراثه النقدى تجاه آراء التفسير التى تعبر عن الاستقلال والذاتية فى الترجيح أو التضعيف . ويأخذ بالروايات الصحيحة ويميل إليها على أنها الطابع الوحيد لصواب التفسير ؛ وفى هذا المعنى يرتب من آية إلى أخرى وجوه التفسير المروية عن دائرة الثقات المعتد بهم فحسب ، منسقة بعضها إلى جانب بعض حسب اختلاف الإسناد الذى رواه عن طريقه ، ولا يفصل ذلك فى مجرد سرد آلى ، بل يستخدم فى توسع حق النقد المعمول به فى الإسلام منذ عهد مبكر ، تجاه سلاسل رجال السند ، فحيث يبدو له عدم الوثوق بالرواية ، يعبر عن ذلك بما يناسبه . حتى بإزاء رواه ابن عباس الذين نالوا درجات أقصى الاعتراف بهم ، يصطنع لنفسه هذه الحرية ، فيقول مرة عن مجاهد : إن رأيه يخالف إجماع الحجة الذين لا يمكن نسبتهم إلى الكذب « ومرة أخرى » وما ذكر هنا عن مجاهد لا معنى له . . وفساد رأيه لا شك فيه » وبمثل ذلك يصرح فى شأن الضحاك . ورواة آخرين عن ابن عباس .

ويتحدث الطبرى عن منهجه وطريقته فى تطبيق التفسير يقرر هذا المبدأ : ينبغى فى المرتبة الأولى مراعاة المعنى الظاهر للفظ ، الذى لا يجوز أن يتحول عن التفسير إلا أن تكون هناك مواضع أخرى من القرآن ، أو أسباب خاصة أخرى تقتضى تفسيراً آخر . وهو يفهم من هذه الأسباب الأخرى : « أقوال السلف » وعلى الأخص « أقوال الصحابة والأئمة ، أى التابعين وعلماء الأمة الإسلامية » وكان إذا أخذ من التوراة أو شيئا من الإسرائيليات أخذها عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه . وكان يأخذ التراث النصرانى عن ابن اسحق عن أبى عتاب وهو رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره ثم أسلم بعد فقرأ القرآن وفقه فى الدين ، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة ثم عمر فى الإسلام أربعين سنة أخرى .

وكان من منهجه اهتمامه بطابع الجد والصرامة موقفه من ضروب التعمق الفارغ فى دقائق قليلة الغناء ، يعنى بها بعض الرواة فى أسلوب من السذاجة مثال ذلك ؛ إذا سأل سائل عن المائدة آيات ١١٢ ـ ١١٥ التى أنزلت بسؤال عيسى من السماء : هل كان عليها طعام وهل كان بها أى خبز أو . . . الخ . كان يقول « العلم بذلك غير نافع ، ولا صار الجهل به ضارا » ويلغى الإقرار من القارىء بالآية بظاهر ما احتمله من التأويل وهل شعيب هو يثرون (يثْرون) أو الأخير ابن أخى شعيب ، كما ظن بعضهم ؟ هذا على حد سواء كان يقول مجيبا على هذا الخلاف : « هذا لا يدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك » .

مثل هذه الملاحظات يكررها الطبرى فى مختلف المناسبات ، بقصد الإشارة إلى عدم جدوى التكهنات التى لا يعضدها نقل موثوق به ، فليس من شأن المفسر أن يتسمع صوت النبت ، وهو ينبت .

وكان من منهجه فى التفسير الاعتداد بالاستعمال اللغوى العربى فهو عنده أوثق المراجع فى تفسير العبارات المشكوك فيها . ويبدو أنه فى كثرة استخدامه للشواهد من الشعر العربى القديم ، قد أحرز أولا قصب السبق فى مدى الاتساع متابعا فى ذلك توجيها راجعا إلى ابن عباس . ولا غرو فإنه فى علوم اللغة ، ولا سيما فى الخبرة بالشعر القديم ، لم يكن أقل امتيازا منه فى علوم الدين والتاريخ . واستطراداته اللغوية فى كتاب التفسير تشهد إلى مدى بعيد بصحة هذه الشهرة التى نالها . فإن ما اضطلع به فى تفسيره للقرآن مما يتصل بالناحية اللغوية لها ركاز لا تقدر نفاسته فى بحث مفردات اللغة . كذلك بعيدة الغاية استقصاءاته النحوية* التى يتناول فيها على وجه التفصيل بحث الظواهر اللغوية تبعا لمختلف المدارك فى مدارس النحو البصرية والكوفية ، التى يعد كتابه من أقدم المصادر لمعرفتها وقدرها حق قدرها .

ذلك أن البحث اللغوى لا يفتأ يبدو عونا مساعداً على التفسير المؤسس على العلم ، ومع احترام مبدئه القائل : وهو عدم جواز تعارضها مع ما نعلمه فى تفسير موضع قرآنى من رواية وثيقة

---

* حصرها أخونا الفاضل الأستاذ دكتور عبد الرءوف عثمان فى أربعة مجلدات ضخمة ، وهو عمل جليل يحتاج إلى من يقوم بطبعه من دور النشر الكبيرة .

للصحابة والتابعين . فهو كذلك فى المسائل اللغوية لا يطرح بذلك مذهبه فى اعتهاد على الرواية والنقل . وإذاً فكتاب الطبرى فى التفسير هو جماع التفسير المأثور ومنتهى ذروته .

وكان منهجه فى الجدل العقدى وبعض القضايا الكلامية التى أثيرت فى العصر الأموى يقف منها موقف أهل السنة المحافظين وغير متعصب لمذهب من المذاهب أو فرقة من الفرق ، وقد يقف مع استبيان له من صحيح التفسير دون أهل السنة ، وكان كثيرا ما يصرح بالتقليل من شأن أحمد بن حنبل وأيضا كان يشيد بجراءته فى الحق ، وربما كان ذلك منه لتعصب الحنابلة عليه وكثيرا ما هيجوا الناس عليه . أما موقفه من المسائل الكلامية فكان يقضى فيها برأيه انظر مثلا مسألة : هل العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، أو هو مجبر يقضى الله عليه . بما يريد ؛ يستعمل الطبرى صيغة تكاد تتفق مع جواب ، سنرى أن أهل السنة عارضوه ، وكلما ورد فى القرآن ما يفيد أن الله يضل ما يشاء ويهدى من يشاء ، لا يفتأ الطبرى يستعمل عبارات ملتوية يتبين منها أنه لا يرى أن أعمال الناس غير صادرة عن حرية واختيار ؛ بل يرى أنه ينبغى أن نفهم من هداية الله رحمته لعباده باللطف والتوفيق للعمل الصالح الذى يريده العبد حراً مختارا ، ومن إضلال الله خذلانه للعباد ، وهو يذكر ذلك فى جميع المواضع التى تذكر فيها أفعال العباد فى قالب مختصر ، أو ميسر ، أو بالسطر له . ويرى ياقوت[1] ، أنه قد أخذ على هذه الوجوه من التفسير أنها تشعر إشعاراً تاما بالميل إلى الاعتزال فلم تقف مدرسة التفسير بالمأثور بعيداً عن مسائل الخلاف العقد المتنازع عليها فى عصره .

وكانت ترجيحاته بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقى والرجوع إلى الدلالات اللفظية وخوض فى المسائل العقدية مع تصريحه بأنه من أهل السنة وخصيم لجميع مذاهب العقدية التى تخالف مذهب السلف ومحاربته لمذهب القدريين ورفض نتائجه التى استند بها هذا المذهب من القرآن عن طريق التفسير وكل تفسير يرمى إلى إضعاف مذهب أهل السنة المحافظين يرفضها فى حسم وتصميم .

كانت هذه الاستطرادات تشعر إشعارا تاما أن الإمام الطبرى وهو إذ يؤسس علم التفسير بالمأثور ويبين مراميه وأبعاده ومناهجه . كان فى نفس الوقت يؤسس علم التفسير العقلى الذى جاء فيما بعد الإمام جاب الله الزمخشرى فرفعه على قوائمه .

والطبرى وهو المؤرخ الأعظم والمفسر الأتقى كان يتحاشى الميل إلى آراء الفرق ومذاهبها والآراء السياسية وكثيرا ما كان يلجأ إلى الأخذ بالتفسير المجازى فى كثير من التوجيهات لكنه لا يركن إليه كثيرا وخاصة مع جدل المتكلمين ، فمثلا فى مسألة سابق علم الله الشامل للمعاصى وفى مدلول الرؤية الحسية لله نراه يحارب تفسير المعتزلة المجازى بشدة دون أن يذكر تسميتهم وهو على وجه العموم يرفض طريقة التفسير المجازى المحببة إلى مدرسة أهل الرأى ، وينضم إلى رواية الثقاة من الرواة من القدماء فى فهم الأمور على وجه مطابق للفظ .

(١) جـ٦ ص٤٥٣ .

الاجتهاد وأهميته في العصر الحديث ٢

لسماحة

السيد: على بن السيد عبد الرحمن الهاشم

منزلة المجتهد :

إن من يستقرىء تاريخ الاجتهاد الفقهى فى حياة الأمة الإسلامية يلاحظ أن هناك علاقة وثيقة بين ازدهار هذا الاجتهاد وتقدم الأمة وقوتها ، وأن ضعف الأمة وتخلفها كان من ورائه تخلف الاجتهاد وضعفه ، وهذا يعنى أن الاجتهاد مناط القوة والتقدم للأمة الإسلامية ؛ لأن مدلوله العام لا ينصرف إلى استنباط الأحكام العلمية فحسب ، ولكنه يشمل كل مجالات الحياة المختلفة من حيث إنه قوة تحرك كل الطاقات نحو العمل المتقن فى شتى الميادين .

والفقيه المجتهد يدرك أن مهمته ليست محصورة فى دائرة استخراج الأحكام ، وإنما تتجاوز هذا إلى العمل المستطاع فى مجال توجيه الحياة البشرية نحو الالتزام الكامل بما شرعه الله لعباده من فرائض وآداب .

لذلك تظهر منزلة المجتهد العظيمة ، إنه مبلغ عن النبى - ﷺ - لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (بلغوا عني ولو آية)[1] .

شروط الاجتهاد :

الاجتهاد مهمة مقدسة ، ورسالة جليلة ، لا ينهض بها إلا من كان أهلا لها ، ولذلك اشترط العلماء فى الفقيه عدة شروط حتى يكون جديرا بهذه الرسالة وتلك المهمة .

وهذه الشروط منها ما هو متفق عليه ومنها ما هو مختلف فيه وهناك شروط مكتسبة وهى ما تسمى

(١) البخارى - كتاب الأنبياء باب ماذكر عن بنى إسرائيل .

بالشروط العامة أو شروط التكليف وهى : الإسلام ، والبلوغ ، والعقل .

أما الشروط المتفق عليها فهى :

١ ـ الكتاب : فيشترط معرفة كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ بأن يكون المجتهد ملما بالعلوم التى تتعلق بكتاب الله لمعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والمكى والمدنى والعام والخاص والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه . . قال تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

ولا يشترط معرفة جميع الكتاب ، بل ما يتعلق بالأحكام منه .

٢ ـ معرفة السنة النبوية :

وهى ما روى عن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من قول أو فعل أو تقرير ، فلا بد لمن يتصدى للاجتهاد من معرفة هذه الأنواع الثلاثة بما تتضمن من أحكام كلية ومقاصد عامة ، ومن أحكام تفصيلية ؛ ذلك لأنها المصدر الثانى للتشريع الإسلامى ، وهى مفسرة لمجمله ، وموضحة لمبهمه ، ومقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعامه . . ولم يشترط علماء الأصول العلم بجميع ما جاء فى السنة ، فهى بحر زاخر ، وإنما اشترطوا معرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام ، فلا يلزمه معرفة ما يتعلق من الأحاديث بالمواعظ والقصص وأحوال الآخرة ونحوها وإن كان (الواقع يوجب على المجتهد أن يكون واسع الاطلاع على السنة كلها ، وإن وجه مزيد اهتمام إلى أحاديث الأحكام . فقد توجد أحاديث بعيدة عن مجال الأحكام فى الظاهر ، ولكن الفقيه يستنبط منها من الأحكام ما قد يفوت غيره) . . وعلى المجتهد أن يكون على علم بالعلوم التى تتعلق بالسنة النبوية كالعلم برواية الحديث ، والعلم بنفس الحديث ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ منه .

٣ ـ الإحاطة باللغة العربية وعلومها :

لابد للمجتهد أن يكون عالما بالعربية وعلومها معرفة تيسر له فهم خطاب العرب ، وذلك لأن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربى مبين ، والسنة قد نطق بها رسول الله وهو عربى .

إذ لا بد للمجتهد من معرفة السنة القولية ، والسنة الفعلية والتقريرية . فقد نقلها أصحاب رسول الله ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وهم عرب من أهل الفصاحة والبيان ، فالمجتهد فى الشريعة لا غنى له عن بلوغ درجة المعرفة فى كلام العرب بحيث يصير فاهما لخطابهم ، مدركا لمقاصدهم ، معبرا عن مدلول اللغة العربية من غير تكلف ولا توقف ، وبهذا القدر يتمكن من فهم كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهذا الأمر لا يستوجب بلوغ مبلغ الخليل بن أحمد ولا سيبويه وغيرهما من علماء اللغة ، بل المهم هنا أن يحس المجتهد من نفسه أنه أصبح قادرا على تذوق كلام العرب وفهمه والغوص على معانيه ، بمثل ما كان عليه العربى الأول بسليقته

(٢) النحل ـ الآية ٨٩ .

وسلامة فطرته ، قبل أن يستعجم الناس ويفسد اللسان والذوق ، وإن لم يبلغ درجة الاجتهاد فى اللغة وعلومها .

٤ـ العلم بأصول الفقه :

لابد منه للمجتهد حتى يتعرف على حقيقة الحكم والأدلة وشروطها ووجوه الأدلة ، ووجوه الترجيح بين الأدلة عند التعارض ، والبحث عن علل الأحكام وتتبعها فى مواطنها من النصوص . . فهو يعرف الأدلة المتفق عليها والأدلة المختلف فيها ، وشروط الاستدلال بهذه الأدلة ، فيجب على المجتهد (أن يكون عالما عارفا بمدارك الأحكام الشرعية وأقسامها وطرق إثباتها ووجوه دلالتها على مدلولاتها واختلاف مراتبها ، والشروط المعتبرة فيها ، وأن يعرف جهات ترجيحها عند تعارضها وكيفية استثمار الأحكام منها ، قادرا على تحريرها وتقرير ها) . . (فإنه إذا فعل ذلك تمكن من رد الفروع إلى أصولها بأيسر عمل وإذا قصر فى هذا الفن ، صعب عليه الرد ، وخبط فيه وخلط) . .

ولابد له من معرفة الأصول الكلية التى بنى عليها الشرع الإسلامى لتكون له بمثابة شهود عدل على ما يستنبطه من العلل فى المواقع الجزئية .

٥ـ العلم بمواضع الإجماع :

ويأتى بعد ذلك العلم بمواضع الإجماع ، حتى لا يفتى بخلاف الإجماع ؛ لأنه لا اجتهاد فيما أجمع على حكمه . . قالوا : ينبغى أن تتميز عند المجتهد مواقع الإجماع حتى لا يفتى بخلافها . كما تلزمه معرفة النصوص حتى لا يفتى بخلافها .

٦ـ العلم بمقاصد الشريعة :

العلم بمقاصد الشريعة والتمكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها ، من أهم ما ينبغى أن يفطن إليه من يتصدى للفتوى بين الناس .

٧ـ العرف والمتعارف عليه :

معرفة الناس والحياة ، وذلك لأن المجتهد إنما يجتهد فى وقائع تنزل بالأفراد والمجتمعات من حوله ، وهؤلاء تؤثر فى أفكارهم وسلوكهم تيارات وعوامل مختلفة ، نفسية وثقافية واجتماعية وبيئية واقتصادية وسياسية ، فلا بد للمجتهد أن يكون على حظ وافر من المعرفة بأحوال عصره وظروف مجتمعه ، ومشكلاته وتياراته الفكرية والسياسية والدينية ، وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى ومدى تأثره بها وتأثيره فيها . . فقد نقل الإمام ابن القيم عن الإمام أحمد أنه قال : (لا ينبغى للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال :

أولها : أن تكون له نية ، فإن لم تكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور . (أى يحدوه الإخلاص لخدمة شرع الله) .

الثانية : أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة .

الثالثة : أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته .

الرابعة : الكفاية وإلا مضغه الناس . (أى لاكته الناس بأفواههم وساء مقالهم فيه) .

الخامسة : معرفة الناس .

وهذا فى الواقع ليس شرطا لبلوغ مرتبة

الاجتهاد ، بل ليكون الاجتهاد صحيحا فى محله ، أو هو شرط لصحة الاجتهاد واستقامته .

٨ـ العدل والتقوى :

وهو من الشروط التى اتفق عليها الأصوليون ، أن يكون المجتهد عدلا ، يتقى الله ـ تعالى :

وهذا الشرط لجواز الاعتماد على فتواه ، فمن ليس عدلا فلا تقبل فتواه ، وأما هو فى نفسه فلا يشترط له ذلك ، وبالتالى فإن هذا الشرط ليس مطلوبا لبلوغ رتبة الاجتهاد ، بل لقبول اجتهاد المجتهد وفتواه عند المسلمين ، فقد يبلغ العاصى درجة الاجتهاد إذا حصل شروطه العلمية.

وفى هذه الحال يكون اجتهاده لنفسه صحيحا ، أما لغيره فلا . فالعدالة ـ كما قال حجة الإسلام الغزالى ـ شرط القبول للفتوى وليست شرطا لصحة الاجتهاد .

مجال الاجتهاد:

حدد الإمام الغزالى (رحمه الله) مجال الاجتهاد فقال : (كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى) .

فمجال الاجتهاد هو الحكم الشرعى العملى الذى لم يثبت بدليل قطعى ، فالعقل ليس مجالا للاجتهادات الفقهية كما أن ما ثبت بدليل قطعى كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ونحوها مما اتفقت عليه الأئمة من جليات الشرع ليس مجالا للاجتهاد .

واجتهاد المجتهد يكون فى ثلاثة مواضع :

الأول : تعيين المراد من النص الظنى الدلالة الذى يحتمل أكثر من معنى .

الثانى : ترجيح دليل على دليل عند التعارض أو الجمع بينهما .

الثالث : إلحاق مسكوت عنه بمنصوص عليه ، لوجود معنى مشترك بينهما . وهذا هو القياس .

وخلاصة القول : إن الاجتهاد ممكن فى كل الأماكن واستكمال شرائط الاجتهاد ليس من العسير فى شىء ، بعد تدوين العلوم المختلفة وتعدد المؤلفات وما بذله العلماء من جهود علمية عالية فى تفسير القرآن الكريم بالمأثور وغير المأثور ، وتعدد مناهج المفسرين ، واتجاهاتهم فى ربط كل العلوم بكتاب الله وبيان معانيه ، وما يتعلق به من علوم اللغة والأدب ، ومن بيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من الجهود العلمية المدونة حول القرآن الكريم .

وكذلك جهود علماء السنة الذين جمعوا الأحاديث الصحيحة ودونوها ودرسوا أسانيدها ورجالها وأحوالها ، ومن يقبل قولهم ومن يرد ، مما هو فى علم الجرح والتعديل وكذلك دراسات الفقهاء وبحوثهم فى الاستدلال على الأحكام ، والاجتهاد فى استنباط ما ليس فيه نص ، ومناقشاتهم ومحاوراتهم وغير ذلك من العلوم الدينية واللغوية ، بالإضافة إلى كتب التراث التى تم تحقيقها من كتب الحديث والفقه والتفسير والفقه المذهبى والفقه المقارن والأصول وغيرها ،وقد ظهرت أدوات مساعدة مثل أجهزة التصوير والنسخ والعقول الالكترونية التى تمكن العارفين بواسطتها من تصنيف وتبويب أحاديث

السنة النبوية وبذلك أصبح من السهل معرفة تخريج أى حديث .

وفى ضوء ما تقدم يصح القول بأنه قد تيسرت طرق الاجتهاد للمجتهد . . وبذلك يمكن أن تنزل الوقائع المستجدة على أحكام الكليات التى وردت بها النصوص الشرعية ، فكان لابد من إعمال الذهن فى الحوادث والوقائع ثم فى النصوص القرآنية والسنة النبوية لإدراك مناط التكليف وعلة الحكم فيها .

فالحاجة إلى الاجتهاد دائمة ؛ لأن وقائع الحياة تتجدد وأحوال المجتمع تتغير وتتطور ، وشريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان ، وهناك فى العصر الحديث مجالات حدث فيها تغير ضخم وأصبحت فى أشد الحاجة إلى الاجتهاد فى المجال الاقتصادى والمالى ومجال الطب الحديث وغير ذلك من مستجدات العصر .

وفيما ذكرناه أرجو أن يكون وافيا بالمقصود فى هذا الموضوع والله يقول الحق وهو الهادى إلى سواء السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع المعزو لها فى هذا البحث:

١ - القرآن الكريم .
٢ - التفسير الوسيط د . محمد سيد طنطاوى .
٣ - التفسير المنير د . وهبة الزحيلى .
٤ - تفسير المنار السيد محمد رشيد رضا .
٥ - كتب السنة .
٦ - موطأ الإمام مالك .
٧ - مختصر المزنى .
٨ - الحاوى الكبير للماوردى .
٩ - البحر للرويانى .
١٠ - التهذيب للبغوى .
١١ - إعجاز القرآن لابن سراقة .
١٢ - البسيط للإمام الغزالى .
١٣ - المقدمة لابن القصار .
١٤ - المختصر لابن الحاجب .
١٥ - المسكت للزبيدى .
١٦ - المحيط للزركشى .
١٧ - البرهان - إمام الحرمين .
١٨ - المحصول للفخر الرازى .
١٩ - التبريزى - تنقيح المحصول .
٢٠ - البحر - للزركشى .
٢١ - الودائع - ابن شريح .
٢٢ - النهاية - إمام الحرمين .
٢٣ - تقويم الأدلة - الدبوسى .
٢٤ - الفروق - القرافى .
٢٥ - المستصفى - الإمام الغزالى .
٢٦ - أعلام الموقعين - ابن القيم .
٢٧ - المحلى - ابن حزم .
٢٨ - نهاية السول - شرح منهاج الوصول لجمال الدين الأفغانى .
٢٩ - الاجتهاد فى الشريعة الإسلامية د . يوسف القرضاوى .
٣٠ - أصول التشريع الإسلامى د . على حسب الله .
٣١ - أصول الشريعة للشاطبى .
٣٢ - الرسالة للإمام الشافعى .
٣٣ - توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى د . رفعت فوزى .
٣٤ - إرشاد الفحول للشوكانى
٣٥ - الأحكام للآمدى
٣٦ - الموافقات للشاطبى .
٣٧ - أصول الفقه للخضرى .
٣٨ - الاجتهاد فى الإسلام د . نادية شريف .

المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف في المصحف الشريف (٢)

للدكتور : جمال عبد العزيز أحمد

رابعاً : الوقف الحسن ، ورمزه « صلى »

وهو رمز للوقف الحسن ، وهو ما يتعلق بما قبله لفظا ومعنىً ، وَوَصْلُه أولى من الوقف عليه ، إلا أن التعلق اللفظى والمعنوى فى هذا النوع من الوقف أقل درجة من التعلق الكائن فى الوقف الممنوع الذى يرمز إليه بالرمز « لا » .

والأصل فى هذا الوقف أن يكون التعلق فيه من جهة اللفظ ، غير أن هذا التعلق يستوجب أو يؤدى إلى التعلق المعنوى ، ولكن التعلق المعنوى اللفظى أكثر ما يكون بين الجمل أو الجملة ومكملاتها أو التوابع ومتبوعاتها ، كالتعلق بين المعطوف والمعطوف عليه ، والبدل والمبدل منه وجملة الشرط وجملة الجواب أو جملة الاستفهام ، أو القول وجواب القول ، وهذا تعلق نحوى أقل فى قوته من التعلق الكائن بين الأركان الإسنادية كالتعلق بين المبتدأ والخبر أو الفعل والفاعل . فإن الوقف بين شىء من هذه المتلازمات يُعد قبيحا لا حسناً ، ولكن الوقف الحسن الذى يرمز له بالرمز « صلى » نجد عنده المعنى النحوى الأصلى تاماً ، لكنه متعلق بما بعده تعلق فضلةٍ أو تكملة .

● الكاتب : مدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

* ومن أمثلة ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾(١)

فالتعلق هنا ليس نحويا ، وإنما هو تعلق فى المعنى ، حيث إن الجملة التى بعد الرمز « صلى » مترتبة على ما قبلها ترتب استكمال لا ترتب صحة .

* ومنه أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾(٢)

فجملة « مستهم » مستأنفة أو حالية ، وعلى كلا الوجهين ، هى ليست متعلقة بما قبلها تعلقا أصليا لكنه تعلق استكمالى .

* وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾(٣)

نجد أن الجملة بعد « صلى » معطوفة على ما قبلها ، وهذا التعلق ليس ضروريا ، وإنما هو استكمال ؛ لأن الجملة التى قبلها مستقلة نحويا ؛ لأنها استوفت أجزاءها ، ومجىء الجملة المعطوفة عقب وقف « صلى » كثيرة فى القرآن الكريم ، كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾(٤)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾(٥)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(٦)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا ﴾(٧)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾(٨)

وقد تكون الجملة التى بعده تفسيرية كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾

وكقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾(١٠)

---

(١) سورة البقرة آية : ١٩٣ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢١٤ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٧ .
(٥) سورة البقرة آية : ٢٦٧ .
(٦) سورة الأنعام آية : ١٤١ .
(٧) سورة الأنعام آية : ١٤٤ .
(٨) سورة آل عمران آية : ٥٥ .
(٩) سورة آل عمران آية : ٣٨ .
(١٠) سورة آل عمران آية : ٤٩ .

وقد تكون الجملة تعليلية كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١١)

وكقوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(١٢)

وقد تكون جوابا لقول متقدم ، وهو كثير فى الحوار فى القرآن الكريم كقوله ـ عز وجل ـ :

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ﴾(١٣)

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾(١٤)

وقوله ـ سبحانه وتعالى ـ :

﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾(١٥)

وقد تكون الجملة خبراً ثانياً . كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(١٦)

وهذه الجملة ـ وإن كانت خبراً ـ إلا أنها خبر بعد خبر ، فالمعنى قبله قد تم بالخبر الأول .

وقد تكون الجملة بعده شرطية مستأنفة متعلقة بما بعدها من حيث المعنى الإضافى كقوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ ﴾(١٧)

وهكذا يتضح لنا أن الوقف الحسن يكون أكثر ما يكون بين الجملة ومكملاتها ، أو التوابع ومتبوعاتها ، وعندما يكون المعنى النحوى الأصلى قد تم ، وحدث تعلق تكملة ، أو تعلق فضلة بحيث يعطف على ما قبلها ـ مثلا ـ ويكون ثمة تعلق فى المعنى يترتب على ما قبله ترتب استكمال لا ترتب صحة ولا يكون التعلق ضروريا لاستقلال الجملة قبله نحويا ، ومن هنا رأينا أن جل التعلق يكون بين المعطوف والمعطوف عليه ،

أو البدل والمبدل منه أو جملة الشرط وجملة الجواب ، أو جملة الاستفهام ، أو القول وجوابه ، وهذا من غير شك أقل فى قوته من التعلق الحاصل بين الأركان الإسنادية الأساسية فى الجمل ، ومن ثم سمى وقفاً حسناً(١٨) ، ورمز إليه بالرمز « صلى » .

خامساً : الوقف الكافى ورمزه « قلى »

وهو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها من حيث اللفظ ، وتعلق بها أو بما قبلها من حيث المعنى ، ويكون هذا الوقف على رؤوس الآى وفى وسطها ، فإذا كان على رؤوس الآى استغنى عن الرمز لأنه ليس من اللازم أن يوضع على رأس الآية رمز « قلى » ، وهو لا يمنع كونه كافياً ، وإنما منعهم من وضعه أنه رأس آية ،

(١١) سورة آل عمران آية : ٣٥ .
(١٢) سورة آل عمران آية : ٣٨ .
(١٣) سورة آل عمران آية : ٤٧ .
(١٤) سورة آل عمران آية : ٥٢ .
(١٥) سورة آل عمران آية : ٣٧ .
(١٦) سورة البقرة آية : ٢٧٥ .
(١٧) سورة البقرة آية : ٢٧١ .
(١٨) وإنما سمى حسنا ؛ لأنه فى نفسه حسن ، حيث إن المعنى يكون تاما عنده ، لكنه لما كان ما بعده لا يحسن الابتداء به كان وصله بما بعده أولى (الإتقان ٢٣٧/١ ، وشرح طيبة النشر ٣٢٨/١) .

وسماه بعضهم التام الناقص ، ومثل له بقوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾(١٩)

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾(٢٠)

وإنما كان هذا الوقف كافيا للاكتفاء به عما بعده ، واستغنائه عنه ، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾(٢١)

فالملاحظ فى هذه الآية أن المعنى قد تم عند قوله : ﴿ يغلبون ﴾ ، وأنه مستغنٍ عما بعده ، وليس متعلقاً به من الناحية النحوية ، وإن تعلق به من ناحية المعنى العام الذى سبقت له الآيات ، وهو الحديث عن جزاء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله .

ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٢)

فهنا نجد ان الجملة قد تمت عند ﴿ دينهم ﴾ ، وليست متعلقة بما بعدها من الناحية النحوية وإن تعلقت به من جهة الدلالة العامة ، فجملة ﴿ ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾ جملة مستأنفة مستقلة .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٣)

نجد السمة نفسها ، وهى استقلال الجملة عند الوقف الكافى الذى يرمز إليه بالرمز « قلى » ، واستقلال الجملة التى بعده ، وهى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ والله عزيز حكيم ﴾ وإن كان هناك ارتباط فى المعنى العام بين الفاصلة وما قبلها من الكلام من حيث إن الله ـ عز وجل ـ قد عاتبهم فى فداء الأسرى بقوله :

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾(٢٤)

فتبين أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عزيز ، وأنه ينبغى عليهم أن يعملوا بمقتضى هذه العزة فى معاملة الأسرى ، وأن يعلموا أن الله ـ سبحانه ـ حكيم فيما أمرهم به .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾(٢٥)

نجد أن جملة ﴿ ما يعلمهم إلا قليل ﴾ قد تمت ، واستغنت عما بعدها ، وجملة ﴿ فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا ﴾ مستأنفة .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾(٢٦)

(١٩) سورة الكهف الآيتان : ٣ ـ ٤ .
(٢٠) سورة المؤمنون الآيتان : ٥٥ ـ ٥٦ .
(٢١) سورة الأنفال آية : ٣٦ .
(٢٢) سورة الأنفال آية : ٤٩ .
(٢٣) سورة الأنفال آية : ٦٧ .
(٢٤) سورة الأنفال آية : ٦٧ .
(٢٥) سورة الكهف آية : ٢٢ .
(٢٦) سورة الكهف آية : ٤٥ .

نجد أن جملة ﴿ فأصبح هشيما تذروه الرياح ﴾ قد استوفت أركانها ، وما بعدها مستأنف كذلك .

وهذه السمة هى الغالبة على ذلك النوع من الوقف ، وهى أن الجمل التى تأتى بعده تكون مستأنفة ، والجمل التى تأتى قبله مستقلة عما بعدها من حيث التعلق النحوى اللفظى وقد ذكر علماء الوقف أنه لا يتعين الوقف على الكلمة التى يعد الوقف عليها كافيا ، بل يجوز وصلها بما بعدها نظراً للتعلق المعنوى بينهما ، وإن كان الوقف عليها أولى من وصلها بما بعدها باعتبار تمام الكلام وعدم تعلقه بما بعدها لفظاً[٢٧] .

ومما يلاحظ بكثرة أن هذا الوقف يكثر مجيئه قبل نهاية الآيات ، فيكون بمثابة ما يشبه الفاصلة ، وهذا كثير فى الآيات الطوال ، وتكون جملة الفاصلة بعده جملة مستأنفة تقرر حكما عاما ، أو خبراً ثابتاً كما فى الأمثلة السابقة التى أوردناها وفى كثير غيرها .

سادساً : وقف المعانقة ورمزه (∴ ∴) :

ويسمى وقف المراقبة ، وهو أن يجتمع فى آية كلمتان ، يصح الوقف على كل منهما ، لكنه إذا وقف على إحداهما امتنع الوقف على الأخرى .

وقد ذكر علماء الوقف أن هذا النوع من الوقف مأخوذ من المراقبة فى العروض ، قال ابن الجزرى[٢٨] : « وأول من نبه على المراقبة فى الوقف أبو الفضل الرازى ، أخذه من المراقبة فى العروض ، وهى تأتى فى عروض المضارع والمقتضب ، وهو أن يكون الجزء مرة « مفاعيل » ومرة « مفاعلا » . ويدل ذلك على تأثير علماء العروض فى علماء الوقف .

ويلاحظ أن هذا الوقف يؤثر فى شكل التركيب النحوى ، حيث تصبح الجملة أو الكلمة المنحصرة بين علامتى المعانقة قاسماً مشتركا بين الكلام الذى قبلها ، والكلام الذى بعدها ، فإذا كان الوقف على العلامة الأولى فهى تابعة لما بعدها ، وإذا كان الوقف على العلامة الثانية فهى تابعة لما قبلها . وهذا من عجائب القرآن وخصائصه الدالة على إعجازه ، حيث تتعدد الأوجه الإعرابية وصور التراكيب النحوية تبعا للوقفات ، ويكون لكل وقف منها معنى سائغ مستقيم .

ومن أمثلة هذا الوقف قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[٢٩]

الكلمتان ﴿ ريب ﴾ ، و ﴿ فيه ﴾ حيث يصح الوقف على إحداهما فإذا وقف على كلمة ﴿ ريب ﴾ امتنع الوقف على كلمة ﴿ فيه ﴾ ، ويجب وصلها بما بعدها ، وإذا وقف على كلمة ﴿ فيه ﴾ امتنع الوقف على كلمة ﴿ ريب ﴾ ، ويجب وصلها بكلمة ﴿ فيه ﴾ ، والقارىء مخير بين الوقف على الأولى أو الثانية .

يقول ابن الأنبارى[٣٠] : وفى « هدى » سبعة أوجه ؛ الرفع بإضمار « هو » كأنك قلت : (هو

---

(٢٧) انظر معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء للحصرى ـ رحمه الله ـ ص ٢٩ .

(٢٨) انظر النشر فى القراءات العشر ١/٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، والبرهان للزركشى ١/٣٦٥ ، والإتقان للسيوطى ١/٢٤١ ، وانظر أيضاً شرح طيبة النشر فى القراءات العشر ١/٣٣٩ .

(٢٩) سورة البقرة آية : ٢ .

(٣٠) إيضاح الوقف والابتداء ١/٤٨٧ ـ ٤٩٠ .

هدى للمتقين ﴾ فعلى هذا المذهب يحسن الوقف على ﴿ فيه ﴾ ، ولا يتم ؛ لأن ﴿ هدى ﴾ مع رافعه متعلقان بالأول ، والوقف على الريب قبيح ؛ لأن ﴿ فيه ﴾ خبر التبرئة فهى مضطرة إلى ما قبلها .

والوجه الثانى : أن ترفع ﴿ هدى ﴾ بـ ﴿ ذلك ﴾ ، فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على « الريب » ، ولا على ﴿ فيه ﴾ ؛ لأنهما خبران لما قبلهما ، والخبر مضطر إلى الذى خبر به عنه .

والوجه الثالث : أن ترفع ﴿ هدى ﴾ على الاتباع لموضع ﴿ لا ريب فيه ﴾ كأنك قلت : (ذلك الكتاب حق هدى) ، فعلى هذا المذهب لا يتم الوقف على « الريب » ، ولا يحسن ، ويحسن الوقف على ﴿ فيه ﴾ ؛ لأن « الهدى » ليس بخبر لما قبله .

والوجه الرابع : أن ترفع « الهدى » بـ ﴿ فيه ﴾ ، فيتم الكلام على قوله : ﴿ لا ريب ﴾ ، ثم تبتدىء : ﴿ فيه هدى للمتقين ﴾ ، ويكون معنى ﴿ لا ريب ﴾ : لا شك .

والوجه الخامس : أن تنصب ﴿ هدى ﴾ على القطع من ﴿ ذلك ﴾ .

والوجه السادس : أن تنصب على القطع من « الكتاب » .

والوجه السابع : أن تنصب على القطع من الهاء فى ﴿ فيه ﴾ ، على هؤلاء الثلاثة الأوجه لا يحسن الوقف على « الريب » ، ويحسن على ﴿ فيه ﴾ ، ولا يتم ، لأن المقطوع متعلق بالمقطوع منه . والوقف على ﴿ هدى ﴾ قبيح ، لأن اللام صلته ، وهو ناقص مضطر إليها .

ففى هذا النص ما يدل على تأثير الوقف فى التوجيه النحوى ، والتمييز بين معانيه المختلفة وتأثره به ، وفيه أيضاً ما يدل على قبول الموضع الواحد من القرآن الكريم لأوجه إعرابية كثيرة .

ومن ذلك أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٣١)

حيث يصبح الوقف على ﴿ التهلكة ﴾ ، ووصل ﴿ أحسنوا ﴾ بما بعدها ، ويصح الوقف على ﴿ وأحسنوا ﴾ ووصل ﴿ التهلكة ﴾ بما بعدها ، وتكون جملة ﴿ وأحسنوا ﴾ مشتركة بين الكلامين ، وكل منهما جائز وحسن ، فإذا وقف على ﴿ التهلكة ﴾ فالواو فى ﴿ وأحسنوا ﴾ استئنافية وإذا وقف على ﴿ وأحسنوا ﴾ فالواو عاطفة مابعدها على ما قبلها .

ويبدو أن الوقف على الموضع الأول ـ وهو ﴿ التهلكة ﴾ أفضل ، لأنه يحقق التناسب بين الفاصلة ﴿ المحسنين ﴾ ، والجملة التى قبلها ، وهى : ﴿ وأحسنوا ﴾ من حيث اللفظ والمعنى ؛ أما اللفظ فيتمثل فى التجانس الصوتى (أو التشابه فى الجذر اللغوى) ، وأما المعنى فيتمثل فى أن جملة ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ تعد جوابا للأمر فى ﴿ وأحسنوا ﴾ ، والجزاء من جنس العمل .

ومن وقف المعانقة أيضاً قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(٣٢)

(٣١) سورة البقرة آية ١٩٥ ، وانظر الإتقان ٢٤١/١ .

(٣٢) سورة المائدة آية : ٢٦ .

حيث يصح الوقف على ﴿ عليهم ﴾ ، ويبتدأ بـ ﴿ أربعين سنةً ﴾ موصولة بـ ﴿ يتيهون ﴾ ، ويصح كذلك الوقف على ﴿ سنة ﴾ ، وكل منهما سائغ فى المعنى ، فإذا كان الوقف على ﴿ عليهم ﴾ ، فيكون قوله : ﴿ أربعين سنة ﴾ متعلقا بـ ﴿ يتيهون ﴾ ، والمعنى أن التيه مؤقت بهذه المدة ، والتحريم مطلق ، وإذا وقف على ﴿ سنة ﴾ فالظرف متعلق بـ ﴿ محرمة ﴾ ، والتيه مطلق ، والتحريم مؤقت بهذه المدة(٣٣) .

وفى قوله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ﴾(٣٤)

يصح الوقف على ﴿ قلوبهم ﴾ أو على ﴿ هادوا ﴾ ، ولا يجوز الوقف عليهما معاً ، والوقف على الموضع الأول يؤدى إلى تعلق الجار والمجرور بخبر محذوف للمبتدأ ﴿ سماعون ﴾ أما الوقف على ﴿ هادوا ﴾ فيؤدى إلى جعل الجار والمجرور معطوفاً على قوله قبلُ : « من الذين قالوا »(٣٥) وكل من المعنيين سائغ وصحيح .

ويتضح من ملاحظة هذه الأمثلة أن وقف المعانقة أو المراقبة عبارة عن تداخل بين كلامين ، واشتراكهما فى جزء من التركيب ، ويصح فى هذا الجزء اتباعه للكلام السابق ، أو وصله بالكلام اللاحق ، وهذا من فنون القرآن ولطائفه وهذا الوقف اختيارى ؛ إذ لا مانع من ترك الوقف فى الموضعين معاً .

سابعاً : السكت ورمزه « س »

وهو قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادةً ، من غير تنفس مع قصد استئناف القراءة(٣٦) .

ويلاحظ أن المواضع التى ينبغى السكت عليها يكون لها صلة بما بعدها من حيث المعنى ، لكن من جانب آخر يكون بينها وبينه اختلاف جزئى فى المعنى ، وقد يكون السكت من أجل تجنب حدوث تغيير فى اللفظ يترتب عليه تغيير فى المعنى .

أما المواضع التى يكون فيها اختلاف جزئى فى المعنى من جهة ، واتفاق فى المعنى العام من جهة أخرى فمنها قوله - تعالى - :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾(٣٧)

فيلاحظ أن ﴿ عوجاً ﴾ مفعول به لـ ﴿ يجعل ﴾ ، وهو وصف فى المعنى لـ ﴿ كتاب ﴾ و ﴿ قيما ﴾ حال من ﴿ الكتاب ﴾ ، وهو فى المعنى صفة له ، فالسكت يمنع إيهام أن ﴿ قيما ﴾ صفة لـ ﴿ عوجاً ﴾ وقد حكى ابن هشام : أن بعضهم سمع شيخا يعرب لتلميذه ﴿ قيما ﴾ صفة لـ ﴿ عوجاً ﴾ فقال ابن هشام . « يا هذا كيف يكون العوج قيما » قال :

---

(٣٣) انظر فى ذلك : البحر المحيط ٣/٤٥٨ ، وروح المعانى للآلوسى ٦/١٠٩ ، والكشاف للزمخشرى ١/٦٠٥ ، والمكتفى فى الوقف والابتداء للدانى ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣٤) سورة المائدة آية : ٤١ .

(٣٥) انظر فى ذلك : الإتقان ١/٢٤١ .

(٣٦) انظر الإتقان ١/٢٤٤ ، وشرح طيبة النشر ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ، والنشر ٢٣٨ - ٢٤٣ .

(٣٧) سورة الكهف الآيتان : ١ - ٢ .

« وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين فى ﴿ عوجا ﴾ وقفة لطيفة دفعاً لهذا التوهم ، وإنما ﴿ قيما ﴾ حال ، إما من اسم محذوف هو وعامله أى « أنزله قيما » ، وإما من ﴿ الكتاب ﴾ وجملة النفى معطوفة على الأول ، ومعترضة على الثانى ، قالوا : « ولا تكون عاطفة لئلا يلزم العطف على الصلة قبل كمالها ، وإما من الضمير المجرور باللام إذا أعيد إلى الكتاب لا إلى مجرور « على » ، و « جملة النفى وقيما » حالان من ﴿ الكتاب ﴾ على أن الحال يتعدد ، وإنما لم يجب الوقف على ﴿ عوجاً ﴾ ؛ لأن ﴿ قيما ﴾ يفيد فائدة قبله ، وهو أنه ليس له عوج ، فهما متصلان فى المعنى ، وقد قيل : إن ﴿ قيما ﴾ وجملة النفى قبله حالان من الكتاب[٣٨] .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[٣٩]

فالسكت على ﴿ مرقدنا ﴾ يفصل بين كلامين : كلام البشر وكلام الملائكة أو كلام الله ، وهذه السكتة تجسد لحظة الحيرة والتساؤل والغفلة التى تعترى هؤلاء القائلين ، وتأتى الجملة التى بعدها لترد عليهم فى تساؤلهم هذا ، وإنما لم يجب الوقف على ﴿ مرقدنا ﴾ ؛ لأن الكلام متصل بما بعده من حيث إنه يمثل المشار إليه بكلمة ﴿ هذا ﴾ ، وهو حالتهم وهم مبعوثون من ﴿ مرقدهم ﴾ فالوقف يؤدى إلى الفصل بين المشار والمشار إليه ، ومن ثم كان السكت دليلاً على توسط الكلام بين الوصل التام والوقف التام[٤٠] .

وقال الإمام الدانى : « من مرقدنا » : تام ، وهو قول جميع أصحاب التمام من القراء والنحويين (كأبى حاتم والقتيبى والفراء والأخفش سعيد ويعقوب وأحمد بن موسى وأحمد بن جعفر وعيسى ابن عمر ومجاهد والحسن وقتادة) وروى عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى وحفص بن سليمان عن عاصم أنهما كانا يستحبان الوقف على ذلك . . . قال قتادة : « تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان . قال أهل الضلالة : « ياويلنا من بعثنا من مرقدنا » وقال المؤمنون : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » ، وقيل : هو من كلام الملائكة ، وقد أجاز ابن الأنبارى والدينورى الوقف على ﴿ هذا ﴾ يجعلانه تابعاً للمرقد ، ثم يبتدىء : « ماوعد الرحمن » بتقدير بعثكم وعد الرحمن . . وكان حمزة يستسمج السكت على قوله : ﴿ مرقدنا هذا ﴾ ، والابتداء ﴿ ماوعد الرحمن ﴾ وقال : السكت على ﴿ الرحمن ﴾[٤١] .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴾[٤٢]

---

(٣٨) انظر المغنى ٢/١٢٢ .
(٣٩) سورة يس آية : ٥٢ .
(٤٠) انظر المكتفى ٤٧٣ ـ ٤٧٥ ، والقطع والائتناف ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ، وزاد المسير ٧/٢٦ .
(٤١) انظر المكتفى ٤٧٣ ـ ٤٧٥ .
(٤٢) سورة الحاقة الآيتان : ٢٨ ـ ٢٩ .

السكت على ﴿ ماليه ﴾ يصور لحظة الندم من هذا الإنسان ، ويترشح هذا بهاء السكت الحلقية التى تكشف عن خروج هذا القول من أعماق القلب ، وإنما لم يجب الوقف على هذا الموضع لأنه ليس منبتا أو منقطعا عما بعده ، فقوله : ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ هو من تمام الكلام ، فالسكت على ﴿ ماليه ﴾ يفيد فائدتين : لفظية وهى منع إدغام هاء السكت فى الهاء من ﴿ هلك ﴾ ، ومعنوية وهى تجسيد لحظة الندم من هذا الإنسان بما يدل على شدة الحزن وعمق الأسى ومرارة الندم وفداحة المصير .

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٤٣)

نجد أن السكت على ﴿ بل ﴾ يمنع وقوع التغيير الصوتى للكلام ، وهو إدغام اللام فى الراء مما يؤدى إلى تغير المعنى ، فتصير الكلمة « برّان » مثنى « بر » ، ولم يجب الوقف لاتصال المعنى بما قبله .

وكذا فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾(٤٤)

فإن السكت على ﴿ مَنْ ﴾ يمنع من إدغام النون فى الراء لئلا تصير ﴿ مراق ﴾ ، وهو الشديد المروق ، كما أن هذه السكتة تفيد فائدة معنوية أخرى ، وهى تجسيد لحظة التساؤل من هؤلاء القائلين ، وتنبيه الذهن إلى أهمية الوقوف عند هذه اللحظة التى تخرج فيها الروح ، وهو ينسجم مع قوله من قبلُ :

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾(٤٥)

وبهذا يتبين ارتباط هذا النوع من الوقف بالدلالة النحوية وغيرها من الجوانب اللغوية .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٤٣) سورة المطففين الآية : ١٤ .
(٤٤) سورة القيامة الآية : ٢٧.
(٤٥) سورة القيامة الآية : ٢٦ .

يسر الإسلام وسماحته

٢

للأستاذ الدكتور :

أحمد عبد الرحيم السايح

لقد راعى الإسلام السهولة واليسر والبعد عن الغلو والتشدد ، فراعى ظروف كل إنسان فى تشريعاته الرحيمة ، قوة وضعفا ، صحة ومرضا ، فصار بلا ريب دين الفطرة ، بكل ما تتسع له هذه الكلمة من مضمون ، ومدلول ، فعندما شرع الصوم راعى ظروف المسافر والمريض ، الذى يشق عليه الصوم ، والمرأة إذا كانت حاملا أو مرضعا ، والشيخ الهرم ، والذين يقومون بأعمال شاقة ، فخفف عنهم ، وجعل لهم من الأحكام الميسرة السمحة ، ما يجعلهم يشعرون بالطمأنينة والرضا ، فيقبلون على طاعة الله بقلوب راضية ونفوس مطمئنة .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٢)

فالمريض والمسافر لايصومان فى حال المرض والسفر ، لما فى ذلك من المشقة عليهما ، بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر .

وصوم رمضان فى أصل مشروعيته رحمة وتيسير وفضل وإحسان ، فحينما ننظر إلى هذه العبادة فى ◄

(٣٢) سورة البقرة الآيتان : ١٨٣ - ١٨٤ .

مراحلها المختلفة ، وجوانبها المتعددة ، نجد اليسر والسماحة صفة بارزة فيها ، فالأيام التى يجب صيامها قليلة جدا ، بالنسبة لأيام السنة ، قال تعالى : (٣٣) .

إن الإسلام يتسم باليسر والسماحة ، مما دفع الكثير من الناس إلى الدخول فى هذا الدين ، الذى جاء بالتكاليف ، التى تتجاوب معها الفطرة ، إذ ليس فى العقائد التى اعتنقتها البشرية على مدى تاريخها الطويل ، كعقيدة الإسلام السمحة ، التى انتظمت شئون الخلق دينا ودنيا ، على أحسن نظام ، وأكمل منهج ، لقد راعى الإسلام فى جميع تشريعاته الضعفاء والمرضى وأصحاب الأعذار ، فلم يكلفهم فوق طاقتهم ، بل شرع ما يناسبهم من الرخصة والتيسير والتخفيف ، قال تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣٤)

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر ، إذ أنه قد أوجبه فى مدة قليلة من السنة ، ثم ذلك القليل مأأوجبه على المريض ، ولا على المسافر ، وكل ذلك رعاية لمعنى اليسر والسهولة .

وجاء فى تفسير المنار ، فى قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣٥)

هذا تعليل لما قبله ، أى يريد فيما شرعه من هذه الرخصة فى الصيام وسائر مايشرعه لكم من الأحكام أن يكون دينكم يسرا تاما ، لا عسر فيه ، وفى هذا التعبير ضرب من التحريض والترغيب فى إتيان الرخصة ، ولاغرو ، فالله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب تؤتى عزائمه ، وذلك بأن الله لايريد إعنات الناس بأحكامه ، وإنما يريد اليسر بهم وخيرهم ومنفعتهم .

لقد بنى الإسلام تشريعاته كلها على اليسر والسماحة والرحمة ، ولم يقصد بتكاليفه ـ على وجه عام ـ عنتا ولا إرهاقا ، ولم يأمر بشىء فوق طاقة البشر ، وإنما جعل لهم رخصا ، إذا عجزوا عن القيام بالتكاليف .

وإذا كانت آية الله قد أوضحت أن الغرض من التشريع الإسلامى هو التيسير فإن سنة رسول الله ـ ﷺ ـ قد واكبت دعوة القرآن الكريم ، مما دفع الناس إلى النظر فى الإسلام ، والبحث عنه ، والدخول فيه .

روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال : خطب رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه ، إلا أن الله فرض فرائض وسن سننا ، وحد حدودا وأحل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع الدين ، فجعله سهلا ، سمحا ، واسعا ، ولم يجعله ضيقا » .

وكل ما سبق من غير شك فرائض حتمية ، لها إيحاءاتها الحيوية والمهمة والواجبة ، التى لاسبيل إلى غيرها ، مما دعا الناس إلى التفكر فى الإسلام والدخول فى عتبته .

---

(٣٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٠٦ .
(٣٤) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .
(٣٥) سورة البقرة الآية : ١٨٥

على أن دين الإسلام رفق كله ، لا حرج فيه ، ولاعنت ولا إصر ولا مشقة ولاتزمت ولاجمود ، إنما يسر وتخفيف وبر ورحمة واستصحاب لمصلحة الخلق واعتبار لمعاذيرهم ورعاية لأحوالهم ، فى استيعاب وشمول ، وليس على المسلم الحق من شىء بعد بذل طاقته ، وأداء وسعه ولا تكليف له مطلقا ، ولا التزام فوق هذا الوسع وهذه الطاقة .

وهذا فى ذاته من خير ما يوحى بمرونة الإسلام ، وفطريته ، ويسره وسماحته وإنسانيته ، وعدله وقسطاسه وقصده .

قال تعالى :

﴿ طه ۝ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ (٣٦)

وقال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (٣٧)

يقول ابن كثير : « يريد الله أن يخفف عنكم فى شرائعه ، وأوامره ، ونواهيه وما يقدره لكم » .

قال الإمام أحمد بسنده إلى عروة ، قال : كنا ننظر النبى - ﷺ - فخرج يقطر رأسه من وضوء أو غسل ، فصلى ، فلما قضى الصلاة جعل الناس يسألونه : علينا خرج فى كذا ..... فقال رسول الله - ﷺ - : « إن دين الله فى يسر ، ثلاثا يقولها » .

فالإسلام يفرض على المسلم - وهو يمارس شعائره - ألا يتجاوز وسطيته ، فيشق على نفسه ، ويكلفها فوق طاقتها ، إذ أن هذا الدين متين واسع الأطراف .

وقد يؤتى المتزمت المتشدد من قبل نفسه ، فتعجز عن عونه ومساعدته ، وتنقطع به وسط الطريق على صورة قد لاتتفق ودين الله - عز وجل - قال - ﷺ - : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » (٣٨) .

وأن الباحث ليقف على سيرة الرسول - ﷺ - الأسوة الحسنة ، فيجدها فى سلوكه وعاداته وعباداته ومعاملاته ، إذ كان اليسر والتيسير والسماحة دأبه وديدنه ، الذى يلتزم به ، ويوصى به أمته وأصحابه ويحذرهم من أن يتجاوزوه ، ويبين لهم أن خير دينهم أيسره ، وأن يكون التيسير أو التبشير وتسكين النفوس ، وطمأنتهم ، وتهدئة خواطرها ، وعدم فتنها وإفزاعها وإقلاقها ، هدفا أصيلا من أهدافها ، التى تدعو إلى انتشار الإسلام .

وإذا كان - كما عرفنا - أن الإسلام خير كله ، ويسر كله ، وأن خير الدين أيسره ، فإن خير الحياة أيضا - أيسرها وأقربها إلى الفطرة ، وإذا كان الله - تعالى قد حرم على الناس أشياء ، فقد حرمها لخبثها ، بينما أحل أكل الطيبات .

فلا ينبغى للإنسان أن يشق على نفسه ، ويجنح بها إلى التضييق ، والحرج والعنت والمشقة ، ويمنعها من المباح ، (يحبس عنها الطيبات التى أحل الله) .

إن نفس الإنسان مطيته ، إذا أحسن استخدامها ، وأخذها باليسر ، وعدم إعناتها والمشقة عليها ، سلمت وبقيت له تؤدى مهامها ، المنوطة بها ، والغايات المتوخاة منها .

---

(٣٦) سورة طه الآيتان : ١ - ٣

(٣٧) سوورة النساء الآية : ٢٨ .

(٣٨) البيهقى للسنن الكبرى ج ٣/ ١٨ كتاب الصلاة .

ما أجل الإسلام وما أعظمه من دين ، وهو يوجه الدعاة والمصلحين ، أن يحتكموا فى عملهم ، ومهمتهم إلى أدب الدعوة ومنهجها من الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتى هى أحسن ، وأن يشكل الرفق والهواد واللين ، إطارا يدور هذا المنهج الربانى فى فلكه ، ويلتزم به .

قال تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣٩) .

فهذه الآية نزلت بمكة المكرمة ، فى وقت الأمر بمهادنة قريش ، وأمره أن يدعو إلى دين الله بتلطف ولين ، دون مخاشنة وتعنيف ، وهكذا ينبغى أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة .

فالله سبحانه وتعالى ـ كما ترى ، يأمر نبيه الكريم ـ ﷺ ـ بأن تكون دعوته قائمة على المنهج ، الذى يمثل الكمال كله ، فى غرس المعارف وتربية النفوس ، ومن الدعوة بالحكمة : مراعاة مقتضى الحال ، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون ، وأخذهم بالرفق ، والتيسير ، والسماحة ، والتلطف ، واختيار الوقت المناسب ، للموعظة التى يراد وعظهم بها ، حتى تتقبلها النفوس ، وتنتفع بما فيها من خير . . . إن الرسول ـ ﷺ ـ طبيب يحمل الدواء إلى العقول والقلوب والأرواح . ومن هنا كانت مهمته عسيرة شاقة ، يحتاج معها إلى بصيرة نافذة ، تتدمس إلى خفايا النفس الإنسانية ، وتضع يدها على موضع الداء ، ثم تختار من الدواء ما يشفى العلة ، ويذهب الداء .

وإذا كان منهج الدعوة ليس إلا من صنيع الحق ـ تبارك وتعالى ـ ومن تنزيله فلقد كان الوحى يوجه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أحكم آدابه ، وأمثل أساليبه مع المدعوين ، وذلك بأن يفتحوا لهذا الدين قلوبهم ، ويجيلوا فيه عقولهم ، ويستلهموها صواب الفكر ، ورشاد الموقف ، وحيدة النفس ، فى روية وأناة ، من غير انغلاق ، ولاتحجر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٤٠)

وإنما طلب منهم التفكير ، وهم متفرقون اثنين اثنين ، أو واحدا واحدا ، لأن فى الازدحام تهويش الخاطر ، والمنع من إطالة التفكير وتخليط الكلام ، وقلة الإنصاف .

والآية الكريمة تكشف عن أسلوب الدعوة الإسلامية ، القائم على مواجهة العقل ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإعطائه حقه فى طلب الدليل المقنع ، والبرهان الواضح ثم الاعتراف له بما يقتضى به بعد النظر السليم ، المجرد من الهوى ، المبرأ من التحدى والعناد .

فهذه رسالة الإسلام فى الإنسانية ، إنها تريد أولا وقبل كل شىء : أن تحرر العقل من العادات الفاسدة والمعتقدات الباطلة ، التى استولت عليه ، وشلت إرادة التفكير فيه ، فإذا تحرر العقل من هذه الآفات ، وتخلص من القيود ، فقد كسب

(٣٩) سورة النحل الآية : ١٢٥

(٤٠) سورة سبأ : ٤٦ .

نصف المعركة فى صراعه مع الباطل ، ثم كان عليه بعد هذا : أن يكسب النصف الآخر ، حتى يتخلص من الضلال ويخرج من عالم الظلام على عالم الهدى والنور ، وهو أن يدير عقله على هذا الوجود ، وأن ينظر فيه بعقله المتحرر ، فإنه إن فعل ، فلابد أن يهتدى إلى الله ، ويتعرف إليه ، ويؤمن به .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤١)

والمعنى - كما يقول الألوسى - : ولا تجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتى هى أحسن ، أى بالخصلة التى هى أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم ، والمشاغبة بالنصح ، والتسرع بالأناة فلا تجادلوا من أراد الاستبصار فى الدين ، إلا باللين والرفق .

ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على تبليغ الإسلام وأحناهم على تبليغ الدعوة ، يبذل قصارى جهده فى الدعوة إلى الله - ونشر دينه فى الآفاق ، رغبة فى هدايتهم وإيمانهم ، وكان يتوسل إلى ذلك بشتى صنوف القول ، الذى يتفجر بالرفق ، ويفيض باللين ، ويشع بالحرص ويتألق بالرغبة الأكيدة فى هدايتهم .

فالإسلام دين اليسر والسماحة ، لايمكن أن تلمس معه حرجا ، أو مشقة فى أى جانب من جوانبه ، عقيدة وشريعة ، وعبادات ، ومعاملات ، قال تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤٢)

فاتقوا الله فى حدود ما تحمل أنفسكم ، وماتتسع طاقتكم له ، لأن هذا الدين سهل سمح لاينتفع به إلا إذا أخذ سمحا سهلا ، تتقبله النفوس ، وتنشرح له الصدور ، شأنه فى هذا شأن الطعام ، لا يفيد منه الجسم ، إلا إذا طابت له النفس ، واشتهته ، واستساغت طعمه ، واستطابت مضغه وبلعه .

فالإسلام دين واقع ، ودين رحمة ، وعدل وإحسان وتيسير وسماحة ، لايرى إلا أنهم بشر تتحكم فيهم نوازع وعواطف ، وتعرض لهم عوارض الضعف ويلحقهم ما يلحق الكائن الحى .

فقوله تعالى :

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤٣)

هو الميزان الذى يقيم عليه المؤمن أمر دينه كله ، وأن يتقى هذه الفتن التى تهب عليه من كل جهة يتقيها بقدر مايملك من قوة وما يتحمل من جهد ، لأن كل نفس لها طاقة من الاحتمال ، ولها قدر من القوة ، وأنه على طاقتها وقوتها تحاسب ، فتجزء بما كسبت ، وعلى ما اكتسبت .

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : «ما خير ←

---

(٤١) سورة العنكبوت الآية : ٤٦

(٤٢) سورة التغابن : ١٦ .

(٤٣) سورة التغابن : ١٦ .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما ، كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[٤٤]

يقول ابن حجر فى فتح البارى : فيه الحث على ترك الأخذ بالشىء المعسر والاقتناع بالميسر ، وترك الإلحاح فيما لايضطر إليه ، ويؤخذ من ذلك الندب إلى الأخذ بالرخص مالم يظهر الخطأ .

ولقد كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ القدوة فى التوجيه والتربية ، على القصد والتيسير والتوسط والاعتدال ، فما أعرض عن أمر إلا لحكمة ، تتمثل فى رغبته فى أن يرفق وييسر على أمته فى كل أمورهم .

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « ذرونى ما تركتم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه وما أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم »[٤٥]

قال ابن حجر : قال النووى : هذا من جوامع الكلم ، وقواعد الإسلام ، ويدخل فيه كثير من الأحكام كالصلاة لمن عجز عن ركن أو شرط ، فيأتى بالمقدور ، وكذلك الوضوء ، وستر العورة ، وحفظ بعض الفاتحة ، وإخراج بعض زكاة الفطر لمن لم يقدر على الكل .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا ما يركز على أن خير الطاعة ، وأكثرها قبولا ، ما كانت يسيرة ، سهلة ، سمحة ، لا حرج فيها ولامشقة ، ولاتزمت وإن القصد والتوسط ينبغى أن يكون هدف المسلم ، وغايته . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن خير دينكم أيسره »[٤٦] .

وبعد هذا الذى عرضنا له فى إيجاز : نجد أن مجالات السماحة واليسر فى الإسلام تتصل بكل أمورنا ، وفى جميع ما يتصل بنا : فى الدين ، والدعوة والعادة والعبادة ، والحكم والعمل ، والنفس والأسرة والمجتمع والسلم والحرب ، وغير ذلك مما له بنا اتصال .

حقا إن الإسلام دين السماحة واليسر ، لايشتق على الناس ، ولايكلفهم من أمرهم عسرا ، فى مطعمهم ومشربهم ، وعباداتهم ، وسائر أساليب حياتهم . . . إنه ـ دائما ـ يضفى على الداخلين فيه هالة ، قوامها النبل ، والسمو والترفع ، والعطاء والتسامح واليسر والرحمة . . . . وأن تكون نفوسهم فى الذرا ، وأيديهم فى العليا يوثقون عراهم بمجتمعهم ، وينقلون على متون سلوكهم وواقعيتهم موارث دينهم ، وتبعات تكاليفهم ، ومقاليد ما بين أيديهم من أمانة الحق ، إلى من خلفهم حتى تظل كلمة الله موصولة فى البشر .

---

(٤٤) رواه البخارى .
(٤٥) مسلم ٢/٩٧٥ .
(٤٦) رواه احمد ٣/٤٧٩ .

العلم بالعربية

واجب دينى

للأستاذ الدكتور:

محمد السيد على بلاسى

وضعت اللغات لدى شعوب الأرض لإقدارها على التفاهم والتواصل، وحملت اللغات رسالات السماء إلى الأرض، وتمكن الخلق بواسطتها من تنظيم فكره وتطويره.

واللغة العربية حملت آخر تلك الرسالات، وأريد لها أن تكون لسان الوحى، وقدر لها أن تستوعب دليل نبوة الإسلام، واختزال مضامين الرسالات السابقة، والانطواء على المنهج الذى ارتضاه الله لخلقه إلى يوم الدين[1].

«وقد كانت دراسة اللغة العربية عند الأقدمين مرتبطة بالعامل الدينى؛ ونتيجة لهذا الارتباط الوثيق فقد خلقت لنا العصور الأدبية على امتداد التاريخ اهتماماً كبيراً بلغة القرآن، سواء فيما يتصل برصد مروياتها من الآثار الأدبية من شعر ونثر، أو فيما يتصل بإحصاء مفرداتها، وتسجيل أوابدها وغرائبها فى المعجمات والقواميس اللغوية، أو فيما يتصل باستنباط القواعد والأسس التى تُعنى بسلامتها، والمحافظة على أصولها الموروثة، ووضع الدراسات اللغوية الخاصة باكتناه أسرارها، والكشف عن خصائصها ومميزاتها»[2].

(١) العلم باللغة العربية .. ضرورة عقيدية: للدكتور عباس ارحيله، ص ٨٢ - بتصرف يسير - . (مقال منشور بمجلة منار الإسلام: عدد المحرم ١٤١٥ هـ).

(٢) مقالات وآراء فى اللغة العربية: للدكتور حمد بن ناصر الدخيل، ص ٥٣، ٥٤، الطبعة الأولى - دار الشبل بالرياض، سنة ١٤١٥ هـ.

ويقرر هذا أبو منصور الثعالبى (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) ، إذ يقول : « من أحب الله - تعالى - أحب رسوله محمداً - ﷺ - ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية التى بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب ، ومن أحب العربية عنى بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وآتاه حسن سريرة فيه ؛ اعتقد أن محمداً - ﷺ - خير الرسل ، والإسلام خير الملل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ؛ إذ هى أداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين ، وسبب إصلاح المعاش والمعاد .

ثم هى لإحراز الفضائل ، والاحتواء على المروءة ، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء ، والزند للنار ، ولو لم يكن فى الإحاطة بخصائصها ، والوقوف على مجاريها ومصارفها ، والتبحر فى جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة التبصر فى إثبات النبوة التى هى عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا ، يحسن فيهما أثره ، ويطيب فى الدارين ثمره »[٣] .

فاللغة العربية ليست مادة لفظية وأصواتا مسموعة فحسب ، لكنها - إلى جانب ذلك - طاقة فكرية وعلمية وشعورية تحمل فى مضمونها فعاليات النشاط الإنسانى والحضارى بأبعاده وألوانه .

والعالم بدوله وشعوبه لن يفهم العرب حتى الفهم ، ولن يدرك الإسلام وحضارته تمام الإدراك إلا بواسطة اللغة العربية ، ذلك المفتاح السحرى القادر على إزاحة الستار الحديدى أمام العالم لفهم حقيقة العرب والمسلمين[٤] .

وجوب تعلم اللغة العربية :

والعربية ليست كأية لغة من اللغات الأخرى ؛ بل هى فريدة من نوعها ؛ اصطفاها الله من بين اللغات جميعا لتكون وعاء لكتابه الخالد : (القرآن الكريم) ، كما اختارها لتكون لسان نبيه الأمين ؛ لذا أوجب الشارع الحكيم تعلمها ؛ حتى يفهم مقاصد الكتاب والسنة .

يقول الإمام الشافعى - رحمه الله - : « فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك »[٥] .

وأرجع شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - الخلط فى الدين - عند أهل البدع - إلى قلة فهم اللغة العربية ؛ فيقول : « لابد فى تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ وكيف يفهم كلامه . ومعرفة العربية التى خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه ، وكذلك ضلال

(٣) فقه اللغة العربية وسر العربية : للثعالبى ، (المقدمة) ، بتحقيق السقا وآخرين ، ط . الحلبى سنة ١٣٩٢ هـ .

(٤) مقالات وآراء فى اللغة العربية : ص ٥٨ بتصرف يسير .

(٥) الرسالة : للإمام الشافعى ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

أهل البدع كان لهذا السبب ، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدعون أنه دال عليه ولا يكون الأمر كذلك »[٦] .

ويؤكد هذه الحقيقة الجاحظ (١٥٩ - ٢٥٥ هـ) ؛ إذ يقول : « للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإراداتهم . . فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل ، فإذا نظر فى الكلام وفى ضروب من العلم ، وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك »[٧] .

من هنا ؛ أوجب شيخ الإسلام ابن تيمية على المسلم تعلم اللغة ، فقال : « إن معرفة اللغة من الدين ومعرفتها فرض واجب ، وإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب »[٨] .

ولعل هذا هو ما دفع العلامة أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) إلى إفراد باب فى كتابه (الصاحبى) تحت عنوان : « باب القول فى حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية » ، يقول فيه : « إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلم من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب ؛ حتى لا غناء بأحد منهم عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله - ﷺ - عربى . فمن أراد معرفة ما فى كتاب الله - جل وعز - وما فى سنة رسول الله - ﷺ - من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب ، لم يجد من العلم باللغة بدا »[٩] .

وغاية القول : إن فهم النصوص هو منطلق البحث عن الأدلة الشرعية ، والفهم موكول إلى المعرفة الدقيقة باللغة ، وبتصاريف القول فيها : إذ لا يتأتى استنباط حكم لا تقتضيه طبيعة اللغة .

فالمعنى الشرعى يؤخذ من الدليل اللفظى . وقد يستدل عليه بغير اللفظ ، ولكن يظل اللفظ دالا على المعنى التابع لقصد المتكلم . فاللفظ فى تصور الأصولى هو دليل الحكم على صحة الفكر أو خطئه ؛ إذ اللغة ترجمة لما يجرى فى الفكر ؛ من هنا أخذت اللغة عند الأصوليين منحى علميا ، أصبحت به وسيلة لاستنباط الحكم ، تتجه إلى الاصطلاح وتخاطب العقل .

والشافعى فى وضعه للأصول المعتمدة فى فهم النصوص وتأويلها اعتمد منطق اللغة العربية . وقد أورد السيوطى (٩١١ هـ) - قول حرملة بن يحيى : سمعت الشافعى يقول « ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب ، وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس . . . ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح اليونان ، ولكل قوم لغة واصطلاح »[١٠] .

---

(٦) الإيمان : لابن تيمية ، ص ١١١ .

(٧) الحيوان : لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ١٥٤/١ ، الطبعة الثانية - مصطفى الحلبى ، د . ب .

(٨) اقتضاء الصراط المستقيم : لابن تيمية ، ص ٢٠٧ .

(٩) الصاحبى : لأحمد بن فارس ، تحقيق أحمد صقر ، ص ٥٠ ، الطبعة الأولى - عيسى البابى الحلبى ، سنة ١٩٧٧ م .

(١٠) العلم باللغة العربية .. ضرورة عقلية : ص ٨٧ . وانظر صون الكلام عن فن المنطق والكلام : للسيوطى ، شرح وتعليق الدكتور سامى النشار ، ص ٤٥ ، الطبعة الأولى - السعادة ، سنة ١٩٤٧ م .

« وهكذا يتضح أن المنهج فى استنباط الحكم من النص أسس على منطق العربية ، وابن خلدون وهو يؤرخ للعلوم فى الحضارة الإسلامية أطلق علوم اللسان العربى على علوم العربية ، وجعلها أركانا أربعة : اللغة والنحو والبيان والأدب . وقرر أن « معرفتها ضرورية على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة »[١١] .

الحملة على اللغة حملة على الدين :

بدهاء شديد ومكر خبيث اتخذ أعداء الإسلام اللغة العربية بوابة خلفية ؛ للنيل من المسلمين وإبعادهم عن عقيدتهم ، واستخدموا صنوفا من المكائد للوصول إلى مآربهم الخسيسة ومراميهم الدنيئة ، وهى عديدة ومتنوعة !

ويحدد الأستاذ محمد قطب بعض الخطوات التى اتبعها أعداء الإسلام لضرب الدين عن طريق اللغة ، فيقول[١٢] : حينما تولى (المستر دنلوب) عينه كرومر مستشارا لوزارة المعارف ـ جاء دنلوب ليضرب الأزهر على الأسلوب البطىء الأكيد المفعول ؛ ففتح مدارس جديدة تعلم العلوم الدنيوية ، ولا تعلم الدين إلا تعليما هامشيا . أما من ناحية اللغة العربية : لغة القرآن فقد خطط « دنلوب » لقتلها والقضاء عليها ! فقد كان الراتب الذى يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا « اثنى عشرة جنيها » إلا مدرس اللغة العربية وحده يتقاضى « أربعة جنيهات » ! وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء فى داخل المدرسة أو فى المجتمع .

ففى المدرسة : لم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدَم بل أصبح فى ذيل القافلة ! يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذوو المؤهلات المتوسطة ، بل يتقدمه ـ فى الراتب ـ فراش المدرسة ـ أحيانا ـ إذا كان ذا أقدمية ؟!! ومن ثم لم تعد له كلمة فى المدرسة ، فلا هو مستشار فى شئونها ولا هو يشارك فى شىء من إدارتها ! ولم يعد له حق عند التلاميذ أى احترام ولا أى حساب .

أما فى المجتمع : فهو أشد ضياعا منه فى المدرسة ؛ فالناس جميعا يعلمون وضعه المالى ويعلمون أنه فى ذيل القائمة ، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه فى الراتب والاحترام !

وهكذا يتحدد وضع مدرس اللغة العربية فى المجتمع بقدر ما يتحدد راتبه ، ويصبح مادة دائمة للسخرية يتحدث الناس عن جهله وتخلفه وضيق فهمه وانحطاط مستواه الاجتماعى والفكرى ، وأشد ما يعاب عليه أنه لا يعلم اللغة الأجنبية ! وحين أصبح مدرس اللغة العربية فى هذا الوضع المهين الذى لا يبعث على الاحترام ؛ فإن وضعه يؤثر حتما على المادة نفسها ، وهذا هو الهدف المقصود !

---

(١١) المرجع السابق : ص ٨٧ . وراجع مقدمة ابن خلدون ، تحقيق د . على عبدالواحد وافى ، ١٢٢٤/٣ ، ط ٣٠ ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ، سنة ١٩٧٧ م .

(١٢) واقعنا المعاصر : محمد قطب ، ص ٢٢٢ ،ص ٢٢٣ .

وبالفعل انتقل هذا الوضع المهين المزدرى من المدرس إلى المادة ؛ وبذلك أصبحت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور ؛ فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة من نحو وصرف وبلاغة ونصوص وأدب . .

وهكذا صوبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب ، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربى ، كما كان يعتز به طيلة ثلاثة عشر قرنا من قبل ، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها وتمتين العيب فيها ، والانتقاد عليها ؛ لكى يصبح من المثقفين !! ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزرى من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة . وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث !

فالمكتوب باللغة العربية هو ذات الأمر كله ، وهو القرآن الكريم والمطلوب هو : صرف الأمة عن تراثها كله وعلى رأسه القرآن . وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج ؛ فلم يعد يشعرون أنه هو الزاد إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين !

والواجب علينا أن نفيق قبل أن تحل بنا الكارثة ولات ساعة مندم ، ووقتها لا ينفع الندم .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لكل نبى دعوة مستجابة ، يدعو بها فيستجاب له ، فيؤتاها وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » رواه مسلم .

من قادة الخلفاء الراشدين :

ذو النورين عثمان بن عفان

رضى الله عنه

للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين

﴿ .. وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ .

كان لهذه الآية الكريمة دور حاسم ومؤثر ، فى معركة سبيطلة وحسمها ، فكما رأينا أجاز قائد الجيش عبد الله بن سعد بن أبى سرح الرأى ، الذى أشار به عبد الله بن الزبير بتقسيم الجيش إلى فرقتين : فرقة تقاتل حتى الظهيرة ، فإذا ما انسحب الجمعان ؛ طلبا للراحة انقضت الفرقة الأخرى على جموع الروم ؛ لتمنعها من الانسحاب ، وتجبرها على مواصلة القتال ، دون راحة ، وأقر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ هذا الرأى ، والذى يترتب عليه نسبة فضل هذا النصر ـ بعد الله تعالى ـ إلى عبد الله بن الزبير ، وكان بإمكان ابن سعد أن يرفض رأى ابن الزبير ، الذى يجعل من الأخير بطل المعركة الأول ، ولكنه لم يفعل ، مما يتأكد معه حسن اختيار الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ لقادته ، وأن هذا الاختيار لم يكن وليد المحاباة ، فابن سعد رغم كونه شقيق عثمان من الرضاعة ، فهذا الموقف من ابن سعد يؤكد أن عثمان عندما اختاره واليا على مصر ، لم يكن ذلك لكونه شقيقه من الرضاعة ، ولكن لما لمسه فيه من مقدرة على السياسة ، وحسن التدبير .

(١) (آل عمران : ١٥٩

فلما كان الغد من يوم الشورى تولى عبد الله ابن الزبير تنفيذ خطة الحرب ، فسار بالجيش بعد أن ترك فرقة من شجعان المسلمين فى خيامهم ، وعندهم خيولهم ، وهم على أهبة الاستعداد للقتال ، فقاتل الروم قتالا شديدا ، ثم لم يتركهم ساعة الظهر ، وألح عليهم بالقتال إمعاناً فى إنهاكهم ، ثم انفصل الجمعان ، وعاد ابن الزبير ، وقد أيقن الروم أن القتال لن يُستأنف إلا بكرة الغد ، ولذا ألقوا سلاحهم واستراحوا فى خيامهم .

فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين ، وقصد الروم ، فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد ، وكبروا ، فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون ، وقُتِل (جرجير) على يد عبد الله بن الزبير ، وانهزم الروم ، وقتل منهم الكثير ، ووقعت ابنة (جرجير) سبية ، وسقطت إفريقية[1] .

ووقف أمير الجيش عبد الله بن سعد بن أبى سرح قبالة عبد الله بن الزبير يهنئه بهذا النصر الذى تحقق بحسن تدبير عبد الله بن الزبير وخاطبه قائلاً :

« ماأحد أحق بالبشارة منك ، فامض فبشر أمير المؤمنين عثمان بالمدينة بما أفاء الله على المسلمين »[2] .

وسار ابن الزبير إلى المدينة محملا بالغنائم ، وأخبر الخليفة بانتصار المسلمين وماغنموه من ذلك الفتح ، فسر بذلك ، وطلب منه أن يخطب الناس ، فقال : ياأمير المؤمنين : « إنى أهيب لك منى لهم » فقام عثمان فى الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « ياأيها الناس : إن الله فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم بخبرها إن شاء الله » وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر فخطب الناس[3] .

ومضى ابن سعد يوجه السرايا تضرب فى أرجاء إفريقية ، فبلغت جنوبا أرض (قفصة) من بلاد (الجريد) ثم جازت إلى (مرماجنة)[4] وحصن (الجم) على طريق (سوسة)[5] .

وعقد الصلح بين المسلمين وأهل إفريقية وبطارقتها على أن يدفعوا جزية سنوية بلغت ثلاثمائة قنطار من الذهب ، فى حين تورد روايات أخرى أن هذه الجزية بلغت ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار[6] . وكان من شروط الصلح أن ما أصابه المسلمون قبل الصلح فهو لهم ، أما ما أصابوه بعد الصلح فردوه .

عبد الله بن نافع بن عبد قيس
وعبد الله بن نافع بن الحصين

وبعد أن تم للمسلمين فتح إفريقية ، بعث الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ إلى

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٣ ـ ٤٣ ، ٤٤ .
(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ١٢/١ .
(٣) العقد الفريد ، ٣٧٥/٢ .
(٤) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ٤٤/٣ .
(٥) البلاذرى ، فتوح البلدان صـ ٢٢٧ .
(٦) المصدر السابق صـ ٢٢٧ ، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ١٢/١ .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح بالعودة إلى مصر ، على أن يلى أمر إفريقية : عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريان ، وكتب لهما كتابا جاء فيه : « إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر » وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتتح القسطنطينية فى الأجر آخر الزمان والسلام »(٧) .

عقبة بن نافع :

وعقب عودة عبد الله بن سعد بن أبى سرح إلى مصر ، وبعد أن استراح الجيش من حملة إفريقية ، وجه عبد الله بن سعد حملة بقيادة عقبة ابن نافع ، لفتح بلاد النوبة ، ودارت معركة عنيفة مُنى منها جيش المسلمين بخسائر كبيرة نتيجة إجادة أهل النوبة الرمى بالنبال ، وسميت هذه الموقعة باسم « موقعة الحدق » إذ أصابت فيها سهام أهل النوبة أحداق المسلمين ، فقفلوا بالجراحات وذهاب الحدق من جودة الرمى ، وسُمى أهل النوبة : رماة الحدق ، وظل القتال ينشب بعد ذلك عدة مرات حتى انتهى الأمر إلى الصلح الذى جاء فيه(٨) .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته :

عهد عقده على الكبير والصغير من أهل النوبة ، من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة .

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة ، جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر ، وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة . إنكم معاشر النوبة ، آمنون بأمان الله وأمان

---

(٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٦٦/٧ .

مع ملاحظة أن المصادر لا تذكر شيئا عن مسألة ولاية عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين على إفريقية وإنما استنتجت ذلك من أمرين هما : كتاب الخليفة من جانب ، ومن جانب آخر لم تذكر المصادر أن ابن سعد استخلف أحدا على إفريقية ، بل إن ابن عبد الحكم فى كتابه : « فتوح مصر والمغرب » يقول : « إن ابن سعد عاد إلى مصر ، ولم يول أحدا ، ولم يتخذ قيروانا ، وهذا لا يستقيم ، إذ لم كان الفتح أصلا ؟!

فضلا عن أن كتاب الخليفة ، الذى أوردته عدة مصادر أخرى ، مثل : ابن الأثير فى الكامل (٤٥/٣) صيغ فى شكل نصيحة ، وليس أمرا ، والذى حدث أنهما لم يأخذا بنصيحة الخليفة على النحو الذى تؤكده الأحداث ، وهو أمر منطقى وطبيعى ، إذ كيف يفعلان والفتوحات لم تتجاوز إفريقية [تونس الحالية] والمفروض أن نقطة الانطلاق إلى الأندلس إنما تكون من منطقة المغرب الأقصى ، ثم عبر جبل طارق ، وقد يكون الخليفة عثمان بن عفان لا يعلم بهذه الأمور لأن من الطبيعى أنه ليس لديه فكرة عن جغرافية المنطقة ، لأنه لم يشاهدها ، هذا علما بأن نص ابن كثير يقول : « لما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول : إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس ، فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية فى الأجر آخر الزمان والسلام ، قال : فساروا فافتتحوها ، ولله الحمد والمنة .

والواضح من السياق : أن ابن كثير هنا يستنتج لأنه لم ينقل روايته عن أحد ، ولم ينسبها إلى أحد فيكون الصواب ـ مع التسليم بصحة خطاب عثمان بن عفان إليهما ـ أنه وجههما ولاة على إفريقية ، ونصحهما بالإعداد لغزو الأندلس ، وقد يكون هذا الإعداد باستكمال فتح بلاد المغرب .

(٨) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة صـ ٥٣٠ ، ٥٣١ ـ دار النفائس بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ نقلا عن البلاذرى فتوح البلدان ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

رسوله محمد النبى صلى الله عليه وسلم ، ألا نحاربكم ، ولا ننصب لكم حربا ، ولا نغزوكم ، ما أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه ، وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم ، أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم .

وإن عليكم رد كل آبق خرج إليكم من عبيد المسلمين ، حتى تردوه إلى أرض الإسلام ، ولا تستولوا عليه ، ولا تمنعوا منه ، ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره ، إلى أن ينصرف عنه .

وعليكم حفظ المسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مصليا ، وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته .

وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين ، من أوسط رقيق بلادكم ، غير المعيب ، يكون فيها ذكران وإناث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم ، تدفعون ذلك إلى والى أسوان .

وليس على المسلمين دفع عدو عرض لكم ، ولا منعه من حد أرض علوة إلى أرض أسوان .

فإن أنتم آويتم عبدا لمسلم ، أو قتلتم مسلما أو معاهدا ، أو تعرضتم للمسجد الذى ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم ، أو منعتم شيئا من الثلاثمائة رأس والستين رأسا ، فقد برئت منكم هذه الهدنة والأمان ونحن وأنتم على سواء ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح ، وذمة الحواريين ، وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم ، والله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين .

(يتبع)

٩ ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم . « رواه مسلم » .

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

استفتاءات القراء

يجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها الشيخ:

السيد العراقى شمس الدين

السؤال مقدم من السيد/ ع . ح :

ماهى أنواع الإحرام وهل أستطيع أن أؤدى الحج والعمرة معا وكيف أقوم بهما ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأن الحج واجب على كل مستطيع فى العمر مرة واحدة ، كما أن العمرة واجبة عند الشافعى وأحمد ، وسنة عند أبى حنيفة ومالك ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ وأعمال العمرة تؤدى داخل مكة ، فهى طواف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة . ثم تحلل منها بالحلق أو التقصير .

والذى يقصد ببيت الله الحرام فى أشهر الحج ويريد أن يؤدى الحج والعمرة له أن يختار فى إحرامه إحدى الكيفيات التالية :

الأولى : أن ينوى أداء العمرة فقط بعد أن يلبس ملابس الإحرام ، وله أن يحرم بها قبل الميقات ، فإذا وصل مكة طاف سبعا بالبيت ، ثم سعى سبعا بين الصفا والمروة ، ثم حلق أو قصر . وبهذا تمت عمرته ، ويخلع ملابس الإحرام ويلبس ملابسه العادية ، ويتمتع بما كان محظورا عليه أثناء الإحرام مثل الطيب وقص الشعر والأظافر والاتصال الجنسى . وعليه فى مقابل ذلك أن يذبح شاة لقوله تعالى[1] :

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾

(١) سورة البقرة : ١٩٦ .

وعندما يحين الخروج إلى عرفات يحرم بالحج من المكان الذى هو فيه بعد أن يلبس ملابس الإحرام ، ثم يقف بعرفة ويفيض منها إلى المزدلفة بعد المغرب ، ويمكث بها مدة بعد منتصف الليل ، ثم يصبح يوم العيد فى منى ويرمى جمرة العقبة وهى الكبرى ، ثم يقص بعض شعره ، وهنا يجوز له أن يخلع ملابس الإحرام ويلبس الملابس العادية ، ويمكث فى منى ثلاثة أيام لرمى الجمار ، أو يذهب إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة ، ويسعى بين الصفا والمروة يوم العيد ، ثم يعود إلى منى ليبيت فيها ويرمى الجمرات وهذه الكيفية وهى تقديم العمرة على الحج تسمى « بالتمتع » .

الثانية : ألا يجتاز الميقات بدون إحرام بالحج فقط ، وعند وصوله مكة يطوف طواف القدوم ـ وهو سنة ـ ويسعى بين الصفا والمروة إن أراد ، ويمكث ملتزما للإحرام حتى يقف بعرفة ويتمم أعمال الحج بالمبيت بمزدلفة ورمى الجمرات والمبيت بمنى والطواف والسعى إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ثم التحلل بالحلق أو التقصير ، وهذه الكيفية من الإحرام تسمى « الإفراد » .

وبعد أن ينتهى من الحج يمكن أن يحرم بالعمرة من خارج حدود ، ويؤدى أعمالها المعروفة ، وليس عليه هدى .

الثالثة : أن ينوى الحج والعمرة معا فى إحرام واحد من الميقات . فإذا وصل مكة طاف طواف القدوم وسعى ووقف بعرفة وبات بالمزدلفة ورمى جمرة العقبة صباح يوم العيد ، ثم حلق ، ثم طاف طواف الإفاضة ، وسعى إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، ثم كمل أعمال الحج برمى الجمرات والمبيت بمنى ، وهذه الكيفية تسمى « القران » وفيها هدى كهدى التمتع ، لأنه طاف طوافا واحدا . سبعة أشواط وسعى سعيا واحدا ـ سبعة أشواط ـ عن الحج والعمرة معا . ففى مقابل راحته بعدم تكرار الطواف والسعى يلزمه الهدى .

والإنسان حر فى أن يختار أى كيفية من هذه الكيفيات ، حسب ظروفه وحالته الصحية أو المالية وغيرها ، والمهم أنه أدى النسكين فى رحلة واحدة وبرئت ذمته من أداء الواجب . ندعو الله تبارك وتعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يتقبل منا ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيدة/ ف ـ م ـ ط :
أثناء استعدادى للسفر للحج توفى زوجى ولن تنتهى العدة قبل تأدية الحج ، فهل أحج أم أعتد وتضيع على فرصة الحج هذا العام ؟

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد .

فنفيد بأن التى توفى عنها زوجها يجب عليها أن تعتد ، فإن انتهت عدتها بوضع الحمل أو بأربعة أشهر وعشرة أيام كان لها السفر دون حرج ، أما إن تقرر سفرها قبل انتهاء العدة فقد تعلق بها واجبان ، واجب الحج وواجب العدة ، والآراء فى حل هذه المشكلة مختلفة ، فالأئمة الأربعة قالوا : لا تخرج من عدتها ولا تسافر فهى تعتبر غير مستطيعة ، ولا يجب الحج على غير المستطيع ، ويمكنها أن تحج فى عام آخر .

وأجاز داود الظاهرى سفرها فى العدة ، وذلك لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ إنها خرجت بأختها أم كلثوم لما قتل زوجها طلحة ، خرجت بها إلى مكة لعمل عمرة ، وقال داود : المأمور به هو الاعتداد ، وليس المكث فى البيت ، وسار عليه بعض التابعين .

ويمكن الأخذ برأى عائشة هذا فى الحج الواجب لأول مرة ، وذلك لعدم تكرار الفرصة عند تعقد الأمور وتنظيم سفر الحجاج وتقييده ، أما الحج المندوب ، وهو ما كان فى غير المرة الأولى ، فلا تخرج مادامت فى العدة ، والله أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ الحاج محمد السيد حجاج :

هل صحيح أن الحج فى السنة التى يصادف فيها يوم عرفة يوم الجمعة يكون أفضل من سبعين حجة ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد :

فنفيد بأنه لاشك فى أن يومى عرفة والجمعة عظيمان للأحاديث الواردة بذلك ، ولو اجتمع الوقوف بعرفة مع يوم الجمعة كان فضل اليوم مزدوجا .

إن فضل وقفة الجمعة تفضل غيرها من عدة وجوه فيما ذكره ابن القيم فى زاد المعاد وفيما نقله السيوطى عن القاضى بدر الدين ومنها :

● اجتماع اليومين اللذين هما أفضل الأيام فيكون العمل فيه أفضل .

● إنه اليوم الذى فيه ساعة محققة الإجابة ، وأكثر الأقوال أنها بعد العصر ، وأهل الموقف كلهم واقفون للدعاء والتضرع .

● موافقته ليوم وقفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

● فيه اجتماع الخلائق من أقطار الأرض للخطبة وصلاة الجمعة ، ويوافق اجتماع عرفة بعرفة .

● يوم الجمعة عيد ، وعرفة عيد لأهل الموقف ، وقد اتفق عيدان بذلك .

● إنه موافق ليوم إكمال الله لدينه .

● إنه موافق ليوم الجمع الأكبر يوم القيامة ، فهى تقوم يوم الجمعة كما فى الصحيح .

● إن الطاعة يوم الجمعة وليلتها أكثر من غيرها عند المسلمين كما اعتادوه ، فللوقفة فيه مزية على غيره .

جاء فى رسالة السيوطى أن فى الحديث الذى أخرجه رزين « أفضل الأيام يوم عرفة إذا وافق يوم الجمعة ، وهو أفضل من سبعين حجة فى غير يوم الجمعة » لم يبين السيوطى درجة هذا الحديث ، وقال ابن القيم : وأما ما استفاض على ألسنة العوام بأنها تعدل اثنتين وسبعين حجة فباطل لا أصل له عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ، والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ ع . و . أ . . الغربية :

منّ الله علىّ بنعمة المال فأحج كل عام عملا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من حج حجة فقد أدى فرضه ، ومن حج ثانية فقد

داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار » فهل تكرار الحج واجب ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد .

فنفيد بأنه من المعلوم أن الحج فرض على المستطيع مرة واحدة فى العمر ، وذلك لحديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » وفى رواية لأحمد وأبى داود والنسائى والحاكم عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن السائل هو الأقرع ابن حابس ، وأن الرسول رد عليه بقوله : « الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .

ونأخذ من هذا أن تكرار الحج ليس واجبا ، وإنما هو تطوع ، والتطوع فى كل شىء ينبغى أن يراعى فيه تقديم الأهم على المهم ، وقد تكون هناك حالات فى أشد الحاجة إلى المعونة ، لإنقاذ الحياة ، أو تخفيف الويلات ، وهنا يكون الإنفاق فيها أولى .

والشخص الذى يحب أن يتردد على بيت الله بالحج أو العمرة ورأى أن هناك أمرا هاما أقعده عن السفر للزيارة سيعطيه الله ثوابا على نيته ، وهناك مأثورات فى هذا المقام جاء فيها أن الله كتب ثواب الحج لمن صادف فى طريقه فقراء فدفع إليهم ما معه ورجع إلى بلده دون أن يحج أعطاه الله ثواب الحج ، وإذا لم يكن هناك نص فى هذه المسألة فإن التشريع بروحه وأهدافه لا يقر أن توجه أموال طائلة من مندوب من المندوبات فى الوقت الذى فيه واجبات تحتاج إلى هذه الأموال ، هذا والله تعالى أعلم .

●●●●

السؤال مقدم من السيد/ م . ر

توفى عن زوجة ، وأخت شقيقة ، وأبناء وبنات إخوة أشقاء ذكور ، وأبناء وبنات أخوات شقيقات فمن يرث ؟

الجواب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فنفيد بأن للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأخت الشقيقة النصف فرضا لانفرادها ولعدم من يعصبها أو يحجبها ، والباقى للذكور فقط من أولاد الإخوة الأشقاء الذكور تعصيبا ، يقسم بينهم بالتساوى كأنهم أبناء أخ شقيق واحد ، ولا شىء للإناث من أولاد الإخوة الأشقاء الذكور ، كما أنه لا شىء لأبناء وبنات الأخوات الشقيقات لأنهم جميعا من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات ، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد زكى إبراهيم

رائد العشيرة المحمدية ٢

للأستاذ الدكتور:
محمد رجب البيومى

كان الشيخ محمد زكى إبراهيم فى نشأته الشابة طالبا بقسم التخصص ، فمدرسا بالمدارس ، فمفتشا يسلك مسلك أبى الحسن الشاذلى فى حسن المظهر ، وكمال السمت ، فهو يسكن فى شقة فاخرة فى شارع سليمان باشا ، ويقابل فى المعهد الفرنسى أساتذة الاستشراق مناقشا محاورا ، وكان الظن به أن يستمر على هذا السمت الذى يتحدث بنعمة الله عليه متذكرا قول الله - عز وجل -

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ (١)

ولكن الحرب العالمية الثانية قد طالعته بالمؤلم الشاق من أحوال الفقراء والمعوزين ، إذ صعب العيش ، وعزت الحياة على نحو كريم ، فرأى أن يتخلى عن مظاهر الترف الطبيعى الخالى من المغالاة .

(١) سورة الأعراف : ٣٢

وأن يترك أحياء الوجاهة ، ومنازل الأبهة ليكون مع الناس فى معاناتهم باذلا جهده الجاهد فى إسعادهم ، ومن ثم انتقل إلى مسجد أبيه بالجمالية ، وبدل حالاً بحال ، لا لأنه لبس الخرقة ، وتزيا بزى الفقراء ، بل إنه صار أزهريا متواضعا ، عليه لباس التقوى ، وزينة العلم والدرس ، وقد عرف الناس شرقا وغربا زهده الخالص فخصه الأثرياء بآلاف الأموال التى انهالت بين كفيه . فكانت سبيله إلى بناء المساجد والمعاهد وتربية الأيتام ، ويذكر عارفوه أنه مات وقد أودع البريد والبنوك عشرات الدفاتر بأسماء عائلات فقيرة ، تجد حاجتها دون اضطرار إلى معونة أحد ، على أنه شغف بأداء العمرة فى شهر رمضان لأكثر من عشرين عاما مع رفقة مع صحابته الذين لا يقدرون على النفقة ، إذ يوسع عليهم من فضل الله ، ومن باب الكرامة التى تجلت للناس هذا العام أنه أصر على أن تكون عمرته هذا العام فى جمادى الأولى فقام بها ، وفى وجهه علائم السرور والغبطة ، فكأنه استشعر أن رمضان القادم لن يأتى عليه بين الأحياء ، فسعى إلى بيت الله مشوقا مبتهجا قبل أن يبلغ الكتاب أجله ، ولعله حين تخلى عن مظاهر الترف الأولى تذكر أسلافه الصالحين من أمثال إبراهيم بن أدهم وأبى بكر الشبلى ممن نشئوا نشأة العز والجاه ، ثم طالعتهم الدنيا بوجهها الحقيقى فانسحبوا من الحظوة إلى الخلوة ، وهى خلوة العلم والتقوى وليست خلوة الاعتزال والانقباض . وإذا كان أبوالحسن الشاذلى إمامه الروحى قد اشترك فى موقعة المنصورة محاربا ، إذ رحل إلى أرض الجهاد الصليبى مع فريق من كبار العلماء يتقدمهم سلطان الأئمة العز بن عبد السلام ومعه نفر من

الشيخ / محمد زكى إبراهيم

كبار الشيوخ ، فإن الشيخ محمد زكى إبراهيم قد رحل إلى الجبهة فى حرب رمضان مع صديقه الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود وفريق من فضلاء الأزهريين فقاموا بواجب التثبيت ، وقرأوا قصص الجهاد فى بدر وأحد وخيبر ، وبشرهم الشيخ عبد الحليم برؤيا صالحة تحققت عن قريب بالنصر المبين . فكان ذلك جهادا عمليا يوازى جهاد الدعوة فى مجالس الصلوات .

وشىء آخر ، نشير إليه فيها طرأ على الشيخ من تحول أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد كان همه قبل ذلك أن يقنع عشرات المثقفين بما يكتب من بحوث التصوف الإسلامى الصحيح ، ثم نظر فرأى الجهالة تضرب أطنابها متغلغلة لدى قوم يدعون التصوف وهم أبعد ما يكونون عن معناه ، واحتاج الأمر إلى إيقاظ مجلجل يقرع الأسماع ، ويوقظ العيون ، فاتجه إلى الدروس بدار العشيرة عقب الصلاة عشاء فكان درسه درس فيض ينهال دون إعداد سابق ، لأنه كان ينظر بنور الله إلى الحاضرين ، فإذا وجد الكثرة من العامة سلك بهم

سبيل اليسر فى الإيضاح والتبيين ، وإذا وجد الكثرة من الخاصة ارتقى معهم إلى أمور دقيقة من مسائل الفقه والاجتماع وعلم النفس تدرس فى ضوء المأثور من كتاب الله ، ولعل الشيخ من آحاد الصوفية الذين أجادوا دراسة ما استجد من علوم العصر ، لتكون بعض أسلحتهم فى التوجيه والإرشاد ، وقد شاركه فى ذلك صديقه الإمام الأكبر عبد الحليم محمود على فرق واضح فى الاتجاه ، لأن الشيخ عبد الحليم كان يلقى الدروس بالمساجد فى نطاق سهل ميسر يرعى فيه حق السامع المتواضع دون تزيد ، أما بحوث الفلسفة والنظر فقد ضمها كتبه العلمية وهى أيضا ذات اتجاهين خاص وعام ، أما الأستاذ محمد زكى إبراهيم فقد أهله استعداده المتمهل إلى أن يخرج وعظه بالواضح المميز من معارف هذا العصر ، فكان بذلك يجذب إليه نفرا كثيرا من أهل الترف الفكرى ، وفاضت له شهرة بين الدارسين فى ربوع شتى من بلاد الإسلام ، ثم إن قريحته الشعرية لم تخذله فى مجالس التوجيه تارة وفى خلوات الإلهام تارة أخرى ، فنظم كثيرا من رقائق الشعر الصوفى ، ومما يذكر أنه قبل ارتحاله أحس باللقاء القريب فنظم قصيدة عامرة زكى بها نفسه وقد تحدث عن شعوره الخالص دون افتعال ، وكيف يأتى الافتعال فى مثل هذا الظرف الدقيق فتعاظمه أن قال الناس عنه إنه إمام وإنه عالم ، وإنه ولى مع أن الله أعلم بالسرائر ، هذا الشعور الضارع اللهيف تجلى فى قول الأستاذ :

مريض قد أتى شعراً مريضا
فعــذرا إننى منـه استحيت
فـما أدرى أهل هــذا وداع
لشعرى أم على نفسى جنيت
فيا كم ذا تعاظمت افـتراء
ويا كم ذا على الله اجترأت
وكم قـالوا : ولى أو إمـام
ويا عجبا بمـا قالـوا ارتضيت
فمغفــرة إلهى واعـف عنى
ففى أحضان رحماك ارتميت
فها هو قد دنا منى رحيلى
وحى اليوم بعد اليوم ميت
إذا فـارقت إخـوانى فـإنى
أعـايشهم كـأنى مـاقضيت

والمرثية ذات إيحاء دال ، وتحتاج إلى عالم صوفى يفهم أسرارها ، إذ لا يبلغ استشفافها أديب عجول ، لقد كان شغف زكى إبراهيم بدروس التربية فى نشأته التعليمية ذا أثر كبير فى نجاحه الصوفى ، لأنه فى دروس المسجد ، وفى كتب التوجيه لم يتخل عن قواعد التربية فى التوجيه والإرشاد ، فآثر الحوار عن طريق السؤال والجواب ليتضح المراد دون سبح مرهق فى الإجابات المعترضة ، لذلك كانت آراؤه الصوفية موضع إقناع حاسم لأنها تطرح الأغشية الكثيفة وتعمد إلى اللباب الخالص ، فيتضح الحق دون لجاج ، ولا يستطيع التركيز فى السؤال والجواب (وقد أعدهما معا) إلا لبق ذو بصر يمنع التطوح فى الاستطراد ، وهذه الأسئلة المعدة هى التى تدور على ألسنة الخصوم ويجعلونها ذريعة للنيل من التصوف ، وسأعرض أمثلة منها مع الإجابة عليها كنموذج لهذا الاتجاه التربوى الحميد .

س ١ : يقولون إن التصوف استقى نظرياته فى الحلول والاتحاد ووحدة الوجود من مبادىء غريبة عن الإسلام فابتعد بذلك عن منهج القرآن ؟

جـ ١ : التصوف الإسلامى مصدره الكتاب والسنة قول واحد لا ثانى له ، فإذا اندست فيه أقوال خارجة عن هذين الأصلين فهى باطلة لا تمت إليه ؛ وليس التصوف وحده هو الذى اندست إليه الأباطيل فقد اندست الأحاديث الموضوعة فى السنة المطهرة ، واندست الإسرائيليات فى كتب التفسير ، واندست فلسفة الإغريق فى علم التوحيد ، وذلك كله لا يعنى أن هذه العلوم أصبحت باطلة بل خصصت لها أقلام تميز الصحيح من العليل ، وما نفعله فى محاربة هذه الأباطيل فى التصوف لا يخرج عما فعله أساتذة هذه العلوم ! إذ لا يصح إلا الصحيح .

س ٢ : استعمل الصوفية اصطلاحات ورموزا تعبر عن أذواقهم بما لا يفهمه العامة ؟ حتى عرفوا بأهل الإشارة فما جدوى ذلك والأمر يتطلب الوضوح ؟

جـ ٢ : لكل علم من العلوم مصطلحات خاصة يعرفها المتخصصون فيه ، ولا يدركها غيرهم ، فإذا استقل الصوفيون ببعض المصطلحات فهذا أمر طبيعى ، وفى بعض الأزمنة تعرضوا لاضطهاد لا مبرر له فآثروا الرمز طلبا للسلامة فماذا فى هذا .

س ٣ : لماذا نشأ الصراع بين الصوفية والفقهاء ؟ حتى أصر بعضهم على تكفير الصوفية كابن تيمية مثلا ؟

جـ ٣ : الصراع بين العلماء قديم ، حتى بين فقهاء المذهب الواحد فكيف إذا اختلف الاتجاه ، ولعل ضيق بعض الفقهاء بما لم يحيطوا به من تعاليم الصوفية كان السبب فى هذا الصراع ، ثم دست على الصوفية أقوال لم يقولوا بها ، فاتخذها الفقهاء وقودا لإثارة الضرام دون هوادة ، أما ابن تيمية رحمه الله فمظلوم مع الناس ، لأنه حمل على الفساد الذى يقترفه بعض أدعياء الصوفية ، ونحن معه فى محاربة الدجل والشعوذة والارتزاق الكاذب بادعاء الولاية ، وفى كتابه « الفتاوى الكبرى » ـ الجزء الحادى عشر ـ الصحيفة السابعة عشرة ـ وصف للصوفية الأبرار بأنهم من أجل الصديقين ، وأنهم أكمل رجال زمانهم ، وتلميذه ابن القيم ينحو منحاه ، وله صوفية شفافة ولكنهما معا يحاربان الدجل والادعاء ، وقد اعترف ابن تيمية فى مناظرته لابن عطاء الله السكندرى أنه لا يهاجم إلا المنحرف فحسب ، ونحن معه .

س ٤ : يقولون لم ترد كلمة الصوفية أو التصوف فى كتاب الله أو على لسان رسوله ـ ﷺ ـ فمن أين جئتم بها ؟

جـ ٤ : التصوف ليس دينا مستقلا عن الإسلام ، وإنما هو مذهب يدور فى فلك الإسلام ، فكما جاز أن تطلق عبارات (السلفية) والشافعية ، والمالكية والحنفية ، على مذاهب استحدثت فى الإسلام لتعبر عن بعض اتجاهاته دون أن تخرج عنه فى شىء ، فلماذا لا تطلق كلمة الصوفية على اتجاه روحى ينتمى للإسلام ، ولا يشذ عن تعاليمه بل يدعو إليها بقوة وإيمان ؟

س ٥ : يرى نفر من الناس أنه من الصعب الجمع بين الاتصال بالملأ الأعلى عن طريق الزهد ، مع السعى للمعيشة تطلبا لأبواب الرزق ؛ فماذا ترون ؟

جـ ٥ : الزهد الحقيقى عند الصوفية هو ما يكون فى القلب من الترفع والتسامى ، وقمع

الشهوات الباطلة فهو إذن علاج نفسى لشرور قد تدفع إليها النفس الأمارة بالسوء ، ولا يمنع بل يحتم أن يسعى الإنسان على رزقه ليأكل الحلال ويتجنب الحرام ، وكذلك فعل كبار الصحابة وأعلام الأولياء ، بل إن الأنبياء وهم أفضل الناس كانوا يحترفون فيما يعودعليهم بالرزق ! والمسألة حينئذ نفسية يحاول بها الصوفية الارتفاع عن النزوات لا عن الكسب المشروع .

هذا نمط من السلوك التوجيهى قام به الأستاذ فى دروسه وفى كتبه ، وهو نمط يتعمد الإقناع بالدليل الملموس ، ويستنكر الشطحات الهائمة ، والشعارات الزائفة ، وقد شن الشيخ حملات على المظاهر الكاذبة التى اتخذها الأدعياء سبيلا للحظوة ، وأقنعوا بها بعض العامة ، وتكرار هذه الحملات ضرورى لأن ما يقوم به المصلح من إرشاد ، قد يهدمه مدع بطريقة استهوائية ، حيث لا يجد أمامه غير العامة ، ولا أقول الجهلة لأنهم معذورون ، والتبعة على من يحرفون الكلم لحاجة فى نفس يعقوب ، وحين أنشأ الأستاذ (العشيرة المحمدية) بهذا الاسم ، كان يرضى شعورا قويا فى نفسه لأنه يعنى فيما يعنيه تأكيد انتسابه الأسرى لسلالة رسول الله ـ ﷺ ـ وارتباطه الوثيق بآل بيته الكريم ، وفى هذا المجال دافع الشيخ دفاعا حارا عن كل مايراه موجبا للنقد العنيف حينا من آراء تحاول التحرر المزعوم حين تهاجم رسول الله ـ ﷺ ـ واهمة أنها بذلك تدافع عن الإسلام ، حين تحصى له ولآل بيته الكريم هنات ما كان لها أن تجوف وتتضخم بهذا الوزن الثقيل وقد يستغرب القارىء ما أشير إليه ، ولكنه الواقع فعلا ، إذ أزعج الأستاذ أن يحاول قوم التحدث عن اجتهاد الرسول ـ ﷺ ـ فيصفوه بالخطأ الذى يناقض الصواب ، وهو فى رأى الأستاذ ليس خطأ ، ولكنه عدول عن الأولى فحسب ، وقد أصدر سنة ١٣٨٩ هـ كتابا تحت عنوان « دفاع عن النبى ـ ﷺ ـ » وكان يظن أن أحد المهتمين بسيرة رسول الله سيساعده على طبعه متى خلص من تأليفه ، ولكنه انتظر دون جدوى ، فلم يجد بدا من نشره فى عدد خاص من مجلة (المسلم) وهى مجلة العشيرة المحمدية ، حيث يحتل جميع صفحاتها ، وذلك بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٨٩ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٩ م ، وقد قال فى ص ٣٩ من العدد نفسه ما يعبر عن شجى فى نفسه يتضح من هذه الكلمات : « لقدكنا نتمنى أن نختم هذا الدفاع عن رسول الله ـ ﷺ ـ ببحث يستغرق ملزمة لولا أن المال لم يساعدنا ، ويؤسفنا أن نسجل ذلك بهذه الصراحة ، فبخل المسلمين مما تتقطع له النياط ، أو هكذا حظنا معهم ونستغفر الله ونتوب إليه » أما أهم ما دار حوله الدفاع فهو تورط بعض الكاتبين فى أحكام مستهجنة عن والد رسول الله ووالدته ، والقول بأنهما فى النار تمسكا بحديث موضوع ! مع أنهما من أهل الفترة ، وقد جاء القرآن صريحا بنجاة هؤلاء حيث يقول الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾(٢) فكيف نسقط النص الصريح استماعا لحديث موضوع لم يثبت أمام النقد الدقيق ! كذلك ما تورط فيه هؤلاء من الحكم على أبى طالب ، ونحن لا نجزم بشىء من اعتقاده فقد يكون ممن أسلم ، وتقديرنا لرسول

(٢) سورة الإسراء : ١٥ .

الله ـ ﷺ ـ يجعل من الصفاقة كل الصفاقة أن نتحدث عن حاميه ومؤيده وناصره بهذا السفه ، وقد أعجبنى جدا ، مانقله الأستاذ ص ٤٢ من المجلة عن الإمام أبى بكر بن العربى حين سأله سائل عن رجل قال إن أبوى رسول الله فى النار ، فأجاب بأنه ملعون ، لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(٣) ولا أذى أعظم ـ كما قال ابن العربى ـ من أن يقال إن أبويه فى النار كذلك كان الأستاذ مصيبا حين استشهد ص ٤٣ بما جاء فى المنهل من أن بنت أبى لهب عمه ، جاءت تشكو إليه أن بعض الناس ينادونها بابنة حمالة الحطب ، فقام وهو مغضب شديد الغضب فقال : « ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى .

وأحب أن أنقل هنا رأى الأستاذ بحروفه فيما نسب إلى رسول الله من الخطأ فإننى لم أره من قبل لأحد من العلماء وهو دقيق دقيق قال ص ١٥ :

إن ما جاء فى الكتاب والسنة مما يوهم الخطأ أو عدم العصمة ، فإنما هو صورة للخطأ المقصود ، وصورة للاجتهاد المتعمد حتى يأتى التشريع على أساس من واقع الناس ، وإنما اجتهاده ـ ﷺ ـ إنما يكون فى المفاضلة بين صوابين ، فإذا اختار القرآن الأصوب فلأن علم الله أتم بما هو أهدى وليس معنى اختيار القرآن شيئا أن النبى قد أخطأ فى اختيار الشىء المقابل له ، ولكن معناه أن المصلحة هنا وهناك موجودة بالفعل ، ولكنها فيما اختاره الله أكمل وأشمل أ هـ » بهذه الروح الموقنة الصادقة عالج الأستاذ موضوع الاجتهاد ، وقد يخالفه من لا يرى رأيه ، ولكنه ذو نظر هادف ، وتعليل شاف ، وإليه أميل .

وفى دائرة الحب النبوى أصدر الأستاذ كتابه (مراقد أهل البيت فى القاهرة) ليثبت بالنصوص المترددة فى كتب التاريخ وجود رأس الحسين ـ رضي الله عنه فى مصر ، ودفن السيدة زينب بها ، وكذلك السيدات الطاهرات من آل البيت ـ صلوات الله عليهن ، وهى مسألة اقتنع الأستاذ بها ، وساق النصوص الدالة من كتب أثرية وتاريخية ذات وزن ثقيل ، والخلاف فى ذلك لا يشق كما يشق فى المسألة الأولى التى أشرنا إليها من قبل ، وقد تواضع المؤلف حين قال فى مقدمة كتابه : (لا أدعى أنى مؤرخ ، ولكنى رجل أفهم التاريخ وأتذوقه ، وأقارنه وأميزه ، والتاريخ أشخاص وأزمان وأحداث ترتبط بأسباب ومسببات ومقدمات ونتائج ، فهو طاقة ذات حياة وقوة تتخلل العقل والعاطفة معا ، ومن هنا كان من غير الممكن انسلاخ الحاضر عن الماضى .

لقد عاش الشيخ مجاهدا بقلمه ، قدوة بسيرته ، وكان نموذجا حيا للعالم العامل ، والربانى المتأمل ، وقد أوذى من قوم يظنون أن آراءهم جميعا هى الصواب ، وأما آراء سواهم فهى الخطأ ، وكان الأحرى بهم أن يعلموا أن المجتهد له أجره أخطأ أم أصاب ، فهو زميل لهم ، وليس محاربا يناصبونه العداء ، رحمه الله وأكرم مثواه .

---

(٣) سورة الأحزاب : ٥٨ .

طرائف .. ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

تقدير العلماء للعلماء

عن عبد الله بن الإمام أحمد ، قال : قلت لأبى : أى رجل كان الشافعى ، فإنى أسمعك تكثر الدعاء له ؟ فقال : يابنى ، كان الشافعى - رحمه الله - كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من خلف أو عوض ؟

زينة المـــرء

قال بعض الحكماء : من كثر أدبه ، كثر شرفه ، وإن كان وضيعا ، وبعد صيته وإن كان خاملا ، وساد وإن كان غريبا ، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا .

قال بعض الشعراء :

لكل شىء زينة فى الورى
وزينـة المـرء تمـام الأدب
قـد يشرف المرء بـآدابـه
فينا وإن كان وضيع النسب

نصيحة

قال لقمان لابنه : يابنى لا تدخل فى الدنيا دخولا يضر بآخرتك ، ولا تتركها تركا تكون كلًّا على الناس .

الناس .. فى الخير

الناس فى الخير أربعة أقسام : منهم من يفعله ابتداء ، ومنهم من يفعله اقتداء ، ومنهم من يتركه

حرمانا ، ومنهم من يتركه استحسانا ، فمن فعله ابتداء فهو كريم ، ومن فعله اقتداء فهو حكيم ، ومن تركه حرمانا فهو شقى ، ومن تركه استحسانا فهو دنىء .

من علامات اللئيم

أن يكون حسن القول ، سيىء الفعل ، قريب الحسد ، حمولا للفحش ، مجازيا بالحقد ، متكلفا للجود ، صغير الخطر ، متوسعا فيما ليس له ، ضيقا فيما يملك .

التربية بالقدوة

كتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى واليه على البصرة :

إن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته .

كرامة المرء

لا تتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا تركن إلى الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا تصحب الجاهل فتتهم فى فطنتك .

الناس يستفتونك وأنت تستفتينى

أراد نوح ابن مريم قاضى مرو أن يزوج ابنته ، فاستشار جارا له مجوسيا فقال : سبحان الله ، الناس يستفتونك وأنت تستفتينى . قال : لابد أن تشير علىّ ، قال : إن رئيسنا كسرى كان يختار المال . ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال . والعرب كانت تختار الحسب والنسب ورسولكم محمد ـ ﷺ ـ كان يختار الدين ، فانظر أنت بأيهم تقتدى .

حقا

الدنيا دول ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

دعاء

اللهم ارزقنا تلاوة كتابك على الوجه الذى يرضيك عنا ، واهدنا به سبل السلام ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور ، واجعله حجة لنا لا علينا يارب العالمين .

وللمقامات حديث

للأستاذ الدكتور :
محمد عبد المنعم خفاجى

-١-

ونعود إلى المقامات وحديثها الطويل ، بمناسبة ما كتبه العلامة الدكتور محمد رجب البيومى فى مجلة الأزهر ؛ عن المرحوم الدكتور العلامة على العمارى (١٩١٣ - ١٩٩٨) - رحمه الله - وأنه كان يرى أن المبدع الأول لفن المقامة فى الأدب العربى ؛ هو أبو المطهر محمد بن أحمد الأزدى ، ويؤيده فى هذا الرأى الدكتور رجب [مجلة الأزهر - عدد شعبان ١٤١٩ هـ ص ١٤٣٨ - ٣٩]

وفى المبدع الأول لفن المقامة فى الأدب العربى آراء كثيرة :

١ - فالدكتور زكى مبارك فى كتابه « النثر الفنى » (ص ٢٠٦ حـ ١ ، النثر الفنى - طبعة دار الكتب المصرية) ، يرى أن أبا بكر محمد بن دريد الأزدى (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) .

هو المنشىء الأول للمقامات ، كما ذكره المصرى (- ٤٨٣ هـ) فى كتابه زهر الآداب [حـ ١ ص ٢٣٥] .

٢ - ويرى جورجى زيدان [- ١٩١٤ م] ، أن أبا الوليد أحمد بن فارس [- ٣٩٥ هـ] له التقدم فى وضع المقامات ، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذانى [٢/٣٠٩ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان - ط دار الهلال سنة ١٩١٢] .

٣ - وفى رأى الدكتور العمارى والدكتور رجب ؛ أن المنشىء الأول للمقامات هو أبو المطهر الأزدى ، فهو المبدع الأول لفن المقامات ، وشخصية أبى القاسم البغدادى راوية الأزدى هى شخصية أبى الفتح الإسكندرى راوية بديع الزمان .

وقد أصدر آدم ميتز حكايات أبى القاسم البغدادى عام ١٩٠٢[1] ، ونشرها هى نفسها عبود الشالجى عام ١٩٨٠ فى بيروت بعنوان « الرسالة البغدادية » .

وللحقيقة نذكر أن أبا حيان التوحيدى [- ٤١٣ هـ] أثبت حكاية أبى القاسم البغدادى فى مؤلفاته ، كحديثه عن المغنيات البغداديات الموجود فى كتابه « الإمتاع والمؤانسة » وكقيامه عام ٣٦٠ هـ[2] بإحصاء المغنين والمغنيات فى جانبِ بغداد ، وهو مذكور أيضاً فى « الإمتاع والمؤانسة » .

(١) فى هايدلبرج عن نسخة المتحف البريطانى .

(٢) نكر تصحيفا : علم ٣٠٦ هـ وصحته ما نكرناه .

ويذكر بروكلمان فى كتابه « تاريخ الأدب العربى » (١٤٨ حـ ٣) أن أبا المطهر اسمه ابن المطهر وحرف إلى أبى المطهر ، وأنه هو محمد بن أحمد بن المطهر الأزدى المتوفى عام ٤٨٥ هـ ، وأنه ألف فى المائة الخامسة للهجرة حكاية أبى القاسم البغدادى التميمى ، فهو بعد بديع الزمان الهمذانى (المتوفى عام ٣٩٨ هـ) بزمن كبير .

٤ ـ وفى رأى بعض الباحثين أن فن المقامات يرجع إلى ما كتبه ابن قتيبة [٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م] فى المجلد الثانى من كتاب « عيون الأخبار » [ص ٣٣٣ ـ ٣٤٣ حـ ١] بعنوان « مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك » وهى عشر مقامات ص ٨٢ فن المقامات بين المشرق والمغرب للدكتور يوسف نور عوض .

٥ ـ ويرد آخرون فن المقامات إلى كتابات الجاحظ [ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م] فى كتابه البخلاء ، وفى رسالة « التربيع والتدوير » وفى كتابه « المحاسن والأضداد » ـ راجع ص ٢٠ من كتاب المقامة للدكتور شوقى ضيف ، وعلى هذا الرأى سار الدكتور شوقى ، ومع جواز ذلك فى المضمون فإن شكل المقامة الفنى يبقى جديدا كل الجدة عند البديع .

٦ ـ والبعض يرجع فن المقامة فى الأدب العربى إلى الأدب الفارسى ، وأن حميد الدين البلخى هو البادىء بابتكار هذا الفن ، وأن البديع احتذى حذوه .

والحقيقة أن الأدب الفارسى لم يوجد فيه فن المقامة قبل بديع الزمان الهمذانى ، وأن ما وجد منه فى آداب الفرس ؛ إنما كان بعد بديع الزمان بزمن طويل ، وأن أول مقامات كتبت بالفارسية هى للقاضى حميد الدين البلخى الذى بدأ بإنشائها عام ٥٥١ هـ ، وأنه توفى عام ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م ؛ كما يقول براون فى كتابه فى تاريخ الأدب الفارسى ، ويؤكد محمد تقى بهار فى كتابه « تاريخ تطور النثر الفارسى » أن لفظ مقامة من اختراع البديع(٣) .

وأن كل اختراع فى الأدب العربى كان له صدى فى الفارسية ، وأن حميد الدين قد قلد البديع والحريرى فى مقاماته ، ويذكر الأنورى إعجاب الفرس بمقامات حميد الدين(٤) .

٧ ـ ويذكر بعض المستشرقين أن أساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان قد أوحتا إلى البديع بفكرة المقامات ، بينما يذكر آخرون أن قصص جحا فى الآداب الفارسية والتركية والعربية كانت من ملهمات البديع لفن المقامات ؛ وهذا مما لا يؤيده أى دليل .

٨ ـ والحريرى [ت ٥١٦ هـ / ١١٢٢ م] فى مقدمة مقاماته يرجع فضل ابتداء المقامات إلى بديع الزمان علامة همذان ، وهو الرأى الذى يكاد يجمع عليه الأدباء والنقاد ، وأقول : إنه ليس هناك إلا البديع نفسه [٣٥٨ ـ ٣٩٨ هـ / ٩٦٩ ـ ١٠٠٧ م] ، فهو أبو المقامة فى الأدب العربى وصاحب الفضل فى إنشائها ، ويؤيد الحريرى ذلك ، كما يؤيده الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » فى ترجمته لبديع الزمان ، ويقول مارون عبود فى كتابه « بديع الزمان » ـ ص ٢٤ : إن خطة المقامات من عمل البديع . فهو الذى ألبسها هذا الطراز وعبثا تحاول العثور على أثر لهذه الخطة عند

(٣) لفظ مقامة ومقامات ورد فى اللغة العربية فى العصر الجاهلى ، وفى شعر زهير بن أبى سلمى .

(٤) راجع ص ٢١٢ من كتاب « بديع الزمان .. » للدكتور مصطفى الشكعة .

غير البديع ، وكذلك ذهب مازن المبارك فى كتابه « مجتمع الهمذانى من خلال مقاماته » - ص ١٦ .

ولقد جعل البديع لمقاماته بطلا ساسانياً هو أبو الفتح الإسكندرى ، هو الذى مثل كل أدوارها ، ونهض بجميع فصولها ، وقام بكل أحداثها .

وقد أثبتُّ فى كتابى « أبو دلف عبقرى من ينبع » أن أبا دلف هذا كان من أشهر الأدباء والشعراء والرحالة فى القرن الرابع الهجرى ، وأن ميلاده كان عام ٣٠٠ هـ ، ووفاته كانت عام ٣٩١ هـ ، وأنه طاف بجميع أنحاء آسيا : الصين والهند وآسيا الوسطى ، إلى العراق وإيران وخراسان والجزيرة العربية ، وأنه كان بمثابة الأستاذ والصديق لبديع الزمان ، يحضر البديع مجالسه عند الأمراء والملوك وعند الصاحب بن عباد الوزير [ت : ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م] ، ويستمع إلى قصصه فى رحلاته الطويلة العجيبة الغريبة ، وأن أبا دلف كان هو الملهم لبديع الزمان الشاب الذكى بابتكار فن المقامة فى الأدب العربى فى القرن الرابع الهجرى ؛ وهذا الفن هو الذى احتذاه الحريرى فيما بعد فى مقاماته المشهورة .

ولقد كان بديع الزمان وثيق الصلة بأبى دلف ، وكان واقفا على أخباره ، وراوية لشعره ، وفى كتاب « يتيمة الدهر » للثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨ م) ما يدل على ذلك - راجع ص ٣٢٣ جـ٣ اليتيمة .

- ٢ -

فأبو دلف كان شخصا عظيما فى حياة البديع يضعه موضع الأستاذية ، ويحلّه من نفسه منزلة رفيعة ويعجب بروحه الفكهة ، وثقافته الواسعة ، وبنوادره وطرائفه الغريبة .

وكان أبو دلف ينظر إلى بديع الزمان الشاب المتوقد ذكاء ونبوغا نظرة الأستاذ إلى تلميذه .

وأبو دلف اسمه مسعر بن مهلهل ، ولد فى ينبع عام ٣٠٠ هـ ، وفى حياته طاف بأرجاء آسيا . . وكان عالما وطبيبا ورحالة من طراز رفيع ؛ كما كان أديبا وشاعرا كبيرا ، إلى أنه كان نديما للملوك والأمراء والوزراء ، لهم منه ظرفه وأدبه ، وله منهم الحظوة والمكانة العالية ، وكان أبو دلف يقوم بسفارات كثيرة بين الملوك والأمراء ، فقد أرسله الملك السامانى نصر بن أحمد [٣٠١ - ٣٣١ هـ / ٩١٤ - ٩٤٣ م] ملك بخارى فى سفارة سياسية إلى الهند ، كما أرسله إلى ملك الصين فى سفارة أخرى .

ومن عجب أن تكون شخصية أبى دلف مسعر ابن مهلهل قد استولت على عقل البديع وفكره ، فنراه حين ابتدع فن المقامة كان لابد أن يجعل لها بطلا ، وأن يجعل لها راوية ، فكان بطلها عنده هو أبو الفتح الإسكندرى ، وكان راويتها هو الحارث ابن هشام .

وشخصية هذين الرجلين شخصية غريبة ، وكانت محل بحث طويل بين الباحثين من الأدباء :

١ - فالحريرى يرى أنهما شخصيتان خياليتان ، يقول فى مقدمة مقاماته : كلاهما مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف . ويؤكد ذلك المستشرق الفرنسى إيوار ، فيقول : وضع البديع شخصا خياليا ابتكره وسماه أبا الفتح ، وكذلك كان الحارث بن هشام .

٢ - وذهب بعض الباحثين إلى أن عيسى بن هشام كان شيخا للبديع ، ومنهم أبو شجاع شيرويه [ت ٥٠٩ هـ] مؤلف « تاريخ همذان » وينقل ذلك عنه ياقوت الحموى [ت ٦٢٦ هـ] فى

كتابه « معجم الأدباء » فى ترجمته للبديع .

وهذا هو رأى الدكتور الشكعة فى كتابه « بديع الزمان » ، فهاتان الشخصيتان عنده خياليتان ، يقول : « حاولنا أن نجد لبطلى المقامات صدى تاريخيا فلم نعثر لهما على أثر ، والغالب أنهما من ابتكار خيال البديع نفسه [ص ٢٣٢ بديع الزمان] .

٣ - وهناك رأى جديد هو أن شخصيات مقامات البديع كانت لأشخاص وجدوا بالفعل ، ويذهب إلى ذلك بعض المستشرقين ، إلا أنهم لم يستطيعوا معرفة هؤلاء الأشخاص المجهولين .

٤ - ويذهب باحث عراقى إلى أن أبا الفتح الإسكندرى بطل المقامات هو البديع نفسه [رسالة دكتوراة عن مقامات الحريرى لطارق العوسج - بكلية اللغة بالقاهرة] .

٥ - ويذهب باحث آخر إلى أن أحد شعراء الكدية أو الساسانية فى الأدب العربى فى القرن الرابع هو أبو الفتح الإسكندرى ، وشعراء الكدية هم أبو الورد ، وابن مسكرة [ت ٣٨٥ هـ] ، وابن الحجاج [ت ٣٩١ هـ] ، والأحنف العكبرى ، وأبو دلف [ت ٣٩١ هـ] وأبو حيان التوحيدى [ت ٤١٤ هـ] ؛ وأن أقربهم شبها بأبى الفتح هو الأحنف وأبو دلف [ص ٢٣٤ الأدب فى ظل بنى بويه للزهيرى - ط مصر ١٩٤٩] .

٦ - ويذهب كاتب هذه المقالة إلى أن البديع استمدّ من شخصية أبى دلف نموذجه الأدبى ، فجعل أبا دلف بطل مقاماته ولقبه بلقب اخترعه وهو أبو الفتح الإسكندرى ، هذا هو رأيى الذى كتبته فى كتابى « أبو دلف » المطبوع فى الرياض عام ١٩٧٠ ، وسار على هذا صاحب كتاب « النماذج الإنسانية » فيما كتبه ، وقد أكدت ذلك لرأى بدليل لا يمكن تجاهله ، وهو أن صاحب « يتيمة الدهر » - الثعالبى - ذكر أن بديع الزمان أنشده لأبى دلف هذا البيت :

أويحك هذا الزمان زور
فلا يغرنك الغرور

وهذا البيت نفسه ينسبه البديع فى مقاماته لأبى الفتح الإسكندرى ، فالنتيجة إذاً هى أن أبا دلف هو أبو الفتح الإسكندرى بإقرار البديع .

- ٣ -

وأخيراً أقول : إن شخصية أبى الفتح الإسكندرى فى مقامات بديع الزمان الهمذانى شخصية معروفة ، هو أبو دلف الخزرجى [٣٠٠ - ٣٩١ هـ] الأديب والشاعر والرحالة المعروف وصاحب الرسالتين الأولى والثانية .

وهما الرسالتان اللتان سجل أبو دلف فيهما رحلاته الجغرافية المشهورة التى عنى بها المستشرقون وتحدثوا عنه وعن رحلاته وعن رسالته طويلا مما فصلته فى كتابى « أبو دلف » ، وفى كتاب آخر لى صدر بعنوان « أبو الفتح الإسكندرى بطل مقامات بديع الزمان وشخصيته المجهولة » .

والحديث عن أبى دلف طويل . فلأقف عند هذا الحد ، والله ولى التوفيق .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة

يؤبن فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

عضو المجمع

عقدت بمبنى مجمع اللغة العربية فى يوم الأربعاء الثامن من ذى القعدة ١٤١٩هـ ، ٢٤ من فبراير ١٩٩٩م جلسة علنية رأسها الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع ، لتأبين فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، حضرها السادة أعضاء المجمع ، وجمع غفير من علماء الأمة ومثقفيها ومحبى الشيخ .

وقد تحدث رئيس المجمع عن منهج الشيخ ومأثوراته ، ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد عضو المجمع عن ذكرياته مع فضيلة الإمام الراحل .

كما ألقى عدد من الشعراء بعض القصائد الشعرية ، نذكر منهم : د. محمد حامد الحضيرى من ليبيا ، أ . د . سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالأزهر ، والدكتور عصام القطقاط (صاحب القصيدة المنشورة بهذا العدد) .

كما ألقى فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية كلمة الأسرة التالية :

أما قبل فباسم الله لكل قصد ، سبحانه له أجمل الثناء وأجل الحمد وخير الصلاة وأزكى السلام على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة الله ومسك الختام .

سيادة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف - رئيس المجمع الموقر - السادة الأجلاء أعضاء المجمع أيها الحفل الكريم .

أما بعد . . . .

فمن قدر الله أن أنوب عن أسرتى آباء وإخوة وأبناء - أسرة المغفور له - بإذن الله - المرحوم بفضله ورحمته فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى -

الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع اللغوى ، وإلى اليمين فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى امين علم مجمع البحوث الإسلامية والشاعر الليبى د . محمد حامد الحضيرى وإلى اليسار فضيلة الأستاذ الدكتور محمد نايل عضو المجمع ثم الأستاذ الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالأزهر .

أنوب عنهم فى مناسبة اليوم ، ولست بهذا المقام أولهم ولا أولاهم ، وهكذا شأن اللسان : يعبر لا لأنه أشرف الأعضاء وأكرم الجوارح ، فهو إذ يقول إنما يترجم عن غيب : من عقل يفكر ، وقلب ينفعل ، وعواطف تمد ، فإذا كنت أنا اللسان فأسرتى هى اللب وهى الجنان .

وإذا كان لكل مقتضى حاله ، ولكل مقام مقاله ، فإن حال اليوم أكرم الأحوال داعيا ، وأنبل المقامات مقتضى ، وهل هناك أكرم من شكر ذوى العلم حقلا أينع ثمره وآتى أكله بحراسة صفوة عقول العرب والمسلمين والمثقفين الفاقهين أعضاء مجمع الخالدين . فمن أحق فرحا بالثمار منكم ياغارسى الأشجار ومن أولى بالبشر والحبور من ناثرى البذور ؟

وهذا الشكر والثناء أيها السادة عبادة أمرنا بها الله الذى يؤتى كل ذى فضل فضله لنمتع النفوس بآثار نعمة الله علينا وعلى الناس ، وجل القائل :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١)

(١) الأنعام ٩٩

جانب من الحضور

وأسمى ماقى هذا الموقف من معان ، وأجل ماله من ظواهر :

شعور بالنعمة وتقدير للجهود ـ وحفز للهمم إلى درك الأعلى ونوال الأكمل .

وهو عرفان بالجميل ، عرفه التفانى فى إبراز كل جليل نبيل .

وهو ثناء على الهمة ، ليتفانى الجميع فى إخلاص العمل لإسعاد الأمة .

وهو ثمن أدبى لسالف المجهودات ، وعربون روحى لحاضر الإتقان ومستقبل الأمنيات .

وهو الأمنية التى يضعها المكرَّمون بين يدى الأمة ، ليعرف أن ما يناله المكرَّمون من فضل إنما هو لما قدموه من بذل ، وهم ـ بما حازوا من تقدير ـ أسوة تهيج هواة التقصير ، فتدفع المتمهل ليعجل ، والكسول ليعمل حتى نبلغ آمالنا الجسام فى نهضة العربية وبعث مجد الإسلام .

وإن كان من احتسبناه عند الله قد نال تكريم الأمة كلها شعوبا وملوكا ورؤساء وشيوخا وأمراء أفرادا وهيئات ، فإنه اليوم يصل إلى القمة التى لا تدانيها فى دنيانا قمة ، ولا مطمح لأعلى منها إلا أن تكون بفضل الله الجنة .

أيها السادة والسيدات ، أحيى عن الجميع وعن الشيخ المرحوم ـ بإذن الله ـ وأحبابه سيادة الأستاذ الدكتور شوقى ضيف وشيخنا الأستاذ الدكتور محمد نايل ، وكل من أسهم فى هذا اللقاء فكرة وإعدادا وتنفيذا ، أو حتى فرحا وترحيبا ، وأحييكم جميعا داعيا للأمة بالنصر والتمكين .

والله يرعاكم ويرعى لكم ويوفقكم فى كل ما تأتون وكل ما تدعون .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سامى محمد متولى الشعراوى
أمين عام مجمع البحوث الإسلامية
الأزهر الشريف

من الشعراء المعاصرين

شوقى على هيكل

للأستاذ: أحمد مصطفى حافظ

منذ أيام قلائل ، فى ثالث أيام عيد الفطر الماضى ، رحل عن عالمنا الشاعر الناثر : شوقى على هيكل ، الذى كان له حضوره الملحوظ فى الساحة الأدبية القاهرية ، وارتياده ومساهمته فى العديد من الندوات الشعرية ، وبصفة خاصة بندوة العقاد الشهرية ، التى رأس مجلس إدارتها منذ أعوام ، وهو يعد من أوفى تلاميذ العقاد ، ونستطيع أن نتبين ذلك بجلاء ووضوح ، من وقفته على قبر العقاد ، وقوله :

فقدت به مثالا عبقريا ... وبين العالمين فقدت ندَّه
وقفت ـ وطيفه يبدو أمامى ـ ... وقد هزت شغاف القلب رعده

ثم يناجى القبر بوجد مذيب ، حين يقول :

ألا ياقبر .. حدِّثنا طويلا ... عن العقَاد .. كيف يقيم وحده ؟
بعيدا .. عن ديار عاش فيها ... وعن صحب له معهم موده
وعن فكر يطالعه كتابا ... وعن قلم له .. قد كان .. عدَّه

وهذه التساؤلات ، يصح أن يخاطب بها شوقى هيكل بدوره ، بعد أن اجتاز نهر الحياة ، إلى الضفة الأخرى ، التى يردد فيها هذه الضراعة للمولى ـ عز وجل ـ بقوله :

ارحم اللهم عبدا قاصدا فى الخير قصدك
ضاقت الدنيا ، فولّى يشهد الفرجة عندك
لا يرى فى العون أو فى الـ عدل والرحمة نِدّك
صادق الإيمان لايعبـ ـد إلا أنت وحدك

★★★

وقد ولد شاعرنا فى العشرين من يوليو سنة ١٩٤٢م بالقاهرة ، واستمر فى مرحلة التعليم حتى حصل على ليسانس دار العلوم سنة ١٩٦٤م ، وعمل بالتدريس فترة طويلة ، كما انتظم بسلك الضباط الاحتياطيين ، واشترك فى خوض غمار حروب : ٥ يونيو سنة ١٩٦٧م ، وحرب

الاستنزاف بكل من بورسعيد ، وبورتوفيق ، والسويس ، وفى جزيرة شدوان فى البحر الأحمر ، وحصل على نوط شدوان لبطولته وحسن بلائه ، كما شارك فى حرب العاشر من رمضان ، فهو إذن من الشعراء الفرسان ، وهو - إلى جانب ذلك عضو فى العديد من الجمعيات الأدبية ، ومنها : اتحاد الكتاب ، ونادى القصيد ، ورابطة الأدب الحديث ، وجمعية الأدب والفكر المعاصر ، كما عمل فترة سكرتيرا لتحرير مجلة عالم الفكر .

وقد بدأ تعلقه بالشعر ونظمه فى سنٍّ غضة ، جعلته ينظم وثباته الأولى فيه ، اعتبارا من الثانية عشرة من عمره ، وقد أذيع بعضها ، ونشر البعض الآخر ، ببعض المجلات الأدبية ، كالهلال والأزهر والشعر وغيرها ، ثم قام بجمع حصاد عمره فى مجال الشعر وأصدره فى دواوين شعرية تحمل أسماء : ١ - كبرياء ، ٢ - ظلال وعيون ، ٣ - رحلة إلى عينين ، ٤ - أنشودة فى وجه الريح ، هذا فضلا عن تحريره لبعض المقالات والدراسات الأدبية ، وإلقائه لمحاضرات أذيعت بمصر والجزائر أثناء عضويته للبعثة المصرية بالجزائر ، وكتب فى تاريخ ومقومات الأدب العربى ، وتحدث عن أطواره وفنونه ، وأصوله النحوية ، وفقهه اللغوى .

ومازال له تحت الطبع بعض الدواوين الشعرية .

نماذج من شعره :

استوقفتنا قصيدته : (هذه سينا) طويلا ، وَرُحْتُ أمعن النظر بين أبياتها .. وسرح بى الخيال بعيدا ، إذ تصورت الضابط المقدام الشاعر ، شوقى هيكل ، وهو فى خضم المعركة ودخانها ولظاها ، وخاصة فى حرب العاشر من رمضان ، وتوقعت أن يصور لنا تجربته الحية فى خوض غمار هذه الحرب الضروس ، مشاهدها ، وتطوراتها ، وبلائه فيها ، ومصارع الجرحى والقتلى من حوله واستبسال جنودنا الأبطال الذين أنزلوا الرعب فى قلوب الأعداء ، وهم يرددون صيحة الجهاد المدوية : (الله أكبر) .. (الله أكبر) .. ومفاجآتهم لجنود الأعداء المذعورين ، وهم يرون جنود مصر ، وهم خير أجناد الأرض فوق رءوسهم ، يحصدونهم حصدا ، ولكن .. خاب فألى ! فلم أظفر بعشر معشار ما توقعت من يراع وشاعرية شوقى هيكل (كما ذكرت له فى حينه) وشعرت بغصة أليمة ، لأنه يهتبل هذه الفرصة النادرة - ويااليتها أتيحت لى - لوصف دوران آلة الحرب بمشاهدها ووقائعها (من الداخل) وليس بالاقتصار على وصف انطباعاته عن آثارها وجوانبها الخارجية فحسب ، مهما كان نصيب هذا الوصف من الحماسة وحسن التصوير للمشاعر الذاتية ، اللذين نشهد له بهما ، كقوله :

لم تعد سيناء إلا بالفداء
فلنصنها بقلوب الأوفياء
ولنخضر أرضها : زرعا وماء
هذه الأرض رواها الشهداء
بدماء قد جرت .. بعد دماء
بذلوها .. من عروق الكبرياء

هذا كله شيء عظيم بلا شك ، ولكننا كنا ننتظر أن يتحفنا ويوافينا أيضا بملحمة كبرى عن العاشر من رمضان ، تعيد إلى الأذهان قدر المستطاع صورا من المعارك الضارية ، تماثل ملحمة (الإلياذة) لهوميروس : روعة وبسالة . . أو يجسد لنا صورا كتلك التى قرأنا مثلها كثيرا فى شعرنا العربى ، كقول شاعرنا القديم عن أحد الشهداء :

أرادوا ليخفوا القبر عن عدوه فطيب تراب القبر . . دل على القبر

وقد أبديت كافة ما تقدم لشاعرنا شوقى هيكل - رحمه الله - بصدق وإخلاص ، لأننى أعتقد أن طاقته الشعرية قادرة على إنجاز هذه الملحمة ، بعد استرجاعها بمخيلته ، ومعايشته لذكرياتها بريث وتدبر واستحضار . . فتحمس كثيرا للأمر ، ووعد بأن يبذل أقصى الجهد لتحقيق ما تمنيته عليه منذ سنوات . . وعسى أن يكون قد أنجز المطلوب ، فيما خلفه وراءه من مسودات العديد من القصائد التى لم تنشر بعد .

★★★

هذا ، وقد ألهمته الفترة التى عمل فيها بالجزائر - أرض المليون شهيد - أن يعيش تجربتها الرائعة ، وجهادها الشاق الطويل .

وقد وفق شوقى هيكل إلى تصوير مراحل كفاحها المرير ، الذى لم يشهده عن كثب ، ورغم ذلك ، يبدو وكأنه قد خاض غماره بالفعل ، حين يقول عن الاستعمار الفرنسى ، إنه قد :

هبت عليه كتائب التحرير تعصف كالدمار فمزقته شقاقا
فى سرعة كالريح خف رجالها وكأنهم ركبوا إليه براقا !

ويصف حال الشعب الجزائرى ، وهو :

يبنى ويعلى للحضارة ركنها ويحيل آثار الدجى إشراقا
ويقيم صرح ثقافة عربية لغة وفكرا ساميا خلاقا

★★★

ثم يضفى علينا الشاعر شوقى هيكل ، هالة من البهجة والحبور ، حينما يشدنا إليه ، ويجعلنا معه - بأحاسيسنا ومشاعرنا الأبوية ، بقصيدتيه : (إلى وليدى) ، و (بنيتى) ، اللتين يبلغ فيهما حد الروعة فى دقة الوصف والتعبير الفياض بشعر البنوّة الذى أبدعه شعراء الإنسانية فى شتى عصورها ، خذ مثلا قول الشاعر الفرنسى الكبير عن إطلالة الطفولة - الذى ترجمناه شعرا من الفرنسية إلى العربية :

صفق الأهل فى اصطخاب شديد عند إطلالة الوليد الجديد
وتبدت أعتى الجباه . . عبوسا بتلاشى التقطيب والتجعيد
رؤية الطفل طافرا بسرور حققت يوم بهجة وسعود

إلى أن يقول :

أيها الطفل ، ياوديعا ، تبدّى أشقر الشعر ، كالأقاح النضيد
فى رواء ، وهالة من نضار وابتسام مشعشع فى الوجود

فى خـيـالاتـه الـعـذوبـة تسرى مـلء صـوت مـنـغـم الـترديـد
رحت تهفـو بـلثغـة .. لحـديـث مسـتـطاب .. ولم تـزل فى المـهـود

ويقول فى ختام القصيدة :

يـاإلهى .. ولا أرى الصيف صيفـا دون روض مـنـضـد بـورود
دون دوح[1] مشقـشق فى أصيـل بـالعـصـافير مـلء رحـب نجـود
لا أرى الدار ـ قد خلت من صغار ـ لـو بقصر ـ إلا .. كقفـر البيـد

وبعد ذلك لنستمع إلى قول هيكل يناجى وليده بتوق ، قائلا :

وضـعـتـك فى مـهـادك يـاولـيـدى وحـبـك قـد تـوسـد فى جـنـانى
ظـللت إلى جـوارك فى خـشـوع وكـل فـرحـة غـمـرت كـيـانى
وأنـت تـطل بـالـنـظرات سـهـوا كـأنـك ـ فى ابتهـاجى ـ قـد تـرانى
وكـل الأهـل حـولـك فى سرور يـشـار إلى مـنـهـم بـالـبـنـان

وكيف لا يشيرون إليه بالبنان ، وقد أنجب الطفل الذى :

أرقِّـصـه عـلى دقـات قـلـبى وأقـفـز لـيس يحـمـلنى مـكـانى
فـقـامـت أمـه تـلـقـاه مـنى وقـد خشيت عليـه من افتتـانى
.. لـقـد حملتـه وابتعـدت قليـلا لـترضعـه .. بـرفق .. واحتـضـان

ويستطرد الشاعرفى فلذة أخرى من القصيدة ، مصورا دلال الطفولة الفطرى مع أمه أثناء فترة الرضاعة ، فيقول :

تـعـلمـه الـرضـاعـة وهـى نـشـوى وقـد فـاضـت بـعـيـنـيـهـا المسره
تـلاطـفـه وتـغـريـه فـيـأبى ويـقـبـل مـرة مـن بـعـد مـره
فـيرضـع بـعـد منتشـيا هـنـيـئا ويـرشـف قـطرة من بـعـد قـطره
كـعـصـفـور تـلـقط بـعض حـب ويـنـقـر نـقـرة من بـعـد نقـره
ويـرفـع رأسـه فـيـلـوح وجـه نـدى الـثـغـر ، مـا أحـلى ثـغـره !

وهكذا استنفد الشاعر شوقى هيكل كل ضروب الوصف والتصوير ، للطفل فى المهد ، مفصلا ما أجمله (هيجو) فى شعر الطفولة ، وذكرنا بما أبدعته الشاعرة الكبيرة نجاة شاور ربيع ، فى نجوى طفلتها ، بقولها :

يـاطفـلتى أحـبـبـت كـل طـفـولـة وعـشقت كـل صـغـيرة مـكـحـولـه
وأراك فى غـدك الـقـريـب جمـيـلة وأراك فى روض الحـيـاة خمـيـلـه
وإذا نـظرت إلى شـبـاب بـاسـم خلت الـضـفـائـر غـنـوة مجـدولـه

رحم الله شاعرنا شوقى هيكل رحمة واسعة ، وألهم الأوفياء المنصفين ، المبادرة على نشر مالم ينشر بعد من آثاره القلمية .

---

(1) استخدمنا لفظة (دوح) بدلا من القفاص التى استخدمها (هيجو) لانها الادل على المضمون فى السياق ، ولان : القيد قيد .. ولو قد صيغ من ذهب .

خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب

لقد شرف الله البيت الحرام بامرين ، الأول هو : وجوب حجه على المسلم المستطيع ، والثانى هو : وجوب التوجه إليه فى الصلوات كلها ، فرضها ونفلها ، وامر خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وجعله مثابة للناس وامناً ، فهم يؤمونه من شتى البلاد والبقاع ويثوبون إليه المرة بعد المرة ، وكيف لا ، وقد غرس الله محبة بيته العتيق فى نفوس عباده وقلوبهم ، فهم لايملون من قصده والرجوع إليه ، فمازال الناس يحجون إليه من لدن إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى ما شاء الله .

وخميلة الشعر ، تتوجه إلى جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها باجمل التهانى بمناسبة موسم الحج ، وبعيد الأضحى المبارك .

ونسال الله سبحانه وتعالى . ان يعيده على امة الإسلام بالعزة والسلام ، وان يعود المسجد الأقصى (ثالث الحرمين) إلى احضان الأمة الإسلامية ، بعد طول غياب .

ونستهل هذا العدد بقصيدة معبرة بعنوان : « اماه » يقدم لنا فيها الشاعر / محمد إبراهيم العشملوى ، عصارة فؤاده ورحيق تجربته الأليمة بعد فقد احب الناس إليه ... الا وهى : امه وبعدها نقدم قصيدة : « فى موكب الحج » للشاعر الشرقاوى / محمد على جمعة الشايب الذى يعبر من خلال ابياته الرصينة المعبرة عن احاسيسه الفياضة تجاه مناسك الحج ، واصفا لها باسلوبه المتألق الجزل .

ولأول مرة يشارك الشاعر الكبير / إبراهيم خليل إبراهيم إخوته .. شعراء الأزهر بقصيدته (رسالة إلى السماء) التى تعبر عن مشاعره الإيمانية الصادقة ، تجاه الكعبة المباركة ، فمرحبا به .

وبعد ذلك نقدم قصيدة رقيقة للشاعر عزت سعد الدين بعنوان : (مناجاة) ، ويعتبر من خلال ابياتها عن صادق حسه الإيمانى العميق ، ونختتم جولتنا فى خميلة الشعر ، هذا العدد بقصيدة بعنوان : (اول عيد) .

للشاعر د . عصام محمد القطقاط ، وفيها يشكو بثه لفراق إمام الدعاة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ـ رحمه الله ـ

والله ولى التوفيق .

أُمَّاه !!

للأستاذ : محمد إبراهيم العشماوى

ذاقت من الآلام ماذاقت وأجهدها البلاء
وحوادث الأيام لا تدع الرجال ولا النساء
وسوابق الأقدار تفعل فى البرية ما تشاء
واليوم باتت فى الفراش هناك تشكو كل داء
هذى عقاقير الطبيب ، ومنك يارب الشفاء

فلتستجب رب الدعاء

أماه قد باتت من الخفقات أجنحتى مهيضه
أين احتفاؤك بالضيوف وأنت يا أمى مريضه ؟
أين احتواؤك بالرضا ؟ أين ابتسامتك العريضه ؟
أين ابتهاجك بالفريضة إذ تؤدين الفريضه ؟
فليترك الشعراء قول الشعر وليدعوا قريضه

فلربما نفع البكاء

وهناك تنصدع القلوب ، وتهزم النفس القويه
وتهون ساعتها الخطوب ، وتسقط الهمم الفتيه
أمى : ستفنينى الحروب ، الضاريات الداخليه
أرجوك يا أمى : أئوب ، فلم تعد منى بقيه
ودعتها وأنا أذوب ، وهذه الأشواق حيه
والله يفعل ما يشاء

رسالة إلى السماء

للأستاذ: إبراهيم خليل إبراهيم

هفا القلب للكعبة النيره ... وزمزم والصحبة المؤثره
أليك يا من برأت الحياة ... ومن خلق المرء أو أقبره
فعلم فؤادى سر الوجود ... وعظنى بالموت أن أذكره
فأطوى بحمدك بعد الطريق ... وسبحانك أنت الذى يسره

***

إلى (عرفات) هفا صاديا ... وصحراؤه أنجبت واديا
فألهث خلف الفؤاد الطليق ... وخطوى يغالب أحماليا
فخذ بيدى لعلى أطير ... وأغسل بالنور أدرانيا
تباركت يارب من راحمٍ ... لوجهك أسعى .. فكن هاديا

***

أتوق .. وأنهل من عبرتى ... رحيق اشتياقى إلى الكعبة
إذا تهت عنك فأنت الملاذ ... ومن لى سوى الله فى الغربة
وإن غيبتنى خيوط الظلام ... أفاقت بذكرك غيبوبتى
فبلل شرايين هذا الفؤاد ... لك الأمر ماشئت فى مهجتى

***

فى موكب الحج

للأستاذ: محمد على جمعة الشايب

من بسمة النور فى أنفاس إيمان ∴ صفت القوافى تاجاً فوق أوزان
وشدنى البيت من طهر عباءته ∴ والكعبة انتقبت فى قدس أردان
وهزنى طيف «إبراهيم» مجتهداً ∴ ليرفع البيت ... يرسى خير بنيان
وابنه البر «إسماعيل» طلعته ∴ عزم النبيين ... لاواهٍ، ولا وان
يعلى بناءً تسامى إن بنى حجراً ∴ بنى لدين الإله خير أركان
والأفق من نشوة صافٍ وتزحمه ∴ ملائك الله غنت رجع ألحان
يباركون حجيج الله تسبقهم ∴ من الإله تباشير برضوان
ما عادت الأرض أرضاً مثلما عهدت ∴ ولا الرمال بدت أشلاء كثبان
وإنما كل شىء كدت أسمعه ∴ يسبح الله فى شكرٍ وعرفان
فما الجبال ثياب الليل تخلعها ∴ لتلبس الصبح فى استحياء عريان
فى الليل صامتة - فى الصبح صامتة ∴ خرساء نطقاً ولكن صمت رهبان
فى موكب الحج ما عادت بصامته ∴ أحجارها نطقت فى خير تبيان

وهل تطيق اصطباراً وهى قد طربت ∴ من لحن تلبيـة يسرى بـأكـوان
أما رأت « عرفات » فوقـه هبطت ∴ « بيض الحمائم » تشدو لحن إيمـان
تشدو « بلبيك » والدمع العزيز هما ∴ يرجو من الله أن يحظى بغفران
نسوا الديار على حب وقد شغلوا ∴ عنهـا بحب عـظيم التـوب منـان
تذكروا يوم جمع الحشر فـانهمرت ∴ دمـوعهم تـتـداعى مثـل طـوفـان
يرجون غسل ذنوب ماسعوا أبـداً ∴ لهـا ولكن أتت من غير حسبـان
إبليس جـاء إليـهم فى مـعيتهـا ∴ فـزانها بـأكـاذيـب وبهـتـان
أمـا لآدم فى الجـنـات بـادره ∴ بـوسـوسـات فـأغـراه بعصيـان
فـخـر آدم من جنـاتـه أسفـاً ∴ دمـوعـه نـدم فى وخـز حـرمـان
إن الحجيج إذا ما أفرغوا غضباً ∴ حصى الجبـال على رجم لشيطان
لم يبلغوا بعض مكنون العداء له ∴ وإن يك الرجم من أحجار نيران
يـامن يـظل حجيجاً ظـل رحمتـه ∴ وهم بـه بين إنعـام وشكـران
جمعتهم حـول بيت طـائفين كـما ∴ طـافت بعـرشـك أمـلاك بـإذعـان
يـارب وحد جميـع المسلمين عـلى ∴ نصر لـديـن وإعـلاء لأوطـان
وحـدهمو لـيرى الإسـلام مـرتفعـاً ∴ رايـاتـه أشرقت من نـور قـرآن
فكم تـربص بـالإسـلام شـانئـه ∴ ببسمـة فجـرت من نـاب ثعبـان

مُناجاة

للأستاذ: عزت سعد الدين

رباه إنى قد لجأت لبابك   متذللاً أرنو لنور رحابك
قد حملت أمارق بذنوبها   يا سوأتى مما حملت لبابك
فالعين تسخو بالدموع سخينة   قد جمعت بحراً على أعتابك
والقلب يخفق بالدعاء ضراعةً   متودداً ربى لنيل ثوابك

★★

رباه عفوك إن نظرت لمذنب   قد هده علم له بعقابك
فلطالما بت الليالى ساهراً   قد همنى ذكرى ليوم حسابك
ولكم دعوتك خفية أو جهرةً   متشوقاً ربى لحسن جوابك
ولئن عصيتك دون علم إننى   لك راجع متقرب بكتابك
فالخير كل الخير منكم يرتجى   والذل كل الذل فى إغضابك

★★

مولاى إنى قد أتيتك تائباً   متضرعاً أهفو إلى ترحابك
ولئن عطفت على العبيد بنظرةٍ   وتخذته رباه من أحبابك
وعفوت عن زلاته ورحمته   فى يوم عطفك من سعير عذابك
فلأنت أكرم من ألوذ بجاهه   وعطاك أسخى من عطاء سحابك
فلتسقنى من عذب قربك سيدى   لأظل دوماً ظامئاً لشرابك
ولقد وقفت ببابكم مستعطفاً   فلترفعن عنى سدول حجابك

★★★

أولُ عيدٍ

شــــوال ١٤١٩

شعر: دكتور عصام محمد القطقاط

إماماً أتينا مفعمين فهل نفضى ... أم البوح من بعد العتاب فنسترضى
لكهف هرعنا مدلجين فعمنا ... بنورٍ وعطرٍ مشرقٍ دائم الومض
بكينا لعل الدمع يذهب حرها ... فزاد الجوى ما كان بالصدر من رمض
نزلت بساحٍ فى الجنان ببرزخٍ ... ترى مقعداً فى جنة الخلد ... فى الروض

●●●

وتقرأ قرآناً ، وتلقى خواطراً ... أتينك إلهاماً من الله ذى الفيض
تمسكت بالغراء فى كل موضع ... ونافحت عن صحب ودينٍ بمنقض
شفيع لكم حب الإله وفضله ... وطول سجودٍ منك فى النفل والفرض
جزاكم إلهى عن شبابٍ وشيبةٍ ... أحبوكمو فى الله ... والناشىء الغض

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

٢

التقوى في القرآن الكريم

لفضيلة الإمام
الشيخ محمود شلتوت

للأستاذ: عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وقد رأينا من المفسرين من يبين معنى التقوى الواردة فى القرآن الكريم بحسب المقام الذى سيقت فيه ، فيفسرها فى قوله تعالى مثلاً :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾(١)

الواردة فى أول سورة النساء . وقوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ ﴾(٢)

بخشية الله والخوف منه . وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾(٣)

وقوله :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٤)

يفسرها بالتوحيد . وفى قوله :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ ﴾(٥)

يفسرها بالتوبة عن المعاصى . وفى قوله :

﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾(٦)

---

(١) سورة النساء : ١ .
(٢) سورة الحج : ١ .
(٣) سورة الفتح : ٢٦ .
(٤) سورة الحجرات : ٣ .
(٥) سورة الأعراف : ٩٦ .
(٦) سورة النحل : ٢ .

يفسرها بالطاعة . وفى قوله :
﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾(٧)

يفسرها بترك المعصية . وهكذا حتى ظن أن للتقوى معانى متعددة يختلف بعضها عن بعض ، وأنها من قبيل المشترك اللفظى الذى يتحد لفظه ويتعدد وضعه ومعناه . والواقع أن مسلك السلف فى الإرشاد ، ومسلك المفسرين فى التفسير ، لا يعدو أن يكون أساسه ؛ إما مجاراة الأحوال ، أو مجاراة السياق ، وليس من مقصودهم جميعا أن يحددوا بهذه العبارات الخاصة المعنى الكلى بكلمة « تقوى » الذى تدل عليه بوضعها وأصل اشتقاقها لأنهم إنما يرمون عن قوس الإرشاد إلى التحلية العملية ، والتناسب فى السياق ، وليس من هدفهم التعليم العلمى بعرض الجزئيات فى ثوبها الكلى العام ، ومع ذلك فإننا لو وضعنا هذه المعانى الجزئية التى تمليها الأحوال ، إلى رجال التصفية والتهذيب ، أو يميلها السياق إلى رجال التفسير ، لو وضعناها فى صعيد واحد ونسبنا بعضها إلى بعض ، لوجدناها متعانقة متلازمة . لا يستقل واحد منها عن صاحبه ، ولا يغنى أحدها عن الآخر ؛ فالتوحيد أصل ، وخشية الله أثره ، وآية الصدق فيه . والتوبة عن المعاصى من لوازم الخشية وتوابعها ، والمعصية يأباها الإيمان . وهذا هو سبيل تلاقى الجزئيات التى فسرت بها التقوى فى عبارات القوم وعبارات المفسرين ، ذلك أن التقوى فى أصل معناها جعل النفس فى وقاية ، ولا تجعل النفس فى وقاية إلا بالنسبة لما يخاف ، فالخوف أصلها ، وهى ثمرته ، والخوف يستدعى العلم بالمخوف ، والمخوف إما العذاب ، وإما المعذب ، ومن هنا كان الذى يعلم الله ، هو الذى يخشاه ، وكان الذى يخشاه هو الذى يتقيه ، فلا تقوى حيث لا خشية ، ولا خشية حيث لا علم ، ومن عرف الله وآمن بقدرته القاهرة وعلمه المحيط ، وسلطانه النافذ ، وشرعه الحكيم ، تمثل عظمته فى كل شىء وخاف سطوته فى كل شىء ، واتقاه فى كل شىء ، وإذن فالتقوى هى صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذى سواء أكان متصلا بالنفس أم بالنوع ، أو بالخلق كله ، وعن كل ما يحول بين الإنسان والغايات النبيلة التى بها كماله فى جسمه وروحه ، وفرده وجماعته ، وفى دنياه وأخراه ، وبعبارة أخرى هى تحصين النفس من كل ما يعرضها للنقص الإنسانى ، أو الدينى ، أو الاجتماعى .

ولعل أول مظهر من مظاهر التقوى ، أرشد الله إليه فيما افتتح به سورة البقرة ، وهو أن التقوى كانت سببا لاختصاص المتقين بهداية القرآن والانتفاع به ، ذلك أنهم حصنوا أنفسهم من الأسباب التى تفسد على الإنسان فطرته ، وتجعله لا يؤمن إلا بالمحس المشاهد ، وتجعله مقطوع الصلة عن مصدر الخير الدائم الباقى ، كما تجعله فظا غليظ القلب ، متحجر الوجدان ، لا تهزه رحمة ، ولا تدفعه إلى المعونة عاطفة ، وتجعله ذا عصبية تحول بينه وبين الاعتراف بالحق والتمتع بالخير إذا لم يجر على لسانه وجرى على

(٧) سورة البقرة : ١٨٩ .

لسان غيره ، أو لم ينزل من سمائه ونزل من سماء غيره ، واقرأ فى ذلك متدبرا قوله - تعالى - :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾(٨)

اقرأ هذا لتعلم أن من عصم فطرته من تسلط المادة المظلمة عليها ، ومن قسوة القلب على أخيه المحتاج ، ومن العصبية الفاسدة لما ورث ، هو المتقى عند الله ، وأن تقواه هذه هى التى ترفعه إلى مكانة الانتفاع بالكتاب ، والتغذية من أحكامه ، وإيمانه حق يصل به إلى أقصى درجات الفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٩)

وكما خلع الله على هؤلاء الذين حصنوا أنفسهم من تلك العلل ، عنوان المتقين ، نراه فى آيات أخرى قد خلع عليهم عنوانى العلم المطلق ، والإيمان الكامل وجعل القرآن لهم تذكرة ، كما جعله لهم هدى وشفاء .

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦ ﴾(١٠)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩ ﴾(١١)

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾(١٢)

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨ ﴾(١٣)

وبينما نراه يخلع ذلك على المتقين الذين لم يدنسوا فطرهم بتلك العلل التى تبعد الناس عن الخير وإدراك الحق ، نراه يخلع غير ذلك على آخرين ، فسدت فطرهم ببيئات الشر وموروثات الفساد وأوهام الضلال ، وعصبيات الجهل ، فلم يعرفوا الحق ولم يؤمنوا به ؛ بل عاندوا ولجوا فى العناد وأخذوا يحاربون الله فى السر والعلن ، نراه يخلع عليهم أن القرآن عليهم عمى وأنه لا يزيدهم إلا تبارا ، وأنهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ ﴾(١٤)

ويضع فى مستوى هؤلاء طائفة أخرى فسد باطنها كما فسد باطنهم ، ولبسوا فى ظاهرهم للمؤمنين ثوب الخداع والزور ، فقالوا كلمة التوحيد كما يقولون ، وصلوا كما يصلون ، واهتم القرآن بالحديث عنهم فعرّف عن خلالهم ، وصور كثيرا من نياتهم ، وضرب الأمثال فى شرح حالهم وعاقبة أمرهم .

---

(٨) سورة البقرة : ٢ - ٤ .
(٩) سورة البقرة : ٥ .
(١٠) سورة سبا : ٦ .
(١١) سورة الإسراء : ١٠٧ - ١٠٩ .
(١٢) سورة فصلت : ٤٤ .
(١٣) سورة الحاقة : ٤٨ .
(١٤) سورة البقرة : ٦ .

هؤلاء هم الكافرون وهؤلاء هم المنافقون ، قد اشترى الفريقان الضلالة بالهدى ، ودنسوا نفوسهم فعمى الحق عليهم ولم يهتدوا بما أنزل الله لهم وبعث به الرسل إليهم وصاروا إلى مآل سيىء .

أما المتقون الذين حافظوا على ما منحوا من فطر سليمة ، ونعم ظاهرة وباطنة حتى انتفعوا بهداية الله ، ووضعوا كل نعمة فى موضعها ، وسلكوا بأنفسهم وبنى جنسهم سبيل الله الذى رسمه بسننه الكونية وأحكامه الشرعية ، أما هؤلاء فقد ظفروا بمكانة السمو الإنسانى ، ودرجة الفلاح عند الله ، وأناروا بما يسر لهم من وسائل الخير العام سبيل الحق والهدى لخلق الله فعصموا الناس كما عصموا أنفسهم من علل العقيدة ، ومن علل الأخلاق ، ومن علل الأعمال ووجهوهم فى كل ذلك إلى لب الحياة وسر الوجود ، وكانت التقوى لهم نورا به يهتدون وبه يهدون ، وقوة بها ينصرون ، ومعارج عليها يصعدون ، وذلك هو ما وعد الله به فى قوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾(١٥)

فنور التقوى هو ذلكم الفرقان الذى جعله الله ثمرتها ، وجعل فيه جزاء المتقين ، والفرقان ما يفرق به بين الشيئين أو الأشياء ، وفسره بعض السلف بنور البصيرة الذى يفرق بين الحق والباطل ، والحجة والشبهة . وفسره آخرون : بالنجاة من الشدائد ، أو النصر الذى يفرق بين ما يعز وما يذل ، وكلا التفسيرين قصد إلى البيان بالجزئيات ، كما هى سنتهم فى البيان والإرشاد ، والواقع أن الفرقان ، منه علمى ، وهو نور ، أو ملكة ، يفرق بها بين الحق والباطل ، والنور والظلمة ، والحجة والشبهة . ومنه عملى ، وهو ثمرة العلمى وهو يرجع إلى الفصل بين ما ينبغى فعله وما يجب تركه فى سبيل العزة والنجاة من الشدائد ، والحصول على الرغائب .

وانظر كم يتطلب الفرقان بنوعيه من دراسات وتفقه ، وتدريب على الفضائل ، وبحث عن السنن والأسرار .

وإذا حصلت على هذه الدراسات ، وشعرت من نفسك بهذا الفرقان ، فاعلم أنك قد منحت درجة المتقين :

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(١٦)

هذه هى التقوى فى القرآن الكريم ، وهذه ثمرتها فى الأفراد والجماعات ، ولو أن الناس عرفوها حق المعرفة ، وقاموا بواجبها وحقها لسكت الغضب عن العالم ، وانطفأت ثورة الشر التى ألهبت جوانحه وأقضت مضاجعه ، وكادت تقضى على حكمة الله فى خلق الإنسان .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(١٧)

---

(١٥) سورة الأنفال : ٢٩ .
(١٦) سورة النحل : ٣٢ .
(١٧) سورة آل عمران : ٨ .

أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى

(٢)

تنقيح المناظر

للأستاذ الدكتور:
أحمد فؤاد باشا

كتاب « تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر » لكمال الدين أبى الحسن الفارسى يعتبر من الذخائر النفيسة فى التراث العلمى الإسلامى ؛ ذلك لأنه شرح وإيضاح وإضافة لكتاب « المناظر » الذى صنفه الحسن بن الهيثم واعتبره المؤرخون أساساً لعلم البصريات الحديث[١]

مؤلف « تنقيح المناظر »

هو كمال الدين أبو الحسن الفارسى الذى عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجرى ، وعاصر قطب الدين محمود بن مسعود ابن مصلح الشيرازى المتوفى عام ٧١٠ هجرية (١٣١١ ميلادية) . ولم يصلنا من أخبار الفارسى غير القليل الذى أمكن استنباطه من كتابه ، فقد كان من تلاميذ قطب الدين الشيرازى ، وأدخل فى كتابه بحوث أستاذه فى تعليل ظاهرة قوس الألوان . والحق أن الفارسى لا يضيره فى شىء أنه لم يؤت سعة من الشهرة ونباهة الذكر ، وحسبه أن يعرف بكتابه هذا الذى حفظ مقالات ابن الهيثم فى المناظر والمرايا وزاد عليها مازاد من اللواحق المفيدة[٢] .

ويحدثنا الفارسى فى مقدمة كتابه أنه شغف منذ

---

(١) كتاب « تنقيح المناظر لذوى الابصار والبصائر » كمال الدين ابو الحسن الفارسى ، الجزء الأول ، تحقيق وتقديم مصطفى حجازى ، مراجعة دكتور محمود مختار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

شبابه بالعلوم العقلية . وصرف همته إلى طلبها ، وانتهى به المطاف إلى القطب الشيرازى الذى حصل على كتاب « المناظر » بخط ابن الهيثم ، وطلب منه اختصاره ، فاستجاب الفارسى وقام بما ندب له على الوجه الأكمل ، وصنف لنا كتابه « تنقيح المناظر » .

محتويات « تنقيح المناظر »

يسرد الفارسى فى مقدمة كتابه موضوعات كتاب « المناظر » لابن الهيثم ، ثم يذكر ما أضافه إليه من : خاتمة ، وذيل ، ولواحق ، فيقول : « إن ابن الهيثم ـ رحمه الله ـ قد جعل كتابه سبع مقالات :

الأولى : فى كيفية الإبصار فى الجملة .

الثانية : فى تفصيل المعانى التى يدركها البصر ، وعللها ، وكيفية إدراكها .

الثالثة : فى أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة وعللها .

الرابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعكاس عن الأجسام الصقيلة .

الخامسة : فى مواضع الخيالات : وهى الصور التى ترى فى الأجسام الصقيلة .

السادسة : فى أغلاط البصر فيما يدركه بالانعكاس وعللها .

السابعة : فى كيفية إدراك البصر بالانعطاف من وراء الأجسام المشفة المخالفة الشفيف لشفيف الهواء .

وقد أضفنا إليها بعد تمامها : خاتمة وذيلا ولواحق .

أما الخاتمة : فتشتمل على مباحث الانعطاف إتماماً لما ذكر فى المقالة السابعة ، وأما الذيل . ففى أسباب القوس (أى قوس الألوان المعروف باسم قوس قزح) والهالة ، ويشتمل على تلخيص مقالة ابن الهيثم فيهما . وما يرد عليها ، وعلى تلخيص ما ذكر فى الشفاء (لابن سينا) فيهما مع ما يرد عليه ، ثم على فصول سبعة :

الأول : فى أمر الكرة المحرقة

الثانى : فى حالة رؤية المبصرات بتوسط الكرة المشفة واحدة ، وثنتين ، وأكثر .

الثالث : فى كيفية تولد الألوان .

الرابع : فى سبب التقازيح .

الخامس : فى كيفية حدوث القوس .

السادس : فى كيفية حدوث الهالة ذات التقازيح .

السابع : فى كيفية حدوث الهالة البيضاء .

وأما اللواحق : فتشتمل على تلخيص ثلاث مقالات له (أى لابن الهيثم) أيضا هى :

مقالة الإظلال .

ومقالة صورة الكسوف .

ومقالة الضوء . . . »

منهج الفارسى فى « تنقيح المناظر » :

أبقى الفارسى فى « التنقيح » على نفس عناوين المقالات والفصول التى جاءت فى « المناظر » لابن الهيثم ، ولكنه خالفه فى أسلوب الإيراد وطريقة العرض ، فرأى أن يقسم كل مقالة إلى فصول ، والفصل إلى عدة مباحث سماها « مقاصد » ، وبنى كل مقصد على أساس قانون سماه « مقدمة » ، أو

« حكما » ، وأردف الكثير منها بمسائل أو تطبيقات سماها « لطائف » أو « اعتبارات » ، أو « تمثيلا » .

ودرج الفارسى على أن يورد عبارات ابن الهيثم مسبوقة بكلمة « قال » ويعقب عليها شارحاً أو معلقا ، موافقاً أو مخالفا ، فيقدم بذلك بكلمة « أقول » أو « قلنا » أو « نقول » . كذلك حرص على ذكر من نقل عنهم كأن يقول : « قال ابن قف المسيحى » ، أو يكنى عنهم بشهرتهم ، أو باسم المصدر الذى نقل عنه ، كأن يقول : « قال الشيخ » ، أو « قال الشيخ فى الشفاء » يعنى بذلك الشيخ الرئيس ابن سينا ، أو يقول : « قال صاحب المعالجات ، يعنى الطبرى ، أو « قال القرشى » يعنى ابن النفيس - وأحيانا يكتفى الفارسى بذكر الكتاب الذى نقل عنه لشهرته عن مؤلفه ، كأن يقول : « وفى القانون » أو « وفى الشفاء » أو « وفى الذخيرة » فالعالمون يعرفون أن القانون والشفاء لابن سينا ، وأن الذخيرة لثابت ابن قرة الحرانى . وإن دل هذا كله على شىء فإنما يدل على التزام الفارسى أمانة النقل عن غيره ، وحرصه على تمييز كلامه من كلامهم .

بل إن صاحب التنقيح كان مدركا وواعيا لما كتبه ابن الهيثم فى « المناظر » ومن ثم فإنه حرص على بيان سبب معالجته لقضايا علم البصريات بأسلوبه الخاص . فيقول : « ولما كان كلامه (يعنى ابن الهيثم) فى كل فصل ، وإن كان يتوجه نحو مقاصد متميزة مرسلا إرسال قصةلايتميزفيها أول من آخر ، رأيت أن أرقم كل مسألة بقصد تحريرها ، برقم عددها لتمييزها عما عداها ، فيصيرها - يعنى هذا التمييز - مباحث محدودة ، ومقاصد معدودة ، كما هو معهود من كتب التعليم ، ومالم يكن منها فترجمتها (أى جعلت لها عنوانا) بما يناسبها ، كتمثيل (ويعنى به التجربة العملية) ، وحاصل وتنبيه وغير ذلك ، وربما كان التنبيه تنبيها على مقصد أيضا ، والحاصل حاصل مقصد أو مقاصد . . » .

وقد استعان الفارسى بالرسوم والأشكال التوضيحية التى تعين على فهم ما يذكره من المسائل المختلفة ، فاشتمل كتابه على نحو عشرين ومائتين رسماً أو شكلا ، كما حرص على إيراد الكثير من الأمثلة والمسائل تطبيقا على ما يذكره من نظريات وقوانين .

مقابلات بين « المناظر » و« التنقيح » :

ربما يعتقد البعض أن كتاب « تنقيح المناظر » لكمال الدين الفارسى هو تكرار لكتاب « المناظر » لابن الهيثم ، أو أنه على الأقل يمكن أن يصلح بديلاً عنه لكن هذا الاعتقاد فيه تجاوز للحقيقة ، فالكتابان مختلفان من حيث المحتوى والأسلوب ، برغم اتفاقهما فى موضوع البحث . . والكثير من تعليقات الفارسى يعتبر إضافة واستكمالاً لكتاب المناظر ، بعد فترة امتدت إلى نحو ثلثمائة عام ، وهى فترة كفيلة بأن يتغير فيها الأسلوب والمضمون بما يتفق مع طبيعة التقدم العلمى ويستلزم الكثير من التنقيح .

وفيما يلى بعض الأمثلة المقتبسة من كتاب « تنقيح المناظر » لبيان استدراك الفارسى على ابن الهيثم أو نقده لبعض آراء من سبقه من العلماء :

١ - « وقد اعتقد قوم أن اللون لا حقيقة له ،

وأنه شيء يعرض بين البصر والضوء ، كما تعرض التقازيح .

أقول : هذه اللفظة مأخوذة من قوس قزح ، ومعناها الألوان المختلفة المتجاورة من : الزرقة ، والخضرة ، والصفرة ، والحمرة ، مثل ما يتراءى للبصر من التطويس (أى التزيين) فى بعض الرياش والأوراق الخضر ، وغيرهما عند إشراق ضوء قوى عليها » .

٢ - « قال (أى ابن الهيثم) : وليس الأمر على ما اعتقدوه ، فإن التقازيح إنما تكون بالانعكاس ، والانعكاس لايكون إلا من موضع مخصوص ، والتقازيح التى تظهر فى بعض أرياش الحيوانات إنما هى انعكاس الأضواء عن سطوح تلك الأرياش ، ولذلك تختلف صورها بحسب اختلاف الأضواء .

أقول : التقازيح كما قد تحدث بالانعكاس فإنها تحدث بالانعطاف (أى الانكسار) ، والانعطاف أشد تأثيرا فى حدوثها ، وظاهر كلامه (يقصد ابن الهيثم) يدل على أنها تتوقف على الانعكاس ، وتحقيق الأمر فيها قد تضمنه ذيل الكتاب » .

٣ - « قال (يقصد ابن الهيثم) : وهذه صورة العينين .

أقول : ولما انتهيت إلى هذا الموضع من الكتاب طمحت نفسى ، إلى إتمام مباحث تشريح العين ، إذ كان شربى منه نشحاً دون النهل ، ومقامى فيه سفحاً دون القلل ، فنظرت فى كتب أئمة الطب ، وجمعت ما وجدته فيها ، ورتبته ، وألحقته بهذا الفصل ، وكفيت بذلك مؤونة ما قاسيته من الطلب عمن اهتم بذلك اهتمامى ، فعسى أن تعينه هذه الجملة عن المفصلات .

وهكذا نجد أن الأسلوب الذى اتبعه كمال الدين الفارسى فى عرضه ونقده يعكس ما اتسم به علماء الحضارة الإسلامية من اهتمام بعلم البصريات وإصرار على تطويره ، وحرص على تقبل الآراء النقدية والمعالجات الموضوعية فى إطار من الاحترام والتقدير لآراء الآخرين بصرف النظر عن صوابها أو خطئها .

وقد كان لآراء ابن الهيثم والفارسى فى مجال البصريات آثار واضحة على من جاء بعدهما ، خاصة علماء الغرب أمثال بيكون الأيرلندى الذى اهتم بدراسة العدسات ومهد لفكرة تركيب المقراب (التلسكوب) وفيكو البولندى ، وبلابورتا الإيطالى ، وغيرهم .

من خزائن الشتاء

الدب القطبى

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير

الدب القارى الصغير ، وهو طبعا بخلاف الدببة العادية ، يظل مختفيا عبر أيام شتاء القارة القطبية المتجمدة الطويل ، ثم ما يلبث أن يعود للحياة ، لدى حلول فصل الصيف بشمسه الدافئة ، ونسيمه الرطب العليل .

وهو دب صغير ليس اسمه كرسمه قد تناهى فى صغر حجمه ، وحتى يكون الأمر أكثر وضوحا ، نتجه إلى القارة القطبية المتجمدة حيث الزمان ، أوائل أيام الصيف ، والشمس أخذت تلوح فى الأفق على استحياء ، لا يكاد يحس بها الفضاء ، فما بالك بحقول كساها الجليد ، فحرمت بهجة الاستمتاع بالدفء ، على مدى ثلاثة أشهر ، هى مدة الصيف هناك . وفى هذا الجو القاتم ، تأخذ جداول الجليد فى الذوبان شيئا فشيئا .

ووسط ذلكم السكون المروع يبدأ (اليسروع) وهو دودة فى طور الفراشة ، أطلق عليها العلماء اسم : « الدب ذو الوبر الغزير ، والملمس الرخو » حيث التفت تلك الدودة فى شرنقة جليدية لامعة وأخذت فى الحركة ، وشرعت فى التنفس ، وبدأت الحياة تدب فى أوصالها بعد أن مسها الدفء ، مسا خفيفا ، يشبه مس الأمير الرفيق لأميرته الحسناء ؛ كى تسعد به وتأنس . وبعد أن يزول الصقيع فى بطء ممض ، تأخذ تلك الحشرة التى لا يتجاوز حجمها حجم إصبع الإبهام فى اليد ، تأخذ فى التمدد والتمطى مطلقة لخيالها العنان يدفعها إلى ذلك سياط جوع ألهبت أحشاءها فنادت :

هل من مطعم ؟

وذلك الدب المخملى الملمس ، الناعم الجسم ، واسمه العلمى : Gynaephora Groenlandica (جينا يفورا جروين لانيكا) هذا الدب لم يتعلم إتقان فن البقاء على صورة متجمدة صلبة فحسب ، بل إنه احترف السيطرة والتحكم كيماويا فى عملية تذويب الجليد ، عبر متتابعة بطيئة الحركات ، تكسبه مناعة الانزلاق ، إلى مستوى تجمد أعلى قد تكون نتيجته هلاكا محققا . وهذا بالطبع ليس إلا وصفا أوردته السيدة (أولجا كوكال) أستاذة علم الهوام والحشرات ، بجامعة فيكتوريا التى تقول : « إن الدب القطبى حشرة غير عادية ، متوقدة الذكاء » ثم تضيف : « إنها وجدت هذه الكائنات كروية الشكل ، كثيرة الزغب متعددة المواهب ، فأولعت بها ولم تتمالك نفسها من الإعجاب بحياتها من أول نظرة » . وتقول أيضا : « إننى كأستاذة علم أحياء ، سرعان ما بهرتنى الطرق والوسائل ، التى ابتكرتها هذه الكائنات ؛ لكى تحافظ على حياتها ، فى ظروف مناخية ، يستحيل العيش فيها ، يضاف إلى ذلك ما وهبها الخالق - عز وجل - من أرجل دقاق ، قرمزية الشكل ، تشبه مغزل التطريز ، مدببة معقوفة يَزْوَرُّ منها الناظر إليها » .

وتعود قصة أستاذة علم الأحياء مع هذه الحشرات إلى أيام كانت تقوم فيها بحملة ، تستكشف من خلالها أشكال الحياة القطبية ، فى أوائل الثمانينيات من هذا القرن ، عندما شاهدت أول ماشاهدت الدب القطبى ، الذى كان يعد الكائن الوحيد ، الذى تصدر عنه حركات ، فى مكان لا حراك فيه لكائن ، وسرعان ما ازداد شغفها ، وحبها للمعرفة ، فأخذت تتردد على ذلك المكان بشكل منتظم ، وذلك لمدة ستة أعوام متتالية ، قامت فى أثنائها بإحصاء مشاهداتها ، وعدها ، وظلت تطعم ما تحصل عليه من تلك الكائنات ، وتغذيه وتزنه ؛ لتعرف إن كان ينقص أو يزيد ، ثم تقوم بمهمة أدق ، هى : تشريح الحشرات ، وتقطيع أوصالها ؛ لتكشف للأوساط العلمية ألغاز هذا الكائن وأحاجيه .

وعندما تجمد السوائل فى خلايا الجسم عادة ، فإن قشور الكائنات الصلبة ، والتى تعد كالفرو بالنسبة للحيوان ، وأغشية خلاياه ، ودهاليزها المعقدة ، تجعل من الميسور على تلك السوائل ، التى بها بقاء ذلك الكائن أن تتسرب إلى الخارج . لكن وكما هو الحال مع الكائنات الأخرى القابلة للتجمد كبعض عناكب ، وخنافس القارة القطبية المتجمدة ، فإن كائنات الدب القطبى تقوم بتصنيع مادة كيماوية تسمى : (Glycerol جلايسيرول) وهى مادة يستخدمها الدب ، فى غسل كل خلية ، وضمان سلامة وحماية ، ووقاية كل

أعضائه الواهية ، من التأثر بدرجة حرارة الشتاء التى تصل إلى تسعين درجة تحت الصفر فى القارة القطبية المتجمدة . وأعضاء ذلك الكائن ، التى اكتسبت قدرة فائقة على عدم التجمد ، وعلى الرغم من هذا البرد ، ليست هى التى تمنع فعليا مسألة التجمد ، لكنها بدلا من ذلك تتحكم فى مسألة التجمد بطرق وأساليب تخفض ، وتقلل من تكوين البللورات فى جسم ذلك الكائن ، مما يحد من قدرة الجليد على إصابتها بالتجمد . ويتقدم نمو الدب القطبى ، ويتطور رويدا ، فبينما تعيش معظم أنواع الدود التى تكون فى طور الفراش مدة لا تزيد على أربعة أسابيع فقط ، قبل أن تتحول إلى سوس أو فراش ذى أجنحة ، فإن الدب القطبى غزير الوبر يبقى على الأقل أربعة عشر عاما فى طور (اليسروع) وهو الطور الذى يسبق طور البلوغ فى الحشرة ، وهو كما تقول (كوكال) : « أطول الكائنات الدقيقة المعروفة عمرا ، وبمقدوره تحمل تجمد الجليد سنويا ، ثم دورة ذوبانه ليس فقط لمرة واحدة ، لكن لثلاث عشرة مرة ، متزعما بذلك كل مراحل التطور التى لا تدوم سوى ثلاثة أشهر قصيرة هى موسم الصيف القطبى .

وواقع الأمر أن الجزء الفعال فى حياة الدب القطبى يستمر ثلاثة أسابيع فقط ، وفى أثناء تلك المدة القصيرة التى يعيش فيها الكائن حرا طليقا عمرا قصيرا قصر عمر الزهور ، فإن الكائن يغمر نفسه فى أشعة الشمس الدافئة مغتذيا آخذا فى تنسيق شعره الزلق . وككل خلية شمسية فإن الدب القطبى يقوم بإخراج طاقة يستخدمها كوقود يعجل بنضجه ويساعده على هضم غذائه . ثم وعلى حين غرة يختفى الكائن وقد دس جسمه النحيل بين نباتات محكمة التزاوج ، وسرعان ما يتوارى الدب القارى فى طبقات الجداول الجليدية ، فرارا بحياته من الطحالب التى أخذت تتناسل وتتوالد وتتكاثر بضراوة فى أثناء فترات سطوع الشمس . وما إن يحس الدب القطبى بالدفء حتى يعجل بالرحيل سريعا ، بسرعة (٢) بوصة فى الدقيقة الواحدة تقريبا .

وأما عن الإشارات البيئية ، التى تحفز الكائن على البدء فى إنتاج المادة الكيماوية المذكورة آنفا ، فهى حوافز غير واضحة على الرغم من أن الأبحاث العلمية الحديثة ، بينت أن الحافز الرئيسى هو : نقص الغذاء . وفيما يقبل من أيام الصيف فإن براعم وأوراق أشجار الصفصاف التى زانت القارة القطبية المتجمدة ، والتى تعد الغذاء المفضل للدب القطبى ، هذه النباتات سرعان ماتبدأ فى إفراز أنواع من السموم ، ليس باستطاعة الكائنات الدقيقة هضمها ، ولذا فإن هذه الكائنات بدلا من البحث عن بديل أكثر لذة وأحلى طعما ، فإن الدب القطبى ببساطة يتوقف عن الأكل ويبدأ فى تخزين الطاقة ، وما إن تأخذ درجة

الحرارة فى الانخفاض حتى يعاود الجليد احتضان الدب القطبى ، فيأخذ جسمه فى التجمد بطريقة منتظمة وأسلوب منسق يبدأ بأمعائه ، ثم دمه ، ثم كل شىء فيه ماعدا (السيتوبلازم) أو المادة الحية داخل كل خلية ، إذ يظل (السيتوبلازم) هو المادة الوحيدة التى لا يصيبها التجمد أبدا . وهذا التغير الوئيد يسمح للخلايا بالتكيف ماديا وأيضيا ، أى : أنه يسمح للكائن بتمثل الغذاء والانتفاع به ، كما يشجع الكائن على تكوين بللورات أصغر حجما وأقل قابلية للتدمير حين تعرضها للعوامل الخارجية ، ثم يأخذ الكائن فى الهجوع فى هدوء وسكينة تحت بطانية سميكة من الجليد ، ولا يبدى أى إشارة للتنفس ، ولا يصدر عنه حتى ولو نبضة قلب واحدة .

وما يهم الناس أن يفيدوا منه فى سلوكيات ذلك الكائن ، هو قدرته على البقاء فى حالة متجمدة ، وهو أمر قتله الباحثون فى الطب فحصا وتمحيصا ؛ سعيا وراء أسرار تجلى لهم الكيفية ، التى يستطيعون بها الاحتفاظ بأعضاء الجسم البشرى فى حالة متجمدة ، ثم استردادها بأمان عند الحاجة إليها ، وهو أسلوب ظهرت فائدته العظمى فى عمليات نقل الأعضاء وزراعتها ، وقد سبق للأطباء بالفعل استعمال مادة (جلايسيرول) الكيماوية فى الاحتفاظ بخلايا الدم ، والحيوانات المنوية ، كما أن صناعة صيد الأسماك استعملت هذه الطريقة - أيضا - فى تخزين فقس السمك والمحار والقواقع فى أجواء باردة .

وبينما تستمر السيدة (كوكال) فى وضع تلك الكائنات فى ثلاجتها بهدف تحديد المعدلات التى تتجمد عندها الكائن ، وتلك التى تعود فيها الكائنات لحالتها الطبيعية بنجاح تام ، فإنها تقول : « إن هناك الكثير والكثير مما يمكن معرفته من تلك الحيوانات الصغيرة .

عن أبى هريرة قال : قال رسولُ الله - ﷺ - : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ، فهى نائلة - إن شاء الله - من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً » .

دوحة الكتب

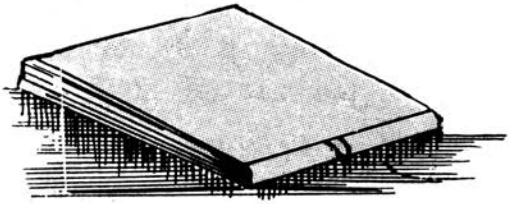

إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

المحرر

السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

تصنيف/ محمود توفيق الحكيم
الناشر/ مكتبة مدبولى

● عزيزى القارىء : كم من أحداث وتواريخ عظيمة تذهب فى طى النسيان ، ومهما حاول المؤرخون أن يوثقوا أحداثهم فإن هذه الوثائق لابد أن يصيبها الخلل وعدم المصداقية ، ولكن معجزة الإسراء والمعراج حدث إسلامى وتاريخى فى حياة الأمة لم يؤرخ له البشر ، وإنما الذى وثق أحداثه وأرخ له هو الله عن طريق الوحى سواء فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة .

إن عمق الدراسة للتاريخ . والصدق فى تفسير أحداث التاريخ هو الذى يجعلنا نحدد خطونا فى مسيرتنا بلا تردد ولا خوف ، ولا اضطراب إذ أن التردد والخوف والاضطراب يأتينا حينما نقطع صلتنا بالماضى وحتى نصل الماضى بالحاضر ونربطها بالمستقبل يجب أن نحمى تراثنا وثقافاتنا دون تغيير أو تبديل .

● واليوم عزيزى القارىء : نعيش مع حدث الإسراء والمعراج ، الذى سجل مشاهد كثيرة ، والموفقون يرون فيها سمو العقيدة ، وصفاء النفس ، والأخلاق الطيبة ، والارتباط بالمثل العليا .

● بدأ المؤلف رحلة الإسراء والمعراج بين التكذيب والتصديق تناول فيها موقف الملحدين والماديين ثم وقت الإسراء والمعراج ، وهل تكرر ؟

● ثم كيف حدث ، وتناول اختلاف الناس فى كيفية حدوثه ، ثم مقدمة لتفسير آية الإسراء .

● وشرح تفسير أول سورة النجم ، وارتباطها بما قبلها ، وتناول سياق قصة الإسراء والمعراج ، وأشار المؤلف إلى مشاهد الإسراء والمعراج وهى أربعة وخمسون مشهدا .

● منها المشهد الثامن ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج ، فلا يستطيع ، فقال ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها ، فيريد أن يردها فلا يستطيع أن يردها .

● والمشهد الحادى عشر . ومر بقوم لهم أظفار من نحاس ، يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقال : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ويقعون فى أعراضهم(*) .

السراج الوهاج

فى

الإسراء والمعراج

تصنيف

محمود توفيق الحكيم

الناشر

مكتبة مدبولى

١٩٩٩

مكتبة مدبولى ـ ٦ ميدان طلعت حرب القاهرة

ت ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس ٥٧٥٢٨٥٤

ثم شرح المؤلف فى آخر كتابه اختلاف العلماء فى رؤية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لربه تبارك وتعالى ـ ليلة المعراج .

● عزيزى القارىء : مطلوب منا نحن المسلمين فى كل البقاع والأصقاع ، فى كل زمان ومكان ، أن تكون الثقافة التاريخية الصحيحة هى أول اهتماماتنا ، فلو أننا درسنا التاريخ وفهمناه وحققناه وحفظناه لصححنا كثيرا من أغاليط التاريخ ، وتراث الأمم السابقة .

وبعد : فهذا كتاب من أهم الكتب التى يجب أن تضمها إلى مكتبتك الثقافية .

(*) اخرجه الإمام احمد ، وابو داود ، عن انس رضى الله عنه .

التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية

تأليـف/ محمد عز الدين توفيق
الناشـر/ دار السلام للطباعة والنشر

عزيزى القارىء : كتابنا هذا الشهر من الكتب ، التى تهتم بقضايا تتعلق بمسائل خلافية بين المشتغلين بالتأصيل الإسلامى ، وجمهور المشتغلين بعلم النفس ، وأن قيام أبحاث ودراسات نفسية ذات توجه إسلامى ليس موقفاً سلبياً من علم النفس ، ولكنه موقف إيجابى يدعم مشروعية هذا العلم ، فى البيئة الإسلامية ، ويوجهه الوجهة الملائمة لهذه البيئة .

● وقد جاءت هذه الدراسة عن رسالة دكتوراة للباحث ، الذى قسمها إلى ثلاثة أبواب كل واحد منها حاول أن يوصل لجانب من ثلاثة جوانب ، لابد أن يشملها التأصيل الإسلامى لعلم النفس ، وللعلوم الاجتماعية بصفة عامة ، وهى التأصيل الشرعى والتأصيل العلمى والتأصيل التاريخى .

ولنعلم أن البحث فى العلاقات المحتملة بين الدراسات النفسية والدراسات الإسلامية ليس رجوعاً إلى الوراء ، ولا دعوة إلى تهميش الدراسات النفسية ، بل العكس من ذلك تتيح هذه الدراسة المقارنة التعرف على أهمية هذا الفرع من العلوم الاجتماعية .

● هذا الكتاب تناول فيه الباحث فى الباب الأول : الدفاع عن علم النفس ، بوصفه فرعاً

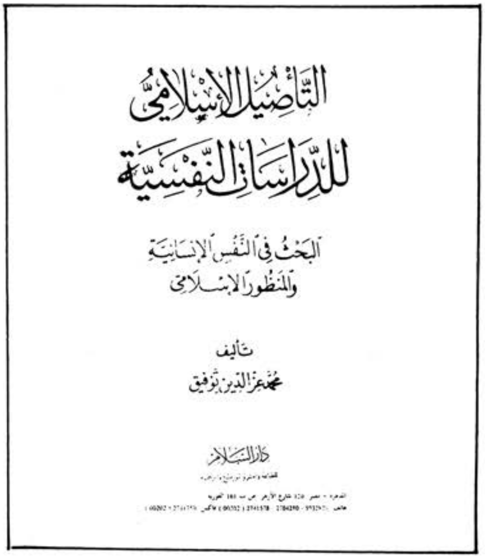

من فروع المعرفة الإنسانية ، ويبين الموقف الشرعى الإسلامى من وجود علم بهذا الاسم ، وأوجه الحاجة إليه .

● وتحدث عن الجذور التاريخية لواقع علم النفس فى البيئة الإسلامية . وأشار إلى واقع العلاقة بين الغرب والعالم الثالث فى مجال الدراسات النفسية ، ثم أشار إلى الكتب التى صدرت فى هذا الموضوع منها القرآن ، وعلم النفس ، والصحة النفسية ، والتصوف النفسى ، ونحو علم نفس إسلامى .

● أما فى الفصل الثانى فقد تحدث عن موقف القرآن والسنة من التأصيل الإسلامى للبحث النفسى .

● أما فى الفصل الثالث فتحدث عن موقف علم أصول الفقه ، والفصل الرابع تناول موقف الفكر الإسلامى . وعلم النفس يعتبر علما إسلاميا أى :

ينطبق عليه وصف العلم النافع أو العلم المشروع .

● أما الباب الثانى : فتناول فيه الباحث التأصيل العلمى للدراسات النفسية ، وهو يشير إلى أن الوجهة الإسلامية أوسع من الوجهة السائدة حالياً ، ولذلك فهى الوجهة القادرة على تغطية الظاهرة النفسية بأبعادها ومستوياتها المختلفة .

● وتضمن هذا الباب أربعة فصول :

أولها : مفهوم الإنسان بين النظرة الوضعية والنظرة الإسلامية .

وثانيها : مفهوم العلم بين النظرتين على أساس أن تحديد مفهوم الإنسان ، ومفهوم العلم له انعكاس مباشر على الاتجاه الذى تأخذه الدراسة النفسية .

أما فى الفصل الثالث : فيتناول أوجه الاتفاق والاختلاف بين المنظور الإسلامى والمنظور الغربى فى مجال البحث النفسى الأكاديمى بدءًا بخطوة إجراء التجارب ، وانتهاء بتكوين الوجهة أو الإطار العام .

أما الفصل الرابع : فأشار البحث إلى أوجه الاتفاق والاختلاف بين المنظور الإسلامى الغربى فى مجال الممارسة العلاجية .

● أما الباب الثالث فتناول فيه الباحث التأصيل التاريخى للدراسات النفسية ، وإسهام المسلمين فى هذه الدراسات فى بحوثهم الفلسفية والفقهية والطبية .

● وفيها فصلان : أولهما : عن المناهج والأساليب المقترحة لدراسة التراث النفسى الإسلامى ، وثانيهما : عن بعض المشروعات الفرعية المرتبطة بالتأصيل الإسلامى للدراسات النفسية وكيفية إنجازها .

● عزيزى القارىء تناول الباحث هذه الموسوعة النفسية كتبا فى الثقافة الإسلامية وفى فروع علم النفس .

وهذه الدراسة تهدف إلى فتح الحوار بين المهتمين بهذا المشروع ، على اختلاف رؤيتهم له . مشروع التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية .

غير أن العلماء والإخصائيين النفسيين المسلمين ينبغى أن يكونوا طرفاً واحداً فى هذا المشروع وألا يكونوا أطرافاً متعددة ، وتبقى رؤية كل واحد والاسم الذى يختاره مشكلات داخلية يتم حلها بالحوار العلمى والتواصل الأكاديمى .

● ومشروع التأصيل لعلم النفس ليس كتابا مؤلفاً ولكنه عمل أجيال .

● ونحن كمسلمين لا يمكن أن تطرح العلوم الاجتماعية والإنسانية نفسها بديلا للدين ولكنها يجب أن تكون مساندا له تتقاسم معه التعريف بالظاهرة الإنسانية ، فالجانب الذى لا يعرف من هذه الظاهرة عن طريق العقل البشرى والبحث التجريبى نأخذه من مصادر الوحى المنزل من عند الله - تبارك وتعالى - .

● وأخيراً : فإن الكتاب يحوى بين طياته الكثير والكثير ، والعلم الغزير ، والثقافات النفسية والإسلامية فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير .

● وأخيراً فهذا الكتاب جدير بأن تحويه المكتبة الإسلامية لما فيه من نفع كبير وعلم غزير .

الصارم البتار فى التصدى للسحرة الأشرار

تأليف/ وحيد عبد السلام بالى
الناشر/ مكتبة التابعين للنشر

● عزيزى القارىء : لقد انتشرت هذه الكتب بشكل ملحوظ لمحاربة هؤلاء القلة المتداعية ، وقد كشفت خبايا السحرة لاسيما الذين يزعمون منهم أنهم يعالجون بالقرآن .

● واليوم فى كتابنا هذا يعرض المؤلف فى إيجاز صريح ، ورؤية صادقة ، أكاذيب هؤلاء وعالج هذا بالرد عليهم ، وعلى الكتب والرسائل الخاصة بهؤلاء وطرقهم فى السحر بالنسبة للنساء ، وقصد المؤلف أن يتعلم الشباب المسلم الطرق الشرعية لإبطال السحر ، وعلاج المسحورين ، وكذلك علاج العين والحسد والمشعوذين ؛ الذين يهدمون عقائد الناس ويفسدون عبادتهم .

قسم المؤلف كتابه هذا إلى ثمانية فصول :

● فى الفصل الأول شرح المؤلف السحر فى اللغة ، والاصطلاح حيث قال الليث : السحر عمل يُقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، بالإضافة إلى تعريفه فى الاصطلاح .

ثم السحر فى ضوء القرآن والسنة كالأدلة الواردة على وجود الجن والشياطين والسحر وأقوال العلماء فى السحر . ثم تناول فى الفصل الثالث أقسام السحر .

● أما فى الفصل الرابع فقد أشار المؤلف إلى كيفية تحضير الساحر جنباً ؟ طريقة الإمام طريقة الذبح ، طريقة السفلية ، طريقة النجاسة ، طريقة التنكيس والتنجيم والكف والأثر .

● أما فى الفصل الخامس فقد عرض المؤلف

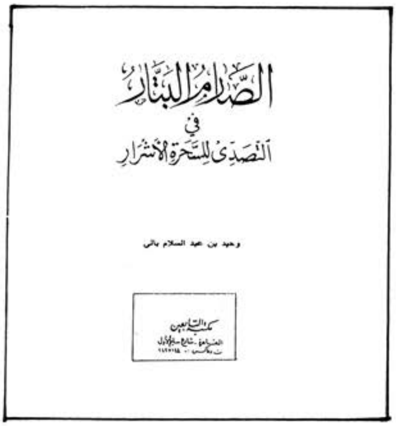

حُكم السحر فى الشريعة الإسلامية وتعلم السحر وحُل السحر بالسحر والفرق بينه وبين المعجزة والكرامة ثم إبطال السحر كسحر المحبة والتفريق والتخييل والخمول والهواتف والمرضى والنزيف وتعطيل الزواج .

● ثم أشار فى الفصل السابع إلى علاج المعقود عن زوجته ، كتعريف الربط ، وكيف يحدث وعلاج ربط المرأة ، وعلاج بعض أنواع العقم .

● ثم تحدث عن تحصينات السحر بالقرآن الكريم والسنة المطهرة والمحافظة على العبادات وقيام الليل .

● أما فى الفصل الثامن والأخير فتحدث عن علاج العين ، والأدلة من القرآن ، على تأثير العين .

● والفرق بين العين والحسد ، وأقوال العلماء فى حقيقة العين .

● وأخيراً : عزيزى القارىء أردت أن أبين لك الثقافة ، التى يجب أن تعلمها عن السحر ؛ لأن هذه عادة منتشرة فى بلادنا مما يخالف عقيدتنا الإسلامية ، ويحض على الفسق ، والأكاذيب الباطلة ، ومصاحبة الشيطان الرجيم .

معجم كلمات القرآن الكريم

إعداد : محمد عدنان سالم ومحمد وهبى سليمان
الناشر : دار الفكر بسورية

● **عزيزى القارئ**: هذه نوعية جديدة فى عالم الكتب ، وهى البحث فى علوم الفهرسة .

● وفى هذا العدد نتناول أعظم هذه الفهارست ، وهى فهرسة كلمات القرآن الكريم وسرعة البحث عن الآيات القرآنية ، ومامن شك أن هذا القرآن الكريم قد ملك على سلفنا الصالح مشاعرهم ، واستأثر بعنايتهم ، التى لم يحظ بمثلها كتاب من قبل ولا من بعد ، وأنهم درسوا كل ما يتعلق بهذا الكتاب العظيم ، وبذلوا فى سبيل ذلك حياتهم ، ولن تنقضى حاجة المسلمين إلى تجديد وسائل الانتفاع بهذا القرآن العظيم ، وابتكار الأساليب ، التى تيسر لهم الوصول إلى كنوزه ، التى لا تنفد .

● وبعد أن صدرت عدة معاجم : منها معانى القرآن الكريم العظيم . . أو معجم تفسير كلمات القرآن ، وكان هذا المعجم تسهيلا لقارىء القرآن للوصول بسرعة ويسر إلى معنى كلمة التبست أو صعب فهمها عليه فى كتاب الله .

● واليوم تقدم دار الفكر ، هذه الموسوعة فى معجم كلمات القرآن الكريم ، وكانت هناك أعمال سابقة لهذا المعجم ، منها كلمات فى القرآن توّجها المستشرق

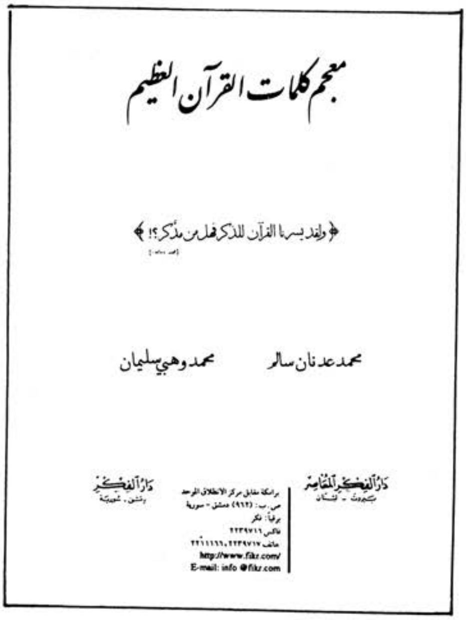

معجم كلمات القرآن العظيم

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟!﴾

محمد عدنان سالم	محمد وهبي سليمان

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

براسكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

« فلوجل » فى كتابه « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » .

● ومن هذه الأعمال كتاب « ترتيب زيبا » وكتاب « فتح الرحمن » .

● وكتاب المرشد إلى آيات القرآن الكريم وكلماته ، ومنها معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ومعجم الألفاظ والأعلام القرآنية .

● ومن خلال هذه المعاجم ، تبينّ لنا أنه يجمع بين هذه المعاجم الأسلوب الواحد ، حيث اتخذت جذور الكلمة أساسا فى وضعها ، فأوردت الجذر ثم وضعت تحته ما يتفرع عنه من كلمات حسب طريقة كل واحد منها .

● وكان لابد لهذا المعجم أن يقدم جديدا من حيث طريقة تناوله لكلمات القرآن ، وكذا العنوان كان الاختيار أن يكون (معجم كلمات القرآن) بدلا من معجم ألفاظ القرآن ، لارتباط كلمة اللفظ بالمنطوق ، بينما الكلمة تشمل المنطوق والمكتوب معا ، وهى لذلك أدل على المقصود ، من المعجم .

● ومن حيث الأسلوب أورد الكلمة كما هى دون ردها إلى جذورها ، أو مصدرها ، ودون تجريدها إلا مما اتصل بها فى أولها فى ترتيب معجمى ، مما ييسر للقارىء والباحث الوصول إلى مطلوبه بيسر وسهولة .

● وقد اعتمد المعدان لهذا المعجم على كتابة الآيات بالرسم الإملائى المتعارف عليه ، حتى يكون المنهج واحدا معروفا سهلا ، ومنه جمع الكلمات القرآنية الواردة فى القرآن الكريم ماعدا الضمائر المنفصلة والحروف التى تم استبعادها ، ثم تم ترتيبها على حسب حروف المعجم حسب أوائلها أيضاً ، تقدم الكلمة الأقل حروفا على الأكثر حروفا ، وهكذا فى باقى المعجم تيسيرا على الباحثين فى صفحات تتجاوز ألفا ومائتى صفحة من الورق المتوسط الأبيض .

● عزيزى القارىء إن الحاجة ماسة جدا إلى معاجم كلمات القرآن الكريم من أجل تخريج آيات القرآن وتوثيقها ، فكثيرا ما تجد مؤلفين كبارا ، وخطباء أفذاذا ، يخطئون فى آيات من القرآن الكريم تبديلا أو تصحيفا أو تلفيقا لكل مثقف مسلم ، أو باحث أو فقيه أقدم له هذه الموسوعة المعجمية الحديثة المتطورة فى تخريج اللفظ .

الإنسان والبيئة

تأليف : د. عبد الله الطرزى
د. أحمد الظاهر
الناشر/ دار الفرقان

● **عزيزى القارئ:** الحديث عن البيئة مجاله فسيح لأنه أصبح يهم الكبير والصغير . . الإنسان والحيوان ، بل كل مخلوقات الحياة .

● ولقد أصبح هذا الموضوع الهم الشاغل لكل سياسات العالم .

● أما فى وطننا العربى فتداعى العديد من الملوك والحكام والأمراء للعمل على المحافظة على ظروف البيئة الطبيعية وتحسينها ، كى تكون لنا ولأجيالنا من بعدنا .

● ويحتوى هذا الكتاب على جزءين :

● الجزء الأول : السكان والمفاهيم الأساسية للبيئة .

● ويحتوى هذا الجزء على ثمانية فصول :

● الفصل الأول : مدخل عن الإنسان واختلاف بيئته ، بسبب التلوث .

● ثم ركز الفصل الثانى على الموارد عموما من مواد وطاقة .

● أما الفصل الثالث فركز فيه المؤلفان حتى الفصل الخامس ، على المفاهيم الأساسية للبيئة .

● ركز الفصل الثالث على الأنظمة البيئية بشكل عام . والأغلفة الطبيعية أى الغلاف الصخرى

والمائى والغازى ، والغلاف الجوى الذى يعيش ضمن هذه الأغلفة بنوعيه النباتى والحيوانى ، ثم الأنواع الرئيسية للنظام الحيوى أى أنواع الحياة من منتجين أو ذاتيى التغذية ، وهى النباتات والمستهلك حسب مستوياتهم بين آكلات العشب وآكلات اللحم .

● وتحدث الفصل الرابع عن الأنواع الرئيسية للبيئات الحية على اليابس من غابات ومراع وصحارى والعوامل المؤثرة فيها من مناخ وتضاريس وتربة ، والاقتراب أو الابتعاد عن البحر والمواد الداخلة فى تركيب الغلاف الجوى .

● ثم الفصل الخامس الذى ركز فيه المؤلف على التبدلات ، التى تحدث لسكان المجتمعات فى الأنظمة البيئية مع الوقت .

● أما عن ديناميكية السكان والاختلافات بين شعوب الأرض فى هذا المجال وآثار ذلك على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كان هذا هو موضوع الفصل السادس .

● أما الفصل السابع فكان عن طرق تنظيم السكان من أجل تحسين عيشهم .

● وأخيراً تحدث المؤلفان عن واقع توزيع السكان على سطح الأرض .

● أما الكتاب الثانى : أى الجزء الثانى من الكتاب فكان عن الموارد الطبيعية والتلوث .

وقد جاءت فصوله استكمالا لفصول الجزء الأول ، ويتحدث عما يستخدمه سكان الأرض من موارد طبيعية ، حيوية وغير حيوية متجددة وغير متجددة من أجل معيشتهم واستمرارهم .

● وتحدثت الفصول الخمسة الأولى عن الموارد الطبيعية المتجددة : التربة . والمياه . والغابات ، والمراعى والنباتات والحيوانات البرية .

● فبينما تحدثت الثلاثة التالية ، أى الفصول السادسة والسابعة والثامنة عن الموارد الطبيعية المتجددة غير الحية المعادن والطاقة .

● وأخيراً كانت الفصول الأربعة والتى تناولت ما ينتج عن استغلال تلك الموارد بأنواعها من مخرجات تؤدى إلى التلوث وأخطاره . أى تلوث الهواء والماء ، وأثر استخدام المبيدات على الصحة العامة .

● عزيزى القارىء : بعد هذه الجولة فى عالم البيئة وماتحتويه وكيفية الحفاظ عليها والأضرار البشرية التى تعود على البيئة ، والمخاطر والمشاكل البيئية فهذا كتاب لانطلق عليه كتابا علميا ، ولكنه ثقافة علمية وصحية ، فيجب الحرص على إضافته إلى مكتبتك .

المرأة المصرية والإعلام في الريف والحضر

تـأليـف/ د. عـواطـف عبـد الـرحـمـن
الناشـر/ العـربـى للنشـر والتـوزيـع

● **عزيزى القارىء** : مازال الكثيرون يكتبون عن المرأة وقضاياها فى إطار التوجهات السياسية والأيديولوجية . لتحديث المجتمعات العربية ، فهى ليست قضية نظرية بل يلاحظ تميزها ، وخصوصيتها النوعية ، مقارنة بسائر القضايا المجتمعية الأخرى مثل قضايا الاستقلال السياسى أو التحرر الاقتصادى ، أو الذاتية الاقتصادية ، وتناولت هذه الأبحاث الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية التى تحدد مكانة المرأة وأدوارها فى المجتمعات الغربية ، والتى تختلف جذريا عن المجتمعات العربية وعلى الأخص المجتمع المصرى .

● والمرأة المصرية قد خضعت فى مسيرتها التاريخية لمجموعة من الثوابت والمتغيرات حددت مكانتها الاجتماعية وهويتها الثقافية .

● وتناولت الباحثة الاتجاه التقليدى السلفى ، والاتجاه الاجتماعى المتحرر ، والاتجاه النسوى لتحرير المرأة ، والواقع النسائى الراهن فى مصر فى المجال التعليمى والنشاط الاقتصادى للمرأة المصرية ، ووضعية المرأة المصرية فى إطار قانون الأحوال الشخصية والمرأة المصرية والإعلام ، ثم الإطار المنهجى للدراسة وطرحت فيها الباحثة إشكاليات منهجية خاصة بقضية المرأة .

● وخلصت الدراسة بعدة نتائج : منها معالجة وسائل الإعلام العربية لقضايا المرأة ذات الطابع

الاجتماعى تتسم بالسطحية والاهتمامات التقليدية وإهمال قضاياها الحقيقية .

● أما الفصل الأول : تم طرح الصحف المصرية اليومية وقضايا المرأة والتنمية فى الريف المصرى والصحف الأسبوعية والمجلات المصرية والنسائية المتخصصة حول قضايا المرأة ، ثم الإذاعة والتليفزيون ووسائل الإعلام .

● أيضاً تم طرح ومناقشة كل هذه القضايا من خلال هذا الكتاب من اقتراحات ومعوقات واهتمامات وتصريحات .

● وتم طرح بعض القرى كدراسة لوضع المرأة الريفية من تعليم وثقافة وعمل وحالة اجتماعية ومعيشية .

● ثم طرحت الباحثة نتائج التحليل المقارن بين الريف والحضر .

● وأخيراً عزيزى القارىء هذه مجموعة من الأبحاث ، قام بها متخصصون فى هذا المجال لتحديد هوية المرأة الريفية وقضاياها العامة والخاصة ، من خلال دراسات وأبحاث وتحاليل لمجتمعاتها ، حتى يتم وضعها الاجتماعى المعاصر .

بين المجلة والقارئ

إعداد : عادل رفاعى خفاجة

من مآثر الأزهر فى نيويورك

بسم الله الرحمن الرحيم

المركز الثقافى الإسلامى فى نيويورك

THE ISLAMIC CULTURAL CENTER OF NEW YORK

يرسل الأزهر خيرة أبنائه إلى مشارق الأرض ومغاربها ، ليبلغوا رسالة ربهم إلى قوم لم يبلغهم بعد كتاب الله الخاتم وهدى رسوله الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - يحملون فى قلوبهم الطاهرة كل خير وحب ومودة تجاه شعوب العالم أجمع واضعين فى اعتبارهم قول الله - تبارك وتعالى - :

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١)

ويشمر هؤلاء الرجال عن سواعد الجد ، وخلفهم رجالات الأزهر يمدونهم بكل ما يحتاجون من عون ، حتى يؤتى الزرع ثمره الطيب بإذن الله .

وبين الحين والآخر تأتينا صور هذه الثمار ، فبالأمس تابعنا صورة لنشاط الأزهر فى جنوب أفريقيا ، واليوم نعرض لبعض هذه الأنشطة فى أمريكا الشمالية ، من خلال « رسالة » المركز الثقافى الإسلامى فى « نيويورك » ، وهى مجلة أصدرها المركز الثقافى بالإنجليزية تقع فى ست وعشرين صفحة ، طبعت على ورق فاخر مقاس ٢١,٥×٢٨سم .

ومن كلمة المحرر يتبين لنا أن هذه النشرة المسماة « الرسالة » تصدر سنويا عن المركز الثقافى الإسلامى بنيويورك ، وقد خصصت لتقديم بعض المعلومات الأساسية عن الدين الإسلامى

(١) الحجرات/ ١٣ .

مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج ، بالإضافة إلى ما يهم المسلم غير العربى .

وقد تناولت هذه النشرة تاريخ إنشاء المركز فى كلمة الأستاذ محمد أ . أبو الحسن رئيس مجلس الأمناء ، أشار فيها إلى أنه تم الاحتفال بافتتاح المركز فى السادس عشر من مايو عام ١٩٨٧م وأقيمت فيه أول صلاة لعيد الفطر عام ١٩٨٨ .

وأن بناءه قد اكتمل فى عام ١٩٩٠ بعد مجهودات مضنية وتبرعات سخية من الأفراد والحكومات العربية والإسلامية بلغت حوالى ١٧ مليون دولار ، ثم افتتح رسميا فى ٢٥ من سبتمبر عام ١٩٩١م .

ثم تلت ذلك كلمة الأستاذ محمد يونس مسئول العلاقات العامة بالمركز ، وكانت بعنوان : المركز اليوم ؛ تناول فيها أنشطة المركز وما يقدمه من خدمات للمسلمين ، وماينظمه من حلقات نقاش تهدف إلى توثيق الصلات بين المسلمين وغير المسلمين .

ثم كلمة للدكتور حسنى جابر الإمام الأسبق للمركز تناول فيها بعض المفاهيم الإسلامية مركزا على عدة نقاط هى :

ما الإسلام ؟ من المسلمون ؟ ماذا يعتقد المسلمون ؟ كيف يصبح الشخص مسلما ؟ ... الخ .

أما مقال صاحب الفضيلة الإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، فكان عن "الزكاة" ؛ بين فيه فضيلته أن الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة لقوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)

ثم بين أنها تكون واجبة إذا استكملت شروط النصاب والحول والملكية ، وأن الله ـ تعالى ـ قد جعلها حقا للفقراء والمحتاجين فى أموال الأغنياء ، لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٣)

ثم شرح فضيلته مصارف الزكاة كما وضحتها الآية الكريمة :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٤)

وأوضح ما للزكاة من تطهير للنفس من الجشع والأنانية وتطهير للمال وتنميته فى الدنيا ، ثم يجزيهم الله بما قدموا جنات وعيونا .

وينهى فضيلته المقال بذكر عقاب ما نعى الزكاة من خلال شرح قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾(٥)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٦)

---

(٢) التوبة/ ١٠٣ .

(٣) المعارج/ ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) التوبة/ ٦٠ .

(٥) التوبة/ ٣٤ ، ٣٥ .

(٦) آل عمران/ ١٨٠ .

فضيلة الإمام الأكبر أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر
وإلى يساره: فضيلة الأستاذ الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والدكتور العدوى
وإلى يمينه: فضيلة الأستاذ الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والشيخ جميعة إمام المركز

كما ضمت المجلة بين دفتيها مقالا لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ، تحت عنوان : « تقوية الرابطة الزوجية » أوضح فيه فضيلته أن تقوية الروابط الزوجية تقوية للأسرة والمجتمع ، وقد ورد فيه قول فضيلته :

« إنه لمن المزعج والمحزن ما نسمعه هنا عن الأمة الإسلامية فى أمريكا ، إن كثيرا من المسلمين يقعون فى نفس الشرك الذى أعده الشيطان لغير المؤمنين بدرجة تبعث على الأسى وتدق ناقوس الخطر ، وذلك لتزايد معدل الطلاق والإساءة الجسدية للنساء والأطفال ، وعدم قدرة شبابنا تحت العشرين على التمسك بالإسلام » .

لقد عرض صاحب الفضيلة الأستاذ وكيل الأزهر هذه القضية بشكل مباشر ومركز وبين ما تنذر به من خطر ، ولعل نشر مثل هذه الكتابات بالإنجليزية فى بلد مثل نيويورك يكون أبلغ رد على من يتهمون الإسلام بأنه يبيح إهانة الزوجة وضربها .

ويؤكد المقال على أن الأسرة هى أساس بناء المجتمع ، وأن العلاقة الزوجية هى المحور الذى تدور حوله العناصر الأخرى ، فإن كان هذا المحور يعمل بسلاسة وتناغم ، فإن باقى الأسرة ستسير بشكل متوازن ، وإذا وقع خلاف فإن الأسرة لن تؤدى وظيفتها على الوجه الأكمل .

ثم عرض فضيلته أهمية الزواج فى الإسلام فيقول :

والزواج فى الإسلام أمر جد خطير لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« من تزوج فقد أكمل نصف دينه فليتق الله فى النصف الآخر[٧] » .

فينبغى على المرء أن يكون حريصا عند اختيار شريك حياته ، ويجب أن يعطى الأولوية لذات الدين .

فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وحسبها وجمالها ودينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك[٨] » .

فليس أهم من العلم والدين لبناء أسرة قوية متينة ، وإن المعاملة الطيبة والعطوفة والوفاء بالواجبات هى الحد الأدنى المطلوب فى الزواج .

وفى القرآن الكريم أكثر من آية تحث الأزواج على حسن معاملة بعضهم البعض منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٩]

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾[١٠] .

وأكد الرسول على ذلك حين قال :

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم ، وأيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

هكذا يقدم فضيلة الشيخ الجليل وكيل الأزهر الدليل تلو الدليل على أن ما يتشدق به الغرب ضد الإسلام إنما هو محض افتراء ، فيعقب على تلك النصوص قائلا :

« إن النصوص السابقة تعنى بوضوح أن أى إساءة غير مقبولة على الإطلاق فى الإسلام سواء كانت بدنية أو عاطفية أو نفسية ، ويختتم صاحب الفضيلة مقاله بنصائح هامة إلى الزوجين بقوله :

ينبغى أن يصبر كلا الزوجين على الآخر ، ويتقبل كل منهما ما يقع من أخطاء وهنات شريكه ، فإن أتى أحدهما بشىء يخالف الإسلام فواجب الآخر النصح له والإرشاد ، وإن اختلفا فى أمر ما فعليهما أن يناقشا الحلول الممكنة بطريقة مهذبة وعليهما الاهتداء بهدى الله وحكمه .

إن هدم الزيجات يعد أول خطوة يستخدمها الشيطان فى إضعاف المسلمين ، وقد أمدنا الإسلام بكثير من الأسلحة التى نواجه بها مكائد الشيطان ، وأهم هذه الأسلحة : الصلوات الخمس ، وقراءة القرآن ، وبخاصة سورة الإخلاص والمعوذتين ، وأم الكتاب ، وأن يكون ذلك نابعا من اعتقاد راسخ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيجعل له من كل ضيق مخرجا .

---

(٧) رواه البخارى .
(٨) رواه البخارى .
(٩) النساء/ ١٩ .
(١٠) النساء/ ٣٤ .

الشيخ جميعة أثناء إلقائه بعض الدروس بالمركز الإسلامي بنيويورك

أما كلمة فضيلة الشيخ محمد مصطفى جميعة إمام المركز الإسلامى فقد جاءت تحت عنوان : « الصيام » ، تناول فيها معنى الصيام ، ومغزاه ، وفوائده ، وعلى من يجب الصوم ، والسنن الواجب اتباعها فى أثناء شهر رمضان ، مبطلات الصوم ، ما لايفسد الصوم به ، ثم الأمور المكروهة فى أثناء الصيام .

كما ضمت الرسالة عددا من الموضوعات منها : علماء المسلمين قبل عصر النهضة الأوروبية (٧٠٠ - ١٥٠٠) بعد الميلاد ، تناول فيه الكاتب دور جابر بن حيان (أبو الكيمياء) .

وختمت المجلة بأخبار اجتماعات مجلس الأمناء ، ثم تهنئة من الشيخ محمد جميعة إمام المسجد إلى كل المجموعات التى أعلنت اعتناقها للإسلام من خلال المسجد ، وكذلك الأزواج الذين عقدوا قرانهم بالمسجد .

وبعد .. فقد كان هذا موجزا لما حوته المجلة « الرسالة » من موضوعات قيمة تناسب البيئة التى وجهت إليها ، ولنا فى النهاية كلمة شكر وتقدير لكل من أسهم فى إخراج هذا العدد القيم الرائع فى شكل جذاب وثوب أنيق ساعد فى إبراز ماحوته المجلة من درر نفيسة .

ودعواتنا لكل رجال الأزهر الساهرين لتبليغ كلمة الله بأن يحفظهم الله ويثبت على طريق الحق خطاهم . آمين .

دروس تربوية فى الحج

بمناسبة الحج أرسل القارىء : أحمد ناصر أحمد ناصر « بهنا » المراغة - يقول : الحج لغة هو : القصد ، وشرعا : هو قصد بيت الله الحرام لأداء أفعال مخصوصة فى وقت مخصوص .

والحج فريضة من فرائض الإسلام ، وقد فرضه الله - تعالى - مرة واحدة فى العمر تيسيرا على عباده .

وإذا تأملنا هذه العبادة ، وتلك الفريضة - التى تظلنا هذه الأيام - نجد أن لها فوائد تربوية عديدة منها :

★ أنه يربى فى المسلم إخلاص النية لله : فالنية أول الأحكام الواجبة فى هذه الفريضة ، والتى يجب أن تكون خالصة لوجه الله - تعالى - مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (البينة : ٥)

★ ويربى فى المسلم الشعور بالأخوة والمساواة ، فالكل فى الحج سواسية ، لا فرق بين عربى وأعجمى ، أو بين حاكم ومحكوم ، فالكل هدفه إرضاء الله .

★ ويربى فى المسلم التعاون والتضامن ، وكذلك يربى فيه الطاعة .

والحج مؤتمر عالمى إيمانى حول الكعبة المشرفة يحوطه النقاء والصفاء والطهر ، وفيه تذكير للحجيج ليوم وقوفهم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ووقوفهم على هذا الحال يربى فيهم التواضع والخضوع لرب العالمين فهنيئا لمن أطاع ربه ولبى نداء خالقه .

استخدام الأسلوب القصصى فى الدعوة

من رسالة القارىء : محمد عباس محمد عرابى ، عن استخدام القصة فى الدعوة نقدم قوله :

« مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر فلا يملها السامع أو يكل منها .

وهذه الحقيقة الفطرية النفسية ينبغى أن يستفيد منها الدعاة فى مجال الدعوة .

من إبداعات القراء

تلاوة القرآن

منای كتاب الله فى كل أحوالى
وفيه ملاذى من همومى وأهوالى
هو النور فى ألفاظه وبيانه
وما ضده إلا ظلام ضلال
هو المتعة العظمى لأرواح من هدوا
ففيه انعتاق القلب من ضير أغلال
وفيه مصابيح الصفات مضيئة
تراها جلالا فى عظائم أقوال

شعر : محمود الطاهر الصافى
عضو رابطة الأدب الإسلامى

والناظر إلى القصص القرآنى يجد أنه تربة خصبة تساعد الدعاة على النجاح فى مهمتهم ، وتمدهم بزاد تهذيبى من سيرة النبيين ، وأخبار الماضين وسنة الله فى حياة المجتمعات ، وأحوال الأمم ، ولا تقول فى ذلك إلا حقا وصدقا .

لقد استخدم القرآن القصة استخداما واسعا فى تثبيت القيم الإيمانية وترسيخها وتعميقها فى نفوس المؤمنين .. يستوى فى ذلك قصص الأنبياء وقصص المؤمنين الذين ابتلوا فصبروا حتى جاءهم النصر ، وقصص المكذبين وطغيانهم الممقوت الذى يمد الله لهم فيه فى فترة من الفترات ثم يدمرهم فى النهاية ويسحقهم .

إن القصة لها أثر كبير فى الدعوة وهى من أنجح الوسائل التى توصل الداعية إلى هدفه وتعينه على بلوغ غايته وتجذب قلوب المدعوين إليه ، وتبين فى سهولة ويسر ما يحتوى عليه الدين من تشريعات إسلامية .

والقصة تبصر الداعية بالمدعوين وتبين حقائق طبائعهم وغرائزهم واتجاهاتهم مستدلة على ذلك بما سبق من البشر ، ذلك أن تكرار الظاهرة الواحدة فى الأمم كلها على نمط واحد دليل على أن هذه الظاهرة سنة إلهية مسلم بها ، وتركيز القرآن الكريم عليها فى قصصه يفيد أنها من الأحكام العامة والنواميس الطبيعية التى لا تختلف فى أى زمان أو أى مكان .

ردود سريعة

● القارىء : أسامة إبراهيم رضوان - دمنهور :

جميع الرسائل التى ترد إلينا تلقى العناية التامة ، وبخصوص طلبك إعادة طبع بعض الكتيبات التى نشرتها المجلة كهدايا - سابقا - نفيدك بأن هذا الأمر غير وارد ..

● القارئة : إيمان عادل إبراهيم العوضى - المنصورة :

نشكر لك اهتمامك بقراءة المجلة ، وحرصك على اقتنائها ، وكم كنا نود أن نحقق طلبك ، ولكن حال دون ذلك نفاد العدد المطلوب ..

● القارىء : علوانى علوانى عبد الحليم - أبويط - الواسطى - بنى يوسف :

وصلتنا رسالتك ، ونأمل أن تتاح الفرصة لتلبية طلبك - مستقبلا - بإذن الله - تعالى - ..

● القارىء : طاهر أبو المجد أحمد :

يتم بحث مقترحاتك التى وردت إلينا من خلال بطاقة الاستبيان ونعمل جاهدين على نشر كل ما يصلح نشره مما يرسله القراء الأعزاء ..

● القارىء : وحيد عباس محمد عيسى - دمنهور - كفر سنطيس :

قصيدتكم التى بدأتها بقولك « مررت بالأقصى » تدل على نبته طيبة تطلب منك رعايتها بمداومة القراءة فى عيون الشعر العربى ، وعليك بالمثابرة ، فهذا الطريق يحتاج منك إلى طول التدرب ، ولك منا أصدق الأمنيات بالتوفيق .

أنباء مكتب شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ:
عمر البسطويسى

« لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ووفد أعضاء مركز البحوث الاجتماعية والجنائية فى الدورة التدريبية الخاصة بالدعاة »

التقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بإدارة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة ووفد أعضاء مركز البحوث الاجتماعية والجنائية فى الدورة التدريبية الخاصة بالدعاة فى ٢٨ من شوال ١٤١٩ هـ ٢٢ فبراير سنة ١٩٩٩ ودار الحديث خلال اللقاء حول دور الداعية فى مشكلات المسكرات والمخدرات وأبعادها فى الظروف الراهنة ، حيث أوضح فضيلته أن شريعة الإسلام تمتاز بالوضوح والمكاشفة ، وأن عقيدتها وعباداتها ومعاملاتها ، وأحكامها وآدابها أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسعادة البشر ، وليس لشقائهم ، لأنها تدعو الناس لإخلاص العبادة لله ـ عز وجل ـ ، والتحلى بمكارم الأخلاق .

وفيما يتعلق بإخلاص العبادة لله الواحد القهار فهى محل اتفاق ، وكذلك التحلى بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والعدل ، وكل الصفات الحميدة لا خلاف عليها فى الشرائع السماوية كلها ، لأن الفضائل لا تتجزأ ، والعبادات التى فرضها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الناس ليست مقصورة على الأمة الإسلامية فقط بل على جميع الأديان السماوية ، والخلاف فى كيفية أدائها فقط ، ونحن نؤمن بأن الشريعة الإسلامية التى نزلت على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ هى الشريعة الخاتمة .

وقد اتفقت الشرائع السماوية على أن كل ما يؤدى إلى ضرر فى العقل أو المال أو العرض أو العقيدة حرمه الله ـ عز وجل ـ ويدخل فى هذا جميع المسكرات والمخدرات بأنواعها ومسمياتها ، وكل ما يتنافى مع الفضائل تحرمه شريعة الإسلام ، ولا شك أن المسكرات والمخدرات تتنافى مع الفضائل ، ذلك لأنها تؤذى العقل والجسم ، والإسلام حريص على منع الضرر الذى يلحق بالإنسان فلا ضرر ولا ضرار ،

ومطلوب تكاتف المجتمع : الفقهاء والعلماء والمفكرون كل فى مجاله يتعاونون جميعا لمنع الضرر وبكل وسيلة من الوسائل الممكنة .

وقد ساق فضيلته الأدلة الشرعية والعقلية التى تدل على حرمة هذه المخدرات والمسكرات ثم أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول هذا الموضوع .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل رئيس وزراء النرويج والوفد المرافق لسيادته »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد / كيجل ماجنى بوندفيك رئيس وزراء النرويج والوفد المرافق لسيادته بمكتبه مساء يوم أول ذى القعدة ١٤١٩ الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٩٩ .

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف ، وشرح تاريخ الأزهر منذ نشأته وحتى الآن ومراحل الدراسة المختلفة به من الحضانة حتى الجامعة ، وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الدراسة بالأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام تقوم على الاعتدال والوسطية ومن أجل ذلك يتربى أبناء الأزهر على حب الخير للجميع بعيدا عن التطرف والتعصب الأعمى والإرهاب ، لأن الدين الإسلامى هو دين السلام والأمان والاطمئنان .

ويدعو إلى المحبة وإلى التآلف والإخاء والمساواة والعدالة ، وينبذ العنف والقسوة واغتصاب حقوق الغير . كما أن الأزهر الشريف يقوم بتعليم أبناء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها عن طريق المنح الدراسية التى يقدمها لأبناء المسلمين ، ومن خلال بعثاته من العلماء الذين يوفدهم الأزهر إلى دول العالم المختلفة لشرح المفاهيم الإسلامية الصحيحة .

وأكد شيخ الأزهر على أن كل من يعيش على أرض مصر يتمتع بجميع الحقوق لا فرق فى ذلك بين المسلم وغير المسلم ، وكل إنسان يؤدى شعائر دينه بحرية تامة ، فلا إكراه على العقائد ، لأن الإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين صادقين بل يولد منافقين كذابين .

وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك . لذا يقول الله تعالى :

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ ﴾ (١)

وأكد على أن الأديان السماوية جميعها أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لسعادة البشر وليس لشقائهم ، فكل الأديان تدعو إلى الحب والإخاء والسلام .

وقد أعرب الضيف عن شكره البالغ لشيخ الأزهر على هذا اللقاء حيث استفاد كثيرا من هذه المعلومات القيمة ، وأضاف أن الأزهر الشريف يمثل نوعا من القدرات التعليمية والتثقيفية ◆

(١) البقرة : ٢٥٦

السليمة للدين الإسلامى ؛ والأزهر الشريف رمز للثقافة والتقاليد الإسلامية لوقت طويل ، وأكد على أن مصر تمثل علاقة كبرى بين الإسلام والمسيحية ، وأنه سعيد بأن هناك فلسفة قائمة على الاعتدال والحوار ، لأن نجاح الحوار يحل كثيرا من المشاكل بين الأديان ، وأن حب الله هو القاعدة الأساسية ، وأشار إلى أنه يوجد فى النرويج أكثر من خمسين ألف مسلم يعيشون فى حرية ، وأنه يزور مسجد أوسلو ويجرى حوارات مع المسلمين .

وقد أبدى سعادته باللقاء قائلا : إنه سعيد بسماحة واعتدال الأزهر وأيضا بما سمعه من البابا شنودة أثناء لقائه به عما يربط مسلمى وأقباط مصر من حب وسلام منذ قرون وقال : إنه شعر بالسعادة والاطمئنان على مصر التى تهم الجميع كقاعدة للاستقرار والسلام وقد أهداه شيخ الأزهر كتبا باللغتين الإنجليزية والعربية تشرح تاريخ الأزهر منذ نشأته . حضر اللقاء الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة ، والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بين الأديان وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد وكلاء النيابة الدارسين بالدورة التنشيطية التى ينظمها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد وكلاء النيابة الدارسين بالدورة التنشيطية العاشرة لأعضاء النيابة العامة التى ينظمها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية برياسة الدكتورة / سهير لطفى مديرة المركز القومى يوم ٢٦ من شوال ١٤١٩ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٩٩ . رحب فضيلته بالسادة وكلاء النيابة بالأزهر الشريف مؤكدا على أن رجال القضاء هم الدرع الحصين الذى يدافع عن الأمة والمجتمع وأنهم الذين يقومون بتطبيق وتحقيق العدالة فى الأرض ، لأن العدل اسم من أسماء الله الحسنى ، وأوضح أن شريعة الإسلام تمتاز وتتميز بالوضوح والصراحة والمكاشفة ، وليس فيها ألغاز أو طلاسم ، كما أنها شريعة تحث على مكارم الأخلاق ومساعدة المظلوم والوقوف بجانبه حتى يأخذ حقه ، وقد شرعت العقوبات لحماية الناس من الغاصب والمعتدى والظالم ، كما شرعت لحفظ حقوق الناس فى حرياتهم وعقائدهم وممتلكاتهم فحماية أمن المجتمع شىء تقره شريعة الإسلام ، كما وجههم فضيلته إلى التمسك بالفضائل والتحلى بالصبر ونصحهم بكثرة الاطلاع والبحث المتأنى والتمسك بالحق والفضيلة حتى يصدر الحكم عادلا .

كما أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول مسائل الخلع والردة وعمل المرأة بالقضاء ـ وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره وتقديره لفضيلة شيخ الأزهر الشريف على هذا اللقاء الطيب المثمر المفيد .

حضر اللقاء الأستاذ الدكتور / أحمد وهدان المشرف على الدورة وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

« زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدولة الكويت الشقيقة »

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة رسمية لدولة الكويت الشقيقة فى الفترة من ١٦ - ١٩ /١٩٩٩/٢ لتوطيد العلاقات الثقافية والدينية بين **الأزهر الشريف والشعب الكويتى تلبية** للدعوة الموجهة من حكومة الكويت ، وقد استقبل فضيلته سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت كما استقبله سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتى كما استقبل فضيلته رئيس البرلمان الكويتى السيد / أحمد السعدون وكبار المسئولين بالكويت وتم بحث الموضوعات المتعلقة بالتعاون فى مجال الدعوة الدينية وتثقيف الشباب إسلاميا ، كما تم بحث عدم شرعية احتجاز الأسرى ودور الأزهر فى الدعوة لفك أسرهم .

وقام الشيخ عبد العزيز الدخيل نائب رئيس الوزراء الكويتى بزيارة شيخ الأزهر فى مقر إقامته حيث بحث معه العلاقات بين الأزهر الشريف والمؤسسات الدينية فى الكويت فى ميدان الدعوة الإسلامية .

كما كان فضيلته فى لقاء شبه متواصل خلال الزيارة بمعالى السيد / أحمد خالد الكليب وزير الأوقاف والعدل والشئون الدينية بدولة الكويت ، وتم بحث ما تحتاجه الوزارة من أساتذة وعلماء وأئمة ووعاظ لدعم مساجد الكويت وجامعتها والمناهج الدراسية وما تحتاجه فى جميع المجالات الدينية والشرعية ، وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بأن التعاون وثيق بين الأزهر الشريف وجامعته العريقة ووزارة الأوقاف المصرية والمؤسسات الإسلامية فى مصر ووزارة العدل والأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت ، تتمثل فى الاتفاقيات الموقعة فى هذا المجال ، وقد ألقى فضيلته خطبة الجمعة فى حضور كبار المسئولين والمواطنين ، وقد دعا فضيلته إلى تسليم الأسرى الكويتيين منذ حرب الخليج عام ٩١ وقال : إن الاحتفاظ بالأسرى يتعارض مع تعاليم الإسلام .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير السنغال بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / ماما دوسو سفير السنغال بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته يوم ١٣ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق أول مارس ١٩٩٩ .

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف ودار الحديث خلال اللقاء حول التعاون بين الأزهر الشريف ودولة السنغال الشقيقة والدور البارز للأزهر الشريف فى العالم أجمع وقد أشاد السيد السفير بدور الأزهر فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم وخاصة دولة السنغال حيث توجد بعثة أزهرية من السادة علماء الأزهر يقومون بالتدريس فى معاهد السنغال وإلقاء الدروس فى المساجد والمحاضرات والندوات فى المناسبات المختلفة لشرح الإسلام وتوضيح تعاليمه السمحة ، وكذلك فإن الأزهر يقدم منحا دراسية لأبناء السنغال للتعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة ، وقد تخرج من أبناء السنغال الآلاف

الذين حصلوا على أعلى الشهادات من الأزهر الشريف .

وأبلغ السيد السفير تحيات وشكر فخامة السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس دولة السنغال إلى فضيلة شيخ الأزهر الشريف ووجه دعوة رسمية لفضيلته لزيارة دولة السنغال فى الوقت الذى يناسب فضيلته ، وقد قبل فضيلته الدعوة ووعد بتلبيتها فى القريب العاجل ، وحمل فضيلته السيد السفير تحياته وتقديره لرئيس وحكومة وشعب السنغال الشقيق . حضر اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير دولة الكويت بالقاهرة »

استقبل فضيلة شيخ الأزهر معالى السيد / فيصل عبد الرازق سفير دولة الكويت بالقاهرة يوم ١٨ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٦ بمكتبه بالأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة .

رحب فضيلته بالضيف ودار الحديث خلال اللقاء حول الزيارة المرتقبة التى سيقوم بها ولى عهد الكويت ورئيس الوزراء الكويتى الشيخ سعد العبد الله للقاهرة وللأزهر الشريف وذلك لدعم التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الكويت الشقيقة ولمزيد من الروابط الثقافية والتعليمية والدينية . ومما هو جدير بالذكر أن دولة الكويت الشقيقة تقوم بإنشاء مشروعات خيرية بمصر ، ومن أهمها بناء المساجد والمعاهد الأزهرية فى كثير من محافظات مصر دعما وتأكيدا على تدعيم الروابط بين مصر والكويت من جانب وبين المؤسسات الدينية بمصر والكويت من جانب آخر .

حضر اللقاء السيد المستشار عبد الرحمن الهادى مدير مكتب المشروعات الخيرية الكويتية بالقاهرة وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل وفد رجال الكنيسة الألمانية »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بقاعة الاجتماعات بإدارة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة وفد رجال الكنيسة الألمانية الذى يزور القاهرة برئاسة الدكتور القس بيتر اشتاين بعد اشتراكهم فى مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى المصرى الذى عقد بمدينة الأقصر جنوب الوادى يوم ١٨ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٦ .

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وفى الأزهر الشريف موضحا أن هذا اللقاء هو لقاء مودة ومحبة يعبر عن الإخاء الإنسانى وروح الأسرة الواحدة ، وأشار إلى أن الأديان السماوية التى أنزلها الله - سبحانه وتعالى - تدعو إلى المحبة والمودة والتعاون وتبادل المنافع التى أحلها الله سبحانه وتعالى - والتعاون على البر والتقوى لأعلى الإثم والعدوان ، والحوار الإسلامى المسيحى هو خير دليل على ذلك ، فاللقاءات التى تتم من أجل

التعارف ومن أجل التعاون لنشر السلام والرخاء والمحبة هى لقاءات نافعة ومثمرة . وقد أشاد السيد رئيس الوفد بالأزهر الشريف ودوره الهام فى الحوار بين الأديان لمزيد من التفاهم لنشر السلام والمحبة كما قدم شكره وتقديره لهذا اللقاء مشيرا إلى أهمية الحوار الفكرى بين أصحاب الديانات .

وقد استمع فضيلة الإمام الأكبر إلى أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد وأجاب عنها موضحا أن الإسلام دين السلام والأمان والاطمئنان ، وأن منهج الإسلام هو الدعوة إلى الله - تعالى - بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأنه دين الوسطية ينبذ العنف والقسوة حتى مع الحيوان . وأشار فضيلته إلى أن تعاون الأديان بالدعوة إلى الفضائل وإلى نبذ الرذائل أمر مطلوب ليعم السلام والأمان والرخاء وهو ما حثت عليه الشرائع السماوية .

حضر اللقاء القس المهندس / نبيل صموائيل أبادير مدير عام الهيئة القبطية الإنجيلية للمؤسسات الاجتماعية بالقاهرة والقس أندريا زكى والقس الدكتور ثروت مكارى كما حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

« فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير الفلبين بالقاهرة »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / ماكابا نجكيت لانتود سفير الفلبين بالقاهرة يوم ١٥ من ذى القعدة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٣م بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بجمهورية مصر العربية . رحب فضيلته بالضيف متمنيا له إقامة طيبة بمصر وبالتوفيق والسداد فى مهمته .

أبلغ سعادة السفير فضيلة شيخ الأزهر بتحيات وتقدير فخامة رئيس دولة الفلبين وأشاد بدور الأزهر الشريف فى نشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى العالم وخاصة فى دولة الفلبين من خلال المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لتعليم أبناء الفلبين المسلمين بالأزهر وجامعته حيث أوضح أن مكانة الأزهر فى قلوب المسلمين فى الفلبين مكانة عظيمة جدا ، وأيضا دور العلماء الذين يذهبون إلى الفلبين لتوضيح الإسلام وتعاليمه السمحة والبعثة الأزهرية الموجودة بالفلبين ودورها الفعال فى تعليم المسلمين أمور دينهم ، وقد حمله فضيلة شيخ الأزهر إبلاغ تحياته إلى رئيس وحكومة وشعب الفلبين وأشار إلى أن طلاب وطالبات الفلبين الذين يدرسون بالأزهر يلقون نفس الاهتمام والرعاية كأشقائهم المصريين وغيرهم من دول العالم المختلفة والأزهر . فى خدمة المسلمين فى كل مكان من أرض الله ، حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

«فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل القائم بأعمال سفارة جورجيا بالقاهرة »

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد / جورج أندرى القائم بأعمال سفارة جورجيا بالقاهرة فى ٧ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢٣ م . رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف ، ودار الحديث خلال

اللقاء حول أحوال المسلمين بجورجيا ويقدر عددهم بحوالى (٢٠٠) مائتى ألف مسلم ومسلمة ، وتتدفق على جورجيا أعداد كبيرة من المسلمين اللاجئين بسبب حرب الشيشان ويلقون المعاونة والمساعدة من جمهورية جورجيا التى تتبع دول الكومنولث .

طلب الضيف تسكين سبعة من الطلاب الذين يدرسون بالأزهر الشريف بمدينة البعوث الإسلامية وقد وافق فضيلته فورا على تسكينهم بالمدينة مع زملائهم . كما طلب الضيف إمداد جورجيا بالدعاة والأئمة لتعليم المسلمين أمور دينهم وقد وافق فضيلته على طلبه .

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف شيخ الأزهر على اللقاء وعلى إجابة مطالبه وعلى مساندة الأزهر الشريف للأقليات الإسلامية فى العالم وبخاصة فى دول الكومنولث .

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل سفير كرواتيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سعادة السفير الدكتور / دراجوستامبوك سفير كرواتيا بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا جديدا لبلاده بجمهورية مصر العربية يوم ٨ ذو القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢٤ م . رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وتمنى له إقامة طيبة ودعا له بالتوفيق فى مهمته ، ودار الحديث حول التعريف بالأزهر الشريف ودوره البارز فى تعليم أبناء المسلمين القادمين من دول العالم المختلفة من خلال المنح الدراسية التى يقدمها وإرسال الدعاة إلى أنحاء كثيرة من العالم لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية .

شكر الضيف فضيلة الإمام لإتاحته له هذه الفرصة وهذه المعلومات القيمة وأشار أن لكرواتيا علاقة قديمة بالأزهر الشريف وأن كثيرا من العلماء الكرواتيين المسلمين لهم صلات وثيقة بالأزهر منذ مئات السنين ، وأنهم ساهموا بدور كبير فى نشر الإسلام بدولة يوغوسلافيا قبل انهيار الاتحاد اليوغوسلافى وتقسيم يوغوسلافيا إلى دول .

قدم الضيف هدية لشيخ الأزهر عبارة عن كتب للتعريف بكرواتيا والمسلمين هناك ، وقدم فضيلته للضيف هدية من الكتب للتعريف بالأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يستقبل القائم بأعمال سفارة أذربيجان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه الدكتور / غالى على الله ورديبوف القائم بأعمال سفارة أذربيجان بالقاهرة .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف فى الأزهر الشريف .

قدم الضيف شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر والأزهر الشريف على ما يقدمه من خدمات جليلة بمنطقة البلقان والجمهوريات الإسلامية من

نشر للثقافة الإسلامية من خلال بعثاته وعلمائه والمنح الدراسية التى يقدمها الأزهر لأبناء المسلمين بهذه الدول للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة . وفى هذا العام قدم ١٤ منحة إلى جانب الأعداد السابقة التى تدرس بالأزهر على نفقة الأزهر وطلب السيد السفير تسكينهم بمدينة البعوث الإسلامية وقد أمر فضيلته بتسكينهم فورا مع زملائهم .

حمل شيخ الأزهر تحياته وإبلاغها إلى حكومة وشعب أذربيجان المسلم معربا عن استعداد الأزهر لتقديم كل عون ومساعدة فى مجال نشر الدعوة والثقافة الإسلامية . حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر والمشرف العام على مدينة البعوث .

« فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفد أعضاء هيئة التدريس بجامعة نوفا بهولندا »

استقبل فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفد أعضاء هيئة التدريس بجامعة نوفا بهولندا برياسة الدكتور / رأفت بدوى مدير مركز الدراسات الحرة بجامعة نوفا الهولندية يوم ٥ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٢/٢١ .

رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف ملقيا الضوء على دور الأزهر الشريف البارز فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم من خلال بعثاته وعلمائه إلى الخارج ، ومن خلال استقباله للوفود فى مصر ، مبينا سماحة الإسلام واحترامه للأديان جميعا متمثلا فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، بعيدا عن التعصب الأعمى والتطرف الممقوت ، ومحاربته للرذائل ودعوته للفضائل ونصرته للمظلوم ووقوفه بجانب الحق والعدل ، ودعوته للسلام وكلها تدعو إليها جميع الشرائع ، وأكد على احترام الأزهر للأديان وضرورة الحوار بينها فى ظل من السماحة والعدل .

وقد أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم وكانت تدور حول نشأة الأزهر الشريف ونظام الدراسة به فى جميع مراحله من الحضانة حتى الجامعة ، واستقباله للطلاب من شتى أنحاء العالم ، وعن حقوق المرأة فى الإسلام ، وعن المذاهب الإسلامية .

وفى نهاية اللقاء أشاد الوفد بدور الأزهر وعلمائه وجامعته العريقة .

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل سفير جمهورية أوزباكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر سعادة السفير الدكتور صالح أنعاموف سفير جمهورية أوزباكستان بالقاهرة بمناسبة تعيينه سفيرا لبلاده بجمهورية مصر العربية يوم ١٩ من ذى القعدة ١٤١٩ هـ الموافق ١٩٩٩/٣/٧ .

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف

وهنأه على منصبه الجديد متمنيا له إقامة طيبة بمصر داعيا له بالتوفيق والسداد فى مهمته ، معربا له أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تلبية أية مطالب للمسلمين فى دول العالم المختلفة ، وخاصة أوزباكستان لأن هذه رسالة الأزهر. وأوضح فضيلته أن لأوزباكستان ٣٥ طالبا يدرسون بالأزهر على منح دراسية ويتحمل الأزهر جميع نفقاتهم ويلقون نفس الاهتمام والرعاية كإخوانهم المصريين تماما .

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية لأبناء المسلمين فى بلاده ، وقد وعد فضيلة وكيل الأزهر بتلبية طلبه وأشار إلى أن الأزهر الشريف مستعد لتلبية أى عون أو مساعدة سواء من الكتب الدراسية أو الدينية أو إرسال علماء لتعليم المسلمين .

وقد سلم الضيف دعوة لزيارة فضيلة شيخ الأزهر الشريف لدولة أوزباكستان ووعد فضيلة وكيل الأزهر بعرض الدعوة على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لدراستها تمهيدا لتلبيتها وقدم فضيلته مصحفا شريفا هدية للضيف .

حضر اللقاء فضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف .

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ١٤١ بالموافقة على نقل السيد / عبد الحميد أحمد الجوهرى مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين إلى وظيفة مدير عام الإدارة العامة للمطبوعات بمجمع البحوث الإسلامية لصالح العمل والموافقة على ندب السيد / محمد شوقى محمود السبكى المفتش الإدارى الأول بالدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التنمية الإدارية للقيام بعمل مدير عام الإدارة العامة للطلاب الوافدين بمجمع البحوث الفنية لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها طبقا لأحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

صدر فى ١٩٩٩/٣/٤ .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١٤٤ بتجديد عضوية كل من :

١ ـ فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق .

٢ ـ السيد الأستاذ الدكتور / إبراهيم جميل مصطفى بدران .

٣ ـ فضيلة الأستاذ الشيخ / إبراهيم الدسوقى عبد الحميد أعضاء بالمجلس الأعلى للأزهر ممثلين لمجمع البحوث الإسلامية لمدة عامين اعتبارا من ١٩٩٩/٢/٢٧ م .

صدر فى ٨ مارس سنة ١٩٩٩ م .

كما صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر بالموافقة على سفر السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى دولة قطر لرياسة لجان تحكيم مسابقة القرآن الكريم للسنة السادسة التى تنظمها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر خلال المدة من ٣/٥ إلى ٩٩/٣/١٦ دون أن يتحمل الأزهر أية نفقات مالية وهم :

١ ـ فضيلة الدكتور / أحمد عيسى حسن المعصراوى ـ مدرس بكلية التربية جامعة الأزهر وعضو لجنة المصحف الشريف بالأزهر .

٢ ـ فضيلة الشيخ / صالح أحمد محمد الشيمى ـ وكيل معهد القراءات بالأزهر الشريف بشبرا .
٣ ـ فضيلة الشيخ / سلامة كامل جمعة قناوى ـ شيخ معهد الكوم الأحمر الإعدادى بمنطقة الجيزة .
٤ ـ فضيلة الشيخ / محمد سلامة يوسف سليمان ـ مدرس بكلية القرآن الكريم والقراءات وعلومها بطنطا .
٥ ـ فضيلة الشيخ / حسن عبد النبى عبد الجواد عراقى ـ مفتش بإدارة شئون القرآن بمنطقة القاهرة الأزهرية .
٦ ـ فضيلة الشيخ / سيد على عبد المجيد ـ مدرس القراءات بالأزهر الشريف بمعهد شبرا .
٧ ـ فضيلة الشيخ / على سيد على شرف ـ مدرس العلوم الشرعية والقراءات بمعهد الخانكة الأزهرى الثانوى .
٨ ـ فضيلة الشيخ /سعيد عبد الرحمن عبد العزيز ـ مدرس بمعهد أشمون بنين / بمنطقة شبين الكوم الأزهرية .
٩ ـ فضيلة الشيخ / عبد الرحيم عبد الغنى البنا ـ مدرس القراءات بمعهد شبرا .

وقد صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأن يسند إلى السادة الآتية أسماؤهم بعد ، القيام بأعمال الوظائف المبينة قرين اسم كل منهم بقطاع المعاهد الأزهرية وهم :

أولا : منطقة الشرقية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد طه عبد الرحمن فايد	شيخ معهد الزقازيق بدرجة مدير عام	القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الشرقية الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م
٢	الشيخ / أمين عبد الله أحمد خطاب	مدير امتحانات منطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول منطقة الشرقية الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
٣	الشيخ / عبد الله المرسى السيد محمد	موجه أول ثانوى بمنطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير إدارة الامتحانات بمنطقة الشرقية الأزهرية
٤	الشيخ / على عبد البصير على أحمد	رئيس قسم مكاتب شئون القرآن الكريم بمنطقة الشرقية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير شئون القرآن الكريم بمنطقة الشرقية الأزهرية

ثانيا : منطقة الغربية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد على أحمد خليل	وكيل منطقة أزهرية بدرجة مدير عام وقائم بعمل مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية	القيام بعمل وظيفة رئيس الإدارة المركزية لمنطقة الغربية الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا للقانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م .

ثالثا : منطقة كفر الشيخ الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسنده إليه ندبا
١	الشيخ / عبد الواحد محمد شمس الدين	قائم بعمل وكيل منطقة كفر الشيخ الأزهرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وظيفة مدير عام منطقة كفر الشيخ الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
٢	الشيخ / عبد الله مصباح أحمد	مدير التعليم الثانوى بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول منطقة كفر الشيخ الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقاً للقانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١م
٣	الشيخ / عبد الكريم سالمان إبراهيم	مدير التعليم الاعدادى بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم الثانوى بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية
٤	الشيخ / أبو طالب عبد القوى عطية	موجه عام بمنطقة كفر الشيخ بالدرجة الأولى	القيام بعمل مدير التعليم الإعدادى بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية

رابعا : منطقة الاسكندرية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	الشيخ / محمد صالح محمد بشناق	مدير التعليم الإعدادى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل أول بمنطقة الإسكندرية الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون (٥) لسنة ١٩٩١ م
٢	الشيخ / إبراهيم السيد محمد غنيم	مدير التعليم النوعى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم الإعدادى بمنطقة الإسكندرية الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
٣	الشيخ / ربيع على سلطان يوسف	موجه أول ثانوى بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير التعليم النوعى بمنطقة الإسكندرية الأزهرية
٤	الشيخ / عبد المنعم أحمد عليوة	موجه أول ثانوى أحمد بمنطقة الإسكندرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل مدير شئون القرآن الكريم بمنطقة الإسكندرية الأزهرية

خامسا : منطقة قنا الأزهرية

م	الاسم	الوظيفة والدرجة الحالية	الوظيفة المسندة إليه ندبا
١	السيد / أمين موسى محمد الشرونى	موجه عام اللغة الإنجليزية بمنطقة قنا الأزهرية بالدرجة الأولى تعليم	القيام بعمل وكيل ثقافى بمنطقة قنا الأزهرية وذلك لحين شغلها ممن تتوافر فيه شروطها وفقا لأحكام القانون رقم (٥) لسنة ١٩٩١ م

(المادة الثانية) :

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار . .

صدر فى : ٨ من ذى القعدة سنة ١٤١٩ هـ الموافق : ٢٤ من فبراير سنة ١٩٩٩ م

شيخ الأزهر

(دكتور / محمد سيد طنطاوى)

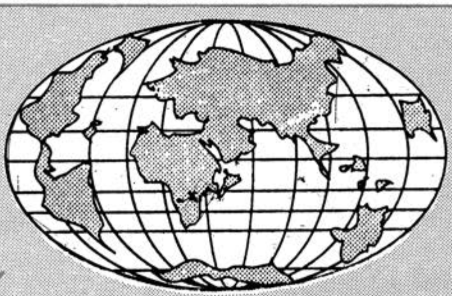

أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور :
حسن على محمد

من المحرر

عن الإسلامو فوبيا .. أتحدث

نتيجة لأخطاء بعض المسلمين . . ، ونتيجة لاستغلال وسائل الإعلام الغربية لبعض هذه الأخطاء . . فى أفغانستان ، والجزائر ، والسودان حيث يزعمون أن الحرب بين الجنوب والشمال هى حرب بين الإسلام والمسيحية . . !!

أقول . .

نتيجة لكل هذا راحت وسائل الإعلام فى أوروبا وأمريكا تشن حملاتها ضد الإسلام والمسلمين دون هوادة ، ولقد وصل تيار التخويف من الإسلام إلى فرنسا حيث بدأت الدولة فى محاربة الحجاب والتضييق على المسلمين هناك ، ثم ظهر كتاب (حلفاء الصرب) .

حيث أعلنت مؤلفته أنها تؤيد الصرب ضد المسلمين الذين يستخدمون العنف فى مقاومتهم ولم يهتز لها جفن برغم المذابح الدامية التى يرتكبها وحوش الصرب **ضد مسلمى البوسنة والهرسك !!**

ولقد انعكس هذا على أوضاع المسلمين فى أوروبا بالسلب . . ، فالمسلمون فى أوربا أكثر من ٦٠ مليون مسلم إلا أنهم حتى الآن لا صوت لهم فى الساحة ولا تأثير لهم فى صنع القرار السياسى على عكس اليهود الذين استطاعوا رغم عددهم القليل أن يوجهوا السياسة الأوروبية لصالحهم ونتيجة لخوف أوروبا من الإسلام فإنهم يعاملون المسلمين كعدو مرتقب .

مصر

١٢٤ مليون جنيه مصرى لنشر الدعوة الإسلامية

القاهرة : خاص « للأزهر » :

خصصت الحكومة المصرية ١٢٤ مليون جنيه لنشر الدعوة الإسلامية فى داخل مصر وخارجها ، وقد تم تخصيص هذا المبلغ لتمويل الخطة الجديدة التى تستهدف الرعاية الشاملة للمساجد ، ونشر الوعى الدينى فى مصر ورفع مستوى العلماء والدعاة .

كما وافقت الحكومة على تخصيص مبالغ لنشر الدعوة فى آسيا الوسطى وتشغيل المراكز الإسلامية التى بنتها مصر فى قازقستان وتركمنستان ، كما تم تخصيص ٥,٥ مليون جنيه لتعليم القرآن الكريم ، وحوالى ٤٢ مليونا للخطباء وقوافل التوعية والدروس الدينية ، و٦ ملايين للمسابقات الدينية وحوالى ٥,٥ مليون جنيه لتعمير المساجد .

مصر تستضيف مجموعة الثمانى عام ٢٠٠١

تشارك مصر فى اجتماعات قمة مجموعة الثمانى للدول الإسلامية ، وقد ألقى السيد عمرو موسى وزير الخارجية بيانا أمام القمة نيابة عن السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

وقد بحثت القمة العلاقات الاقتصادية بين الدول الإسلامية الثمانى وهى : مصر - بنجلاديش - أندونيسيا - إيران - ماليزيا - نيجيريا - باكستان - تركيا .

كما تناولت القمة تعزيز العلاقات بين الدول الثمانى فى المجالات الزراعية والتجارية وتكنولوجيا المعلومات والصناعة .

لا دور لمصر فى خطف الزعيم الكردى أوجلان

نفى مصدر مصرى مسئول ما نشرته بعض وسائل الإعلام التركية أخيراً حول دور مصرى فى عملية القبض على الزعيم الكردى .

وأكد المصدر على سوء نية هذه الجهات وتشويه صورة الرئيس مبارك الذى تدخل لحل أزمة سوريا وتركيا .

كما أكد المصدر على أن سياسة مصر تقوم على عدم التدخل فى شئون الآخرين ، وأن العملية كلها شأن تركى .

السعودية

الدكتور هوفمان : تصحيح صورة الإسلام فى الغرب مهمتنا خلال القرن القادم

الرياض : أ . ش . أ

صرح المفكر الإسلامى الدكتور مراد هوفمان الألمانى الأصل أن القضية التى تواجه المسلمين خلال القرن القادم هى تصحيح صورة الإسلام لدى الغرب ، وأن على أوروبا أن تعرف حقيقة الإسلام كدين سلام ، وليس كدين عنف وإرهاب .

وذكر الدكتور هوفمان أن فى ألمانيا حوالى ٦ ملايين مسلم ، منهم مليونا تركى ، وأن على أرض ألمانيا حوالى ١٥٠٠ مسجد ، وحوالى ٢٥ مركزاً إسلاميا .

ونقلاً عن حديث لمجلة « الدعوة » تشير وكالة الأنباء الإسلامية إلى قول الدكتور مراد هوفمان بحاجة المسلمين إلى من يعلمهم اللغة العربية ، وأمور الدين .

وأكد الدكتور مراد هوفمان على جهل الشعوب الأوربية بحقائق الدين الإسلامى ، وأنهم ليست لديهم صورة واضحة عن الإسلام .

مكة المكرمة . وكالة الأنباء الإسلامية :

يجرى العمل حالياً فى المسجد الحرام بمكة المكرمة لإنشاء جسر المسعى لنقل المصلين عند الدخول والخروج من وإلى المسجد الحرام دون تقاطع مع من يؤدون شعيرة السعى .

الجدير بالذكر أن هذا الجسر يتكلف ١٤ مليون ريال سعودى ، ويعد الجسر السابع من نوعه فى المسعى ، حيث تم تنفيذ ستة جسور مماثلة خلال الأعوام الماضية .

تركيا

الإعلام عن الإسلام بـ «الإنترنت»

استانبول . وكالة الأنباء الإسلامية :.

تستعد إحدى الجمعيات الإسلامية التركية للانطلاق فى مشروع كبير لخدمة الإسلام والقضايا الإسلامية عبر شبكة الإنترنت .

وقالت مصادر مطلعة : إن هذا المشروع سيتم بالتعاون مع مؤسسة الموسوعة الإسلامية فى تركيا من أجل توزيع معلومات دقيقة عن الإسلام والمسلمين .

وقد قامت الجمعية صاحبة المشروع بتشكيل لجان عمل متخصصة للإشراف على سير العمل فى شتى التخصصات من أجل تقديم المعلومات الدقيقة عن الإسلام .

•• باكستان تفتتح أول جامعة للنساء وتمنحها ٥٠٠ مليون روبية

إسلام أباد. وكالة الأنباء الإسلامية :

لأول مرة فى تاريخ باكستان تم افتتاح أول جامعة خاصة بالنساء تسمى جامعة فاطمة جناح ، وقد قام السيد / نواز شريف رئيس الوزراء بافتتاح الجامعة فى مدينة روالبندى فى المقر القديم لرئاسة الجمهورية ، وتعتبر هذه الجامعة هى الثالثة فى مدينة روالبندى ، وقد التحق بها حتى الآن حوالى ٤٠٠٠ طالبة .

بريطانيا

لأول مرة : عضوان مسلمان فى مجلس اللوردات ..!

لندن. وكالات الأنباء :

دخل اثنان من المسلمين كأعضاء فى مجلس اللوردات البريطانى لأول مرة فى تاريخ الحياة البرلمانية البريطانية .

العضوان المسلمان هما : السيدة / بولا ماتريلا ، والسيد / نظير أحمد

أما السيدة بولا فهى أصلاً مسلمة من بنجلاديش تبلغ من العمر ٣٨ سنة ، والسيد / نظير أحمد من كشمير وعمره ٤١ سنة ، وهو مولود فى كشمير ، وجاء إلى بريطانيا للدراسة عام ١٩٧٥ ، وانتخب فى مجلس محل للاشتراكيين ، ثم نائب رئيس مجلس الإسكان والبيئة فى مدينة روثير هام .

كولونيا

محمد هيثم :

الإسلام سينتصر فى القرن القادم بمشيئة الله - تعالى -

أعلن صمويل هونينجتون فى كتابه (صراع الحضارات) أن الفكر الإسلامى سينتصر فى يوم من الأيام ؛ لأنه دين يتجدد ، وقد أعلن المؤلف فى محاضرة له ألقاها بدعوة من الأمير أتونولف فون أعلن أن الاقتصاد الإسلامى أحد عوامل الاستقرار للاقتصاد الدولى ؛ لأنه وسط بين الملكية المطلقة - أى اقتصاد السوق الحرة - والاقتصاد الاشتراكى .

أمريكا

الأمريكان يفضلون الحراس المسلمين

واشنطن. وكالات الأنباء :

كبار المشاهير من السياسيين والفنانين الأمريكان أصبحوا يفضلون تأمين حراستهم بواسطة المسلمين من حراس الأمن والتعامل مع الشركات الأمنية المملوكة للمسلمين وذلك لما وجدوه من أمانة وانضباط لدى المسلمين .

والمعروف أن الرئيس الأمريكى كارتر حراسه مسلمون ، وكذلك رئيس جنوب أفريقيا نيلسون مانديلا ، والملاكم العالمى محمد على كلاى .

ويرى الأمريكان أن الحارس المسلم يتميز بالأمانة والصدق والأخلاق الطيبة ، وهو ما يجعله آمنا على نفسه وماله فى حراسة المسلمين .

أسبانيا

الإسلام يعود بعد ٥٠٠ سنة من خروج المسلمين

مدريد. عن جريدة الموندو:

قالت جريدة الموندو فى صدر صفحاتها إن الإسلام قد بدأ يعود إلى أسبانيا بعد خروج المسلمين منها منذ ٥٠٠ سنة ، وأشارت المجلة إلى تضاعف عدد المسلمين الأسبان ، وأشارت جريدة (الموندو) إلى التقديرات الرسمية لأعداد المسلمين فى أسبانيا ، حيث يبلغ عدد المسلمين (٣٠٠) ألف مسلم ، كما تشير بعض التقارير إلى أنهم نصف مليون مسلم .

وأضافت الجريدة إلى أن مدينة غرناطة عادت لتصبح مركزاً للإشعاع الثقافى الإسلامى ، ويعيش فيها حوالى ٢٠٠٠ مسلم ، وقد ألمحت الجريدة إلى أن عودة المساجد إلى غرناطة تعيد ذكريات الماضى .

مقدونيا

٥٠٠ مسجد يعمل بها ١٢٠٠ إمام وخطيب وموظف

سكوبيا. وكالة الأنباء الإسلامية .

يشكل المسلمون فى جمهورية مقدونيا ـ التى أعلنت استقلالها عام ١٩٩٥ ، وأصبحت عضواً فى الأمم المتحدة ـ ٥٠٪ من السكان البالغ عددهم ٢,٥ مليون نسمة .

وقد تم إنشاء ٥٠٠ مسجد إضافة إلى ١٢ مسجداً تحت الإنشاء ، ويشرف الاتحاد الإسلامى هناك على هذه المساجد ، وعلى مدرسة ثانوية تضم ٢٨٠ طالبا .

ويهتم الاتحاد الإسلامى بمقدونيا بنشر الإسلام فى منطقة البلقان ، ويحاول الآن استصدار قانون يتم بموجبه إعادة أملاك وعقارات الاتحاد الإسلامى التى اغتصبها الشيوعيون سابقا .

الهند

معبد هندوسى على أنقاض مسجد البابرى بالهند

دلهى. وكالة الأنباء الإسلامية :

أكد جرى راج كشور الأمين العام للمجلس الهندوسى العالمى المسمى (وشو اهندو بريشاد) أنه سيتم بناء معبد (راما) خلال العامين القادمين فى مكان مسجد البابرى الذى هدمه المتطرفون الهندوس فى السادس من ديسمبر عام ١٩٩٦ فى مدينة أجودهيا بولاية (أتاربراديش) الهندية .

وقال المتطرف كشور : أن هدفه ليس بناء **المعبد الهندوسى فقط مكان المسجد ، وإنما يهدف** إلى تحويل الهند كلها إلى دولة هندوسية لا مكان فيها لأية ديانة ما عدا الهندوسية .

وقد أوضح هذا المتطرف أنه تم إيداع ٩٣ مليون روبية بالبنك تبرع بها الهندوس الهنود لإنشاء المعبد .

وقد ذكر الأمين العام المشارك للمجلس الهندوسى (جميت رائى) أن إنشاء المعبد سوف يتكلف ١٢٠٠ مليون روبية هندية .

تعليق :

أين ما تدعيه الحكومة الهندية من حرص على المسلمين كما يزعمون فى المحافل الدولية ؟

وأين أغنياء المسلمين فى العالم . . ؟ إن مسجد البابرى من أقدم المساجد الأثرية فى القارة الهندية كلها ، وليس فى الهند فقط . . !!

تكذيب

دلهى. وكالة الأنباء الإسلامية : .

أعلنت جمعية علماء الهند أن ما نشرته صحيفة هندوسية فى دلهى بشأن ارتداد ٤٥ ألف مسلم من سكان قرية فى راجستان أمر عار تماما من الصحة وأنه لا صحة مطلقا لهذا الخبر .

وقد زار القرية وفد من تسعة أعضاء من الجمعية ، وتفقدوا أوضاع المسلمين فيها ، وقد أكد سكان القرية كذب هذا الادعاء الهندوسى .

إيـــران

تـرجـمـة معـانـى الـقـرآن الـكـريـم إلى اللغة التركية

طهران :

يسعى مركز ترجمة القرآن الكريم التابع لمنظمة الأوقاف والشئون الخيرية فى إيران إلى إنجاز ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية ، وقد انتهى المركز من جمع ٢٥٠٠ نسخة مترجمة من معانى القرآن الكريم إلى ٧٩ لغة من اللغات الحية فى العالم .

وسوف يترجم المركز معانى القرآن الكريم إلى اللغة التركية الآذرية بحروف الكريل ، وهى التى تتحدث بها دول آسيا الوسطى ، وبحروف لاتينية **للآذريين فى أوروبا ، وبحروف عربية للإيرانيين** الناطقين بالأذرية .

وقد استغرق إعداد هذه الترجمة ثلاث سنوات ، وقد شارك فى هذا العمل خبراء وأساتذة اللغة التركية الإيرانيون والأجانب .

تنزانيا

لأول مرة : إذاعة إسلامية على موجات F . M

دار السلام . خاص « للأزهر »

لأول مرة يقوم المجلس الأعلى للمنظمات الإسلامية بتنزانيا بإنشاء محطة إذاعية إسلامية تسمى (راديو خيرى دار السلام) ، وتقوم هذه المحطة بتقديم البرامج الإسلامية بعد أن منحتها الحكومة ترخيصاً للبث على موجات (F . M) ، وسوف تهتم هذه المحطة بتعليم المسلمين أمور دينهم ، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، الجدير بالذكر أن نسبة المسلمين هناك ٦٠٪ .

●●● ولأول مرة أيضاً :

أول ناد إسلامى فى أفريقيا كلها بدار السلام

افتتح رئيس جمهورية تنزانيا السابق / على حسن عوينى أول ناد إسلامى فى تنزانيا وأفريقيا كلها .

ويهدف النادى إلى توحيد مواقف المسلمين من كل المذاهب ومناقشة القضايا الساخنة فى المجتمع التنزانى .

وقال السيد / عوينى رئيس الجمهورية السابق **بأن هذا النادى مكسب للمسلمين ؛ لأنه يجمعهم** لمناقشة شئونهم بدلاً من الجلوس فى المقاهى ونوادى الخمور السياحية .

الفلبين

منح دراسية لألف طالب فلبينى مسلم

مانيلا . وكالة الأنباء الإسلامية :

سوف يحصل ألف طالب مسلم فلبينى من الجنوب على منح دراسية فى برنامج للمنح الدراسية قرره الرئيس الفلبينى الجديد ، وأعلن أن هذا البرنامج سوف يستمر عشر سنوات بواقع (١٠٠)طالب سنويا ، ودعا رئيس الفلبين فى خطابه أمام البرلمان إلى إعطاء مسلمى الفلبين الاهتمام الذى يستحقونه لتعويضهم عن سنوات الإهمال التى عانوا منها .

الفهرس
السنوى العام

١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(المحرم ١٤١٩ هـ/ مايو ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية « قيم من الهجرة » للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١
● تفسير سورة البقرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٥
قبس من انوار النبوة للشيخ على حامد	٩
● قامت الهجرة للشيخ عبد المنصف محمود	١٢
● الهجرة النبوية للدكتور : مبروك عطية أبو زيد	١٥
● الهجرة الكبرى لفضيلة الشيخ معوض عوض	١٩
● الهجرة إلى مكة للشيخ عبد الحفيظ فرغلى القرنى	٢٥
● الهجرة عظة وعبرة للدكتور : أحمد عبد الله الطيار	٣٠
● الانصار للاستاذ/ عاطف شحاتة زهران	٣٥
● العطاءات الفقهية والتاريخية ليوم عاشوراء للأستاذ محمد عبد الحكيم القاضى	٤٠
● حاجة الإنسانية إلى الإسلام للأستاذ الدكتور رشدى عزيز	٤٨
● عاشوراء بين اليهودية والإسلام لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور	٥٣
● المسجد ودوره فى المجتمع لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٦٠
● الحضارة وازمة الوعى الاخلاقى للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	٦٤
● اية قرانية للأستاذ/ الربيع الغزالى	٦٦
● حدث فى شهر المحرم إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين	٦٩
● استفتاءات القراء للشيخ السيد العراقى شمس الدين	٧٥
● طرائف ومواقف الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٨
● من اعلام الأزهر للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٨٠
● المروءة للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير	٨٥
● دور الإعلام الوطنى فى حفظ هوية المجتمع أمام تيار العولمة للدكتور محمد عبد الحكيم محمد	٨٩
● شهر الله المحرم للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٤
● ابن الشاطر للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٩٨
● مشاكل المراهقة عند الفتيات للأستاذ الدكتور أحمد رجائى عبد الحميد	١٠٢
● كل دنيا تبنى على غير دين فبناء على شفير هار شعر فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى	١٠٧
● من اسمح الشعراء « حاتم الطائى »	١١١
● مـنـاجـاة شعر : محمد فتحى نصار	١١٣
● من شعراء الأزهر للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١١٤
● رحلة مع التراث للأستاذ/ حامد الجوجرى	١٢١
تعقيب على رحلة مع التراث أ . د . صلاح عبد العزيز على السيد	١٢٧
● دوحة الكتب إعداد محمود الفشنى	١٢٨
● بين المجلة والقارىء إعداد/ عادل رفاعى خفاجة	١٣٥
● اخبار العالم الإسلامى للدكتور حسن على محمد	١٤٨

القسم الفرنسى

● المقالة الثانية زينب عبد العزيز	١٥٤
● المقالة الأولى هدى حسين	١٥٨

القسم الانجليزى

● المقالة الثانية محمد جميعة	١٦٣
● المقالة الأولى مها فهمى	١٦٦

(صفر ١٤١٩ هـ/ يونية ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (الشقيقتان مصر ـ البحرين) للشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٦٩
● تفسير سورة البقرة لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	١٧٤
● كلمة الأستاذ الدكتور احمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر	١٨٢
● كلمة السيد رئيس وزراء ماليزيا (التسامح والإسلام)	١٨٦
● الإيمان اساس البنيان وقاعدة العمران لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٩١
● قبس من انوار النبوة للشيخ على حامد	١٩٤
● اضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته بقلم الدكتور : احمد عبد الرحيم السايح	١٩٦
● حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور/ محمد شامة	٢٠٨
● اختصاص البعض بالمال فى الإسلام ليس امتلاكاً وإنما هو امانة ومسئولية للدكتور/ محمد شوقى الفنجرى	٢١٧
● المسئولية العربية والإسلامية فى ظل التعنت الإسرائيلى للدكتور محمد عبد الحكيم محمد	٢٢٠
● الضوابط الشرعية لقضاء الاجازة الصيفية للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير	٢٢٤
● حدث فى شهر صفر عبر القرون إعداد الأستاذ/ احمد السيد تقى الدين	٢٣٠
● استفتاءات القراء يجيب عنها لجنة الفتوى بالازهر الشريف يقدمها الشيخ/ السيد العراقى شمس الدين	٢٣٨
● طرائف ومواقف للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٤٠
● من اعلام الأزهر الشريف للدكتور/ محمد رجب البيومى	٢٤٢
● حياته العلمية ، وآراؤه التربوية للدكتور/ احمد الشرباصى	٢٤٦

الموضوع	الصفحة
● من روائع الماضى إعداد وتقديم/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٢٥١
● نسبية الزمان والمكان للأستاذ الدكتور/ احمد فؤاد باشا	٢٥٦
● البصمة معجزة إلهية ابهرت العقل البشرى للأستاذ/ عبد العليم عبد السميع غزى	٢٦٠
● اللغة العربية لغة الإسلام بقلم الفريق/ يحيى بن عبد الله المعلمى	٢٦٤
● شاعر قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم يأتى يوم القيامة امة وحده للأستاذ/ محمد عبد الوهاب	٢٦٨
● المعجزة الخالدة للأستاذ/ إبراهيم صالح	٢٧٠
● احمنى منى شعر/ إبراهيم عيسى	٢٧١
● من شعراء الإسلام ـ الربيع الغزالى بقلم الأستاذ/ احمد مصطفى حافظ	٢٧٢
● دوحة الكتب إعداد/ محمود الفشنى	٢٧٦
● بين المجلة والقارىء إعداد/ عادل رفاعى خفاجة	٢٨٣
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى / مصطفى عبد المجيد	٢٨٨
● اخبار العالم الإسلامى للدكتور حسن على محمد	٢٩٦
القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية هدى حسين شعراوى	٣٠٥
● المقالة الأولى : رقية جبر	٣٠٧
القسم الانجليزى	
المقالة الثانية : للأستاذ / محمد جميعة	٣١٣
● المقالة الأولى للسفيرة مها فهمى	٣١٦

(ربيع الأول ١٤١٩ هـ / يولية ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● لمحة من تاريخ الإمام الراحل (محمد متولى الشعراوى)	٣٢١
● الافتتاحية (ذكرى ميلاد) نبى الرحمة محمد ﷺ لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	٣٢٥
● تفسير سورة البقرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٣٣٠
● قبس من انوار النبوة : بعث الرسول بالهدى والعلم لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	٣٣٥
● سر عظمة الرسول « ﷺ » لفضيلة الشيخ محمد صابر البرديسى	٣٣٨
● محمد أشرف الخلق للشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٣٤٣
● رسول الإسلام « راعى الغنم الذى يفخر به العالم والإنسانية » للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٣٥٣
● النسب الزكى لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون	٣٦٠
● مولد قائد الخلق إلى الهدى والحق للشيخ محمد حافظ سليمان	٣٦٢
● من اخلاق خاتم الرسل والأنبياء محمد « ﷺ » للمستشار محمد عزت الطهطاوى	٣٦٥
● حول الذكرى العطرة « التأسى بإمام الانبياء وخاتم المرسلين للشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٣٧٢
● حديث الفؤاد فى مولد خير العباد للأستاذ الدكتور مبروك عطية أبوزيد	٣٧٧
● فى رحاب الذكرى العطرة للأستاذ ثروت السيد العراقى	٣٨٠
● الجمال وصف لخلق وخلق الرسول للأستاذ محمد عبد العظيم الجوهرى	٣٨٤
● اضواء حول عالمية الإسلام واستمراريته للأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح	٣٨٧
● لماذا يخاف الغرب الإسلام ؟ للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	٣٩٤
● المسئولية الاجتماعية للمسجد فى المجتمع المصرى المعاصر للأستاذ الدكتور/ محمد محمد البادى	٣٩٨
● الإيمان وسيلة للسعادة للدكتور أحمد عبد الله الطيار	٤٠٣
● قادة الخلفاء (ابو بكر الصديق - رضى الله عنه) للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٤٠٨
● استفتاءات القراء للشيخ السيد العراقى شمس الدين	٤١٨
● طرائف ومواقف للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٤٢٢
● من اعلام الأزهر : محمد محمد المدنى للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٤٢٤
● من روائع الماضى . موهبة النبى ﷺ السياسية للشيخ محمد محمد أبو شهبة	٤٣٠
● تأثر البوصيرى وشوقى بابن الفارض فى بردتيهما للدكتور سعد ظلام	٤٣٤
● خميلة الشعر للأستاذ محمد عبد الوهاب	
● ايها الحادى بآيات الكتاب شعر محمد فتحى نصار	٤٤٠
● رسول الرحمن للشاعر عبد العاطى موسى	٤٤٢
● فى رحاب المولد النبوى الشريف للشاعر محمود حسن عونى	٤٤٣
● ربيع الوجود محمد ﷺ شعر : أسامة كامل الخريبى	٤٤٤
● شاعر الشعراء زهير بن أبى سلمى	٤٤٦
● نعى الأمة الإسلامية والعربية	٤٥٠
● فقه المصطلحات العلمية للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٤٥٦
● الصحة الإنجابية « بعض مشاكل المراهقة عند الفتيات » د . أحمد رجائى عبد الحميد	٤٦٠
● الارق وطرق علاجه بين عبث الملحدين وهدى الإسلام للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٤٦٢
● دوحة الكتب إعداد : محمود الفشنى	٤٦٩
● بين المجلة والقارىء للأستاذ : عادل رفاعى خفاجة	٤٧٦
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى	٤٨٢
● اخبار العالم الإسلامى للدكتور حسن على محمد	٤٨٩
● مقالات القسم الفرنسى	
● المقالة الثالثة د . هدى حسين شعراوى	٤٩٧
● المقالة الثانية عبد العزيز سالم	٥٠٠
● المقالة الأولى د . رقية جبر	٥٠٣
● مقالات القسم الانجليزى	
● المقالة الثانية	٥٠٧
● المقالة الأولى للسفيرة مها فهمى	٥١٠

(ربيع الآخر ١٤١٩ هـ / أغسطس ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (مصر الأزهر الشريف)	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	٥١٣
● احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف	
● كلمة السيد رئيس الجمهورية	٥١٨
● كلمة فضيلة الامام الاكبر	٥٢٣
● يوم خالد فى تاريخ الأزهر	
إعداد / اسرة التحرير	٥٢٦
● كلمة فضيلة الامام الاكبر فى افتتاح الجامع الأزهر	٥٢٨
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	٥٣٠
● قبس من انوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	٥٣٥
● يسالونك عن الخمر	
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٥٣٨
● حرف فى كتاب الله	
لفضيلة الأستاذ الدكتور على العمارى	٥٤٢
● الإنسان المكلف المستخلف	
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم	٥٤٩
● من المراة التى جادلت النبى ﷺ فى زوجها	
لفضيلة الشيخ مصطفى محمد الطير	٥٥٣
● المخدرات والسموم البيضاء	
لفضيلة الشيخ عبد المنصف عبد الفتاح	٥٥٨
● طغيان المال وعبرة المال فى محكم القران	
لفضيلة الشيخ عبد الرحمن صان الدين	٥٦٤
● استفتاءات القراء	
لفضيلة الشيخ السيد العراقى شمس الدين	٥٦٨
● الجانب الآخر من الوعى الحضارى	
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	٥٧٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
إعداد الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٥٧٦
● كونوا كالشامة بين الناس	
للدكتور عزت عبد الرحمن عبد العال	٥٨٠
● الرسالة النبوية إلى إمبراطور الروم هرقل	
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة	٥٨٥
● قنواتنا الإقليمية والفضائية ودورها فى بناء الإنسان	
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد	٥٨٨
● من قادة الخلفاء الراشدين	
للأستاذ احمد السيد تقى الدين	٥٩٢
● من اعلام الأزهر (الشيخ محمد محمد المدنى)	
لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٦٠١
● نظرات حول التصوف	
للأستاذ بدوى طه بدوى	٦٠٧
● شريعتنا الإسلامية وزائرونا من الأجانب	
للدكتور احمد إبراهيم هلال	٦١٤
● طرائف ومواقف	
للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٦١٨
● خميلة الشعر	
إعداد الأستاذ محمد عبد الوهاب	٦٢١
● تحية إلى الأزهر المعمور	
شعر / محمد إبراهيم العشماوى	٦٢٢
● ارض الكنانة	
شعر / عبد الحكيم على سيد عثمان	٦٢٣
من امراء الشعر	
● النابغة الذبيانى	٦٢٤
● المعلقة	٦٢٦
● العلوم الكونية ●	
● فقه المصطلحات العلمية	
للأستاذ الدكتور احمد فؤاد باشا	٦٣٠
● إيثار ام اثرة فى دنيا الطيور	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٦٣٤
● موقف الإسلام من الرياضات البدنية	
للدكتور عبد العزيز صلاح سالم	٦٣٩
● اللغة والأدب والنقد ●	
● من طبقات المحققين (على عبد العظيم)	
للأستاذ الدكتور السيد إبراهيم الجميل	٦٤٦
● علماء من مصر	
لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ فرغلى على	٦٥٢
● دوحة الكتب	
للأستاذ محمود الفشنى	٦٥٨
● بين المجلة والقارىء	
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة	٦٦٤
● انباء مكتب الإمام الاكبر شيخ الأزهر	
إعداد فضيلة الشيخ عمر البسطويسى على	٦٧٠
● انباء العالم الإسلامى	
للدكتور حسن على محمد	٦٨٢
● المقال الفرنسى الثانى	
للأستاذة الدكتورة هدى حسين شعراوى	٦٩٢
● المقال الفرنسى الأول	
للأستاذة الدكتورة رقية محمود جبر	٦٩٥
● المقال الإنجليزى الأول	
للأستاذة حنان طهطاوى	٧٠٢

(جمادى الأولى ١٤١٩ هـ/ سبتمبر ١٩٩٨م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (كيف تتحقق محبة رسول الله؟ -صلى الله عليه وسلم -	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	٧٠٥
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	٧٠٩
● قبس من انوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	٧١٧
● الطريق إلى الهداية	
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٧٢٠
● كتابة القرآن الكريم بين الرسم المتبع والخط المخترع	
الدكتور على إبراهيم محمد	٧٢٤
● البلاء وما للإنسان فيه من منظور إسلامي	
للدكتور الشبراوى محمد عبد الهادى الجهورى	٧٢٨
● قضايا قرآنية : قضية الرسم العثماني	
للأستاذ صديق بكر على	٧٣٤
● إمام الدعاة وحجة الإسلام الشيخ محمد متولى الشعراوى في عالم الخلود	
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٧٤٠
● إمام الدعاة ظاهرة يمكن الإفادة منها	
للأستاذ الدكتور سعد ظلام	٧٤٤
● ومات ظاهرة العصر	
للدكتور عبد الله بن محمد الحميد	٧٥٠
● الجنيد .. وتصوفه	
للأستاذ الدكتور عامر النجار	٧٥٤
● العلوم الاجتماعية ودورها في مكافحة العنف والتطرف	
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد	٧٥٩
● استفتاءات القراء	
لفضيلة الشيخ السيد العراقى شمس الدين	٧٦٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
إعداد الشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٦٧
● من قادة الخلفاء الراشدين الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه (٢)	
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٧٧٢
● من اعلام الأزهر (محمود خطاب السبكى)	
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٧٨٢
● طرائف ومواقف	
للشيخ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٧٨٨
● فقه المصطلحات العلمية	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٧٩٠

الموضوع	الصفحة
● خميلة الشعر	
إعداد الأستاذ محمد عبد الوهاب	٧٩٥
● في موكب الوداع مرثية الإمام محمد متولى الشعراوى	
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى	٧٩٦
● في رحيل الإمام الشعراوى	
للأستاذ محمد التهامى	٧٩٩
● سوف يبقى	
للشاعر محمد فتحى نصار	٨٠١
● اللغة والأدب والنقد	
● جهود الزيات في الحياة الفكرية والأدبية	
للأستاذ الدكتور السيد مرسى أبو ذكرى	٨٠٤
● مآثر إسلامية في الصحافة الأجنبية	
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير	٨١١
● دوحة الكتب	
للأستاذ محمود الششنى	٨١٤
● بين المجلة والقارىء	
للأستاذ عادل رفاعى خفاجة	٨٢٢
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف	
إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى	٨٢٨
● أخبار العالم الإسلامى	
للدكتور حسن على محمد	٨٣٤
● مقالات القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية	
د . هدى حسين شعراوى	٨٤٣
● المقالة الأولى	
د . رقية جبر	٨٤٧
مقالات القسم الانجليزى	
● المقالة الثانية	
الأستاذ كمال عبد الرحمن مسلم	٨٥٠
● المقالة الأولى	
السفيرة مها فهمى	٨٥٤

(جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ/ أكتوبر ١٩٩٨م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (العلماء وحاجة المجتمع إليهم) :	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	٨٥٧
● تفسير سورة البقرة :	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	٨٦١
● قبس من انوار النبوة :	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	٨٦٧
● إن الله معنا :	
لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر	٨٧٠
● مهمة المسجد فى توجيه الشباب للإسهام فى تنمية مجتمعاتهم :	
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى	٨٧٨
● الحياء والإيمان :	
للدكتور سامى عفيفى حجازى	٨٨٤
● العمل ومكانته العظيمة فى الإسلام :	
لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح	٨٩٢
● قضايا قرآنية .. قضية الرسم العثمانى :	
للأستاذ صديق بكر على عيطة	٨٩٧
● رأى مستشرق فى الأزمة بين الغرب والعرب :	
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	٩٠٢
● كلمة وفاء فى ذكرى استاذنا فضيلة الشيخ عبد الفتاح القاضى ، رحمه الله ، فى ١٥ من محرم ١٤٠٣ هـ :	
للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى	٩٠٧
● الإطار الاجتماعى للدعوة والداعية فى الدول الإسلامية	
للأستاذ الدكتور محمد محمد البادى	٩١٠
● ركائز البقاء فى ظل التحديات المعاصرة :	
للدكتور محمد عبد الحكيم	٩١٦
● علماء من مصر :	
لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ على القرنى	٩٢١
● طرائف .. ومواقف :	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٢٦
● من قادة الخلفاء الراشدين ، الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، :	
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	٩٢٨
● الثقافة أولاً :	
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	٩٣٤

الموضوع	الصفحة
● من اعلام الأزهر ، محمود خطاب السبكى ، مؤسس الجمعية الشرعية وداعية الإسلام بمصر :	
للدكتور محمد رجب البيومى	٩٣٨
● طبقات المحققين والمصححين ، فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ـ رحمه الله ، :	
بقلم الأستاذ الدكتور السيد الجميلى	٩٤٥
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر ، رسالة المعلم للأستاذ محب الدين الخطيب ، :	
إعداد وتقديم عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	٩٥١
● استفتاءات القراء :	
يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين	٩٥٥
● خميلة الشعر :	
للأستاذ محمد عبد الوهاب	٩٥٩
● من لطيف المنح على بعض ماماء ونبح :	
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير	٩٦٧
● فقه المصطلحات العلمية :	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	٩٧١
● بين المجلة والقارىء :	
إعداد عادل رفاعى خفاجة	٩٧٦
● دوحة الكتب :	
إعداد محمود الفشنى	٩٨١
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف :	
إعداد الاستاذ عمر البسطويسى	٩٨٦
● اخبار العالم الإسلامى :	
للدكتور حسن على محمد	٩٩٢
● مقالات القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية :	
د . هدى حسين شعراوى	١٠٠١
● المقالة الأولى :	
د . رقية جبر	١٠٠٦
● مقالات القسم الا نجليزى	
● المقالة الثانية :	
للسفيرة مها فهمى	١٠١٠
● المقالة الأولى :	
إعداد الأستاذة هدير رفعت أبو النجا	١٠١٤

(رجب ١٤١٩ هـ / نوفمبر ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية (فى رحاب الإسراء والمعراج)	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٠١٧
● بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف	١٠٢٢
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر	١٠٢٤
● قبس من انوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٠٢٩
● الإسراء والمعراج معجزة خالدة	
للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى	١٠٣٢
● واجب المسلمين نحو تحرير القدس	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى	١٠٣٦
● الإسراء والمعراج تكريم لنبى الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ	
للمستشار : محمد عزت الطهطاوى	١٠٤٤
● مكانة المساجد الثلاثة المقدسة فى القلوب المخلصة	
لفضيلة الشيخ : محمد حافظ سليمان	١٠٤٨
● المسجد الأقصى المبارك ومكانته العظيمة فى الإسلام	
لفضيلة الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١٠٥٤
● استقرار القبلة	
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٠٦١
● جدلية الإسلام « الصيغة الإسلامية لتحقيق التوازن بين المتناقضات »	
للمستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى	١٠٦٤
● العلاقة الاجتماعية فى الإسلام « تدعيم للوحدة فى المجتمع الإسلامى »	
للأستاذ الدكتور محمد شامة	١٠٧٠
● الإسلام وتكريم الإنسان	
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون	١٠٨٠
● من قادة الخلفاء الراشدين : الفاروق عمر بن الخطاب « رضى الله عنه »	
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	١٠٨٣
● فن الاعتذار	
للأستاذ أحمد إبراهيم هلال	١٠٨٨
● حبة البركة « إعجاز إلهى فى خلقه ! »	
للأستاذ عبد العليم عبد السميع غزى	١٠٩١
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين	١٠٩٦
● من اعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر « عبد الله بن كنون »	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٠٩٩
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر « الإسراء والمعراج »	
لفضيلة الشيخ محمود محمد المدنى	
إعداد وتقديم الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١١٠٥
● خميلة الشعر	
للأستاذ محمد عبد الوهاب	١١٠٩
● فقه المصطلحات العلمية	
للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا	١١١٤
● طرائف ومواقف	
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١١١٨
● هباة صغيرة فى مهمة كبيرة	
بقلم الأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير	١١٢٠
● قصائد الإسلام والقدس	
للأستاذ : نبيل محمد رشاد	١١٢٤
● اخبار العالم الإسلامى	
يحررها الدكتور : حسن على محمد	١١٢٩
● الجديد فى العلم والتقنية	
للدكتورة : نجوى السيد أحمد	١١٣٤
● دوحة الكتب	
إعداد : محمود الفشنى	١١٣٦
● بين المجلة والقارىء	
للأستاذ : عادل رفاعى خفاجة	١١٤٢
● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف	
إعداد الأستاذ عمر البسطويسى	١١٤٨
● مقالات القسم الفرنسى ●	
● المقالة الثانية :	
د . رقية جبر	١١٥٩
● المقالة الأولى	
د . هدى حسين شعراوى	١١٦٦
● مقالات القسم الإنجليزى ●	
● المقالة الثانية :	
حنان عبده الطهطاوى	١١٧٢
● المقالة الأولى :	
للسفيرة مها فهمى	١١٧٤

(شعبان ١٤١٩ هـ / ديسمبر ١٩٩٨ م)

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية [عطايا الرحمن في شعبان]	
للشيخ : عبدالمعز عبدالحميد الجزار	١١٧٧
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر	١١٨٢
● قبس من أنوار النبوة	
لفضيلة الشيخ : على حامد عبدالرحيم	١١٨٧
● وكانت ليلة النصف من شعبان	
للأستاذ الدكتور : محمد عبدالمنعم خفاجى	١١٩٠
● الزهد في الإسلام	
للأستاذ الدكتور : عامر النجار	١١٩٤
● الإسراء والمعراج	
للأستاذ الدكتور : سعد ظلام	١٢٠٢
● قضايا قرآنية	
للأستاذ : صديق بكر على عيطة	١٢١٠
● الداعية الإسلامى وخاصية القدرة على التأثير	
للأستاذ الدكتور : محمد محمد البادى	١٢١٤
● الإفرازات الطبيعية عند المرأة	
للدكتورة : فاطمة بنت عمر بن محمد نصيف	١٢١٨
● من قادة الخلفاء الراشدين	
للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين	١٢٢٩
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين	١٢٣٥
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
إعداد وتقديم : فضيلة الشيخ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	١٢٣٨
● فقه المصطلحات العلمية	
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا	١٢٤١
● رحلة الأنامل الذهبية	
للأستاذ : مجدى عبدالحميد بشير	١٢٤٥
● علماء من مصر [أبو جعفر الطحاوى]	
لفضيلة الشيخ : عبدالحفيظ فرغلى القرنى	١٢٤٩
● عبدالله بن كنون	
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى	١٢٥٤
● فضيلة الشيخ محمد زكى إبراهيم [رائد العشيرة المحمدية]	
للشيخ : محيى الدين حسين يوسف الإسنوى	١٢٦٠
● طرائف ومواقف	
لفضيلة الأستاذ : عبدالحفيظ محمد عبدالحليم	١٢٦٦
● الأدب الإسلامى الصوفى	
للأستاذ : أحمد مصطفى حافظ	١٢٦٨
● من نصراء الفصحى في العصر الحديث	
للدكتور : محمد عبدالحكيم محمد	١٢٧٢
● الأدب في آثار المحدثين	
للأستاذ الدكتور : السيد مرسى أبو ذكرى	١٢٧٨

خميلة الشعر
إعداد : الأستاذ محمد عبدالوهاب

الموضوع	الصفحة
● الله ربى	
للأستاذ : محمد عبدالوهاب	١٢٨٨
● به انتفنى	
للشيخ : محمد عبدالرحمن صلاح الدين	١٢٨٩
● توحيد الله	
للأستاذ : محمود الطاهر الصافى	١٢٩٠
● نشيد النصر	
للأستاذ : محمد إبراهيم العشماوى	١٢٩١
● أنا مصر	
للأستاذ : محمد أحمد المصرانى	١٢٩٣
● دوحة الكتب	
للأستاذ : محمود الفشنى	١٢٩٤
● بين المجلة والقارىء	
إعداد وتقديم الأستاذ : عادل رفاعى خفاجة	١٣٠١
● أنباء مكتب شيخ الأزهر	
للأستاذ : عمر البسطويسى	١٣٠٨

القسم الفرنساوى

الموضوع	الصفحة
● المقال الثانى	
د . هدى حسين شعراوى	١٣١٨
● المقال الأول	
أ . د . رقية جبر	١٣٢١

القسم الانجليزى

الموضوع	الصفحة
● المقال الثالث	
للأستاذة : هدير أبو النجا	١٣٢٣
المقال الثانى	
للأستاذة : حنان عبده الطهطاوى	١٣٣٠
● المقال الأول	
للسفيرة : مها فهمى	١٣٣٤

(رمضان ١٤١٩ هـ/ يناير ١٩٩٩ م)

الموضوع	الصفحة
● رمضان شهر النفحات الربانية	
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٣٣٧
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر	١٣٤٢
● قبس من أنوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٣٤٧
● يوم النصر العظيم	
للأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	١٣٥٠
● رمضان شهر الجهاد	
لفضيلة الشيخ : السيد عبد المقصود عسكر	١٣٥٥
● رمضان شهر الخيرات والنفحات والبركات	
لفضيلة الشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١٣٦٠
● سلوكيات المسلم فى رمضان	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى	١٣٦٤
● الصوم توازن بين المادية والروحية	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومى	١٣٦٨
● رمضان شهر الوجدان	
للأستاذ الدكتور : مبروك عطية أبو زيد	١٣٧٠
● الإسراء والمعراج منعطف فى تاريخ الدعوة	
للأستاذ الدكتور : سعد ظلام	١٣٧٣
● القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة	
لفضيلة الشيخ : محمد حافظ سليمان	١٣٨٢
● حسن التلاوة رحمة ونعمة	
لفضيلة الشيخ : أحمد بن محمد طاحون	١٣٨٧
● تاج الجوامع أول جامع فى افريقية	
دكتور : عبد العزيز صلاح سالم	١٣٩٢
● من بواهر الآيات ، والقت مافيها وتخلت ،	
لفضيلة الشيخ : محمد عبد الرحمن صان الدين	١٣٩٨
● إنسانية الأعياد فى الإسلام	
لفضيلة الشيخ : معوض عوض إبراهيم	١٤٠٢
● من قادة الخلفاء الراشدين ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،	
للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين	١٤٠٥
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين	١٤٠٨
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر ، تحقيق القول فى ليلة القدر ، لفضيلة الإمام الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج الدين	
إعداد وتقديم : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤١٢
● ذخائر النفائس فى شهر الصيام	
للأستاذ : أحمد مصطفى حافظ	١٤٢٥
● من نصراء الفصحى فى العصر الحديث	
للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد	١٤٢٨
● طرائف ومواقف	
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٤٣٤
● من أعلام الأزهر ، الدكتور على العمّارى فى بحوثه العلمية،	
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى	١٤٣٦
● العلوم الكونية ، قراءة إيمانية فى كتاب الكون ،	
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا	١٤٤٢
● بشريات	
للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير	١٤٤٧
● خميلة الشعر	
للأستاذ : محمد عبد الوهاب	١٤٥١
● بشير النصر	
للأستاذ : السيد صديق حافظ	١٤٥٢
● من بشائر النصر فى غزوة بدر	
للأستاذ : خالد محمود إبراهيم سالم	١٤٥٣
● سبحان الله	
للأستاذ : محمد محمد عبد الرحمن	١٤٥٥
● دوحة الكتب	
إعداد : محمود الفشنى	١٤٥٧
● بين المجلة والقارىء	
إعداد : عادل رفاعى خفاجة	١٤٦٥
انباء مكتب شيخ الأزهر	
للأستاذ : عمر البسطويسى	١٤٧٠
● اخبار العالم الإسلامى	
يحررها الدكتور : حسن على محمد	١٤٧٨
● القسم الفرنسى	
● المقالة الثانية	
د . هدى حسين شعراوى	١٤٨٢
● المقالة الأولى	
د . رقية جبر	١٤٨٦
● القسم الإنجليزى	
● المقالة الثانية	
للأستاذة : حنان عبده الطهطاوى	١٤٩١
● المقالة الأولى	
هدير رفعت أبو النجا	١٤٩٤

(شوال ١٤١٩ هـ / فبراير ١٩٩٩ م)

● الافتتاحية

بقلم عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٤٩٧

● كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاحتفال بليلة القدر ١٥٠٢

● كلمة فضيلة شيخ الأزهر الشيخ محمد سيد طنطاوى ١٥٠٨

● كلمة السيد وزير الأوقاف د . حمدى زقزوق ١٥١٠

● تفسير سورة البقرة

بقلم الدكتور محمد سيد طنطاوى ١٥١٣

● قبس من أنوار النبوة

بقلم الشيخ على حامد عبد الرحيم ١٥٢٢

● متى يأتى العيد

بقلم فضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ١٥٢٤

● الإسلام فى معترك التحدى

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ١٥٢٨

● من مكارم السلوك والأدب فى الإسلام السخاء

للمستشار : محمد عزت الطهطاوى ١٥٣١

● الإسراء والمعراج منعطف فى تاريخ الدعوة

للأستاذ الدكتور : سعد ظلام ١٥٣٨

● الزهد فى الإسلام

للأستاذ الدكتور : عامر النجار ١٥٤٤

● الاستغفار فى القرآن الكريم

للأستاذ محمد عبد العظيم الجوهرى ١٥٥١

● المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف فى المصحف الشريف

للدكتور : جمال عبد العزيز احمد ١٥٥٤

● من قادة الخلفاء الراشدين [ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه]

للأستاذ احمد السيد تقى الدين ١٥٦٤

● استفتاءات القراء

يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين ١٥٦٩

● من أعلام الأزهر : على العمارى فى بحوثه العلمية

للدكتور : محمد رجب البيومى ١٥٧٢

● طرائف ومواقف

للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٥٧٨

● علماء من مصر [شرف الدين الدمياطى]

لفضيلة الشيخ : عبد الحفيظ فرغلى القرنى ١٥٨٠

● الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء

للأستاذ : نبيل محمد رشاد ١٥٨٤

● زكى مبارك بين الوطنية والعروبة والإسلام

للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد ١٥٨٨

● دور العقاد فى الحياة الأدبية والنقدية

للأستاذ الدكتور : السيد مرسى أبو ذكرى ١٥٩٥

● من روائع الماضى بمجلة الأزهر [الطريق إلى فهم الإسلام]

للأستاذ : محب الدين الخطيب

إعداد وتقديم : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٦٠١

● الجديد فى العلم والتقنية

للدكتورة : نجوى السيد احمد ١٦٠٦

● أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامي [المناظر]

للأستاذ الدكتور : احمد فؤاد باشا ١٦٠٨

● كلام خفيف

للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير ١٦١٢

● خميلة الشعر

للأستاذ : محمد عبد الوهاب ١٦١٥

● إشراقة العيد

للأستاذ : احمد مصطفى حافظ ١٦١٦

● استغفـــار

للأستاذ : محمد فتحى نصار ١٦١٨

● أغنية للوحدة العربية

للأستاذ / إبراهيم صالح ١٦١٩

● دوحة الكتب

إعداد : محمود الششنى ١٦٢١

● بين المجلة والقارىء

إعداد : عادل رفاعى خفاجة ١٦٢٨

● تنبيـــه

● انباء مكتب شيخ الأزهر الشريف

إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى ١٦٣٦

● أخبار العالم الإسلامى

يحررها الدكتور : حسن على محمد ١٦٤٥

القسـم الفـرنسى

● المقالة الثالثة

هدى حسين شعراوى ١٦٥٣

● المقالة الثانية

د . محمد رجب البيومى ١٦٥٧

● المقالة الأولى

د . رقية جبر ١٦٥٩

القسـم الإنجليزى

● المقالة الثالثة

للأستاذ كمال عبد الرحمن همام ١٦٦٢

● المقالة الثانية

للأستاذة : حنان عبده الطهطاوى ١٦٦٦

● المقالة الأولى

هدير رفعت ابو النجا ١٦٧٠

(ذو القعدة ١٤١٩ هـ / مارس ١٩٩٩ م)

الموضوع	الصفحة
● الحج حكم وأسرار	
لفضيلة الشيخ : عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٦٧٣
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الإمام الأكبر	١٦٧٨
● قبس من أنوار النبوة	
للشيخ : على حامد عبد الرحيم	١٦٨٤
● الحج ومكانته العقيدية فى الإسلام	
للشيخ : عبد المنصف محمود عبد الفتاح	١٦٨٦
● الحج قبل الإسلام وبعد ظهور الدعوة إليه	
للمستشار : محمد عزت الطهطاوى	١٦٩٤
● الحج تدريب على القيم العليا	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الجيوشى	١٧٠٠
● آدم أبو البشر	
للأستاذ الدكتور : محمد عبد المنعم خفاجى	١٧٠٣
● علنية الإسلام وعلنية الحرب ضده	
للشيخ : السيد عبد المقصود عسكر	١٧٠٨
● الاجتهاد وأهميته فى العصر الحديث	
لسماحة السيد على بن السيد عبد الرحمن الهاشم	١٧١٦
● مدرسة النقل فى التفسير	
للأستاذ الدكتور : محمد إبراهيم الفيومى	١٧٢٢
● قضايا قرآنية « قضية الرسم العثمانى »	
للأستاذ : صديق بكر على عيطة	١٧٢٦
● يسر الإسلام وسماحته	
للدكتور : أحمد عبد الرحيم السايح	١٧٣٠
● الداعية الإسلامى وأهمية القدرة على الفهم والإفهام	
للأستاذ الدكتور : محمد محمد البادى	١٧٣٨
● من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم (قوم عاد)	
للأستاذ الدكتور : مسلم شلتوت	١٧٤٤
● من قادة الخلفاء الراشدين	
ذو النورين [عثمان بن عفان رضى الله عنه]	
للأستاذ : أحمد السيد تقى الدين	١٧٤٧
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ : السيد العراقى شمس الدين	١٧٥٢
● من أعلام الأزهر	
الشيخ محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية	
للأستاذ الدكتور : محمد رجب البيومى	١٧٥٦
● طرائف ومواقف	
للأستاذ : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٧٦٢
● الثقافة والأدب فى خواطر الإمام الشعراوى	
لفضيلة الشيخ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى	١٧٦٤
● زكى مبارك وتأصيل الثقافة الإسلامية	
للدكتور : محمد عبد الحكيم محمد	١٧٧٥
● خميلة الشعر	
للأستاذ : محمد عبد الوهاب	١٧٨١
● من أجل يمناك الطهور	
للأستاذ : حامد الجوجرى	١٧٨٢
● من روائع الماضى لمجلة الأزهر	
التقوى فى القرآن الكريم	
لفضيلة الإمام الشيخ : محمود شلتوت	
إعداد : عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٧٨٨
● العلوم الكونية	
أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى [المناظر]	
للأستاذ الدكتور : أحمد فؤاد باشا	١٧٩٢
● الساعة البيولوجية ، وهم أم حقيقة ؟	
للأستاذ : مجدى عبد الحميد بشير	١٧٩٦
● دوحة الكتب	
إعداد : محمود الفشنى	١٧٩٩
● بين المجلة والقارىء	
إعداد الأستاذ : عادل رفاعى خفاجة	١٨٠٣
● أنباء مكتب شيخ الأزهر الشريف	
إعداد الأستاذ : عمر البسطويسى	١٨٠٨
● أخبار العالم الإسلامى	
يحررها الدكتور : حسن على محمد	١٨١٥

القسم الفرنسى

الموضوع	الصفحة
● المقالة الثانية	
هدى حسين شعراوى	١٨١٩
● المقالة الأولى	
د . رقية جبر	١٨٢١

القسم الانجليزى

الموضوع	الصفحة
● المقالة الثانية	
هدير أبو النجا	١٨٢٥
● المقالة الأولى	
حنان عبد مطهطاوى	١٨٣٠

ذو الحجة ١٤١٩ هـ / أبريل ١٩٩٩ م

الموضوع	الصفحة
● الافتتاحية	
فى هذه الأيام كثر خير الله وطاب	
بقلم الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار	١٨٣٣
● تفسير سورة البقرة	
لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى	١٨٣٧
● قبس من انوار النبوة	
لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم	١٨٤٥
● الحج امتثال لأمر الله تعالى	
لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان	١٨٤٨
● من هبات الفريضة الخالدة	
لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم	١٨٥٢
● بيت الله الأول فى الأرض	
لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد حجاب	١٨٥٦
● الأضحية	
للشيخ مصطفى سيد عارف	١٨٦٠
● الأعياد الإسلامية	
لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمد عبد الفتاح	١٨٦٤
● التفسير بالمأثور ـ الطبرى	
للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى	١٨٧٢
● الاجتهاد واهميته فى العصر الحديث	
لسماحة السيد / على بن السيد عبد الرحمن الهاشم	١٨٧٥
● المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف فى المصحف الشريف	
للدكتور / جمال عبد العزيز أحمد	١٨٨٠
● يسر الإسلام وسماحته	
للدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح	١٨٨٩
● العلم بالعربية واجب دينى	
للدكتور محمد السيد على بلاسى	١٨٩٥
● من قادة الخلفاء الراشدين	
للأستاذ أحمد السيد تقى الدين	١٩٠٠
● استفتاءات القراء	
يقدمها الشيخ / السيد العراقى شمس الدين	١٩٠٤
● من اعلام الأزهر	
للدكتور محمد رجب البيومى	١٩٠٨
● طرائف ومواقف	
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٩١٤
● وللمقامات حديث	
للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى	١٩١٦
● مجمع اللغة العربية بالقاهرة يؤبن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى	١٩٢٠
● من الشعراء المعاصرين :	
شوقى على هيكل	
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ	١٩٢٣
● باب الشعر والشعراء	
إعداد الأستاذ : محمد عبد الوهاب	١٩٢٧
● أمـــاه :	
للأستاذ : محمد إبراهيم العشماوى	١٩٢٨
● رسالة إلى السماء	
للأستاذ : إبراهيم خليل إبراهيم	١٩٢٩
● فى موكب الحج	
للأستاذ محمد على جمعة الشايب	١٩٣٠
● منـــاجـاة	
للأستاذ عزت سعد الدين	١٩٣٢
● اول عيد	
للدكتور عصام حمد القطقاط	١٩٣٣
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر	
إعداد : الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم	١٩٣٤
● امهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى	
للدكتور أحمد فؤاد باشا	١٩٣٨
● من خزائن الشفاء : الدب القطبى	
إعداد : مجدى عبد الحميد بشير	١٩٤٢
● دوحة الكتب	
إعداد : محمود القشنى	١٩٤٦
● بين المجلة والقارىء	
إعداد : عادل رفاعى خفاجة	١٩٥٥
● انباء مكتب شيخ الأزهر	
إعداد : الأستاذ عمر البسطويسى	١٩٦٢
● انباء العالم الإسلامى	
حسن على محمد	١٩٧٥
● **الفهرس السنوى**	**١٩٨١**
القسم الفرنساوى	
● المقالة الثانية	
هدى حسين شرقاوى	١٩٩٧
● المقالة الأولى	
د. رقية جبر	١٩٩٩
القسم الانجليزى	
● المقالة الأولى	
حنان عبده الطهطاوى	٢٠٠٦

عناوين ملاحق مجلة الأزهر لعام ١٤١٩هـ

١ ـ الهجرة مواقف ـ عبر ـ عظات (محرم)
لفضيلة الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار
٢ ـ رحلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى إلى البحرين (صفر)
إعداد :
فضيلة الأستاذ الشيخ/ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر
فضيلة الأستاذ الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار
فضيلة الأستاذ/ محمد شوقى السبكى
٣ ـ الرحمة المهداة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزء الأول (ربيع الأول)
تاليف : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى
٤ ـ الرحمة المهداة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجزء الثانى (ربيع الآخر)
تاليف : فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
٥ ـ منهج الدعوة الإسلامية من القرآن الكريم والسنة النبوية (جمادى الأولى)
تاليف : فضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
٦ ـ الشعراوى .. إمام الدعاة ومجدد هذا القرن (جمادى الآخرة)
إعداد :
فضيلة الأستاذ الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار
الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة
الأستاذ/ احمد السيد تقى الدين
٧ ـ المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ـ الجزء الأول (رجب)
للإمام ابى إسحاق إبراهيم بن مفلح
اختيار وتعليق :
فضيلة الشيخ/ السيد عبد المقصود عسكر
٨ ـ المختار من كتاب مصائب الإنسان من مكائد الشيطان ـ الجزء الثانى (شعبان)
للإمام ابى اسحاق إبراهيم بن مفلح
اختيار وتعليق :
فضيلة الشيخ/ السيد عبد المقصود عسكر
٩ ـ مع الصائمين فى شهر المغفرة والغفران (رمضان)
لفضيلة الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار
١٠ ـ حول إعجاز القرآن (شوال)
لفضيلة الأستاذ الدكتور/ على العمارى
١١ ـ دليل الحج والعمرة .. بالسؤال والجواب (ذو القعدة)
لفضيلة الشيخ/ احمد بن محمد طاحون
١٢ ـ مع الإمام على ـ كرم الله وجهه (ذو الحجة)
لفضيلة الشيخ/ عبد المعز عبد الحميد الجزار

Le Prophète-b.s-a flagellé de 80 coups de fouet les gens de "Ifk"(les propagateurs du mensonge, calominateurs de Aïcha). Il étaient de nombre de 3 ce sont: Hassan Ibn Sabet-Mistak Ibn Açaça et Hamnah bent Gahch.

Le Prophète-b.s-dit un jour à ses compagnons:

"Evitez les 7 plus grands péchés"-Que sont-ils? répondirent les compagnons. Il dit:"L'association à Allah, la magie, l'homicide sans avoir aucun droit, l'usure, le gaspillage des biens de l'orphelin, fuire du champ de la bataille, l'accusation d'adultère contre les femmes mariées, chastes et croyantes." Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Conditions d'application du "Hadd" ou sanction:

L'auteur du délit de Kazf doit être musulman, doué de raison et majeur.

Le dénigré doit jouir d'une réputation honorable, exempte de toute perversion.

La victime du Kazf doit revendiquer son droit à l'application du Hadd sur le diffamateur; il a la faculté de revendiquer ce droit ou de pardonner.

Le diffamateur n'est pas passible de la peine s'il produit quatre témoins attestant de la véracité de l'accusation.

En l'absence de l'une de ces conditions, le hadd n'est pas appliqué.

Remarque:

La peine de l'adultère si le fautif est marié est la mort. Il faut que le délit soit clairement établi soit par l'aveu même du fautif, ou confirmé par quatre témoins qui attestent avoir vu l'acte lui-même, c'est à dire les deux sexes introduits l'un dans l'autre tel que la baguette du"Khol"dans son étui, ou la corde dans le puits.

En réalité ce témoignage est difficile à fournir, vu l'impossibilité de tel constat. Il ne suffit pas de témoigner avoir vu une telle avec Untel, même dans un même lit. Celui qui le fait sera passible de la peine de Kazf qui est de 80 coups de fouet. Cette rigueur est voulue pour sauvegarder l'intégrité des foyers et mettre fin aux accusations diffamatoires.

sais que dire." "Ma mère, dis-je, réponds pour moi au Prophète-b.s- "Par Allah, dit-elle, je ne sais que répondre."

J'étais encore jeune dit Aïcha-A.s.e-je ne savais pas encore beaucoup de Coran, mais je répondis:

"Par Allah! je suis sûre que vous avez entendu et cru ce que disent les gens. Si je vous déclare que je suis innocente-et Allah le sait bien- vous ne me croyez pas. Mais si j'avoue autre chose- et Allah sait bien qu'il n'en fut rien- vous l'acceptez comme vrai. En l'occurence, je ne trouve d'exemple pour nous deux que la réponse du père de Joseph quand il dit:

[Je me résigne dignement à Allah. Il m'aidera à supporter vos assertions.]
(Surate 12"Yusseph" Joseph.V18.)

Ensuite je me suis recouchée, esperant qu'Allah déclare mon innocence. J'étais loin de penser que des versets coraniques seraient révélés à mon sujet, moi l'insignifiante. Tout ce que j'espérais, c'était que le Prophète-b.s-le vit en songe.

Par Allah, avant même que le Prophète-b.s-n'eût quitté sa place, ni aucune des personnes qui se trouvaient dans la chambre ne fût sortie que l'Envoyé d'Allah-b.s-reçut la révélation et fut couvert de sueur qui perlait sur son visage malgré que nous étions dans un jour d'hiver. La révélation terminée, le Prophète-b.s-souriant, dit:

"ÔAïcha! Allah vient d'affirmer ton innocence." Ce fut le premier mot qu'il prononça.

Alors ma mère me dit:"Lèves-toi et remercie le Prophète-b.s-" "Je ne me lève pas et je ne remercie qu'Allah seul", lui dis-je. Allah a révélé a mon sujet les versets de 11 à 20 de la Surate 24 La lumière.

Leçons tirées de la calomnie sur Aïcha.A-s-e

Sanction pour diffamation"Kazf."

Quel est le sens du mot Kazf?

Il s'agit de qualifier quelqu'un d'adultère ou de dire:"J'ai vu Untel en état d'adultère ou de sodomie."

Législation:

Cette médisance est un péché capital, Allah a qualifié son auteur de pervers, a réscusé son témoignage et a ordonné de le soumettre à la peine de kazf en disant:

[Ceux qui portent des accusations infamantes contre les femmes honnêtes sans pouvoir produire quatre témoins seront passibles de 80 coups de fouet. Leur témoignage ne sera plus jamais admis.Ce sont eux les pervers! A moins qu'ils ne reviennent ensuite sur leurs erreurs et s'amendent manifestement. Allah est Clément et Miséricordieux.] **Surate 24 "Al-Nour"La Lumière V4et5.**

La calomnie sur Aicha a.s.e.

Kissat–oul ifk (suite)

Par : Mme Hoda Hussein Chaarawy

A ce moment, Saad Ibn Mouaz(chef de la tribu des Aous à Médine) se leva et dit:"Envoyé d'Allah, je jure que si tu veux, je peux m'en charger. Si c'est quelqu'un de la tribu des Aous, je lui trancherai le cou, s'il est de la tribu de nos frères les Khaz-rag, nous exécuterons l'ordre que tu nous donnes. "

A ce moment Saad Ibn Obada, chef des Khazrag, qui pourtant était un homme vertueux, mais que le parler de Saad jeta dans le chauvinisme, se leva et dit en s'adressant à Saad Ibn Mouaz:"Menteur! par Allah tu ne le tueras pas. Tu n'en auras pas le courage." Et voilà que Ossaïd Ibn Hodaïr-cousin de Ibn Mouaz-de se lever et de dire:"C'est toi le menteur! Par Allah nous le tuerons."

Les deux tribus faillirent en venir aux mains. Le Prophète-b.s- était encore en chaire. Il descendit et calma la bagarre. Quand le calme revînt, le Prophète-b.s-cessa de parler.

Je n'ai pas cessé de pleurer ce jour là. j'ai pleuré les deux nuits suivantes sans goûter le sommeil. Je sentais mes pleurs me fendre le coeur. Mon père et ma mère vinrent auprès de moi le matin. Je pleurais toujours. Une femme ançarite demanda à entrer. Elle s'assit pleurant avec moi. On était assis quand le Prophète-b.s-entra et prit place à côté de moi. Il ne l'a pas fait depuis ce bavardage de calomnie à mon sujet. Pendant un mois, il n'avait pas reçu de révélation me concernant. Il dit:"Aïcha, j'ai appris sur toi telle et telle chose, si tu es innocente, Allah va le montrer. Si par contre, tu as commis un péché, demande pardon à Allah et repens - toi .Quand l'homme reconnaît sa faute et s'en repent, Allah la lui pardonne."

A ce moment mes larmes s'arrêtèrent de couler subitement et m'adressant à mon père, je lui dis:"Réponds au Prophète-b.s-à ma place." "Par Allah, dit-il, je ne

Le jour de la Fête du Sacrifice ('Id Adha) a été ainsi appelé à cause du rite de l'immolation accompli ce jour-là en commémoration du sacrifice accompli par le prophète Ibrahim et en signe de soumission des croyants aux prescriptions d'Allah.

Ces bêtes qui sont égorgées par ceux qui en possèdent les moyens, permettent de nourir les musulmans moins fortunés, créant par cela une atmosphère de fraternité et de compassion parmi les croyants.

Enfin depuis le jour de 'Arafat et jusqu'à l'après-midi du quatrième jour de la Fête, les musulmans ne cessent de proclamer la grandeur d'Allah (At-Takbir) et leur soumission (At-Talbiya) à la fin de chaque prière prescrite (As-Salat), affirmant ainsi leur volonté de défier tous les obstacles et de surmonter tous les difficultés en vue l'unité et de la grandeur de la nation islamique.

Rappelons ce Hadith du Prophète -b.s.- où il dit : *"Il n'y a point de jour où Allah exempte du Feu/ses serviteurs que le jour de 'Arafat . Il se rapproche-Gloire à Lui- d'eux et les montre avec fierté à Ses Anges"* : Pendant qu'il était à 'Arafat, le Messager d'Allah -b.s.- implorait Allah d'accorder Son pardon et Sa miséricorde la nation des musulmans. Allah -Gloire à Lui- lui répondit: *"Voilà Je l'ai fait, sauf pour ceux qui se sont fait mutuellement du tort. Quant aux péchés qu'ils ont commis à Mon égard, Je les ai pardonnés"*. Ajoutons qu'il est préférable pour ceux qui sont restés dans leurs pays et n'ont point accompli le Pèlerinage de jeûner le Jour de 'Arafat en vue d'obtenir ue part des faveurs et des grâces qu'Allah accorde à Ses pèlerins.

Le Grand Pèlerinage et les jours bénis

par Dr. Rokeya Gabr

Les dix premiers jours du mois de Dhul Hiddja sont les jours déterminés mentionnés par Allah - le Très-Haut - dans le Coran: [***Invoquez le nom d'Allah durant les jours connus...***]. Allah nous ordonne d'invoquer fréquement Son nom en ce jours afin d'obtenir des biens et des grâces de Sa part ainsi que Sa miséricorde et le pardon de nos pêchés. Il faut donc tirer profit de ces jours en accomplissant tout ce qui est susceptible de nous rapprocher d'Allah.

Le jour de la Station de Arafat est, parmi ces jours, celui où Allah par Sa grâce et Sa miséricorde accorde Son pardon et la rémission des péchés. Ce jour-là, Satan, l'ennemi des humains, en voyant la miséricorde d'Allah envers Ses créatures, se maudira lui-même avec rage et désespoir.

En ce noble jour Allah rassemble tous les membres de la nation islamique, venus de tous les coins de la terre, pour proclamer à l'humanité toute entière qu'ils sont tous des frères, partageant une même foi, adorant Allah, le Dieu unique et disant: "*Labbaïk Allahuma, Labbaïk, la charika laka Labbaïk*" (Je viens à toi toi, ô Allah, je viens à Toi qui n'as point d'associé).

Ceci est une occasion où les musulmans se rappellent que d'où qu'ils viennent et quelle que soit leur nationalité ou leur couleur, ils doivent œuvrer sans trêve dans le sens d'une coopération et d'une entr'aide entre les membres de cette même nation qu'ils veulent noble et florissante.

REVUE
AL AZHAR

Zu-l-Heja 1419 H. APR. 1999, Vol. 71 Part XII.

Section Francaise

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction
M.Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

«Those who swallow the property of the orphans unjustly, they swallow only fire into their bellies. And they will burn in blazing. fire».

(Al Niss 9)

The divine commandments thus take us gradually to sound economic construction and an ideal social life with no cracks because of monopoly and greed. Allah stated that honesty should prevail in the life of Muslims Allah says «And give full measure and weight with equity— We impose not on any soul a duty except to the extent of its ability». (Surat Al Anam). The same idea is stressed in Surat Al Isra :

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟
بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء - ٣٥)

And give full measure when you measure out, and weigh with a true balance. This is fair and better in the end».

(Al Isra 35)

It is also emphasised in the Sura of Al Mutafifin :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ④
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المطففين - ١ - ٦)

« Woe to the cheaters ! Who when they take the measure (of their dues). from men take it fully, And when they measure out to others or weigh out for them, they give less than wos due. Do they not think that they will be raised again, To a mighty day ? The day when men will stand before the Lord of the world.

Ibn Abbas (may Allah be pleased with them) narrated that when the Prophet (Peace and Blessings Be upon Him) had come to Madina, the people there were the worst in weighing. They usually gave less that was due. Accordingly, Allah revealed «Woe to the cheaters». After that they improved and weighed out well.

on what is lawful. There should be no extravagance in dealing with the property of the orphan.

That property of a ward might have some value that would go away if kept until he attains maturity when he is able to look after his possessions. The guardian henceforth is not allowed to consume the property hurridly for fear of losing that value. Accordingly greater cautiousness should be taken when looking after the property of the orphan. So for example, if the guardian is a rich man himself, he should not consume the property of the orphan whether extravagantlyor hastily, and if the is poor he should consume it reasonably, When the guardian has to give the property back to his ward he should bring witnesses to clear his conscience. Allah says :

﴿ وَابْتَلُوا
الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا
فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء - ٦)

« And test the orphans until they reach the age of marriage. Then if you find in them maturity of intelect, make over to them their property and consume it not extravagantly and hastily against their growing up. And whoever is rich let him abstain, and whoever is poor let him consume reasonably. And when you make over to them their property,call witnesses in their presence. And Allah is enough as a Reckoner».

(Al Nisa 6)

Allah stated that the punishment for those who devour the property of their wards unjustly is to be driven to hell and the most evil resort. Allah said :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء - ٩)

(Money and property)

The divine commandments then lead us to consider money and property and how to make good use of them. They also focuss on sound social interaction. In the beginning, Allah mentions the property of an orphan because he is so weak. No one is allowed to come near it except in a good way as to help to preserve it. So, here is the words of the Qur'an are used to prevent anyone from even touching the property of an orphan until he reaches maturity. The exaggeration in «And approach not the property of the orphan except in the best manner until he attains his maturity» is meant to stress the prohibition..

Allah is warning the guardian who looks after an orphan and his property against ill use of his possessions. This could be done by substituting some of the valuable things an orphan possesses by some other worthless items belonging to the guardian. A guardian may also add the money or property of the orphan to his own which is considered a great sin.

In Surat Al Nisa (The Women) Allah says :

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء - ٢)

«And give to the orphans their property and substitute not worthless (things) for (their) good ones, and devour not their property (adding ohto your own property. This is surely a great sin.»

(Al Niss 2)

In order to preserve the property of an orphan, Allah decreed that He should not be given over his belongings unless being tested to make sure that he can look after his possessions properly. It is prohibited for a guardian to spend the money of the orphan unwisely even if he spends it on the orphan himself. This money has to be spent only

Muslim who kills another or attacks the Muslims should be as well killed.

Surat Al Isra deals with this point and the divine law put by Islam even as regards the heir of someone who has been slain unjustly. He is not allowed to exceed the limits. Allah says :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (الإسراء - ٣٣)

«And kill not the soul which Allah has forbidden except for a just Cause. And whoever is slain unjustly, We have indeed given to his heir authority—but let him not exceed the limit in slaying. Surely he will be helped.

(Al Isra 33)

This commandment is delt with in details in the honourable Sunnah Narrated Abdullah (may Allah be Pleased with him). Allah's Messenger (Peace and blessings be upon Him) said «The blood of a Muslim who confesses that La ilaha illallah (none has the right to be worshipped but Allah) and that I am the Messenger of Allah, can not be shed except in three cases : (1) Life for life (in case of intentional murders) without rights, i e in Qisas—Law of Equality in punishment), (2)–a married person who Commits illegal sexual intercourse, and (3)– the one who turns renegade from Islam (apostate) and leaves the group of Muslims.

The previously mentioned commandments are clearly stated for those who are mindfull. They are as bright as the sun in the morning. So, they can easily be recognised by all human beings as they speak to the human intitution. In Surat Al An'am Allah says after mentioning the five commandments already dealt with» that you may understand».

This means that Allah decreed all these commandments that you may use your minds to understand them and recognize their value in religion. The commmandments mentioned concentrate on :

1 – Creed, (2&3) Family including both parents and children, (3) Honour, (4) The Soul.

food with you. I further asked «What next?» He said : To commit illegal sexual intercourse with the wife of your neighbour».

Protection of Honour

Then comes the commandment concerning honour. Allah says : and draw not nigh to indecencies, open or secret» So here Allah is warning against all sorts of indecencies whether committed openly in front of everybody or secretely. Allah uses the words «draw not nigh» to emphasise and exaggerate the warning. It is to show that coming near such indecencies will defintely lead to practising them.

In Surat Al Israa, Allah prohibits the commitment of adultry.

He Says :

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأنعام - ١٥١)

«The dreadfulness of this sin is also shown clearly in the Sunnah The Prophet (Peace and Blessings be upon Him) explained that no sin (after Sherk) is greater than a man who puts a small life germ into a womb that is not lawful for him. He also explained thatMuslims remain safe and secure so long as no illegal children are born., otherwise Allah would make them suffer.

The Scholar Abu Al Soud said as explaining Surat Al An'am that indecencies are in themselves a great crime. He pointed out that children born after committing adultry are considered dead.

The Sacredness of the Soul

The commandment as regards the protection of the human soul then follows in the verse of Surat Al An'am. Allah says : and kill not the soul which Allah has made sacred except in the course of justice». Thus Allah is speaking of the human soul on which any attack is forbidden because it is guarded by Islam or a protection pledge from Allah. Allah says «except in the course of justice», this indicates that Allah only legislates when it is lawful to kill a human being (a soul).

It is considered lawful and just to kill someone who becomes a disbeliever) after being a Muslim. A married person who commits adultry has to be killed. Besides, a

Commandments of the Holy Qur'an Concerning the greatest Virtues

Rights of the Children

Part II

By : Hanan Abdou El Tahtawy

The verses mentioned at the very beginning deal with the rights of the children immediately after pointing out the commandment related to the parents. When Allah says «and slay not your children for (fear of) poverty», this means that one should not kill his own children because there is already existing poverty. Allah provides sustenance for parents and children as well.

In Surat Al An'am Allah mentioned the parents first. He says «We provide for you and for them». However, in Surat Al Isra Allah mentioned the children first. He says :

﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ (الإسراء - ٣١)

(Al Isra - 31).

«We provide for them and for you»

Allah wants to show that he provides people with the means of living because poverty is expected due to the existing of children. In the Sunnah, killing children for fear of poverty is prohibited. It is considered as the most dreadful crime by the Prophet (Peace and blessings be upon Him).

Narrated Abdullah Ibn Masoud. «I asked o Allah's Messenger !

What sin is the greatest ? He said : To set up a rival unto Allah,though He (Allah) created you, I said «What next?» He said : To kill your son lest he should share your

AL-AZHAR MAGAZINE

Zu-l-Heja 1419 H.

ENGLISH SECTION

Vol. 71 Part XII.

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(AL A'raf 43)

EDITORS: Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

فهـــرس العـــدد

الموضوع — الصفحة

- الافتتاحية
  فى هذه الأيام كثر خير الله وطاب
  بقلم الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار ١٨٣٣
- تفسير سورة البقرة
  لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى ١٨٣٧
- قبس من أنوار النبوة
  لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم........ ١٨٤٥
- الحج امتثال لأمر الله تعالى
  لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان........ ١٨٤٨
- من هبات الفريضة الخالدة
  لفضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم ١٨٥٢
- بيت الله الأول فى الأرض
  لفضيلة الشيخ عبد الفتاح سيد حجاب ١٨٥٦
- الأضحية
  للشيخ مصطفى سيد عارف ١٨٦٠
- الأعياد الإسلامية
  لفضيلة الشيخ عبد المنصف محمد عبد الفتاح ١٨٦٤
- التفسير بالمأثور - الطبرى
  للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومى ١٨٧٢
- الاجتهاد وأهميته فى العصر الحديث
  لسماحة السيد / على بن السيد عبد الرحمن الهاشم ١٨٧٥
- المعانى النحوية والدلالات لعلامات الوقف فى المصحف الشريف
  للدكتور / جمال عبد العزيز أحمد ١٨٨٠
- يسر الإسلام وسماحته
  للدكتور / أحمد عبد الرحيم السايح ١٨٨٩
- العلم بالعربية واجب دينى
  للدكتور محمد السيد على بلاسى ١٨٩٥
- من قادة الخلفاء الراشدين
  للأستاذ أحمد السيد تقى الدين........ ١٩٠٠
- استفتاءات القراء
  يقدمها الشيخ / السيد العراقى شمس الدين ١٩٠٤
- من أعلام الأزهر
  للدكتور محمد رجب البيومى ١٩٠٨
- طرائف ومواقف
  للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٩١٤
- وللمقامات حديث
  للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ١٩١٦
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة يؤبن فضيلة الشيخ محمد
  متولى الشعراوى........ ١٩٢٠

الموضوع — الصفحة

- من الشعراء المعاصرين :
  شوقى على هيكل
  للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٩٢٣
- باب الشعر والشعراء
  إعداد الأستاذ : محمد عبد الوهاب ١٩٢٧
- أمـــاه :
  للأستاذ : محمد إبراهيم العشماوى ١٩٢٨
- رسالة إلى السماء
  للأستاذ : إبراهيم خليل إبراهيم ١٩٢٩
- فى موكب الحج
  للأستاذ محمد على جمعة الشايب ١٩٣٠
- منـــاجاة
  للأستاذ عزت سعد الدين........ ١٩٣٢
- أول عيد
  للدكتور عصام حمد القطقاط ١٩٣٣
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
  إعداد : الأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٩٣٤
- أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى
  للدكتور أحمد فؤاد باشا ١٩٣٨
- من خزائن الشتاء : الدب القطبى
  إعداد : مجدى عبد الحميد بشير ١٩٤٢
- دوحة الكتب
  إعداد : محمود الفشنى ١٩٤٦
- بين المجلة والقراء
  إعداد : عادل رفاعى خفاجة ١٩٥٥
- أنباء مكتب شيخ الأزهر
  إعداد : الأستاذ عمر البسطويسى........ ١٩٦٢
- أنباء العالم الإسلامى
  حسن على محمد ١٩٧٥
- الفهرس السنوى ١٩٨١

القسم الفرنساوى

- المقالة الثانية
  هدى حسين شرقاوى........ ١٩٩٧
- المقالة الأولى
  د. رقية جبر ١٩٩٩

القسم الانجليزى

- المقالة الأولى
  حنان عبده الطهطاوى ٢٠٠٦